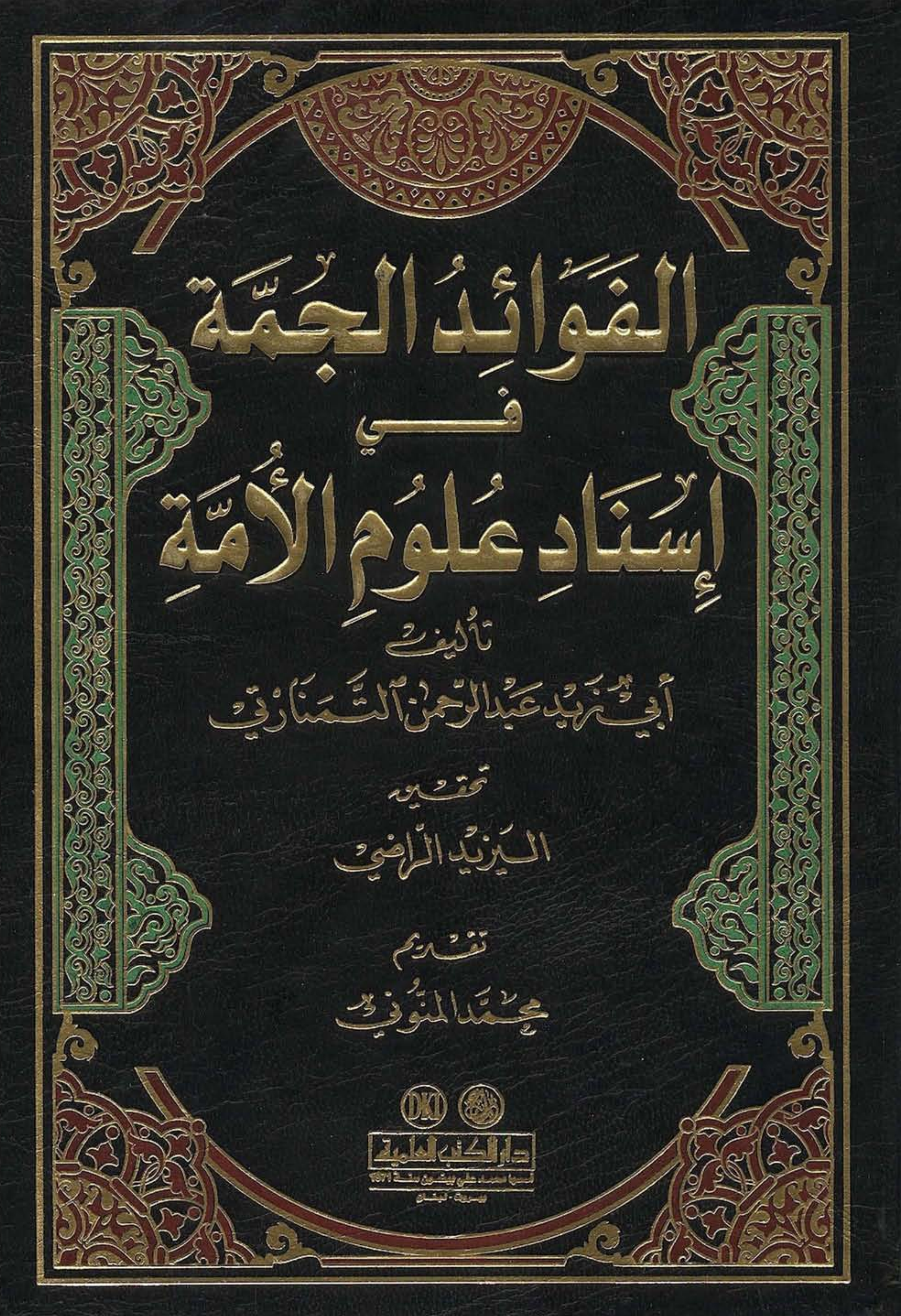

الفوائد الجمة
في
إسناد علوم الأمة
تأليف
أبي زيد عبد الرحمن التمنارتي
تحقيق
اليزيد الراضي
تقديم
محمد المنوني
DKI
دار الكتب العلمية

الفوائد الجمة

في

إسناد علوم الأمة

تأليف

أبي زيد عبد الرحمن التمنارتي

تحقيق

اليزيد الراضي

تقديم

محمد المنوني



DKI

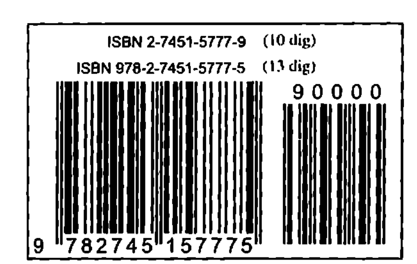
دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

الكتاب: الفوائد الجمة
في إسناد علوم الأمة
التصنيف: فهرسة علوم
المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي
المحقق: اليزيد الراضي
الناشر: دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات: 672
سنة الطباعة: 2007
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة الأولى: مطبوعات السنتيسي - الدار البيضاء.
الطبعة الثانية: دار الكتب العلمية - بيروت.

Title: Al-fawā'id al-Jammah fī Isnād 'ulūm al-'ummah
classification: Indexing of Sciences
Author: Abu Zayd 'Abdul-Raḥmān al-Tamanārti
Editor: Al-Yazīd al-Rāḍi
Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages: 672
Year: 2007
Printed in: Lebanon
Edition: 2nd



المساهمون في الكتاب

التأليف :

- **العلامة أبو زيد عبد الرحمان بن محمد التمنارتي** (1545–1650م/ 974– 1060هـ). انظر ترجمته الموسعة في أول هذا الكتاب.

التحقيق :

- **الأستاذ اليزيد الراضي**
- ولد بقبيلة إداوزكري، إقليم تارودانت سنة 1950.
- حفظ القرآن ومعظم المتون الرائجة في المدارس العتيقة إلى سنة 1962.
- التحق بالمعهد الإسلامي بتارودانت حتى نال شهادة البكالوريا سنة 1970.
- التحق بكلية الدراسات العربية بمراكش وكلية الحقوق بالرباط ونال الإجازة من الكليتين معاً سنة 1973.
- اشتغل أستاذا بالمعهد الإسلامي بتارودانت من سنة 1973 حتى سنة 1985.
- التحق بسلك تكوين الأساتذة بكلية الآداب بالرباط وتخرج منها بعد عامين (1985–86).
- عين أستاذاً بكلية الآداب ـ بأكادير سنة 1987. وهو لا يزال بها إلى الآن.
- نال دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي بكلية الآداب بالرباط سنة 1990.
- إنجازاته :

ـ «**شعر داود الرسموكي**»، جمع وتحقيق ودراسة (مطبوع، 1996).
ـ «**أبو زيد عبد الرحمان التمنارتي وشعره**» (مخطوط).
ـ «**انتفاء الخطر من وصول الصاروخ إلى القمر**» (مخطوط).
ـ «**الخلافة الراشدة والأيدي الخفية**»، إنجاز مشترك (مطبوع).
ـ «**التوجيه والإرشاد إلى مضامين قصيدة الفقيه رشاد**» (تحت الطبع).
ـ ديوان شعر (مخطوط).
ـ مجموعة مقالات ومحاضرات في مواضيع مختلفة.

التقديم :



- **العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني.**
- ولد بمدينة مكناس سنة 1919.
- أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- باحث متخصص في تاريخ الحضارة المغربية وخبير في شؤون المكتبات.
- حائز على جائزة المغرب سنة 1969.
- حائز على جائزة الإستحقاق الكبرى سنة 1988.
- إنجازاته :

- «**العلوم والآداب والفنون في عصر الموحدين**»، 1950.
- «**تاريخ ركب الحاج المغربي**»، 1953.
- «**مظاهر يقظة المغرب الحديث**» : سفران، 1985.
- «**المصادر العربية لتاريخ المغرب**» : سفران، 1983، 1989.
- «**منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الحسنية**»، 1978.
- «**دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت**»، 1985.
- «**فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط**»، الجزء الأول - مرقون، 1974.
- «**فهارس مخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط**»، الجزء الأول - مرقون، 1983.
- «**تاريخ الوراقة المغربية**»، 1991.
- «**ورقات عن حضارة المرينيين**»، 1980.
- مقالات تناهز 150 وحدة ضمن مسرد بذيل «**المصادر العربية لتاريخ المغرب**»، ج 2، صص. 448-457.
- عضو في عدة ندوات بالمغرب والجزائر وتونس والسعودية والباكستان وإنجلترا وإسبانيا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

منذ سمع الناس بصدور هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة 1999 تنفسوا الصعداء وتفاءلوا خيراً وحمدوا اللّه على أن أطلق سراحه، بعد أن حجب عنهم في سجون المكتبات العامة والخاصة مدة طويلة، واشتاقوا لقراءته والاستفادة منه اشتياقاً عظيماً كما يدل على ذلك تهافت الباحثين على المكتبات بحثاً عنه لاقتنائه والانتفاع بما فيه من معلومات قيمة تلقي ضوءاً كاشفاً على فترة هامة من فترات التاريخ العلمي المغربي عامة والسوسي خاصة، وهي فترة النصف الثاني من القرن الهجري العاشر، والنصف الأول من القرن الذي يليه.

إلا أن كثيراً من الباحثين أصيبوا بخيبة أمل، وانقلب إليهم بصر تفاؤلهم خاسئاً حسيراً عندما بحثوا عن الكتاب في المكتبات التي هي مظان وجوده، خاصة في الدار البيضاء والرباط وأگادير، فلم يعثروا عليه، وكلما سمعوا بوجود نسخ منه في مكتبة من المكتبات أتاهم من يخبر بنفادها، واستغربوا ندرة نسخه، وهو حديث عهد بالطبع والنشر والصدور.

وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الطابع الذي تولى طبعه ونشره سلك مسلكاً غير معتاد في توزيعه وبيعه، فكانت النتيجة أن بقي الكتاب بعيداً عن متناول كثير من الباحثين الراغبين في اقتنائه بعد طبعه، كما كان بعيداً عن متناولهم قبل طبعه.

وقد جعلني أفكر في إعادة طبعه شعوري بأن الطلب على الكتاب متزايد وأن الشوق إلى اقتنائه وقراءته يتضاعف يوماً بعد يوماً وإحساسي بأن الهدف المنشود من طبعته الأولى لم يتحقق، وهو أن ينتشر على نطاق واسع، وأن يصل إلى كل من يرغب فيه من القراء والباحثين.

وعندما تم الاتصال بدار الكتب العلمية بلبنان في شأن طبعه طبعة ثانية، وأسفر الاتصال على الاتفاق، أعدت النظر فيه مستدركاً ما أمكنني استدراكه ومصححاً ما تيسر لي تصحيحه، ولذلك أعتبر هذه الطبعة أجود وأصح وأكثر تنقيحاً من سابقتها، دون أن أدعي أنني أعطيت لهذا الكتاب النفيس كل ما يستحق، لأن ما يستحقه كثير، وجهدي ووقتي لا يسمحان الآن بأكثر مما فعلت، ولعل القراء الأفاضل، والباحثين الأماثل، يتكرّمون عليّ بملاحظاتهم واستدراكاتهم واقتراحاتهم، لأتمكن في الطبعات القادمة إن شاء اللّه، من استدراك ما لم أتمكن الآن من استدراكه، وتصحيح ما لم يتيسر لي تصحيحه، واللّه من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

اليزيد بن محمد الراضي

المجلس العلمي المحلي

تارودانت ـــ المغرب

2005 /04 /08

تقديم

محمد المنوني
كلية الآداب ـ الرباط

آشتهرت «**الفوائد الجمة**»، للإمام أبي زيد التمنارتي باسم «الفهرس»، اعتباراً بمضامين البابين الأول والثاني منها. على أن الفهرس يومئ لموضوعه الموسع بكلمة «الفوائد» التي تتصدر عنوانه.

وكما سيرى القارئ، فإن الكتاب موسوعة علم، وديوان أدب، يعج بتراجم فقهاء وأدباء إقليم سوس وجزولة بالخصوص، إلى إفادات غزيرة دفينة ومنوعة. وهي طريقة في التأليف لم تكن معروفة ـ إلا قليلا بالمغرب الوسيط ـ قبل عصر الشرفاء. وكان من أول من سار عليها أبو العباس المقري بفاس، والتمنارتي بسوس. وبخصوص هذا الأخير الذي هو موضوعنا، فقد انبثقت استطراداته عن معلومات جمة ضاعفت من قيمة الكتاب. وهذا غيض من نوادر فيضه حسب النماذج التالية :

أولا ـ ففي مادة الحديث الشريف وما إليه :

1 ـ ترد إشارة للعاهل السعدي، أبي العباس الأعرج، وهو أحد الرواة في سند حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وقد أسمعه لراويه عنه الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن محمد الحامدي.

2 ـ ثم إثبات نص سَنَدِ المُدّ النبوي المكتوب على مُدّ الأمير يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي.

3 ـ نصوص إجازات مشرقية لأهل «التكرور» بالسودان الغربي.

ثانيا ـ وفي مادة التاريخ :

1 ـ تعيين بلد الإمام عبد الله ابن ياسين، وتحديد موقعه الموالي للتخوم السوسية نحو الصحراء المغربية.

2 ـ ثم تعيين آسم الاِختصاصي الذي نصب الرخامتين لمعرفة الوقت، بمنارة جامع القصبة ومنارة الجامع الكبير بمدينة تارودانت.

3 ـ حديث مستفيض عن ركب الحجاج الذي كان يذهب من مدينة مراكش ويسير فيه حجاج الجنوب المغربي، بموازاة ركب الحجاج بفاس.

4 ـ إلى حديث موسع عن ألواح جزولة وأعرافها.

5 ـ وعن استعمال عشبة الدخان، وفتاوى فقهاء سوس في النازلة.

ثالثا ـ وأخيرا : مجموعة كبرى من رسائل المؤلف وأشعاره...

وهكذا يتبين أن «**الفوائد الجمة**» تعتبر مرآة كاشفة عن نشاط الثقافة الإسلامية بسوس، وفي جزولة بالأخص، عند بدايات العصر الحديث.

وعلى أهمية الكتاب، فقد استمر غير متداول إلا عند أفراد معدودين، ومن بينهم الأفراني في «**صفوة من انتشر**»، والحضيكي في «**طبقاتـ**»ـه. ثم كان أول من اهتم به وترجم بعض أقسامه المستعرب الفرنسي الكولونيل جوستنار (Justinard) في 123 صفحة ونشره بفرنسا سنة 1953[1]. ثم قام العلامة محمد المختار السوسي بإخراجه قصد الطبع، ولكن عاجلته المنية قبل تحقيق ذلك. وقد اهتم به بعده الأستاذ الجليل، حامل راية الأدب في شعره ونثره، الطيب الأخلاق والأعراق، سيدي محمد بن عبد الله الإدريسي الروداني؛ وسرعان ما أخذ في تحقيقه شغله عنه انتدابه لأعمال أخرى : في المطبعة الملكية، حيث حقق كتاب «**إيليغ قديما وحديثا**»، ثم في الخزانة الحسنية بالرباط مع قسم الوثائق، وأخيراً في أكاديمية المملكة المغربية، حيث حقق كتاب «**التيسير**» لأبي مروان ابن زهر. وغب ما أتمه انتقل إلى رحمة الله ورضوانه عام 1411-1992م.

وهنا تصدى لتحقيق «**الفوائد الجمة**» الأستاذ الجامعي، الباحث المقتدر، المتواضع على علو مقامه المعرفي، السيد اليزيد الراضي، أحد الأساتذة المرموقين في

---

(1) رقم الكتاب في الخزانة العامة بالرباط : C 13.029.

كلية الآداب بجامعة ابن زهر بأكادير. وقد تفضل فأطلعني على ما نشر من عمله، فرأيت في ذلك إهتماما جادًا بموضوعه، وتصميماً مركزاً لعملية التحقيق، إلى تنسيق وتأن وصبر، مما ينم عن خطة قويمة يسير عليها المنوه به في باقي الكتاب الذي صادفت جله غائبا بالمطبعة.

فالله سبحانه يكافئ السيد المحقق على مبادرته التي بث بها علماً وكتاباً، وأحيى ثلة من رجال العلم والأدب ومعه كل الذين أسهموا في نشر هذا الكتاب سابقا ولاحقا، بارك الله في مَسعَاهم، إنه ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق.

الرباط، في 28-06-1418/
1997-10-31

بين يدي الكتاب

اليزيد الراضي
كلية الآداب ـ أكادير

أولا : التعريف بالتمنارتي

I ـ مسقط رأسه :

ولد التمنارتي(°) في بلدة تمنارت[1] الواقعة بالأطلس الصغير، عند سفحه الجنوبي

(°) توجد ترجمة التمنارتي في المراجع التالية :
- **وفيات الرسموكي**، ص. 24، رقم الترجمة 99.
- **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر** لمحمد الصغير الإفراني، صص. 155–175 (ط. حجرية).
- **اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة** لمحمد الأزهري، ص. 193.
- **مناقب الحضيكي**، ج 2، صص. 152–153.
- **وفيات الهلالي** (مخطوط خاص).
- **الإستقصا** للناصري، تحقيق ولديه جعفر ومحمد، ج 6، ص. 35، هامش.
- **فهرس الفهارس والأثبات** للكتاني، ج 2، صص. 922–925.
- **مؤرخو الشرفاء** لليفّي بروفنسال، ص. 181 (تعريب عبد القادر الخلادي).
- **إيليغ قديما وحديثا** للمختار السوسي، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني، ص.32 وص.2، هامش 7.
- **سوس العالمة** للمختار السوسي، صص. 181، 230.
- **رجالات العلم العربي في سوس** للمختار السوسي، ص. 42.
- **النبوغ المغربي، في الأدب العربي** لعبد الله كنون، ج 1، ص. 259.
- **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** لعبد السلام بن سودة، ج 2، صص. 329، 388، 463.
- **الأعلام** للزركلي، ج 4، ص. 108.
- **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب** (القسم الثالث، الجزء الأول، صص. 105–106).
- **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح** (القسم الثاني، الجزء الثاني)، إعداد س. علوش، وعبد الله الرجراجي، صص. 202–203.
- **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** لمحمد حجي، ج 2، ص. 413.

إلّا أن ترجمته في هذه المراجع مقتضبة جدا، ولذلك اعتمدت بصفة أساسية في صوغ ترجمته على كتابه «**الفوائد الجمة**»، لما ضمَّنه من معلومات ضافية تتعلق بحياته وثقافته وشيوخه ومنصبه القضائي.

(1) أخطأ بروفنسال، فاعتبر تارودانت مولد التمنارتي ومدفنه (**مؤرخو الشرفاء**، ص. 181).

المطل على الصحراء، وهي واحة جميلة، تتكون من قرى متناثرة على ضفاف واد يسمى «وادي تمنارت»، ويشكل أحد روافد نهر درعة. وتحيط بتلك القرى بساتين النخيل والفواكه المختلفة، التي تغذيها عيون سواق نبعت من ذلك الوادي.

ومعنى «تمنارت» باللهجة السوسية «منارة»، مؤنث «المنار»، الذي هو الحد الفاصل بين شيئين، كمنار القبر، ومنار الفدان. وإنما أطلق هذا الإسم على تلك المنطقة، لأنها تشكل الحد الفاصل بين الصحراء وبلاد التل[2].

وفي قرية[3] من تلك القرى التي يطلق عليها اسم «تمنارت» استقر أجداد أبي زيد التمنارتي، وفيها ولد ونشأ وترعرع. وقد كان المختار السوسي ـ رحمه الله ـ يظن أن القرية التي نشأ فيها التمنارتي واستقر بها أجداده، هي قرية «فم الحصن» (إمي وكَادير)، التي يقطنها الآن أحفاده، ويسمون «أيت القاضي»، كما وضح ذلك عندما قال في «**خلال جزولة**»[4] :

> وقبل أن نصل إلى ذلك المكان، أراني رفيقي القائد محمد بن البشير عن يساره مقبرة قديمة مندثرة، وذكر أنها للمعافرة آل أبي زيد القاضي التمنارتي صاحب «**الفوائد الجمة**»... وكنت أرى أن منشأ القاضي هو «إمي وكَادير» حتى سمعت الآن ما سمعت.

ويبدو أن اسم هذه القرية هو «الفائجة»، كما تدل على ذلك قرائن متعددة، منها قول المانوزي بأن المعافرة آل التمنارتي سكنوا بتمنارت «في مدينة تسمى الفائجة ذات نخل وأعناب، وعيون وفواكه مما يشتهون»[5].

وقد خربت تلك القرية ـ أو المدينة ـ الآن، ولم يبق منها إلا الأطلال. ويرجع سبب خرابها وجلاء السكان عنها إلى الجَدْب، حسب ما ذكر المختار السوسي في «**خلال جزولة**»[6]، عندما قال : «ويذكر الناس أنهم جلوا عن ذلك المكان، لجدب أصاب تلك البلاد» ؛ وإلى الخوف، حسب ما ذكر المَانوزي، عندما قال :

> ثم خالطتهم القبائل الصحراوية، مثل «بني آسا» و«الركَيبات» من عرب معقل، بالغارات تارة، والنهب والتخريب والإفساد تارة، فجعلوا ينتقلون شيئا فشيئا

---

(2) **الفوائد الجمة**، ص. 71.

(3) اندثرت تلك القرية الآن، ولم يبق منها إلا الأطلال، كما سيأتي قريبا.

(4) ج 3، ص. 26.

(5) محمد المختار السوسي، **المعسول، مصدر مذكور**، ج 3، ص. 324. وتطلق الفائجة كذلك على بسيط في تمنارت يمتد بين دواري «أكَرض» و«إيشت».

(6) **المصدر نفسه**، ج 3، ص. 26.

إلى نواحي السوس، حيث يأمنون على أنفسهم وأولادهم، إلى أن أخلوا بلاد الفائجة آخر القرن الثاني عشر، فصارت خرابا يبابا، لا أنيس فيها إلا اليعافير وإلا العيس[7]، فغارت مياهها من عيونها وأوديتها، ويبست أشجارها، فصارت كأن لم تغن بالأمس، بعد أن كانت محط الرجال ذوي الفهوم والفنون[8].

وبلدة «تمنارت» تضرب بجذورها في التاريخ إلى القرون الإسلامية الأولى[9]، حيث سكنها العلماء والصلحاء منذ ذلك التاريخ[10]. وإليها ينتمي عبد الله بن ياسين، موطد أركان دولة المرابطين[11] : فهي التي أنجبته،وفيها نشأ قبل أن يلتحق بالأندلس لطلب العلم.

الا أن أهميتها ازدادت في عصر السعديين، فأصبحت قاعدة بلاد جزولة، واعتبرت من بين الأعمال السوسية، التي يعين فيها قضاة ينوبون عن قاضي الجماعة الذي يعين في المحمدية[12] (تارودانت). وممن تولى القضاء فيها مدة من الزمان، الشيخ الشهير، سيدي مَحمد بن إبراهيم التمنارتي[13]. وقد تحدث عنها الأستاذ محمد حجي، في كتابه «**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**»[14]، فأعتبرها أحد المراكز القروية المهمة في ذلك العهد، كما تحدث عنها المختار السوسي ـ رحمه الله ـ في «**المعسول**»[15] و«**خلال جزولة**»[16].

وترجع أهميتها في عصر السعديين إلى أسباب، منها :

---

(7) قال العامر بن الحارث المعروف بـ**جرّان العود** :

وبلـــــــدةٍ ليس بها أنـــــــيس إلا اليعـــــــافير وإلا العِـــــــيسُ

وهو من شواهد الإستثناء (انظر **شرح الأشموني على الألفية بحاشية الصبان**، ج 2، ص. 147) ونسب هذا البيت لبشر بن أبي حازم في «**حياة الحيوان الكبرى**» للدميري، ج 2، ص. 711.

(8) محمد المختار السوسي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص. 224.

(9) **المصدر نفسه**، ص. 324.

(10) محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج 2، ص. 619.

(11) انظر ص. 71.

(12) انظر مقالا لإبراهيم حركات حول «التنظيم القضائي في عهد السعديين»، في **مجلة دار الحديث الحسنية**، العدد 4، سنة 1404هـ/1984م، ص. 204.

(13) محمد المختار السوسي، **مصدر مذكور**، ج 7، ص. 17.

(14) **المصدر نفسه**، ج 2، صص. 617، 620.

(15) **المصدر نفسه**، ج 7، ص. 5 فما بعد.

(16) **المصدر نفسه**، ج 3، ص. 4 فما بعد.

1 ـ اشتهار أهلها بالصلاح والفضل، وعلى رأسهم الشيخ التمنارتي سيدي محمد بن إبراهيم، الذي كان أحد أعمدة التصوف في القرن العاشر الهجري؛

2 ـ ازدهار العلم فيها، بسبب جهود الشيخ المذكور، الذي بنى بها مدرسة، وتصدر فيها لتدريس العلم طيلة عمره؛

3 ـ ولاء أهلها للسعديين، ومناصرتهم لدولتهم.

هذه هي «تمنارت»، وهذا هو طابعها العام، عندما استقبلت أبا زيد التمنارتي، وفتحت ذراعيها لاحتضانه وتنشئته. وهو ـ بلا شك ـ سيتأثر بطبيعتها، وتتجاوب نفسه مع ما تزخر به من علم وصلاح.

II ـ اسمه ونسبه :

هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد المعافري الجزولي التمنارتي، ينتسب إلى المعافر (أو المعافرة) الذين انتسب إليهم أبو بكر ابن العربي[17]. وهم بنو يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد[18]، من قبائل قحطان اليمنية الأصل[19].

وقد نزل هؤلاء المعافرة الذين انحدر منهم التمنارتي منطقة تمنارت، واستقروا بها أوائل القرن الخامس الهجري، كما يدل على ذلك قول المانوزي :

> والمعافرة قبائل كثيرة في نواحي تمنارت، وقد سكنوا فيها بين بلاد قصبة «تمنارت» إلى قرية «إيشت» من القرن الخامس في أوله، في مدينة تمسى الفائجة[20].

III ـ سنة ولادته :

لم يذكر التمنارتي صراحة سنة ولادته، ولم يتعرض لذكرها أحد ممن ترجموا له، ولكننا نستطيع الاهتداء إليها بسهولة، انطلاقا من قوله في «**الفوائد الجمة**» : «وفي خلال تلك المسالك، وأنا ابن ست وعشرين سنة، وهي سنة تمام الألف، قرعت

---

(17) **المصدر نفسه**، ج 3، ص. 324 ؛ و**إيليغ قديما وحديثا**، ص. 2.

(18) **تاريخ ابن خلدون**، ج 2، ص. 534 (دار الكتاب اللبناني، 1966) ؛ وابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، 1382هـ ـ 1962، ص. 485 ؛ وابن الجزري، **اللباب في تهذيب أنساب العرب**، ج 3، مكتبة المثنى، بغداد، ص. 229.

(19) ابن حزم، **المصدر المذكور**، ص. 485 ؛ وابن الجزري، **المصدر المذكور**، ج 3، ص. 229.

(20) محمد المختار السوسي، **المعسول**، ج 3، ص. 324.

باب الله بهذه الوسيلة ثانيا»[21]، لأن هذا يعني أنه بلغ 26 سنة عام 1000هـ. فتكون سنة ولادته هي 974هـ/1545م.

IV ـ أسرته ونشأته الأولى :

إذا كان سكان تمنارت ـ كما رأينا ـ مشهورين، منذ القديم، بالعلم والصلاح، فإن أسرة أبي زيد التمنارتي، لم تخرج عن هذا الوضع، بل سارت على درب العلم والاستقامة، واتصف أفرادها بالصلاح والديانة. ويكفي لتصور ذلك أن نعلم :

أ ـ أن قبر جده الثالث مزارة مشهورة بمقبرة سلفه[22]، وذلك يدل على أن هذا الجد. كان في حياته متين الديانة، غزير العلم، مشهورا بالعلم، منتزعا إعجاب معاصريه بورعه واستقامته :

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا   إلا إذا لاحظـــوا آثار إحسان

ب ـ وأن والده غلب عليه التصوف، ومرافقة الأولياء والصلحاء، والحرص على زيارتهم، والاكتراع من فيوضهم. وقد تربى في أحضان أساطين التصوف في عصره، واقتبس من أخلاقهم ما مكنه من السير في طريقهم، وهَيَّأَهُ لاكتساب بعض كراماتهم :

وإذا سخــر الإلـــه أنـــاسا   لسعيـــد، فإنهم سعـــداء

ويكفي أن نعلم أن شيوخه في التربية هم ـ كما ذكر ابنه في «**الفوائد الجمة**»[23] :

- أبو العباس أحمد بن موسى السملالي التزروالتي الشيخ الشهير؛
- الشيخ أبو عبد الله مَحمد بن إبراهيم التمنارتي؛
- ولدا الشيخ التمنارتي : أبو إسحاق إبراهيم، وأبو عبد الله محمَّد؛
- الشيخ أحمد بن محمد المعروف بالسائح الحاحي؛
- الشيخ مَحمد بن وِيسَعْدْن السجتاني،

---

(21) انظر ص. 566.

(22) انظر ص. 71.

(23) انظر ص. 77 فما بعد.

لندرك إلى أي حد، سيعزف عن الدنيا، وينصرف عن مظاهرها البراقة، ليُقبل على إصلاح نفسه، وتحصين دينه، وبناء آخرته. وقد وصفه الحضيكي بأنه «كان رجلا صالحا دينا خيرا متعبدا ورعا زاهدا في الدنيا، معرضا عن أهلها طول عمره، ذا دين متين، ويقين وصبر وكرم نفس، وقلب سليم، وخلق حميد، وسيرة حسنة»[24]، وكان يجهد نفسه في العبادات، ويحفظ كثيرا من الأذكار والأدعية[25]. وقد أهله صلاحه لأن ينتدب من الشيخ التمنارتي لتغيير المناكر في بلده، فقام بواجبه أحسن قيام[26].

في أحضان هذه الأسرة العلمية الصوفية، نشأ التمنارتي. وتحت رعاية والده خطا خطواته الأولى على درب التربية والتعليم، فكان لابد أن يتأثر بهذا الجو الديني، وأن يترك هذا الطابع الصوفي بصماته في وجدانه. وكيف لا ؟ وقد تعهده أبوه بالتربية الدينية منذ صغره، وحاول أن ينشئه تنشئة صالحة، وأن يغرس في قلبه مبادئ السلوك القويم، وأن يعوده العبادة الحية، والآداب السنية الرفيعة، وهو لم يتجاوز بعد السابعة من عمره. فقد تحدث التمنارتي في «**الفوائد الجمة**» عن تربيته الأولى ـ أثناء حديثه عن أبيه ـ فقال :

> علمني وأنا ابن سبع سنين معنى الشهادتين، وقواعد الإسلام، وفريضة الحمد والشكر، والصلاة على النبي ﷺ، وصفة الوضوء والتيمم، وكيفية أداء الصلاة والإطمئنان فيها، والترسل والسكينة والوقار، وجلسة النبي ﷺ على صدور القدمين، وآداب الأكل والشراب والنوم[27].

ومعنى هذا أن والد التمنارتي أراد من ابنه أن يجمع بين شرف الفقه وشرف التصوف، فيكون فقيها بصيرا بشؤون دينه، يعبد ربه عن علم، ويسير في شؤونه الخاصة والعامة، على هدى وبصيرة، بعيدا عن مزالق الجهل؛ ويكون في الوقت نفسه متصوفا دائم الإتصال بالله، يجاهد نفسه بالعبادة، ويترسم خطى أولياء الله الصالحين، لكي يَزْكُوَ علمه بالعمل، ويسلم من آفة التناقض والغرور. وقد عبر والد التمنارتي صراحة عن هذه الأمنية، عندما خاطب ابنه بقوله :

---

(24) **مناقب الحضيكي**، ج 2، صص. 38–39.

(25) انظر ص. 73.

(26) انظر ص. 77.

(27) انظر ص. 72.

كن فقيها وفقيرا، ولا تكن أحدهما فقط، فيفوتك حميد أخلاق أحد الفريقين، والسلامة في الجمع بينهما، وبذلك أيضا تسلم من مذموم صفات الفقهاء التي منها حب الدنيا، الذي هو رأس كل خطيئة في أخواتها، ومن مذموم صفات الفقراء، التي منها الدعوى في أخواتها، والدعوى رأس كل ضلالة[28].

وإذا كان التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، فإن هذه التربية المبكرة، التي تلقاها التمنارتي في ظل رعاية والده، ستشكل حجر الزاوية في بناء ثقافته وسلوكه، وسيرافقه أثرها الطيب طيلة عمره. .

وهذه المرحلة الأولى من نشأة التمنارتي، لا نعرف عنها الشيء الكثير، لأنه لم يحدثنا عنها بتفصيل في «**الفوائد الجمة**»، وإنما أشار إليها إشارة عابرة أثناء ترجمته لوالده، لدرجة أنه يمكن أن نجمل معلوماتنا القليلة عنها فيما يلي :

أ ـ اهتمام أبيه بتربيته وتقويم سلوكه، منذ السابعة من عمره، على الشكل الذي أسلفناه؛

ب ـ كونه أثيرا لدى أبيه، بسبب رؤيا منامية رآها أبوه[29]؛

ج ـ توجيهه للعلم، وإراحته من كلفة الأسباب[30].

٧ ـ رحلته في طلب العلم :

بدأت رحلة التمنارتي في طلب العلم سنة 992هـ[31]، عندما اتجه إلى المحمدية (تارودانت) التي تعتبر إذ ذاك قاعدة السوس الأقصى، كما تعتبر أحد المراكز الثقافية المهمة في المغرب. وقد وجد فيها التمنارتي ضالته المنشودة، فشرب من معينها حتى ارتوى. ففي مجالسها، وبين أيدي شيوخها الكبار، تكونت شخصيته العلمية، ونمت مداركه، واتسع أفقه.

وأثناء إقامته بتارودانت، كان يرحل من حين لآخر، إلى مركزين ثقافيين

---

(28) انظر ص. 73.

(29) انظر ص. 72.

(30) انظر ص. 72.

(31) انظر ص. 143 و281. وواضح من هذا التاريخ أن التمنارتي لم يدخل تارودانت إلا بعد أن بلغ حوالي 18 سنة من عمره. وبذلك نعلم أنه لم يكن طفلا عندما دخلها، كما ظن الأستاذ محمد حجي في «**الحركة الفكرية**» (**مرجع مذكور**، ج 2، ص. 413). والذؤابة التي كانت للتمنارتي عندما دخل تارودانت، لا ينبغي أن تنسينا سنة ولادته.

آخرين، هما مركز زداغة (إداوزداغ) بجبل درن، ومركز تمنارت، ويتلقى منهما ما يتلقّى من المعارف. ولذلك يمكن أن نقول بأن المراكز الثقافية التي رحل إليها التمنارتي، وتنقل بينها لأخذ العلم ثلاثة :

أ ـ مركز تمنارت : ففي هذا المركز تلقى تعليمه الأولي ـ كما أسلفنا ـ ولم يقتصر الأمر على ذلك، وإنما كان يرحل إليه من حين لآخر ـ بعد أن نزل تارودانت، واستقر بها ـ بهدف زيارة مَسْقَط رأسه، وعهد مراسم السلف هناك[32]. وكان في تلك الزيارات، يستغل الفرصة، ويضرب عصفورين بحجر واحد، فيحضر مجالس العلماء، ويأخذ عنهم[33]. وإذا كنا لم نعرف من شيوخه في تمنارت قبل رحيله إلى تارودانت، غير أبيه، فإننا نعرف بعض شيوخه التمنارتيين الذين أخذ عنهم في تمنارت، بعد رحيله إلى تارودانت. وسترد أسماؤهم ـ إن شاء الله ـ ضمن لائحة شيوخه.

ب ـ مركز تارودانت : وهذا المركز هو الذي أسهم إسهاما كبيرا في تكوين التمنارتي من الناحية العلمية، لأنه وجد تارودانت ـ عندما رحل إليها ـ تزخر بالعلماء الكبار، ووجد مساجدها تكتظ بالمجالس العلمية. فكان يحضر تلك المجالس، ويأخذ عن أولئك العلماء، حتى تضلعَ من مختلف العلوم الدينية واللغوية، وأصبح مؤهلا لأن يكون عالم تارودانت الكبير[34]، وقاضيها المحنك، ومفتيها المرموق، ومؤلفها اللامع في أواخر عصر السعديين.

ج ـ مركز زداغة : وقد اشتهرت زاوية «تافيلات» ـ بإداوزداغ ـ بالتربية والتعليم، خاصة في أيام قيام يحيى الحاحي عليها بعد موت والده، نظرا لطول باعه في العلم، ولا سيما الحديث والتصوف، فجذبت شهرتها أبا زيد التمنارتي، فاتجه إليها ـ كما ذكر في «**الفوائد الجمة**»[35] ـ عام 1017هـ لأخذ الحديث عن يحيى الحاحي. وكان بعد ذلك يقصدها كل عام، في شهر رمضان، لمدارسة الحديث.

وأثر هذه الزاوية يتجلى في ثقافة التمنارتي في مجالين :

---

(32) انظر ص. 340.

(33) انظر ص. 132، 133.

(34) محمد حجي، المرجع المذكور، ج 2، ص. 413.

(35) انظر ص. 157 وص. 297.

الأول : مجال الحديث، حيث كان يحيى الحاحي عمدته الأولى في رواية جميع كتب الحديث، التي رواها وفصل أسانيدها في «**الفوائد الجمة**»(36).

الثاني : مجال التصوف، حيث نجد أن يحيى الحاحي هو عمدته في سلوك طريق القوم. فهو الذي لقنه الطريقة، وألبسه الخرقة(37).

وبالرغم من أن علماء المغرب في هذا العهد، يجوبون الأقاليم المغربية، طلبا للمزيد من التحصيل، ورغبة في تنوع مصادر المعرفة، وحبا في كثرة الشيوخ والإجازات، فإننا لا نعلم للتمنارتي رحلة علمية خارج سوس. ولعل ذلك يعود إلى أنه وجد في المحمدية من العلماء الفطاحل، كسعيد الهوزالي ومحمد بن الوقاد وغيرهما، ما أغناه عن الرحيل إلى مناطق أخرى. فاشتغل بحضور مجالسهم العلمية، والتهام معارفهم؛ ولم ير حاجة للتوجه إلى درعة أو مراكش أو فاس.

VI ـ شيوخه وثقافته :

وجد التمنارتي ـ كما أسلفنا ـ حاضرة سوس، عندما انتقل إليها طالبا للعلم، زاخرة بكبار العلماء، مليئة بالمجالس العلمية المتنوعة، فاكترع من هذه المناهل الفياضة العذبة، وتنقل بين هذه المجالس العلمية الشيقة، يملأ وطابه بالزاد الثقافي الرفيع، ويشبع نهمه العلمي، ويهيئ نفسه لتَبَوُّؤِ مكانة علمية مرموقة. وكان له طموح عريض، وهمة عالية، ورغبة صادقة في الاستفادة والتحصيل، وحرص أكيد على استغلال كل فرص التعلم السانحة، فكانت ثقافته التي حملها في مستوى طموحه واجتهاده، حيث تنوعت مصادرها، وتعددت مجالسها وطرق تلقيها، فأصبحت ثقافة عميقة واسعة، يمكن أن نقول بكل اطمئنان إنها تمثل ـ أصدق تمثيل ـ ثقافة العالم الكبير في ذلك العصر. ويتجلى ذلك في استعراض واجهاتها المختلفة والتعرُّف على مجالاتها المتعددة. لكننا قبل ذلك نرى أن نتعرف على شيوخ الكبار، الذين كونوه فأحسنوا التكوين، وعلموه فنجحوا في التعليم، متبعين في ترتيبهم الترتيب نفسه الذي اتبعه في الحديث عنهم في «**الفوائد الجمة**»، ومقتصرين على اسم الشيخ الكامل، وسنة وفاته إن عرفت، والفنون التي قرأها التمنارتي عليه. وهؤلاء الشيوخ هم :

(36) انظر الباب الثاني المتعلق بالأسانيد، ص. 197 إلى ص. 285.

(37) انظر ص. 214.

1 ـ والده محمد بن أحمد بن إبراهيم المعافري التمنارتي المتوفى بتارودانت سنة 1007هـ. وقد رأينا أنه أشرف على تربيته الأولى، ووجهه وجهة صوفية[38]؛

2 ـ الإمام الخطيب المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد، المتوفى بتارودانت سنة 1001هـ. قرأ عليه التمنارتي في تارودانت الحديث والفقه والعقائد والتفسير والعربية[39]؛

3 ـ الفقيه العلامة القاضي سعيد بن علي الهوزالي السوسي، المتوفى بتارودانت سنة 1001هـ. قرأ عليه التمنارتي في تارودانت الأصول والتفسير والعربية والتصوف[40]؛

4 ـ الفقيه المحقق القاضي أبو عثمان سعيد بن عبد الله بن إبراهيم الجزولي السملالي العباسي المتوفى بتارودانت سنة 1007هـ. قرأ عليه التمنارتي في تارودانت الفقه والأصول والعقائد والنحو والبلاغة[41]؛

5 ـ الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عَمْرو بن أحمد البعقيلي، الجزولي المتوفى سنة 1006هـ. قرأ عليه في تارودانت مقدمات علم النحو والعقائد، وأوائل الكتب وعلم الإعراب والتصريف[42]؛

6 ـ الفقيه الأديب الفرضي اللغوي أبو زيد عبد الرحمان بن عَمْرو بن أحمد الجزولي البعقيلي، المتوفى ببلده بعقيلة سنة 1006هـ. قرأ عليه في تارودانت النحو والعروض والتوقيت[43]؛

7 ـ أبو علي منصور بن محمد بن يوسف بن محمد السوسي المومني، المتوفى ببلده «بني مومن» بسوس سنة 1000هـ. قرأ عليه في تارودانت الفقه والأصول والبلاغة والعقائد والمنطق[44].

---

(38) انظر ترجمته في صص. 71–85.
(39) انظر ترجمته في صص. 85–100.
(40) انظر ترجمته في صص. 100–108.
(41) انظر ترجمته في صص. 108–113.
(42) انظر ترجمته في صص. 113–115.
(43) انظر ترجمته في صص. 115–117.
(44) انظر ترجمته في صص. 117–120.

8 ـ أبو عبد الله محمد بن مبارك السوسي التيوتي المعروف بأشخن، المتوفى سنة 1015هـ. قرأ عليه في تارودانت الفقه والنحو والعقائد والمنطق والقراءات وعلم المصطلح[45]؛

9 ـ الفقيه أبو محمد عبد الله بن علي بن حمزة الجزولي السملالي، حضر التمنارتي دروسه في البداية وانتفع به[46]؛

10 ـ الفقيه المشارك أبو عثمان سعيد بن عبد الله بن يدير التملي المتوفى سنة 1003هـ. حضر دروسه سنة كاملة في الفقه والعربية والعقائد والأصول والبيان[47]؛

11 ـ الفقيه الأديب اللغوي أبو عبد الله محمد بن علي السوسي الهوزالي المعروف بالنابغة المتوفى بمراكش سنة 1012هـ. قرأ عليه «**صحيح البخاري**»[48]؛

12 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن موسى الجزولي التمنارتي، المتوفى بتمنارت سنة 1039هـ. أخذ عنه الحديث[49]؛

13 ـ الفقيه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مَحمد بن إبراهيم التمنارتي المتوفى سنة 1048هـ. حضر دروسه في الفقه والأصول والعربية[50]؛

14 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الكريم الضرير التمنارتي المتوفى سنة 1039هـ. سمع منه بعض المواعظ والحكم[51]؛

15 ـ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الجزولي الرسموكي المشهور بِوَاخُو، نزيل تمنارت المتوفى سنة 1016هـ. كان يحضر دروسه في الفقه والعربية والحساب والعقائد والتصريف، إذا زار بلدته تمنارت[52]؛

---

(45) انظر ترجمته في صص. 120–121.
(46) انظر ترجمته في ص. 121.
(47) انظر ترجمته في صص. 121–125.
(48) انظر ترجمته في صص. 125–130.
(49) انظر ترجمته في ص. 131.
(50) انظر ترجمته في ص. 132.
(51) انظر ترجمته في ص. 132.
(52) انظر ترجمته في صص. 132–133.

16 ــ الفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن أحمد ابن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي السوداني المتوفى بمسقط رأسه تنبكتو سنة 1036هـ. أجازه بالمراسلة[53]؛

17 ــ الفقيه الزاهد المتورع أبو العباس أحمد بن مسعود الهوزالي المتوفى سنة 1030هـ. صحبه التمنارتي، وانتفع به وبمواعظه ووصاياه[54]؛

18 ــ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد التلمساني المتوفى بتارودانت سنة 1057هـ. سمع منه «البخاري» وأجازه[55]؛

19 ــ الفقيه المحقق أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السجتاني السوسي، المتوفى بمراكش سنة 1062هـ. حضر دروسه في الأصول والفروع وغيرها أيام ولايته لقضاء الجماعة بسوس[56]؛

20 ــ الأستاذ أبو عمران موسى بن أحمد التدماوي المتوفى سنة 1003هـ. أخذ عنه في تارودانت علم القراءات[57]؛

21 ــ الأستاذ أبو علي الحسن بن إبراهيم الخالدي السجتاني المتوفى سنة 1030هـ. أخذ عنه علم القراءات في تارودانت[58]؛

22 ــ الأستاذ أبو العباس أحمد بن يحيى السوسي التينزرتي المتوفى بمكة سنة 1030هـ. أخذ عنه علم القراءات في تارودانت[59]؛

23 ــ الأستاذ إبراهيم بن سليمان الهشتوكي المتوفى عن سن عالية في صفر سنة 1058هـ. أخذ عنه علم القراءات[60]؛

---

(53) انظر ترجمته في صص. 133ـ136.
(54) انظر ترجمته في صص. 136ـ137.
(55) انظر ترجمته في صص. 137ـ139.
(56) انظر ترجمته في صص. 139ـ142.
(57) انظر ترجمته في صص. 143ـ144.
(58) انظر ترجمته في صص. 144ـ145.
(59) انظر ترجمته في صص. 145ـ148.
(60) انظر ترجمته في صص. 148ـ149.

24 ـ الأستاذ المحقق أبو عبد الله محمد بن علي الجزولي الأنسوي الكفيف، المتوفى بزاوية زداغة سنة 1009هـ. ورد تارودانت ولم يطل بها مقامه[61]؛

25 ـ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن علي السجتاني المعروف بالفاسي المتوفى سنة 1050هـ. قرأ عليه صدرا من «الشاطبية» وأوائل الأصول[62].

وإلى جانب شيوخ التعليم هؤلاء، هناك شيوخ له في التربية ـ أو الطريقة ـ ذكرهم في «الفوائد الجمة»، بهذا الترتيب :

1 ـ أبو محمد عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي، المتوفى بزداغة سنة 1012هـ. حضر التمنارتي مجلس تذكيره مرة واحدة[63]؛

2 ـ أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي المتوفى سنة 1035هـ. قرأ عليه بزداغة كتب الحديث والتصوف[64]؛

3 ـ الشيخ أبو عبد الله مَحمد بن مسعود المنظيفي المعروف بـ«أُكْرَبَانْ»، المتوفى سنة 1012هـ. حضر التمنارتي مجلسه يوما بهنظيفة[65]؛

4 ـ أبو عبد الله محمد بن عثمان بن إبراهيم الجزولي التمنارتي المتوفى سنة 1016هـ. وهو الذي أرشد التمنارتي لتفقد مراسم سلفه بتمنارت[66]؛

5 ـ أبو محمد عبد الله بن المبارك بن علي ابن الولي الصالح البركة أبي عبد الله محمد بن المبارك السوسي الأقَّاوِي، المتوفى سنة 1015هـ. زاره التمنارتي في بلده عام 1015هـ، وقرأ عليه كتب الحديث والتصوف[67].

هؤلاء هم شيوخ التمنارتي، الذين ترجم لهم في «الفوائد الجمة»، وهم شيوخ كبار، وعلماء وأساتذة أفذاذ، استقوا معارفهم من مختلف الجهات. فأوى معظمهم إلى تارودانت، وكونوا فيها مركزا ثقافيا، لا يقل أهمية عن بقية المراكز الثقافية في

---

(61) انظر ترجمته في ص. 149.

(62) انظر ترجمته في ص. 150.

(63) انظر ترجمته في صص. 150-157.

(64) انظر ترجمته في صص. 157-161.

(65) انظر ترجمته في صص. 161-165.

(66) انظر ترجمته في صص. 165-167.

(67) انظر ترجمته في صص. 167-191.

المغرب إذ ذاك؛ بل إن تارودانت لم تبلغ قبلهم ولا بعدهم مثل ما بلغته في عهدهم، من ازدهار علمي، ونشاط فكري. وأحْرِ بمَن كان هؤلاء شيوخه، ولازم مجالسهم بصدق طلب، وقوة عزيمة، أن يطول باعه في المعارف، وترسخ قدمه في العلوم العربية والإسلامية، وتتسع مجالات ثقافته لتشمل كل العلوم الرائجة، والفنون المتداولة.

وفيما يلي لائحة مستخلصة من «**الفوائد الجمة**»، تبرز مجالات ثقافة التمنارتي، والكتب التي قرأها على شيوخه في كل مجال[68].

المجالات الثقافية	**الكتب المقروءة في كل مجال**
الفقه	«**رسالة**» ابن أبي زيد القيرواني «**مختصر**» خليل «**المختصر الفرعي**» لابن الحاجب «**الشامل**» لبهرام
الأصول	«**المختصر الأصلي**» لابن الحاجب «**تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول**» للقرافي «**رفع النقاب عن تنقيح الشهاب**» للشوشاوي «**جمع الجوامع**» للسبكي «**إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك**» للونشريسي
الحديث ومصطلحه والسيرة	«**ألفية العراقي في المصطلح**» «**الشفاء**» للقاضي عياض «**صحيح**» البخاري «**الأنوار السنية**» لابن جزي
التفسير والقراءات والرسم	«**تفسير**» ابن جزي[69] («**التسهيل لعلوم التنزيل**») «**الخرازي على الرسم**» (مورد الظمآن) «**الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع**» لابن بري «**الشاطبية في القراءات السبع**».

(68) أغلفنا الكتب التي يرويها عن شيوخه بالإجازة، لأنها كثيرة، ولأنها لا تدخل فيما قرأه على شيوخه بالمعنى الذي نريد.

(69) قرأ التفسير على عدة شيوخه، لكنه لم يذكر اسم الكتاب المقروء في التفسير إلا مرة واحدة (انظر : ص. 282).

العقائد	«**مقدمة**» الوغليسي «**شرح الوغليسية**» لزروق «**عقائد** السنوسي» وشروحها «**محصل المقاصد**» لابن زكري
المنطق	«**مقدمة**» السنوسي في المنطق «**مقدمة**» البقاعي (إيساغوجي)
التصوف	«**العلوم الفاخرة**» للثعالبي «**المنهاج**» للغزالي «**جزء الحبشي في الأدب**»
النحو	«**ألفية**» ابن مالك «**لامية الأفعال**» لابن مالك «**الأجرومية**» لابن آجروم
البلاغة	«**تلخيص المفتاح**» للقزويني
العروض	«**الخزرجية**»
الفلك (التوقيت) والحساب	«**تلخيص ابن البناء في الحساب**» «**روضة الأزهار**» في علم التوقيت

وهذه المقروءات الكثيرة التي مست جوانب ثقافية متعددة، وأخذت من مجالس علمية مختلفة، من شأنها أن تعمق ثقافة من أخذها بجد وحزم ـ كما أخذها التمنارتي ـ وأن توسع مداركه، وتجعله مؤهلا علميا وخلقيا لوراثة ذلك الرعيل العلمي الممتاز. وهذا ما حدث بالضبط ؛ فقد رحل أولئك الأعلام، وبقي التمنارتي وارثا لسرهم، يحمل لواء الثقافة المتينة في تارودانت، «وتنتهي إليه رئاسة العلم بها، وبلاد جزولة كلها»[70] في أواخر عصر السعديين.

VII ـ ولايته القضاء :

تولى التمنارتي قضاء الجماعة بمدينة تارودانت حوالي ثلث قرن، فغلب عليه وصف قاضي تارودانت، وصار يُعرف به أكثر مما يعرف به غيره ممن تعاقبوا على

(70) محمد حجي، «القومية المغربية : انعكاسات في أدب القرنين : العاشر والحادي عشر»، ضمن مجلة دعوة الحق، ع 1، س 11، شعبان 1387هـ/ نونبر 1967م، ص. 90.

قضائها. وقد اشتهر بين الناس عدله وصلاحه، وسيره في أحكامه على منهاج الشرع، وعدم خوفه ـ في قول الحق والحكم به ـ لومةَ لائم. ويبدو من حديثه في **«الفوائد الجمة»** عن مَرَائيه[71] أن له رغبة قوية في أن يترسم في قضائه خطوات شيخه سيدي سعيد الهوزالي، الذي ضُرب المثل باستقامته، وتحريه الحق، والتزامه جانب العدل في أحكامه.

وقد ذكر التمنارتي في **«الفوائد الجمة»**[72]أنه ولي القضاء في ظل ثلاثة أمراء، وهم :

أ ـ الأمير يحيى الحاحي الذي استقل بتارودانت وما حولها من الجهة الشمالية. وقد حدث بينه وبين قاضي تارودانت إذ ذاك أبي مهدي عيسى السجتاني، سوءُ تفاهم، بسبب إنكار السجتاني عليه تمردَه على زيدان، وعدمِ موافقته له على الخروج عن طاعته. فغادر السجتاني تارودانت خوفا على نفسه في اتجاه مراكش[73]. وترك منصبها القضائي شاغرا فأسنده الأمير يحيى إلى تلميذه التمنارتي[74]، الذي قام بواجبه أحسن قيام، على نحو ما يحدثنا هو نفسه في **«الفوائد الجمة»** إذ قال بأسلوبه الأدبي الجميل :

> ولما تم له [أي ليحيى الحاحي] أمر سوس، قدمني لقضائها، فوجدت قاعدتها تارودانت قد دثرت محاسنها، وغلب على عذبها آسِنُها، معكوسة الرجاء من سائر الأرجاء، معطلة الأحباس عن سائر الأجناس، وكسدت سوق العلم والفضل، ونفق سُوق الغي والجهل، وسعيتُ في رَمِّ داثرها، وأعملت التصرف في تَعْمِيرِ غَابِرِهَا، حتى بهج جمالها، وعاد إليها كمالها، وصلُت وظائفها الدينية إلى قبلتها، واستقرت مرافقها على منصتها، وأشرق بها وَجْه الدين، وتنافس في المعارف طوائف الطالبين، ونمت أحباسها من العشر إلى العشرين، واغتبط بها كهول الطلبة وشبان المحرين[75].

واستمر التمنارتي في منصبه القضائي، وأضيف إليه منصب الإفتاء[76]، إلى أن

(71) انظر ص. 572.

(72) انظر الصفحة نفسها.

(73) **نزهة الحادي**، ص. 226.

(74) انظر ص. 364 وص. 573.

(75) انظر ص. 364.

(76) انظر ص. 573.

حدث خلاف بينه وبين أميره، بشأن الأحباس، إذ جرت العادة بأن تُوكَل إلى نظر القاضي، فأراد الأمير ـ لما رآها كثيرة ـ أن يستعين بها لتقوية جيشه، فلم يوافقه التمنارتي على ذلك، ولم ينفذ أوامره في هذا الشأن. فلما اتسعت شقة الخلاف، ودبت عقارب الكاشحين، عَزَل الأميرُ التمنارتي عن القضاء، وأسنده إلى غيره. وكان هذا العزل قبل موت الأمير بنحو سنتين، أي حوالي 1033هـ[77].

ب ـ الأمير بودميعة (أبو حسون السملالي) الذي استولى على تارودانت عام 1039هـ، فأسند قضاءها إلى التمنارتي، الذي سار بها من جديد على سنن القضاء القويم، على حد ما وصف عندما قال «فقدمني للقضاء بها أيضا، فأعادها الله سيرتها الأولى، ورد عليها طريقتها المثلى. وقعدت على منصة علاها، وترفلت في بهجة حلاها»[78].

وقد سعى به من جديد بعض حساده، فعزله والي تارودانت. لكن بعد أسبوع فقط، أخبر الأمير بودميعة بعزله، فرده إلى منصبه[79]. وبقي في هذا المنصب إلى وفاته، كما ذكر داود الكرامي في «**بشارة الزائرين**»[80].

ج ـ الأمير أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي، الذي خَلَفَ عمَّه يحيى الحاحي ـ بعد موته ـ على إمارة سوس[81]. ولم يذكر التمنارتي هذا الأمير الثالث الذي ولي القضاء في ظله، كما ذكر الأميرين السابقين. ومن هنا قال مولاي محمد بن عبد الله الروداني : «فلا نعلم هذا الأمير الثالث لحد الساعة»[82]. ولكن هناك قرائن متعددة تدل على أن الأمير الثالث هو أبو العباس المذكور[83].

وحديث التمنارتي عن ولايته لقضاء تارودانت يرشح بأمور منها :

---

(77) استنتجت هذا التاريخ من قول التمنارتي في «**الفوائد الجمة**» (ص. 365) : «فقدم عليها طالبا مسرفا فأتلفها، وعادت لقلتها في نحو سنتين ... ثم انقرض أمرها قريبا بوفاة شيخنا رحمه الله».

(78) انظر ص. 365.

(79) انظر صص. 365-366.

(80) ص. 42 (مخطوط خاص).

(81) انظر ص. 572، هامش 119.

(82) محمد المختار السوسي، إيليغ...، مصدر مذكور، ص. 3، هامش 7.

(83) انظر تفصيل تلك القرائن في بحث لي عن «أبي زيد التمنارتي وشعره» (مخطوط).

أ ـ بذله الجهود المشكورة، لإقامة القضاء على قواعده الشرعية والسير به على النهج السليم، والتزام جانب العدل، مهما كلفه ذلك من ثمن ؛

ب ـ حبه لتارودانت، ورغبته في تطهيرها من الجور والفساد. وهو بذلك يعبر عن خلق الوفاء والاعتراف بالجميل ؛ فقد كونته تارودانت، وجادت عليه بعلمها، وعوضته دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله ـ فأراد أن يقدم لها بعض الشكر، وأن يرد لها بعض الجميل، فسخر علمه ومنصبه لخدمتها، وإبعاد شبح الظلم والفتنة عنها؛

ج ـ كثرة الحساد والكاشحين الذين ألفوا الاصطياد في الماء العكر، فلم يرقهم عدله، ولم يرتاحوا لاستقامته ونزاهته، فحاكوا المؤامرات، واختلقوا الأكاذيب، وبذلوا ما يملكون من جهد لتشويه سمعته، وإنزاله من منصة رفعته.

VIII ـ تلاميذه ومؤلفاته :

1 ـ تلاميذه : خلف التمنارتي شيوخه في حمل راية العلم بتارودانت، واضطلع بعدهم بأعباء مسؤولية التثقيف والتكوين، وتصدر للتدريس شطرا كبيرا من حياته، فقصده الطلاب من مختلف الجهات، وانثالوا على مجالسه التدريسية، يقطفون أزهار رياض علمه، ويغذون أذهانهم وأرواحهم بيانع مباحثه وفوائده، ويجدون عنده من النكت واللطائف ما لا يجدونه إذ ذاك عند غيره، لأنه لا يوجد في تارودانت عهدئذ من يضاهيه في علمه واجتهاده، كما شهد بذلك تلميذه أبو علي اليوسي، إذ اعتبره أعلم عالم وجده في تارودانت[84].

ونستفيد من حديث التمنارتي عن اشتغاله بالتدريس :

أ ـ أن مقر تدريسه هو الجامع الكبير بتارودانت؛

ب ـ وأن المواد التي يدرسها هي التفسير والحديث والفقه والأصول والعقائد وغيرها؛

ج ـ وأن الذين يحضرون مجالسه هم الفقهاء وكبار الطلبة، أي أن الدروس التي يلقيها دروس عالية المستوى، لا يحضرها إلا العلماء ونجباء الطلبة.

(84) انظر **فهرس الفهارس والأثبات**، ج 2، ص. 922.

ولا شك أن تلاميذ التمنارتي سيكون عددهم كبيرا جدا، نظرا لغزارة علمه، واشتهار فضله؛ ونظرا كذلك لاشتغاله بالتدريس مدة طويلة. إلا أن كتب التراجم لم تذكر من هؤلاء التلاميذ إلا عددا محدودا جدا، لا يمكن أن يمثل إلا نسبة ضئيلة ــ لا تكاد تذكر ــ من تلاميذه الكثيرين. وإذا كنا نعرف الآن من تلاميذه ما يقارب العشرين، فإن الفضل في معرفة أكثرهم يعود إلى التمنارتي نفسه، إذ ضمن بعض إجازاته أسماء جملة من تلاميذه[85]. ولولا ذلك لكنا نعد من عرفناهم من تلاميذه بأصابع اليد الواحدة.

وتلاميذه الذين عرفنا الآن أسماءهم هم :

- أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي[86] المتوفى سنة 1102هـ[87]؛
- أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيتي السوسي المتوفى بمراكش سنة 1090هـ[88]؛
- أحمد بن عبد الرحمان التمنارتي (ولده)[89]؛
- محمد بن عبد الرحمان التمنارتي (ولده)[90]؛
- محمد بن أبي بكر بن محمد بن علي الصوابي[91]؛
- عبد الرحمان بن يوسف بن محمد الأوسيمي نسبا الروداني مولدا ومحتدا[92]؛

---

(85) انظر الإجازة الملحقة بمخطوطة «الفوائد الجمة» المحفوظة بالخزانة الملكية تحت عدد : 513.

(86) مناقب الحضيكي، ج 1، ص. 196 ؛ الكتاني، المصدر المذكور، ج 2، ص. 925.

(87) ترجم له كثيرون. ومن أحسن ما كتب في التعريف به : «عبقرية اليوسي» للدكتور عباس الجراري ؛ و«الفقيه أبو علي اليوسي» للدكتور عبد الكبير العلوي المدغري.

(88) انظر صص. 516-517 ؛ وفهرس المرغيتي الورقة 176ب ؛ والكتاني، المصدر المذكور، ج 2، ص. 925 ؛ ومحمد الأزهري، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب المدينة، ص. 193 ؛ وصفوة من انتشر، ص. 156.

(89) انظر ص. 201. وقد نُعت في ظهر غلاف مخطوط «الفوائد الجمة» المصورة المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 1420د، بـ«الفقيه العَدْل».

(90) انظر ص. 201.

(91) شرح منظومة أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري في التوحيد، ص. 209 (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 2079د).

(92) مخطوطة «الفوائد الجمة» المصورة المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط رقم 1420د، ص. 377.

- محمد بن إبراهيم الصوابي[93]؛
- الفقيه القاضي محمد بن علي المصلوحي[94]؛
- الفقيه أحمد بن علي الصنهاجي؛
- الأديب الكاتب عبد الرحمان بن محمد بن موسى الحامدي؛
- محمد بن الحسن بن أحمد الصوابي؛
- الفقيه منصور بن أحمد ابن القاضي سعيد بن علي الهوزالي؛
- الفقيه علي بن عبد المومن بن منصور المومني؛
- أحمد بن محمد بن محمد بن مسعود التيدسي؛
- علي بن محمد بن محمد الدغوغي[95] ؛
- عبد الله بن إبراهيم بن مبارك بن الشراضي الشباني؛
- الأديب محمد بن محمد التاملي؛
- أبو زكريا يحيى بن محمد بن الحسن بن أبي القاسم بن عبد العزيز الجزولي اللكوسي[96].

2 ـ **مؤلفاته** : كما اهتم التمنارتي بتعليم التلاميذ وتكوين الأجيال، اهتم كذلك بالتأليف؛ فخلف آثارا نثرية وشعرية[97] انعكست فيها ثقافته الواسعة، وقدرته الإنشائية الرائعة. وهذه المؤلفات هي الآتية :

أ ـ «**الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**»، وسيأتي الحديث عنه بعد قليل.

ب ـ «**شرح منظومة الجزائري في التوحيد**».

وهذه المنظومة التي شرحها هي لامية أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري المتوفى سنة 884هـ/1479م، ومطلعها : [البسيط]

(93) **حلال جزولة**، ج 2، ص. 52. قال بشأنه المختار السوسي : «وكذلك لم أعرف هذا الناسخ إلا هنا». وهو حي عام 1071هـ.

(94) انظر في هذا ومن بعده الإجازة الملحقة بمخطوطة «**الفوائد الجمة**» المحفوظة في الخزانة الملكية بالرباط رقم 513.

(95) انظر كذلك آخر **شرح منظومة الجزائري في التوحيد** (مخطوط خزانة تامكَروت رقم 2518) فهو ناسخه.

(96) انظر صفحة ملحقة بـ**ديوان التمنارتي** (مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم 8441).

(97) انظر هذه المؤلفات عند محمد المختار السوسي، **سوس العالمة**، ص. 181.

الحمـــد لله وهـــو الواحـــــد الأزلي   سبحانه جَلَّ عن شِبْه وعـــن مَثَـــل

وهي «قصيدة طنانة في التوحيد»[98]، بلغت أبياتها 362 بيت، وتسمى «كفاية المريد، في علم التوحيد»، كما تعرف أيضا بـــ«اللاميـة الجزائريـة»، و«المنظومة الجزائرية»[99].

وأصل هذا الشرح دروس كان يلقيها التمنارتي على طلبة العلم بالجامع الكبير بتارودانت، ثم بدا له أن يجمعها، ليعم الإنتفاع بها، كما أشار إلى ذلك، إذ قال في المقدمة :

> وبعد؛ فهذا تقييد ما تيسر، مما يعين على فهم أرجوزة[100] الإمام العالم العامل العلامة أبي العباس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري رحمه الله ورضي عنه. فإنها لحلاوة نظمها، وقرب فهمها، وعموم النفع بها، ينبغي الِاعتناء بها. وقد كانت نكت عزيزة، وأبحاث نافعة، تجري لنا عند إقرائها في الجامع الكبير، بمدينة تارودانت، قاعدة السوس الأقصى، أمنها الله تعالى فأردت جمعها في هذا التقييد، ليكمل النفع بها إن شاء الله، ومنه التوفيق، والهداية إلى التحقيق[101].

ويمتاز هذا الشرح بعمق مباحثه، وسعة أفقه، مما يعكس تضلع التمنارتي في العلوم الشرعية. وقد تعامل فيه مع أمهات الكتب في العقائد وغيرها. يضاف إلى ذلك أنه طبعه بأسلوبه الأدبي الرائع، وأورد فيه من الأبيات والمقطوعات والقصائد ما خرج به عن جفاف التقريرات العقدية، وأعطاه طعما خاصا، يجذب القارئ إليه، ويغريه بمتابعة القراءة دون مَلَل أو نفور. ولعل هذا الأسلوب الأدبي الجميل يتضح ــ بصفة خاصة ــ في قوله في آخر الشرح :

> وهنا انتهى المقصود من هذا الشرح المبارك تقبله الله مني، وجعله نافعا بفضله، كما نفع العباد بأصله. إنه الولي المنعم القريب المجيب. وقد أودعته من محاسن البيان ما يشفي الصدور، ويُزْري في التألق بمطالع البدور، وتلمع على جبين الدهر غرره، وتزهر على الأيام درره، ورويت من معين عيون التصانيف أواره، واجتنيت من روض التحقيق ثماره وأنواره :

(98) **خلال جزولة**، ج 2، ص. 52.

(99) انظر : **فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا** لمحمد حجي، ص. 167.

(100) ليست أرجوزة، لأنها لم تنظم على بحر الرجز، وإنما نظمت على بحر البسيط. فهذا سهو من التمنارتي أو سبق قلم.

(101) **شرح المنظومة الجزائرية**، ص. 1 (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 2079د).

وما ذاك إلا أن مشت بخيامه أميمة في سرب وجرت به وردا

على أني لا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب، ولا أدعي الشفوف به، والبشرُ محل النقص بلا ريب؛ ولكن كما قيل :

علــيَّ لربــع العامريــة وقفــة تمل عليه الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار وأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

وقد يبعث الشوق الإنسان إلى ما ليس من أهله، ويدحرجه الشغف إلى الإجتناء من غير أهله، وقد قيل :

فإن لم يكن نظم القصائد شيمتي وليس جدودي يعــرب وإيــاد
فقد تسجع الورقاء وَهْي حمامة وقد تنطق الأوتار وهْيَ جَمَاد

وقد صادف تمام انصبابه من القلم، وانتشار جوهره من العدم، تمام ذي قعدة الحرام، من سنة ثمان وأربعين وألف. وإلى الله الضراعة في أن يجعله سببا لشريف رضوانه، ومهبط ألطافه وعظيم إحسانه...[102].

والحق أن هذا الشرح كان كما وصفه صاحبه في هذه الكلمات. فإذا أطراه جريا على عادة المؤلفين في إطراء مؤلفاتهم لتشويق القراء إليها، فإن إطراءه في محله، وليس فيه مبالغة أو تمويه؛ ومن يرجع إلى هذا الشرح، سيدرك أنه مهم، وأن له قيمة متعددة الجوانب.

1 ـ فله قيمة عقدية تتجلى في بسطه لمباحث العقيدة، التي تعرضت لها منظومة الجزائري المشروحة ؛ فقد وضح تلك المباحث، وفصل الكلام فيها، واستعرض ـ عند الإقتضاء ـ أقوال الطوائف المختلفة، وانتصر لمذهب الأشاعرة، واستشهد بأقوال أئمة هذا الفن، كالسنوسي وابن زكري التلمساني وغيرهما. وهذا الشرح غني جدا من هذه الناحية، وقارئه يجني منه فوائد جليلة تحصن عقيدته وتطرد عن ذهنه كثيرا من الشبه والشكوك.

2 ـ وله قيمة أدبية، تتجلى في ما أورد فيه من الأشعار والملح الأدبية. فقد أكثر فيه من إيراد ما يحضره أثناء الشرح، ويستدعيه المقام، وتتطلبه أريحيته الأدبية، من أبيات مفردة. ومقطوعات وقصائد، لدرجة أن هذه الأشعار أزالت عن شرحه ما تتسم به عادة شروح العقائد من جفاف التقرير، وطغيان الإستدلال والإحتجاج.

(102) المصدر نفسه (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 2079د) صص. 208ـ209.

فالتمنارتي تجذبه ـ من حين لآخر ـ الأريحية الأدبية، التي يبدو أنها منقوشة في طبعه، فيستطرد لسبب أو لآخر، ويأتي بأبيات شعرية تتعلق بمعنى من المعاني. وقد تجمح به نزعته الأدبية، فيدخل دخولا رفيقا في صميم بعض المباحث الأدبية، كأن يورد أبياتا لشعراء مختلفين تدور حول معنى واحد[103]، أو يشير إلى تأثر الشعراء بعضهم ببعض. وفي هذه الحالة، يستعمل لفظ «النظر» المهذب[104].

3 ـ وله قيمة ثقافية، تتجلى في كونه يطلعنا على الطابع الذي يطبع ثقافة التمنارتي، ومن ثم يطلعنا على الطابع العام لثقافة ذلك العصر، فنعلم منه أنها ثقافة دينية بالأساس ؛ ولكنها نظرا لعمقها وسعة أفقها، تفتحت على مجالات مختلفة، كمجال الأدب واللغة وما إليهما.

ثم إن هذا الشرح ـ وقد كانت نواته، كما أسلفنا، دروسا تعليمية ألقاها التمنارتي على طلبته في تارودانت ـ يطلعنا على الطريقة التي كانت متبعة في التدريس عامة، وفي تدريس العقائد خاصة، حيث نجد ـ من خلاله ـ المدرسين ينطلقون من متن معين، ولكنهم لا يقفون عند حدود ما جاء فيه، بل يتجاوزونه، للتعمق في طرح القضايا التي يمسها أو يشير إليها. ومن هنا نجدهم يحرصون على إنارة الموضوع من مختلف جوانبه، فيوردون الإشكالات، ويطرحون الأسئلة، ويبحثون في المؤلفات المتعلقة بالفن المدروس، عما يزيل تلك الإشكالات، ويجيب عن تلك الأسئلة. وتتخلل كل ذلك استطرادات ونكت ولطائف تكسر الرتابة، وتطرد الملل.

4 ـ وله قيمة تاريخية واجتماعية، تتجلى في ما تضمنه من إشارات تاريخية واجتماعية، من شأنها أن تلقي الضوء على المجتمع في ذلك الوقت، وتشير إلى بعض ما يجري فيه من أحداث، كظهور بعض البدع[105]، والتهالك على السلطة[106]، وانتشار الكيد والحسد والمنافسة في صفوف الفقهاء[107].

ج ـ **ديوان شعره** : هذا الديوان جمعه أحد أبناء التمنارتي، كما يدل على ذلك التعبير بالوالد في أماكن كثيرة منه، وقد سقط ـ بفعل الأرضة ـ اسم هذا الجامع

(103) انظر على سبيل المثال المصدر نفسه، صص. 179–180.
(104) انظر، مثلا، ص. 1.
(105) انظر، مثلا، صص. 151–153.
(106) انظر، مثلا صص. 179–180.
(107) المصدر نفسه.

في آخر الديوان، إلا أن الأستاذ محمد المنوني ذكر في كتابه «**المصادر العربية لتاريخ المغرب**»[108] أن ديوان التمنارتي من جمع ولده محمد.

ويبدو أن هذا الجمع وقع حوالي سنة 1055هـ. كما يوحي بذلك تعليق جامعه على قول يحيى الحاحي للتمنارتي : «لا يفضض الله فاك»، بقوله : «فبقي له أسنانه، ما سقطت له سن، وقد ناهز الثمانين»[109]. وهذا يعني أن بين تاريخ كتابة «**الفوائد الجمة**» ـ وهو 1045هـ كما سيأتي ـ وتاريخ جمع الديوان عَشْرَ سنوات.

وفيما يخص ترتيب هذا الديوان، نجده مرتبا على أربعة أبواب أو فصول :

الأول : في الهزل.

الثاني : في الممادح النبوية.

الثالث : في الوسائل.

الرابع : في المراثي وما جرى مجراها.

وقد احتفظت الخزانة الملكية بالرباط، بنسختين مبتورتين من هذا الديوان :

• إحداهما : تحمل رقم 5623، وعدد أوراقها : 51 ورقة، ومسطرتها 18، والخط مغربي عادي غير معتنى به كثيرا، ويقرأ بصعوبة. وقد عبثت بها الأرضة، فتآكلت أطرافها، وسقطت بعض حروفها، وبعض كلماتها. والبترُ الواقع فيها مرتين ـ في البداية، وبعد عشرة أوراق ـ يهم الفصل الأول المعنون بالهزل. أما الفصول الثلاثة الأخرى، فقد وردت في هذه النسخة كاملة. وما ذكره الأستاذ محمد الجواد السقاط في رسالته الجامعية عن الشعر الدلائي، من أنه لم يبق من هذا الديوان إلا الباب الرابع الخاص بالمراثي إلى جانب بعض المقطعات الأخرى، غير صحيح، لأن ما ضاع منه، إنما ضاع في الباب ـ أو الفصل ـ الأول فقط.

وقد بلغ مجموع ما ورد في هذه النسخة من شعر التمنارتي 58 قصيدة ومقطوعة، ومجموع أبياتها 1354 بيت.

• والأخرى : تحمل رقم 8841، وعدد أوراقها 26 ورقة، ومسطرتها مابين

---

(108) انظر ج 1، ص. 153 رقم 362.

(109) المخطوطة رقم 8841، الورقة : 5/ب ؛ والمخطوطة رقم 5623، الورقة 1/ب.

16 و20 سطرا، والخط مغربي متوسط، ولكنه الآن صعب القراءة، لتآكل أطراف هذه النسخة أيضا، وذهاب بعض حروفها، وبعض كلماتها.

يضاف إلى ذلك أن الماء صُبَّ عليها في وقت من الأوقات، فأثر ذلك في بعض أوراقها. والبتر وقع في هذه النسخة في ثلاثة مواضع : في البداية، وبعد الورقة 20، وبعد الورقة 24.

وعدد القصائد والمقطوعات الواردة في هذه النسخة بلغ 46 قصيدة ومقطوعة، واحدة منها مكررة، وثلاث صُرِّحَ بأن التمنارتي تمثل بها، فيكون مجموع ما صُرِّحَ فيها بنسبته إلى التمنارتي دون تكرار 42 قصيدة ومقطوعة، ومجموع أبياتها 665 بيت.

وهذه النسخة على الرغم من إصابتها ببتر كثير ـ مهمة، لأنها عوضت بعض النقص الموجود في النسخة الأولى؛ إذ انفردت عنها بـ : 242 بيت.

د ـ **أجوبة فقهية** : وقد ذكرها المختار السوسي ضمن مؤلفات التمنارتي، ولم يرمز لوجودها[110]. ومعلوم أن التمنارتي تولى ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ الفتوى بحاضرة سوس، في أيام الأمير يحيى الحاحي. وهذا يعني أنه ستصدر عنه أجوبة فقهية كثيرة. إلا أننا لا ندري هل جمعت تلك الفتاوي في كتاب خاص أو لا. وما نعرفه الآن من أجوبته لا يعدو ما ورد في «**الفوائد الجمة**» في الباب الثالث[111]، وما ورد ضمن «**فتاوي علماء جزولة**» التي جمعها التغاتيني[112]، وجوابا له يتعلق «بمسألة القرآن والحديث، هل يقال فيهما معا كلام الله الذي هو صفة ذاته، لأنهما معا وحي من الله، مأخوذ عن الرسول ﷺ ؟ أو بينهما فرق، فيقال : القرآن كلام الله، والحديث كلام المخلوق الذي هو فعل من أفعال الله»[113].

هـ ـ **تهذيب مؤلَّف يهوديٍّ أسلم** : ذكره المختار السوسي من بين مؤلفاته، ورمز لوجوده[114]. واسم هذا المؤلف «**النور الباهر في نصرة الدين الطاهر**»، وقد

---

(110) سوس العالمة، ص. 181.

(111) انظر ص. 446 إلى ص. 533.

(112) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 725ق.

(113) انظر هذا الجواب في ص. 281 من مجموعة مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2076د.

(114) سوس العالمة، ص. 181.

وجده المختار السوسي في خزانة سيدي موسى بن العربي بتارودانت، فقال بشأنه في «**خلال جزولة**» (ج 4، ص. 177) :

ومما رأيته أيضا هناك في خزانة سيدي موسى، كتاب «**النور الباهر في نصرة الدين الطاهر**» ليوسف بن عبد الله الإسلامي، لما هداه الله للإسلام من اليهودية، وقد أسلم بعد عام 1020هـ. ساق في الكتاب عن التوراة أمورا تدل على صحة الإسلام. وقد كان حبرا من أحبار اليهود، ولم يكن متين العربية، فناول الكتاب للقاضي أبي زيد عبد الرحمان التمنارتي، فهذب عربيته فأتمه يوم الثلاثاء 24 جمادى الثانية عام 1053هـ. وفي الكتاب 23 صفحة. وهذه النسخة كانت بخط القاضي سيدي موسى، وهي نسخة قيمة. وما أجدر الكتاب بالطبع العاجل ليكون إزاء إخوانه من الكتب المؤلفة قديما وحديثا في الموضوع.

و ـ **كناشة** ذكرها الإفراني في آخر «**الصفوة**» ضمن لائحة الكتب التي اعتمد عليها، وذكرها ابن سودة في «**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**»، وقال بأن الإفراني نقل عنها في «**النزهة**» وفي «**الصفوة**»[115].

وذكر المختار السوسي ضمن مؤلفات التمنارتي شرحا آخر لمنظومة في العقائد، وقال : «لعلها غير «**لامية**» الزواوي»[116].

IX ـ وفاته :

اختلف المترجمون للتمنارتي في سنة وفاته :

أ ـ فذكر الإفراني في «**الصفوة**»[117] أنه توفي في حدود 1070هـ (1660م)، وتبعه ليفي بروفنسال في «**مؤرخو الشرفاء**»[118]، والأزهري في «**اليواقيت الثمينة**»[119]، والزركلي في «**الأعلام**»[120]، ومحمد حجي في مقال له بمجلة «**دعوة الحق**»[121]، وعبد الله كنون في «**النبوغ**»[122].

(115) عبد السلام بنسودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ج 2، ص. 463، رقم 2152.
(116) محمد المختار السوسي، **سوس العالمة**، **مصدر مذكور**، ص. 181.
(117) ج 2، ص. 157 (طبعة حجرية).
(118) ص. 181.
(119) ص. 193.
(120) ج 4، ص. 108.
(121) ع 1، س 11، شعبان 1387هـ/نونبر 1967م، ص. 90. وعنوان المقال : «القومية المغربية : انعكاسات في أدب القرنين العاشر والحادي عشر»، **مرجع مذكور**.
(122) ج 1، ص. 259.

ب - وذكر الرسموكي في «**وفيات**»ـه[123] أن وفاته كانت يوم الأحد 5 شوال سنة 1060هـ (1650م). وتبعه الحضيكي في «**المناقب**»[124]، وعلوش والرجراجي في «**فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في خزانة الرباط**»[125]، والمختار السوسي في «**سوس العالمة**»[126]، و«**رجالات العالم العربي في سوس**»[127]، ومحمد بن عبد الله الروداني في تحقيقه لـ«**إيليغ قديما وحديثا**»[128]، ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»[129].

ج - واكتفى الكتاني في «**فهرس الفهارس والأثبات**»[130] بحكاية القولين معا، دون ترجيح أحدهما على الآخر[131].

ويبدو أن الرأي الثاني هو الصواب، لما يلي :

1 - لأن عبد الله بن أحمد الفحصي الهلالي قال في «**وفيات**»ـه : «توفي سيدي عبد الرحمان - رحمه الله - آخر العشرة السادسة بعد الألف»[132].

2 - ولأن الحضيكي رَدَّ القول الأول بعدما حكاه، مستعملا أداة الإضراب «بل». وما كان ليضرب عنه بعد حكايته، لو لم يثبت عنده القول الآخر. ومما يدل على دقة قوله وصحته أن الرسموكي لم يكتف بذكر السنة، بل أضاف إليها تعيين الشهر واليوم، وذلك لا يكون وليد التقدير والتخمين.

3 - ولأنه كتب على غلاف نسخة «**الفوائد الجمة**» المصورة المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط[133]، ما يلي : «توفي مؤلف هذا الكتاب رحمه الله يوم الأحد سنة ستين وألف»، كما كتب عليه أيضا :

---

(123) ص. 24.

(124) ج 2، ص. 153.

(125) ق 2، ج 2، ص. 202.

(126) ص. 230.

(127) ص. 42.

(128) صص. 2-3، هامش 7.

(129) ج 2، ص. 413.

(130) ج 2، ص. 925.

(131) قال المختار السوسي : «وتوقف بعضهم في تعيين وفاته، إنما هو اغترار بما في **الصفوة**»، (محمد المختار السوسي، **رجالات العلم العربي في سوس**، مصدر مذكور، ص. 42 هامش 1).

(132) **وفيات الهلالي** (مخطوط خاص).

(133) رقم 1420د.

الحمد لله وحده. وفي يوم الأحد وقت الضحى الأعلى، الخامس من شهر الله المعظم شوال عام ستين وألف سنة للهجرة النبوية، توفي الفقيه العلامة الشيخ القدوة قاضي الجماعة بالحضرة المحمدية السوسية، مؤلف هذا الكتاب أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن محمد التمنارتي رحمه الله تعالى وقدس روحه ونفع به آمين.

ثانيا : التعريف بـ«الفوائد الجمة»

يعتبر كتاب «**الفوائد الجمة، في إسناد علوم الأمة**» للفقيه الأديب المسند المؤرخ القاضي أبي زيد عبد الرحمان التمنارتي، من أهم كتب الفهارس التي خلفها المغاربة عامة، والسوسيون خاصة. فهو «في غاية الإفادة والإجادة والسلاسة والجمع لتراجم أعلام سوس وتلك الجهات وفوائد أهلها»[134].

وهو فهرست مفصل، تحدث فيه التمنارتي عن دراسته وشيوخه وما يتصل بذلك، وقسمه إلى أربعة أبواب، كما بيّن ذلك في مقدمته إذ قال[135] :

وَرَتَّبْتُ هذا التقييد في أربعة أبواب :

الباب الأول : في ذكر مشايخي ومشايخهم، وحميد سيرهم ووفياتهم[136]؛

الباب الثاني : في الأسانيد التي حصلت لي ممن ثبت عندي صحة إسناده وأخذه، وهو معظم قصد التقييد[137]...؛

الباب الثالث : في ما تلقيته من الغرائب، وسمعته من العجائب والفوائد[138]؛

الباب الرابع : في المرائي الحسان الدالة على إمداد الله لعبده الضعيف بلطائف البر والإحسان[139].

وفرغ من تأليفه في منتصف رمضان المعظم عام 1045هـ/ 1635م، كما ورد في آخره[140].

---

(134) الكتاني، المصدر المذكور، ج 2، ص. 922.

(135) انظر ص. 68.

(136) شغل هذا الباب من ص. 71 إلى ص. 194.

(137) شغل هذا الباب من ص. 197 إلى ص. 285.

(138) شغل هذا الباب من ص. 289 إلى ص. 556.

(139) شغل هذا الباب من ص. 559 إلى ص. 589.

(140) انظر ص. 589.

I ـ أهمية الكتاب :

يمثل هذا الكتاب أحسن مؤلفات التمنارتي وأجودها وأفيدها، وتأتي أهميته ـ بالخصوص ـ من أمرين :

أولهما : أنه أول مؤلف من نوعه في سوس، إذ لم نعرف أحدا من السوسيين سبقه إلى كتابة فهرس بهذا الشكل، وبهذا الحجم، وهذا الشمول. وبذلك يعتبر أول من فتح باب هذا النوع من التأليف في سوس، وقد أشار إلى ذلك في المقدمة عندما قال :

> وهذا الفن لم أر له في بلادنا السوسية، مع تقادم الأجيال، وتوافر الرجال، ذاكرا، ولا سَنَحَ لي مِن خَلَفِهم مَن رسَم في سَلَفِ أَفَاضِلِهم أوّلاً ولا آخرا، مع كونها مشحونة في القديم والحديث بأهل الفضل والدين، وخصوصا بلاد جزولة، التي يُحكى أنها تنبت الصالحين كما تنبت الأرض البقول. وما زال فيهم هذا الفضل بعد نيف وعشرين بعد الألف، والحمد لله على دوام نعمته... فلم يكن لي في ذلك سابق أقتدي به، ولا مُلَفِّقٌ أرتاح في الفحص عنهم إلى كتابه[141].

وثانيهما : أنه أزاح اللثام عن وجه علمي مشرق، عرفه سوس على العموم، وعرفته حاضرته تارودانت على الخصوص، في ظل الأشراف السعديين. ولولاه، لعدت رمال الإهمال والنسيان على تلك الواحة الثقافية الجميلة، لتطمس معالمها، وتمحو آثارها، وتلحقها بكثير من مآثرنا الثقافية، التي عدا عليها الزمان، في غفلة من أهلها، فأسدل عليها الستار، وحجبها إلى الأبد عن الأنظار.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب، الذي قامت عليه شهرة التمنارتي، انتشر في الأوساط العلمية منذ فرغ مؤلفه من تأليفه، فتعددت نسخه ـ كما سنرى بعد قليل إن شاء الله ـ ووصلت إلى مختلف المناطق المغربية، واعتمده كثير من الذين كتبوا في موضوعه، خاصة الجانب التاريخي منه المتعلق بتراجم شيوخه وشيوخهم. إذ كل الذين كتبوا بعده عن علماء سوس، اعتمدوا عليه، وانتفعوا به، واتخذوه مصدرا مهما من مصادرهم. ومن هؤلاء على سبيل المثال :

أ ـ الإفراني الذي انتفع به كثيرا في «**نزهة الحادي**»، وفي «**صفوة من انتشر**» وأشار إلى ذلك فقال : وله «الفهرسة التي سماها بـ«**الفوائد الجمة بإسناد**

---

(141) انظر ص. 67.

علوم الأمة». وهي مفيدة، وقفت عليها، وانتقيت منها كثيرا في هذا المجموع... وفوائده ـ رحمه الله ـ كثيرة»[142] ؛

ب ـ الحضيكي الذي اعتمد عليه كثيرا في مناقبه، ونسخ ـ أو كاد ـ كل تراجمه؛

ج ـ الكتاني الذي انتفع به في «**التراتيب الإدارية**»، وذكره في المقدمة ضمن مراجعه المعتمدة[143]، وأورده في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ناظرا إليه من زاوية الحديث والإسناد والضبط، دون أن ينسى الحديث عن أهميته وقيمته[144]؛

د ـ الناصري الذي نقل عنه نقولا متعددة في «**الإستقصا**»[145]؛

هـ ـ محمد المكي بن موسى الناصري الذي نقل عنه في مواضيع متعددة من كتابه «**الدرر المرصعة بأخبار أعيان صلحاء درعة**»[146]؛

و ـ ابن عجيبة الذي اعتمد عليه في كتابه «**أزهار البستان في طبقات الأعيان**»، وإن لم يذكره من بين مراجعه؛

ز ـ المختار السوسي الذي انتفع به كثيرا في «**المعسول**» وغيره. وكان من جملة ما قال بشأنه : «وهو كتاب حافل بالتراجم الواسعة شيئا ما»[147].

ولأهمية هذا الكتاب وقيمته التاريخية الكبيرة، بحث عنه الكولونيل جوستنار في سهول سوس وجباله، حتى عثر عليه في خزانة القاضي المرحوم سيدي موسى بن العربي الرسموكي الروداني، فترجم مقاطع منه، ونشره بفرنسا عام 1953م[148].

ونقل ابن سودة في «**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**»[149] عن المختار السوسي

---

(142) محمد الصغير الإفراني، **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، ص. 156.

(143) **التراتيب الإدارية**، ص. 31.

(144) انظر ج 2، ص. 922.

(145) انظر، مثلا : ج 5، صص. 90، 187، 190 ؛ وج 6، ص. 36، إلخ.

(146) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 265ك، صص. 7–8، 224، إلخ.

(147) محمد المختار السوسي، **سوس العالمة**، ص. 230.

(148) محمد حجي، **المرجع المذكور**، ج 1، ص. 25.

(149) ج 2، ص. 329.

أن أحد علماء طاطا في القرن الثاني عشر الهجري، اختصره، مقتصرا على تراجمه، وأن ذلك المختصر كان محفوظا بخزانة مدرسة أكَادير الهناء (حصن الهناء) في طاطا[150].

والحق أن هذا «**الفهرست**» نفيس جدا، وذو قيمة كبيرة، ومهم من نواح عدة :

– فهو مهم تاريخيا، لأنه يزودنا بتراجم جملة صالحة من الأعلام، ويطلعنا على جملة من الأحداث التي شهدها الجنوب المغربي في القرن الحادي عشر الهجري.

– وهو مهم ثقافيا، لأنه يطلعنا على الحياة الثقافية بسوس عامة، وبتارودانت خاصة، في أواخر القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر. فهو – كما وصفه الأستاذ محمد حجي – «يعكس، مع «**الإصْليت**» الحياة العلمية في جنوب المغرب»[151] ؛

– وهو مهم حديثيا لأنه يقدم لنا أهم كتب الحديث المتداولة في ذلك العهد، بأسانيدها المتصلة.

– وهو مهم أدبيا، لأن التمنارتي سلك في تأليفه، مسلكا أدبيا ممتعا، يتجلى في أسلوبه الفني الجميل، وفي القصائد الشعرية والرسائل الفنية التي تتخلله، وتعطيه نكهته الخاصة؛

– وهو مهم فقهيا، لأنه يحتوي على أجوبة فقهية مهمة، تتسم بالعمق والتحري.

II – نسخ الكتاب :

نظرا لأهمية هذا الكتاب وإقبال العلماء عليه، ورغبتهم في اقتنائه والإنتفاع به، توافرت نسخه الخطية، وانتشرت في ربوع المغرب، وازدانت بها الخزانات الخاصة والعامة. ومن هذه النسخ على سبيل المثال :

1 – نسخة في خزانة قاضي تارودانت سابقا المرحوم سيدي موسى بن العربي الرسموكي، عدد صفحاتها 377 صفحة. ومسطرتها 23، ومقياسها : 240 × 215. وقد أخذت لها صورة شمسية وحفظت في الخزانة العامة

(150) راسلت أحد أساتذة طاطا بشأن البحث عن هذا المختصر، فبالغ في البحث، ولم يعثر له على أثر.

(151) محمد حجي، المرجع المذكور، ج 1، ص. 25.

بالرباط تحت عدد : 1420د. وتعتبر هذه النسخة أقدم نسخة للـ«فوائد الجمة». إذ فرغ ناسخها ـ وهو تلميذ التمنارتي ـ عبد الرحمان بن يوسف الأوسيمي نسبا، الروداني مولدا ومحتدا، من نسخها ـ لشيخه التمنارتي ـ في أواخر رمضان عام 1046هـ، أي بعد الفراغ من تأليف الكتاب بعام واحد فقط. كما تعتبر أصح نسخة، خاصة إذا قورنت بغيرها من النسخ، لقلة الأخطاء والتصحيف بها. إلا أن عيبها الذي يحد ـ نسبيا ـ من الإنتفاع بها، هو ما لحقها ـ بسبب القدم ـ من التلاشي في الأول والوسط.

2 ـ نسخة محفوظة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 513. وقد نسخها من خط المؤلف أحمد بن إبراهيم بن سعيد الدمسيري، في انتصاف جمادى الأولى عام 1138هـ، وهي غير مرقمة الصفحات، وخطها مغربي جميل، محلى باللونين : الأحمر والأصفر. وهي قليلة الأخطاء؛ إلا أن أوراقها، خاصة في نصفها الأخير، متآكلة من القدم، وممزقة بسبب التصاق بعضها ببعض. ويمكن الإنتفاع بنصفها الأول، أما النصف الثاني، فالإنتفاع به عسير أو متعذر.

3 ـ نسخة مصورة محفوظةفي خزانة كلية الآداب بالرباط تحت رقم 964.02 ثمن. وقد تم نسخها أواسط المعظم[152] عام 1140هـ، على يد أحمد بن محمد بن يوسف الجمازي ثم الرباطي، عدد صفحاتها 256 صفحة، ومقياسها 270 × 175. أما المسطرة فمختلفة: من ص. 1 إلى ص. 99: 24 سطرا. وفيما عدا ذلك أكثر من 30 سطرا. والخط مغربي متوسط، وهو واضح مقروء. وبعض أوراقها القليلة يتخللها بياض. وعيب هذه النسخة هو كثرة الأخطاء.

4 ـ نسخة مصورة في خزانة العلامة سيدي رشيد بن المصلوت، فرغ من نسخها إبراهيم بن علي بن محمد ضحوة يوم السبت 12 شعبان سنة 1142هـ. وخطها ـ إلا في صفحات قليلة ـ خط مغربي جميل، ومقياسها 280 × 180، ومسطرتها في الغالب 18 سطرا. وعدد صفحاتها 526 صفحة. وهذه النسخة سماها مولاي محمد بن عبد الله كوثر الروداني، النسخة البزيوية، مما يدل على أن الأصل الذي أُخذت منه هذه الصورة

(152) غفل الناسخ عن كتابة اسم الشهر ؛ ولعله رمضان، لأنه الموصوف غالبا بالمعظم.

موجود في خزانة في ابزو. وبعض صفحاتها القليلة يتخللها بياض. وقد حاول سيدي رشيد بن المصلوت أن يملأ بعض بياضاتها، ويصحح بعض أخطائها، ولكن النسخة مع ذلك ما زالت فيها أخطاء تحتاج إلى تصحيح؛ كما أن الناسخ يسهو في بعض الأحيان، فيتخطى جملة أو سطرا أو أكثر.

5 ـ نسخة محفوظة في الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 3693د. وقد كان الفراغ من نسخها بمدينة الصويرة في 20 شعبان عام 1369هـ/7ـ7ـ1950م، على يد العدل السيد عبد الله بن ...[153]. عدد صفحاتها 314 صفحة، ومسطرتها ما بين 20 و30 سطرا. وخطها مغربي متوسط الجودة، مقروء، وبها تصحيف وأخطاء.

6 ـ نسخة مصورة محفوظة في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، تحت رقم 383. ناسخها عبد الله بن أحمد بن محمد بن علي الشقيرة. وعدد أوراقها 127 (152 صفحة)، ومسطرتها 34 سطرا،ومقياسها 260×170[154].

7 ـ نسخة محفوظة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 12632[155]. فيها بياضات كثيرة وبعض الخروم نتيجة تفكك المداد.

8 ـ نسخة مبتورة محفوظة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1137د. والموجود منها هو الباب الرابع المتعلق بالمرائي الحسان فقط. نسخها الحسن بن حميد في 7 صفر عام 1164هـ، وعدد أوراقها 20، ومسطرتها 14، ومقياسها 220×155. وخطها مغربي متوسط الجودة واضح مقروء. وهي قليلة الأخطاء.

9 ـ وأخيرا نسخة بخط الفقيه محمد بن عبد الله الروداني، لعلها هي النسخة التي أعدها للطبع، وقد ضاعت بعض أوراقها (23 في أولها و4 في آخرها)، وزودنا الدكتور أحمد رمزي بصورة كاملة لهذه النسخة كان قد صورها من نسخة الرداني وهو بالأكاديمية الملكية سنة 1985م.

(153) لم يظهر في هذه النسخة اسم والد الناسخ.

(154) انظر محمد حجي، **فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا**، مرجع مذكور، ص. 431، رقم 927.

(155) انظر محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، ج 1، ص. 150.

ثالثا : تحقيق الكتاب

1 ـ ظروف التحقيق :

إن كتابا نفيسا كـ«**الفوائد الجمة**» لا ينبغي أن يحجب عن الأنظار، ويظل نائما في رفوف المكتبات العامة والخاصة. وقد سبق للمختار السوسي أن نوى إخراجه، كما يفهم من قوله : «ونسخه توجد، وعندنا واحدة نحاول تخريجها»[156]. إلا أن المنية عاجلته قبل تحقيق أمنيته.

وكان من الواجب المؤكد ـ وقد نبه أكثر من واحد على أهمية هذا الكتاب ـ أن يتصدى الباحثون، منذ أمد، لتحقيقه ونشره، ليكون رهن إشارة الباحثين، ويتم الإنتفاع به على نطاق واسع. ولكن ذلك ـ مع كامل الأسف ـ لم يقع، فظل محجوبا عن الأنظار، بعيدا عن التداول.

ولعل وراء تأخر تحقيق هذا الكتاب، وإخراجه إلى عالم النور، عاملين رئيسيين :

أولهما : عمق مباحث الكتاب، وارتباط مضامينه بحقول معرفية متعددة. فهو ينتمي إلى حقل التاريخ والتراجم، وينتمي إلى حقل الأدب والشعر، وينتمي إلى حقل الحديث والأسانيد، وينتمي إلى حقل الفقه والفتاوي، وينتمي إلى حقل التصوف والمرائي.

وهذا يعني أن على الباحث الذي يتصدى لتحقيقه، أن يكون ذا ثقافة موسوعية متنوعة، تمكنه من فهم مضامين الكتاب، ومسايرته في كل اتجاهاته. كما يعني أن على هذا الباحث أن يستعد للصبر والتضحية، وبذل كل ما يملك من جهد، ليستطيع مرافقة التمنارتي في دروب «**الفوائد الجمة**»، مهما ضاقت وتشعبت وأرهقت. والباحثون يخشون ـ عادة ـ عواقب مثل هذه المغامرة، ويحجمون عن مثل هذه المخاطرة، ويفضلون السير في الطريق القاصد الآمن.

وثانيهما : أنه انتشر في أوساط المثقفين والباحثين أن الفقيه الأديب مولاي محمد بن عبد الله الروداني ـ محقق «**إيليغ قديما وحديثا**» ـ اشتغل بتحقيقه. ولا تخفى مكانة الروداني في ميدان التحقيق، وأهليته للقيام بهذا العمل الشاق. ولذلك فكل من سمع من الباحثين أن الروداني منهمك في تحقيق «**الفوائد الجمة**»، يحجم

(156) محمد المختار السوسي، سوس العالمة، ص. 230.

عن التفكير في تحقيق هذا الكتاب، مقتنعا بأن القوس أُعْطِيَتْ لباريها، وأن الروداني أقدر من غيره على حمل هذا العبء الثقيل، نظرا لسعة ثقافته، وغنى تجربته، وتخرجه من مدرسة رائد الثقافة السوسية المختار السوسي رحمه الله.

وقد عزم أولاد المرحوم الروداني على نشر هذا الكتاب، تحقيقا لرغبة والدهم الذي ارتبط اسمه بالكتاب. وشجعهم على ذلك بعض محبي والدهم، ومحبي الثقافة المغربية على العموم، والثقافة السوسية على وجه الخصوص.

وبعد أن دفعوه للطابع، اتصلوا بي عن طريق أستاذي الفاضل عمر أفا ـ الذي أُكْبِرُ فيه حيويته ونشاطه، وغيرته الصادقة على الثقافة المغربية عامة، والثقافة السوسية خاصة ـ على أساس أن أقوم بمراجعة الكتاب، وتصحيح أخطائه المطبعية. فلم يسعني إلا أن أوافق، رغبة مني في أن يرى هذا الكتاب النفيس النور وينتفع به القراء والباحثون، بالرغم من أن ظروفي لا تشجع على الموافقة.

ولكن عندما توصلت بالمطبو ع، تبين لي أن الكتاب لم يحقق، إما لأن العلامة الروداني لم تسمح له ظروفه الصحية ـ التي نعرفها جيدا ـ بتحقيقه، وإما لأن تعاليقه وهوامشه التي علق بها على الكتاب لحقها الضياع، فحرمنا من تحقيقاته ونكته ولطائفه. فاستخرت الله تعالى، وشمرت عن ساعد الجد، وحاولت أن أضيء بعض جوانب الكتاب بهوامش وتعاليق أعتبرها مجرد مفاتيح توضع في أيدي القراء الكرام، ليتولوا بأنفسهم فتح الأقفال، ورفع الأستار، واكتشف ما يحتضنه الكتاب من كنوز وذخائر، وما يقدمه من معلومات قيمة.

واقتحامي لهذا الميدان لا يدل ـ بحال ـ على أنني لمست في نفسي القدرة على ارتياد آفاقه الواسعة، والغوص إلى أعماقه البعيدة، وإنما يدل على أنني أحب هذا الكتاب، وأرغب في نشره دون مزيد من الإنتظار. ومن هنا لا أدعي أنني أقوم بتحقيق الكتاب، بالمعنى الدقيق لكلمة التحقيق. بل ما زلت أعتقد أن تحقيقه تحقيقا علميا دقيقا متكاملا، ما زال دَيْنا على الباحثين الذين يملكون من الإمكانات العلمية والفكرية والمنهجية ما يتناسب مع أهميته، وغزارة مادته، وتشعب مباحثه، وعمق مضامينه، بل إنني أعتقد أن تحقيق مثل هذا الكتاب يتطلب جهود جماعة من الباحثين، تتنو ع ثقافتهم، وتتعدد تخصصاتهم، ليتعاونوا ويتكاملوا، ويذللوا الصعاب، ويتجاوزوا العقبات.

II ـ خطة العمل في هذا التحقيق

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب وتقديمه للقراء الكرام الخطة المنهجية التي نراها أقدر على فتح أقفاله، وتجلية غوامضه، والأخذ بأيدي القراء، للدخول إلى رحابه الفسيحة، والتنزه في رياضه الفائحة، دون حرج ولا إرهاق. وهذه الخطة تعكس صورتها الملامح الآتية :

1 ـ اعتمدنا اعتمادا قويا على النسخة التي كتبها بيده العلامة مولاي محمد بن عبد الله الروداني، وأعدها للنشر، وكان ينوي أن يحققها ويضع عليها ما يلزم من التعاليق والحواشي ؛

2 ـ قابلنا النسخة التي أعدها الروداني ببعض النسخ الأخرى، وخاصة نسخة كلية الآداب بالرباط، ونسخة سيدي رشيد بن المصلوت. وغرضنا من هذه المقابلة تحقيق ما يلي :

أ ـ تصحيح بعض الأخطاء، التي لم تسلم منها نسخة الروداني، تبعا للنسخ التي اعتمد عليها ؛

ب ـ تكميل النقص الذي يشوبها من حين لآخر. فهو يتخطى أحيانا بعض الكلمات أو بعض الجمل، أو بعض السطور ؛ وربما يتخطى أكثر من ذلك إما سهوا منه، وإما سهوا ممن كتبوا النسخ التي نقل منها نسخته؛

ج ـ ملء البياضات التي تعاني منها في بعض الأحيان، خاصة في النصف الأخير منها ؛

د ـ العودة بالنص إلى أصله كلما اقتضى الحال ذلك، لأن الروداني يتصرف في متن «**الفوائد الجمة**» في بعض الأحيان ـ خاصة على المستوى الشعري ـ، فيزيل ما لا يروقه من الجمل والأشطار، ويعوضه بما يراه أجمل وأجود، وأكثر انسجاما مع الذوق، ومع ضوابط الشعر الجيد. وبما أن المراد من التحقيق هو تقديم النص للقراء، كما كتبه صاحبه، لا كما نريده نحن، فإننا رددنا جميع العبارات النثرية والأبيات الشعرية التي تصرف فيها الروداني، ومسها بالتهذيب والتنقيح، إلى أصلها. وإذا كان الروداني يريد ـ تبعا لأستاذه المختار السوسي ـ أن تظهر ثقافة السوسيين وأدبهم في المستوى اللائق

المشرف، فإننا نحن لا نريد إلا أن نقدم للقراء التمنارتي على حقيقته، كما هو في الواقع دون تزيين أو تشويه، وأن نضع بين أيديهم كتابه «**الفوائد الجمة**» كما كتبه، بكل ما له وما عليه.

3 ـ لم نهتم كثيرا بالتدقيق في إثبات الفروق بين النسخ في الهوامش، لأن ما يهمنا الآن هو تقديم نسخة من «**الفوائد الجمة**» سليمة من الأخطاء والاضطراب. ولذلك لم نثقل الهوامش بكثرة الفروق، خاصة عندما يتعلق الأمر بفروق تولدت عن سهو النساخ وتحريفهم وجهلهم. ولم نر ضرورة لاستعمال رموز النسخ المعتمدة عند إثبات الفروق، بل اكتفينا بالإشارة إلى أن هذا الفرق أو ذاك موجود في إحدى النسخ المعتمدة أو في بعضها، دون تحديدها بدقة؛

4 ـ قمنا بتخريج جميع الآيات القرآنية الواردة في الكتاب، واعتمدنا في هذا التخريج على المصحف المعتمد في المغرب ؛

5 ـ قمنا بتخريج غالب الأحاديث المبثوثة في الكتاب، معتمدين على الكتب الحديثية المرجوع إليها في هذا الشأن، كما هو واضح من الإحالات المثبتة في الهوامش ؛

6 ـ عرفنا بالأعلام البشرية الواردة في الكتاب تعريفات مقتضبة، وأحلنا على مصادر ومراجع تراجمها، ليعود إليها من يريد التثبت أو التوسع. وهناك أعلام لم تسعفنا الكتب المتوافرة لدينا بتراجمهم، ولم يسمح لنا الوقت الضيق المخصص لإنجاز هذا العمل بتوسيع دائرة البحث عن تراجمهم، فأغفلناهم مكرهين، تاركين مهمة التعريف بهم لمن يملك من الوقت والإمكانات فوق ما نملك ؛

7 ـ عرفنا بالأماكن التي تبدو لنا أهمية التعريف بها، كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا، محيلين ـ عند الاقتضاء ـ على المصادر والمراجع ؛

8 ـ شرحنا الألفاظ اللغوية، والعبارات التركيبية، التي بدا لنا أن شرحها يفيد القارئ، ويعبد أمامه طريق القراءة المتدبرة الواعية. وراعينا في الشرح الجمع بين الدلالة اللغوية الأصلية، والدلالة المقامية السياقية. ولم نر ضرورة الإشارة في كل مرة إلى القاموس اللغوي المعتمد ؛

9 ـ خرجنا بعض الأشعار التي تمثل بها التمنارتي وحبر بها كتابه، ولم نتمكن من تخريج البعض الآخر، لعامل السرعة، وقلة الإمكانات ؛

10 ـ وثقنا كثيرا من النقول الواردة في الكتاب، وأحلنا على مصادرها، ولم نتمكن من توثيق البعض الآخر، لأسباب خارجة عن إرادتنا ؛

11 ـ حددنا البحور التي نظمت عليها الأشعار الواردة في الكتاب، وكتبنا تلك البحور بين معقوفين ؛

12 ـ شكلنا في الأشعار غالب الكلمات التي رأينا أن شكلها يساعد القارئ، ويختصر له الطريق.

13 ـ ذيلنا الكتاب بفهارس عامة، تهم الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والأماكن، والكتب، والأشعار، والموضوعات.

هذه أهم ملامح الخطة المعتمدة، وما لم نذكره سيكتشفه القارئ الكريم، عندما يقتحم رحاب هذا الكتاب النفيس، ويجيل بصره وبصيرته في أبوابه ومباحثه. وأملنا أن نوفق في إخراج هذا الكتاب وتقديمه للقراء، على الشكل الذي يرضي الله، ويرضي روح التمنارتي، وروح مولاي محمد بن عبد الله الروداني، ويرضي القراء الكرام. فإن وفقنا إلى ما أردنا، فالتوفيق من الله. وإن جرت الريح بما لا تشتهي سفينتنا، فباذل جهده لا يُلام. «ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها»، ونية المومن أبلغ من عمله.



الفوائد الجمة

في إسناد علوم الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ

الفقيه اللبيب النبيه الحسيب الوجيه العالم العلامة المعروف
الرواية البحر الهمام النصيح الفصيح البليغ البارع العبقري
الكامل الأود عين الفاضل السيد عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن
ابي بكر بن محمد بن احمد الجزولي التمناري [illegible]
والمعالي رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به وبكلامه امين
نحمدك اللهم على ان جعلت سنة نبيك محمد صلى
الله عليه وسلم في كل الاقطار موصولة الرحم وكفلتها
دايما ابدا بغير ايد واتصل بعقل فلا تنثلم ابدا ولا تنهدم
وصلواتك التامات على حبيبك ورسولك سيدنا ومولانا
محمد المعطى لجوامع الكلم وعلى آله الطيبين
واصحابه المنتخبين المختصين منه بمدايح الحكم
وبعد فإني اذكر في هذا التقييد ان شاء الله تعالى
معتمدة منشأ نفعي ومنشأ نفعهم وحميد سيرتهم
واخبارهم وزيارتهم وافكارهم فإن اولى الناس
بالاحياء بالذكر من كان [illegible]
[illegible]

النسخة البزيوية : اعتمدها الفقيه الروداني، ومنها مستنسخ
نقحه سيدي رشيد المصلوت، وآخر لدى الفقيه محمد المنوني (الصفحة الأولى)

530

ختم الله له بالحسنى وجعله من اهل المقام الاسنى وصلى الله على سيدنا

محمد نبيه المختار وعلى آله الاطهار وصحابته الاخيار ومن تبعهم

للتاليف الذي سماه كتاب الاعتبار في نسب ذرية النبي المختار

النسخة البزيوية (الصفحة الأخيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما 1

قال الشيخ الفقيه الأديب النبيه الحسيب الوجيه العالم العلامة المحدث الراوية النحوي الفهامة الفصيح المصقع البليغ البارع العبقري الكامل الأوحد [illegible] السيد أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن [illegible] الجزولي التملي [illegible] رحمه الله ورضي عنه ونفعنا ببركاته آمين

نحمدك اللهم على أن جعلتنا من أمة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

حدثنا الشيخ الصالح [illegible] أبو الفضل [illegible] عبد [illegible] إجازة

قال أخبرنا الفقيه العالم العلامة المحدث أبو العباس [illegible] إجازة قال أخبرنا [illegible]

قال أخبرنا [illegible] شيخ الإسلام [illegible] ابن حجر العسقلاني المصري الشافعي [illegible]

[illegible] قال أخبرنا [illegible] سراج الدين [illegible]

[illegible] كتاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

نسخة خزانة كلية الآداب بالرباط رقم 964.02 ثمن

(الصفحة الأولى)

نسخة خزانة كلية الآداب بالرباط رقم 964.02 ثمن

(الصفحة الأخيرة)

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 1420د.

(الصفحة الأولى)

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 1420د.

(الصفحة الأخيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب [illegible] في إسناد علوم الأئمة للعلامة

أبي زيد عبد الرحمن بن محمد [illegible] الثعالبي الجزائري رحمه الله

نحمدك اللهم على أن جعلتنا من أمة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في كل الأقطار موصولة
الرحم، وبالشهادة الإيمانية [illegible] وأفضل بحبل متين [illegible] الإيمان، وصلواتك
التامات على حبيبك ورسولك سيدنا ومولانا محمد المبعوث بجوامع الكلم، وعلى آله
الطيبين، وأصحابه المنتخبين، المخصوصين منه ببدائع الحكم. وبعد فإني أذكر
في هذا التقييد إن شاء الله تعالى مختصر مشايخي ومشايخهم و[illegible]
سندهم وأخبارهم ورواياتهم فإن أولى الناس بالأحبار الذكر من كان أهلا
لسيادتك وسببا لسعادتك ودليل رشدك و[illegible] وإن أحق الناس بالشكر من
ذكرك الله وفتح لك بابه رضي الله عنه. فمن ذلك الشيخ الصالح الإمام مولانا أبو الفضل
يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم بن الحسين بن عبد [illegible] الحاحي [illegible] قرأت
عليه وأجازني. قال أخبرنا الفقيه العالم العلامة المحدث أبو القاسم [illegible] بن [illegible]
المحدث المجاور أبو العباس [illegible] الحاج أحمد بن محمد بن عمر [illegible]
[illegible] إجازة قال أخبرنا والدي الحاج أحمد [illegible] قال أخبرنا [illegible]
[illegible] محمد بن أحمد [illegible] إجازة [illegible] قال أخبرنا
زين الدين بن عبد الغفار بن محمد بن عبد [illegible] المصري [illegible] الشافعي قال أخبرنا
شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري الشافعي
قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان النيسابوري المكي سماعا قال أخبرنا
الشيخ الصوفي أبو القاسم عبد الرحمن بن فتوح [illegible] المكي قال أخبرنا [illegible]

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 3693د

(الصفحة الأولى)

سوء كسبه عبيد الرحمان بن محمد بن احمد بن ابرهيم بن محمد بن احمد
الجزولي التمنرتي مولدا التزدنتي دارا ومحتدا ختم الله بالحسنى
وجعله من اهل المقام الاسنى وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار
وعلى اله الاطهار وصحابته الاخيار ومن تبعهم باحسان
الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين انتهى

المصورة ٢٠ شعبان
عام ١٣٦٩ - ٧/٧/١٩٥٠

كتبه لنا بالصورة [illegible] السيد عبد الله بن
[illegible] في 2 شعبان 1369 [illegible]

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 3693د

(الصفحة الأخيرة)

وأخبرني الخطيب بن الوزاد... قال أخبرني موسى بن شعيب الرميجي ..... ،
نزيل مراكش أنه ورد عليه لزيارته، جاءه يوما وبعد العصر، يعرضون هدايات (....)
ويسوقونها، فقلت في نفسي تعب عظيم في نفع قليل، وإن عندنا ببلدنا نخلا نقعد أكثر من
هذا وما أتينا نتعاطاه. فمثل هذا، فجلست في ناحية منهم، فجاء وعلى عاتقه بن بوسه،
فسلم علي وأخذ بيدي، وقال هونك يا موسى ... ثم قال ترى هؤلاء، والله لقد كتبوا من
أهل النار في اللوح المحفوظ، وأنهم إذا عملوا هذا العمل على يد أحد كتبوا من أهل الجنة
وأنهم قد كتبوا كلهم الآن من أهلها والحمد لله

وقال المسن أحمد بن الحسن المانوزي راعيه الوارد لكثير من حكمه وكراماته:
جاءه شيوخ قبيلة يوما فخرج إليهم وقد شرب حسولة (....؟) فيها ثوم، فكان يكلمهم وهم
يبتعدون عنه، فيفطن لهم وقال لهم: هذه رائحة ثوم فنحن تكم عنه، وقد وجدت أنا منكم
رائحة المعصية أنتن من جيفة الضبع ولم يسعني أن أنحي منكم

وقال شيخنا أبو محمد عبد الله المبارك أتيته يوما أريد مواخاته فتمنيت
أن يدعو لي بالفتح، فلما قربت حلقته رفع رأسه وقال لي فتح الله لك على ما تمنيته
وأوصاني أن أعمل لنفسك عملا تسعد به غدا، قال وحضرته يوما وقد أكثر
أعرابي من تقبيل يده، فقال له أن ترفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه
مأمور به شرعا يا أعرابي، قلت أمره بالاقتصاد في المحبة وهي من أقوات الأرواح
والوضوح مع الأدب فيها، كما أمر الشارع بالاقتصاد في المطعم في الأشباح
بجامع القوتية، وأن الإفراط والغلو في كليهما مذموم، فأبرز ذلك في قالب المجاز
المركب التمثيلي، وهو من بديع الكلام، ونظيره في البلاغة ما أخبرني به عنه بعض
تلاميذه أنه خرج يوما للمسجد فاستدعى كاتبا فالتفت إليه الكاتب وقال اكتب،
بسم الله الرحمن الرحيم، فكتبها، فقال له إياك ثم إياك ثم إياك أن تأوي إلى جبل
عقلك فتكون من المغرقين في طوفان نوح، فأخذها وطواها وجعلها تحت قلنسوته، ولم يسم
لنا المكتوب إليه.

وأخبرني الفقيه العدل أبو محمد عبد الله بن إبراهيم السملالي أمر عدول تارودانت
أنه حضر يوما حلقته وقد تعرض بعض الناس يجري على لسانه رفع المنادى المضاف،

نسخة بخط الفقيه محمد بن عبد الله الردالي (ص. 72)

فقلت في نفسي نعم الشيخ لو كان معه شيء من النحو، فلم ينتم الخاطر حتى التفت الي وأعاد الحديث فنصبه على سنته، وقال هاأنذا نصبته بالنحو ثم أنشأ يقول:

نسيحنى لسانا كان يعرب لفظه ... فيا ليته من وقفة الحشر يسلم
ولا ينفع الاعراب ان لم تكن تقى ... وما ضر ذا التقوى لسان معجم.

الى السطر ٢ ومن هذا المعنى ما اخبرني به تلميذه المسمى ابراهيم بن محمد بن داود بن علي الولتيتي، انه كان يقول لمن ورد عليه من اهل العلم: من يتق الله يجمع عالم والاعلا

ومن بليغ حكمه في ذلك: اعرف رب الدار ورب البلد ولا تعرف الدار والبلد، فانك اذا عرفت رب الدار ورب البلد امنت كلاب الدار وكلاب البلد، واذا عرفت الدار والبلد دون رب الدار ورب البلد لم تامن الكلاب، فاما اكلتك واما منعتك

٤ الى السطر الوصول الى رب الدار ورب البلد.[x] ومنها مثل المشتغل بالدنيا كمثل من سرق كبشا من خليج فذبحه وجعل يسلخه في الخليج، ثم مضى له الراعي فجاءه من خلفه فاختطفه بشوكة السمار، فجعل ينهض عن ثوبه حتى تركه خلفه فاخذ الراعي فعله، ثم مضى السارق لذهاب ثوبه فظن انه تركه في الموضع الذي فيه الكبش، فذهب اليه فنادى الراعي الى الكبش فاخذه ومشى ثم رجع السارق فوجد الكبش قد ذهب ايضا، فقال جئ فكر البلدة كثير، فسل سيفه وجعل يمشي ويحكي ويقول: التجارة بالرأس، فلت الخليج الدنيا، والكبش الاسباب، والناخس الشيطان، والثوب دينه، ورجوعه لمحل سرقة الكبش كناية عن توبته، وذهاب الكبش تنبيه على ان ما بعد الزوال يعود زائلا، وتجريد السيف والمسير وحكي الشناعة لام على الاحتراس من تلك الآفات. اخبرني بهذا والذي قبله راعيه الزاهر المتجهد احمد بن الحسين الملازي.

وم*قوله* ومنها لمن سأله معرفة الله تعالى: هاوك في رحلك وكنزك تحت جدارك، فلت اشاره لقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون، ومنها نفسي اذا استنطقتها بالعربية تكلمت واذا امرتها بالمعنى تعجمت، فلت اشارة الى العجز عن ادراك حقائق صفاته تعالى وان كان يعبر عنها بالالفاظ العربية، ومنها كم من رجل حمل الماء الى ما تحت لحيته ومات بالعطش، فقال له بعض اصحابه كيف هذا، فقال يحتاج الى حكيم يثني له راسه حتى فيشرب حتى يروى، فلت اشارة الى احتياج الغافل عن معرفة الله تعالى الى من ينبهه عليها في اقرب الاشياء اليه وهو نفسه، ومنها وصيته لشيخنا ابي محمد المذكور المحل لنفسك ليتم عبد السيد المبارك

نسخة بخط الفقيه محمد بن عبد الله الرداني (ص. 73)

بسم الله الرحمٰن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً

نحمدك اللهم على أن جعلت سنة نبيك محمد ﷺ في كل الأقطار موصولة الرحم، وكفلتها دائما أبداً بخير أب وأفضل بعل فلا تَيْتَم ولا تَئِم[1]، وصلواتك التامات على حبيبك ورسولك سيدنا ومولانا محمد المبعوث بجوامع الكلم[2]، وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتخبين المختصين منه ببدائع الحكم.

في شكر الناس وحبهم

وبعد؛ فإني أذكر إن شاء الله تعالى في هذا التقييد معتمد مشايخي ومشايخهم وحميد سيرهم وأخبارهم ووفياتهم وأقطارهم؛ فإن أولى الناس بالإحياء بالذكر من كان أصل سيادتك، وسبب سعادتك، ودليل رشدك وهدايتك؛ وأحق الناس بالشكر مَن دَلَّك على الله، وفتح لك باب رضى الله. حدثنا الشيخ الصالح الإمام مولانا أبو الفضل، يحيى[3] بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم بن الحسن بن عبد الملك المناني الحاحي قراءة عليه وإجازة، قال: أخبرني الفقيه العالم العلامة المحدث أبو العباس

(1) أخذ المنارتي ذلك من قول البوصيري في «بردة المديح»:

حتى غدت ملة الإسلام وهـي بهم ... من بعـد غربتها موصولـة الرَّحِـم

مكفولـة أبـداً منهم بخير أب ... وخير بعـل فلـم تَيْتَـمْ ولم تَئِـم

وقول المنارتي: «ولا تئِم»، صوابه: «ولا تئيم» ــ بالياء بعد الهمزة ــ لأنه من آمت المرأة تَئِيم إذا لم يكن لها زوج، ومنه الأَيِّم للتي لا زوج لها. وإنما حذف البوصيري ياءه لالتقاء الساكنين، لأنه مجزوم بلَمْ.

(2) في الحديث: «أوتيتُ جوامع الكَلِم، واختُصِر لي الكلام اختصارا» (رواه العسكري في «الأمثال»، والبيهقي في «الشعب»، والطبراني في «الكبير»، وأبو يعلى). ومعناه أنه ﷺ يتكلم بالكلام الموجز، القليل اللفظ، الكثير المعاني (انظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي، صص. 132–133 رقم الحديث 266؛ و«الشذرة في الأحاديث المشتهرة» لمحمد بن طولون الصالحي، ج 1، صص. 175–176، رقم الحديث 239).

(3) انظر ترجمته في ص. 157.

أحمد[4] ابن الإمام المحدث المجاز أبي العباس حـ أحمد ابن حـ أحمد بن محمد بن عمر أقيت ـ بفتح الهمزة ـ بن علي بن يحيى الصنهاجي السوداني إجازة، قال: أخبرني والدي الحاج أحمد[5] المذكور، قال: أخبرني قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد النهروالي[6] المكي إجازة من مكة شرفها الله، قال: أخبرني زين الدين عبد الحق بن محمد بن عبد الحق المصري[7] السنباطي الشافعي، قال: أخبرني شيخ الإسلام قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري الشافعي، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان النيسابوري المكي سماعا، قال: أخبرني الثقة الصدوق أبو القاسم عبد الرحمان بن فتوح بن يقيس[8] المكي قال: أخبرني فخر الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن جعفر الحسني قال: أخبرنا الإمام سراج الدين محمد بن علي الأنصاري، قال: حدثنا شرف الدين أبو محمد الحسن بن علي ابن أبي طالب الحسيني قراءة عليه من لفظه، قال: حدثني سيدي ووالدي أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن محمد الحسيني، قال: حدثني سيدي ووالدي أبو طالب الحسن بن عبد الله بن محمد الحسيني، قال: حدثني سيدي ووالدي محمد بن عبد الله، قال: حدثني سيدي ووالدي السيد علي بن حسن، قال: حدثني سيدي ووالدي السيد حسن بن جعفر، قال: أخبرني سيدي ووالدي السيد جعفر الملقب بالحجة، قال: أخبرني سيدي ووالدي السيد عبد الله الملقب بالزاهد، قال: أخبرني سيدي ووالدي الحسن الأصفر، قال: أخبرني سيدي ووالدي زين العابدين علي بن الحسين، قال: حدثني سيدي ووالدي أمير المومنين الحسين المظلوم الشهيد بكربلاء سبط رسول الله ﷺ، قال: أخبرني سيدي ووالدي إمام المشارق والمغارب أسد الله الغالب أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال

---

(4) ستأتي ترجمته في ص. 133.

(5) ستأتي ترجمته في ص. 135.

(6) منسوب إلى «نَهْرَوَالَة». بلدة من توابع كجرات بالهند، وهو مكي الدار والوفاة (انظر ترجمته وثبته الذي كتبه لأهل التكرور في «**فهرس الفهارس والأثبات**» للكتاني، ج 2، ص. 944 فما بعد،، رقم الترجمة 539).

(7) ولد سنة 842هـ بسنباط بمصر، وتوفي بمكة سنة 931هـ. انتهت إليه الرئاسة بمصر في الحديث والفقه والأصول (انظر ترجمته في «**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**» لابن العماد، ج 8، ص. 179؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، ص. 1000، رقم الترجمة 569).

(8) في ص. 224: بن بقين. قارن بين الأسماء الباقية في هذا السند والأسماء الواردة في سند الأربعين حديثا المسماة بـ«**الذهب الإبريز**»، ص. 224، لتلاحظ نوعا من الإضطراب.

رسول الله ﷺ : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[9]. وفي «**حديقة الجد من حدائق الأزهار**»[10]: «قال عليه السلام: «إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه، فانظروا إلى ما يتبعه من حسن الثناء»[11]، ولبعض المفسرين في قوله تعالى ﴿وَاجعلْ لي لسانَ صدقٍ في الآخِرين﴾[12] أن إبراهيم عليه السلام أراد به الثناء من بعده[13]، وفي الحديث: «من نشر معروفا فقد شكره، ومن ستره فقد كفره»[14]، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «لو أن فرعون مصر أسدى إلي يدا صالحة لشكرتها»، وقال بعضهم: إذا قصرت يداك عن المكافأة، فليطل لسانك بالشكر، وفي «**لطائف المنن**»[15]: كل من لم يكن له أستاذ بسلسلة الإتباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له، يعنى لا نسب له، وفيها أيضا من نسب تلميذا إلى غير أستاذه، فكمن نسب ولدا إلى غير أبيه قال هذه الأبوة أحق أن يرعى نسبها، وأن يحفظ سببها، وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: حكاية محاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه، وقال سفيان بن عيينة: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»[16]، وقال

---

(9) حديث : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» رواه الإمام أحمد من حديث الأشعث بن قيس مرفوعا، وقال الترمذي : صحيح («**تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث**» لعبد الرحمان بن علي الشيباني الشافعي الأثري، ص. 197).

(10) لابن عاصم.

(11) في «**موطإ**» الإمام مالك : عن كعب الأحبار أنه قال : «إذا أحببتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه، فانظروا ماذا يتبعه من حسن الثناء» ــ الحديث الخامس من أحاديث ما جاء في حسن الخلق، ورقمه 1739 ــ وهو موقوف، ويحتمل أن يكون من الكتب القديمة لأنه حبرها، وقد رواه ابن عساكر بسند ضعيف عن علي عن النبي ﷺ، وفي معناه ما رواه الحاكم وغيره عن أنس مرفوعا : «إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر» («**شرح الزرقاني على الموطإ**»، ج 4، صص. 254-255).

(12) **سورة الشعراء**، الآية 84.

(13) انظر «**مختصر تفسير الإمام الطبري**» لأبي يحيى محمد بن صُمَادِح التجيبي، ج 2، ص. 35؛ و«**تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**» لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي، ص. 290؛ و«**تفسير القرطبي**»، ج 13، ص. 112؛ و«**تفسير الجلالين بحاشية الصاوي**»، ج 3، ص. 175.

(14) لم نجد له تخريجاً بهذا اللفظ. وأخرجه أبو داود وأبو نعيم في أخبار أصبهان بلفظ: «من أبلى بلاء فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره» (انظر «**سلسلة الأحاديث الصحيحة**» للألباني، ج 2، ص. 182، رقم الحديث 618).

(15) «**لطائف المنن**»: كتاب لابن عطاء الله في مناقب الشيخين : أبي العباس المرسي، وشيخه أبي الحسن الشاذلي.

(16) قال ابن حجر: لا أستحضره مرفوعا، وسبقه لذلك شيخه العراقي، فقال في «**تخريج الإحياء**» : ليس له =

بعض المشايخ: الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب أوليائه، ودليله قوله تعالى: ﴿وكُلاًّ نقصُّ عليكَ مِن أنباءِ الرُّسلِ ما نُثبتُ به فؤادك﴾[17]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحب»[18]، وعنه عليه السلام: «من أحب قوما حشر معهم»[19]، وقال أبو الحسن الشاذلي[20] رضي الله عنه: «حب الأولياء ولاية»[21]. ونظمه بعضهم[22] فقال: [الطويل]

وقد قال حب الأولياء ولايـة ولي الإله الشاذلي ابن بطال[23]

ولبعض المشايخ في دعائه: اللهم إنهم أحبوك فلم يحبوك حتى أحببتهم، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك، فأتم لنا ذلك حتى نلقاك.

قلت: وقد دل هذا الدعاء على أن محبة الله للعبد سابقة لمحبة العبد لله، ويحكى أن بعض السلف اشترى خادما وكانت من الأولياء، ولما جن الليل أخذت في تهجد فكانت تقول في سجودها: بحبك إياي افعل لي كذا، فسمعها سيدها فقال لها: قولي: بحبي إياك، فقالت له: أين أنت يا سيدي من القرآن؟ ألم يقل الله سبحانه:

= أصل في الموضوع، وإنما هو قول سفيان بن عيينة، كذا ذكره ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» («المقاصد الحسنة»، ص. 292 رقم الحديث 720).

(17) سورة هود، الآية 119.

(18) متفق عليه (انظر «المقاصد الحسنة»، ص. 379، رقم الحديث 1011).

(19) أورده الحاكم في «المستدرك» بهذا اللفظ قبيل المغازي جازما به بلا سند، وشاهده : «المرء مع من أحب» («المقاصد الحسنة»، ص. 395، رقم الحديث 1051).

(20) اسمه علي بن عبد الله، ولد في غمارة بالقرب من سبتة سنة 593هـ/1196م، أو في شاذلة (تونس). تعلم التصوف على الجنيد، وفقد بصره بكثرة المطالعة. أسس الطريقة الشاذلية المنتشرة في شمال إفريقيا، وتوفي في حميترة بصعيد مصر سنة 656هـ/1258م. له مؤلفات منها مجموعة أحزاب، أشهرها «حزب البحر». انظر ترجمته في «ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع» لمحمد المهدي بن أحمد الفاسي، و«المنجد في الأدب والعلوم» لفردنان توتل، ص. 281؛ و«قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر» لصالح بن محمد الفلاني بتحقيق عامر حسن صبري، ص. 243، هامش 5؛ و«ديوان الحسن البونعماني»، للحسين أفا، ص. 365، هامش 37).

(21) في «ابتهاج القلوب» لسيدي عبد الرحمان الفاسي أن الذي قال ذلك هو الجنيد.

(22) هو سيدي إبراهيم بن محمد التازي، والبيت من قصيدة لامية له تقرأ على إثر وظيفته ومطلعها :

مرادي من المولى وغايـة آمالي دوامُ الرضا والعفو عن سوء أعمالي

(23) انظر القصيدة بتمامها في «الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى» لمحمد بن تاويت، ج 2، صص. 589-590.

﴿يحبهم ويحبونه﴾[24]، فقدم محبته؟ فقال لها: صدقت، وقال ابن باديس[25] رحمه الله في سينيته: [الطويل]

ولاكــن حبــي شافعــي ووسيلتــي وإن كنت في فعلي على الضد والعكس

وحكى القاضي أبو المعالي رحمه الله في كتاب «**لوامع أنوار القلوب**» له، أن رجلا رأى ملكين نزلا من السماء بيد أحدهما صحيفة من ذهب وبيد الآخر قلم من ذهب، فقال أحدهما للآخر: اكتب المحبين من هذه البلدة أمليهم عليك، فجعل يملي عليه ويكتب حتى سمى له نفرا من أهل البلد، فقلت لهما: اكتباني، فقالا: لست منهم، فقلت لهما: إني أحبهم، فقال له المملي: اكتبه آخر الصفحة من محبي المحبين، فبينما هو يخاطبه في ذلك إذ نزل ملك آخر فقال لهما: إن الله تعالى يقول لكما: اكتباه من المحبين لصدق نيته فيهم ومحبته إياهم. وهو عجيب. وقال أبو العباس المرسي[26] رضي الله عنه ونفعنا به: [مجزوء الكامل]

لــي ســادة من عزهــم أقدامهــم فوق الجبــاه
إن لــم أكــن منهــم فلي فــي ذكرهــم عــز وجــاه

قال هذا رضي الله عنه مع أنه من أكابرهم، وأنا أقول تشبثا بأذيالهم وارتماء على حرمهم وأطلالهم: [الطويل]

أنــا كلبكــم تولــوني بكِــلَاءَةٍ[27] كما قد تولى كلبهم فتيــة الكهــف[28]

---

(24) سورة المائدة، الآية 56.

(25) هو أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس، ولد سنة 701هـ، وتوفي سنة 787هـ. وهو صوفي مشهور، غلب الإنقباض عليه، فقل الإنتفاع به. له «**شرح مختصر ابن فارس**» في السيرة؛ و«**النفحات القدسية**»، وهي قصيدة في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني وأتباعه من مشايخ الصوفية، ومطلعها :

ألا مِلْ إلى بغداد فهي منى النفس وحدث بها عمَّن ثوى باطنَ الرمس

(انظر في ترجمته: «**نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**» لأحمد بابا السوداني بهامش «**الديباج المذهب**» لابن فرحون، ص. 108؛ و«**المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**» لأحمد التادلي الصومعي بتحقيق علي الجاوي، ص. 66، هامش 30؛ وانظر في «**النفحات القدسية**» : «**أنس الجليس، في حلق الحناديس، عن سينية ابن باديس**» لأحمد بن محمد بن عثمان المشهور بابن الحاج (مخطوط خاص).

(26) هو خليفة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، واسمه أحمد بن عمر الأندلسي الأنصاري، توفي عام 685هـ (انظر «**نيل الإبتهاج**»، ص. 64؛ و«**قطف الثمر**»، ص. 243، هامش 4).

(27) بكلاءة : بحراسة.

(28) الكهف : الغار الواسع، وفتية الكهف : هم المشار إليهم في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، إذ أوى الفتية إلى الكهف...﴾ الآيات (**سورة الكهف**:

بسطت ذراعـي بالوصيـد[29] تلهفـا ... ألا فارحموا كلبا لكم باسط الكـف
وحاشاكُم أن تنتقوا[30] صَفْوَ نِقْيِهَا ... وترمـوا إلي بالمعـاء وبالظلـف
وحـاشاكم أن تطـردوني وإننـي ... أطـرد منكـم كل بدر عن الخسف
سؤالي لكـم فخـر وذلي عزة ... وإن طال في التام[31] أعتابكم لهفي[32]
إذا كَرِعُـوا[33] في بحركم وترشفـوا[34] ... كفى لهفي من نهر طالوتكم غرفي[35]
فما عامر ربعي[36] سوى بربوعكـم ... ولا خالـد إلا بذكـركم وصفـي
بقيت وحيدا أستجـد[37] رسومكـم ... وأشفي صَداهَا[38] بالدموع وما تشفي
فإن عز من فقد العيـون وصالكـم ... فذكركم من بعـد فقـدكم يكفـي[39]
وكان ارتيادي وامْتِيـادِي[40] بحبكـم ... لتفتحوا[41] لي باب الكرامات باللطف

= الآية 9 فما بعد)، وهم قوم مومنون، وملك بلادهم كافر يقتل كل مومن، ففروا بدينهم ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويستخفوا من الملك وقومه، فألقى الله عليهم نوما ثقيلا، فبقوا نائمين وقتا طويلا (309 سنة)، ثم أيقظهم الله... إلى آخر ما حكى الله عنهم في سورة الكهف. (انظر «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي، صص. 378–379).

(29) الوصيد : باب الكهف، وقيل عتبته، وقيل الفناء.

(30) أن تنتقوا : أن تستخرجوا نِقْيَها، أي مُخُّها. وفي حديث أم زرع : «... ولا سمينٌ فيُنتقَى»، أي ليس له نِقْيٌ فيستخرج. (انظر «بغية الرائد فيما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد»، للقاضي عياض، ص. 46).

(31) التام : تقبيل.

(32) لهفي : حزني وتحسري.

(33) كَرِعوا : تناولوا الماء بأفواههم من موضعه، من غير أن يشربوا بالأكف ولا بالأواني.

(34) ترشفوا : مصوا الماء.

(35) وظف التمنارتي في هذا البيت قوله تعالى : ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنَهَر فمن شرب منه فليس مني، ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده، فشربوا منه إلا قليلا منهم﴾ (سورة البقرة، الآية 247).

(36) ربعي : منزلي.

(37) أستجد : أجَدِّد.

(38) الصَّدَى : الصوت، والصَّدَى أيضا : طائر يصيح في هامة المقتول إذا لم يثأر له، وقيل : هو طائر يخرج من رأسه إذا بلي، ويُدعى الهامة، يزعم ذلك الجاهليون («لسان العرب» لابن منظور).

(39) يفهم من الشطر الأول أن التمنارتي نظم هذه القصيدة عندما فقد بصره، لأن معناه المتبادر منه : فإن عزّ وصالكم بِسبَب فقد العيون...

(40) امتيادي : كسبي للخير، يقال : امتأد الرجل خيرا بمعنى كسبه.

(41) واو لتفتحوا زائد عروضيا، ومثل هذه الهنات العروضية كثيرة في شعر التمنارتي.

واعلم أن فضيلة التاريخ تظهر في شيئين، في حفظ الأفاضل وإعطاء كل ذي حق حقه، وحفظ أسانيد الرواية، حتى لا ترى لغير أهلها مستحقة، وفيه مع ذلك الاعتبار بمن مضى كما قيل[42] : [الطويل]

اهمية التاريخ

إذا أنت لم ينفعك علمك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل
فإن لم تجد من دون عدنان والدا ودون مَعَدٍّ فلتزَعْك[43] العواذل

ومداره على معرفة المتقدم من المتأخر، وأن يلحق بالأول في كمال وصفه الآخر، حتى يرى فرع الوراثة النبوية مغروسا في أصله، وحائز فخرها المنيف مرفوعا على منصة أهله، ومن شأن الفقيه، والطالب النبيه، الفحص عن ذلك حتى لا يقع في الخطإ فيه، كما يحكى أن طالبا حضر مجلس درس عظيم، فاختلف فيه صاحب الدرس مع آخر في مالك بن أنس إمام المذهب، ومسلم بن الحجاج أحد أئمة الحديث الستة: أيهما سبق بالوفاة، فقال صاحب الدرس: مسلم سبق، وقال الآخر: مالك سبق، والصواب مع التلميذ لا مع الشيخ، وهذا الفن لم أر له في بلادنا السوسية مع تقادم الأجيال وتوافر الرجال ذاكرا، ولا سنح لي مِن خَلَفهم مَن رسم في سلف أفاضلهم أولا ولا آخرا، مع كونها مشحونة في القديم والحديث بأهل الفضل والدين، وخصوصا بلاد جزولة[44] التي يحكى أنها تنبت الصالحين كما تنبت الأرض البقول[45] وما زال فيهم هذا الفضل بعد نيف وعشرين بعد ألف، والحمد لله على دوام نعمته، بل كلما درج منهم جيل ومَحَقَتْ[46] منه الأيام الغُرَّة والتحجيل[47]، رثاهم الدهر، ورفع فيهم عقيرته بالجهر، فقال : [الطويل]

إهمال السوسيين للتاريخ

---

(42) البيتان للبيد بن ربيعة العامري، من قصيدة مطلعها :

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحاوِلُ أنحب فيُقضَى أم ضلال وباطل

والشطر الأول ورد هكذا : «فإن أنت لم تَصْدُقك نفْسُك فانتسب» (انظر «الشعر والشعراء» لابن قتيبة بتحقيق مفيد قميحة، ص. 126).

(43) فلتزَعك : فلتكففك، يقال وَزَعه ـ كوَضَعَه ـ بمعنى كفه. وفي بعض النسخ : فلتزعك أي فلتُفزعك.

(44) تطلق بلاد جزولة على الأطلس الصغير. وسكانه يعرفون بالجزوليين.

(45) الذي قال ذلك هو سيدي أحمد بن موسى التزروالتي (انظر ص. 182). قال الشاعر الحسن البونعماني في قصيدة توسلية طويلة :

يقول ابن موسى سوس تنبت أوليا وكالة نبت البقول كأنبر

(«ديوان الحسن البونعماني»، جمع وتحقيق ودراسة الحسين أفا، ص. 366).

(46) مَحقَت : محت.

(47) الغرة : بياض في جبهة الفرس، والتحجيل : بياض في قوائمه.

أقاموا بظهـــر الأرض فاخضر عودهـــا   وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر[48]

فلم يكن لي في ذلك سابق أقتدي به، ولا ملفق أرتاح في الفحص عنهم إلى كتابه، بل كنت كما قيل :   [الطويل]

ومـــا أنـــا إلا كالمصلي بقفـــرة   إذا لم يجد ماء تيمـــم بالتـــرب

ولكني أتأنس بقول الشاعر :   [الطويل]

إذا لم يجد صب على النـــأي مخبرا   عن الحي بعد الـبين أيـــن أقامـــوا
فعند النسيم الرطب أخبـار مَنـزل   به لسليمـــى بالعقيـــق خيـــام

وأتنفس إلى قول الآخر :   [الطويل]

وإني إذا ما زرتُ سُعْـدى بأرضهـــا   أرى الأرض تطوي لي ويدنو بعيدهـا
من الْخَفِراتِ البِـيض وَدَّ جليسهـــا   إذا ما انقضت أحدوثـة لو تعيدهـا[49]

* * *

ورتبت هذا التقييد في أربعة أبواب :

* **الباب الأول** في ذكر مشايخي ومشايخهم وحميد سيرهم ووفياتهم.

* **الباب الثاني** في الأسانيد التي حصلت لي ممن ثبت عندي صحة إسناده وأخذه، وهو معظم قصد التقييد، لأن به تتصل النسبة إلى رسول الله ﷺ، التي بها الشرف والسعادة.

* **الباب الثالث** فيما تلقيته من الغرائب، وسمعته من العجائب والفوائد.

* **الباب الرابع** في المرائي الحسان الدالة على إمداد الله لعبده الضعيف بلطائف البر والإحسان، وبه يتم كماله، ويصعد إلى الله كلمه الطيب وأعماله[50].

ومن الله جلت عظمته أستوهب التوفيق والمعونة، وأن يكفيني كل شاغل ومؤونة، إنه الولي لا مرجو سواه، وسميته «**الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**».

(48) قال المعري في قصيدة بعنوان «علوتم فتواضعتم» :

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم   بعد الممات جمال الكُتْبِ والسِّيَـرِ

(«سقط الزند»، ص. 59).

(49) الخفرات: الشديدات الحَيَاء، والبيتان لكثير عزة من قصيدة تتكون من 25 بيتاً. (انظر ديوان كثير عزة).

(50) وظف التمنارتي هنا قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكَلِمُ الطيب والعملُ الصالح يرفعه﴾ (سورة فاطر، الآية 10).

ٱلبَابُ ٱلأَوَّلُ:

فِي ذِكْرِ مَشَايِخِي وَمَشَايِخِهِمْ وَحَمِيدِ سِيَرِهِمْ وَوَفَيَاتِهِمْ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَكَرَامَاتِهِمْ وَحِكَمِهِمْ وَوَصَايَاهُمْ

الباب الأول

في ذكر مشايخي ومشايخهم وحميد سيرهم ووفياتهم وما يتعلق بذلك من أخبارهم وكراماتهم وحكمهم ووصاياهم

[الشيخ الأول]

سيدي الوالد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد المغافري[1]، وهم عرب يسكنون جهة الجنوب من صحراء بلاد القبلة، وقبر جده الثاني مزارة مشهورة بمقبرة سلفه ببلاد فائجة تامانرت مقر جدوده، وهي قاعدة بلاد جزولة، وتعريب اسمها هذه منارة، مأخوذ من منار القبر والفَدّان[2]، لأنها الحد بين بلاد الصحراء وبلاد التّل ومنها كان الفقيه الصالح عبد الله بن ياسين الجزولي مقنن الدولة اللمتونية بالمغرب ومقرر عقائدهم.[3]

وكان الوالد رحمه الله ديّنا صالحا متعبدا متورعا زاهدا في الدنيا، معرضا عن أهلها وعن معاشرتهم طول عمره، ذا دين متين ويقين ثابت، وورع صادق، وصبر طويل، وكرم نفس، وحميد خلق. أخبرني أنه رأى نفسه في صورة جارية طيبة، وهي تشكو مما تلقى منه، وكان معها في أرفع مقامات المجاهدة. قال: فقلت : «حسبك ما ترين وآرْضَيْ بقسمة الله».

---

(1) انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 2، صص. 38–40.

(2) الفدّان : يقصد به عند المغاربة : الحقل.

(3) انظر دور عبد الله بن ياسين (ت.451هـ) في نشأة الدولة المرابطية، في «**الإستقصا**» لأحمد بن خالد الناصري، ج 2، ص. 7 فما بعد.

وأخبرني أيضا أنه رأى في منامه أولياء قطره، وسماهم واحدا واحدا ووصف بعضهم، أعني أمواتهم، فقدَّموه للصلاة بهم، فصلى بهم بسورة «والضحى»[4] وأخرى نسيتها الآن، قال ثم رأيتهم مرة أخرى وبي فاقة، فناولني منهم سيدي أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي[5] درهما وقال لي: يقولون لك: خذ هذا وارتفق به[6]، فلم أهتم بعده بشأن الرزق، وله جولة لقي فيها أهل المجاهدات، وأرباب المقامات، وأطال المغيب فيها، حتى جاءت سنة جدب عدم فيها الزرع ببلادنا، فعمد بعض صغارنا لبيت التبن فاستخرج منه من الزرع ما قضت العادة أنه لا يوجد مع التبن بعد ذروه، فكنا نختلف إليه ونأخذ منه القوت الكافي لكل يوم، حتى قدم فأخبرناه فقال : «الحمد لله الذي أحسن فيكم الخلافة بفضله».

علمني وأنا ابن سبع سنين معنى الشهادتين وقواعد الإسلام، وفريضة الحمد والشكر، والصلاة على النبي ﷺ وصفة الوضوء والتيمم، وكيفية أداء الصلاة والإطمئنان فيها والترسل والسكينة والوقار، وجلسة النبي ﷺ على صدور القدمين، وآداب الأكل والشرب والنوم، وحماني من كلفة الأسباب، وكان يقول لبقية الإخوة: دعوه لما هو أهله، وكان رأى ــ قبل ولادتي ــ أن الخضر عليه السلام ناوله سيفا مسلولا يرى أني هو، فخصصت بمزيد المحبة والإهتبال[7] منه. ولأجل ذلك لما فارقته لطلب العلم وقدمت مدينة تارودانت ــ قاعدة السوس ــ لأخذ العلم ممَّن بها من المشايخ، جعل هاتف يهتف به إذا خلا ويقول له : تدارك ولدك واجتلبه من المدينة وإلا هلك، ولم يزل به حتى أتاني على نية الإنصراف بي، فقلت له ارجع، ذلك شيطان، ارجع فإنه لا يعاودك إذا عرفت الآن أنه هو، فرجع فكان الأمر كذلك، فقال: الحمد لله الذي وفقك وأنت صغير لفهم كيده، والشيطان إذا أتى من قبل النصح قل أن يفطن له، وكنت أسمعه كثيرا ينشد في الرضى والتسليم هذا البيت : [الطويل]

قضاؤك محتوم وأمرك نافذ   وما شئت من شيء فليس له رد

(4) هي السورة 93 حسب ترتيب المصحف.

(5) ولد بسبتة عام 524هـ ونزل بمراكش إلى أن توفي بها سنة 600 (انظر ترجمته في : «**التشوف إلى رجال التصوف**» لابن الزيات بتحقيق أحمد التوفيق، ص. 451 فما بعد؛ وانظر أيضا المراجع التي أحال عليها الحسين أفا في «**ديوان الحسن البونعماني**»، ص. 366، هامش 49).

(6) ارتفق به : انتفع به.

(7) الإهتبال : الإهتمام والإعتناء.

وكان يحفظ من الأدعية المأثورة عن ظهر قلب قريبا من مثل المُفَصَّل[8]، ويقول : ما حفظته إلا بالسماع من المشايخ.

وقال لي : كن فقيها وفقيرا، ولا تكن أحدهما فقط، فيفوتك حميد أخلاق أحد الفريقين، والسلامة في الجمع بينهما، وبذلك أيضا تسلم من مذموم صفات الفقهاء التي منها حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة[9] في أخواتها ومن مذموم صفات الفقراء التي منها الدعوى في أخواتها، والدعوى رأس كل ضلالة واستدراج، ثم عض بالنواجذ على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، واعتزل الناس ما أمكنك، فإني سمعت شيخنا ولي الله الشيخ الرباني سيدي أحمد بن موسى[10] رضي الله عنه ونفعنا به يقول : «ما أهلك الناس إلا الناس، ولو سلم الناس من الناس لاستقاموا جميعا».
قلت: ولله در الإمام أبي القاسم ابن الشاط[11] حيث قال في هذا المعنى : [الكامل]

إني سلكت من انقباضي مسلكا　　وجريت من صمتي على منهاج
وتركت أقوال البرية جانبا　　كي لا أميز مادحا من هاج

ولما احتضر، رأيت سبحته سقطت من يده على وسادته، فقلت له لا تغفل عن الله، فقال : لا أغفل عن الله في الدنيا ولا في الآخرة. وكان بعض أهله رأى سيدي أحمد بن موسى رضي الله عنه قبل مرضه ناوله قرصة خبز، وقال له انطلق فقصها عليه، ففهم منها قرب أجله، توفي شهيدا بالطاعون الواقع بالمغرب بعد ألف

---

(8) المَفصَّل : يُطلَق هذا الاسم على سور القرآن القصيرة ابتداء من «**سورة الحجرات**» على الصحيح. قال السيوطي في «**الإتقان**» (ج 1، صص. 63-64) : «والمفصل ما ولي المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل : لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضا، كما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : «إن الذي تدعونه المفصَّل هو المحكم»، وآخره «**سورة الناس**» بلا نزاع... (إلى أن قال) «للمفصل طوال وأوساط وقصار، قال ابن معن : فطواله إلى «**عمَّ**»، وأوساطه منها إلى «**الضحى**». ومنها إلى آخر القرآن قصاره، وهذا أقرب ما قيل فيه».

(9) قال عبد الواحد بن عاشر في «**المرشد المعين**» :

رَأسُ الخطايا هو حب العاجلة　　ليس الدوا إلا في الإضطرار له

(«**حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة الصغير على المرشد المعين**»، ج 2، ص. 235).

(10) هو دفين تازروالت، وضريحه مزارة مشهورة، يقام عليه موسم سَنَويٌّ حافل. ولد سنة 853، وتوفي - وهو ابن 118 سنة - عام 971هـ (انظر ترجمته في : «**المعسول**»، ج 12، صص. 5-67، و«**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 17 فما بعد).

(11) هو أبو محمد - وأبو القاسم - قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري نزيل سبتة، المتوفى سنة 723هـ. (انظر ترجمته في: «**الإحاطة**»، ج 4، ص. 259؛ و«**الديباج المذهب**»، ص. 225-226؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 1089-1090).

وخمسة أعوام، عند غروب شمس يوم الإثنين الثامن والعشرين من ذي قعدة سنة سبع وألف، ودفن بالمقبرة الجديدة التي على الجادة[12] بالربع، أحد أحواز مدينة تارودانت، وبه توفي جميع الإخوة رحمهم الله، وقلت في مصابهم : [الطويل]

بكيت على عُمَّي[13] وصنوي وفتية — إذا قلت: أما بعد، قالوا : فما الخطب ؟
تواعدوا مورود المنية إنهم — مواعدهم إخلافها لم يكن دأبُ
سراعا إليها واحدا إثر واحد — كفعلهمُ متى يكن بهم الندب
تجرعت من فُرقاتِهم كل غصة — وأُلفِيتُ حِلْفَ حُزن دام به الكرب
وفي كبدي والقلب من صدماتهم — نُدوب يَسَّوَّى بالسُّواء لها العضب
سأبكيهم والدهر في ذاك منجدي — وإن ترقأ[14] العينان بعدُ بكَى القلب[15]
وأجمل شيء أنني قد فقدتهم — وأجريَ عند الله في فقدهم يربو
فيا دِيمَةَ الرضوان صوبا صوبا عليهم — وصوبا إلى روضاتهم أيها الصوب

سند حديث السبحة

وقد رأيت أن أثبت هنا **حديث السبحة**، لأن كثيرا من الطلبة ينكرها ويزعم ـ لجهله بأثر السلف ـ أنها بدعة، فأقول وبالله أستعين: حدثني الفقيه الصالح الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى الجزولي التامانرتي[16]، قال: حدثني الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن الشيخ الإمام القدوة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الجزولي التامنارتي[17]، قال: حدثني شيخي الفقيه الإمام الراوية البحر الفهامة، ولي الله تعالى أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد العزيز الجزولي الحامدي[18]، قال: حدثني سيدي منصور بن أحمد بن إبراهيم بن

---

(12) الجادة : الطريق. والمراد بهذه المقبرة مقبرة سيدي أبي الذهب الواقعة خارج باب الزركّان، على يمين طريق السيارات المؤدي إلى أكَادير، وقد طمست معالمها في الآونة الأخيرة، ولم يبق منها الآن إلا ضريح سيدي أبي الذهب المتواضع.

(13) العُمُّ : جمع عميمة، وهي النخلة الطويلة.

(14) ترقأ : تسكن.

(15) الشطر الثاني من هذا البيت مأخوذ من قول الشريف الرضي رحمه الله :

ولقد مررت على ربوعهم — وطلولُها بيد البِلى نَهبُ
فبكيت حتى ضَجَّ من لغب — نِضْوِي ولَجَّ بعذلي الركب
وتلفتت عيني، فمذ خفيت — عني الطلول تلفت القلب

(16) انظر ترجمته في ص. 131.

(17) انظر ترجمته في «المعسول»، ج 7، ص. 47.

(18) انظر ترجمته في صص. 121–122.

حرزوز رحمه الله ويكنى أبا علي، قال: حدثني سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن سليمان الراشدي نسبا الجزائري مسكنا التونسي موطنا وفي يده سبحة، قال: أخبرني شيخنا أبو إسحاق سيدي إبراهيم بن محمد اللَّنْتِي التازي[19] إجازة تلفظ لي بها، قال: أخبرني أبو الفتح بن زين الدين العثماني[20] إجازة تلفظ لي بها، قال: أخبرني أبو العباس أحمد بن أبي بكر الردادي[21] ورأيت في يده سبحة، قال: أخبرني مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب البكري الصديقي[22] ورأيت في يده سبحة، قال: أخبرني جمال الدين يوسف بن محمد السُّرَّمَري[23] ورأيت في يده سبحة، قال: قرأت على تقي الدين بن أبي الثنا[24] محمود بن علي ورأيت في يده سبحة، قال: أخبرني مجد الدين عبد الصمد[25] بن أبي الجيش[26] المقرئ ورأيت في

---

(19) هو الشيخ الجليل أبو إسحاق سيدي إبراهيم بن محمد بن علي اللَّنْتِي التازي. كان رحمه الله عالما زاهدا، له كرامات كثيرة، وقصائد جليلة، تنبئ عن عظيم مقداره، وفيها حكم رائعة. نزل وهران واستقر بها. وأصله من بني لِنْت قبيلة من بربر تازة، وشهر بالتازي لولادته بها. توفي يوم الأحد تاسع شعبان سنة 866هـ. (انظر : **«البستان في الأولياء والعلماء بتلمسان»** لابن مريم التلمساني (مخطوط مصور بخزانة الدكتور إبراهيم الوافي، صص. 63-68. وقد ترجم له كذلك ابن صعد التلمساني في **«النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب»**، وفي **«روضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين»** - وهم سدي مَحمد الهواري، وإبراهيم التازي، والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري). وفي إبراهيم التازي يلتقي سند أثر السبحة عند الحنارني بسند السبحة عند الشيخ الأمير (انظر **«سد الأرب من علوم الإسناد والأدب»** لأبي عبد الله محمد الأمير، ص. 186) وبسند المسلسل بمناولة السبحة عند عبد الحفيظ الفاسي (انظر **«الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات»**، ص. 224).

(20) في **«سد الأرب»** و**«الآيات البينات»** : المراغي، عوض العثماني.

(21) في **«سد الأرب»** و**«الآيات البينات»** : الرُّداد، دون ياء النسب.

(22) في **«سد الأرب»** و**«الآيات البينات»**: الفيروزابادي، عوض البكري الصديقي.

(23) بضم السين المهملة وفتح الراء المشددة الأولى، وفتح الميم، بعده راء ثانية، نسبة إلى **سُرَّ مَن رَأَى** مدينة بين بغداد وتكريت، انشأها المعتصم بالله. ويقال لها سامرّا أيضا (**«سد الأرب مع نهاية المطلب - تعليقات على سد الأرب»** لمحمد ياسين بن عيسى الفاداني المكي، ص. 187، هامش 1).

(24) في النسخ المعتمدة، وفي **«الآيات البينات»** : تقي الدين بن أبي الثناء؛ وفي **«سد الأرب»**، تقي الدين أبي الثناء - بدون ابن - (انظر ترجمته في **«نهاية المطلب»** المطبوع مع **«سد الأرب»**)، ص. 187، هامش 2).

(25) هو مجد الدين أبو أحمد وأبو الخير عبد الصمد بن عبد القادر بن أبي الجيش البغدادي المقرئ النحوي اللغوي الفقيه، ولد عام 593هـ ببغداد، وتوفي عام 676هـ. (**«نهاية المطلب»** المطبوع مع **«سد الأرب»**)، ص. 187. هامش 3).

(26) في **«الآيات البينات»** : عبد الصمد بن أبي الحسن.

يده سبحة، قال: قرأت على أبي الفضل[27] محمد بن ناصر ورأيت في يده سبحة، قال: قرأت على أبي محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي[28] ورأيت في يده سبحة، قال: قلت له: سمعت أبا بكر محمد بن علي السلامي الحداد[29] ورأيت في يده سبحة، فقال: نعم رأيت أبا نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر[30] ورأيت في يده سبحة، قال: رأيت أبا الحسن علي بن الحسن بن القاسم الصوفي وفي يده سبحة، قال: سمعت أبا الحسن يقول: وقد رأيت المالكي[31] وفي يده سبحة، فقلت: يا أستاذي وأنت إلى الآن مع السبحة، قال: كذلك رأيت أستاذي الجنيد[32] وفي يده سبحة، فقلت: يا أستاذي وأنت إلى الآن مع السبحة، قال: كذلك رأيت أستاذي السري بن المغلس السقطي[33] وفي يده سبحة، فقلت: يا أستاذي وأنت إلى الآن مع السبحة، فقال: كذلك رأيت أستاذي معروفا الكرخي[34] وفي يده سبحة، فسألته عما سألتني عنه، قال: كذلك رأيت أستاذي بشرا الحافي وفي يده سبحة، فسألته عما سألتني عنه، فقال: رأيت أستاذي الحسن البصري[35] وفي يده سبحة،

---

(27) في «**سد الأرب**» : «عبد الصمد بن أبي الجيش المقرئ عن أبيه عن أبي الفضل». وفي «**الآيات البينات**» : «عبد الصمد بن أبي الحسن المقري نا أبي علي نا أبو الفضل».

(28) ولد بدمشق سنة 444هـ، ودخل إلى نيسابور وأصبهان وعني بالحديث، ومات سنة 516هـ («**نهاية المطلب**» المطبوع مع «**سد الأرب**»، ص. 188، هامش 1).

(29) توفي ليلة الخميس 3 جمادى الأولى عام 468هـ («**نهاية المطلب**»، ص. 188، هامش 2).

(30) المري الدمشقي الحافظ. مات في شوال عام 425هـ. («**نهاية المطلب**» ص. 188، هامش 3).

(31) هكذا في النسخ المعتمدة هنا وفي ص.221؛ وفي «**سد الأرب**» (ص. 188): «سمعت أبا الحسن المالكي وقد رأيته وفي يده سبحة، فقلت : يا أستاذ»؛ وفي «**الآيات البينات**» : «ناولني السبحة أبو الحسن علي بن الحسن بن القاسم البغدادي ثم الطرسوسي الصوفي، ورأيتها في يده قال : ناولنيها أبو الحسن عمر بن علوان المالكي ورأيتها في يده فقلت له : يا أستاذ».

(32) هو شيخ الصوفية أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري الخزار : أصله من نهاوند ونشأ بالعراق. توفي سنة 298هـ («**نهاية المطلب**»، ص. 188، هامش 5).

(33) هو أحد الأولياء الكبار، أبو الحسن البغدادي، وله أحوال وكرامات، وهو خال الجنيد وأستاذه، وتلميذ معروف الكرخي، توفي سنة 253هـ عن نيف وتسعين سنة. («**نهاية المطلب**»، ص. 188، هامش 6).

(34) أبو محفوظ الزاهد، وله أحوال وكرامات، أسلم على يد علي بن موسى الرضا، ورجع إلى أبويه ــ وكانا نصرانيين ــ فأسلما، توفي سنة 200هـ («**نهاية المطلب**»، ص. 189، هامش 1).

(35) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار، إمام أهل البصرة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (ض). توفي سنة 110هـ (انظر «**تهذيب الأسماء واللغات**» للنووي، الجزء الأول من القسم الأول، ص. 161؛ و«**حلية الأولياء**» لأبي نعيم، المجلد الثاني، ص. 131، رقم الترجمة 169)؛ وفي «**سد الأرب**»، ص. 189؛ و«**الآيات البينات**»، ص. 225 واسطة بين بشر الحافي والحسن البصري، وهي عمر المكي.

فقلت له : يا أستاذي، مع عظم شأنك وحسن عبادتك، وأنت إلى الآن مع السبحة، فقال[36]: هذا شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات، أنا أحب أن أذكر الله تعالى في قلبي ويدي ولساني. قال الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي بكر الردادي[37]: تبين من قول الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ أن السبحة كانت موجودة متخذة في عصر الصحابة رضي الله عنهم، لقوله: هذا شيء كنا استعملناه في البدايات؛ وبداية الحسن من غير شك كانت مع أصحاب رسول الله ﷺ، فإنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورأى عثمان وعليا وطلحة رضي الله عنهم، وحضر يوم الدار في قصة عثمان وعمره أربع عشرة سنة، وروى عن عثمان وعلي[38] وعمران بن حصين ومعقل بن يسار وأبي بكرة وابي موسى وابن عباس وجابر بن عبد الله وخلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم. فاعرف هذا السند[39]، فإنه غريب. وبالله التوفيق.

مشايخه

1 ـ منهم الشيخ الجامع الواصل الرباني العارف بالله أبو العباس سيدي أحمد ابن موسى بن عيسى بن عمر بن أبي بكر الجزولي السملالي صاحب تازروالت.

2 ـ ومنهم الشيخ الفقيه الصالح المقدم العالم العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم الجزولي التامانرتي[40].

3ـ4 ـ ومنهم ولداه الإمامان الناقدان، والفرقدان المتقدان، أبو إسحاق سيدي إبراهيم وأبو عبد الله سيدي محمد[41] وهو الذي قدمه لتغيير المناكر ببلدنا، فبلغه أن أهل اللهو أرادوا الفتك به، فبات ساهرا يترصدهم بسلاحه حتى أصبح،

---

(36) في ص. 74221؛ وفي «سد الأرب»، ص. 189؛ و«الآيات البينات»، ص. 225 : فقال لي.

(37) في «سد الأرب» : الرداد.

(38) في «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (الجزء الأول من القسم الأول، ص. 161) «قيل إنه [أي الحسن البصري] لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولم يصح». ونقل السخاوي عن شيخه ابن حجر وغيره أن الحسن لم يثبت سماعه من علي («المقاصد الحسنة»، ص. 331). وذهب عبد الله بن محمد بن الصديق إلى ثبوت سماع الحسن من علي (انظر «المقاصد الحسنة»، ص. 331، هامش 2، وص. 375، هامش 1). وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في ص. 218، هامش 129.

(39) أورد التمنارتي أثر السبحة بهذا السند نفسه في ص. 220ـ221.

(40) ستأتي ترجمته في ص. 169.

(41) انظر ترجمتهما في ص. 171.

فذهب إليه فأخبره، فقال: شاركني في ثوابك ففي مثلها ضرب غيرك لأقاصي الثغور.

وسيأتي ذكر الأربعة وبعض أخبارهم ووفياتهم في ترجمة شيخنا أبي محمد عبد الله بن المبارك[42] لمشاركته إياه فيهم إن شاء الله تعالى.

5 ـ ومنهم الشيخ الصالح الزاهد العابد الناسك المتجرد المعمر سيدي أحمد ابن محمد المعروف بالسائح الحاحي[43]، كان عابدا زاهدا معمرا، وله تربية مليحة وعبادة صحيحة، وزهد فائق، وورع تام، لم يتمسك من الدنيا ولا من أهلها بما يزن ذرة، ولا استبد منها بحلوة ولا بمرة، وكان عيشه من كسور الخبز التي تشيط[44] عن الفقراء، فربما كانت عفنة فيبلها بالماء حتى تتيسر عليه، وكان يصوم الدهر على ذلك وعلى كبر سنه. أخبرني تلميذه الفقير يبورك بن الحسين الهلالي، أنه نزلت بساحله سفائن كثيرة لا يشك أنها للعدو ففزعنا إليه فأخبرناه وهو راقد لقى ما به حراك فجعل يتمخض في كسائه يحاول القيام ويقول: «هاتوا سكيني، أين سكيني ؟» وهو في تلك الحالة، ثم رأينا السفن أقلعت ورجعت لحالها بلا سبب، وكنا نرى أن ذلك من بركته، توفي يوم الجمعة في أحد شهور سنة سبع وتسعين وتسعمائة، ودفن بمسجد إغَانِيمْنْ بساحل حاحة، ومشى لزيارته شيخنا أبو الفضل يحيى بن عبد الله أيده الله، فأنشد على قبره : [المتقارب]

أرقت لمستهدي[45] سانح	وشوق لمحتمـــــل نازح
يذكرنيــــه مرور الصبـــــا	فأرتــاح من طيبــه الرائـــح
وقائلــــة لم شددت المطـــا	وأنضيتها فعلـــة الطائـــح ؟[46]
فقـــلت ذرينـــي فإني قصد	ت زيـــارة سيدنـــا السائـــح
لعلي أنـــال بها رغبتـــي	من المحسن الخاتم الفاتـــح
وصلى الإلــه على المصطفـــى	مؤمـــل كـــل تـــق صالـــح

(42) وردت ترجمته في ص. 167.

(43) انظر ترجمته في «مناقب» الحضيكي، ج 1، ص. 35؛ وانظر أيضا «المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة» للفقيه إذ آبراهيم إبراهيم التامري، ج 1، ص. 37.

(44) تشيط : كلمة عامية معناها : تفضُل، وتبقى بعد الأكل.

(45) كذا في النسخ المعتمدة.

(46) الطائح : التائه في الأرض.

6 ـ ومنهم الولي الصالح الزاهد الجواد الكريم أبو عبد الله سيدي محمد بن وِسَعْدْنْ السوسي السكتاني[47]، بحر الوجود الزاخر وقطب دائرة السماح الفاخر، وله تربية حسنة في تهذيب الأخلاق وتصفية الباطن وسلامة الصدر وسخاء النفس، وهي مدار علم التصوف. قام بإطعام الطعام أربعين سنة بعد رجوعه من سياحته على أتم وجه وأكمل حال مع كثرة من يرد عليه ويقصده من الضعفة والمساكين وطوائف الزائرين في سني المساغب[48] وبلاد الضيق. وكانت تكون في زاويته سبعمائة طالب مترتبين للقراءة، قال والدي : وعهد إلي في توفير طعامهم ومراقبته حرصا عليهم وعناية بهم وكان يفرق فيهم وفي غيرهم أنواعا من الثياب وأموالا جزيلة ولا يرد طالبا قل مطلبه أو كثر، ولا يدخر من الدنيا شيئا ولا يختص به، ولم يأخذ أحد في بلادنا المغربية ـ فيما ظهر لنا ـ بمقتضى الأثر في بت[49] الدنيا ورفضها غيره، فإنه لم يتأثل[50] منها أصلا ولا فرعا، مع وفور ما جرى على يده منها، حتى ظن بعض من جهل فضل الله أن ذلك من سحر أوتيَه، وأنه يقلب عين الرماد دقيقا، فكتب قراطيس، فدسها إلى رجل يرميها في قدور الطبخ، فجاء مختفيا فخرج إليه وقال له: لترمينها. فرمى بها في القدور، ثم قال له: كم عسى أن يكون هنا من الرماد؟ فقال له الرجل: قليل، فقال له: وكم ترى ما يطعم هنا من الدقيق ؟ فقال: غرائر وأوسق لا تجمع قطعا من رماد القرية كلها، فقال له : قل ذلك لصاحب قراطيسك، وقل له: «يقول لك : هات أنت الطعام للمساكين من الرماد أو من التراب إن أمكنك»، ثم قال له : «والله لو أن السماء عاد سقفها حديدا، والأرض عاد وجهها رمادا، لما انقطع فضل الله الذي آتاني..».

قال والدي : وكان الفقراء يوما يتكلمون بحضرته فيمن يقطع من أولياء الله تعالى المسافة البعيدة في يسير المدة، وفيمن تطوى له الأرض، وفيمن تصير الدنيا كلها تحت قدمه الواحدة، فقال لهم : ليس هذا عندي بعجب، إنما العجب عندي الذي

---

(47) ترجم له ابن عسكر في «**دوحة الناشر**»، ص. 113؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، ص. 14؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 19، صص. 230-240؛ و«**خلال جزولة**»، ج 3، ص. 153؛ و«**سوس العالمة**»، ص. 159؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**»، ج 2، صص. 565-566.

(48) المساغب : المجاعات.

(49) بت الدنيا : رفضها وطلاقها طلاقا باتا.

(50) يتأثل : يكتسب.

يسير في مقدار شبره عمره فلا يقطعه، فقام وتركهم فاستغربوا كلامه ولم يفهموه، قال والدي: فتبعته واستفسرته فقال لي: شبر البطن ففيها تستغرق أزمنة الأعمار الطائلة فلا تبلغ غايتها، قال والدي: وكان له بالضعفاء والمساكين رأفة تامة وشفقة عامة يتفقد أحوالهم ويتعهد مرضاهم بإماطة الأذى وطلاء الحناء وغسل أوساخهم، ويقول: من لأصحاب المسوخ من بعدي، وإلى أين كسرتهم؟ ونقم عليه أهل المغرب الإنتصار للسلطان محمد بن عبد الله حين تغلب عليه السلطان عبد الملك وحاجهم بالسنة وتقدم بيعته، وكان يقول لهم: هذا سلطانكم، فحسبت العامة أنه يملك في المستقبل. ولما لم يتم له أمره، نسبوه إلى الكذب، وهو إنما أراد هو سلطانكم بمقتضى السنة، لأنه المبايع أولا. وقولة الحق بالمغرب غريبة. قال والدي : ولما قربت وفاته، استدعاني لخلوته وكنت أخص الناس به فسارني بقرب أجله، وعين لي وقت وفاته بين الظهر والعصر من يوم الأربعاء، وأنه لا يحضره أحد من بنيه، وأن فلانا وفلانا، من فقرائه لا يحضرانه، وأوصاني بالقيام بشأنه، فلم يَمض إلا أيام قليلة فوقع الكل على الصفة التي ذكر، فتوفي ودفناه في بعض مسجده، وكنت أبيت به، فبينما أنا نائم في الليلة الثالثة لدفنه، إذ سمعت دويا عظيما ورأيت المسجد وزواياه يتشعشع نورا حتى استيقظت من ذلك، ولما أصبحت، قال لي بعض ولده: إن قائلا يقول لي البارحة في النوم: «إن شئتم الألواح التي كانت على والدكم، فخذوها فقد رفعناه». فعلمت أن الذي رأيت لذلك، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وتسعمائة.

وأخذ عن الفلاح[51] عن التباع[52] عن القطب أبي عبد الله سيدي محمد بن سليمان الجزولي[53].

(51) هو أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاحي المراكشي، المعروف بالفلاح. وهو من أصحاب الشيخ عبد العزيز التباع، وخليفته من بعده. توفي في ربيع الأول سنة 933هـ، ودفن بقبة القاضي عياض داخل باب أيلان بمراكش (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، ص. 100؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 189).

(52) هو شيخ المشايخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق التبّاع المراكشي المعروف بالحَرَّار، نسبة إلى صنعة الحرير، إذ كان حرَّارا في بداية أمره. صحب أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، فكان وارث سره من بعده. انتفع المريدون بتربيته، فكثر المشايخ الذين تتلمذوا عليه. توفي سنة 914هـ، وضريحه بمراكش مزارة مشهورة. وهو أحد الرجال السبعة المشهورين بمراكش. (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، ص. 136؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 188؛ و«**ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع، وما لهما من الأتباع**» لمحمد المهدي الفاسي).

(53) وضع سيدي محمد بن عبد الله الروداني ترجمة مختصرة للجزولي كما قام برحلة تحقيق موقع «أفوغال» وندرج ذلك فيما يلي : =

= الإمام الجزولي هو الشيخ الإمام أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي السملالي يتصل نسبه بسيدنا الحسن ابن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وهو صاحب «**دلائل الخيرات**»، وموطنه من سملالة بقبيلة جزولة بقرية تانْكَرْتْ(1) بإفران بالقطر السوسي، وفاقا لما في أواخر ترجمته من «**ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع**» لسيدي المهدي بن أحمد بن علي بن سيدي يوسف الفاسي. وقد وقفت على أن الجزولي مولود بقبيلة إدا وسملال في قرية أيت مولاي.

وقد خرج من بلده بقصد الحج فحج وعاد لبلده، ثم خرج خرجة أخرى لا ندري غايته منها؛ إلا أننا نعرف أنه استقر بفاس وكان فيها من كبار العلماء العاملين وأن فيها ألف كتابه «**دلائل الخيرات**» الذي شرق وغرب وأسدل الله عليه القبول إلى الآن وشاهد له الناس من البركات والأسرار ما لا يعرفه إلا ذووه. وعبارته فيه تدل على مكانته في العلم والعمل والإطلاع العلمي، كما هو الأمر بالنسبة للمولى عبد السلام ابن مشيش في صلاته المشيشية، وللشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي في دعائه الشهير : «يا من إلى رحمته المفر» إلخ. فعليها كلها مسحة العلم والقبول. قالوا : وكان يسكن بمدرسة الصفارين المعروفة بأن في داخل بيوتها بيوتا أخرى يختزن فيها الطلبة أزوادهم وأعلاقهم، وكان لا يسمح لأحد بدخول بيته الداخلي، فظن الطلبة أنه يختزن فيه مالًا فأعلموا والده فجاء إليه وأمره بفتح البيت فلم يجد فيه سوى أنه خلوة للعبادة وأن جدرانه مليئة بلفظ الموت.

ومن فاس ساقته الأقدار، التي تقود السعداء مثله إلى سعادتهم، لحضرة الشيخ أبي عبد الله أمغار الصغير بعين الفطر المعروف بـ«ـطيط» ـ أي العين ـ بساحل دكالة، فألقى لديه عصا التسيار واستقرت به النوى، وهناك دخل الخلوة أربعة عشر عاما. ولما خرج منها، أمره شيخه هذا بالإشتغال بإرشاد الناس إلى طريق الله، فاستقر بمدينة أسفي، فقصده الناس ليوجههم إلى الطريق الموصل إلى الله؛ ولكن حاكم أسفي ضاق ذرعا بما يجتمع على الشيخ من المريدين.

وهنا يبدأ اضطراب في ترجمة الشيخ رضي الله عنه: فمن قائل إنه ذهب لأفوغال ببلاد مطرازة وبه أقام حتى توفي مسموما من بعض الفقهاء إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى وإما في السجدة الأولى من الركعة الثانية من صلاة الصبح عام 870هـ، وهذا ما رجحه مؤرخه سيدي المهدي الفاسي. ولما مات، حمله عمر السياف في نعش لغرض سياسي مدة عشرين سنة ثم دفن بتازروت (بزاي مفخمة) وقبته باقية بها إلى الآن، فنقله أهل أفوغال إلى بلدهم فدفنوه بأفوغال سبعين سنة حتى قامت الدولة السعدية فنقله السلطان أحمد الأعرج إلى حيث مدفنه الآن برياض العروس بمراكش.

أمّا فيما يرجع لسرد حوادث حياته، ومنزلته الدينية الصوفية التي أغدق الناس عليه كل هذا الإهتمام من أجلها، فليراجعها من شاءها في «**ممتع الأسماع**»، فلا نطيل بها، ولست في درجة سيدي المهدي الفاسي، وإني أقول لنفسي : «ليس بعشك فادرجي».

ثم إني كثيرا ما أتساءل عن موقع أفوغال هذا وأبحث عنه في الكتب، فلم أجد من عينه ودققه كما أتساءل عن سبب تسمية محل آخر في حاحة بسيدي مَحمد بن سليمان، مع أننا نجد مدفنه برياض العروس بمراكش، فعولت على أعمال القَدَم والسفر للبحث عن ذلك وتعيينه بالتدقيق.

ففي يوم الإثنين سابع جمدى الثانية عام 1398هـ الموافق 15-5-1978م، خرجت من مراكش صحبة صديقنا محب العلماء السيد عزيزي مولاي إدريس في سيارته قاصدين سوق الإثنين في قرية إيمي ن ثليثْ (بتسكين التاءين) بقبيلة نكنافة من قبائل حاحة، إذ في تلك الناحية أشار علينا بعض الناس أن نبحث عن مقام سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي فخيل إلي أن أجد معه أفوغال أيضا. فلما وصلنا =

= السوق جعلت أسأل المسنين عن أفوغال إلى قرب الظهر فلم أجد أحدا يعرفه، وإنما يقولون إن سيدي محمد بن سليمان قريب من هذا المحل في طريق وعر جدا، فقررنا الذهاب إليه بعد أن أخذنا معنا دليلا من أهل البلد، فسرنا في «مبهمات الطرق» وإن كانت مخضرة بأشجار الزيتون واللوز وعلى حذر من ارتطام السيارة بالصخور.

وأخيرا أشار إلينا الدليل إلى جامور قُبَّة سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي؛ فإذا هي على قمة صخرة سامقة منفردة عن الجبل الذي كانت طرفا منه، ومن حولها صخور أخرى مثلها في الإنقطاع والإنفراد وإن كانت أصغر منها، وكل واحدة من هذه الصخور تكون كتلة عظيمة. وأظن أن قدماء العراقيين (الآشوريين) فيما قبل التاريخ لو وجدوها في بلادهم لاتخذوها مراصدهم للنجوم بدل أبراجهم الناطحة للسحاب التي كانوا يسمونها «الزاقورات» ومن حولها الوادي المتسع الفسيح المسامت للجبل الوعر فذكرني ذلك بقول الله تعالى : ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي﴾، لأن كل صخرة من تلك الصخور تتسع لأن يجاب فيها كل ما يراد من البيوت والكهوف.

فتركت السيارة وتقدمت أنا والدليل نحو القبة التي قيل لنا في السوق إن فيها أستاذا وطلبة على عادة المدارس الموجودة بالقطر السوسي وأحواز مراكش حول مشاهد كبار الصالحين، وإني أتمنى الإتصال بالأستاذ عسى أن أجد عنده ما أريد من المعلومات عن أفوغال وعن الإمام الجزولي.

فأرهقت نفسي، بالرغم من ضعفي وأمراضي، بتسلق الصخرة العظمى من الملتويات والمنعرجات المحيطة بها حتى بلغنا القمة فإذا فيها قبة بداخلها قبر عليه دربوز مغطى بغطاء أحمر فسلمت عليه وقرأت سورتي **الفاتحة والإخلاص** عدة مرات أهديت له ثوابها ودعوت الله عنده بما أرجو عنه الإستجابة.

كل ذلك وأنا أتوقع عبثا أن أرى بعض الطلبة الذين قيل لي إنهم يبلغون نحو الخمسين في تلك المدرسة. ولما انكفأت مع الدليل من القبة العليا، صادفت في أحد تلك المنعرجات شخصا في نحو الثلاثين من عمره ولاحظت من ملامحه أنه أصغر ممن جرت العادة بأن يترأسوا مثل تلك المدارس ممن يتجاوزون الأربعين عادة وقد وخطهم الشيب، وأكبر ممن يكون عندهم من الطلبة عادة. ولما لم أجد غيره، رجحت أنه الوحيد الذي هناك، فسلمت عليه وقلت له : لعل سيادتكم فقيه هذه المدرسة، فقال : نعم.

وكان أول ما سألته عنه أفوغال، فقال إنه يوجد بدوار سيدي علي بن معاشو بقبيلة الشياظمة وأكد لي ذلك. وسألته لماذا نسبت هذه الزاوية إلى سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي، فأجاب بأنه مات بأفوغال ودفن، ثم نقل إلى هذا المحل المسمى تاصْروت – الصخرة – في وادي تيمسورين بفخذ إدّا وخلف بقبيلة نكنافة من قبائل حاحة. ثم بعد ذلك نقل إلى مراكش. وفي كل من هذه الأماكن الثلاثة يوجد له قبر وجسم، ثم قال : إن مثل هذا لا يستغرب في حق من خصهم الله بتعداد الأجسام. فسايرته في ذلك لا لنكراني لقدرة صالحي المسلمين على التصرف وتعدد الأجسام على نحو ما ذكره الأفراني في «**صفوة من انتشر**» عن سيدي عبد الله بن موسى دفين قرية أولاد علاك قرب أولاد برحيل برأس وادي سوس، ولكن لأن أي واحد ممن عاشروا الشيخ وأخذوا عنه في حياته أو كتبوا عنه لم يذكر ذلك، وهذا في تعدد الأجسام فقط. وأما تعدد القبور بتعدد الدفن فيها ثم النقل، فمن الممكن والواقع كما تحتمله أخباره في «**ممتع الأسماع**».

وهذا الفقيه تسمى لي بأنه سيدي محمد بن محمد الدمناتي وأنه متلقب في حالته المدنية بالشاطبي وأنه أخذ ما عنده من معلومات بأولاد أبي السباع القاطنين بأحواز مراكش.

ولما وصفت له استغرابي لتلك الصخور وارتعابي منها، قال : إنها كما يقول صاحب القصيدة العربية الشلحية المزدوجة، وهو قوله : =

سند حديث الضيافة

وقد رأيت أن أثبت في هذا الموضع **حديث الضيافة، لأن** هذا الشيخ كثير الضيوف، وكان سماطُه[54] يشبه سِماطَ إبراهيم عليه السلام، وكان الناس يأكلون في زاويته أربع مرات بين الليل والنهار في جميع مدته، فأقول وبالله التوفيق : حدثني الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزولي التامانرتي، وأضافني تمرا وماء، قال: حدثني الفقيه أبو عبد الله محمد ابن الشيخ سيدي إبراهيم ابن الشيخ الصالح سيدي مَحمد بن إبراهيم الجزولي التامانرتي، وأضافني تمرا وماء، قال: حدثني الفقيه الإمام أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد العزيز الجزولي الحامدي، وأضافني تمرا وماء، قال: حدثني سيدي منصور بن أحمد بن إبراهيم بن حرزوز رضي الله عنه، ويكنى أبا علي، وأضافني تمرا وماء، عن سراج الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن علي بن سليمان الراشدي الجزائري نسبا التونسي مسكنا موطنا، وأضافني تمرا وماء، عن أبي إسحاق سيدي إبراهيم بن محمد اللُّنْتي التازي[55] قائلا في إسناده: أضافنا

= **لما بدا لي من بعيد «أجاريف»[1] — يلوح للأبصار مثل «أقافيف»[2]**
فربما شبهته بـ«إنكي»[3] — لِغلظٍ وحِدةٍ كـ«إسكي»[4]
لا يستطيع أحد «أتّ إغلي»[5] — لخوفه من زَلقٍ في «إسلي»[6]

(1) أجاريف : جبل صخري
(2) أقافيف : دخان متصاعد
(3) إينك : واحد الأثافي
(4) إيسك : قرن البقرة أو غيرها
(5) أتّ إغلِي : أن يتسلقه
(6) إسلي : الصخور المنبسطة

وهي أبيات في غاية السلاسة والِانسجام والبلاغة والحلاوة لمن يعرف لغتها، كجميع أبيات القصيدة التي هي منها والمعروفة عند طلبة الشلوح بسوس والحوز بأن صدرها هو :

اسم الإله في الكلام «إزوار»[7] — وهو على عون العبيد «إيزضار»[8]
وهو الذي له جميع «تولغيتين»[9] — وهو المجير عبده من «تومرتين»[10]

(7) إيزوار : سابق
(8) إيزضار : قادر
(9) تولغيتين : الأمداح
(10) تومرتين : المتاعب

وبعد ذلك، اتجه بنا الفاضل صاحب السيارة في الحين إلى دوار سيدي علي بن معاشو بالشياظمة، فإذا هو في محطة «أحد الدرى» عند سوق «ثلثاء الحنشان» بقبيلة الشياظمة على الطريق الرئيس المار من الدار البيضاء إلى أكَادير، وهو نفسه دوار أفوغال وحوله دوار الجوالّة بإدغام اللامين جمعا للجيلالي أو جلول ودوار أيت ابن عبد الله ودوار الجبابرة جمع لجبور، وتسمى في مجموعها بالمعاشات. وبالله التوفيق.

(54) السِّمَاط : ما يُمَدُّ عليه الطعام.

(55) هنا يلتقي سند التمنارتي في الحديث المسلسل بالضيافة، بسند أبي سالم العياشي (**«اقتفاء الأثر»**، ص. 170) وسند الشيخ الأمير **«سد الأرب»**، ص. 185) وسند عبد الحفيظ الفاسي (**«الآيات البينات»**، ص. 290).

الشيخ محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي[56] المدني بمنزله بالمدينة المشرفة، تمرا وماء، وقرأ علينا[57]: أخبرنا نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي اليمني بقراءتي عليه بتَعِزَّ[58] بفتح التاء الفوقية وكسر العين المهملة وتشديد الزاي قال: أخبرني والدي عن تقي الدين عمر بن علي الشعبي[59]، قال: أضافنا شيخنا فخر الدين[60] الطبري على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا فخر الدين[61] محمد بن إبراهيم الجبرتي[62] الفارسي على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا أبو جعفر[63] محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم الصوفي على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا أبو الحسن علي بن الحسن الواعظ على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا أبو شيبة أحمد بن أحمد بن إبراهيم العطار المخزومي على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا جعفر بن محمد بن عاصم الدمشقي على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا نوفل بن إهاب على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا عبد الله بن ميمون القداح على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا جعفر بن محمد الصادق على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا أبي[64] محمد بن علي بن الحسن الباقر على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا أبي علي

---

(56) هو أبو الفتح شرف الدين المولود بالمدينة سنة 775هـ والمتوفى بمكة سنة 859هـ (انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي، ج 6، ص. 283).

(57) في ص. 209 : وقرئنا عليه.

(58) تَعِزّ ـ بفتح التاء وكسر العين وتشديد الزاي ـ : قلعة عظيمة في اليمن («معجم البلدان» لياقوت الحموي، ج 2، ص. 393).

(59) في «سد الأرب» (ص. 85، الهامش) : الشعيشي ـ بشينين معجمتين، بينهما عين مهملة وتحتية.

(60) في «الايات البينات»، ص .291 : محب الدين الطبري.

(61) في «الآيات البينات»، ص. 291 : محب الدين ـ عوض فخر الدين.

(62) في «اقتفاء الأثر»، ص. 171 : الحيري الفارسي.

(63) في «اقتفاء الأثر»، ص. 171؛ و«سد الأرب»، ص. 185، الهامش؛ و«الآيات البينات»، ص. 291 : توجد واسطتان بين الجبرتي الفارسي، وأبي جعفر، وهما : الحافظ أبو العلاء الحسن بن علي الهمداني، وأبو بكر هبة الله بن الفرج الكاتب المعروف بابن أخت الطويل.

(64) في النسخ المعتمدة هنا، وفي ص. 209 : «أبوه». والسياق يقتضي «أبي»، وهو ما في «اقتفاء الأثر»، ص. 171؛ و«سد الأرب»، ص. 185، الهامش؛ و«الآيات البينات»، ص. 291.

ابن الحسين[65] بن علي على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا علي[66] بن أبي طالب كرم الله وجهه على الأسودين التمر والماء، قال: أضافني رسول الله ﷺ على الأسودين التمر والماء، ثم قال : **«من أضاف مومنا فكأنما أضاف آدم، ومن أضاف مومنين فكأنما أضاف آدم وحواء، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائل وإسرافيل، ومن أضاف أربعة فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن أضاف خمسة فكأنما صلى الصلوات الخمس في الجماعة من[67] أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف ستة فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أضاف سبعة غلقت عنه أبواب جهنم السبعة، ومن أضاف ثمانية فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن أضاف تسعة كتب الله له حسنات بعدد من عصاه من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف عشرة كتب الله له أجر من صلى وصام وحج واعتمر إلى يوم القيامة»**[68].

[الشيخ الثاني]

شيخنا الإمام الخطيب المحدث أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد التلمساني، يعرف بابن الوقاد[69]، أصله من تلمسان وبها نشأ، ثم انتقل بعد

(65) ورد في النسخ المعتمدة هنا وفي ص. 209 : علي بن الحسن بن علي. والصواب : علي بن الحسين وهو ما ورد في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 171؛ و«**سد الأرب**»، ص. 185، الهامش؛ و«**الآيات البينات**»، ص. 291.

(66) في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 171؛ و«**سد الأرب**»، ص. 185، الهامش؛ و«**الآيات البينات**»، ص. 291 : واسطة بين علي بن الحسين، وعلي بن أبي طالب، وهي : الحسين بن علي. وفي المراجع المذكورة : أضافني أبي علي بن أبي طالب.

(67) في النسخ المعتمدة هنا : «على أول يوم» وفي ص. 209: «من أول يوم»، وهو الموافق لما في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 171؛ و«**سد الأرب**»، ص. 184؛ و«**الآيات البينات**»، ص. 291.

(68) هذا الحديث قال فيه ابن الجزري في كتابه «**أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب**» : غريب جدا، لم يقع لنا إلا بهذا الإسناد. وقال الحافظ السخاوي : «لوائح الكذب عليه ظاهرة، ولا أستبيح ذكره إلا مع بيانه». وذكر الأمير (في «**سد الأرب**»، ص. 186) أن من موجبات الطعن فيه، ما فيه من المبالغات خصوصا مع ذكر الملائكة في الضيافة وهم لا يأكلون ولا يشربون. وقال السخاوي : «لكن المحدثين مع كثرة كلامهم فيه ومبالغتهم في تضعيفه ورميه بالوضع، لا يزالون يذكرونه ويسلسلونه للتبرك وحسن النية» («**الآيات البينات**»، صص. 291-292).

(69) ترجم له الإفراني في «**صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 40-44؛ وعبد الرحمان بن زيدان في «**إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**»، ج 4، صص. 36-38؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 412؛ وأحمد بزيد الكنساني ضمن «**أعلام تارودانت**» (مخطوط).

التحصيل للسُّوس الأقصى ونزل مدينة تارودانت، فاستقضى ببعض أعمالها، وخطب، ثم ولي قضاء الجماعة بها نحو ستة أشهر، فأعفي لكون أهلها برابر لا يعرف لسانهم، ثم وجهه الأمير لسجلماسة قاضيا وخطيبا، فأقام بها مدة، ولقي بها الصالح سيدي عبد الرحمان من لا يخاف[70]، والفقيه سيدي عبد العزيز[71] ابن سيدي إبراهيم بن هلال[72] تلميذ أبي عبد الله القوري[73]، ثم نقل لمكناسة الزيتون فقضى بها وخطب، ثم خطب بجامع الأندلس بفاس المحروسة، ثم رد لتارودانت قاعدة السوس المذكورة، وقدم للفتوى والإمامة والخطبة بالجامع الكبير بها، وحصل له بها حال ووجاهة عند الخاصة والعامة، وهو أول من قرأ بها «**الجامع الصحيح**» للإمام البخاري قراءة ضبط وإتقان، وأول من خطب فيها ببزاعة اللسان ومواعظ تنبه الوسنان، ترده الفتاوي من سائر آفاقها فيحسن التوقيع عليها بطريقة من الِاختصار، وله مطالعة بفقه المذهب والخلاف، قائما على «**مختصر الفروع**» لابن الحاجب[74] و«**الشامل**» للعلامة بهرام[75]، مشاركا في عدة فنون من سواه مواظبا على التدريس والتفسير والحديث بالجامع المذكور، تام الِاعتناء به صابرا لجفاء طلبة أهل الجبال، متحملا لسوء أخلاق العامة، لين الجانب لطيف الشمائل، متواضعا مشفقا، تأخذ الأمة والضعيف بيده في حاجتهما، مقصود الكَنَف[76] موصول الفِنَاء[77]، دَارُه حرم ومأوى للأرامل والأيتام والغرباء وطلبة العلم، وكان لا يبالي بالدنيا ولا يستقر بيده شيء منها، مع وفور ما ينصب إليه منها من الجِرايات[78] والجوائز ومستفادات المرافق، وعرف له ملوك وقته

---

(70) سيأتي ذكره، وذكر سنة وفاته في ص. 145.

(71) يسمى سيدي عبد العزيز بن إبراهيم بابن هلال الصغير (انظر «**فهرس الفهارس والأثبات**» للكتاني، ج 2، ص. 1107).

(72) كان إبراهيم بن هلال غزير العلم، واسع الإطلاع، وهو شيخ الفتيا في عصره، شرح «**مختصر**» ابن الحاجب الفرعي، وألف «**مناسك الحج**»، واختصر «**فتح الباري**» لابن حجر، وله تعاليق على «**مختصر خليل**» ـ ولم يتم ـ. وله أجوبة كثيرة، وتوفي سنة 903هـ (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، ص. 89 ؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 118).

(73) هو محمد بن قاسم اللخمي المكناسي ثم الفاسي، آخر حفاظ «**المدونة**». توفي عام 872هـ/1467م («**دوحة الناشر**»، ص. 30، هامش 11).

(74) انظر ص.274، هامش 456.

(75) انظر ص. 255، هامش 327.

(76) الكَنَف : الجانب والناحية، ويقال أنت في كَنَف الله، أي حرزه وستره.

(77) فِنَاء الدار : ما اتسع من أمامها.

(78) الجِرَايَات : ما يجري له من الوظائف التي شغلها من الأُجور والمُرَتَّبات والهبات.

حقه معظما مهيبا عندهم، أصدروا له من المُرتَفَقَات[79] ما لم يُصدِروه لأحد من أبناء جنسه.

وهو أول من أحيا بهذه الحاضرة ليلة مولد رسول الله ﷺ، باجتماع الناس في منزله، وقراءة قصائدِ مدحِه ﷺ والأناشيد بها، وكان ينفق في ذلك نفقة عظيمة، وله صبابة ورقة شوق في ذلك المعنى، ولبعض معاصريه فيه في أمر شفع له فيه إلى السلطان : [البسيط]

لله در خطـــــيب كان أنشأ لي	رسالـــة لعميـــد الملك سلطـــان
فريـــدة من فريـــد الدهــر ملحمــــة	بجوهـــر اللفـــظ في رَونَــقِ تبيـــان
أودعهـــا شرح حالي حين أبدعهـــا	فأمرعت[80] لي جديب الربـــع والخان
من نجل أحمد نِلتُ كل محمـــــدة	شيـخ جليـــل رفيـــع القـــدر والشان
أكـــرم من سما في الخيرات وارتفــعت	به المراتب في سر وإعــــــلان
به افتخـــار بلاد السوس حيث جرى	ذكــــر الأقـــاليم في أقطـــارِ بلـــدان
عليه منـي جميـل الذكــر ما علــقت	روحـــي بجسمـــي وأوصالي بأبـــدان

لازمته برسم القراءة والأخذ عنه عَشْرَ سنين، وكنت رأيت في النوم قبل الورود أني وقفت إلى جبل عظيم نبع منه عين خرارة دفاعة على قدر جذع النخلة في زمن الصيف وشدة الحر وماؤها أبيض وأبرد من الثلج، فكَرِعْتُ[81] أشرب بها حتى استخرقت العادة في شربي، ولم أر أحدا يكرع معي فيها، وإلىٰ جنبها عيون صغار تخرج من جنب ذلك الجبل، كان الناس يغترفون منها فربما اغترفت معهم، فتأولتها عليه وعلى من أخذت عنه ممن دونه من فقهاء الحاضرة. سمعت منه «**صحيح**» البخاري مرارا عديدة بتمامه، وقرأت عليه «**رسالة**» أبي محمد[82] رضي الله عنه، و«**مختصر**» الشيخ خليل[83] بتمامهما، و«**الشامل**» للعلامة بهرام إلى قرب نصفه قراءة بحث وتحقيق، وحضرت ما سواها من الكتب كـ«**مختصر**» ابن الحاجب الفرعي و«**عقائد**» أبي عبد الله السنوسي والتفسير والعربية بقراءة الغير عليه.

---

(79) المرتفقات : ما يُعطَى للمرء لينتفع به.

(80) مَرِع المكان وأمرع : كان خصيبا.

(81) كرعت : تناولت الماء بفمي من غير استعمال كف ولا إناء.

(82) انظر ص. 267، هامش 409.

(83) انظر ص. 276، هامش 463.

وكان حسن العبارة، جيد الإشارة، سلس الطبع، غير متكلف، ينشئ الخطب البديعة، ويحسن إنشاءها متى حدث حادث، وقال لي أحمد بن داود الهلالي أحد عدول مدينة تارودانت : حضرت حلقة الفقيه الجليل الإمام البليغ أبي عبد الله شقرون بجامع الشرفاء بمدينة مراكش، فذكر له، فقال : ابن الوقاد عنده اللسان واللسين، وكان يحكي أن المنصور رحمه الله يقول : ليس عندنا بالمغرب أخطب منه، إلا أن الله اختاره لمدينة تارودانت وإن لم تكن كرسي الخلالة.

وله شعر مليح منه قوله : [الطويل]

من الله أرجو أن يؤتيني غدا — مقاما عليا في الجنان مخلدا
ويسكنني رضوان جنته التي — أعدت لأهل العلم والحلم والندى
بفضل أحاديث البخاري وحبه — له ما حييت الدهر أقرأ سرمدا

ومنه : [المتقارب]

كتاب البخاري واظب على — قراءته وَازْوِهِ في الشدائد
فهو المجرب تِرْيَاقُه[84] — لدفع سموم الأفاعي الأساود[85]

وأنشد لبعض ملوك عصره في غدرة ريم بها متمثلا : [البسيط]

لم يبق في الدهر من ترجى مودته — ولا صديق إذا خان الزمان وفى
فعش وحيدا ولا تركن إلى أحد — فقد نصحتك نصحا بالغا وكفى[86]

وكثيرا ما كان يتمثل في التحذير من الملوك وأهل الدنيا بقول الشاعر[87]:
[البسيط]

كل التراب ولا تعمل لهم عملا — فالشر أجمعه في ذلك العمل

---

(84) التِّرْيَاق : دواء مركب اخترعه ماغْنيسُ وتمّمه أَنْدَرومَاخِسُ، وهو نافع من لدغ الهوام السامة («القاموس»).

(85) الأساود : الحيّات العظيمة، مفرده أسود.

(86) يشبه هذا ما ورد في «دوحة الناشر» من أن قبيلة المنابهة، لما غدرت بالسلطان محمد الشيخ السعدي، وأنجاه الله من غدرهم، عرف الشيخ أبو محمد عبد الله بن عمر المضغري بذلك فكتب إليه : أين أنت من قول أبي الطيب المتنبي:

غاض الوفاء فما تلقاه من أحد — وأعوز الصدق في الأخبار والقَسَم

(«دوحة الناشر»، ص. 88).

(87) في «المرقبة العليا» لأبي الحسن النباهي (ص. 58) : «وكثيرا ما كان ابن أسود [أي القاضي سليمان بن الأسود الغافقي المولود سنة 713هـ] ينشد :

قلت: ولبعضهم في الوقوع في هذا المعنى، وأظنه لبعض فقهاء مرين[88] :

[الكامل]

يا قلب كيف وقعت في إشراكهم ولقد عهدتك تحذر الإشراكا
ترضَى بذل في هَوانِ صبابة[89] هذا ـ لعمر الله ـ قد أشقاكا

ولما قرب وفاته، خطب خطبة ودع بها ونعى فيها نفسه، وكان من جملة ما دعا به فيها : «اللهم أسعدنا بلقائك وطيبنا للموت واجعل فيه راحتنا»، وذكر من حاله ونسق به قوله تعالى ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة[90] فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾[91]. وأكثر فيها البكاء خلاف عادته، ولم نجد هذه الخطبة في تذكِراتِهِ، وكانت بليغة.

وقد رأت امرأة من جيرانه ـ وكانت من الصالحات ـ أن رسول الله ﷺ قال لها في منامها : «أقرئي السلام الشيخ التلمساني، قرب مرض وفاته».

وهذا مثل ما يحكي لنا أن امرأة أتت أبا الحسن القابسي[92] وهو في حلقته فسارته، فقطع تدريسه ودخل فلم يمض إلا قليل فمات رحمه الله، فقيل لها في ذلك، فقالت: رأيت النبي ﷺ في النوم وقال لي: «اقرئي السلام أبا الحسن، فأخبرته فرأى منها حضور أجله».

وقد لقنت قرب مرض موته هذا البيت : [الطويل]

فمثلك مثل البان بان سروره وحسنك حسن المتقي في دار الخلد

فتأولت البيت عليه. وأنت إذا تأملته، وجدته كالصريح في ذلك. توفي ليلة الخميس

تضحي على وجل، تمسي على وجل بين الأقارب والجيران والخول
كل التراب ولا تعمل لهم عملا فالشر أجمعه في ذلك العمل

(88) هو الفقيه محمد بن الصباغ الخزرجي المكناسي، استدعاه السلطان أبو الحسن المريني لصحبته في وجهته إلى إفريقيا فغرق ببحر تونس، وقد سمع ابن الصباغ بمقصورة تلمسان ينشد البيتين كالمعاتب لنفسه («**نيل الإبتهاج**»، ص. 245).

(89) ورد هذا الشطر في «**نيل الإبتهاج**» هكذا : أرضا بذل في هوى وصبابة.

(90) مزجاة : قليلة.

(91) **سورة يوسف**، الآية 88.

(92) انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**» للقاضي عياض، ج 7، ص. 92 ؛ و«**وفيات الأعيان**» لابن خلكان، ج 1، ص. 339.

لعَشْرٍ خلون من ربيع الثاني سنة إحدى وألف بتارودانت، ودفن قبلة الجامع الكبير بها، وهو أول مدفون فيه.

وأخبرتني جارة لنا أن امرأة أخبرتها أنها رأت رسول الله ﷺ دخل هذه الحاضرة من باب الخميس[93]، وهو راكب على دابة دل وصفها أنها البُرَاق، وبين كتفيه مثل دائرة القمر، ومن معه يذود الناس عنه، فقلت لهم: من هذا؟ قالوا لي: هذا رسول الله ﷺ ذهب لدار سيدي محمد التلمساني الذي يصْنع له وليمة كل سنة، فتبعته حتى دخلُ داره، فتلقاه سيدي محمد وأخذ بركابه حتى نزل، ونصب له كرسيا في صحن داره فجلس عليه ولم يقربه إلا هو ورجل آخر وامرأة سمتهما من أهل البلد. قالت: فانتبهت مذعورة مما رأيت.

وأخبرني الأستاذ سيدي محمد بن إبراهيم التامري ـ وكان من الفضلاء ـ أنه قال : بينما أنا أقرأ وردي من القرآن بعد العشاء إذ أخذتني سنة، فرأيته قرب وفاته في أحسن حال، فقلت له: كيف حالك لما أقبلت على الله ؟ فقال لي: «ضحك ضحك حتى،...» وحذف الغاية، فقلت له: وبِمَ يتقرب إلى الله عندكم ؟ فقال: بقراءة القرآن، فنحن ما وجدنا إلا بركته.

وأخبرني ولده أبو زيد[94] أنه رآه، فقال له : أما رأيت شيئا مما كنت تخافه؟ فقال له: ما رأيت شيئا بحمد الله، وأنه رآه مرة أخرى قال: فقلت له: أكنت في الجنة؟ فقال: لا، فقلت له: وأين روحك؟ فقال: حيث أرواح السعداء.

وأخبرني أخ لي ـ وكان من أهل الصدق والتصميم ـ أنه رآه في نومه وهو يتبختر على وادي الكوثر ومعه رجل لا يرى مثله، فقلت له: سيدي من هذا الذي معك؟ فقال لي: رسول الله ﷺ، فقلت له: وبم نلت هذا؟ فقال: بالعلم.

وأوسع من هذا ما أخبرني به صاحبنا الفقيه الحسن بن عبد الله الهركَيتي[95]

---

(93) أحد أبواب تارودانت، وهو مواجه للأطلس الكبير. وسمي بذلك، لأن سوقا أسبوعية تعمر ببابه يوم الخميس. وهناك بالإضافة إليه أبواب أخرى هي : باب أولاد بنُونة، وباب الغز و(باب تارغونت)، وباب الزركَان وباب القصبة المؤدي إلى المحايطة، وباب السدرة المؤدي إلى القصبة، وفتح فيما بعد من القصبة باب آخر يسمى باب الحجر أو الباب الجديد. وفي الآونة الأخيرة، فتحت في سور المدينة أبواب أخرى.

(94) انظر ترجمته في ص. 137.

(95) انظر ترجمته في «مناقب» الحضيكَي، ج 1، ص. 185.

قال : بينما أنا أقرأ في «**بحر الدموع**»[96] لابن الجوزي[97] رضي الله عنه ليلا في مسجد حومته، إذ غلبتني سنة فقال لي قائل: إن الله غفر لجميع أهل دار سيدي محمد التلمساني وكل من دخلها ببركة المصطفى ﷺ، فانتبهت وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم، فقلت في نفسي: حتى فلان من بنيه وسماه باسمه، وكان مسرفا، ثم نمت فعاودني القائل، وقال لي: حتى فلان وسماه باسمه، وقال لي: اذهب وأخبرهم بذلك.

وأخبرني الأديب سيدي داود بن عبد المنعم الدغوغي[98] أنه رآه هو وشيخنا الفقيه القاضي العلامة سيدي سعيد بن علي الهوزالي، وسيجيء ذكره بعد[99]، وكانا متتابعين في الوفاة، قال: رأيتهما في مجلس ومعهما رجلان لا أعرفهما، وخلفهما خلق كثير يقرؤون القرآن بضجيج عظيم، فالتفت إليهم سيدي محمد التلمساني فقال لهم : ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[100].

ومما رثيته به : [البسيط]

يا عبرة العين جودي واهمي وانهملي ... فللدموع ليوم البين تذخير
بَانَ الأنيس فباح الوَحْشُ[101] واكبدي ... وفي الفؤاد له حصر[102] وتحسير[103]

---

(96) تأثر به سيدي مَحمد بن علي أكبيلْ الهوزالي، فاستعار عنوانه وأطلقه على ما نظمه باللهجة السوسية في المواعظ، وقال :

«بَحْرُ الدُّمُوعْ» أدْكَحْ إلْكْتَابَدْنْو أيْكَي ... يَنْ فِتْغْرَا أتْرَزْ أمْطْ إزْدِتْ نِتْ غْمْدَا

(97) هو الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي البغدادي المتوفى سنة 597هـ. (انظر ترجمته في كتابه «**دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**» بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، صص. 4-23).

(98) من أسرة آل تانوت الوجانيين، وهو شاعر ماهر، من كبار أدباء ذلك العصر، ومن آثاره التي تدل على شاعريته وبراعته في الوصف، قصيدته النونية في معركة وادي المخازن (انظرها في «**النبوغ المغربي**» لعبد الله كَنون، ج 3، صص. 34-37؛ و«**الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى**» لابن تاويت، ج 3، صص. 670-671؛ و«**مُتْرَعات الكؤوس في آثار طائفة من أدباء سوس**» للمختار السوسي - مخطوط). وتوفي في بلده بالطاعون الواقع بالمغرب من سنة 1006 إلى سنة 1016هـ، (انظر «**مترعات الكؤوس**»، ج 1، ص. 13، رقم الترجمة 7). وقد ظن ابن تاويت - رحمه الله - أنه من القصر الكبير («**الوافي**»، ج 3، ص. 670)، وذلك غير صحيح.

(99) انظر ص. 100.

(100) **سورة فصلت**، الآية 30.

(101) الوحش : المراد الوحشة والشعور بالغربة.

(102) حصر : حبس.

(103) التحسير : الإيقاع في الحسرة.

يا لحشاك ويــــا للقـــــلب من الم	ومـــــــن غرام له في الصدر تسعير
رزيـــــة ملأت كل حشا جزعــــــا	تُفني اصطبــارا لمن عليــه مفطـــور
حق البكاء لنا فابكوا أُسَاتَنا[104] ففي	فقـــد أسانــا لنــا أسى وتـــكسير
ما الربح والـــرشد إلا بالهداة ففـــي	قبض الهداة لنــــــــا غي وتخسير
غاب المنير الـــــذي نور إضاءتــــه	به يجي ظلمــاتِ الجهــــل تنويـــــر
مفتي الأنـام سراج الدين شيخ هدى	رُكْنُ البراعـــة طود العلــم مشهــور
فإنَّـــــا لله والرجعــــــى له[105] ولما	قضى وأمضى إلــــه الخلــــق تصيير
وحسبنـا الله في كل النــوائب والتــــ	ـسليم لله في قضاه مذخـــــــــــور
اليــوم يعــقب ما بالسمــع منتظـــم	من أنـفس الـدر من عينـيك تنــثير
قد كان ما كان والأحــزان واصلـــة	وللنفـــــوس بخطب الموت تبسير[106]
لستُ المنيـــة أبكــي بل فوائـــد من	لله فيــــه لهذا القطـــــر تبصير
ومـــن إذا عَبَــرَتْ له القـــريحة في	بحر العلـــوم وَفَـــى عبر وتعــــبير
ومـــن إذا ظَمِــئَتْ للمـــرء مسألـــة	رَوَّاها من عين علــم منــه تفــجير
ومـــن إذا طاعـــة نمت ومعصيـــة	أتــاهما منـــــه إغــــراء وتحذيــــر
ومـــن مواعظـــــه رَوَّتْ مدامعهــــا	كل المحاجــــــر تبشير وتنذيـــــــر
من شبهه وبــــــه لله خاصيـــــــة	يوم الوسيلـــــة للحاجـــــات تيسير
من للوسائـــل أو من للمسائـــــل أو	من للرسائــــــــــل يوم جل تحبير
آه على الديـن والدنيـا فمن عهــدت	به الفضائــــل فيها اليـــوم مقبـــور
إني لأبكيــــه ما جادت لي مدمعـــــة	فالقلب فيـــه لدمــع الـعين تغزيــر

حديث الرحمة قيل بالأولية

ولنذكر هنا **حديث الرحمة** في ترجمة هذا الشيخ لكثرة رحمته وشفقته بعباد الله.

حدثني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الجزولي التامانارتي قال: حدثني الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن الفقيه الإمام القدوة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الجزولي التامانارتي، قال: حدثني الفقيه الإمام الراوية البحر الفهامة ولي الله تعالى أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد

(104) أسانا : أطباءنا، مفرده آسٍ.

(105) ضمن الشطر قوله تعالى : ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (سورة البقرة، الآية 155).

(106) تبسير : المراد العبوس.

العزيز الجزولي الحامدي رحمه الله ورضي عنه، قال: حدثني مولانا السلطان أمير المومنين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان[107] الحسني، قال: حدثني السيد الفاضل سيدي سالم بن محمد، قال: حدثني قاضي القضاة وشيخ المشايخ بالديار المصرية أبو إسحاق إبراهيم بن علاء الدين القرشي القلقشندي بمنزله من حوش، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد المقدسي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثني أبو الفتح محمد بن محمد المقدسي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا[108] أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني[109]، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا أبو طاهر[110] محمد بن محمد الزيادي[111] وهو أول حديث سمعته منه قال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار[112]، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا عبد الرحمان بن بشير بن الحكم

---

(107) هو السلطان السعدي أبو العباس الأعرج ابن السلطان أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله بن عبد الرحمان. تولى الملك بعد وفاة والده سنة 923هـ إلى أن عزله أخوه مَحمد الشيخ سنة 946هـ على ما صحح الناصري في «**الإستقصا**» أو سنة 951هـ كما في «**نشر المثاني**». (انظر «**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**» لمحمد الصغير الوفراني، ص. 8 فما بعد؛ و«**الإستقصا**»، ج 5، ص. 14 فما بعد).

(108) هنا يتصل أحمد بن عبد العزيز الهلالي والشيخ الأمير بهذا السند. (انظر «**فهرسة**» الهلالي، ص. 58؛ و«**سد الأرب**»، ص. 175).

(109) ولد بحران سنة 587هـ، وهو مسند الديار المصرية، تولى مشيخة دار الحديث الكاملية، وتوفي سنة 672هـ («**نهاية المطلب**»، ص. 175، هامش 2).

(110) بين أبي طاهر وابن الجوزي واسطتان هما : أبو سعيد إسماعيل بن أبي صالح النيسابوري المؤذن المتوفى سنة 532هـ، ووالده أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن. وقد وردت هاتان الواسطتان في ص. 204، وص. 434 ؛ وفي «**سد الأرب**»، ص. 175.

(111) هو محمد بن محمد بن مَحْمِش الزيادي الشافعي النيسابوري، عالم نيسابور ومسندها. ولد سنة 317هـ وتوفي سنة 410هـ. ومن آثاره مصنف في علم الشروط، وأمالي في الحديث (انظر «**معجم المؤلفين**» لرضا كحالة، ج 11، ص. 298؛ و«**نهاية المطلب**»، ص. 176، هامش 1).

(112) روى عن الذهلي والحسن الزعفراني وطبقتهما بخراسان والعراق ومصر، وتوفي سنة 330هـ («**العبر في أخبار من غبر**»، ج 2، ص. 221).

العبدي[113]، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا سفيان بن عيينة[114]، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو ابن العاص[115]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالى**[116]. **ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء**»[117].

وجرت عادة أئمة الحديث بتحديث طالب الحديث بهذا الحديث أولاً قبل كل حديث[118]، ولذلك لقبوه بـ**الحديث المسلسل بالأولية**، والله الموفق.

---

(113) نسبة إلى عبد القيس، بطن من ربيعة بن نزار. روى عن سفيان بن عيينة ويحيى القطان والنضر بن شميل، وروى عنه الشيخان وأبو داود وابن ماجة، مات سنة 260هـ («**نهاية المطلب**»، ص. 176، هامش 5). وفي «**اقتفاء الأثر**»، ص. 166؛ و«**سد الأرب**»، ص.176؛ و«**الآيات البينات**»، ص.15: بشر – عوض بشير – وهو ما ورد في ص. 204.

(114) قال الشيخ الأمير في «**سد الأرب**»، ص. 176 : «وإليه ينتهي التسلسل بالأولية على الأصح».

(115) في النسخ المعتمدة : «العاصي»، وهو نفسه الوارد في صص. 204–205؛ وفي «**فهرسة**» الهلالي، ص. 59. وما أثبتناه هنا هو الصحيح، وهو الوارد في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 166؛ و«**سد الأرب**»، ص. 176؛ و«**الآيات البينات**»، ص. 15. انظر ترجمة عمرو بن العاص – الصحابي الجليل – في «**الإصابة في تمييز الصحابة**» لابن حجر العسقلاني، ج 3، صص. 2–3؛ و«**الإستيعاب**» لابن عبد البر بهامش «**الإصابة**»، ج 2، ص. 508. وانظر ترجمة ولده عبد الله بن عمرو بن العاص، في «**الإصابة**»، ج 2، صص. 351–352؛ و«**الإستيعاب**» بهامش «**الإصابة**»، ج 2، صص. 346–349.

(116) ورد «تبارك وتعالى» في بعض روايات هذا الحديث، ولم يرد في البعض الآخر. وذهب محمد ياسين في «**نهاية المطلب**» إلى أن «تبارك وتعالى» ليس من الرواية في شيء، وإنما الأدب يقتضي الثناء على الله عند ذكر اسمه بمثل «تبارك وتعالى»، و«جل وعلا» سواء كان هذا الثناء ثابتا في أصل السماع أو لا («**نهاية المطلب**» بهامش «**سد الأرب**»، ص. 177، وهامش 2).

(117) قال أبو سالم العياشي في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 166 : «حديث حسن عال أخرجه البخاري في «**الكنى والأدب المفرد**»، وغيره». وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفاسي في «**المنح البادية في الأسانيد العالية**»: «وهو حديث حسن أخرجه البخاري في «**الكنى والأدب المفرد**»، والحميدي في «**مسنده**»، وأبو علي الزعفراني، وأبو داود في «**سننه**»، والترمذي في «**جامعه**». إلا أنهم جميعا لم يسلسلوه، وأخرجه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وصححه الحاكم والترمذي، باعتبار ما له من المتابعات والشواهد» («**سد الأرب**»، ص. 178). وقد نظم معنى هذا الحديث جماعة من العلماء، منهم الحافظ ابن حجر، وعبد الغني وأحمد البهنسي، والعجلوني، والخطيب النويري، والحافظ علي بن حسن ابن عساكر، والحافظ العراقي (انظر «**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**» لإسماعيل بن محمد العجلوني، ج 1، ص. 109؛ و«**نهاية المطلب**» بهامش «**سد الأرب**»، ص. 177، هامش 1؛ و«**الآيات البينات**»، صص. 18، 27).

(118) قال عبد الحفيظ الفاسي في «**الآيات البينات**»، ص. 5 : «قد جرت عادة علماء الرواية بافتتاح

مشايخه :

1 ـ منهم الفقيه الإمام الخطيب أبو عبد الله محمد ابن الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي الخطيب بالجامع الكبير بتلمسان، وقرأ عليه «**الجامع الصحيح**» للبخاري قبل مقدمه من تلمسان ست عشرة مرة قراءة ضبط وإتقان على ما أخبر به، ولم أقف على وفاته لبعد قطره، وتوفي والده المذكور، وكان من الأئمة، سنة تسع وتسعين وثمانمائة. وفيها توفي الإمام ابن زكرياء[119] بتلمسان، وشهاب الدين أحمد زروق[120] بتورغ[121].

2 ـ ومنهم الفقيه العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن هبة الله الزناتي المعروف بشقرون[122] مفتي تلمسان وفقيهها، انتقل آخر حاله لمراكش ودرس فيه، وولي فيه الخطبة والفتوى، وكان إليه الفزع في التدريس والفتوى وله السبق في علوم شتى من فقه وتفسير وعلمي البيان والمعاني، وكان سلطان وقته يحضر حلقته، ولا يغير من حاله عند خروجه، وكانت العربية طوع لسانه، وسلاسة الطبع ولطافة العبارة مما اختص منه فقهاء تلمسان بمزيد.

وأخبرني صاحبنا الأديب داود بن عبد المنعم الدغوغي أن رجلا من أهل

= كتبهم بهذا الحديث». وقال الأمير في «**سد الأرب**»، ص. 173 : «عادتهم يقدمون المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة، قال في «**المنح**» : لأنه ورد «أول شيء خلقه الله في الكتاب الأول، إني أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي. فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فله الجنة»، وأيضا «فإنه ﷺ أرسل رحمة للعالمين، ونوره أول مخلوق».

(119) هو الشيخ أبو العباس أحمد بن زكري، عالم تلمسان ومفتيها. انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه، وكان بينه وبين السنوسي محاورات ومباحث في علم الكلام. وله «**محصل المقاصد في الكلام والعقائد**» (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، صص. 119-121؛ و«**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**» للشيخ محمد بن محمد مخلوف، ص. 267؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 27.

(120) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي، العلامة الفقيه المحدث الصوفي. توفي سنة 899هـ. (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، صص. 48-51؛ و«**درة الحجال**»، ج 1، صص. 90-91؛ و«**البستان**» لابن مريم؛ و«**الضوء اللامع**»، ج 1، ص. 222؛ و«**نيل الإبتهاج**»، ص. 84؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 1، صص. 19-23.

(121) في «**دوحة الناشر**»، ص. 48، الهامش، أنه توفي بمسراته من ليبيا.

(122) كان وروده من تلمسان على الغالب السعدي بفاس سنة 967هـ، ونصب له السلطان كرسيا في مشوره وكان يحضر دروسه، وقلده الفتوى ورئاسة العلم في مراكش وسائر أقطار المغرب توفي سنة 983هـ بمدينة فاس (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، صص. 116-118؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 2، صص. 28-30؛ و«**نيل الإبتهاج**»، بهامش «**الديباج المذهب**»، ص. 340؛ و«**الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**» للعباس بن إبراهيم المراكشي، ج 4، ص. 190.

تارودانت أخبره أنه رأى في منامه كأنه حضر حلقة تدريسه بجامع الشرفاء بمراكش، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قد أتوا حلقته وجلسوا، ثم دخل قاضي الوقت من باب الجامع وقصد إلى الحلقة فقام منها رجل فتلقاه فأخذه بعنف واستلَجَّ في دفعه حتى أخرجه فعاد لمكانه من الحلقة، فوقع في خاطري أن أسأله عن سبب دفعه. فلما تفرق المجلس، تبعته لأسأله حتى دخل داره وقد عرفتها وعرفت حومته فانتبهت فأخذت أهبتي لمراكش. فلما بلغتها، تبعت الصفة التي عرفتها في النوم حتى وصلت الدار فسألت عنه فقال لي جيرانه هي دار فلان وقد مات بالأمس، فهذا مما يدل على مكانه في العلم والسنة.

وذكر لي أنه كان مُجابَ الدعوة، وأنه لما قرب دخول الترك للمغرب صحبة السلطان عبد الملك دعا الله أن لا يلقاهم، وكان استنكرهم لما استولوا على تلمسان، فقبض قبل دخولهم بيوم، وذلك في سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة.

3 ـ ومنهم الفقيه العلامة الإمام الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان المعروف بابن جلال التلمساني[123]، ولي القضاء بتلمسان، ثم انتقل لفاس وولي بها الفتوى والإمامة والخطبة، وكان ثَبتاً[124] ذا نزاهة وسمت وكمال مروءة. بلغني أن خطاه تعد من مدخله للجامع إلى المحراب، فما زادت قط ولا نقصت، ولا التفت إلى خصة ماء بديعة كانت بصحن الجامع قط.

وقدم سوس صحبة السلطان أبي عبد الله[125]، فأقام بها معه سنة؛ وقدم للإقراء بالجامع الكبير، وبها أخذ عنه فقهاؤها؛ وتقدم إليه طالب من طلبة جزولة وافتتح القراءة عليه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد، فقال منكرا عليه إساءة أدبه : قرينك تأكل معه في الصحفة؟ قل : صلى الله على سيدنا محمد.

ثم رجع إلى فاس، واستقر بها على خططه إلى أن توفي في ثامن رمضان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة.

ويشبه هذه الحكاية ما أخبرني به السيد الصالح الموذن الحسن بن سعيد

(123) هو الفقيه الخطيب المدرس المفتي المتكلم، قدم على فاس في صدر أيام السلطان السعدي محمد الشيخ، فقلده الفتوى بمدينة فاس. طالت أيامه بفاس حتى هرم، وانتفع الناس به. (انظر «دوحة الناشر»، ص. 123؛ وانظر في الهامش مصادر ترجمته).

(124) ثَبْتًا : ثابت القلب واللسان والكتاب والحجة.

(125) المراد : السلطان محمد الشيخ.

المنيزلي، قال : كنت أقرأ وردي من «**دلائل الخيرات**» يوما بحانوتي بباب قصبة تارودانت، فكنت أقول : صلى الله على محمد مع كل تصلية، ثم وقف عليَّ رجل حاج أعرفه من أهل الحومة، فزجرني عن ترك «سيدي» مع الصلوات وقال: ما كان الناس يصلون في بلاد المشرق على رسول الله ﷺ هكذا، فقلت له : لم يكن ذلك في الرواية، فغضب علي وتركني وفي خلقه شيء، ثم جاءني في الليلة القابلة في النوم وقال لي : قم معي تر كيف يصلي الناس على رسول الله ﷺ، فأخذ بيدي ودخل بي مدينة عظيمة واسعة الشوارع، فجعل يقودني حتى انتهى بي إلى فضاء واسع ووجدته مملوءا بأشراف الناس ذوي هيئات وملابس حسنة، ووجوههم كلهم إلى القبلة على حين طلوع القمر عليهم، وهم كلهم يقولون بلسان واحد وصوت متفق : «اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم»، فقال لي : تسمع تعرف كيف يصلي الناس على رسول الله ﷺ، فأخذ بيدي وقلبني حتى خرجنا من تلك المدينة فاستيقظت، وكان ذلك آخر الليل، فصعدت سطح مسجد باب القصبة[126] فرأيت القمر طلع وانتشر نوره كما رأيته في الرؤيا فتيقنت صحتها، فلم أخبر بها أحدا إلى الصباح، فمشيت إلى حانوتي على عادتي، فبينما أنا أتأمل في الرؤيا إذا بالرجل وقف عليَّ فطرق الباب وقال لي : رضيت؟ فقلت : نعم، فعرفت له فضله، وكان مستورا نفعنا الله به وبأمثاله آمين.

4 ـ ومنهم الفقيه العلامة المحقق المتفنن الخطيب أبو عبد الله اليستثني[127]، فقيه فاس وعالمها الكبير في عصره، لقيه حين قدم فاس وأخذ عنه وانتفع به. وله[128] رحلة لقي فيها كبار المشايخ بمصر والحجاز، توفي سادس عشر محرم سنة تسع وخمسين وتسعمائة.

---

(126) كان هناك مسجد صغير، في ساحة صغيرة بين الباب الأول والباب الثاني، على يمين الداخل المتجه إلى القصبة. وقد تعطل الآن، وتحول إلى دكان مهجور.

(127) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسيتني، له التقدم في علم الكلام لكنه بعيد عن الإنصاف. تولى خطة الفتوى بفاس بعد الشيخ عبد الواحد الونشريسي، ودرس في القرويين عشرات السنين. حظي بثقة محمد الشيخ السعدي، فصار من خاصته. وقعت مناقشات كلامية بينه وبين أبي عبد الله الهبطي حول كلمة التوحيد. (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، ص. 58، رقم الترجمة 44؛ و«**نيل الإبتهاج**»، بهامش «**الديباج**»، صص. 338–339؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 350–351). واليسيتني يكتب هكذا تارة، أي بالتاء المثناة، ويكتب تارة بالثاء المثلثة «اليسيثني»، وتبدل الياء الثانية تاء أحيانا «اليستني» («**الدوحة**»، ص. 58، هامش 3).

(128) أي لليسيتني.

5 ـ ومنهم الشيخ الصوفي المحدث الرُّحَلَة أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدفال[129] به شهر السوساني ثم الدرعي، له رحلة أو رحلتان لقي فيهما أعلام المشايخ بالمدينة المشرقة ومكة ومصر، وأجازوه في علم الحديث والطريقة والمصافحة وغيرها، ولقي ببلاد السوس الأقصى الشيخين الكبيرين والقطبين الجليلين سيدي أحمد بن موسى الجزولي[130] وسيدي سعيد بن عبد المنعم الداودي الحاحي[131]، وتلقاه شيخنا أبو عبد الله بجامع الشرفاء بمدينة مراكش في جمادى الأخيرة من سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، وكتب عنه ما نصه : «كلم السيد الحبيب مولانا المصطفى ﷺ سيدي أحمد زروق مشافهة في الروضة الشريفة في قصة يطول ذكرها، قيل ذلك عن العالم الشيخ سيدي بركات الحطاب[132]، ووقعت القضية بمحضر والده سيدي محمد الحطاب[133] الكبير الإمام الشهير وكان تلميذا للإمام زروق، وفي القضية ما يدل على علو مقام الإمام زروق، وذكر ناقلها سيدي أحمد أدفال المذكور أن الشيخ الحطاب المذكور أجازها له مع جملة تواليفه وطريقته ومع إجازة عامة في الحديث وغيره، ومنها حديث البخاري، والحديث المسلسل بالأولية». انتهى المقصود منه.

وفيها تلقاه كاتبها بيده الفانية بمدينة مراكش بجامع الشرفاء وقيدها رجاء بركتها والنفع بها إن شاء الله له ولعقبه من بعده في التاريخ واتصال سنده فيما ذكر في إجازاته، وتوفي ليلة الجمعة الثامنة والعشرين من رجب سنة ثلاث وعشرين وألف.

---

(129) من أعلام درعة، أخذ عن مشاهير العلماء في المغرب والمشرق، وصحب الشيخ أبا العباس أحمد بن موسى التزروالتي (انظر ترجمته في «**صفوة من انتشر**»، و«**اقتفاء الأثر**»، صص. 106–110، ص.103، هامش 24؛ و«**الدرر المرصعة**»؛ و«**نشر المثاني**» للقادري، ج 1، ص. 200؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 1، صص. 41–43؛ و«**الإعلام**» للمراكشي، ج 2، صص. 91–93؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 553–603. وسيأتي الحديث عنه أيضا في صص. 159–160.

(130) ستأتي ترجمته في صص. 176–191.

(131) ستأتي ترجمته في ص. 153.

(132) هو الفقيه بركات بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب الطرابلسي الأصل، المكي المولد، الفقيه الصالح العالم العلامة المفتي المعمر. ألف «**المنهج الجليل في شرح مختصر خليل**»، توفي بعد الثمانين وتسعمائة («**نيل الإبتهاج**»، ص. 102).

(133) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن حسين، الأندلسي الأصل، الطرابلسي ثم المكي، عرف بالحطاب. وُلد سنة 861هـ، وتحول مع أبويه وأخويه إلى مكة سنة 877هـ. أخذ عن محمد الفاسي والسنهوري، والإمام أحمد زروق وغيرهم وتوفي سنة 945هـ («**نيل الإبتهاج**»، ص. 336؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 269).

6 ـ ومنهم في الحقيقة والتصوف الشيخ الكامل العامل العارف المكاشف الجامع القطب الغوث أبو العباس سيدي أحمد بن موسى الجزولي رضي الله عنه ونفعنا ببركته، صرح بأنه شيخه وأستاذه في قصيدته التي تشوق فيها إلى الحرمين الشريفين، وكان كثير التردد إليه في بلاد جرولة حياته، وكان يقول ما عليَّ إلا بركته، وشيعه في بعض زياراته. ولما رجع عنه، قال لمن معه من الفقراء : إنه أخونا في الله، أُرضِعْنا معه لَبنَ الإسلام، وإن الدنيا لم تسكن في قلبه. ووضع يده على رأسه أول زيارة زاره، ثم رفعها، ثم أعادها، ثم رفعها ثلاث مرات، فألتفت لبعض خواصه فقال له : «هذا كون ربي». وقد قرئت عليه قصيدته المذكورة فاستحسنها وأمر أن تقرأ، وكانت تقرأ عندنا في الموالد، وهي التي أولها :

رب يا رب سألتك بالزمـــزم والمقـــام سهـل أموري ووصلني لبـيت الحرام

وكان كتب كراسا في كراماته فطلبه بعض الطلبة من جبل دَرَن ينسخه، فبقي عنده وتعذر الاِتصال به، وسيجيء لنا منه نزر يسير مع وفاته في ترجمة شيخنا أبي محمد عبد الله بن المبارك إن شاء الله.

7 ـ ومنهم الولي الصالح العارف الرباني سيدي سعيد بن أبي بكر الرجراجي[134] نزيل مكناسة الزيتون، وفد عليه قبل وصوله لبلاد سوس فحبسه عنده فحان وقت الصلاة فقدمه وصلى به ثم شيعه ودعا له، وقال له : جعلك الله من علماء الشريعة والحقيقة، وهو شيخ ظاهر البركة مهيب الحرم، توفي صدر خلافة موالينا الشرفاء أصلحهم الله وبهم. ولم أقف على تعيين وقت وفاته[135]. ومن وقف عليه، فليضعه هنا وله الأجر.

8 ـ ومنهم الولي الصالح الشريف سيدي عبد الله بن حساين صاحب تامصلوحت[136]. ورد عليه ولما حان وقت الصلاة، استدعاه وقدمه وصلى به وقال له أيضا : جعلك الله من علماء الشريعة والحقيقة. وتوفي سنة تسع وسبعين وتسعمائة[137].

(134) هو الشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المَشْتَرَائي صاحب الكرامات والخوارق الباهرة (انظر ترجمته في «دوحة الناشر»، صص. 77-78).

(135) ذكر ابن عسكر في «الدوحة» أنه توفي في آخر العشرة السادسة، أي من القرن العاشر الهجري.

(136) من شرفاء بني أمغار أهل عين الفِطْر، وهو من أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني. (انظر ترجمته في «دوحة الناشر»، صص. 104-107).

(137) في «الدوحة»، أنه توفي سنة ست وسبعين وتسعمائة.

وتوفي الولي الصالح سيدي عياد بن عبد الله السوسي[138] بتامّازت سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة.

وتوفي أمير المومنين أبو محمد عبد الله[139] سنة ثمان وتسعمائة[140].

وكان يقال في الثلاثة في زمانهم ثلاث عينات عيون الوقت[141].

[الشيخ الثالث]

شيخنا الفقيه العالم العلامة الصدر قاضي القضاة سيدي سعيد بن علي بن سعيد السوسي الهوزالي[142]، طود من أطواد الأناة والسكينة وركن من أركان المهابة والعزة المكينة، ولي قضاء الجماعة بالسوس الأقصى نيفا وثلاثين سنة، فأحسن السيرة وجمع كلمة الهدى، وأغلظ على أهل الجرأة والعِدَى، وأجرى الحكومة[143] على السنن القويم في القضاء، وأوضح في قطره طريقته على نهج من مضى، وأحيا المروءة وأقام شرائطها، ونشر الحكمة وأغبط لاقطها، وَشَدَّ العدل وَرَمَّ[144] دارسه[145]، وسد فم الهوى ودرد[146] ضارسه[147]

(138) ستأتي ترجمته في ص. 155.

(139) المراد هو السلطان السعدي أبو محمد عبد الله الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ ولي الملك من سنة 965هـ إلى سنة 981هـ (انظر «**الإستقصا**»، ج 5، صص. 38-52؛ و«**نزهة الحادي**»، صص. 45-57).

(140) هكذا في النسخ المعتمدة. وهو واضح البطلان، وتاريخ وفاة هذا السلطان عام 981هـ («**نزهة الحادي**»، ص. 56 ؛ و«**الإستقصا**»، ج 5، ص. 52).

(141) كان يقال : «ثلاث عينات هم عيون الزمان : مولاي عبد الله، وسيدي عبد الله بن حساين الشريف، وسيدي عياد السوسي» («**نزهة الحادي**»، ص. 46؛ «**الإستقصا**»، ج 5، ص. 53).

(142) ترجم له الرسموكي في «**وفياته**»، ص. 26؛ والإفراني في «**الصفوة**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 341-344؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 10، ص. 147؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 7، صص. 47-51؛ و«**سوس العالمة**»، ص. 185؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 407-535؛ وأحمد بزيد الكَنساني في مقال له بعنوان «القاضي سعيد بن علي الهوزالي» نشره في «**نشرة الجمعية الرودانية للثقافة والتراث**»، ع 3، يناير 1996، صص. 3-9.

(143) الحكومة : الحكم، يقال حَكَم حُكما وحُكُومة.

(144) رَمَّ : أصلح.

(145) دارسه : ما عفا منه وانمحى.

(146) درد : أزال أسنان.

(147) ضارسه : الضارس اسم الفاعل من ضَرّسه بمعنى عَضّه.

ولما عزم عليه سلطان وقته بولاية القضاء استشار في ذلك شيخه الإمام العالم الصدر الكبير أبا عبد الله سيدي محمد بن مهدي[148] نزيل درعة فكتب إليه : «لا حيلة يشير بها عليك أخوك إلا الإعتماد على الله والتوكل عليه واتخاذ الشهود الصالحين، واتباع طريقة السلف الصالح والإستعداد للموت». انتهى.

حضرت دروسه، وانتفعت به، في «**مختصري الفروع**» لابن الحاجب والشيخ خليل والتفسير والعربية، و«**تنقيح**» القرافي، وكتب التذكير، وكانت تجري في مجلسه نكت عزيزة، وملح مفيدة، وحكايات ونوادر قل أن توجد مع غيره، وقيدت عنه في الفتاوي تقاييد، وجمع من أجوبته كراريس حسنة، وحفظت عنه أمثالا في الحكمة منها الواحد ما يسمي[149]، ومنها الواحد يمثل في بغداد، ومنها للذي اختصر له في الكف عن نسبته للشرف المذكور: ليس بشريف فاحفظ لسانك والسلام. ومنها في فقيه زوَّج ابنته من جندي : أي شيء جاء بعائشة بنت مسكوك بين الدكوك. ومنها في ما يستنكر من سوء أخلاق أهل هذه البلاد : امشوا لفاس يربيكم الناس. وغيرها مما لا نطيل به.

وله عطف عام على طلبة العلم بتوسعة العطاء مما إلى نظره من أحباس حاضرة السوس، وكان يرى أن توفير مستفادها ذريعة للتسلط عليه، وكان من الزهد والورع بمكان، حتى إنه لا يجري على يديه من الدنيا وأسبابها شيء، ثم هو في مرض وفاته تَنَدَّمَ على ولاية القضاء أشد الندم، وكان يقول : أكل الشِّيح أولى لي منها.

وكان من أهل المكاشفات. حكى لي الفقيه أحمد بن مسعود[150]، وكان نائبا عنه، أنه أراد أن ينفذ الحكم يوما في نازلة، فبعث إليه في ساعته. فلما حضر بين يديه أخذ كتابا وفتحه وقرأ منه عين الحكم في النازلة، ولم يقرأ ما قبله ولا ما بعده، وكان ذلك خلاف ما عزم عليه، وما قال له شيئا إلا ما سرد له، قال : فأنفذت الحكم بما أملى علي. توفي ليلة الإثنين لثماني عشرة خلت من صفر سنة إحدى وألف[151]، ودفن بالمقبرة القديمة من باب الخميس، أحد أبواب مدينة تارودانت

(148) ستأتي ترجمته في ص. 105.

(149) لعل مراده بـ«الواحد ما يسمي» : «المُعَيَّن مبتدع».

(150) ستأتي ترجمته في ص. 136.

(151) وولادته كانت في عام 913هـ («**وفيات**» الرسموكي، ص. 26).

ورِيءَ بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بحب أهل البيت[152]، وكان يعظمهم وينوه بحقهم.

كتاب براءة

ووجد في تركته كتاب بخط مشرقي لم يطلع عليه إلا بعد موته، ونصه : «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، وإليه يرجع الأمر كله، وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا ومولانا ونبينا محمد سيد ولد آدم وخير خلق الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. من بشر بالله ثبت، ومن بشر بغير الله هُبِت[153] يا من يكرمه الكريم، ولا يفارقه النعيم، وأيده الله تعلى وأمده بالتبجيل والتعظيم، وجعله في كنف سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

سيدي الفقيه العارف الفاضل سعيد بن علي جزاك الله عنا خيرا، حيث اتبعت سنة سيد المرسلين ﷺ وعملت بها، وحكمت بشريعته الطاهرة، وطريقته الزاهرة وأبشر بخير، إن النبي ﷺ راض عنك بأمارة ما رأيته يشير وغيرك رآه يدير، وأمارة ما رأيت الشمس في النوم طلعت من المغرب، وأمارة ما رأيت الشمس كسفت في الليل، وأمارة ما رأيتها جمعت مع القمر، وأمارة ما رأيت الفجر طلع في النوم وتيقظت فرأيت الليل موجودا، وأمارة ما جاءك الغوث[154] وقال لك : لأي شيء ما تقيم الليل واستيقظت وسميت وتوضأت، وأمارة ما سمعت المؤذن في النوم وتحسبه في الأرض والحال أنه في السماء أذان سيدي جبريل عليه الصلاة والسلام للملائكة.

والبراءة من الفقير إلى الله تعالى الشريف محمد القرشي الهاشمي كتب لكم من

---

(152) قال تعالى : ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ (سورة الشورى، «الآية 23). وقال ﷺ : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه» (رواه الطبراني والديلمي عن علي كرم الله وجهه).

(153) هُبِت ـ بالبناء للمفعول ـ : جبن وذهب عقله. وسيأتي شرحه بعد قليل.

(154) الغوث : مصطلح صوفي يرادف مصطلح «القطب»، والقطب هو الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، ويخلفه واحد من الأولياء، وسُمّيَ غوثا لالتجاء الملهوف إليه («**التعريفات**» للجرجاني، ص. 155؛ و«**في التصوف الإسلامي**» لقمر كيلاني، ص. 154).

الطيبة[155] المشرفة في ثاني عشر شوال سنة سبع وتسعين وتسعمائة، أحسن الله عاقبتها وما بعدها إلى خير وسلامة، وتستوصي بالفقراء والمساكين خيرا، وخذ بأيديهم أخذ الله بيدك، وإياك والدنيا فإن حلالها حساب، وحرامها عقاب، والله تعالى ينجيك منها ويسخرك في طاعته، ويسهل عليك طريق طاعته ومحبته». انتهى.

وقوله «هبت» : قال في «**الصحاح**» : هبت الرجل ورجل مهبوت الفؤاد في عقله هبتة أي ضعف، والله ولي التوفيق.

مرثية فيه

ومما رثاه به الأديب سعيد بن أبي بكر بن عمر الهلالي : [الطويل]

أحبــة قلبــي يا نجوم الــدراري	نأى بدركم عنا فَعِيل[156] اصطبــاري
وعهدي به يَهْدِي إلى الرشد ما له	هَوَى من سماء الفقــه تحت غبــار
ألا فاعــذِروا من بات بالحزن بعــده	ينوح ويبكي بالدمــوع الغِــزار[157]
ألا فاعذِروا مَن سال أوصالَ دمعُــه	على خده حتى اكـتَسَى بِبَهــار[158]
ألا فاعذِروا من صاح أو ساح هائما	على وجهــه يبكــي وحــوش قفــار
لفقــد أبي عثمان قاضي قضاتنـــا	ألــفت النّــوى[159] فلا يقــر قراري
تطــيب الهمــوم بالغمــوم لفاقــد	مُحَيَّــا أبي عثمان قطب الــدراري
لفقــدك صار الفقــه أرض مذلـــة	أحــاط به فقــر وذُل البَــوار[160]
قيامة أهــل الفقــه قامت وزُلْــزِلت	بمَصرعِــه أرض الحيــا ووقـــار
ويكفــيك أن الموت لو كان يشتــرى	لما كان بيــع الموت إلا لقـــار[161]
توقــفت الأوقــاف والفقــــه لم يزل	ومــا تنفــع الأغصان دون الثّمــار
فلو يا بهاء الدين شاهــدت ما جرى	بُعَيْــدك في قاري حديث البخــاري
لشاهــدت ما لا يحمــل الصخرُ بعضَه	من الهول بل من معضلات كبـــار

(155) المراد بالطيبة : المدينة المنورة، لأن طيبة من أسمائها. وقد أوصل نور الدين علي بن أحمد المصري السمهودي المتوفى عام 911هـ في كتابه «**وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**»، أسماء المدينة المنورة إلى 94 آسما (انظر : ج 1، ص. 8 : الباب الأول في أسماء هذه البلدة الشريفة).

(156) عِيل اصطباري : غُلِب صبري.

(157) الغِزار: الكثيرة.

(158) البَهار: نبت طيب الرائحة، جَعْد له فُقَّاحَة صفراء ينبت أيام الربيع.

(159) النّوَى : البعد.

(160) البوار : الكساد.

(161) لقار: لقارئ. حذفت همزته للضرورة.

يَمُـــرُّ بقبر ثم ينطـــقُ ليتنـــي مكانك مقبـــورا ويخفـــى مزاري[162]
فيـــا معشر القـــراء لوذوا بقبره حفاة ونـادوا يا مقيـل العثـار[163]
دعونـــاك إذ عودتنـــا كشف كربـــة على يد هذا الشيـــخ يا خير باري

قلت : وأشار بذلك لما حدث بعده من التقييد على الطلبة وإساءة السيرة فيهم، وبسبب ذلك قل الإعتناء بالعلم بعده بقطره.

سند حديث العدل والإقساط

وقد رأيت أن أثبت في ترجمته رحمه الله **حديث العدل والإقساط** لكونه مشهورا بالعدل في المغرب، فأقول : حدثني الشيخ الإمام مولانا أبو الفضل يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم المناني الحاحي[164]، قال: أخبرني الإمام المحدث أبو العباس أحمد بابا السوداني[165]، قال: أخبرني والدي[166] قال: أخبرني قطب الدين الحنفي محمد بن أحمد بن محمد النهروالي المكي[167]، قال: أخبرني والدي[168]، قال: أخبرني شمس الدين السخاوي، قال: أخبرني أبو العباس الصالحي، قال: أخبرني أبو عبد الله الزبيري قال: أخبرني أبو الوقت الهروي، قال: أخبرني أبو الحسن الداودي، قال: أخبرني أبو محمد السرخسي، قال: أخبرني أبو عبد الله الفِرَبْري، قال: أخبرني البخاري، قال: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى عن عبيد الله، قال: حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل[169]، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد[170]، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على الله وافترقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف**

(162) أشار في البيت إلى قول النبي ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول : يا ليتني مكانه» (رواه البخاري في كتاب «**الفتن**»، باب «لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور»، ج 4، ص. 162).

(163) ورد الشطر الثاني في نسخة هكذا : ونادوا جميعا يا مقيل العثار.

(164) انظر ترجمته في ص. 157.

(165) ستأتي ترجمته في ص. 133.

(166) ستأتي ترجمته في ص. 135.

(167) انظر ص. 62، هامش 6.

(168) هو الإمام المعمر علاء الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي الحنفي، المتوفى سنة 949هـ («**قطف الثمر**»، ص. 42، هامش 1).

(169) في النسخ المعتمدة : العدل. والتصويب من «**صحيح البخاري**».

(170) في النسخ المعتمدة : متعلق بالمساجد، والتصويب من «**صحيح البخاري**»

الله، ورجل إذا تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[171] (الحديث).

مشايخه :

1 ــ منهم الشيخ الصالح الفقيه المحقق الزاهد الورع أبو عبد الله محمد بن مهدي بن سعيد بن الغازي[172] الجراري النسب من بلاد جزولة، الدرعي الدار والمولد، انتقل إليه والده فولد فيه وتربى وقرأ، وكان فاضلا في وقته مرجوعا إليه في زمانه، أديبا لغويا، عرفت له شرحا على «غريب قطرب»[173]، وله أشعار مليحة، وحكم فائقة، وزهد تام، رد على الملوك جوائزهم، واستدعوه لسُكنى مراكش لولاية خطط الرئاسة فأبى لهم، وكانت له فراسة صادقة وكان يقول في مجلسه : «لا يُولّى قضاء سوس إلا من على رأسه خمسون مخروطا»، إشارة لولاية سيدي سعيد القضاء فيه، ولما استقضاه الملك العادل أبو محمد عبد الله[174]، ذكر له هذه الإشارة عن شيخه، فقال له : احكم فكلنا مخاريطك[175].

توفي ليلة الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة، ومولده عام اِثنين وتسعمائة، ودفن بضيعة له يقال لها وادي يمُوت بدرعة وذهبت إحدى عينيه آخر حاله. رحمه الله.

2 ــ ومنهم الشيخ الصالح الفقيه المحصل المفيد الزاهد الورع المجود سيدي أبو القاسم بن عمر التيفنوتي[176] المعروف بالشيخ، ويعرف عند أهل فاس بالكوش[177] مولده ببلده المذكور في قرية يقال لها إغْرَمْ نْ إقْدَّرْنْ، فاسي العلم والمحتد، درعي

---

(171) انظر «صحيح البخاري»، ج 1، ص. 88.

(172) ترجم له أحمد بابا السوداني في «نيل الإبتهاج»، صص. 339-340 ؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 2، صص. 15-16؛ وابن عسكر في «دوحة الناشر»، ص. 94؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، صص. 533-535 وآخرون.

(173) اسمه : «الجملة المهدية في شرح الأبيات القطربيّة» ويوجد في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 4514، و9325.

(174) هو السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ (انظر ص. 100، هامش 139).

(175) مخاريطك : أي سيوفك.

(176) ترجم له الإفراني في «الصفوة»؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 1، صص. 151-153؛ والناصري في «الدرر المرصعة»؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، صص. 542-543 وآخرون.

(177) لسواد لونه.

الإفادة والملحد، كان أسمر، وكان زاهدا متورعا من الشبهات متجردا من الدنيا وعلائقها، يخدم نفسه بنفسه، ولا يدع أحدا يخدمه في شيء، قال سيدي سعيد[178] : «ولا يفارق أن يحمل شيئا إلى السوق على عاتقه يبيعه، وينبه الطلبة على الاحتراف بما تكون منه معيشتهم، وكان عارفا بجل الصنائع ويقول : «ما فاتني منها إلا الخرازة لم أجد من يعلمها لي من أهل فاس»، مع براعته في فنون كثيرة من علم الفقه والعربية والحساب والقراءات حتى قيل لي : أُتِيَ بفريضة في مجلس شيخه الإمام العالم العلامة الصدر أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي[179] فتسارع الطلبة إلى قسمتها فكان أول من قسمها فأنكروا عليه لضيق الوقت، فاختبرها الشيخ فوجدها صحيحة، فدفع إليه صاحبها أربعين أوقية، فأخذ منها عشرة ودفع الباقي لشيخه، فعرفوا مكانه.

وهو أول من وقف على «**حرز الأماني**» للشيخ أبي القاسم الشاطبي[180] بفاس مما جمع من شرطه في المسجد بدرعة، بعث به إلى شيخه المذكور يشتري به ربعا أو عقارا يحبس على قرائه، فكتب إليه : قد بلغت البضاعة واشترينا بها عرسة تُكرَى في كل سنة بعدد بيوت جدول الصفة المشبهة[181]، فعينت لمن قام بالكتاب المذكور. وكان بعث أولا بشيء فأكل في الطريق. قال تلميذه سيدي سعيد الهوزالي المذكور: وكانت مساكن دراستنا بقرب مسكنه ونحن نجِدُّ غاية الجِدِّ، وكان يقول لنا : ما كنتم تصنعون شيئا، ما هكذا عرفت طلبة جزولة. وكان لا يدع أحدنا يجلس على الحجر حرصا على حفظ الصحة.

(178) أي المترجم سعيد بن علي الهوزالي.

(179) توفي عام 914هـ وهو صاحب «**المعيار المعرب على فتاوي علماء أهل إفريقية والأندلس والمغرب**»؛ و«**إيضاح المسالك في قواعد مذهب مالك**» (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، صص. 47–48؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، ص. 1122؛ و«**الفكر السامي**» للحجوي، ج 4، ص. 99؛ و«**الإعلام**» للزركلي، ج 1، صص. 255–256).

(180) هو أبو القاسم وأبو محمد القاسم بن فِيرُّه بن خلف الشاطبي. ولد سنة 538هـ بشاطبة من الأندلس، وتوفي رحمه الله بالقاهرة سنة 590هـ. وهو عالم كبير، وإمام في القراءات. من أهم آثاره منظومة اللامية التي تسمى «**حِرْزُ الأماني ووجه التهاني**» في القراءات السبع. وقد ذاع صيتها، فأقبل الناس عليها إقبالا منقطع النظير. (انظر ترجمته في «**غاية النهاية في طبقات القراء**» لمحمد بن محمد بن الجزري، ج 2، صص. 20–23).

(181) يشير إلى الجدول الذي وضعه الأشموني في شرحه لـ«**ألفية**» ابن مالك في 72 مربعا بعدد حالات الصفة المُشَبَّهة (انظر «**الحركة الفكرية**»، ج 1، ص. 119؛ و«**شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**» بـ«**حاشية**» الصبان، ج 3، ص. 14).

وإنما قيل فيه «الشيخ» لأنه تخرج عليه جماعة من الفقهاء منهم سيدي سعيد ابن علي المذكور، وسيدي أحمد بن محمد البوسعيدي المعروف بأكُوجِّيل(182)، والفقيه سيدي محمد بن عبد الله الوحلاني، والفقيه سيدي إبراهيم بن وَانْزَارْ(183) الجزولي، والفقيه أبو عبد الله الحساني، والفقيه سيدي محمد الكبير، وسيدي الحاج الحساني، وسيدي عبد الرحمان من لا يخاف(184) الفلالي، وابن العشاب(185)، وسيدي عبد الكريم العقبي، وسيدي عبد الرحمان البودلالي، وغيرهم ممن دونهم.

ومما يدل على كمال زهده من الدنيا، ما أخبرني به صاحبنا الأستاذ أبو العباس أحمد بن يحيى السوسي التينزرتي(186) أن الفقيه الصالح سيدي حسين بن محمد الدرعي(187) من أغلا واسف، قال : أخبرني الفقيه الصالح سيدي إبراهيم بن وانْزارْ الجزولي نزيل أغلان بوتليس من وادي درعة أنه كان عنده يوما بمنزله يخيط له شقوقا في رجليه فاستأذن عليه رجل معه دابته، فأذن له فدخل فمد له براءة وسخة فقرأها فإذا هي وصفت كنزا في جبل أمجج بلكتاوة، فقال الشيخ : أتظنون أبا القاسم علام الغيوب، اذهب يا ولي الله يفتح لك، فذهب للموضع الذي وصفت له البراءة من الجبل، فطلب وتردد فلم يجد شيئا، فرجع بدابته ثم التفت إلى الجبل فرأى فيه فتحا لم يعرف فيه، فقال : هذا فتح حدث، فرجع إليه فدخله فوجد أكداسا من الذهب والفضة في داخله، فجعل يأخذ من الذهب ويجعل في غرارته وقد جعلها على دابته مثل الخُرْج(188) حتى مَلَأَهَا، فجاء الشيخ لمثل ذلك اليوم يوم الخميس ووجدني أيضا عنده، فحط عن دابته وفتح غِرارَتُهُ، فقال للشيخ : «هذا ببركتك، لا ببراءتي

(182) توفي بعد 1016هـ. أسند إليه أحمد المنصور الذهبي قضاء درعة. وعاش نحو مائة سنة. ترجم له ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 1، ص. 166؛ ومحمد مخلوف في «**شجرة النور الزكية**»، ص. 301؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 2، صص. 38–39؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 543–544؛ وآخرون.

(183) يقرأ وانزار بتفخيم الزاي، والأقدمون يكتبون الزاي المفخمة صادا عليها ثلاث نقط «ص». انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 119.

(184) انظر ص. 86 هامش 145.

(185) هو الفقيه محمد بن محمد العشاب الأنصاري الدرعي المتوفى بعد 999هـ (انظر ترجمته في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 536).

(186) سيأتي ترجمته في ص. 145.

(187) انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، صص. 188–191.

(188) الخُرْجُ : جُوَالِق ذو أُوْنَيْن. تحمل به الأمتعة على الدواب. ويسمى أيضا الغِرَارَة. والعامة تسميه : «الشَوَارِي».

فإني لم أجد بها شيئا وقد رجعت بلا شيء ثم التفت إلى الجبل فرأيت فيه فتحا فرجعت فدخلت الفتح فوجدت فيه ما رأيت وتركت فيه كثيرا، بالله يا سيدي خذ منه ما شئت نصفه أو أقل أو أكثر، فراوده إلى أقل جزء فلم يقبل، فقال له : خذ لهذا الطالب منه ما شئت، فقال له : لا، لئلا يلهيه ذلك عن لوحه، فمد يده فأخذ مثقالا فأعطاه لي، فقال له : آنصرف برزقك راشدا.

وتوفي رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به في رمضان سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، ودفن بتمْجّرُوت[189] بوادي درعة خارج زاوية سيد الناس[190] جوفها[191] بمقبرتها، وقبره معروف هناك مشهور يزار كثيرا.

وأخذ عن الإمامين : ابن غازي[192] والونشريسي[193] بفاس.

[الشيخ الرابع] :

شيخنا الفقيه المحصل المحقق البحاث العدل القاضي أبو عثمان سعيد بن عبد الله بن إبراهيم الجزولي السملالي العباسي[194] التردانتي دارا ومحتدا، تفقه بالشيخين القاضي الإندوزالي وأبي عبد الله التلمساني المذكورين وبغيرهما وولي قضاء الجماعة بعد وفاتهما فحمدت سيرته وبانت فضيلته واستفاض عدله ورفقه وورعه لم يأخذ من

---

(189) تامكَروت : مقر الزاوية الناصرية، تقع على بعد 20 كلمترا جنوب زاكَورة بإقليم ورزازات («المغرب» للصديق بن العربي، ص. 78).

(190) تقع هذه الزاوية في أرباض زاوية تامكَروت الناصرية. أسسها الشيخ الحاج إبراهيم بن عبد الله الأنصاري، عندما انتقل من المشرق إلى درعة في القرن الثامن الهجري. والمراد بسيد الناس النبي ﷺ. ولم يبق الآن إلا أطلالها (انظر «**الحركة الفكرية**» ج 2، ص. 542).

(191) جوفها : غربها.

(192) هو شيخ الجماعة أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي العثماني المتوفى بفاس عام 919هـ/1513م. من مؤلفاته : «**شفاء الغليل في حل مقفل خليل**»، و«**الروض الهتون في التعريف بأخبار مكناسة الزيتون**»، و«**التعليل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**» وهو فهرسته. (انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، ص. 45 ؛ و«**نيل الإبتهاج**»، ص. 359 ؛ و«**الفكر السامي**»، ج 4، ص. 100 ؛ و«**إتحاف أعلام الناس**»، ج 4، صص. 2-11 ؛ و«**النبوغ المغربي**»، ج 1، صص. 208-209 ؛ والعدد الثاني عشر من «**ذكريات مشاهير رجال المغرب**» لعبد الله كَنون).

(193) انظر ص. 106 هامش 179.

(194) ترجم له الحضيكَي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 340-341 ؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 18، صص. 403-404 ؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 409.

بيت المال مدة ولايته شيئا، وكان مكفيا، وجرى على نهج من مضى من المشايخ في أحكامهم وتسجيلاتهم، بحاثا عن مشهور[195] الأقوال وما به العمل، مطالعا لغريب فتاويهم. لازمته خمس عشرة سنة بالإعتناء التام والهمة الصادقة، وقرأت عليه في جملة من الأصحاب ـ إذ هو وارث الجماعة بعد الشيخين ـ كُتُب الفقه التي تُتَعاطَى في زمننا : «**رسالة**» الشيخ أبي محمد، و«**مختصري الفروع**» لابن الحاجب وخليل، وختمناها عليه مرارا عديدة سوى ابن الحاجب فمرة، وإلى قرب نصفه ثانية، قراءة بحث وتحرير، وكان يستحضر في مجلسه بعد مطالعة الشروح من أمهات الفقه، كـ«**ابن يونس**»[196] و«**التبصرة**»[197]، و«**التنبيهات**»[198]، و«**المقدمات**»[199]، و«**البيان**»[200]، و«**التونسي**»[201]، وغيرها مما يحتاج إليه ويستظهر به على فقه كتب المتأخرين، ويقول : «أخذ الفقه منها أيسر لسلامتها من آفات الإختصار». وختمنا

---

(195) يقصد المالكية بالمشهور ما كثر قائله، وقالوا :

ومـــن يُرد سلامـــة الأحـــوال فليُـفْتِ بالمشهـــور في الأقـــوال

(196) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي المتوفى سنة 451هـ. ألف كتابا جامعا للمدونة أضاف إليها غيرها من الأمهات. (انظر : «**الديباج المذهب**»، ص. 274).

(197) المراد : تعليق كبير لأبي الحسن علي بن محمد اللخمي المتوفى سنة 498هـ، على «**المدونة**» سماه «**التبصرة**» (انظر «**الديباج المذهب**»، ص. 203؛ و«**أزهار الرياض**»، ج 3، ص. 22؛ ونبذة من كتاب «**معالم الإيمان في تاريخ القيروان**» لابن ناجي في بداية «**المدونة الكبرى**» لسحنون، ج 1، ص. 65)، ولأبي القاسم بن محرز القيرواني المتوفى نحو 450هـ أيضا تعليق على المدونة سماه «**التبصرة**» («**الديباج المذهب**»، ص. 226).

(198) المراد كتاب «**التنبيهات المستنبطة، في شرح كلمات مشكلة وألفاظ مغلطة، مما وقع في كتاب المدونة والمختلطة**» للقاضي عياض («**التعريف بالقاضي عياض**» لولده أبي عبد الله محمد، تحقيق محمد بنشريفة، ص. 116؛ و«**أزهار الرياض في أخبار عياض**» لأحمد المقري، ج 4، ص. 347؛ و«تقديم» محمد بن تاويت الطنجي لـ«**ترتيب المدارك**»، ج 1، ص. كج).

(199) «**المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات الشرعيات، لأمهات مسائلها المشكلات**» للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد المتوفى سنة 520هـ.

(200) «**البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل**» للقاضي أبي الوليد ابن رشد. وهو مطبوع ومتداول.

(201) لعله أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن إسحاق التونسي، المتفقة بأبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي. «له شروح حسنة، وتعاليق مستعملة متنافس فيها على كتاب أبي المواز و«**المدونة**»» («**الديباج المذهب**»، صص. 88–99)؛ وفي «**أزهار الرياض**»، ج 3، ص. 12، هامش 2، أن المراد بالتونسي هو أبو القاسم بن محرز القيرواني، وذلك غير صحيح.

عليه مرارا كتب العربية «**الجرومية**»[202] و«**ألفية ابن مالك**» «**ولامية الأفعال**» وشروحها، و«**عقائد**» السنوسي، وشروحها و«**جمع الجوامع**» لتاج الدين السبكي، و«**تلخيص المفتاح**» للقزويني، وأخذ هذه الفنون عن الفقيه المتفنن أبي العباس أحمد ابن سليمان الجزولي الرسموكي[203]، وأخذها عن مشيخة فاس وله بها مدة. وكنت رأيت في المنام قبل ولايته أن عيسى بن مريم عليه السلام نزل هذه الحضرة السوسية في طائفة، فداروا بمائدة يأكلون منها، وكنت ممن أكل معهم. فقصصتها على بعض أصحابنا، فلم يلبث أن ولي، فقال هذه رؤياك، فوكل إليّ سجلاته، فهذا ما يدل على أنه حكم عدل مقسط، وقد اعترف له أهل عصره بذلك، وكذا ما أخبرني به الوالد ــ رحمه الله ــ أنه رآه في منامه قبل ولايته نزل في بركة من خَضْخَاضٍ[204] أسود منتن، فكنت أقول له : بالك، بالك[205]، لا تتلطخ بهذا القذر، فرفع ثوبه وشمر حتى قطعها من غير أن يتلطخ منها بشيء، قلت وهذا من عجيب المثل لخطة القضاء تداركنا الله بلطفه، وكذا ما أخبرني به بعض الطلبة قرب وفاته أنه رأى النبي ﷺ صعد على منارة جامع البلد وعليها[206] علم منشور أبيض فأخذه وطواه، فقص الراوي هذه الرؤيا وانتشر خبرها في البلد حتى انتهى إليه، فاغتمَّ بها حتى أعلم بها أهله فلم يمض إلا يسير فتوفي شهيداً بالطاعون ليلة إحدى وعشرين من ذي قعدة سنة سبع وألف، ودفن بالمقبرة القديمة بباب الخميس.

وقوع الطاعون بالمغرب وبعض من ماتوا به

قلت : ولما وقع هذا الطاعون بالمغرب سنة خمس أو ست إلى سنة ست عشرة وألف، كان أول ما وقع بالحواضر. فأما أهل فاس، فصبروا وتلقوا الأمر بالتسليم فارتفع عنهم من سنته، ولم يعد إليهم، وأما أهل مراكش وتارودانت فتفرقوا له في البادية

---

(202) هكذا ينطق بها أغلب الناس، وهي «**الآجرومية**» نسبة إلى مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم المولود سنة 672هـ والمتوفى سنة 723. و«**الآجرومية**» مقدمة له في النحو، وضعها للمبتدئين، فأقبل الناس عليها إقبالا منقطع النظير، وانتفع بها خلق كثير، وترجمت إلى عدة لغات (انظر ترجمة ابن آجروم في «**نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**» لمحمد الطنطاوي، ص. 224).

(203) من أسرة المزواريين التي أنجبت زهاء عشرين عالما. توفي سنة 985هـ، وهو غير سميه الفرضي المشهور المتوفى سنة 1133هـ. وسيأتي ذكره في ص. 173 ضمن شيوخ أبي عبد الله محمد بن المبارك الأقاوي.

(204) الخَضْخاض : نفْط أسود رقيق تُهْنَأ به الإبل الجُرْب.

(205) بالك بالك : أي انتبه.

(206) في الأصل : وعليه.

والجبال، فكان أكثر وقوعه بهم وانقرض جل أعيانهم حتى استولى الخراب من ذلك على الحاضرتين، ثم لم يزل يعود إليهم سنة بعد سنة وهم يفرون منه مدة من اثنَيْ عشر عاما، فكان يُرى ـ والله أعلم ـ أن ذلك من شُؤْم الفرار منه والجزع فيه، وفي غيره الأخذ بما ورد[207] عن رسول الله ﷺ الذي وكل الله إليه صلاح الدين والدنيا. والآفاتُ المترتبة على الفرار منه من المقاطعة وتضييع ضعفة المسلمين، وترك دفن الأبدان، وتمريض المصابين به، والتلاشي المؤدي إلى حل النظام تقتضي حرمته[208]، وقد شاهدنا من ذلك ما الله أعلم به.

وممن توفي بهذا الطاعون أمير المومنين الملك الصالح، العادل العالم المتفنن أبو العباس المنصور ابن الإمام أبي عبد الله محمد الشيخ بن القائم بأمر الله محمد بن عبد الرحمان الحسني في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وألف بفاس، ونقل منها بعد مدة إلى مراكش، ودفن إلى جنب والده المذكور رحمهما الله.

وقد أخبرني الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الدغوغي صاحب الحسبة بتارودانت، أنه رأى في منامه كأنه في حلقة يسرد فيها «**صحيح**» البخاري بمحل بدار الخلافة بها، وأبو العباس المذكور يومئذ بها قبل ولايته، قال : فرأيت في طرة الكتاب : «ورى الزند»، فكنت أتأمل معناه فالتفتت فإذا برجل بناحية اعتزل فيها على طَنْفَسَةٍ[209]، فوقع في نفسي، فأتيته بالكتاب، فقلت له : ما معنى هذه الكلمة التي في طرة هذا الكتاب؟ فقال لي : قل لمولاك أحمد : «أنا الذي أوريت زندك ما دمت على الحق، فإن عدلت عنه فأنا بريء منك»، فقلت له : مَن أنت يا سيدي؟ فقال لي : رسول الله. فلم يمض إلا قليل، فولي الخلافة، فحمدت سيرته، وناهيك من زند أوراه النبي ﷺ أن ينتفع به. وهذا يدل أن ولاية الإسلام لا تعقد إلا

(207) يشير المنارقي هنا إلى ما رواه الإمام البخاري، في «**صحيحه**» في «كتاب القدر»، باب «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» عن عائشة (ض) أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فقال : «كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمومنين. ما من عبد يكون في بلد يكون فيه ويمكث فيه لا يخرج من البلدة صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد» («**صحيح البخاري**»، ج 4، ص. 104).

(208) بل حرمة الفرار منه ثابتة بالنص. فقد قال النبي ﷺ : «إذا سمعتم به [أي بالوباء] بأرض فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» (متفق عليه).

(209) الطُّنْفَسَة ـ مثلثة الطاء والفاء، وبكسر الطاء وفتح الفاء، والعكس ـ : واحدة الطنافس للبُسُط التي تفرش.

بأمر النبي ﷺ، وقد انتشرت المرائي بذلك في كثير، فمنهم من عَمَّمه[210]، ومنهم من ألبسه الخاتم، ومنهم من قلده سيفا إلى غير ذلك من إشارته ﷺ الدالة على الولايات.

أبو عبد الله محمد بن يوسف الترغي

ومن توفي به الأستاذ الجليل والعالم الكبير الماهر في علم القرآن والتفسير، أبو عبد الله محمد بن يوسف الترغي[211] الفاسي مولدا المراكشي دارا، شدت إليه الرحال لأخذ علوم القرآن من سائر آفاق المغرب وزاحمته الركب طول عمره في نيل ذلك المطلب. وعنه انتشرت بهذه البلاد المغربية القراءات بسائر طرقها. وذكر لي من أثق به من تلاميذه أن الجن تأتي داره فتصطف على قرمودها في صورة الثعابين تستمع القرآن إذا كان يجود للطلبة في دهليزه، وأنه كان أولا يخص الأشراف وذوي الجاه ويستنكف عن ضعفة الطلبة، ثم أصيب بالعمى فكان يرى أن بلواه من قبل ذلك، فتاب وخفض الجناح، ووطأ نفسه لكل أحد وأقبل بالجد الأكيد والإعتناء الشديد على تعليم الكل بصفاء النية وصدق الهمة، فعافاه الله، واستمر على الإجتهاد بعد، إلى أن مات بست وألف[212] بمراكش.

ورِيءَ في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ولكل من مات يوم موتي حتى عزوز المَكَّاس، لمَكّاس كان على المَكْسِ[213] بمراكش، فبُحث عنه فوجد مات يوم موته، وما ذلك إلا لما ورد أن القرآن شافع مشفع[214].

أبو العباس احمد بن سعيد الشكوتي الهشتوكي

ومن توفي به صاحبنا الأستاذ النجيب أبو العباس أحمد بن سعيد الشكَوتي الهشتوكي[215]. كان يقرأ القرآن بالقراءات السبع، توفي في أوائل سنة أربع عشرة وألف

---

(210) عمَّمَه : ألبسه العمامة.

(211) ترجم له الإفراني في «**الصفوة**»، والكتاني في «**فهرس الفهاس والأثبات**»، ج 1، ص. 265؛ والمراكشي في «**الإعلام**»، ج 5، صص. 192–208؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 44–45؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 380. وتوجد ترغة التي نسب إليها في جبالة قرب تطوان.

(212) في «**مناقب**» الحضيكي أنه توفي بالطاعون سنة 1014. وفي «**الحركة الفكرية**» أنه توفي عام 1009هـ/ 1600–1601م.

(213) المَكْس : النقود التي تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق، وهو حرام، لقوله ﷺ : «لا يدخل الجنة صاحب مكس» (رواه أبو داود وأحمد وغيرهما عن عقبة بن عامر (ض)، وصححه ابن خزيمة والحاكم).

(214) روى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفعان».

(215) ذكره المختار السوسي في «**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 39.

ورأيته في النوم بعد مدة كأن وجهه قطعة قمر، فقلت له : أين كنت؟ فقال لي : في جنة المأوى وهو يضحك ضحك مسرور، فقلت له : وأين أصحابنا كلهم؟ فأشار لي بيده وقد حرفها كالمؤكد : كلهم في جنة المأوى.

شفاعة القرآن لاهله

قلت : وشفاعة القرآن لأهله مأثورة، وفضائله في الدين مذكورة، وكراماته في الأمة مشهورة. أخبرني بعض الطلبة أن أخا له مات في حال هيجان شبابه، وكان يقر فهممت من حاله، فرأيته في المنام في بعض الليالي في قصر عجيب، فرفعت إليه رأسي فقلت : بِمَ وصلت هذا؟ فقال لي : انتظر، فنزل إلي ومد لي من بعض طيقان[216] القصر شيئا من السمخ[217] فرجع ولم يقل لي شيئا، فعلمت أن ما يقرأ شفع فيه.

وأخبرني بعض إخواني في الله أن فتى ببلدهم زوجه أبوه في أول شبابه، فقتل زوجته، فمضى هاربا يتردد في البلاد، ثم أخذ لوحته واشتغل بقراءة القرآن، ولم يزل كذلك من بلد إلى بلد إلى أن دخل بلاد وسلستن[218]، فأصبح ذات ليلة وأخذ لوحته، فوجد زهرا كأحسن ما يكون نبت في رأسها أخضر العود أبيض اللون، فلواه بيده على سطح اللوحة فرجع مستقيما كما كان وكان نبته على رأس الألف من قوله تعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾[219]. فمشى خبره في ذلك البلد حتى اجتمع إليه قاضيه وشهوده وأعيانه فعاينوه فرأوا ذلك علامة لمغفرة ذنوبه وشفاعة القرآن العظيم له، فرجع لأهله وعفا عنه أولياء المقتولة وحسنت حالته والحمد لله وذكرت هذا بحسب الانجرار وإن لم يكن التقييد موضوعا له.

[الشيخ الخامس]

شيخنا الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عَمْرو[220] بن أحمد

---

(216) طيقان : جمع طَاق وهو ما عُطِف من الأبنية، وضرب من الثياب، والطيلسان أو الأخضر («قاموس»).

(217) مادة يكتب بها، تصنع من الصوف المحروق.

(218) لم أقف على هذا الاسم في معاجم البلدان التي رجعت إليها، ولعله «سلاس» وهو اسم منطقة جنوب نهر ورغة (انظر **الحركة الفكرية**، ج 2، ص.486).

(219) **سورة النحل**، الآية 17.

(220) في النسخ المعتمدة وفي «**مناقب**» الحضيكي : عُمَر ؛ وفي «**المعسول**»: عمْرو.

البعقيلي الجزولي[221]، خطيب جامع القصبة[222] وإمامه. وكان ذا سمت وفضل وكمال مروءة وورع له خط حسن. وهو أول من نزلت عليه مقدمي لترودنت. وأول من جلست في مجلسه وفتح لي باب الطلب، وقرأت عليه مقدمات علم النحو والعقائد وأوائل الكتب وعلم الإعراب والتصريف في حسن تنبيه وتوجيه، ووقعت لي معه قضية تدل على أنه من أهل المكاشفات، وذلك أن عشائي تخلف عني ليلة فرقدت ثم سمعت حركة بابه المفتوح في صحن الجامع فخرج واستدعاني وماعون الطعام بيده، فقال : كل ! فأكلت معه. فدخل ولم يقل لي شيئا، ولا استدعاني قبل ذلك ولا بعده قط، فعلمت أن الله تعالى أطلعه على شأني، وتوفي شهيدا بالطاعون سنة ست وألف. وبه توفي كثير من أصحابنا الطلبة بمدينة مراكش وتارودانت، وهو أشده وبه وقع الجزع الهائل والكمد الطائل، وفيه قلت : [الرمل][223]

بارئي الخلـــق لك الخلـــق ضرع	ولبـــاب العفــو دومـــا[224] قد قرع
دانت الأنــــفس مما عمــــلت	واجتـــرعت مما اجترحتـــه[225] جُرع
وجنينـــا ندمـــا منـــه وهـــل	يحصد المرء سوى ما قد زرع
فبكينــــــا وأتينــــــاك عسى	تنجي من أمــر عظيم قد فَظُــع[226]
فلك الملك وبالعــــــدل قضيْتَ	والمختـــار الـــذي ما شاء صنـــع
ولك الإفضال[227] علينـــا ومـــا	ضرك الـــذنب ولا الطـــوع نفـــع
جل مقـــــــــدار علاك هدى	كم عليها من برهـــان قد سطـــع
زَوَت[228] الخلــق إلــيك عقوبَتُهـــا	فانــــزووا طرا فإلـــيك الفـــزع

(221) ترجم له الحضيكي في «المناقب»، ج 2، ص. 46 ؛ والمختار السوسي في «المعسول»، ج 8، ص. 155.

(222) أي قصبة تارودانت التي تقع في الزاوية الشمالية الشرقية، ويحيط بها السور. والمنفذ الوحيد إليها قديما هو باب القصبة، وفيها الآن المحكمة الإبتدائية، وسجن تارودانت، وفندق السلام ومرافق أخرى، إضافة إلى حي شعبي عتيق.

(223) غالب أشطار هذه القصيدة منكسرة الوزن.

(224) هكذا في إحدى النسخ. وفي بقية النسخ المعتمدة كتب مكان «دوما» : «بذل».

(225) مما اجترحته : مما اقترفته من الذنوب والآثام.

(226) فَظُع : اشتدت شناعته، وجاوز الحد.

(227) الإفضال : الإنعام.

(228) زوت الخلق : جمعتهم، يقال زواه بمعنى نحّاه، وزَوَى الشيء بمعنى جمعه، والمعنى الثاني هو المناسب للسياق.

شمل الكــربُ جيعَهــــمُ وغــــدوا ... شتَّــى[229] بعدمــا الشمــل جُمِع
فَلَطــال[230] ذا الخطب علينــــا وكَمْ ... من خيــــار الخلـــق به قد صُرِع
عِظــــة لذوي تقـــواك ومــــن ... كان مِن أولى الأبصار شَسَع[231]
كَرِيمَ الصفح تدارَكْ بالعفــو وجُـد ... باجتماع الشمـــل وأمْــــن من جَزَع
بوسيلتك العظمـــى جئنـــاك ومـــن ... قد تشفعه في الخلق متى ما شَفَع
وَزَر[232] الخلـــق وغـــوث غياثِهــــمُ ... مصطفاك الـــذي بالأمـــر صَدَع[233]
فأدِمْ رب عليـــــــــه صلاتك ما ... سَجَـعت وُرْق[234] ومــا بَرْقٌ لَمَـع
وعلى آل البــــــــيت الألى بهمُ ... في حِمَى الأمـن جميعُ الخلق رَتَع[235]
وصحابِه خيرِ الصَّحْب ومن لهــم ... قد غدا في سبيــل الــرشد تبــع

[الشيخ السادس]

شيخنا الفقيه الأديب الفرضي اللغوي أبو زيد عبد الرحمان بن عمرو[236] بن أحمد الجزولي البعقيلي[237]، عم أبي عبد الله المذكور قبله. له ذكاء وفطنة متقدة، وبرع في عدة فنون من نحو ولغة وتصريف وحساب وشعر ونجوم، ولفراسته في علم النجوم نقله المنصور إلى مدينة مراكش للتوقيت وتعليم علمه. وله شرح مفيد على **«روضة الأزهار»**[238] على التوقيت والتنجيم سماه **«قطف الأنوار من روضة**

---

(229) شتى : متفرقين.

(230) فلطال : فلقد طال. وحذف **قد** مع لام القسم جائز.

(231) شَسَع : بعُد، أي عن المعاصي وتاب إلى الله.

(232) الوَزر : المَلْجَأ والمُعْتَصَم.

(233) صَدَع : جهر، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فاصدع بما تومر﴾ (سورة الحجر، الآية 94).

(234) الوُرْق : جمع وَرْقَاء وهي الحمامة.

(235) رَتَع : أكل وشرب ما شاء في خِصْب وسَعَة.

(236) في النسخ المعتمدة : «عُمَر» ـ لا عَمْرو ـ وهو ما عند الإفراني في **«الصفوة»** أيضا ؛ وفي **«المعسول»**، ج 8، ص. 153؛ و**«مناقب»** الحضيكي، ج 2، ص. 156؛ و**«رجالات العلم العربي في سوس»**، ص. 31 : عَمْرو ـ لا عُمر ـ.

(237) ترجم له الإفراني في **«الصفوة»** ؛ والحضيكي في **«المناقب»**، ج 2، صص. 156-157؛ والمختار السوسي في **«المعسول»**، ج 8، صص. 153-155؛ وابن إبراهيم المراكشي في **«الإعلام»**، ج 8، صص. 117-118؛ ومحمد حجي في **«الحركة الفكرية»**، ج 2، صص. 411-412 ؛ وآخرون.

(238) **«روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار»** لعبد الرحمان الجادري المتوفى سنة 839هـ/1435م ؛ وشرح البعقيلي : **«قطف الأنوار...»** مطبوع على الحجر بفاس.

الأزهار»، وآخر على «**اليسارة**»[239]، ورجز في المنطق[240]، وقصائد في الشعر مليحة، وهو الذي نصب في كل من منارتي مدينة ترودانت : منارة القصبة ومنارة الجامع الكبير رخامة نقش فيها الساعة الزمانية والأصابع المبسوطة والسموت وخط الزوال وخط الظهر وخط العصر وخط آخر العصر لمدينة ترودانت ولكل بلد يوافقها في العرض، وركز في وسطها مسمارا يعتبر ظله مع كل خط من تلك الخطوط. فإذا وقف الظل على خط الزوال علم، ثم كذلك إلى آخرها، بحيث لا يحتاج المؤذن في شيء من ذلك إلى كلفة. قال شيخنا أبو محمد عبد الله بن المبارك[241] : لم أتأسف على فقيه مات تأسفي عليه لفوات هذه العلوم بموته، ولم يتخلف ببلاد المغرب من يحققها مثله. ولغلبة الإنقباض عليه، قل الأخذ عنه. وكان سبب نقله أن المنصور رأى من دلائل التنجيم جيوشا فهاله ذلك وظن أنها تزحف له، فأعلم بذلك صاحب سره أبا الحسن علي بن سليمان بن عبد الله التملي[242]، فكتب بذلك لأخيه أبي بكر بن سليمان[243]، وكان يتعلم عليه، فسأله عنه، فقال له : هي جيوش الجراد. فكتب بذلك للمنصور، فلم يلبث إلا قليلا. فجاء الجراد، فطبق سائر أقطار المغرب، فسماه المنصور عبد الرحمان الجراد، فنقله لما رأى من ذلك لمراكش، حتى وقع الوباء. رجع لترودانت وانتقل منها لبلده بعقيلة. وبها توفي سنة ست وألف[244].

---

(239) لابن البناء العددي المراكشي، وستأتي ترجمته في ص. 452، هامش 1461. والاسم الكامل لمؤلف ابن البناء الذي شرحه البعقيلي : «**اليَسَارة في تعديل السَّيَّارة**» وهو من تآليفه المشهورة، أتى به على وجه التقريب للمبتدئ» («**ابن البناء**» لكنون، العدد 32 من «**ذكريات مشاهير رجال المغرب**»، ص. 28). وسمى البعقيلي شرحه : «**شرح اليَسارة في الهيأة**» («**الحركة الفكرية**»، ج 1، ص.158، هامش 149).

(240) سماه : «**الدرى المشرق، في علم المنطق**»، وقد شرحها العلامة يبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي.

(241) ستأتي ترجمته في ص. 167.

(242) وهو ابن أخي سيدي الحسن بن عثمان التملي، من أسرة «أيت إزيمّز ـ آل الكبش ـ من قرية «أسكَاور» بقبيلة «أملن». توفي بعد 999هـ/1590م. ترجم له ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 3، صص. 254-255؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 13، ص. 270؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 47؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 572-573.

(243) توفي حوالي 1010هـ/1602م، أخذ عن عبد الرحمان البعقيلي التنجيم والتوقيت والحساب. ترجم له ترجمة مختصرة محمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 573 ؛ وذكره المختار السوسي في «**المعسول**»، ج 13، ص. 270.

(244) نقل الرسموكي في «**وفيات**»ـه (ص.23) عن ولده عبد الكريم أنه توفي يوم الثلاثاء 9 رمضان 1008هـ، ومثله عند الحضيكي، في «**المناقب**» (ج 2، ص. 156)، إلا أنه قال : «سابع رمضان». ونقل المختار =

ومن شعره في بعض شرط الدولة : [الطويل]

تسفـــه بعض النـــاس كبرا ونخوة وجـار وعـم النـاسَ منـه فساد
فيا أسفـا ! إن الأفـاضل قد مضوا وقـام علينـا الأرذلـون فسادوا[245]

[الشيخ السابع] :

شيخنا أبو علي منصور بن محمد بن يوسف بن محمد السوسي المومني[246]، له ممارسة بالفنون ومشاركة في المعقول والمنقول، مع نباهة وبراعة قلم. قرأت عليه بقراءة الغير «**عقائد الإمام السنوسي**» صغراه وكبراه وشروحهما، ومقدمات المنطق، و«**تلخيص**» القزويني و«**أصول**» السبكي، وجل «**محصل المقاصد**» لابن زكري[247]، وكان فصيح القلم أديبا شاعرا، عرفت له تخميسا جيدا لقصيدة ابن وفاء التي أولها : [البسيط]

إن أبطأت غارة الأرحـام وابتعـدت عنـا فأسرع شيء غـارة الله

وكتب إليه بعض معاصريه في التوبة : [الطويل]

صحوت خليلي فاجفُنِـي أو تقـرَّب وسيـان إن تكرم لي ذا أو تُقـرُّ بي
وهـا أنـا ودعت الصبابـة خاليـا وخالـفت روض اللهـو كالمتـغضب
وحـرَّمتُ تذكار الغـواني لأنـه يهيج شوقي وهـو أخطر مُعْطِبِ[248]
وسلـمت من سلمـى وسالمت عاذلي وحملت نفسي ترك عود المحبب
وعـودتها صبرا على ترك ما به نزيـل[249] الهمـوم عن ضمير المحجَّب

= السوسي عنه ذلك في «**المعسول**»، ج 8، ص. 153، لكنه أخطأ فكتب 1007. ونقل ذلك عنه محمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 411. واعتبر المختار السوسي ما نقله الحضيكي عن ولده هو الصحيح، قائلا : «وأما ما ذكره صاحب «**الفوائد**»، فلا يعول عليه» («**المعسول**»، ج 8، ص. 154).

(245) أورد كَنون البيتين في «**النبوغ**»، ج 3، ص. 155 هكذا :

تجبر بعض النـاس كبرا ونخوة وعـمَّ جميـعَ النـاس منـه فساد
فيا أسفـي إن الأفـاضل قد مضوا فقـام علينـا الأرذلـونَ فسادوا

(246) ترجم له ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 3، ص. 10؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 7، ص. 256؛ وذكره المختار السوسي في «**المعسول**»، ج 5، ص. 29.

(247) في نسخة لابن زكرياء.

(248) معطب : مُهْلِك.

(249) في نسخة : تزيل.

بحيث إذا شمس العشي تبهرجت[250] وألقت رواقا فاكتسى كل مَشْعَبِ[251]

ثنيت[252] عِنان اللحظ عن حسن وجهها وقلت انجلي إن شئت أو فتنقبي

وَلِمْ لا وهذا العمر قد مر جله على خطَل[253] ما بين عاص ومذنب

وكيف انتظاري واعتذاري وقد بدا مشيبي فيا نفسي ارعوي وتأدبي

وكم توبة قد تبتها فنكثتها[254] وما قَنطَ البَنّاء من فعل مُخرِب

وكنت إذا أمضيت للنُسك عزمة عشيةَ يوم أصبحَتْ في تقلب

تُبَيِّنُ لي فعلَ الخبيثة جهرة فساعدها طبع الهوى في التشغب[255]

تُسامر قلبي بالأماني[256] وقصدها على علمها بما جرى من تغرُّب

هي النفس إن تتبع هواها تمردت عليك وإن تقطع أمانيها تُغلبِ

خسرتُ وربِّ البيت إن كنتُ قاعدا بدار الأماني[257] مَغرِباً بعد مغرب

وقد هزني للشوق ريح إنابة فهل لك شوق للمَقام[258] ويثرب[259]

أعَفّرُ[260] خدي في ثراه لعلني أخفف أوزار الفؤاد المعذب

أنادي رسول الله جئتك تائبا وإني كثير الذنب قِدماً بمَغرب

وإن اشتباك الذنب بالروح محكم وفي بحر أوزاري تكسَّر مركبي

فخذ بيدي إني غريق ومن يلذ بجاهك يا خيرَ الورى لا يُعذَّبِ

فأجابه : [الطويل]

صحوت فلا أجفوك بل أتقرب ولا كم للوجد الذي قد أقرَّ بي[261]

(250) البهرج : الرديء المزيف، والمراد أن الشمس في العشي يضعف نورها، ولا يسطع شعاعها.

(251) المَشْعَب : الطريق. وفي نسخة : معشب ـ بتقديم العين على الشين ـ.

(252) ثنيت : عطفت.

(253) خطل : خطإ وخفة وسرعة.

(254) نكثتها : نقضتها.

(255) التشغيب : مهيج الشر، ومطاوعه : التشغب.

(256) في نسخة : بالأمان.

(257) في نسخة : الأمان.

(258) المقام : مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، في المسجد الحرام (انظر : «**معجم البلدان**»، ج 18، ص. 164).

(259) يثرب : اسم من أسماء المدينة المنورة، كانت تسمى في الجاهلية «يثرب» فسماها النبي ﷺ وسلم «طيبة» (انظر «**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**»، ج 1، ص. 26).

(260) أعفر : أمَرِّغ.

(261) أقَرَّ بي : مراده : استقر في.

فإن كنتَ ودعتَ الصبابة تائبا	وجنبت روض اللهو كل التجنب
وسلمت من سلمى وليلى وليلها	وعزّتك[262] عزٌ[263] في المُحيَّا المغيّب
وبتّتْ[264] لك التقوى حبالَ بُثينةٍ	ووصلَ سعادٍ والرَّباب وزينب
وتلك المغاني[265] والغواني[266] التي بها	وأغمضت عن رمز البنان المخضب
وقيّدت ألحاظ الأرام[267] برُقْيةٍ[268]	تقيك سهام الغُنج[269] عند الترقب
وصليت أربعا[270] على كل من دها[271]	وكنت لدى الأكوان كالمتغرب
تيقظت من نوم وخلَّفت حُلمَه	خيالا وراء الظهر كالمتقشب[272]
فيالك من سعد ويالك من حِجىً	ويا لك من أمن ويُمْنٍ ومَذهب

توفي سنة ألف[273]، ودفن بمقبرة سلفه بقرية بني مومن[274] بسوس.

مشايخه :

1-2 - منهم الشيخان أبو عبد الله التلمساني، والقاضي أبو عثمان سعيد الإندوزالي المتقدم ذكرهما.

---

(262) عزّتك : من التعزية، أي سلتك وصبّرتك.

(263) عز : عزة. رخمه للضرورة.

(264) بتّت : قطعت.

(265) المَغاني : المنازل، مفرده : مَغْنى.

(266) الغواني : جمع غانية، وهي الشابة العفيفة التي تستغني بجمالها عن الزينة.

(267) الآرام : جمع رِئم، وهو الظبيُ الخالص البياض.

(268) الرُّقية : العُوذة، أي ما يُقرأ على المريض ليبرأ.

(269) الغنج : الدَّلال.

(270) صليت أربعا : أي صليت عليه صلاة الجنازة، والمراد تركته نهائيا.

(271) دَهَا : أصاب بداهية.

(272) المتقشب : مراده من ينزع القميص، لأن القميص يسمى القشاب أو «أُقْشَّابْ» باللهجة المحلية، فاشتق منه الشاعر تقشب.

(273) ذكر المختار السوسي في «المعسول»، ج 5، ص. 29، أنه توفي عام 1006هـ.

(274) قرية بني مومن : هي قرية «إِدَاوْمُومْنْ» التي تتكون من ثلاثة مداشر هي : «أَكَادير نِدَاوْمومن» و«تَخْنْضُورْتْ» و«تيكَودار»، وهي الآن تابعة لجماعة «إداومومن» التابعة لقيادة «الحُمْر». وكانت هذه القرية قديما في عداد قرى قبيلة هوارة، وتبعد عن تارودانت بثلاثين كلمترا من الناحية الشمالية وتقع بين قبيلتي «اركيتة» و«إِدَاوْزَال».

3 ـ ومنهم الفقيه مبارك بن يحيى السكَّتني[275] نزيل مراكش وفقيهها، توفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

4 ـ ومنهم شيخ الجماعة العالم العلامة أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان، عالم فاس، المعروف بالمنجور، توفي في يوم الاثنين سادس عشر ذي قعدة سنة خمس وتسعين وتسعمائة[276].

[الشيخ الثامن]

شيخنا أبو عبد الله بن مبارك السوسي التيوتي[277] نزيل تارودانت، شارك في عدة فنون من فقه وعربية وكلام ومنطق وحساب وفرائض وأصول وحديث وقراءات مشاركة حسنة، في سهولة أخلاق ولين جانب، لازمت حلقته مدة طويلة في قراءة الفنون المذكورة وانتفعت به وكانت له بركة، انتفع به كثير من طلبة الحاضرة السوسية، وكان يجري مع المتون. وكان يقول ويحكيها عن بعض شيوخه : «إذا متنا، كنتم علماء وقتكم على ما كنتم».

توفي في شعبان سنة خمس عشرة وألف.

مشايخه :

1ـ2 ـ منهم أبو عبد الله التلمساني والقاضي الإندوزالي المذكوران.

3 ـ ومنهم أبو حفص عَمْرو[278] بن أحمد الجزولي البعقيلي[279]، مفتي

---

(275) يقال في النسب إلى «سكتانة» : السكّتاني، والسكّتني. وسيرد ذكره أيضا في ص. 126 ضمن شيوخ النابغة الهوزالي.

(276) انظر ترجمته في صص. 141ـ142.

(277) ترجم له الحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 47ـ48؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 573، وهو المعروف بأشخن. وستأتي ترجمته أيضا في ص. 283.

(278) في النسخ المعتمدة : عُمر ـ لا عمرو ـ وفي «**المعسول**» و«**وفيات**» الرسموكي : عَمْرو. وهو والد شيخ التمنارتي السادس : عبد الرحمان البعقيلي المشهور بالجراد (انظر: ص. 115).

(279) انظر ترجمته في «**المعسول**»، ج 8، صص. 151ـ153.

الحضرة المذكورة وخطيبها. وتفقه بمشيخة فاس[280]. وبها توفي ـ فيما أظن ـ سنة سبع وستين وتسعمائة[281].

4 ـ ومنهم فقهاء فاس الذين يذكرون في ترجمة شيخنا الفقيه القاضي أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتي[282].

[الشيخ التاسع] :

شيخنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن علي بن حمزة الجزولي السملالي. له مشاركة في الفنون. حضرت دروسه في بدايتي وانتفعت به. وكان زاهدا. وتوفي[283].

[الشيخ العاشر]

شيخنا أبو عثمان الفقيه المشارك، سعيد بن عبد الله بن يدير التملي[284]. شارك في كثير من الفنون. وحضرت دروسه سنة كاملة في الفقه والعربية والعقائد والأصول والبيان. وله خط حسن وشعر مليح ورسائل فصيحة. وكان يستناب في قضاء الجماعة. توفي في رمضان سنة ثلاث وألف.

مشايخه :

1ـ2 ـ منهم أبو عبد الله التلمساني، وأبو عثمان الإندوزالي المتقدم ذكرهما.

3 ـ ومنهم الفقيه الصالح الزاهد أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن محمد

---

(280) ذكر المختار السوسي في «المعسول»، ج 8، ص. 151 : أنه من طبقة السوسيين التي تخرجت بآبن غازي والونشريسي.

(281) الذي في «وفيات» الرسموكي، ص. 18، هو أنه «توفي في أواخر عام 968هـ. أو أوائل عام 969 تقريباً».

(282) انظر ترجمته في ص. 139.

(283) هكذا في جميع النسخ المعتمدة. وهو من فقهاء القرن العاشر، لأن ابنه سعيدا توفي سنة 1003هـ («رجالات العلم العربي في سوس»، ص. 28).

(284) ترجم له ابن القاضي في «درة الحجال»، ج 3، ص. 303؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 2، ص. 345 (ولم يزد على ما في «الفوائد الجمة») ؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 409.

من بركات الفقيه ابي زيد عبد الرحمن الجزولي الحامدي

الجزولي الحامدي[285]. كتابه في الفقه «شامل» العلامة بهرام[286]، وكان فقيها صالحا زاهدا متورعا. وكان لا يدع من يأتيه من الخصوم وغيرهم بلا مؤونة نفسه ومركبه. وأضاف الأستاذ الكبير أبا عبد الله محمد بن يوسف الترغي[287] ممَّره لزيارة الولي أبي العباس سيدي أحمد بن موسى، وقال : إنه رجل صالح له بركة، أكلت عنده طعام الشعير فلم تنكره طبيعتي ولا ضرها، وكانت قبل ذلك لا تقبله ويضرها أشد الضرر، وكان يقول ذلك على كرسي إقرائه. ومما بلغ مبلغ التواتر في بلده أن رجلا حكم عليه فأراد الفتك به، فترصد له موضعا خاليا. فلما جاءه وقعت عليه الظلمة فمنعته منه، فجاء إليه وتاب، توفي عام أربع وثمانين وتسعمائة.

أخذ عن والده، ووالده عن عالم سجلماسة سيدي إبراهيم بن هلال[288]، وهو عن أبي عبد الله القوري[289].

4 ـ ومنهم أخوه الفقيه الأديب الشاعر المفلق البليغ، أبو عثمان سعيد بن علي ابن محمد سهم القريض المغرب، وإمام الأدب العريض بالمغرب، مرتسم في زمام أئمة البلاغة، متسم بتمام الإبداع وحسن الصياغة، بشعره نَافَحَ أقصى المغرب أدناه، وبسحر بيانه كافح جيش المحاورة فعاد ملك يمناه، والأدب له عبد يجيب متى دعاه، وسهم يصيب الغرض متى رماه، ودوحة اللسان بقطره بتلقيحه أثمرت، وروضة البيان بتنقيحه أمرعت وأعطرت، وقصائد شعره التي سحرت الألباب، وفاضت فيضان العُباب[290]، تشهد له[291]. توفي قبل الثمانين وتسعمائة[292] بمراكش ودفن بها.

(285) ترجم له البعقيلي في «المناقب»، صص. 29-30؛ والحضيكي، في «المناقب»، ج 2، صص. 299- 301 ؛ والمختار السوسي في «خلال جزولة»، ج 2، صص. 133-137 ؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، صص. 592-593.

(286) انظر : ص. 255، هامش 327.

(287) انظر ترجمته في ص. 112.

(288) انظر ص. 86، هامش 72.

(289) انظر ص. 86، هامش 73.

(290) العُباب : معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه. في بعض النسخ : الصباب.

(291) عدا التمنارتي هنا على فقرة تفحية، ولكن لا بأس (المختار السوسي، «مترعات الكؤوس»، ص. 6، هامش 1).

(292) توفي عام 973هـ (1565م) كما عند المختار السوسي في «رجالات العلم العربي في سوس»، ص. 20؛ وعند حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 592. ترجم له ابن القاضي في «درة الحجال»، ج 3، صص. 301-302؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 2، صص. 332-333؛ والمختار السوسي في «خلال جزولة»، ج 2، صص. 130-133، وفي و«مترعات الكؤوس»، صص. 5-8.

5 – ومنهم الفقيه اللغوي أبو عثمان سعيد بن إبراهيم الهلالي السوسي[293]، شارك في الفقه والأصول والعربية، وغلب عليه الأدب واللغة، وله قصائد فصيحة، وقطع من الشعر مليحة. ورد قاضي الجماعة بفاس أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي[294] لترودانت بسوس، فكأنه حقر شأن طلبتها، فكتب إليه سؤالا عن مسائل بنظم رائق، فعجز عن الجواب عنها. فاحتمله إلى مدينة فاس، فأجاب عنه أبو العباس المنجور.

سؤال

وصدر السؤال : [الطويل]

إلى علمك العالي مسائل ترتقي ... تفطن لهن يا حميدي واصدق

فما الحكم في الأوزاغ هل ساغ أكلها ... وما الحكم في موثى الجانين فانطق

وهل جاز للمسبوق بعد تشهد ... دعاء إذا ما رام إكمال ما بَقِي

وما وزن «ليس» يا حبيبي وأصله ... وما جمع قلة لـ«صاع» فحقق

وما وزنه شمر، ولا تن، وائتنا ... بجمع «سواء» والمُقيَّد أطلق

وبين لنا «من» في أعوذ بربنا ... من ابليس[295] والتخمين في الكل فائق

جواب أبي العباس أحمد المنجور

فعجز القاضي الحميدي عن الجواب، فحمل السؤال لفاس، فأجابه شيخ الجماعة بها العالم المتفنن أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور بما نصه :

جوابك في الأولى إباحة أكلها ... بمذهبنا فاجزم بذاك وصدق

كذا ابن حبيب[296] في «الخشاش» أباحه ... لمحتاجه مع العقارب فاسبق

وقد قيل في الأوزاغ يحرم أكلها ... وذلك في «الكافي» ليوسف[297] فارتق

---

(293) ترجم له ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 3، ص. 301 ؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، ص. 333 ؛ والمختار السوسي في «**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 23.

(294) توفي سنة 1003هـ/1595م : ترجم له كثيرون ذكر أهمهم محمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 561، هامش 51.

(295) يقرأ «مِنِ إبليس» بنقل حركة الهمزة للساكن قبلها لضرورة الوزن.

(296) ابن حبيب هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي الأندلسي المتوفى سنة 238هـ. وهو من أكابر فقهاء المذهب المالكي. وله مؤلفات شتى منها كتاب «**الواضحة في السنن والفقه**» (انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**»، ج 4، صص. 222–242).

(297) يوسف : أبو عمر يوسف بن عبد البر النَّمَري القرطبي الأندلسي المتوفى سنة 463هـ. وهو «شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته». (انظر ترجمته ومؤلفاته – ومنها «**الكافي في الفقه**» المشار إليه في البيت – في «**ترتيب المدارك**»، ج 8، صص. 127–130).

ومستقذر يحكي «المخالف» سوغه   وأنكره «التنبيه» فافهم ودقق
ورجح ما يحكي «المخالف» بعضُ من   له العزو للتحقيق لا للتشدق
وميت مجنون جرى خلف حكمه   بعلم كلام لا تكن غير متق
وتحقيقها أن الجنون الذي طرا   يصير كموت فَصْل الحق يعبق
فآونة بعد البلوغ طُرُوُّه   وحينا يرى قبل البلوغ فطبق
وآونة إثر الصلاح وقوعه   وحينا بعصيان الكبيرة يلتقي
وحينا يدوم للممات وتارة   يفيق فخذ حكم الجميع ووثق
ويندب للمسبوق دعوى[298] تشهد   وفاق إمام في الثلاثة فارتق
و«ليس» له فعل كَتَّال وأصله   بكسر لياء فاكسر العين ترتق
وجمعك «صاعا» في القليل بأَصْوُعٍ   وأصْؤُعٍ[299] بهمز الواو أنهجُ[300] ونمق
وإن شئت فاقلبه ليرجع آصُعا   لضابط تصريف وللعلم شوق
وصاع كعام عينه فرع ضمة   وتحريكه فتح فزنه وحقق
ومقصود «من» في العوذ بدءٌ لغاية   فإبليس مبدا العوذ عند الموفق
وجمع «سواء» فالذي منه جامد   بأفعلة فاعلم يقاس ففرق
ومشتقه وزن الخطايا قياسه   سواسية نقلا، فبالمدح فانطق[301]

وفي «تاريخ» ابن القاضي المكناسي[302] أنه توفي في العشرة الثامنة من المائة العاشرة، وهو ما بين السبعين والثمانين[303]، ودفن بتِنْزِرْتْ[304] بالمقبرة القريبة من

(298) دعوى : أي دعاء.

(299) وأصؤُع : يقرأ بسكون العين للضرورة.

(300) أنهج : أوضح.

(301) انظر أيضا «نزهة الحادي»، صص. 133–134؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 2، صص. 276–277. والاستقصا 5/167 – 168 .

(302) هو أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي المتوفى سنة 1025هـ/1616م. (انظر في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 368، هامش 65 مصادر ترجمته). له عدة كتب تاريخية منها : «جذوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس»؛ و«درة الحجال في أسماء الرجال»؛ و«لقط الفرائد من لفاظة الفوائد»؛ و«المنتقى المقصور، على محاسن الخليفة أبي العباس المنصور».

(303) في «رجالات العلم العربي في سوس»، ص. 23 أنه توفي سنة 975هـ؛ وفي «وفيات» الرسموكي، ص. 19، و«المعسول»، ج 5، ص. 29، أنه توفي عام 978هـ.

(304) مدشر من مداشر قبيلة المنابهة بسوس.

القرية، لا القديمة التي دفن فيها الشيخ الإمام حسين بن طلحة الشوشاوي[305] التي في الغابة البعيدة عن العمران.

[الشيخ الحادي عشر]

شيخنا الفقيه الأديب اللغوي الشاعر المعروف بالنابغة في عصره أبو عبد الله محمد بن علي السوسي الهوزالي[306]. كان نزيها ظريفا مشاركا في الفنون، بارعا في العربية والأدب، رائق النظم. له في الدولة المنصورية قصائد بليغة[307]، وولي القضاء ببعض الأعمال التسعة بالسوس فأنفذ الحق وغير المناكر، ثم ولي الفتوى به.

صحبته في عسكر الوزير محمد بن موسى بن أبي بكر[308]، فجاء رمضان فقرأت عليه «**صحيح البخاري**» من أوله إلى تمامه، وكنت أسأله عن غريبه ونُكَتِ حديثه فيجيب بما يروي الغليل ويشفي العليل. وكان كثير الميل لذكر أيام العرب وأخبارها.

وذكر لي صاحبنا الفقيه النساخ عبد الله بن يوسف بن يحيى المصمودي الروداني أنه ناوله مُبَيَّضَة شرحه لـ«**ديوان المتنبي**»[309] فنسخ كثيرا منه. ولا يتعرض لذلك إلا الفائق في فنون الأدب. توفي بمراكش وافدا على الأمير أبي فارس[310] بعد وفاة المنصور بأشهر في شعبان سنة اثنتي عشرة وألف.

---

(305) توفي عام 899هـ/1494م (انظر ترجمته ومصادرها في «**الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة**» له، دراسة وتحقيق الأستاذ إدريس عزوزي، ص. 41 فما بعد).

(306) انظر ترجمته أيضا في «**درة الحجال**»، ج 2، ص. 233 ؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 47؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 408؛ و«**شعر النابغة الهوزالي**» للأستاذ فيصل الشرايبي (غير مرقون).

(307) جمع الأستاذ فيصل الشرايبي ما تبقى من شعره في بحثه المذكور، فبلغ نحو 330 بيت.

(308) الصوابي الجزولي : من قواد أحمد المنصور الذهبي، توفي أوائل القرن الحادي عشر الهجري («**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 37).

(309) هذا الشرح الآن في حكم المفقود.

(310) من أولاد المنصور الذهبي، واسمه عبد الله. وتلقب بالواثق بالله. استخلفه والده على مراكش وأعمالها عندما نهض إلى فاس عام 1011هـ للقبض على ولده الشيخ لسوء سيرته وظهور انحرافه. وبعد وفاة المنصور، بايعه أهل مراكش يوم الجمعة أواخر ربيع الأول سنة 1012هـ. فدخل في صراع على السلطة مع أخيه زيدان الذي بايعه أهل فاس، وأخيه الشيخ المامون، فلم يستقم له الأمر (انظر : «**الإستقصا**»، ج 6، صص. 4-7).

مشايخه :

1 ـ منهم أبو العباس المنجور الإمام المصنف؛ 2 ـ والفقيه الحافظ مبارك بن يحيى السكتاني نزيل مراكش. وسيأتي ذكر وفاتهما[311]

3 ـ ومنهم الفقيه المفتي أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني الفلالي[312] نزيل مراكش ومفتيها. ترد عليه الفتاوي من سائر آفاق المغرب فيحسن التوقيع عليها.

قصيدة في مدح المنصور السعدي

وله نظم بديع مِنْ أعجبه قصيدته[313] التي أنشأها آخر حاله، وقرئت بدار الخلافة على رأس المنصور، وهي : [الطويل]

سرى ومنـــام العـــاشقين حرام ... نسيم له بين الحجـــون[314] مقـــام

وجَـــرَّ ذيـــولا بالكثـــيب عليلـــة ... وفُضَّ هنـــاك عن شَذَاه[315] ختـــام

وماس[316] قضيب البان زهـوا كأنما ... تمايـــل حِبٌّ أثقلتــــه مُدام[317]

وكـــنت أرجّـــي سلـــوة بهبوبـــه ... فزاد فؤاداً نال منـــــــه غرام

وأنت خبير بالذي تفعل الصَّبَـا[318] ... تلاقي هشيمـــا حل فيـــه ضِرام[319]

---

(311) ذُكرت وفاتهما معا في ص. 120. وستأتي وفاة السكّتاني أيضا في ص. 140 (ولكن سمي في هذه الصفحة مبارك علي السكّتناي)، كما ستأتي وفاة المنجور أيضا في ص. 142.

(312) ترجم له ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 3، صص. 140–142؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 277–279؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الأعلام**»، ج 8، صص. 522–525؛ والكتاني في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، ص. 775؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 379؛ والقادري في «**نشر المثاني**»، ج 1، ص. 30؛ وآخرون.

(313) في طرة النسخة البزيوية، ص. 69، ما يلي : «القصيدة للكاتب سيدي محمد بن علي الفشتالي رحمه الله، وقد أخطأ شيخنا رحمه الله في نسبتها للمفتي سيدي عبد الواحد الشريف رحمة الله على الجميع، ونفعنا بهم، فانظر ديوان الفشتالي تجد ما ذكرت والحمد لله».

(314) الحجون : جبل بمعلاة مكة.

(315) الشَّذَا : قوة ذكاء الرائحة.

(316) ماس : تبختر وتمايل.

(317) مُدَام : خمر.

(318) الصَّبا : ريح لينة تهب من مطلع الثريَّا إلى بنات نعش («**القاموس**»).

(319) ضِرَام : ما اشتعل من الحطب.

لئـــن كنت عن عذل العـــواذل معـــرضا / عُروض[320] جَموح[321] ما ثَناه[322] لجام

ومـلت إلى دوح اللـــذاذة قاطفـا / ثمار الأمـــاني والزمـــان غلام

فإنـــيَ ذاك أمسِ، واليـــومَ آخرٌ / وقد حُطَّ عن وجـه الصواب لثـام

فما لغـراب لِمَّتـي[323] قد أطـاره / ورَوَّعـه بعـد الهدوء حِمَـام[324]

تستـرت في عصر الشبـاب بليلـه / وغـاب الرقـيب والعـواذل نامـوا

فأسلمنـي ذاك الرجـا لبديلـه / نهارِ المشيب ليس فيـه ظلام

ألا ليت شعري هل لدهري عطفـة / يطـيب شراب بعدهـا وطعـام

أُسلِّـي فؤادا طالما عِيـلَ صبره[325] / له لمناهـل الـرسول أُوَام[326]

لمهبط وحـي الله والمَرْبَـع الـذي / يغاديه[327] من عين اليقين سِجَامُ[328]

وجُر به ذيل الرسالـة ضافيـا[329] / وسُلَّ لنصر الديـن فيـه حُسام

ولاحَ بيـان المعجـزات كأنها / بدور سماء ما كساها غَمـام

فمنها انشقاق البدر والحفل[330] شاهد / ومنها لعَجْمَـاء[331] الوجـود كَلام

كُبْـزْل[332] وذئب أو كضب ومثلـه / غزالٌ وجِذْع النخل فيه هُيـام[333]

وحسبُك فيضُ الماء بين أنامل الـرْ / ـرَسول فأوْرى الجيشَ وَهْوَ لُهـام[334]

وهـذا كتـاب الله أعظـم آية / لها في صدور المشركين سِهـام

---

(320) أتى الشاعر بعروض ـ مصدر عرض الثلاثي ـ اسم مصدر لأعرض الرباعي.

(321) الجَمُوح : الفرس الذي غلب فارسه وعسر رده.

(322) ثناه : عطفه ورده.

(323) اللِّمَّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن. ومراده بغراب لمّته : سواد شعره.

(324) الحِمَام : الموت. وإنما قال ذلك، لأن الشيب ـ كما يقال ـ نذير الموت.

(325) عيل صبره : غُلب صبره.

(326) أُوَام : عطش.

(327) يغاديه : يباكره.

(328) سِجَام : سيلان وانصباب.

(329) ضافيا : سابغا.

(330) الحفل : جماعة كثيرة من الناس.

(331) العجماء : التي لا تتكلم.

(332) البزل : جمع بازل وهو البعير الذي طلع نابه. وذلك إذا بلغ الثامنة أو التاسعة من عمره.

(333) هُيام : العشق الشديد الذي يشبه الجنون.

(334) لُهام : جيش عظيم. والمعجزات التي أوردها الشاعر هنا سيأتي بيانها فيما بعد (انظر ص. 315 وصص. 369-372).

فمــاذا أطيــق والجنَــابُ مُعظَّــم وسيفُ لساني في البيان كَهَــام[335]
أقُطبَ الوجود في جماك مُخَيِّــمٌ[336] رجائي، وهل جارُ النبــي يُضام[337]
ألست الـذي لولاه ما هُز ذابــل[338] ولا شد في ركـــن الجهـــاد حِزام
ولـولاك ما كان الوجـــود ولابـــدا كثيفُ الغمام صَيِّبٌ[339] وجَهَـام[340]
ولا هاج راعــي الرعــد فيـــه وبرقـــه
عصا من نضار[341] والسحـــابُ سَوَام[342]
ولانسجت يد السمـــاء مطارفــا[343] على الأرض فاهتــزت رُبــىً وإكام[344]
ولا كان في أمـــن الخليفـــة أحمد[345] على الخلـــق فرض ليس فيـــه خصام
مُقيـــمِ مواسم النبـــوءة غبطـــة ولـــيست على غير السداد تُقـــام
ومُعطي المعالي حقَّها والـــذي غدت ربـــوع الفخـــار وهـــو فيها إمـــام
حقيـــقِ الوراثـــة التـــي عزَّ نيلهـــا لدعوتـــــه تقـــــدُّمٌ وأمـــــام
إيالتـــه أمـــن وظـــل على الـــورى مديد، وفي أنْفِ العَصِيِّ[346] زِمَـام
تسليت بالفـرع الـذي طاب أصلـــه فلي في ذراه[347] خدمـــة ولِـــزَام[348]
ألست أميـــرَ المومـــنين بنجـــل من له بِمَنـــاط الفرقديـــن مَقـــام
ألست الذي أضحى على الشمس نعله وتبنـــى له فوق الـــدراري[349] خيـــام

(335) كَهَام : كليل، لا يقطع.
(336) مُخيِّم : مقيم.
(337) يُضام : يُظلم وينتقص حقه.
(338) ذابل : قنا ذابل : رقيق لاصق باللِّيط.
(339) صيب : سحاب صيِّب : ذو صَوْب، أي مطر.
(340) جَهام : سحاب لا ماء فيه.
(341) نُضَار : ذهب.
(342) سَوَام : الإبل الراعية.
(343) مطارفا : أردية من خز مربعة ذات أعلام. مفرده مُطْرَف.
(344) إكَام : جمع أكَمَة وهي التَّل.
(345) أحمد : يقصد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي الذي تولى ملك المغرب من سنة 986هـ إلى سنة 1012هـ (انظر بشأنه «**نزهة الحادي**»، ص. 78 فما بعد؛ و«**الإستقصا**»، ج 5، ص. 89 فما بعد).
(346) العصي : العاصي.
(347) ذَرَاه : ساحته.
(348) لِزَام : ملازمة.
(349) الدراري : الكواكب السيارة.

ألست الذي أذللت صعبا وأرغمت   سيوفُك أنفا كان فيه عُرام[350]
ألست الذي ساد الملوك ولو علت   بآل عليٍّ ذروةٌ وسَنام
ألست الذي أحيا الوفاء وأقبرت   ظُبَاه[351] صروف الدهر وهي عظام
ألست الذي قد صار عدلك في الورى   خطيبا وَعُودُ الحق فيه قِوام[352]
ألست الذي كالشمس مجدك في الورى   شهير وليس بالجحود يُرام
وجردت في ذات الإله صوارما[353]   تصول بها والعاجزون نِيام
ضربت بها التثليث[354] للحتف[355] ضربة   فلم يبق بعد للصليب قيام
وأمطرت وبْلا[356] بـ«المخازن»[357] قطْرُه   لحتف آلأعادِي بُنْدق[358] وسهام
فكم لك فيها من سيول مَرَاكِب   طلعت بها كالبدر فيه تمام
وحولك عقْبان[359] الكُماة[360] تساقطت
لبطشتها بُومُ الأعادي وهَامُ[361]
تُزاحِم قضبان الوَشيج[362] كأنها   تروم عناق الموت وهو زُؤام[363]

---

(350) عُرَام : شراسة وأذى وحدة وشدة.

(351) ظُبَاهُ : جمع ظُبَة وهي حد سيف أو سنان أو نحوهما.

(352) قوام : المراد استقامة. وقِوام الأمر : نظامه وعماده ومِلاكه.

(353) الصوارم : السيوف القواطع.

(354) التثليث : أهل التثليث، والمراد بهم النصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة.

(355) الحتف : الموت.

(356) وَبْلا : مطرا شديدا ضخم القطر.

(357) المخازن : المراد معركة وادي المخازن التي خاضها المغاربة بزعامة السلطان عبد الملك السعدي وأخيه أحمد المنصور، ضد المسيحيين البرتغاليين بزعامة «سبستيان» الذي استعان به المتوكل السعدي، وتسمى أيضا معركة الملوك الثلاثة، لأنه مات فيها ثلاثة ملوك هم سبستيان والمتوكل وعبد الملك، وذلك سنة 986هـ (انظر «نزهة الحادي»، ص. 173 و«الاستقصا»، ج 5، ص. 69).

(358) بُنْدُق : ما يُرْمَى به، يقوم قديما مَقام الرصاص الآن.

(359) عقبان : جمع عُقاب، وهو طائر معروف من الجوارح.

(360) الكُمَاة : جمع كَمِيٍّ وهو الشجاع أو لابس السلاح.

(361) هام : جمع هامة، وقد كانت العرب تزعم أن القتيل تخرج هامة من هامته فلا تزال تقول آسقوني آسقوني حتى يقتل قاتله، ومنه قول ذي الأصبع :

يا عَمْرُو إن لا تدع شتمي ومنقصتي   أضربك حتى تقول الهامة آسقوني

(«لسان العرب»، مادة «هوم»).

(362) الوشيج : شجر الرماح.

(363) زُؤام : كريه أو مُجْهِز.

عوامل تبدي الفتح بعد خفائه وتصحبه عند النواصب لام[364]
ولاح وميض المرهفات[365] كأنه وميض رُجومٍ[366] والدياجي قَتام[367]
فأبرزت فتحا دَوَّخ[368] الأرض صيته وزين أشتات المعاني نظام
إذا للعِدا ألفت عزما ومُرهَفا فإن نتيجة القياس حِمَام[369]
كأنك في غاب الخلافة ضَيْغَم[370] فهل لرُعاة البهم[371] فيه مَرام؟
فيُمناك مجمع العطايا ومنبع الـ ـمنايا فللجنسين فيه زِحَام
نوالك غيث جَلَّل[372] الأرض صَوبُه[373] وفُتّح عن زهر الأماني كِمام[374]
رُوَيدك[375] فافعل ما تريد، فإننا نرى الدهر شيئا قد تنبه عام[376]
كسوت لحمراء[377] الحواضر حلة تضاءل بغداد لها وشآم
فتاهت بها تِيهَ الذي أنت ذُخره له من حِماك حُرمة وذِمام[378]
عليك أبا العباس من طَيْبَة[379] التي بها المصطفى تحية وسلام

توفي يوم الجمعة السادس والعشرين من رجب سنة ست وثلاثين وألف.

---

(364) لأم : جمع لأمة وهي الدرع، وخفف الشاعر همزة «لأم» للضرورة. وفي البيت توظيف لمصطلحات نحوية. و عبر أيضا نور بسام.
(365) المُرْهفات : السيوف التي أُرْهِفَتْ أي رُقِّقَتْ.
(366) الرجوم : النجوم التي يُرمَى بها. قال تعالى : ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين» (سورة الملك، الآية 5).
(367) قَتام : غبار.
(368) دوَّخ الأرض : قهرها، واستولى على أهلها.
(369) حِمَام : موت. وظف الشاعر في البيت ثقافته المنطقية.
(370) ضَيْغَم : أسد.
(371) البَهم : أولاد الضأن والمعز.
(372) جَلَّل الأرض : كساها وغطاها.
(373) صوبه : مطره.
(374) كِمَام : جمع كِمٍّ، وهو غطاء الزَّهر.
(375) رُوَيْدَك : مهلا ورفقا.
(376) في نسخة : هام.
(377) حمراء الحواضر : مراكش.
(378) ذِمام : حق وحرمة.
(379) طيبة : مدينة الرسول ﷺ.

[الشيخ الثاني عشر]

شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن موسى[380] الجزولي التامانارتي[381]، وكان رجلا صالحا قوالا بالحق وعاظا، رويت عنه الحديث المسلسل بالأولية[382]، وحديث المصافحة[383] بسند عال، وحديث الضيافة[384]، وأثر السبحة[385]، كما يأتي عنه ذلك في «باب الأسانيد» إن شاء الله، وتوفي ببلده[386] تامانارت في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وألف.

مشايخه :

1 ـ منهم الفقيه القدوة شيخ الجماعة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التامانارتي.

2ـ3 ـ ومنهم ولداه الفقيهان التقيان أبو عبد الله وأبو إسحاق، وسيأتي ذكر الثلاثة في ترجمة شيخنا أبي محمد عبد الله بن المبارك[387].

4 ـ ومنهم الفقيه العالم العلامة الصالح أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن محمد ابن عبد العزيز الجزولي الحامدي. وقد تقدم ذكره[388] في ترجمة شيخنا أبي عثمان سعيد بن عبد الله بن يدار[389] التاملي.

(380) في النسخ المعتمدة هنا : محمد بن عبد الله بن عيسى بن موسى ـ دون ذكر محمد بين عبد الله وعيسى ـ، وهو ما ورد في «**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 48؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 42؛ والصواب ما أثبته، لوروده كذلك في أماكن متعددة من «**الفوائد الجمة**».

(381) ترجم له الحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، ص. 48، ترجمة مختصرة منقولة عن «**الفوائد الجمة**»؛ والمختار السوسي في «**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 42؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 620.

(382) انظره في صص. 92ـ94، وص. 203.

(383) انظره في ص. 210.

(384) انظره في ص. 83، وص. 208.

(385) انظره في ص. 74، وص. 220.

(386) قال محمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 620 : «عاش في قرية إكَيواز دار المغافرة بتمنارت وفيها أخذ عنه عبد الرحمان التمنارتي أحاديث بسند عال».

(387) انظر ص. 169، وص. 171.

(388) انظر : صص. 121ـ122.

(389) في ص. 121 : بن يدير.

[الشيخ الثالث عشر]

شيخنا الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التاماناري[390]. حضرت درسه في الفقه والأصول والعربية، أخذ عن والده وعمه[391] المذكورين في مشايخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى، وعن أخيه محمد[392]، ولم يزل في قيد الحياة[393] أمتع الله به.

[الشيخ الرابع عشر]

شيخنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الكريم الضرير التاماناري[394]، سمعت منه مواعظ وحكما، وحصلت لي منه أدعية صالحة. وتوفي في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وألف ببلده تامانارت، وزرته في مرض وفاته، وقد غلب عليه الإغماء وكان طيب الحال مع طول مرضه، كما زرت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى[395] المتقدم في مرض وفاته، وجدته صحيح العقل طيب الحالة، ودعا لي بدعوات رجوت من الله قبولها.

وانصرفت عنهما فبلغني وفاتهما في مرجعي لمدينة تارودانت في الشهر المذكور، رحمهما الله ورضي عنهما. وأخذ عن فقهاء بلده،

[الشيخ الخامس عشر]

شيخنا الفقيه المدرس أبو عبد الله محمد بن أحمد الجزولي الرسموكي[396]، أخذ

(390) انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 47؛ و«**المعسول**»، ج 7، ص. 52؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 41.

(391) في النسخ المعتمدة : «وعميه ـ بالتثنية ـ والصواب ما أثبتته، لأن والده ـ أبا إسحاق ـ وعمه ـ أبا عبد الله ـ هما المذكوران في المحل المحال عليه.

(392) المتوفى عام 1004هـ (انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 108؛ و«**المعسول**»، ج 7، ص. 52).

(393) توفي في أوائل جمادى الثانية 1048هـ كما في «**وفيات**» الرسموكي، ص. 33؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 47؛ و«**المعسول**»، ج 7، ص. 52.

(394) انظر «**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 48؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 42.

(395) سقط هنا كذلك في النسخ المعتمدة «محمد» بين عبد الله وعيسى (انظر: ص. 131، هامش 380).

(396) ترجم له الحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، ص. 48 ـ ولم يزد على ما ذكره التمناري هنا ـ والمختار السوسي في «**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 36؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 620.

عن فقهاء مراكش. ولما رجع منه، لزم التدريس بجامع عنق تاسكَدلت بتامانارت قريبا من عشرين سنة، وتخرج عليه كثير من الطلبة. وكنت أحضر درسه في الفقه والعربية والحساب والعقائد والتصريف متى وردت لبلد السلف هناك، وهو طالب عزيز مثله في البادية، وتوفي ـ فيما أظن ـ قرب العشرين والألف[397].

[الشيخ السادس عشر] :

شيخنا الإمام المحدث الراوية أبو العباس أحمد بن أحمد ابن الفقيه الحاج أحمد ابن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي السوداني[398]. نقله المنصور مع أعمامه، وهم أهل بيت ثروة وأصالة في الرئاسة من تينبكتو لمراكش حين فتح السودان[399]. وتوفي جميع أعمامه بمراكش، وبقي هو يدرس فيها الفقه والحديث، وأجاز لكثير من الطلبة أسانيده، ورده الملك زيدان[400] بعد وفاة أبيه المنصور لبلده تنبكتو.

ولما فاتني لقاؤه والأخذ عنه، كتبت إليه بما نصه بعد الصدر :

العبد الفقير عبد الرحمان بن محمد الجزولي التامانارتي يطلب منكم لله أن تجيز له أن يروي عنك أسانيدك في الحديث من كل ما ثبت لك به رواية عن الخرقاني المكي والحطاب وغيرهما من جميع أسانيدك المقيدة عندنا وغيرها.

إجـازة أحـمـد بابا للتمنارتي

فكتب إلي بخط ولده، لعجزه عن الكتابة لفرط هرمه، ما نصه :

الحمد لله والصلاة على من لا نبي بعده. وبعد؛ فقد أجزت لك أن تروي عني جميع ما يجوز لي متلفظا بها بشرطه المعتبر عند أهلها، وكتبه محمد بن أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن محمد أقيت بإذن والده رضي الله عنه. انتهى.

---

(397) ذكر المختار السوسي في «رجالات العلم العربي في سوس»، ص. 36، أنه توفي سنة 1016هـ.

(398) التمبكتي التكروري، توفي سنة 1036هـ/1627م. ترجم له الحضيكي في «المناقب»، ج 1، صص. 43-44؛ ومخلوف في «شجرة النور الزكية»، ص. 298؛ والكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات»، ج 1، صص. 113-114؛ والزركلي في «الأعلام»، ج 1، ص. 98؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 383؛ وآخرون.

(399) تم ذلك عام 999هـ. انظر : «نزهة الحادي»، ص. 93 فما بعد.

(400) ابن السلطان أحمد المنصور، بايعه أعيان فاس وكبراؤها بعد وفاة والده، يوم الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012هـ، ولم يستقم له الأمر ـ كما استقام لوالده ـ فخاض معارك مع إخوته وأبنائهم ومع الثوار الذين نازعوه الحكم. ومات سنة 1037هـ (انظر : «نزهة الحادي»، صص. 190-243؛ و«الإستقصا»، ج 6، صص. 3-72).

فهو شيخ الإجازة لا اللقاء. وتوفي رحمه الله بمسقط رأسه بلده تنبكتو، وقد ناف على السبعين سنة ليلة الخميس سادس شعبان سنة ست وثلاثين وألف.

وقد عرف بنفسه في ذيله على «**الديباج**»[401] وذكر أن له تواليف تزيد على أربعين.

ومن العجب[402] أنه لما تصدر للإقراء بجامع الشرفاء بمراكش، ورَدَ مجلسه لسماع الحديث وأخذ الرواية عنه أكابر فضلاء مراكش وصدور العلماء، كالمفتي الإمام المتفنن أبي عبد الله الرجراجي[403]، وقاضي فاس العالم المتفنن أبي القاسم بن أبي النعيم[404] الغساني[405]، وقاضي مكناسة الفقيه الرحلة أبي العباس ابن القاضي المكناسي[406]، في آخرين ممن لا يأخذه الحصر، ثم قال في ذيله المذكور[407] بعد أن حكى كلام الأديب محمد بن يعقوب الإيسي[408] نزيل مراكش المعروف عندهم بالأديب ابن يعقوب : «لم ألق بالمغرب أثبت منه ولا أوثق ولا أحذق ولا أعرف بطرق العلم منه».

---

(401) ترجم لنفسه ترجمة مطولة في كتابه «**كفاية المحتاج، لمعرفة من ليس في الديباج**» في نحو 65 صفحة.

(402) في نسخة : ومن العجائب.

(403) انظر ترجمته في ص. 142.

(404) في نسخة : أبي القاسم بن أبي الربيع. وهو خطأ.

(405) تعرض لاغتيال شنيع على أثر رجوعه من صلاة الجمعة سنة 1032هـ/1623م. انظر ترجمته في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، ص. 681؛ و«**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**» لابن سودة، ج 2، ص. 314، رقم الترجمة 1309؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 367. وسيأتي في ص. 161.

(406) هو الفقيه الرياضي المؤرخ أحمد بن محمد ابن القاضي المتوفى سنة 1025هـ/1616م. ترجم له الحضيكي في «**المناقب**»، ج 1، صص. 57–58؛ ومخلوف في «**شجرة النور الزكية**»، ص. 297؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 2، صص. 93–96؛ ومحمد داود في «**تاريخ تطوان**»، ج 1، صص. 129–132؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 368؛ وآخرون.

(407) أي «**كفاية المحتاج**».

(408) قتله المنصور الذهبي قبل 1010هـ/1601م. ترجم له ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 2، صص. 210–211؛ والإفراني في «**صفوة من انتشر**»؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 4، صص. 364–366؛ والكتاني في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، ص. 1164؛ وابن سودة في «**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**»، ج 1، ص. 255، رقم الترجمة 1018؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 396؛ وآخرون.

وهذا جموح عن شهادة العيان. فإن الأديب ابن يعقوب لم يبلغ شِسْع نعل واحد من أولئك الأعيان[409]. وبمثل هذه الغفلة، كان ــ رحمه الله ــ يفتي بحلية دخان تبغ[410] المنتن الخبيث الذي أجمع فقهاء الأمصار من الحرمين إلى بلاد جزولة أقصى بلاد السوس الأقصى على حرمته[411] لخبثه. والجواد يكبو والسيف الصارم ينبو[412].

مشايخه :

1 ــ منهم والده أبو العباس أحمد[413] ابن الحاج الفقيه أبي العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت.

2 ــ والفقيه القاضي عاقب ابن الفقيه محمود[414].

3 ــ والفقيه محمد ابن الفقيه محمود بن عمر بن محمد[415].

4 ــ والفقيه محمد ابن الفقيه محمود بن عمر بن محمد[416] أقيت.

5 ــ والفقيه محمد ابن الفقيه محمود بَغْيُع[417].

---

(409) قال الكتاني في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، ص. 1165 : «كأن المنارتي ما فهم مراد بابا، فإن مدحه وإطراءه ابن يعقوب، من جهة علم تراجم الرجال وأخبارهم ووفياتهم، لا من جهة علم الفقه والمعقول الذي كان هؤلاء أئمته عند المنارتي، فافهم».

(410) أحمد بابا «من المدمنين على التدخين القائلين بحلِّيته». ألف في حلية التبغ كتيبا سماه : «**اللمع في الإشارة إلى حكم طبغ**» انتهى من تأليفه يوم الخميس 19 جمادى الثانية عام 1016هـ/11 أكتوبر 1607م بتمكروت، وتوجد منه نسخة خطية بخزانة تامكروت تحت رقم 2999. («**الحركة الفكرية**»، ج 1، ص. 251 مع هامش 14).

(411) انظر فتوى المنارتي بـ«حرمة التبغ» في الصفحات 475ـ503.

(412) علق المنارتي في ص. 501 على فتوى أحمد بابا بـ«حلية التبغ» بقوله : «وهي زلة منه وغفلة».

(413) توفي سنة 991هـ/1583م (انظر ترجمته ومصادرها في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 636 مع هامش 3).

(414) هكذا في النسخ المعتمدة. وفي «**نيل الإبتهاج**»، ص. 218 : العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت، وهو من شيوخ أحمد بابا بالإجازة. ولد سنة 913هـ وتوفي عام 991هـ (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**»، صص. 218ـ219).

(415) لعله تكرار للذي بعده.

(416) قاضي تنبكت. توفي سنة 973هـ، وولد سنة 909هـ، أخذ عنه والد أحمد بابا البيان والمنطق (انظر : «**نيل الإبتهاج**»، ص. 340).

(417) هو الفقيه المتفنن الصالح العابد المفتي محمد بن محمد بن أبي بكر الونكري التنبكتي عرف ببَغْيُعُ ــ بباء مفتوحة، فغين معجمة ساكنة، فياء مضمومة، فعين مهملة مضمومة ــ. ولد سنة 903هـ وتوفي سنة =

كلهم فقهاء بلده وبنو عمه. وكانت وفاتهم ما بين السنة الثامنة والثمانين وتسعمائة، وسنة الألف والتي تليها، لأن محنتهم ونقلتهم كانت في محرم سنة اثنتين وألف[418]، ولم تصب واحدا منهم لموتهم قبلها. وفي إجازة قطب الدين النهروالي المكي لهم[419] أنهم في السنة الثامنة والثمانين أحياء.

6 ـ ومن أشياخه بالإجازة الفقيه العلامة يحيى الحطاب المكي عن والده وعمه بركات عن أبيهما بسنده المذكور في أول «**شرح**»ـه لـــ«**مختصر خليل**»[420] ويحيى الحطاب وعمه بركات هما من شيوخ شيوخنا عن والد بركات وجد يحيى الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الحطاب الكبير شارح «**المختصر**».

[الشيخ السابع عشر]

شيخنا الفقيه الزاهد المتورع النوازلي القاضي نيابة أبو العباس أحمد بن مسعود الهوزالي[421]. استقضى ببعض الأعمال بسوس، وأخذ منهم ما جرت به عادة القضاة، وأخذ من أحباس قاعدته[422]، ثم تورع وتنصل عن ذلك كله فرد للقبيلة كل ما أخذ منها، وعلى الأحباس ما أخذ منها فأقبل على التكسب بالتجارة والحرث وغيرهما من الأسباب فحصل له من ذلك مال معتبر.

كانت لي به صحبة، وانتفعت به وبمواعظه ووصاياه. ولما ابتليت بقضاء سوس، كتب إلي : «بلغني أنهم ابتلوك بالقضاء، فسرني ذلك مرة وساءني مرارا، فعليك بتقوى الله واتباع العلماء والتأني في الأمور، والله يعينك. والسلام».

= 1002هـ. درس بالمسجد الأعظم بتنبكتو أكثر من ثلاثين عاماً، وانفتح به أحمد بابا انتفاعا كثيرا، وكان معروفاً بإعارة كتبه لطلبة العلم. ترجم له أحمد بابا في «**كفاية المحتاج**»، و«**نيل الإبتهاج**»، صص. 341–342؛ والمحبي في «**خلاصة الأثر**»، ج 4، صص. 211–212؛ والإفراني في «**الصفوة**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، ص. 106؛ والحجوي في «**الفكر السامي**»، ج 4، ص. 105؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 637؛ وآخرون.

(418) اعتقل باشا السودان محمود زرقون بأمر من المنصور الذهبي، جميع أفراد أسرة أقيت لأمر اقتضى ذلك، وبعث بهم مقيدين إلى مراكش («**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 636، هامش 5).

(419) انظر هذه الإجازة في ص. 152 فما بعد. وشارح «**المختصر**» هو الحطاب الكبير محمد بن عبد الرحمان كما ذكر التمنارتي هنا وفي ص. 254 خطأ، وإنما هو ابنه محمد بن عبد الرحمان.

(420) انظر هذا السند في ص. 254 فما بعد.

(421) ترجم له الحضيكي في «**المناقب**»، ج 1، صص. 47–48؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 7، ص. 51؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 408.

(422) أي تارودانت.

توفي في رمضان سنة ثلاثين وألف. وقد ناف على التسعين. أخذ عن أبي عبد الله محمد بن مهدي(423)، والقاضي ابن أخيه سعيد بن علي بن مسعود(424) المذكورين آنفا، وعن الفقيه المحقق المطالع أبي الحسن علي بن أحمد ألحيان التمنارتي(425) نزيل درعة(426)، كان فقيها محصلا مطالعا. طلب بقضاء مراكش، فَأُتِيَ به لذلك، فامتنع وهرب من فتنته ورجع لدرعة يدرس فيها حتى مات، وهو الذي رتب مسائل الفقيه ابن هلال(427)، وتوفي - فيما أظن - حدود الثمانين وتسعمائة.

[الشيخ الثامن عشر]

شيخنا أبو زيد عبد الرحمان ابن شيخنا الإمام أبي عبد الله التلمساني(428). ولي الخطبة والإمامة بعد أبيه بالجامع الكبير بتارودانت وسمعت منه «**البخاري**» مرارا عديدة، وأجازني روايته مع غيره عنه بالكتابة والمشافهة. وكان حسن الإنشاء مع قصور باعه في العربية. ومن شعره : [الطويل]

دعوتك - ربي - عاصيا غير طائع كفور الأيادي ساعيا في المهالك
فعافنَّ واعف واختمنَّ بتوبة وثبت يقيني يوم ألقاك مالكي

وله في أمير المسلمين عقب الطاعون الجارف الواقع بعد خمسة وألف : [البسيط]

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس في حادث ما دمم ضرر
وفي حياتكم حياة كلهم يا من به حيي الإسلام والبشر

وله في ثقل أحدثه الوباء بلسانه فحُدِّثَ بتأخيره عن سرد «**صحيح البخاري**». وكان هو الذي يسرده مكان والده : [الكامل]

---

(423) سبق التعريف به في ص. 105.

(424) سبق إيراد ترجمته في ص. 100.

(425) سقط هذا النسب من نسخة.

(426) انظر «**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 20.

(427) أي «**نوازل**» الفقيه إبراهيم بن هلال (انظر : ص. 86، هامش 72).

(428) ترجم له الإفراني في «**الصفوة**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، ص. 151؛ ومحمد الأزهري في «**اليواقيت الثمينة، في أعيان مذهب عالم المدينة**»، ص. 192؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 412.

أروي حديث المصطفى بتكلف لا يثنني عنه حدوث الحادث
فهو الشفاء لكل داء معضل وهو الشفيع لكل باغ عابث

وهو الآن على قيد الحياة[429] سدده الله.

مشايخه :

1 ـ منهم والده أبو عبد الله[430].

2 ـ والقاضي أبو عثمان السملالي[431].

3 ـ وأبو عبد الله أشخن[432].

4 ـ والفقيه المحدث أبو العباس أحمد بابا[433].

وقد تقدم ذكرهم.

5 ـ ومنهم الفقيه المشارك الرحلة الجوالة [illegible] ابن الفقيه المعمر أبي عبد الله محمد بن يوسف بن قاسم البطائحي القدسي[434] الشافعي إمام مسجد الخليل عن والده وجده. وقد جال البلاد، ولقي المشايخ النقاد بمكة والمدينة ومصر والشام، ثم انتقل لقسطنطينة فسكنها، ومنها وفد على المغرب. ونزل مراكش وتارودانت. وبها لقيه وسمع منه وأجاز له جميع مروياته عن مشايخه : أبي البركات الحسن بدر الدين بن رضا الدين الغزي[435] القائل مضمنا الحديث : [البسيط]

عن النبي أتانا من رأى امرأة وحل في قلبه للحسن موقعها

---

(429) توفي سنة 1057هـ/1647م.

(430) سبقت ترجمته في ص. 85 فما بعد.

(431) سبقت ترجمته في ص. 108 فما بعد.

(432) المراد به أبو عبد الله محمد بن مبارك السوسي التيوتي، نزيل تارودانت. وقد مرت ترجمته في ص. 120ـ الشيخ الثامن ـ، وسيترجم له التمنارتي من جديد في ص. 283. وقد ذكره المختار السوسي ضمن شيوخ عبد الله بن يعقوب السملالي، ولم يقف على ترجمته (انظر «**المعسول**»، ج 5، صص. 16ـ17).

(433) سبقت ترجمته في ص. 133 فما بعد.

(434) انظر «**فهرسـ**»ـه المؤرخ بتاريخ 5 محرم عام 999هـ/3 نونبر 1590م في «**مجلة المناهل**»، ع 35، السنة 13، ربيع الثاني 1407هـ /دجنبر 1986م، صص. 250ـ258.

(435) ناهزت مؤلفاته المائة، ومنها تفسير ـ لم يسبق إليه ـ نظمه في مائة ألف بيت، وواحد وعشرين ألف بيت (انظر : «**مجلة المناهل**»، **عدد مذكور**، ص. 257).

فليـــات زوجتــه وليــقض حاجتــه فإنما معها مثــل الــذي معهـــا[436]

القائل أيضا : [الرمل]

وهـــو ـ والله ـ عفيـــف نزه ولــــــــه عرض مصون ما اتهم
وخــــبير بمداراة الـــــورى ومـــداراة الــورى أمـــر مهـــم

والإمام الخطيب أبي عبد الله الشربيني، والفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الرملي الأنصاري، وجمال الدين ابن شيخ الإسلام القاضي زكرياء الأنصاري المصري، كلهم عن القاضي زكرياء المذكور عن الحافظ ابن حجر.

وتوفي في وفادته هذه مرجعه من تارودانت لمراكش في ربيع الأول سنة تسع وتسعين وتسعمائة قتيلا بطريق أسني[437] بين مراكش وتارودانت.

[الشيخ التاسع عشر]

شيخنا الفقيه المحقق المدقق المتفنن الباحث أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان الرجراجي السوسي السكتاني[438]. كان محققا نقادا نظارا بارعا في علمي الأصول والعربية والفقه، مشاركا في غيرها من الفنون مشاركة معتبرة. قرأ بفاس وغيره، ودرس بمراكش واستقضى ببعض أعماله، ثم ولي قضاء الجماعة بسوس، ودرس بقاعدته تارودانت، وحضرت درسه في الأصول والفروع وغيرها، فرأيته مليح التحقيق،

---

(436) الحديث الذي نظمه هو قوله ﷺ : «أيّما رجل رأى امرأة تعجبه فليقم إلى أهله، فإن معها مثل الذي معها» (رواه الدّارميّ في «سنن»ـه، ج 2، ص. 70 عن عبد الله بن مسعود (ض)). وفي رواية أخرجها مسلم في كتاب «النكاح» من «**صحيح**»ـه : «إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان. فإن أبصر أحدكم امرأة، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه» («**صحيح مسلم**» بشرح النووي، ج 2، ص. 177).

(437) أسني : مركز بناحية مراكش، يقع غرب مراكش على بعد 50 كلم، على مقربة من جبل مولاي إبراهيم (انظر «**المغرب**» للصديق بن العربي، ص. 47؛ و«**معلمة المغرب**»، ج 2، ص.454).

(438) ترجم له الروداني في «**صلة الخلف بموصول السلف**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 229–230، وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 9، ص. 413؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 5، ص. 15؛ وابن سودة في «**دليل مؤرخ المغرب الأقصى**»، ج 2، ص. 314 رقم 1314؛ وابن الموقت المراكشي في «**السعادة الأبدية**»، ص. 118؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 391؛ وعبد الكريم وبرايم في «مقدمة» تحقيقه لـ«**أجوبة**» أبي مهدي عيسى السجتاني (انظر : ج 1، ص. 16 فما بعد)؛ وآخرون.

صحيح التدقيق، انيق الفهم، صائب السهم. قرأنا عليه أيصا «**إيضاح المسالك**» للونشريسي فأجاد وأفاد، وبين القواعد، وقرب الشوارد، ولم يظفر إذ ذاك بشرح يعتمده في حله إلا ما تقرر لديه من أصول مسائل المذهب وقواعده، وما ذلك إلا لقوة إدراكه واتساع تصرفه

ولما قام أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم(439) بالسوس بعد العشرين والألف، وتغيرت الأحوال وتتابعت الأهوال، انتقل لمراكش(440) وقدم فيه للقضاء والتدريس، ولم يزل على ذلك إلى الآن. أمتع الله به(441).

مشايخه :

1- منهم الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الشريف الفلالي(442) خطيب جامع الشرفاء(443) بمراكش. توفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

2 - ومنهم الفقيه الحافظ مبارك بن علي السكتاني(444)، له ذكاء ومطالعة وافية. توفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

3 - ومنهم قاضي الجماعة بفاس الفقيه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي(445). كان واسع الأخلاق، كثير الإنبساط، حتى كان يقول لفقهاء فاس : كلكم نواب فافصلوا. توفي عشية يوم السبت الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ثلاث وألف.

---

(439) ستأتي ترجمته في ص. 42. وانظر بخصوص محاولته الحكم «**نزهة الحادي**»، ص. 209 فما بعد؛ و«**الإستقصا**»، ج 6، ص. 35 فما بعد؛ وانظر أيضا «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 52 فما بعد.

(440) انظر فيما بينه وبين يحيى الحاحي «**نزهة الحادي**»، ص. 226.

(441) توفي رحمه الله عام 1062هـ/1652م، ودفن خارج باب الخميس بضريح الولي أبي القاسم الجراري.

(442) ترجم له ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 2، ص. 213؛ والإفراني في «**الصفوة**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، ص. 172؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 4، ص. 190؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 376؛ وآخرون.

(443) بحيّ المواسين، أسند إليه عبد الله الغالب الخطابة والتدريس بهذا الجامع عند ما تم بناؤه («**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 376).

(444) مر في ص. 120 : مبارك بن يحيى السجتاني المتوفى سنة 988هـ. فهل هو نفسه المقصود هنا ؟

(445) ترجم له كثيرون، منهم : ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 3، ص. 142؛ والأزهري في «**اليواقيت الثمينة**»، صص. 227-228؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 361.

4 ـ ومنهم مفتيها الفقيه المحصل المطالع الخطيب البليغ أبو زكرياء يحيى بن محمد السراج[446] الأندلسي الرندي حفيد الشيخ يحيى السراج صاحب **عروس الأولياء** الشيخ الصالح ابن عباد، توفي وقت صلاة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة سبع وألف.

5 ـ ومنهم الفقيه الأستاذ أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر بن أحمد بن الحسن بن محمد المرابط الصنهاجي الهناوي الزموري[447]، انتقل جده وأبوه لفاس عند غلبة النصارى على ثغر أزمور أول رجب سنة سبع عشرة وتسعمائة، توفي ليلة السبت غرة رجب سنة إحدى وألف.

6 ـ ومنهم الفقيه الصالح الزاهد الورع أبو علي الحسن بن عبد الله بن مسعود الدرعي، أصله من عرب هراج[448]، نزيل فاس وزاهدها مولده سنة ثلاث وأربعين، وتوفي بالوباء بفاس سنة ست وألف، منتصف شعبان منها.

7 ـ ومنهم الأستاذ النحوي أبو العباس أحمد بن قاسم القدومي[449] الأندلسي صاحب «**التعليق**» على المرادي. توفي في شهر شعبان سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة، ودفن خارج باب الفتوح[450].

8 ـ ومنهم الفقيه المحقق المطالع المتفنن أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور الفاسي[451]، كان شديد الإعتناء، كثير المطالعة. شرح «**محصل المقاصد**» لابن زكري، و«**إيضاح المسالك**» للونشريسي، وله حاشية مفيدة على

---

(446) انظر ترجمته ـ مع مصادرها ـ في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 362 مع هامش 54.

(447) ترجم له ابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 1، ص. 154؛ والإفراني في «**الصفوة**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 1، ص. 39؛ والأزهري في «**اليواقيت الثمينة**»، ص. 18؛ ومخلوف في «**شجرة النور الزكية**»، ص. 294، رقم الترجمة 1125؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 2، ص. 43؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 361ـ362؛ وآخرون.

(448) في «**مناقب الحضيكي**»، ج 1، ص. 184 : هداج.

(449) انظر ترجمته في «**درة الحجال**»، ج 1، ص. 156؛ و«**نشر المثاني**»، ج 1، صص. 26ـ27؛ و«**سلوة الأنفاس**» لمحمد بن جعفر الكتاني، ج 2، ص. 281؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 359.

(450) بمدينة فاس.

(451) انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، ص. 59؛ و«**درة الحجال**»، ج 1، صص. 156ـ163؛ و«**كفاية المحتاج**»؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 32؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 287؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 360.

«شرح الكبرى» للإمام السنوسي، وعنه انتشر علم الكلام في عصره. توفي في منتصف ذي قعدة سنة خمس وتسعين وتسعمائة.

الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي

ومن عاصر أشياخ فاس المذكورين ومات معهم الشيخ الصالح الصوفي المحدث الزاهد رضوان بن عبد الله الجنوي[452]، أبوه وأمه إسلاميان[453]، وكان أعجوبة زمانه في العلم والتقوى والتعليم والتربية حتى ورده لذلك كبار الملوك وأعيان العلماء. توفي عند العشاء ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، وغالب الظن أن شيخنا المذكور لقيه وأخذ عنه.

9 ـ ومنهم الفقيه المحقق المتفنن النظار الجلد الصارم القوال بالحق مفتي مراكش وشيخها أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله الرجراجي[454]. قوي الإدراك وافر التحصيل والفهم، شديد المناظرة، صائب السهم. ورد به المنصور مدينة فاس فقدّمه لإقراء التفسير بها، فعجب منه علماؤه. أخذ عن المنجور وغيره من فقهاء فاس، وتوفي منتصف ذي حجة سنة اثنتين[455] وعشرين وألف.

10 ـ ومنهم الفقيه العالم العلامة مفتي مراكش أبو العباس أحمد بن محمد بن علي السالمي[456]، ممن له القدم الراسخ[457] في العلوم. توفي منتصف ذي قعدة سنة أربعين وألف، بعد كبر سنه وأخذ الهرم منه. قام[458] في بيته صحيحا، فأصبح ميتا من غير شعور به.

---

(452) ترجم له ابن القاضي في «درة الحجال»، ج 1، صص. 274–275؛ والإفراني في «الصفوة»؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 1، صص. 218–221؛ والأزهري في «اليواقيت الثمينة»، ص. 151؛ والكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات»، ج 1، صص. 434–436؛ والزركلي في «الأعلام»، ج 3، ص. 53؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 359؛ وآخرون.

(453) إسلاميان : أي مسيحيان اعتنقا الإسلام.

(454) ترجم له الإفراني في «الصفوة»؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 2، ص. 105؛ وابن إبراهيم المراكشي في «الإعلام»، ج 4، صص. 263–264؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 389؛ وآخرون.

(455) في الأصل : اثنين. وهو خطأ واضح.

(456) انظر ترجمته في «صفوة من انتشر»؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 1، ص. 48؛ و«الإعلام» للمراكشي، ج 2، صص. 105–106؛ و«الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 390.

(457) هكذا في النسخ المعتمدة، والصواب «الراسخة»، لأن القدم مؤنثة (انظر «القاموس»).

(458) هكذا في النسخ المعتمدة ولعله : نام. ويصح أن يراد بقيامه قيام الليل.

[الشيخ العشرون]

شيخنا الأستاذ أبو عمران موسى بن أحمد التودماوي[459]. جئته أول دخولي لمدينة تارودانت سنة إحدى وتسعين أو التي تليها وأنا ذو ذُؤَابة[460] أقرأ عليه لوحي في «مورد الظمآن»[461]، فأبطأ معي فيها[462] حتى ارتفع النهار، فقال ولده الأمين محمد بن موسى : لما دخل، قالت له أهله[463] : ما أبطأ بك اليوم عن غَدَائِك؟ قال لها : ورد علي اليوم غلام بلوحه يلي قضاء هذه المدينة تحت أيدي ثلاثة أمراء، وكان ذلك من عجيب فراسته فجاء ذلك على نحو ما أخبر. وشهد لصحة ذلك من حيث الجملة ما أخبر به الوالد رحمه الله أنه لما انتقل من بلد جزولة لجبل درن[464]، قال : إني رأيت في النوم أني هبطت من جبل درن لمدينة تارودانت وأنا على فرس وبين يدي على قَرَبُوسِي[465] صقر عظيم. ولما وصلت باب الخميس، خرج جميع من في المدينة وسجدوا لذلك الصقر، فَعُبِّرَتْ له على أن مِن ولده مَن يلي أمرها.

فراسة

رزبا

ومثل هذا ما قال الولي شيخنا أبو محمد عبد الله بن المبارك ـ قدس الله روحه ـ : مررت بين يديه ببلده «أقا»[466] وهو في جماعة، فقال لهم : تعرفون هذا ؟ قالوا : نعم، فلان التامانارتي. فقال لهم : هو طالب[467] أهل تارودانت. أعاننا الله في الحال والمآل، وسلمنا من كل ما يأتي به القدر من الآفات والأهوال بفضله.

ووفد شيخنا أبو عمران المذكور على المنصور فعظمه وقام له وأجلسه إلى جنبه

---

(459) ترجم له الحضيكي في «المناقب»، ج 2، ص. 130؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 410.

(460) ذؤابة : ناصية، شعر مقدم الرأس.

(461) «مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن» للخراز، وسيأتي ذكره في ص. 148.

(462) هكذا في النسخ المعتمدة. والسياق يقتضي «فيه» ـ لا فيها ـ سواء عاد الضمير على اللوح أو عاد على مورد الظمآن.

(463) أهله : أي زوجته.

(464) يعرف الأطلس الكبير عند السوسيين، بأَدْرَارْنْدْرَنْ، وتعريبه جبل درن.

(465) القَرَبُوس ـ كحَلَزُون ـ : حِنْوُ السرج، وهما قربوسان أحدهما أمام الراكب، والآخر خلفه.

(466) أقا : واحة جنوب جبل «باني»، وهي إحدى دوائر عمالة طاطا (انظر : «معلمة المغرب»، ج 2، ص. 578).

(467) الطالب عند السوسيين يعني الفقيه والإمام.

على تُكْرِمَتِه[468] وعرف له حق الشياخة[469]، لأنه من أول شيوخه في المكتب، فكساه وأجرى له جِرَاية[470] حياته. توفي سنة ثلاث وألف.

[الشيخ الواحد والعشرون]

شيخنا الأستاذ الزاهد المتجرد أبو علي الحسن بن إبراهيم الخالدي السكتاني[471]، قرأت عليه ختمات بالحرمين[472] وبهما باللوح إلى «سورة التوبة»[473]، وكنت أقرأ عليه في جوف ليلة من الليالي، ثم أحسست بيده أجالها بيني وبين الحائط، فقلت له : إني لم أستند، فضحك فقال : لو فعلت لقمت عنك، وكان شديد الخلق منقبضا عن الناس صليبا مع المشايخ. قال لي : ذهبت صبيحة يوم باردة للأستاذ أبي العباس الزموري[474] لأجود لوحتي فدققت عليه فخرج فجلست لأقرأ، فقال : أخرني لسويعة فارجع، فقلت له : لا، فراودني بذلك فأبيت فدخل عرصة له فاغتسل بالماء البارد فخرج وجود لي، فعلمت أنه جنب. قال : وأتيت مرة أبا العباس المنجور بلوحتي فجلست بين يديه وتعوذ وشرع في القراءة، فسكت، فقال لي : اقرأ، وكان متلثما فقلت له : حتى تحط اللثام، ألم يبلغك أن القراءة تؤخذ من أفواه الرجال ؟ فحط اللثام. فقرأت معه، وأتيناه مرة وهو في جمع من الفقهاء بجامع القرويين نجود عليه، فقال لنا : لغير هذه الساعة. فانصرف أصحابي وبقيت، فقال لي : وأنت ؟ فقلت : أنا هذه الساعة أحب، فجود لي فسُرَّ بذلك.

---

(468) التُّكْرِمَة : الموضع الخاص لجلوس الرجل من فراش أو سرير، مما يعد لإكرامه، وهي تَفْعِلَة من الكرامة («لسان العرب» : مادة كرم). وفي الحديث : «ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه».

(469) المراد بالشياخة : المشيخة.

(470) جِرَاية : مرتبا وهبة.

(471) ترجم له الحضيكي في «المناقب»، ج 1، ص. 183؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 410.

(472) المراد بالحرمين : نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم أبي رويم الليثي مولاهم المدني المتوفى سنة 169هـ - على خلاف في ذلك -، وعبد الله بن كثير المكي مولى عمرو بن علقمة المولود سنة 45هـ، والمتوفى سنة 120هـ. وهما من القراء السبعة المشهورين (انظر : «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري، ج 1، صص. 330-334، ج 2، صص. 443-445).

(473) وهي السورة 9 في المصحف الشريف.

(474) سبقت ترجمته في ص. 141.

وقال لي : ختمت القرآن باللوح على المشايخ ستا وثلاثين مرة وحققه وأحكامه من أفواه المشايخ، وكان يسألني ــ عند القراءة عليه ــ عن وجوه اختلاف القراءات فأجيبه بسند ذلك من العربية أو النحو أو التصريف، وكان لا يحسن شيئا منها.

وكان شيخنا أبو محمد عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم[475]، وشيخنا أبو محمد عبد الله بن المبارك[476] يعظمانه كثيرا، وكنت معه في سفرة مع شيخنا أبي عبد الله بن المبارك، فكان لا يركب فرسه حتى يركب هو، ولا يفارق أن يأكل معه حرصا على حفظ أخلاقه. توفي في رمضان سنة ثلاثين وألف.

مشايخه :

مشايخ شيخنا أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان الفاسيون وقد تقدم ذكرهم[477].

ومنهم الرجل الصالح أبو زيد عبد الرحمان بن علي من لا يخاف السجلماسي[478] الصوفي الشهير. توفي سنة تسع وتسعين وتسعمائة[479].

[الشيخ الثاني والعشرون]

شيخنا الأستاذ أبو العباس أحمد بن يحيى السوسي التنزرتي[480]. قرأت عليه ختمتين بالحرمين، وبدأت عليه السبع باللوح إلى «واذكروا»[481]، فذهب للمشرق.

أهمية الاجتهاد في الإقراء

وقد كان مجتهدا غاية الإجتهاد في الإقراء بالجامع الجديد[482] بتارودانت. ثم دعاه القدر للمشرق، فتركه معطلا. فذكر بعض من رافقه أو نقل لي عنه أنه كان يدعو كثيرا أن يرى النبي ﷺ في نومه. ولما بلغ مصر ونزل بالجامع الأزهر بها، نام

(475) ستأتي ترجمته في ص. 150.

(476) ستأتي ترجمته في ص. 167.

(477) انظر : صص. 140–142.

(478) انظر ترجمته في «دوحة الناشر»، ص. 90؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 2، ص. 161.

(479) وهو التاريخ الوارد عند ابن القاضي في «درة الحجال»، وذكر أبو زيد الفاسي أنه توفي سنة 1002هـ.

(480) ترجم له الإفراني في «الصفوة»؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 1، ص. 49.

(481) وهو الحزب الرابع في المصحف.

(482) المراد بالمسجد الجديد مسجد مفرق الأحباب. فهو جديد بالنسبة للمسجد العتيق الذي هو الجامع الكبير. ويقال إن أقدم مساجد تارودانت هو مسجد «الرحبة القديمة».

في بعض تلك الليالي فجاءه عمر رضي الله عنه في نومه، فأخذ بيده ورجع به على طريقه إلى أن وصل به مدينة تارودانت، فدخل ومشى معه حتى دخل به جامعها الجديد، ووقف به على موضع تجويده إزاء السارية التي كان يستند إليها، فقال له : «هنا تركت النبي ﷺ». فانتبه. فأدركه بعض الندم.

وكان يصلي الأشفاع بالجامع الكبير بتارودانت، فيحضر لذلك جميع أهل حوماتها لترتيل قراءته وحسن صوته وكثرة خشوعه وبكائه. وحين مشى للحج، تأسف عليه الناس ولم يجدوا من يقوم مقامه. ومشى خُفية، لم يعلم بشأنه أحد.

ولما بلغني انصرافه كذلك كتبت إليه : [الطويل]

دعتك ثنية الوداع[483] بمغرب	ولمّا تُودِعْ من قريب وأجنبي
دعتك ولما تلتفتْ لأحبة	ولا لوليد حَذو جبٍّ[484] محبب
فلله عينا[485] من رآنا بفرقة	أشتّ وأنأى من فراق المُحصَّب[486]
خليلي بلغن سلامي المرددا	معطرة الأرجا مدينة يثرب
وسلم على ربع الحبيب وطيبة	يَحُطّ لديها وِزْرَه كلُّ مذنب
ولا تنس بين لاَبَتَيْهَا[487] تلبثا	لدى شعبها وشُعْبِها وشعبعب[488]
وسل أُحدا عن حبه ورجيفه[489]	وهل سكنت جنباه من حب أطيب؟

(483) الثنية : العقبة، وثنية الوادع موجودة بالمدينة المنورة. وسميت كذلك، لأن من سافر إلى مكة كان يُودَّع بها، ويُشيَّع إليها («**قاموس**»).

(484) في بعض النسخ : حذو جيب.

(485) في بعض النسخ : فلله عين.

(486) المُحَصَّب : موضع رمي الجمار بمنى.

(487) اللّابة : الحَرَّة، وهي أرض ذات حجارة نخرة سود. وقد حرَّم النبي ﷺ ما بين لابتي المدينة، وهما حَرَّتان تكتنفانها.

(488) الشِّعْب : ما انفرج بين جبلين. والشَّعَبْعَبُ : اسم موضع، وقيل اسم ماء باليمامة ومن شواهد ما لا ينصرف :

تَبَصَّرْ خليلي هل ترى من ظَعَائِنٍ سَوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمَيْ شَعَبْعَبِ

(انظر شرح الجرجاوي على شواهد ابن عقيل لـ«**ألفية**» ابن مالك، صص. 226–227). أما الشُّعْب، فهو واد بين مكة، والمدينة يصب في وادي الصفراء («**معجم البلدان**»، ج 11، ص. 348).

(489) رجيفه : تحركه واضطرابه الشديد، يشير بذلك إلى ما ورد عن أنس – وغيره – من أن النبي ﷺ صعد هو وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا، فرجف بهم، فقال : «اُثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان» («**الشفاء**»، ج 1، ص. 307).

وقف بِرُبا سلع[490] وسل عن غرامها | وقل بالعقيق[491] ما تشاء وصوب
وسر والحُداةَ منجدا ومُغوِّرا | وحدث حديث الشوق ثُمَّ وأطرب
وباليعْمَلات[492] الغاديات إلى منىً | فبالله فارفُق، لا تحُثَّ فتُعطِب[493]
وزود رسوم النفس في كل منزل | غناها، وكن في الخير عمرَو بْن تغلب[494]
وجدك فاملأ من زيارة أحمدٍ | سليلِ ابن موسى[495] قطب كل مُقَطب
حقيبةَ زاد مع مزادة ريها | وجب بهما الأقفار خير مُحقّب
وشدّ به عقد الأمان مصدقا | تميزْ آمنا من طارق ومُسَرب
وزر بعده في كل قطر وردته | أفاضله من شاهد ومُغيَّب
وأتحف غريبا بالمغارب بالدعا | لديهم فهم في الناس أهلُ التقرب
ومَن كان في علم الحديث وفنه | على سَنَد من شارخ[496] ومُشيَّب
فحُط لنا منه الإجازة سالكا | بنا من طريق القوم أحسنَ مذهب

---

(490) سَلْع : جبل بالمدينة المنورة.

(491) العقيق : موضع بالمدينة.

(492) اليَعْمَلات : جمع يَعْمَلة وهي الناقة النجيبة.

(493) فتعطب : فتهلك، أشار بهذا البيت إلى المثل : «إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى»، يضرب لمن يبالغ في طلب الشيء، ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه، وأصل هذا المثل قول الرسول ﷺ لرجل اجتهد في العبادة حتى هَجَمت عيناه، أي غارتا. فلما رآه، قال له : «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى». والمُنْبَت : المنقطع عن أصحابه في السير. (انظر : «**مجمع الأمثال**» للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، 1393هـ/1972م، دار الفكر، ج 1، ص.7).

(494) عمرو بن تغلب : هو الصحابي الجليل عمرو بن تغلب العبدي ــ من عبد القيس ــ وقيل إنه من النمر ابن قاسط، نزل البصرة، وأصله من جُواثى قرية من قرى البحرين. عاش إلى خلافة معاوية، أخرج البخاري عنه قال : «أتى النبيَّ ﷺ مَال، فأعطى قوما ومَنَع آخرين، فبلغه أنهم عتبوا، فقال : «إني أُعطِي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحبُّ إليَّ من الذي أعطي، أعطي أقواما لما في قلوبهم من الجَزَع والهَلَع، وأكِلُ أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغِنَى والخير، منهم عمرو بن تغلب»، فقال عمرو : ما أُحب أنَّ لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعم» («**صحيح البخاري**»، ج 4، ص. 216). انظر ترجمة عمرو بن تغلب في «**الإستيعاب في معرفة الأصحاب**» لابن عبد البر بهامش «**الإصابة**»، ج 2، صص. 518–519؛ وفي «**تهذيب التهذيب**» لابن حجر العسقلاني، ج 2، صص. 8–9؛ وفي «**الإصابة**» لابن حجر العسقلاني، ج 2، ص. 526).

(495) المراد هو الولي الصالح الشيخ سيدي أحمد بن موسى السملالي الجزولي دفين تازروالت بإقليم تيزنيت، وستأتي ترجمته في ص. 176.

(496) شارخ : شاب.

وتربط مني فالتا[497] بقطارهم[498] وندرك فذا مستغيثا بمركب
وتوصل حبلي بالحبيب لعلني أدرَّجُ في حزب اليمين المقرَّب
عليه من الله العلي صلاته وتسليمُه يغشاه في كل موكب

وتوفي بمكة بعد فراغه من حجه بذي الحجة سنة ثلاثين وألف.

وأخذ عن الأستاذ الصالح مسعود بن علي الهشتوكي[499] المتوفى سنة تسع وثلاثين وألف[500] وأخذ هو عن الأستاذ الصالح إبراهيم بن سليمان الهشتوكي[501] عن شيخ الجماعة الأستاذ الكبير أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغي[502] عن الأستاذ أبي القاسم بن إبراهيم عن شيخ الجماعة الإمام ابن غازي[503].

[الشيخ الثالث والعشرون]

شيخنا الأستاذ الزاهد الصالح إبراهيم بن سليمان[504] المذكور[505]، قرأت عليه «**مورد الظمآن**» للخراز[506] و«**الضبط**» و«**الدرر اللوامع**» لابن بري[507]،

(497) فالتا : أي منفلتا.

(498) القطار : الإبل المقطورة، أي التي قرب بعضها إلى بعض على نسق. ومنه أخذ اسم القطار المعروف الآن.

(499) تصدر للتدريس في ماسة، وله دراية تامة بأحكام القرآن، وطرق تجويده. ترجم له الحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، ص. 128؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 576.

(500) في «**مناقب**» الحضيكي أنه توفي ليلة الأحد 28 من صفر سنة 1037هـ.

(501) ستأتي ترجمته في هذه الصفحة نفسها.

(502) تقدمت الإشارة إلى مصادر ترجمته في ص.112 هامش 211.

(503) تقدمت ترجمته في ص. 108 هامش 192.

(504) انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 121؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 39.

(505) ذكر في هذه الصفحة نفسها.

(506) الخراز هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي الأندلسي المتوفى بفاس الجديد سنة 718هـ. كان إماما في مقر الإمام نافع، بارعا في الرسم والضبط. له مؤلفات متعددة في قراءة نافع، أشهرها «**مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن**» وهو رجز يقع في 454 بيت، ثم ألحق به رجزا آخر له في الضبط بلغ 154 بيت. (انظر : «**طبقات القراء**» لابن الجزري، ج 2، ص. 237؛ و«**القراء والقراءات بالمغرب**» لسعيد أعراب، صص. 34-36).

(507) ابن بري : هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الحسن التازي الرباطي، نسبة إلى رباط تازة المولود في حدود 660هـ، والمتوفى سنة 731هـ. وضريحه خارج مدينة تازة مشهور. وهو متبحر في علوم القرآن، عالم بالنحو والأدب واللغة والفقه والفرائض والحديث والتوثيق. خلف مؤلفات عديدة أهمها أرجوزته المسماة «**الدرر اللوامع في أصل مقرإ نافع**» (انظر «**القراء والقراءات بالمغرب**»، صص. 22-23).

و«حرز الأماني» للشاطبي[508]، قراءة سرد وبحث في بعض المواضع منها. وهو الآن في قيد الحياة[509] أمتع الله به.

[الشيخ الرابع والعشرون]

شيخنا الأستاذ المحقق أبو عبد الله محمد بن علي الجزولي الأنسوي[510] الكفيف، أخذ عن الأستاذ الترغي أخذ إحاطة واعتبار.

وقال لي : لي سنة كاملة وأنا أرد بابه للقراءة عليه فيدفعني عنه. وربما يخرج ويجدني ببابه، فيقول : ما زلت يا أعمى لم تقنط ؟ فيطردني، حتى تمت السنة وأنا في ملازمة بابه. ولما أراد الله أن يفتح علي، جئته في يوم مطر متلوثا بالطين، فقعدت ببابه، فخرج عليَّ وأدخلني وبكى بكاء كثيرا فقال : اِقرأ. فقرأت عليه بالسبع ولازمني، فلم يمض إلا قليل ففتح الله علي بحفظ جميع طرقه، وأذن لي في التجويد، وكتب لي الإجازة عن شيوخه.

ورد علينا بتارودانت ولم يطل بها مُقامه، ثم رجع لمراكش، ثم انتقل منها لزاوية[511] شيخنا أبي محمد عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم، وبقي عنده مكرما إلى أن مات في رمضان سنة تسع وألف بالطاعون الواقع في ذلك التاريخ، ودفن هنالك. وقبره معروف مزارة.

---

(508) انظر ص. 106 هامش 180.

(509) توفي عن سن عالية ببلده هشتوكة عام 1058هـ.

(510) نسبة إلى «أنسا»، وهي مدينة مندثرة برأس الوادي بسوس قرب «أوْلوز». وقد ذكرها العبدري في «رحلتـ»ـه (انظر ص. 8)، وقال في شأنها : «وأما بلد آنسا جبره الله، فهو بلد منفسح منشرح، في بسيط مليح، طيب التربة، يغل كثيرا، وبه ماءٌ جارٍ، ونخل وبساتين، وهو آخر بلاد السوس من أعلاه، متصل بالجبل، مشرف على السوس. وكان فيما مضى مدينة كبيرة، فتوالت عليها الخطوب الجتاحة، ونزول الأقدار المتاحة، حتى صارت رؤيتها قذى في المقلتين، وعادت بعاديات الزمان أثرا بعد عين، فليس بها إلا رسوم حائلة، وطلول ماثلة، خلت من كل قارئ ومقروء عليه، وقاصد ومقصود إليه...». والأنسَوي أستاذ ماهر في القراءات والتجويد. ترجم له الإفراني في «الصفوة»؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 2، ص. 45 ؛ وابن إبراهيم المراكشي في «الإعلام»، ج 4، صص. 226–227؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 562.

(511) وهي زاوية تافيلالت بإداوزداغ، شمالي شرقي مدينة تارودانت، على بعد نحو 70 كلمترا منها. (انظر : «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 559).

[الشيخ الخامس والعشرون]

شيخنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن علي السكتاني المعروف بالفاسي، وإنما قيل له الفاسي لأنه قاد الأستاذ الكفيف المذكور من مراكش إلى فاس حين يقرأ عليه ورده كذلك إلى مراكش، وحمل الطرق العشر عن مشيخة فاس، قرأت عليه صدرا من «**الشاطبية**» وأوائل الأصول. ولم يزل في قيد الحياة[512] حفظه الله.

شيوخ الطريقة

[الشيخ الأول]

شيخنا الإمام الأسنى أبو محمد عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم بن الحسن ابن إبراهيم بن عبد الملك بن الحسن المناني الداودي الحاحي[513]

له جولة لقي فيها أعلاما، ثم عاد وسكن جبل درن بموضع منه يقال له تافيلالت بزداغة، بموافقة ملك وقته السلطان العادل أبي محمد عبد الله[514]، فأقام هناك يعلم السنة والعقائد وأمور الديانات والأخلاق الحسنة.

وكان عارفا بزمانه، متحفظا من أهله، حسن التدبير، فاعتزل الفضول وتوارى عن العامة، فلا يدخل إليه الزائرون إلا فيما بين السحر وطلوع الفجر؛ ولا يدخل عليه نهارا إلا من يباشر شؤونه. وله نظر دقيق واحتياط بالغ في طرفي العبادة والعادة. وقصده الواردون لذلك من جميع آفاق المغرب وانتفعوا به في أمر دينهم. ومن عظيم

(512) في طرة إحدى النسخ المعتمدة : «ثم توفي بعد 71 وألف»، وفي «**رجالات العلم العربي**» (ص. 50) أنه توفي سنة 1050هـ.

(513) ترجم له ابن عسكر في «**دوحة الناشر**»، صص. 76-77؛ والإفراني في «**الصفوة**»؛ والقادري في «**نشر المثاني**»، ج 1، صص. 71-72؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 218-223؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 19، صص. 78-83؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 560-561؛ وأحمد بزيد الكنساني في بحثه عن «**زاوية تافيلالت الزداغية**» (مخطوط)؛ وآخرون.

(514) عبد الله الغالب ابن السلطان محمد الشيخ.

بركته أنه لا يأتيه أحد وإن ملكت العجمة لسانه، وأخذ الهرم أسنانه وينقلب عنه إلا وقد حفظ ما يجب عليه عقيدة وفرضا وسنة وإن كان لا يعرف حرفا. وله في ذلك اختصار قريب.

حضرت مجلس تذكيره مرة واحدة في حداثة السن بعد استحصال[515] ما ذكر فأسمعنا حكما ومواعظ في الإنابة وتصفية الباطن والتبري[516] من الحول والقوة والتحذير من شوائب العمل ورُعُونات[517] النفس وحب الدنيا، وأكد على اتباع السنة ولزومها، وكنا في مجلسه بنحو خمسة من الطلبة فقال : رد الطلبة لطريق الإستقامة أيسر وهو كالبناء على الأساس، وهم أقرب للحق وحفظ الأدب مع الشيخ والتماس حسن التأويل فيما لم يقفوا على حقيقته من كلامه. ثم أنشدنا : [البسيط]

ما كان من شِيَمِ الأبرار أن يَسِمــوا بالفسق شيخا على الخيرات قد جبلا[518]
لا لا، ولكــن إذا ما أبصروا خلــلا كسوه من حسن تأويلاتهم حُللا[519]

ثم قال : «بخلاف غيرهم، فإنه يحتاج في استقامته إلى كُلْفة عظيمة وطول زمان ثم هو ربما سمع الشيء من الشيخ فيأخذه على خلاف المقصود به، وربما زاد أو نقص، وربما اختلق شيئا فأضافه للشيخ وإن كان بريئا منه لجهله بحرمة الشيخ والمناصب الدينية وبعد فطرته عن الإستقامة». نعوذ بالله جل اسمه من ركوب الهوى واتباع أماني النفس وتسويلات الشيطان، وما أكثر مثل هؤلاء في هذا الزمان ! نسأل الله العافية.

حدثني ولده أبو زكرياء قال : لما نزل بقربه قائد المنصور منصور بن عبد الرحمان[520] يتحيل لقبضه ورحل من داره إلى موضع آخر فوقها في الجبل جئته

---

(515) مراده : تحصيل.

(516) مراده بالتبري : التبرُّؤ.

(517) رعونات : حماقات.

(518) في النسخ المعتمدة : «شيخا بالفسق على الخيرات قد جُبلا». وما أثبتناه هو الصواب.

(519) البيتان من قصيدة أجاب بها علماء مصر برئاسة ابن حجر العسقلاني، عن أبيات لابن عرفة بعث بها إليهم في شأن أبي عبد الله الدكالي الذي لا يحضر جمعة ولا جماعة، ولا يصلي خلف الأئمة، لأنه يرى أن أخذهم الأجرة على الصلاة شبهة ينبغي التورع منها (انظر «**شرح ميارة** ـ الكبير ـ **على المرشد المعين**»، صص. 161ـ162؛ و«**حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة** ـ الصغير ـ **على المرشد المعين**»، ج 1، ص. 246).

(520) يعرف بالعلج كما في «**صفوة من انتشر**».

فقلت له : ألا ترى ما نزل بنا من هذه المحالّ[521] بلا ذنب فادع عليها فقال «نسأل الله السلامة والعافية». فرجعت عنه مهموما، فنمت في مصلاي نومة، فرأيت الشيخ طلع إلى ذروة من الجبل عالية فرمى منها تلك المحال بثلاثة أنفاض تقع كورة كل واحد منها في وسط المحلة ثم تطير حتى تقع في بلد السودان، فلم يمض إلا يسير فرجعوا لمراكش فوجههم المنصور للسودان كما هم. فهلك به جميعهم.

ومثل هذا ما أخبرني به أيضا أن قائد المنصور القائد عبد الرحمان بن المريد الشياظمي لما نزل بقصبة حجر مغاغ[522] بأسفل سوس، أضر بصاحب ضيعة له هنالك، فأتاه فشكاه إليه، فاستدعى الشيخ أحد أصحابه الحاضرين، فقال له : أي شيء عليه لعبد الرحمان المريد؟ ألا تنهاه ألا تفعل به؟ فقال له : يا سيدي لا حكم لي عليه، فقال الشيخ لمن حضر: أضجعوا هذا، هذا عبد الرحمان المريد، واذبحوه وأخرجوه للقمر وشقوا بطنه ففعلوا ما أشار به الشيخ تمثيلا، فلم يمض إلا يسير فهجمت قبائل مسكينة[523] على قصبة القائد المذكور ليلا، فأخذوه فذبحوه في بيته وأخرجوه للقمر وشقوا بطنه وشتتوا جموعه.

ولم يزل على وظيفة التعليم إلى أن توفي رحمه الله في حادي عشر جمادى الأولى من سنة اثنتي عشرة وألف.

وفي هذه السنة أو التي بعدها توفي الولي الصالح الصوفي النسابة أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي[524]، نقله المنصور من تادلا لمراكش لبغضة بينه وبين أمير بلده الأمير زيدان بن المنصور[525]، فبقي بمراكش حتى مات رحمه الله.

---

(521) المراد بالمحال : العساكر.

(522) لعل المراد بحجر مغاغ قرية أزرو الحالية، قرب «أيت ملول».

(523) مسكينة : قبيلة سوسية تقع على ضفة وادي سوس الشمالية قريبا من مصبه، وتنتشر مداشرها في السهل والجبل بين وادي سوس وكسيمة جنوبا، والمحيط الأطلسي غربا وإداوتنان شمالا وإداوزكي شرقا. وقاعدتها مدينة أكادير. وبها توجد مدرسة إغلالن العلمية الشهيرة. وتتكون قبيلة مسكينة من ثلاث فرق : 1 ـ فرقة أيت عباس، وفرقة أيت تكوت، وفرقة أيت واسيف (أفادني بذلك الأستاذ الحسين أفا).

(524) هو مؤلف كتاب «**المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**». وقد قام بتحقيقه الأستاذ علي الجاوي في إطار دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، وطبعته كلية الآداب بأكادير سنة 1996م، وتاريخ وفاة التادلي : أوائل ربيع الأول عام 1013هـ (انظر «**المعزى...**»، ص. 25).

(525) انظر ما حدث بينهما في كتاب «**المعزى...**»، تحقيق علي الجاوي، ص. 28؛ وفي المصادر المحال عليها في الهامش 95.

مشايخه :

1 ـ منهم والده شيخ السنة، وإمام الأمة، أبو عثمان سعيد بن عبد المنعم المناني[526] شيخ الحقيقة، وإمام الطريقة. أحيا بعصره في قطره من السنة رسوما دارسة، وأظهر منها أعلاما طامسة، وأزال المناكر، وعطل البهتان، وانتعش به أمر الإسلام وعقائد الإيمان.

قال لي بعض الفقراء : سمعت الشيخ الكامل سيدي أحمد بن موسى رضي الله عنه يذكره ثم قال : ما ولدت النساء قبله مثله ولا تلد النساء بعده مثله، وإني لأتمنى أن أكون بجواره فأخدمه بكل جوارحي حتى بأجفاني.

من براهين ولايته

وبلغني أن خصمين اختصما لوالده سيدي عبد المنعم[527] ـ وكانت تكون إليه خصومة أهل بلده في عصره ـ في بقرة ادعى أحدهما أنها أَكَلَهَا له، فحكم للمدعي باليمين على المدَّعى عليه فخرجا عليه، فقال لهما : لمن حكم والدي فيكما؟ فقال له صاحب البقرة : حكم لي باليمين على هذا وهو يأكل بقرتي باليمين، فبسط كفه فقال للمحكوم عليه باليمين في المسجد : «احلف هنا بلا مسجد» فقال : «بالله الذي لا إله إلا هو لقد أكلت بقرة هذا»، فقال له فاغرمها له إذن، فقال له: «زلق لساني»، فقال فأعدها، فأعادها فقال مثل ما قال أولا، فقيل له: فاغرمها. فادعى أيضا سبق لسانه، فقال له : فأعدها، فأعادها على نحو ما قال أولا، فقال له : فاغرمها، فأذعن لغرمها وعلم أن برهان الولاية أنطقه بالحق وأخرس لسانه عن الباطل.

وأخبرني الحاج الناسك إبراهيم بن أبي ناجي أن مؤذنا من أهل بلده أخبره أنه قال للفقراء يوما: لا يبولن أحدكم في هذه الساحة، ومن عاد يبول فيها تعضه ذئبة، قال: فغفلت يوما، فأتيت أبول فيها، فمرت بي ذئبة كأنها الريح فعضت ساقي وجعلت فيه أربعة أضراس، فأصبحت متيمما، فأتيت حلقة الشيخ فنظر إلي فقال : عضتك ذئبة فضحك.

وكان من أهل العناية فقال للفقراء يوما : تعرفون ما يصنع بكم شيخكم يوم القيامة ؟ يحضر لكم عند الميزان، فمن فضلت له منكم فضلة أخذها ثم يردها على

(526) انظر ترجمته في «دوحة الناشر»، صص. 102–103؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 2، صص. 329–332؛ و«المعسول»، ج 19، صص. 75–78.

(527) وهو عالم جليل، مقصود في عصره (انظر ترجمته في «المعسول»، ج 19، ص. 74).

من احتاجها منكم، حتى إذا لم يبق إلا ما قصرت عنه أعمالكم، فيقف لكم على الصراط حتى تجوزوا عن آخركم. توفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة.

2 ـ ومنهم الفقيه العالم القدوة أبو محمد عبد الله بن محمد الهبطي[528]، كان إمام السنة في عصره، وطودا من أطواد المعرفة في قطره، جرت به في القلوب نواسم العرفان، وَأَحْيَا بتعليم علم الدين مراسم الإيمان.

أخبرني صاحبنا الفقيه أبو زكرياء يحيى بن مسعود بن عثمان المصمودي الروداني، قال : سمعت تلميذه أبا محمد عبد الله بن سعيد قال : خرجت صبية له صغيرة من داره فقلت لها : سيدتي أين الله؟ فقالت : في الجنة، فقلت لها : تجعلين له محلا؟ قالت : القلب هو الجنة. وهذا من دقيق المعرفة، ثم إذا كان هذا منزل صغارهم، فما ظنك بمنازل كبارهم ؟

تقييد في التوحيد

وله نظم في البدع ومستحدثات الضلالات وضروب اللهو النابغة[529] في زماننا، وتقاييد حسنة في التوحيد أخصرها ما هذا نصه :

لا إله إلا الله محمد رسول الله، نطقي بهذه الشهادة منك وبك ولك يا مولاي يا الله عن اعتقاد نفي ألوهيتك عن كل ما سواك، وثبوتها لك وحدك، لا شريك لك فيما انفردت به من كمال ذاتك وصفاتك وأسمائك ولا فيما انفردت به من خلقك لجميع ما سواك، فلا خالق لشيء غيرك، ولا فاعل إلا أنت، عز شأنك، وعن اعتقاد إنزالك ملكك المقرب الأمين جبريل على أفضل خلقك أجمعين مولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فعلمه القرآن وشرائع الدين في عشرين من السنين، وكان هو يعلم أصحابه الطيبين الطاهرين، فعلموا هم من لقيهم من المومنين، فانتقل التعليم من طبقة إلى طبقة وهكذا إلى أن وصل إلينا، فآمنا وصدقنا مخلصين لك الدين، ولك الحمد يا رب العالمين. اللهم ثبت علم هذه الشهادة في قلوبنا، وتقبلها منا، واجعلها لنا عندك ذخيرة تنجينا بها بفضلك من جميع الأهوال والشدائد من لدن الموت إلى أن تدخلنا جنتك برحمتك، وتمتعنا فيها بالنظر إلى وجهك الكريم، وبزيارة حبيبنا وحبيبك مولانا محمد ذي الخلق العظيم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

---

(528) ترجم له ابن عسكر في «دوحة الناشر»، ص. 7؛ والقادري في «نشر المثاني»، ج 1، ص. 18؛ والحضيكي في «المناقب»، ج 2، صص. 309–315؛ وكنون في «النبوغ»، ج 1، ص. 251؛ ومحمد حجي في «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 466.

(529) النابغة : الظاهرة.

وأثبتُّها في هذا التقييد، لصغر حجمها ولرجاء بركتها في نشرها والِانتفاع بها.

وقد جرت بينه وبين عالم فاس في وقته أبي عبد الله اليَسْتتني مناظرة[530] في المنفي بهذه الآية المُشرَّفَة وكتب فيها أجوبة بين نظم ونثر.

قلت : هذا مما لا ينبغي الجدال فيه لوضوحه في كتب أئمتنا، ولا يظن بأحد الأمامين الجهل به. توفي سنة ثمان وتسعمائة.

3 ـ ومنهم الشيخ الصالح الصوفي أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن الحسن الأندلسي الشهير بالشُّطَيْبي[531]. له تصانيف حسنة في التاريخ وغيره، وغالب عيشه من الصيد. وتوفي ما بين الستين والسبعين وتسعمائة[532].

4 ـ ومنهم الولي الصالح الفلاح عياد بن عبد الله السوسي[533]. له تربية حسنة، وحال صافية، وكرم فائض، وزهد تام. إذا فَضَلَ الزرع عن قوام زاويته، سلفه للناس في وقت الحاجة، ثم إذا جاء وقت الزرع قطع، براوات السلف، ويقول للمتسلفين : «اذهبوا فقد كفيتمونا مؤونة الطبخ»[534].

وحكي عنه أنه دخل داره يوما فوجد في بعض طيقان[535] البيت سوارين من فضة فقال لأهله : ما هذا؟ فقالت : صنعهما لي أخي لأضعهما في يدي، فأخذهما ودفعهما للفقراء وقال لهم : اشتروا بهما خنائفكم[536].

---

(530) انظر «**دوحة الناشر**»، ص. 9 فما بعد.

(531) يعرف بالحاج الشُّطَيْبي ـ بالتصغير ـ ترجم له ابن عسكر في «**دوحة الناشر**»، صص. 16–17؛ وابن القاضي في «**درة الحجال**»، ج 2، ص. 203 رقم 646؛ ومحمد القادري، في «**نشر المثاني**»، ج 1، ص. 65؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 23–24 (وأخطأ في اسمه فسماه محمد ابن أحمد بن محمد بن علي بن الحسن)؛ ومحمد الكتاني في «**سلوة الأنفاس**»، ج 2، ص. 258؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 482؛ وآخرون.

(532) ذكر محمد حجي أنه توفي سنة 963هـ/1556م، وذكر ابن عسكر أنه توفي في حدود الستين وتسعمائة.

(533) ترجم له الإفراني في «**الصفوة**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 302–303.

(534) يعني أن من عادته أن يطعمه الناس في الزاوية مطبوخا، فلما تيسَّر من هو في حاجة إليه دون طبخ، فقد كفاه مؤونة الطبخ.

(535) الطيقان : جمع طاق، وهو ما عطف من الأبنية.

(536) الخنائف : جمع خنيف، والمراد به في اللهجة السوسية سلهام أسود من صوف.

أخذ عن الصالح عبد الكريم الفلاح، عن القطب الشهير عبد العزيز المعروف بالتباع، عن القطب أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي. توفي سنة إحدى وثمانين وتسعمائة[537].

5 ـ ومنهم الشيخ الرباني القطب أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي[538]. قال لي محمد بن إبراهيم بن موسى الطيبي، قال لي شيخي سيدي عبد الله بن سعيد: لما وفدت على شيخي ولي الله سيدي أحمد بن موسى احتجب عني ثلاثة أيام فقلتُ لبعض أصحابي : سَلواْ لنا عن الشيخ إلى متى لا نراه؟ فأتاه رسولي فقال له : فلان يسأل عنك، فقال له : قل له : عبد الله بن من أنت؟ فجاءني وقال لي : يقول لك الشيخ: عبد الله بن من أنت؟ وقد تغير الفقير مما سمع من الشيخ ولم يعلم أنها تأديب فقلت له : قل له : عبد الله بن دد[539] بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن فكَمت.

فجاء إلى الشيخ فقال : يقول لك : عبد الله بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن دد بن فكَمت. فهمهم الشيخ وقال : نقزها الطفل[540]، لو قال : بن سعيد لكان ابن دد، ولكن لما قال : ابن دد وحقر نفسه، فهو عبد الله بن سعيد بن أبي عثمان «إِتْمَّانْ»[541].

ثم جاء المسجد والناس فيه حلق، ونحن في زاوية منه، فجعل يتخطى الناس حتى انتهى إلينا. فأردنا أن نقوم، فأشار أن امكثوا، فقعدنا حتى جاءنا. وجلس في حجري وضمني للحائط حتى بلغ مني الجهد، فتعجبت من قوته وشدة ضمته مع لطافة جسمه، ثم تنحى عني بيسير فقال : عبد الله بن دد بن دد، حيث هو عبد الله بن دد، فهو عبد الله بن سعيد بن أبي عثمان الصحيح، ولو كان عبد الله بن سعيد لكان عبد الله بن دد.

---

(537) بل توفي يوم الخميس 8 رجب عام 983هـ كما في «مناقب» **الحضيكي**، ج 2، ص. 303. وهو ما ورد في ص. 100.

(538) انظر ترجمته في ص. 176.

(539) دَدٌّ يعني به الشلحيون أحيانا العبد، وهو المقصود هنا («**المعسول**»، ج 19، ص. 82، هامش 1).

(540) تعريب «بُوكِيتّ أَخْشْبِيْ»، أي نجا ونجع الطفل.

(541) معناه الكامل.

ثم قال : أخذ هذا العبد ثلاثة أيام لم يخرج لولد أبي عثمان، ودخل هذا العبد دار سيده، وألبس له الغموس فغاص في بحر النور، وجاء بالكرامة لولد أبي عثمان، ثم قال ومد يده : «السلام عليكم»، وأشار إلي بعينه اليسرى وأكرمني وجمعني بأستاذي سيدي عبد الله بن محمد الهبطي.

قلت : وأصل هذه الضمة ضمة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في بدء الوحي[542]. ووفاته وبعض مناقبه تأتي في ترجمة شيخنا أبي محمد عبد الله بن المبارك إن شاء الله[543].

[الشيخ الثاني]

شيخنا أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم[544]. له مشاركة في الفنون: الحديث والعربية والعروض والتصوف. قام بوظيفة التعليم بعد والده مهيب الحرم واسع الكنف والأخلاق.

وردتُ عليه سنة سبع عشرة وألف فقرأت عليه حصة من «**الجامع الصحيح**»، و«**الأربعين**» للنووي، و«**الأربعين الإبريزية**» التي غالب رواتها أهل البيت، وكتاب «**معايب النفس وأدويتها**» للشيخ الإمام أبي عبد الرحمان السلمي[545]، وأجاز لي مروياته عن مشايخه بالمشافهة والمكاتبة وأنشدني : [الخفيف]

يا بني[546]، وليس مثلي يسهو عن حديث يرويه مثلك عنه،
أنت ضيف الدنا فأقلل[547] عيوبا من قراها، واخش الرّدى من لدنه

---

(542) انظر «**صحيح البخاري**»، باب «كيف كان بَدْءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ»، ج 1، ص. 6.

(543) انظر ترجمة شيخه ابن المبارك في ص. 167.

(544) ترجم له الإفراني في «**النزهة**»، ص. 209 فما بعد؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 352-353؛ وابن إبراهيم المراكشي في «**الإعلام**»، ج 10، صص. 222-245؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 19، صص. 84-93؛ ومحمد حجي في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 563؛ وآخرون.

(545) النيسابوري، واسمه محمد بن الحسن (انظر ترجمته في «**تاريخ بغداد**»، ج 2، صص. 248-249؛ و«**طبقات الشافعية**» للسبكي، ج 3، صص. 60-61.

(546) في «**النزهة**»، ص. 211 : يا أبا زيد ليس مثلي يسهو.

(547) في «**النزهة**» : فخفف عيوبا.

وحدثني أنه رأى أبا هريرة في منامه وهو آدم ربعة[548] شديد الحمرة، فقلت له : ما اسمك؟ فقال : عبد الله بن صخر أو عبد الرحمان بن صخر الدوسي[549] الذي سمعتم به، فقلت له : هل حضرت انشقاق القمر ؟ فقال : لم أحضره، ولكنه صحيح. فطلبت الدعاء منه، ووضعت يده على وجهي تبركا بها، قال : فبحثت فوجدت إسلامه تأخر عن انشقاق القمر، وإنما أتاه بعد ذلك.

ثم تابعت المسير إليه في عدة من السنين أقرأ عليه «**صحيح**» البخاري بتمامه كل سنة في رمضان، حتى قام لجمع الكلمة والنظر في مصالح الأمة، واستمر به علاج ذلك إلى أن توفي ـ ولم يتم له الأمر ـ في ليلة الخميس السادس من جمادى الثانية سنة خمس وثلاثين وألف بقصبة تارودانت، وحمل من الغد لرباط والده بتافيلالت زداغة[550] بجبل درن، فدفن إلى جنب والده رحمة الله عليهما.

وكتبت لولده تعزية مختصرة فاستجفاها، فكتبت إليه[551] :

جُفيتُ ولم أجــف ولا أنــا آهل[552] ولا عنسي[553] عن حي الصبابة ذاهـل
ولا ضل أمسي في الأمـــاني ولا لوى حُوارِي[554] عن نهج الوفا وهو بازل[555]
ولا صَدِئَت[556] مرآة قلبــيَ في الهوى على جيرة هم في الحشا والمنــــازل

---

(548) الرَّبْعة من الرجال : الذي ليس بطويل ولا قصير.

(549) انظر ترجمته في «**الإصابة**»، ج 4، صص. 202-211؛ و«**الإستيعاب**»، ج 4، صص. 202-210.

(550) في سوس ثلاث قرى، تسمى كل منها «تافيلالت» : إحداها في زداغة (إِدَاوْزْدَاغْ) بالأطلس الكبير، وتبعد عن مدينة تارودانت بحوالي سبعين كلمترا، من الناحية الشمالية الشرقية. وهي المقصودة هنا، والثانية في قبيلة «إدا ومحمود» بالأطلس الكبير أيضا، والثالثة في ناحية أيت ودريم بإقليم شتوكة أيت باها. (انظر «**سوس العالمة**»، ص. 182، هامش 1؛ و«**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**» لمحمد حجي، ج 2، ص. 559). وقد أنجز الأستاذ الباحث أحمد بوزيد الكَنساني بحثا جيدا عن زاوية تافيلالت الزداغية. ونرجو أن ينشر عما قريب.

(551) قال المختار السوسي في «**المعسول**» (ج 19، ص. 85، هامش 1): «إقرأ المنظومة على ما هي عليه، لأن ما يقوله التمنارتي معلوم من هذا النمط. وقد انتقد عليه ذلك المؤرخ الرسموكي معاصره».

(552) آهل : اسم الفاعل من أَهَل يَأْهُل ويأهِل بمعنى اتخذ أهلا.

(553) العَنْس : الناقة التي تمت سنها، واشتدت قوتها.

(554) الحُوَار : ولد الناقة ساعة تضعه، أو إلى أن يفصل عن أمه.

(555) البازل من الجمال : الذي بَزَل نابه أي طلع، ويتم ذلك في الثامنة أو التاسعة من عمره.

(556) علاها الصدأ الذي هو الطبع والوسخ.

ولا نام شعـــــري لا ولا نثري عنهم ولكن جريض[557] الخطب في الحلق جائل

ولا صك[558] خطب أو تراءت ململة إلا ولها بالقـــلب شأن وشاغـــل

ولا كان في فقـد الحبيب سوى الأسى ودمـــع تُملُــهُ[559] غدى وأصائـــل

ولا جف شأني[560] منـذ وارت خيالـه جُثى[561] من تراب والصفـا والجنـادل

ولا كان في موت الإمـــام الـــذي به صلاح الـــورى بالدمـــع عين تماطـــل

بكتـه عيـــون النـــاس جهـــرا وإن لي عليـــه بكـــاء لا تراه العـــواذل

ومـــــا هو إلا درة رام بخسَهــــــا رَعـــاع[562] وبهم المغويـــات الجاهـــل

فردت لأصداف الكرامـــــــة غيرة عليها، وهل تدري النفيس العجاجل[563]

على أن لي لريبـــــة الدهـــــر عدة ثوانيــــه في عزم الأمــــور أوائـــل

وللــوصل أيــــام إذا ما اعـــتبرتها بما بعدِهــا راعــتك منها المخايـــل

ولست أرى حالا تدوم لأهلهـــــــا ولــــكنها الأيــــام حالٍ وعاطـــل

نواصب أقـــدار الإلـــــه تتابـــعت من الملك القهـــار وهـــي عوامـــل

رضانـــا بها كل الحجـــا وجلادنـــا لها حسبـــة ترتـــاح منها البلابـــل

لذلك عقبـــى الخير، والصبر عزمـــة وهـــذا وصاة للبريئـــة شامـــل

مشايخه :

1 – منهم والده أبو محمد عبد الله بن سعيد المتقدم، ومشيخة فاس المذكورون في ترجمة شيخنا أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان المذكور. وقد تقدم ذكرهم.

2 – ومنهم الشيخ الصوفي المحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدرعي السوساني المعروف بأدفال[564]، له جولات بالمغرب وجولات بالمشرق

---

(557) الجريض : غصَص الموت، ومنه المثل : «حال الجريض دون القريض» يضرب لأمر يعوق دونه عائق، قاله شوشن الكلابي حين منعه أبوه من الشعر، فمرض حزنا، فرقّ له وقد أشرف على الهلاك، فقال : انطق بما أحببت («**القاموس**» : مادة «الجرض»).

(558) صَكَّ : ضرب ضربا شديدا.

(559) تُملُه : تُمْليه.

(560) الشأن : مجرى الدمع إلى العين.

(561) الجُثى : أتربة مجموعة، واحدها جُثوة، وفي حديث عامر: «رأيت قبور الشهداء جُثىً»، يعني أتربة مجمعة («**لسان العرب**»).

(562) الرَّعاع من الناس : السَّفِلَة والهَمَج، والرُّذَّال، والسُّقَّاط.

(563) العجاجل : العجاجيل وهو جمع عِجُّوْل الذي هو ولد البقرة.

(564) انظر ترجمته في فهرس العياشي : «**اقتفاء الأثر، بعد ذهاب أهل الأثر**» تحقيق نفيسة الذهبي، صص. 106–110؛ وفي «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 553 مع المصادر المحال عليها في الهامش 4.

حتى جمع أسانيد المشرق والمغرب. وأول من أخذ عنه بالمغرب وصيه وكافله الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن علي الجزولي الدرعي[565] الدار المتوفى حدود الستين وتسعمائة. وأخذ أبو عبد الله هذا عن الولي الشهير عبد العزيز القسمطيني[566].

ثم سافر بإذن وصيه لمدينة فاس، فلقي بها مشيخة الإقراء في وقته العالم الكبير أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمان اليستثني المتوفى في محرم سنة تسع وخمسين وتسعمائة، والفقيه العلامة عبد الواحد بن أحمد الونشريسي[567] المتوفى بذي قعدة سنة خمس وخمسين وتسعمائة، والفقيه المفتي أبا الحسن علي بن هارون المتوفى بذي قعدة سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، والفقيه أبا محمد عبد الوهاب الزقاق[568] التجيبي المتوفى قتيلا إحدى وستين وتسعمائة.

ثم رجع فسافر لحاحة[569] فلقي بها الشيخ الصالح أبا عثمان سعيد بن عبد المنعم، فرجع منها فسافر لبلاد جزولة، فلقي مشائخ الوقت بها : القطب أبا العباس أحمد بن موسى، والفقيه أبا عبد الله مَحمد بن إبراهيم، والرجل الصالح أبا عبد الله محمد بن يعقوب ـ وسيأتي ذكر الثلاثة ووفياتهم[570] ـ ثم سافر للمشرق سفرتين لقي بمصر عالمها الكبير زين العابدين محمد بن محمد بن محمد البكري الصديقي المتوفى سنة أربع وثمانين وتسعمائة، ولقي بمكة والمدينة آخرين، وحمل عن الجميع، وأجازوا له. فورد عليه شيخنا أبو زكرياء بعد رجوعه، فحمل عنه وأجاز له كل ما حمل عن أشياخه، وأجاز لي كذلك. وقد تقدم ذكر وفاته[571].

(565) توفي بتامكَروت سنة 965هـ/1558م. انظر ترجمته في «دوحة الناشر»، ص. 193؛ و«الدرر المرصعة» للناصري؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 2، صص. 16–17؛ و«الحركة الفكرية»، ج 2، صص. 546–547.

(566) انظر ترجمته في «دوحة الناشر»، صص. 132–133؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 2، ص. 190.

(567) انظر ترجمته في «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين» لمحمد حجي، ج 2، ص. 350؛ وفي المصادر والمراجع المحال عليها في الهامش 20، وانظر كذلك : «دوحة الناشر» لابن عساكر، تحقيق محمد حجي، ص. 52، مع المصادر والمراجع المحال عليها في الهامش ه.

(568) انظر ترجمته في «دوحة الناشر»، ص. 55، وفي المصادر المحال عليها في الهامش.

(569) يطلق اسم حاحة على مجموعة القبائل القاطنة بين الصويرة وأكَادير والأطلس في أرض جبلية كثيرة الهضاب والمرتفعات والغابات، غنية بمختلف الأشجار، وبالأخص شجر الأركَان («المغرب» للصديق ابن العربي، ص. 86؛ وانظر أيضا «المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة» للفقيه إبراهيم إذ آبراهيم التامري، ج 1، ص. 15).

(570) انظر بخصوص الشيخ أحمد بن موسى، ص. 176، وبخصوص الشيخ مَحمد بن إبراهيم التمنارتي، ص. 169، وبخصوص الشيخ مَحمد بن يعقوب الصنهاجي، ص. 162.

(571) انظر ص. 98.

3 – ومنهم الفقيه المتفنن أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني(572) الفاسي الدار. درس بفاس ومراكش، وولي القضاء بفاس زمن الفتوة، فقتله الزعارة(573) في حدود خمس وثلاثين وألف(574).

4 – ومنهم الفقيه أبو الحسن علي بن عمران(575). درس بفاس ومراكش، وولي القضاء به، ثم صرف لفاس. وكان محققا فصيحا. وقال يوما لبعض أصحابه : أيتحدث الناس بأني معزول؟ قالوا له : كان ذلك. فتمثل بقول الشاعر : [الوافر]

وإن العـــزل للإنسان حيض لحاه الله من حيض بغـــيض
ولكـــن الأمير أبـــا علي من الـــلائي يئسن من المحيض

وقتل بفاس بعد موت المنصور، قتله ولده الأمير زيدان في براءة رفعت إليه كتبها لأخيه المخلوع سنة ثمان عشرة وألف؛ فقتل قاتله بعد خمسة عشر يوما في مكان قتله. ولم ينجح للأمير – لقتله – بعده أمر حتى توفي.

[الشيخ الثالث]

شيخنا الولي الزاهد المكاشف أبو عبد الله محمد بن مسعود الهنضيفي(576) من جبل السوس الأقصى المعروف بأكربان(577). كان من أهل الجذب والخدمة الصافية وأكثر ما يمشي حافيا. خرج من مدينة تارودانت ومعه بعض أهلها وهو يلتفت في الغابة يمينا وشمالا ويقول : هذه السدرة تصلح للسكنى، وهذه الهرجانة، وهذه الزبوجة، ونحو ذلك، والناس ما فهموا إشارته. ثم نزل الوباء بها بعد ذلك بنحو ثلاثة أعوام، فخرج الناس من المدينة بعيالهم فتفرقوا في تلك الغابات وسكنوا تحت أشجارها. وكنا نصلح موضعا لذلك، فقص علي إشارته من حضر كلامه.

(572) انظر ص. 134، هامش 405.

(573) في نسخة : «الرعاة». والزعارة في اللغة : الشراسة، ولعل المراد هنا أهل الدعارة والفساد وقطاع الطرق.

(574) بل توفي سنة 1032هـ/1623م كما مر في ص. 134، هامش 405.

(575) السلاسي : أسند إليه المنصور الذهبي، في أواخر عام 1004هـ، قضاء الجماعة بفاس، واستدعي قبيل وفاة المنصور لتولي قضاء الجماعة بمراكش. انظر ترجمته والإحالة على بعض مصادرها في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 486–487، مع الهامش 4.

(576) ترجم له الإفراني في «**الصفوة**»؛ والحضيكي في «**المناقب**»، ج 2، صص. 50–51؛ والمختار السوسي في «**المعسول**»، ج 16، ص. 66.

(577) نسبة إلى «أيت كُرْبَان» بقبيلة «إِنْدُو نضيف».

تفسير آية

وحضرت يوما مجلس الأمير محمد بن موسى بن أبي بكر الجزولي[578] وهو يجبي خراج جبال سوس، فدخل عليه وهو في بلده هنضيفة[579]، فقال له : تعرف معنى قوله تعالى : ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾[580]؟ أوَ عندك تفسيره؟ فقال له : لا، فقال له : لكن أنا هو عندي، ثم خرج مسرعا، ثم أتى ببطاقة طويلة فألقاها إليه فقرأها. وأرى أنه نبهه على العدل والرفق بالرعية.

من كراماته

وذكر لي بعض الفقراء عن أزهد أهل زمانه أبي عبد الله محمد بن عثمان بن إبراهيم التامانارتي[581] الذي يذكر بالجولان في الدنيا أن بعض المشارقة قدم إلى طائفة من حجاج المغرب طعاما فيه لحم ذكية ولحم غير ذكية يختبرهم بها. فبينما هم يتهيؤون للأكل سقط بينهم سيدي محمد بن مسعود. فكفت طرفي خنيفته[582] بسرعة، وجعل يعزل الذكية من غيرها، فقال لهم : كلوا هذه ودعوا هذه، فعرفوا لهم فضلهم ومكانتهم.

ومن أعظم كراماته أنه ترده المائة والمائتان، فيطعمهم جميعا أطعمة مأدومة حتى يشبعوا وليس في بيته من يقوم بعلاج ذلك إلا هو وعجوزة. وكان يتولى مهنته، ويرعى غنمه، ويؤذن خلفها متى حان وقت الصلاة.

وكان بعض من لقيته من المشايخ يسميه «رقيب أهل الله» لكثرة ما يشير للأمور المغيبة. توفي سنة ثِنْتَيْ عشرة وألف.

شيخه :

شيخه الولي الصالح العارف بالله الناسك الزاهد أبو عبد الله مَحمد بن يعقوب الصنهاجي[583] السكّتاني نزيل فم تاتلت[584]. كان من أرباب المجاهدات

(578) هو أحد عمال المنصور الذهبي. انظر ص. 125، هامش 308.

(579) هنضيفة : تعريب «إِنْدُونضِيف» ـ أو «إِدَاوْنضِيفْ» ـ، وهي قبيلة في الأطلس الصغير، تابعة لدائرة إغرم بإقليم تارودانت.

(580) سورة الجاثية، الآية 28.

(581) ستأتي ترجمته في ص. 165.

(582) الخنيفة : تعريب «تخنيفت» التي تعني سلهاما أسود من صوف.

(583) انظر ترجمته في «مناقب الحضيكي»، ج 2، صص. 11-13؛ و«المعسول»، ج 16، ص. 49 فما بعده.

(584) فم تاتلت : تعريب «إِمِي نْتَاتْلْتْ»، وهو اسم المكان الذي توجد فيه زاوية سيدي مَحمد بن يعقوب، وهو تابع إداريا لإقليم طاطا، ويقام هناك مَوسِمان سنويان أحدهما في مارس والآخر في أبريل الفلاحين.

وأصحاب المقامات. له تربية نافعة في عصره وبركة فائضة وأحوال صافية.

من بركاته

ومن عظيم بركته، وفائض كرامته أنه سكن بناحية لا مزرع فيها بَعْلا[585] ولا سَيحا[586]، ولا ماء إلا بؤيرة صغيرة لشراب الأنفس والبهائم فقط، فكانت ترده المِئون والأعداد الكثيرة من الناس فيطعمهم بين الليل والنهار أربع مرات ؛ وكان ذلك دأبه طول عمره. وحدثني من بات في زاويته ليلة ــ وقد بات بها تلك الليلة تسعمائة زائر ــ فيبست «البئرة» فشكوا ذلك له. فبينما هم في حيرة إذ نشأت سحابة فأمطرت حتى ملأت كل جب وكل غدير. فتعجب الناس من حسن رعاية الله له.

وبلغني أن سلطان وقته أبا محمد عبد الله العادل[587] طلب منه بعض فقراء المغرب ساقية ليقيم بها زاوية، فقال لمن حضر: هل فيكم من يعرف فم تاتلت بلد سيدي مَحمد بن يعقوب؟ قالوا : نعم! قال : تعرفون بها ساقية أو محروثا ؟ قالوا : لا، قال : تعرفون زاويته تردها المئون تأكل وتشرب ؟ قالوا : نعم! فقال للسائل : الزاوية بالله لا بالساقية.

واشتهر عند أهل بلده أن عاملا نزل على بعض جيرانه في مغرم ضيق عليهم فيه، فجاءه بعضهم فشكوا إليه، فقال له : نقدم معك للسلطان في شأنه، فأخذ بيده فقال له : «أغمض عينيك»، ففتح عينيه في مجلس السلطان بمراكش، فقال له : جئت في أمر فلان العامل ضايق بجيران لي، فاكتب إليه، فكتب إليه من ساعته، فأصبح إليه بكتابه، فارتحل عنهم.

وحدثني من أثق به أن قطب زمانه الشيخ الكامل الرباني أبا العباس أحمد بن موسى الجزولي لما ذهب لزيارته في طائفة من الفقراء لقيهم في الطريق، فقالوا له : أنت المقصود فلنرجع من هنا، فقال لهم : لابد من المنزل، فقال له سيدي أحمد بن موسى : لا نسير معك حتى تضمن الشفاعة لجميعنا ولتابعنا ولتابع تابعنا. فقال لهم : نعم ! إن شاء الله، فساروا معه.

---

(585) البعل : ما يسقى بماء السماء أو ما يسقى بعروقه.

(586) السيح : ما يُسقى بالماء الجاري.

(587) هو السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ، تولى الملك عام 964هـ، وتوفي عام 981هـ، انظر بشأنه : «نزهة الحادي»، صص. 45-57؛ و«الإستقصا»، ج 5، صص. 38-57.

قلت : ومثل هذا موجود للسلف فلا ينكر. وقد قال رجل لمعاذ بن جبل[588] رضي الله عنه : أوصني، فقال له : «كن بالمومنين رحيما، أكن لك بالجنة زعيما». ذكره سيدي عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي[589] في كتاب «**تحفة رياض الصالحين**» له.

وذكر لي أنه لم يتزوج حتى بلغ السبعين؛ وأنهم لما زفوا إليه زوجته، لقيهم الشيطان في بعض الطريق، فقال لهم : إن الشيخ أيس منكم فتزوج البارحة، فبقي الناس حَيَارى لا يدرون ما يفعلون، فقالت لهم الزوجة، إذ قربنا منه، فسيروا بنا لزيارته ففعلوا. فلما دخلوا عليه، ضحك وقال : «أخسأ الله عنكم الشيطان بالمرأة». فلم يمت حتى شاهد من صلبه أربعين نفسا بين ولد صلب وولد ابن، وعاش مائة وعشر سنين، وتوفي سنة اثنتين وستين[590] وتسعمائة.

وحدثني الشيخ المسن سعيد بن محمد السوسي الجطيوي، قال : أخبرني أحد طلبة مدينة تارودانت أنه رأى كأن القيامة قد قامت وحشر الناس، فرأى أهل قطره في محشرهم عامة وخاصة أمراء وقضاة وأولياء والشرط والجلاوزة[591]. فكان أول من نودي منهم سيدي مَحمد بن يعقوب وأصحابه فَسِيرَ بهم إلى الجنة، ثم نودي سيدي سعيد بن عبد المنعم وأصحابه فَسِيرَ بهم إلى الجنة، ثم نودي سيدي أحمد بن موسى وأصحابه فَسِيرَ بهم إلى الجنة، ثم نودي سيدي أبو القاسم بن الغازي الحامدي[592] نزيل المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فشفع في أهل بيته خاصة فسير بهم إلى الجنة، ثم نودي سيدي محمد التلمساني المتقدم الذكر وكل من صلى خلفه، فَسِيرَ بهم إلى الجنة إلا قليلا. وسمعت عند ذلك أفراحا عظيمة بأصوات حسنة عالية. قال : ورأيت قاضيا من قضاة ذلك القطر، أعرفه باسمه، ملقى في طرف المحشر يسقط عليه الذباب، ورأيت شرطيا من شرطه حشر مع اليهود والنصارى ثم أمر بالجلاوزة ومن قتل إلى النار.

---

(588) انظر ترجمته في «**الإصابة**»، ج 3، صص. 426–427؛ و«**الإستيعاب**»، ج 3، صص. 355–361.

(589) الجزائري المالكي المفسر الصوفي المولود سنة 786هـ والمتوفى سنة 875هـ. (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**»، صص. 173–175؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 732–733).

(590) قال المختار السوسي : المحقق أنه توفي سنة 963هـ (انظر «**المعسول**»، ج 16، ص. 51، هامش 1).

(591) الجلاوزة : الأعوان («**المعسول**»، ج 16، ص. 51، هامش 2).

(592) انظر «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 154.

قلت : يعني من قتل في فتن من المسلمين، دليله قوله ﷺ : «**إذا ٱلتقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»[593]. أعاذنا الله من الفتنة ووقانا كل محنة.

[الشيخ الرابع]

شيخنا الولي الزاهد المتجرد أبو عبد الله مَحمد بن عثمان بن إبراهيم الجزولي التامانارتي[594]، أزهد أهل زمانه وأورعهم. كان من العباد المجتهدين ومن الأفراد المنقطعين. أخبرني أنه خدم شيخه[595] وهو صبي، ودام في تربيته إلى أن مات شيخه، وبقي بعده في المجاهدة والتجريد طول عمره. وكان شيخه أوصى له بوصية تجري له من ماله فردها على ورثته، وكان وعاظا نصوحا مشفقا: إذا هذب أخذ الحكم من مشكاة النبوة بيده، وإذا أدب بذل النصح من صفاء وده. وكثيرا ما كنت أسمعه إذا حدث بأعجوبة يقول : ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾[596]، و﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[597]. وكان يعظم الملوك وأعوانهم ويرشد إلى طاعتهم، وهو الذي أرشدني لتعاهد مراسم السلف هنالك، وقال : إن لها عليك حقا، فقلت : وإن كانت من الطرق على ما كانت؛ والعذر لها ما قيل : [البسيط]

لَرَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الحَـــزْنِ أو طَرَفٌ　　من الْقَرِيَّـةِ جَرْدٌ غَيْـــرُ مَحْـــرُوثِ
أشهـــى وأحلى بعينـــي إن مررت به　　من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث[598]

وأوصاني : اصبر في حقك، وأدِّ حق غيرك عنك، وكف أذاك وتحمل أذى غيرك، وعليك بهذا الدعاء :

> اللهم استرني، اللهم اعصمني، اللهم انصرني، اللهم سخر لي كل شيء، رب نجني وأهلي ومن معي من المومنين، اللهم دمر عني الظالمين تدميرا شديدا كما

---

(593) أخرجه البخاري في كتاب «**الإيمان**»، ج 1، ص. 12؛ وكتاب «**الديات**»، ج 4، ص. 132؛ ومسلم في «كتاب الفتن»، ج 2، ص. 362.

(594) انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 2، صص. 49-50.

(595) وهو الشيخ سيدي مَحمد بن إبراهيم التمنارتي.

(596) **سورة النجم**، الآية 17.

(597) **سورة النجم**، الآية 11.

(598) التُّوث، والتُّوت : الفِرْصَاد. والبيتان لمحبوب بن أبي العَشنَّط النهشلي (انظر «**لسان العرب**»، مادة «توت»).

دمرت أصحاب الفيل(599) لمكة، اللهم لا تسلط علي جبارا عنيدا ولا شيطانا مريدا، ولا إنسانا حسودا، ولا ضعيفا من خلقك ولا شديدا، ولا بارا ولا فاجرا ولا عنيدا ولا عتيدا، اللهم ارحم المومنين والمومنات الأولين منهم والآخرين. «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»(599م). وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه أجمعين.

اضطراب الأمور بعد وفاة المنصور

فكنت أدعو به وأخوض بلاد الفتن وأنا يومئذ بالبادية فلم يصبني مكروه، وكان ذلك إثر وفاة المنصور رحمه الله، واضطرب الأمر، وهاجت الفتن والأهوال، وتغيرت الأحوال، وانعكست الآمال، وانقلبت البادية انقلاب الرغيف، وأقوت(600) من الناس القوى والضعيف، وطُويَ ما كان بها من الأمن منشورا، وعم الخوف الذي كان بالأمس كامنا مغمورا، واختل الحال، وتوزع البال، وتناهت الآلام، وبرز الحيوان الشرير من الآجام(601)، وطاش(602) الوقور، وَنِيشَ(603) الحقور، ووضع النفيس، وارتفع الخسيس، وفشا العار، وخان الجار، ولبس الزمان البؤس، وجاء بالوجه العبوس، وأورد(604) ماء الِاختلاف وأنضب ماء الوجوه والِائتلاف، وطأطأ الحق رأسه، وأخفى المُحِق نفسه، وتبرقعت الحسناء، وكشفت الشوهاء، ووُرِدت المهالك، وسدت المسالك، وعمَّ الجزع والجوع، وتبرأ الكوع(605) من البوع(606)، فإنا لله وإنا إليه راجعون(607) : [الوافر]

لعمرك ما المصيبة هدم دار ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن المصيبة فقد حر يموت بموته بشر كثير(608)

توفي سنة ست عشرة وألف على مقربة من المائة.

---

(599) وهم أبرهة الحبشي وجيشه الذين قصدوا الكعبة المشرفة، ومعهم فيل عظيم الجثة، لهدمها، فانتقم الله منهم وأنزل فيهم «سورة الفيل» (انظر قصة أصحاب الفيل في «تفسير» ابن كثير، ج 4، صص. 549- 551).

(599م) سورة الصافات، الآيات 180-182.

(600) أقوت : خلت.

(601) الآجام : جمع أَجَمَة، وهي الشجر الكثير الملتف.

(602) طاش : فقد صوابه، وأُصيب بالنزق والخفة.

(603) نيش : طلب. وقد يكون مراد التمنارتي بـ«نيش» : أُعطي النياشين.

(604) في بعض النسخ : وأورد نار، ولعله : وأورى نار.

(605) الكوع : طرف الزَّند الذي يلي الإبهام.

(606) البُوع : هو العظم الذي يلي إبهام الرِّجل.

(607) انظر هذه الفقرة مع تغيير بسيط في صص. 340-341.

(608) البيتان لامرأة من الأعراب (انظر «الأمالي» لأبي علي القالي، ج 1، ص. 272).

شيخه :

الفقيه الصالح العلامة المدرس المفيد المربي أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الجزولي التامانارتي. وسيأتي ذكره في الترجمة التي بعد هذه.

[الشيخ الخامس]

شيخنا الولي الصالح الجامع الرئيس أبو محمد عبد الله بن المبارك[609] بن علي ابن الولي الصالح الشهير البركة أبي عبد الله محمد بن المبارك[610] السوسي الأقاوي. كان من أعلام الدولة المنصورية ببلد المغرب، وانتهت إليه الرياسة بها في سياسة الأدب، معظما عند ملوكها وعظمائها، مرجوعا إليه في حوادث الأمور عند نزولها واعترائها، ماضي العزم في تأن وتؤدة، مستجم التدبير، سديد الرأي، كامل الفضل، متين العلم، شديد العناية بمساعي القلب وصفاء الباطن، حسن السيرة، ميمون المشورة، له فطنة صادقة، ومروءة فائقة، ومباشرة حسنة، وآثار في الأرض محمودة. فإذا لم تدر مَن قد مضوا[611]، فاسأل الآثار، واستخبر الديار.

حدثني العابد الزاهد تلميذه يعزى بن موسى التاملي[612] قال : كان سبب اتصالي به أني سألت ببلدنا رجلا يعرف بالخير أن يريني وليا حيا، فقال لي : عليك بفلان بمراكش، فأخذت أهبتي إليه فسألت عنه، فإذا هو رجل من أهل الأسباب، فقلت له : فلان بعثني إليك لتريني وليا حيا، وكنا بجامع الكتبيين، فقال لي : غدا يوم الجمعة يصلي في هذا المكان. فرصدته من الغد حتى جلس فيه سيدي عبد الله ابن المبارك وكان بمراكش إذذاك وافدا على السلطان، فحصل لي بذلك ثلاث فوائد، فلازمته. ومدار عبادته على المواساة، وإطعام الطعام، وحضور الصلاة في الجماعة،

---

(609) انظر ترجمته في «مناقب» البعقيلي، ص. 28؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 2، صص. 615- 218؛ و«المعسول»، ج 18، صص. 173-175؛ و«خلال جزولة»، ج 3، صص. 54-55؛ و«الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 615.

(610) توفي محمد بن المبارك الأقاوي سنة 924هـ/1518م. انظر ترجمته في «دوحه الناشر»، صص. 113-114؛ و«مناقب» البعقيلي، صص. 27-28؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 2، صص. 3-5؛ و«المعسول»، ج 18، صص. 168-171؛ و«خلال جزولة»، ج 3، صص. 54- 55؛ و«الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 614.

(611) في نسخة : «من قوم مضوا»؛ وفي نسخة أخرى : «من قدم مضوا».

(612) انظر ترجمته في «مناقب» الحضيكي، ج 2، ص. 353.

وإصلاح ذات البين، وتفقد الأسباب وكان يوثرها على التجرد لعموم نفعها، وله فيها نظر دقيق واحتياط بليغ، وهو مع ذلك جواد كريم لا تفارقه أهبة الضيافة أينما توجهت به مطيته، ويجيز الوفود بمثل جوائز الملوك، ويداري أحسن المداراة، وينزل الناس منازلهم، ويسعى بنفسه وماله في قضاء حوائجهم، ويصابرهم في جفاهم، ويتحمل أذاهم ولا يكترث بما يلقاه من المشاق في أمورهم، ويرى ذلك من أرفع المقامات في زمنه.

وردت عليه في بلده سنة خمس عشرة وألف، فقدَّمني للصلاة به وحده ومع غيره، وأمر أن أجيب عنه بالمشافهة والكتابة، وقرأت عليه كتاب «**الأنوار السنية في اختصار صحيح الآثار**» للإمام ابن جزي، وكتاب «**الشفاء**» لأبي الفضل عياض، وكتاب «**المنهاج**» للغزالي، قراءة بحث وتحرير. وكان ينبه على كثير من الأسرار والغوامض فيها، مع ما يضيفه لذلك من ملح حكايات الأولياء ومباحث الحقيقة المستعذبة ونكت أسرارها المستغربة. وكثيرا ما كنت أتمثل في أثناء ذلك بقوله[613] : [الطويل]

ولما أنختها بذي الـرمث واللـوى	**وجـاوزت أعـلام العقيـق ورابيـا**
نزلت بوادي الجزع والأيك ناعـم	**غضيض وصادفت النسيم اليمانيـا**
وأرض ثَراها المسك والنبت مَنـدل	**ورنـد وكافـور وقـد كان عاريـا**
فقلت أرى الوادي خصيبـا ومـاؤه	**أرى النور من شطيه[614] يعلوه ضافيا**
فقيـل سعـاد أقبـلت بين تِربها	**فخاضته حتى صار بالنـور حاليـا**

ولما بلغت قوله في «**المنهاج**» : «وقد رأيت بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين من أهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله، فحاورته في ذلك يوما في حال ترددي إليه، فذكر من عذره ما أشرنا إليه، وهو أن ما يجده من الثواب لا يفي بما يلحقه من الإثم والتبعات في الخروج للمسجد ولقاء الناس».

---

(613) وردت هذه الأبيات ـ ما عدا الثالث ـ في ص. 199.

(614) في الأصل : من ضفتيه. ولا يستقيم معه الوزن، وفي «**مناقب**» الحضيكي (ج 2، ص 217) : من ضفيه. وورد هذا الشطر في ص. 199 هكذا :

أرى الزهر والأعشاب يعلوه طافيا

وقال : آخذ بقول هذا الشيخ وأعتزل الناس وأدخل عنهم، فقذف في قلبي أنه وَرَّى[615] بقرب أجله، فتمثلت بقول الشاعر، وكان ذلك عشية : [الوافر]

تمتــــــع من شميم عرار نجد فمـــا بعـــد العشيـــة من عَرارِ[616]

فاعتل علة وفاته، ولم يجلس للإقراء بعدها. وكان لا ينفك أثناء مرضه من مسألة يدبرها أو حاجة يقضيها إلى أن غلب عليه إغماؤه في نحو يوم أو يومين، فتوفي ليلة الاثنين لسبع بقين من رمضان سنة خمس عشرة وألف. ومولده بذي قعدة سنة ست وثلاثين وتسعمائة. فعمره تسع وسبعون سنة إلا شهرا.

مشايخه :

1 ـ منهم الفقيه الإمام العالم العامل الشهير فقيه جزولة ومربي الطالبين أبو عبد الله مَحمد بن إبراهيم بن عمرو بن طلحة بن محمد بن سليمان بن عبد الجبار الجزولي التامانارتي الدار، اللكوسي الأصل[617].

أخذ عن أبي علي الحسن بن عثمان بن عبد الله الجزولي التاملي[618]، المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي[619] المكناسي الأصل، الفاسي الدار، المتوفى سنة تسع عشرة وتسعمائة؛ وعن الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي[620] المتوفى سنة أربع عشرة وتسعمائة.

---

(615) وَرَّى : استعمل التورية، وهي أن يُطلق لفظ له معنيان : أحدهما قريب، والآخر بعيد، ويُراد به المعنى البعيد (انظر : «**الإيضاح في علوم البلاغة**» للخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ج 2، ص. 499).

(616) البيت للصمة بن عبد الله القشيري. (انظر «**شرح المرزوقي على الحماسة**»، ج 3، ص. 1240).

(617) انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، صص. 111-112؛ و«**مناقب**» البعقيلي، صص. 25-26؛ و«**صفوة من انتشر**»؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 2، صص. 5-9؛ و«**المعسول**»، ج 7، صص. 10-46؛ و«**خلال جزولة**»، ج 3، صص. 4-41؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 617-618.

(618) هو دفين «تييوت» قرب تارودانت، بني على قبره بيت متواضع وسط مقبرة دوار القصبة بتييوت. والمدرسة التي كان يدرس بها هناك ما زالت قائمة غير أن الدراسة تعطلت بها منذ مدة (انظر ترجمته في «**درة الحجال**»، ج 1، ص. 240؛ و«**مناقب**» **الحضيكي**، ج 1، ص. 178؛ و«**المعسول**»، ج 13، صص. 269-270؛ و«**خلال جزولة**»، ج 3، ص. 192؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، صص. 571-572).

(619) انظر ص. 108، هامش 192.

(620) انظر ص. 106، هامش 179.

وعرض عليه قضاء الجماعة بسوس، ولم يقبله. وكان إماما مقدما في الفقه والعربية وغيرهما، وشدت إليه الرواحل لطلب العلم من جميع الآفاق السوسية، وعنه انتشر جل علوم بلاد جزولة. وجمع الله له بين علمي الحقيقة والشريعة. وابتنى ببلده لطلبة العلم مساكن يأوون إليها، وهي باقية حتى الآن. وأوصى بنيه أن لا يؤووا ثلاثة : قاتل النفس، والعبد الآبق، والهارب من السلطان، قائلا إن إيواءهم من الفساد في الأرض.

أخبرني تلميذه الرجل الصالح المسن أبو العباس أحمد بن أبي بكر قال : دخلت عليه يوما في منزله ولقيت رجلا في درج غرفته نزل من عنده، فقال لي : تعرف من لقيت؟ قلت : لا، قال : هو أبو العباس الخضر.

قلت : وأخبار الصلحاء والأولياء تدل على أن الخضر حي يجول في الدنيا[621]. وقد أخبرني بمثل هذا بعض عمومتي، وأنه ارتحل من بلدنا فائجة تامانارت لجدب نزل بها وسكن مراكش سنين عديدة، ثم مشيت في بعض الأيام لبستان أعمل فيه خارج باب الدباغين، فلقيني رجل لا أعرفه، فقال : أتيت من البلد الفلاني ؟ قلت : نعم، قال : انصرف لبلدك، فإنها تخصب في هذه السنة، لأن الخضر خرج من فائجتكم هذه السنة، قال : فلم ألبث إلا نحو شهر، فنزلت الأمطار الغزيرة بالبلد، وسالت أوديتها، وفاضت سواقيها، فرجعت إليها ولازمتها إلى الآن.

وكان الشيخ الصالح الرباني الولي أبو العباس أحمد بن موسى يسمي داره دار الرسول، لمكان تعليمه العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد أَكَدَّ النفس في تعليم العلم والأدب، وخصوصا علم العربية. فقد أخبرني شيخنا أبو محمد المذكور أنه كان يقرئهم «**مقامات الحريري**»، وقد ناف على الثمانين لما رأى من استيلاء العجمة على ألسنة أهل هذه البلاد، ولأنها أصل، لا يتوصل إلى شيء من العلوم إلا بها. وهذا مثل ما سمعنا عن بعض مشايخنا أن ابن مالك النحوي كان كثير الِإعتناء[622] بذلك الفن مع كونه من علماء الآخرة حتى قيل : أنشد يوم وفاته شواهد من العربية

---

(621) انظر حديثا مسهبا عن الخضر، وما قيل بشأن حياته وموته في «**الإصابة**»، ج 1، صص. 429ـ452.

(622) في بعض النسخ : الِإعتداد.

يستشهد بها[623]. ولما رجع مع الفقهاء وجيوش المسلمين من حصار قلعة بريجة[624] غير ظافرين ودخلوا على أمير المومنين الملك العادل أبي محمد عبد الله، تمثل ببيت امرئ القيس :

وما جبـــنت خيلي ولكـــن تذكـــرت مرابطهـــا مِنْ بَرْبَعـــيصَ ومَـــيْسَرَا[625]

فاستحسن ذلك الملك.

وله مصنفات، منها نظمه البديع الحسن الترتيب في علوم الآخرة، ومنها وسيلة بأسماء الله الحسنى في الاستسقاء، وكلاهما رجز؛ ومنها وسيلة أخرى دالية في المتقارب[626]. سمعت بعض الكتب الثلاثة من شيخنا أبي محمد وأخبرني بباقيها. قال وأوصاني : «أن اخدم نفسك». توفي في صفر سنة إحدى وسبعين وتسعمائة.

2-3 - ومنهم ولداه العالمان الجليلان أبو إسحاق[627] وأبو عبد الله[628]. تفقها بوالدهما أبي عبد الله المذكور، وجمعا عليه أشتات العلوم، وقاما بوظيفة التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعده أحسن قيام، في حسن سيرة وتمام مروءة. ولم

---

(623) ـكر اليوسي في «**فهرستـ**»ـه أنه تتبع أحوال الشيخ سيدي محمد بن ناصر ليعرف بماذا يعمر أوقاته، فخفي عليه عمله بين الضحى وصلاة الجمعة. فلما بحث، وجده يعلم أهل بيته العربية في ذلك الوقت.

(624) البريجة : هي الاسم القديم لمدينة الجديدة. وقد استنفر السلطان عبد الله الغالب المجاهدين من كل أنحاء المغرب، لمحاصرة البرتغاليين فيها سنة 969هـ، فلم يتمكنوا من فتحها، لأنها في غاية الحصانة والمناعة (انظر أخبار حصار البريجة في «**الإستقصا**»، ج 5، ص. 42 فما بعد).

(625) البيت في ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ص. 70. وهو من قصيدة مطلعها :

سما لك شوق بعدمـــــا كان أقْصَرا وحلَّت سُلَيْمَـــى بطـــنَ قَوٍّ فعَرْعَـــرَا

وَبَرْبَعِيص : موضع من ديار حمص. ومَيْسر : موضع آخر هناك.

(626) له قصيدة رجزية أخرى طويلة، منها البيتان المشهوران اللذان ينشدهما الطلبة إذا أكرموا، وهما :

وأكـــرم اللهـــم من أكرمنـــا وكثر الخير لديـــه والغِنـــى

وأعطـــه مما رَجَـــا فوق الرجـــا واجعـــل له من كل هم فَرَجـــا

ونسب إليه المختار السوسي رحمه الله في «**المعسول**»، ج 8، ص. 32 منظومة رجزية في العقائد، مطلعها :

الحمـــد لله الـــذي خلقنـــا فلـــم يلـــد ولم يولـــد إلهنـــا

وليست له، وإنما هي للفقيه سيدي عبد الحق المنتيفي.

(627) انظر ترجمته في «**المعسول**»، ج 7، ص. 46.

(628) انظر ترجمته في «**المعسول**»، ج 7، ص. 47.

تزل بركة علمهما وآثار أدبهما باقية ببلدنا حتى الآن. ويشهد للأول منهما شرحه لـ«**محصل المقاصد**» لأبي العباس أحمد بن زكري التلمساني[629]. فقد أبدع فيه ووفى متنه ونقله حقه، وأعرب فيه عن كمال تحصيله وتصرفه، وحسبك أنه أول من فض ختامه، إلا أنه توفي قبل إتمامه. ورأيت له ورقات في شرح «**الأكمهية**» للمراكشي على البيان في منوال عجيب، ولم يكمل له أيضا. توفي بعد والده المذكور بستة أشهر.

ويشهد للثاني ما أخبرني به الرجل الصالح أحد تلاميذ والده أحمد بن أبي بكر المذكور أن رجلا رأى حياة والده عمودا من نور نزل من السماء حتى دخله، فقصَّها على الشيخ والده، فقال له : اكتم أمرها، فقد ظفر محمد بحاجته وليقم بمكانه، وكان يذكر له الرحلة. ومما يشهد لقوة إدراكه ووفور علمه ما أخبرني به أحمد بن أبي بكر المذكور، أن رجلا رأى في منامه أن جداول الدنيا كلها مالت إلى قبر النبي ﷺ تصب فيه، فهاله ذلك، فجاءه وقص عليه، فقال له على البديهة: ويحك تلك العلوم رجعت إلى أمها حيث لم يعمل بها. ومثل هذا لا يهتدي إليه إلا المرتاض بعلوم العربية وأمثالها.

ومما أخبرني به أبو زيد عبد الرحمان بن الوقاد عن الفقيه أبي زيد عبد الرحمان ابن عمرو البعقلي[630]، عن رجل سأل قطب زمانه أبا العباس أحمد بن موسى عن القطب فقال له : أحمد، فقال له : ثم من ؟ قال : سيدي محمد بن مَحمد بن إبراهيم، فقال له : ثم من؟ قال : الملك عبد الله ثم لا تسألني بعد.

تقرير فساد البيع بالثنيا ومنع التعامل به في سوس

وقد رأيت من بعض أجوبته ما يدل على أنه بلغ درجة الاجتهاد. يقول : والذي أقول به كذا، بعد حكاية ما في المسألة، لما يرجحه من الخلاف. وتقيدت عنه مسائل في الفتاوي؛ وهو ممن استشاره قاضي الجماعة بالسوس أبو عثمان سعيد بن علي بن مسعود الهوزالي في قطع التعامل ببيع الثنيا[631] الفاسد وإلزام الغلة فيه، بعد

(629) انظر ترجمته في «**دوحة الناشر**»، صص. 119-121؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 267.

(630) سبقت ترجمته في ص. 115.

(631) بيع الثنيا : المراد به هنا اشتراط البائع على المشتري أن يرد له سلعته متى رد لهُ الثمن. وقد عمت به البلوى في سوس، بالرغم من أنه ينطوي على سلف جَرَّ نفعا، وهو ممنوع. ولذلك أصدر قاضي الجماعة بسوس سيدي سعيد الهوزالي - بعد استشارة بعض الفقهاء - منشورا إلى جميع القبائل السوسية، يدعو فيه إلى قطع التعامل بهذا البيع الفاسد (انظر هذا المنشور في «**المعسول**»، ج 7، صص. 50-51).

التبريح بقطع التعامل به سنة سبعين وتسعمائة ـ أخذ بقول سحنون[632] وابن الماجشون[633] قبله وإن لم يكن مشهورا في المذهب لمكان سد الذريعة[634]، فوافقه ورأى مثل ما رآه من علة السلف بالزيادة وتقديم المقاصد على الألفاظ كما هو ظاهر «**المدونة**» في أماكن، ومضى العمل بذلك بعده في جميع البلاد السوسية.

وأخبرني الوالد ـ رحمه الله ـ أنه كان لا يلتفت إلى الخصوم ولا إلى يمينه أو يساره في الطريق، بل يخفض بصره إلى الأرض في ذلك؛ وأنه جاءنا يوما لقريتنا فرأى فيها طلحة، فقال : ببلدكم طلح؟ فقلت له : عن يمين الطريق ويساره منه كثير. فقال : لم أر منه إلا هذه. توفي سنة ست وسبعين أو التي تليها وتسعمائة[635].

4 ـ ومنهم الولي الصالح الزاهد الناسك أبو العباس أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي[636]، كان عابدا زاهدا ورعا، لزم الخمول، وكان مشورته يستشيره في كل مهم بالملاقاة أو بالكتابة. وذكر من ظاهر كرامته أنه نسخ «**المدخل**»[637] بسفريه في ثمانية وعشرين يوما. قال : وأوصاني : أن اتخذ لنفسك وقتا تناجي فيه ربك. توفي سنة أربع وثمانين وتسعمائة[638].

(632) هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي. سمي سحنون باسم طائر حديد النظر لحدته في المسائل. ولد سنة 160هـ، وتولى قضاء إفريقيا سنة 234هـ، وتوفي سنة 240هـ. انتهت إليه الرئاسة في العلم بالمغرب، وهو الذي صنف «**المدونة**» التي تعتبر أهم أمهات الفقه المالكي. وعنه انتشر فقه مالك بالمغرب. (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 160-166).

(633) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون. تفقه بأبيه وبمالك وغيرهما. وتفقه به خلق كثير. توفي سنة 212هـ، وقيل غير ذلك. (انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**»، ج 3، صص. 136-144؛ و«**الديباج المذهب**»، صص. 153-154).

(634) يعتبر سد الذرائع أصلا من الأصول التي اعتمدها المالكية وغيرهم، ومعناه منع الشيء المباح في حد ذاته إذا كان يؤدي إلى المحذور. قال القرافي في «**شرح تنقيح الفصول**»، ص. 448 : «والذريعة الوسيلة للشيء. ومعنى ذلك حسم مادة وسائل الفساد دفعا له. فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة إلى المفسدة، منعنا من ذلك الفعل وهو مذهب مالك».

(635) في «**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 11،أنه توفي يوم الخميس 20 شوال عام 976هـ.

(636) انظر ترجمته في «**مناقب**» البعقيلي، ص. 18؛ و«**وفيات**» الرسموكي، ص. 32؛ «**وبشارة الزائرين**»، ص. 25 (مخطوط)؛ و«**المعسول**»، ج 8، ص. 171؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 19.

(637) اسم الكتاب : «**المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة**»، وهو لمحمد بن محمد أبي عبد الله العبدري المعروف بابن الحاج المغربي الفاسي المتوفى سنة 737. (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 327-328).

(638) في «**وفيات**» الرسموكي؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، أنه توفي عام 985هـ.

5 ـ ومنهم الفقيه الصالح الولي أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان المسكَدادي[639] كان من علماء الحق في عصره جلدا صارما قوالا بالحق أمارا بالمعروف، لا تأخذه في الحق لومة لائم. وقد سمعنا ممن أدركناه أن سلطان وقته[640] كان يقول : سيدي أحمد بن عبد الرحمان يخاف الله ولا يخافنا، وسيدي مَحمد بن إبراهيم يخاف الله ويخافنا وفلان ـ لأحد مرابطي سوس ـ لا يخاف الله ويخافنا. ومصداق ذلك ما في رسالته لتلميذه الرجل الصالح يبورك بن حسين الهشتوكي[641]، وكان من العباد المجتهدين من جملة جوامعها : الله الله في الله، ففي الله كفاية.

من كراماته

وأخبرني السيد الصالح يعزي بن موسى التاملي[642]، قال : قال لي رجل من هشتوكة: خطب إليَّ تلميذه السيد يبورك المذكور وقد خطبها إليَّ رجل قبله، فقال لي : زوجها من هذا التلميذ ولك، ما تمنيت على الله، فقلت له : نعم ! فتمنيت أن تكون لي أربع بلدان، في كل بلدة أهل وأمة وعبد، وأن لا أخاصم أحدا إلا غلبته؛ فحصلت هذه الأمور كلها على نحو ما تمنيت، وما غلبني أحد في حكومة قط.

وأخبرني شيخنا أبو محمد المذكور، أنه قدم يوما من تامانارت فعرضت له نار في طريقه بواد يقال له هنالك : وادي نينت، فرأى أنها الجن فاقتحمها وقال : السلام عليكم إن كنتم مومنين، وعليكم لعنة الله إن كنتم كافرين. فخمدت من حينها واجتاز.

وأخبرني عنه أيضا أنه لقي الشيخ الصالح أبا محمد عبد الله بن عمر المضغري[643] بتيوت، إحدى قرى سوس، أيام وفادته على الملك أبي عبد الله محمد الشيخ عند منصرفه لبلده، قال : وعزمت على صحبته للإنتفاع به، فسألني : ألك

(639) انظر ترجمته في «مناقب» الحضيكي، ص. 28؛ و«درة الحجال»، ج 1، ص. 154؛ و«صفوة من انتشر»؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 1، صص. 12-19؛ و«المعسول»، ج 13، صص. 266-278؛ و«رجالات العلم العربي في سوس»، ص. 21؛ و«الحركة الفكرية»، ج 2، صص. 598-599.

(640) المراد محمد الشيخ السعدي. (انظر «المعسول»، ج 13، ص. 266).

(641) توفي سنة 983هـ. انظر ترجمته في «مناقب» الحضيكي، ص. 31؛ و«وفيات» الرسموكي، ص. 30؛ و«مناقب» الحضيكي، ج 2، صص. 388-389؛ و«المعسول»، ج 14، صص. 277-278؛ و«رجالات العلم العربي في سوس»، ص. 20.

(642) انظر ترجمته في «مناقب» الحضيكي، ج 2، ص. 353.

(643) انظر ترجمته في «دوحة الناشر»، وفي المصادر المحال عليها في الهامش.

أبوان؟ فقلت : أمي، فقال : تفتقر إلى إذنها. فتأسفت على فوات صحبته، وأين أجد مثله؟ فسألته عن أولياء الله، فقال : عليك بهم في قرون الجبال، وبطون الأودية؛ وإن شئت أن تكون منهم، فعليك بالصلاة في الجماعة. فقلت في نفسي : إذا رجعت لبلدي تِزْرْكين، اتخذ بفناء داري مسجدا أقيم فيه الجماعة، فإذا هو ينادي من بعيد: يا سيدي أحمد في الجامع في الجامع، يرفع بها صوته ويكررها.

وسمعت شيخنا قاضي القضاة أبا عثمان سعيد بن علي الهوزالي، يحكي أنه لما رجع من هذه الوفادة لبلده، سأله فقهاؤها عن أهل هذه البلاد، فقال : فقهاؤهم على ضعف الفتاوي، وفقراؤهم على كثرة الدعاوي، وعامتهم على كثرة المساوي، قلت : وهذا صحيح في ذلك الزمان قبل أن يتحلى أهلها بمحاسن الملك والأخذ من آدابها، ومشهور العلم المفاد بها. وأما الآن، فلا. وسئل عن مد النبي ﷺ فأجاب :

مقدار الصاع النبوي

وعليكم السلام معشر السادات ورحمة الله وبركاته، وبعد؛ فقد سألتمونا عن الصاع النبوي : ما مقداره؟ فأقول ـ وبالله تعالى التوفيق ـ : مبلغ علمنا وآخر نظرنا مع طول بحثنا، أن من أراد معرفته تحقيقا ومعرفة مقداره عيانا، فليعد من حبوب الشعير الوسط المقطوعات الأطراف أربعة وثلاثين ألف حبة وأربعمائة حبة وست حبات وخمسا حبة، ثم يمتحن ويخبر بها الآصع[644]. فما ملئ بها من غير رزم ولا تحريك، فهو صاع النبي ﷺ بلا مرية ولا تشكيك. وبيان ذلك أن تقول: في صاعه بمده ﷺ أربعة أمداد، وفي كل مد رطل وثلث، وفي كل رطل وثلث ثمانية آلاف حبة وستمائة حبة وحبة وثلاثة أخماس الحبة، لأن الرطل مائة وثمانية وعشرون درهما بالدرهم السني، والدرهم السني خمسون وخمسا حبة، ضعف ما في المد أربع مرات، تكون الجملة ما ذكرناه في الصاع آنفا.

وإنما ألجأني لهذا العمل أني لما جئت من فاس المحروسة بالمد وبالصاع وبنصفه، لقيت شيخنا الفقيه الجليل أبا علي الحسن بن عثمان بن عبد الله التاملي، فقال : هلا أتيتنا من فاس بصاع النبي ﷺ وبمده، فقلت : قد أتيت بهما وبالنصف، ففرح بذلك فرحا بليغا، فقال : علي بهما، فقلت لصاحبي : أخرجهما من حوائجنا، فأخرجهما. فلما نظر إليهما ضحك كالمستهزئ، فقال : ورب الكعبة ما

---

(644) يجمع صاع على آصُع بالقلب، كما يجمع على أصْوُع وأصوُع ـ بالهمز ـ وأصْوَاع وصُوع وصيعان (انظر «القاموس»، و«المصباح المنير»). وفي جواب المنجور على أسئلة أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الهلالي التي ألقى بها إلى القاضي الحميدي في تارودانت (كما سبق في صص. 123–124) ما يلي :

وجمعك صاعــا في القليــل بأصْوُع ... وأصْؤُع بهمز الواو أنهــج ونمّــق
وإن شئت فاقلبْــه ليرجــع آصُعــا ... لضابــط تصريــف وللعلــم شوّق

جئت بمده ولا بصاعه ﷺ. ولقد غلطوا فيهما غلطا متفاحشا. فكأنه استكبرهما؛ وكنت إذ ذاك معتقدا فاسا وأهله، فقلت : اتق الله أيها السيد! كيف تنسب الغلط إلى مدينة الإسلام والمسلمين وهذا الطبع فيهما، وقد جعل العالم النحرير على التجارين فلا يبيعون صاعا ولا مدا حتى ينزل طابعه فيه بعد امتحانه؟ فقال لي : رد إليَّ بالك، مثار غلطهم أنهم اعتمدوا قول الفقهاء: في المد وزنُ رطل وثلث. فوزنوها من الأشياء الخفيفة. أرأيت لو وزنوها من التبن لكان أكبر وأكبر؟ فظهر لي صحة قوله فرجعت إلى طلب التحقيق، فاعتمدت فيما ذكرت على ما ذكره ابن راشد القفصي[645].

والصاع الذي جئت به من فاس في ملئه ثمان عشرة قبضة، وملء هذا نحو اثنتي عشرة قبضة، فبينهما مقدار الثلث. فمن أراد الإحتياط، فليخرج زكاة الفطر بالأكبر، ويعتبر بلوغ النصاب بالأصغر. انتهى.

توفي سنة ثمان وخمسين وتسعمائة.

6 – ومنهم الشيخ الكامل الرباني، صاحب الكرامات، وأستاذ المواهب والمقامات، أبو العباس أحمد بن موسى بن عيسى بن عمر بن أبي بكر بن سعيد[646] ابن محمد بن عبد الله بن يوسف بن صالح بن طلحة بن أبي جمعة بن علي بن عيسى ابن الفضل[647] بن عبد الله بن جنيد[648] بن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن حسين[649] بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن حسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[650]، شيخ التربية والإرشاد، وأمام طريقة الجموع والأفراد، به تلألأت غرة الولاية في بلاده، وأشرق وجهها في أغواره وأنجاده، واضمحل به دجى

---

(645) انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 334–336؛ و«**نيل الإبتهاج**»، صص. 235–236.

(646) سقط خطأ اسم سعيد بين أبي بكر ومحمد في «**المعسول**»، ج 12، ص. 5.

(647) في النسخ المعتمدة : «الفضيل». والتصويب من «**مناقب**»الحضيكي، ج 1، ص. 2؛ و«**المعسول**»، ج 12، ص. 5؛ و«**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 19.

(648) في النسخ المعتمدة : «جز» هكذا، وفي «**المعسول**»، ج 12، ص. 5 : «كندوز»، والتصويب من «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص.2؛ و«**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 19. وقد علق المختار السوسي رحمه الله على هذا الاسم «جنيد»، في «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 19 بما يلي : «ويكتبه بعضهم كندوز، وكلا الاسمين لقب له، واسمه الأصلي هو إبراهيم».

(649) وفي نسخ : حسن مكبرا («**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 19).

(650) قال المختار السوسي بعد إيراده لسلسلة هذا النسب في «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 19 : «وإذا أراد المحقق أن يكتب هذا على ما صح عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فليقل : جعفر بن عبد الله ابن حسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب».

الدعاوي أي اضمحلال، وأزال عن أبواب الإرادة متلصصة التصنع والاستعمال، أجمع علماء وقته على تقدمه، واعترفوا أنهم لا يبلغون في مسالك الإرادة موضع قدمه.

هذا إمام قطره ومفتي عصره، العالم الكبير المتفنن الشهير، الآخذ عن كبار علماء تلمسان وكبار علماء فاس وغيرهما، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني نزيل السوس الأقصى، أتاه بعد التحصيل فشيّخه فكان أستاذه، وهذا عالم جيله، المجمع على تقديمه في العلم وتبجيله، شيخ الإفادة والتدريس أبو عبد الله مَحمد ابن إبراهيم التامانارتي سلم له، أخبرني الوالد ـ رحمه الله ـ أنه كانت بينهما مراجعة في مسألة، فلم يزالا يتراجعان حتى سلم له أبو عبد الله واعترف له بالحق فيها بعد أن أتاه إلى منزله، وهذا صارم وقته، وعالم زمانه الجلد القوال بالحق، أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الرحمان التِّزْرْكِيني. كتب لبعض إخوانه بما نصه : «فسارع إلى امتثال ما أشار به عليك سيدي أحمد بن موسى على حسب ما أشار به عليك، ولا تنحرف عنه يمينا ولا شمالا، فهو قدوتنا وبركتنا». انتهى من رسالة طويلة.

وهذا رُحلَة[651] زمانه الشيخ العالم المحدث، الصوفي المجاز، أبو العباس أحمد ابن محمد الدرعي، المعروف بأدفال، عده من أشياخه، وعمدة بدايته ونهايته، مع مشاهدته ومزاحمته في الأخذ والتربية لكبار علماء المغرب، وكبار علماء مصر والمدينة ومكة، فلم يقنع بهم دونه. وقد كتب جزءا شافيا في كراماته وفضائله، إلى غير هؤلاء الأئمة ممن زاره من علماء المغرب في حياته وبعد مماته، وكلهم له مسلمون، وبفضله معترفون. فهو شيخ الآفاق بالاتفاق، وولي الله على الإطلاق.

وسألت الوالد رحمه الله عن صفته، فقال : رجل طويل نحيل الجسم رقيق الأطراف، رؤوف بالخلق، صفوح عن زلاتهم، ذو شفقة وحنانة لهم، لين الموعظة، لطيف الحكمة، إذا ذكر الله أو دعاه تخوصت[652] عيناه وغاب عن رسوم نفسه.

ولنثبت هاهنا بعض ما بلغني عن الثقة من كراماته، وشيئا مما سمعته من حكمه وعظاته :

---

(651) رُحَلة : كثير الترحال. وفُعَلَة من صيغ المبالغة كهُمَزَة ولُمَزَة. وإن كان مراد الممنارتي أن الناس يرحلون إليه ويقصدونه فهو رُحْلة ـ بضم الراء وسكون الحاء ـ.

(652) تخوصت : المراد غارت، لأن الخوَص هو غؤور العين، وفعله خوِصَ كفرِح.

بعض كراماته وحكمه وعظاته

أخبرني أحد أصحابي أن طالبا ببلدهم كان من أصحاب الرجل الصالح أبي القاسم بن عبد الرزاق الدرعي(653)، يخبره أنه قال : كنت في أول أمري أطلب شيخا أتلمَّذ عليه، فعاهدت نفسي أن لا أشيِّخ إلا من يردني عن المعصية. فجعلت كلما اتخذت شيخاً، أتيت معصية فلا يردني عنها، حتى أتيت سيدي أحمد بن موسى فشيختِه، فذهبت أجربه على عادتي. فلما أجمعت(654) وقف علي وصفعني صفعة دار بها شخصي وقال لي منتهرا : تعصي الله ؟ فعلمت أني ظفرت بحاجتي فاقتصرت عليه، فكان سبب فلاحي، ومركب نجاتي.

وحكى لي من أثق به عن رجل من أهل الخير، قال : جلست يوما إلى جنبه أتحدث معه؛ ثم أقبل رجلان، فرأيت أحدهما في صورة خنزير؛ فنكست رأسي خجلا، وجعل هو ينظر إليهما حتى أتياه. فرفعت رأسي، فرأيت الرجل في صورته. فالتفت إلي فقال : هكذا يفعل الرجل بأبناء النساء لأنكسُ الرأسِ.

ومثله ما حكى لي المعمر الزاهد إبراهيم بن محمد بن داود بن علي الولتي(655)، وكان من تلاميذه، قال : أخبرني بعض خواصه أنه سأله : لم لا يتلمذ عليك الفقراء؟ ولم لا تقبل ذلك؟ فقال لي، ووضع سبابته على صدغه : من نظر إلى هذه دخل الجنة.

ومن ذلك ما أخبرني به غير واحد من قرى مسْكَدادة، عن المرأة الصالحة المعروفة عندهم بالإستقامة والبركة الظاهرة، حواء بنت عبد الله، أن سبب وصولها أن الشيخ ورد بلدهم في أول أمره وهي صبية، فتبعته في طريقه تحكي مشيته كما يفعل بعض الصبيان، فالتفت إليها فقال لها : بارك الله فيك كذلك تمشين، قالت : فبقي سر التفاته وأثر مقالته في قلبي حتى عقلت فأتيته، فقال : أنت حاكية المشية، قلت : نعم ! قال : وصلت. فكان لها في الوصول مقام شريف.

وأخبرني الخطيب ابن الوقاد قال : أخبرني موسى بن شعيب الدمكَي(656) نزيل مراكش أنه ورد عليه لزيارته، فأتاه يوما ومعه الفقراء يخوضون هرجانات

(653) انظر ترجمته في «مناقب» الحضيكَي، ج 1، ص. 153.

(654) أجمعت : عزمت، أي على المعصية.

(655) نسبة إلى «ولت»، وهو اسم يطلق على منطقة طاطا. ذكره الحضيكَي في «المناقب»، ج 1، ص. 118، ولم يزد على ما ذكره التمنارتي هنا.

(656) أورده الحضيكَي في «مناقب»ـه، ج 2، ص. 137، ولم يزد على ما ذكره التمنارتي هنا.

ويسقونها، فقلت في نفسي : تعب عظيم في نفع قليل، وإن عندنا ببلدنا نخلا نفعه أكثر من هذا وما كنا نتعاهده بمثل هذه. فجلست في ناحية منهم، فجاءني وعلى عاتقه برنوسة فسلم علي وأخذ بيدي، وقال : عونك يا معين، ثم قال : ترى هؤلاء؟ والله لقد كتبوا من أهل النار في اللوح المحفوظ، وإنهم إذا عملوا هذا العمل على يد أحمد كتبوا من أهل الجنة وإنهم قد كتبوا كلهم الآن من أهل الجنة والحمد لله.

وقال لي المسن أحمد بن الحسن المانوزي[657] راعيه الواعي لكثير من حكمه وكراماته : جاءه شيوخ قبيلة يوما فخرج إليهم وقد شرب حسوة فيها ثوم، فكان يكلمهم، ويبعدون منه، ففطن بهم وقال لهم : هذه رائحة ثوم نفرتكم عني وقد وجدت أنا منكم رائحة المعصية أنتن من جيفة الصيف، فلم يسعني أن أنفر عنكم.

قال شيخنا أبو محمد عبد الله بن المبارك : أتيته يوما أريد موادعته؛ فتمنيت أن يدعو لي بالفتح. فلما قربت حلقته، رفع إليَّ رأسه وقال لي : فتح الله لك على ما تمنيت. وأوصاني: أن اعمل لنفسك عملا تسعد به غدا. قال : وحضرته يوما أكثر أعرابي من تقبيل يده، وقال له : أن ترفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه مأمور به شرعا يا أعرابي. قلتُ : أمره بالِاقتصاد في المحبة وهي من أقوات الأرواح والوقوف مع الأدب فيها، كما أمر الشارع بالِاقتصاد في المطعم في حق الأشباح بجامع القوتية، وإن الإفراط والغلو في كليهما مذموم، فأفرغ ذلك في قالب المجاز المركب التمثيلي[658]، وهو من بديع الكلام. ونظيره في البلاغة ما أخبرني به عنه بعض تلاميذه أنه خرج يوما للمسجد فاستدعى كاتبا فألقى إليه القرطاس وقال اكتب : بسم الله الرحمٰن الرحيم، فكتبها، فقال له : اكتب إياك ثم إياك أن تأوي إلى جبل عقلك فتكون من المُغرَقِين كابن نوح[659]، فأخذها وطواها وجعلها تحت قلنسوته، ولم يسم لنا المكتوب إليه.

وأخبرني الفقيه العدل أبو محمد عبد الله بن إبراهيم السملالي أحد عدول تارودانت أنه حضر يوما حلقته وهو يعظ الناس فجرى على لسانه رفع المنادى

---

(657) انظر ترجمة مختصرة له في «مناقب» الحضيكي، ج 1، ص. 36.

(658) انظر معنى المجاز المركب التمثيلي في «الإيضاح» للقزويني، ج 2، ص. 438.

(659) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا مَن رَحِم. وحال بينهما الموج فكان من المُغْرَقِين﴾ (سورة هود، الآيتان 42-43).

المضاف، فقلت في نفسي : نعم الشيخ لو كان معه شيء من النحو! فلم استتم الخاطر، حتى التفت إليَّ واستعاد الحديث فنصبه على سنته، فقال هاني[660] نصبته بلا نحو. ثم أنشد يقول : [الطويل]

سيفنَــى لسانٌ كان يُعــرب لفظــهُ فيـا ليتــه من وقفــة الحشر يسلــم
فمـا ينفـع الإعراب إن لم يكـن تُقـى ومـا ضر ذا تقـوى لسان معجــم[661]

ومن هذا المعنى ما أخبرني به تلميذه المسمى إبراهيم بن محمد بن داود بن علي الولتي، أنه كان يقول لمن ورد عليه من أهل العلم : من يتق الله فهو عالم وإلا فلا.

ومن بليغ حكمه في ذلك : اعرف رب الدار ورب البلد ولا تعرف الدار والبلد؛ فإنك إذا عرفت رب الدار ورب البلد، أمنت كلاب الدار وكلاب البلد، وإذا عرفت الدار والبلد دون رب الدار ورب البلد، لم تأمن الكلاب : فإما أكلتك وإما منعتك الوصول إلى رب الدار ورب البلد.

ومنها : مثل المشتغل بالدنيا كمثل من سرق كبشا من خليج فذبحه وجعل يسلخه في الخليج، ثم فطن به الراعي فجاءه من خلفه ينخسه بشوكة السمار: فجعل يزحف عن ثوبه حتى تركه خلفه فأخذه الراعي فحصَّله، ثم فطن السارق بذهاب ثوبه فقال : في الموضع الذي سرقت منه الكبش تركته. فذهب إليه فخالفه الراعي إلى الكبش فأخذه ومشى ثم رجع السارق ووجد الكبش قد ذهب أيضا، فقال : جن هذه البلدة كثير، فسل سيفه وجعل يسير وحده وهو يقول : النجاة بالرأس. قلت الخليج: الدنيا، والكبش : الأسباب، والناخس : الشيطان، والثوب : دينه، ورجوعه لمحل سرقة الكبش : كناية عن توبته، وذهاب الكبش : تنبيه على أن ما بصدد الزوال يُعدُّ زائلا، وتجريد السيف والمسير وحده : استئناف لأمره على الِاحتراس من تلك الآفات. أخبرني بهذا والذي قبله راعيه الزاهد المتجرد أحمد بن الحسن المانوزي.

---

(660) هاني : ها أنذا، والكلمة عامية.

(661) البيتان قديمان، أنشدهما سيبويه في مرض موته، ويردان أيضا بهذه الصيغة :

لسـاني فصيـح معــرب في كلامــه فياليتــه في وقفــة الحشر يسلــم
وما ينفـع الإعراب إن لم يكـن تقـى ولا ضر ذا تقـوى لسـان معجــم

(انظر «المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى»، ص. 399).

ومنها لمن سأله معرفة الله : «ماؤك في رحلك، وكنزك تحت جدارك»، قلت : أشار به لقوله تعالى : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[662]. ومنها : نفسي إذا استنطقتها بالعربية، تكلمت ؛ وإذا أمرتها بالمعنى، تعجمت. قلت : أشار به إلى العجز عن إدراك حقائق صفاته تعالى وأنه كان يعبر عنها بالألفاظ العربية. ومنها : كم من رجل وصل الماء إلى لحيته فمات بالعطش، فقال له بعض من حضر : كيف هذا ؟ فقال : يحتاج إلى حكيم يحني له رأسه فيشرب حتى يَرْوَى. قلت : أشار به إلى احتياج الغافل عن معرفة الله تعالى إلى من ينبهه عليها في أقرب الأشياء إليه وذلك نفسه. ومنها وصيته لشيخنا أبي محمد المذكور[663] : اعمل لنفسك عملا تسعد به غدا ؛ ومنها : كل شيء من العَرْش إلى الفَرْش[664] ينادي بلسان حاله أو بلسان مقاله : لا ينجيك إلا الصدق. وقال لي بعض فقراء العرب : دنا منا يوما ونحن جماعة من العرب، وفي المجلس غيرنا، فقال لنا : أيها العرب أروني[665] شيئا من العربية وهو يضحك. قال الراوي : فسمعت أحد الحاضرين من البرابر قال لأصحابه : حازه العرب عنا وتكلموا أنتم في حوائجكم مخاطبا لأصحابه، فقال الشيخ إثر ذلك : يا أصحابنا مَجلسُنا هذا ليس فيه طرف هو كله وسط من العرش إلى الفرش. وقال لي رجل : ذكر لي أحد فقرائه أنه تبعه يطلب منه الدعاء فوجده في خليج تزروالت[666] وحده وهو يقول : بسم الله وبالله ومن الله وعلى الله فليتوكل المومنون، ثم جعل يقول : نظرهم عبرة، وسكوتهم فكرة؛ وكلامهم حكمة ــ هذه صفات الرجال. وقال محمد بن إبراهيم بن موسى الطيبي[667]: سمعته يوما يقول في حلقته : ليس منا من يقص أظفاره بالمقص، فقلت في نفسي : هكذا كلنا نفعل فشوشني ذلك، فذكرتها لبعض أهل الله، فقال لي: لا تغتب إخوانك. وقال أيضا: أُتِيَ بدقيق لطلب الولد فقرأ عليه : بسم الله على بركة العزيز الجبار. وقال لي مُرَبِّي الصالحين الرجل الزاهد يورك بن الحسين الإيلالني: قال لي سيدي أحمد بن أبي بكر ابن محمد بن سعيد الكرامي[668] المؤلف: جلست يوما معه يذكر الأولياء حتى قال:

(662) سورة الذاريات، الآية 21.

(663) المراد به سيدي عبد الله بن المبارك الأقاوي المترجم في ص. 167.

(664) من العرش إلى الفرش : من السماء إلى الأرض.

(665) أروني : تعريب «مْلاَيي»، والمراد : عَلّمُونِي

(666) تزروالت يكتبها الأقدمون هكذا : «تضروالت» إشارة إلى تفخيم زايها.

(667) انظر «مناقب» الحضيكي، ج 2، ص. 56.

(668) انظر ترجمته في «بشارة الزائرين»، ص. 14؛ و«المعسول»، ج 7، ص. 30.

أرض جزولة وأرض دكالة تنبتان الأولياء كما تنبت الأرض البقول. وبهذا السند قال: كيف أستحِق المقامات عند الله إن دخل ضيفي بجوع وخرج بجوع. ومنها للذي طلب منه الفاتحة: من أراد الفاتحة فعليه بطاعة الفتاح. ومنها للذي قال له حين توفي الشيخ السني أبو عثمان سعيد بن عبد المنعم: أبعده خليفة من ولده؟: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالاته﴾[669]. ومنها لفقيه جزولة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم التامانارتي يذم الدنيا: المذموم ما ذمه الشرع والمحمود ما حمده الشرع؛ فأكب عليه يقبل رجليه. ومنها للذي سأل منه الدعاء: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل﴾[670]. ومنها للذي سأل في مجلسه عن الإيمان فقال له بعض من في المجلس: هو التصديق؛ فحنا في بعض خواصه فقال له: هو الذوق. ومن هذا المعنى ما أجاب به الرجل الذي سأله أن يتلمد عليه، وكان لا يقبل ذلك، وهو قوله: «أنا صام متصمم، وأنا جاهل بكل فن» ـ أشار بهذين الجوابين إلى أنه من أهل الطريق الأكمل من طريقي الاستدلال، وهم الذين تداركتهم العناية الأزلية فطرحتهم في حريم الشهود فشهدوا المعروف تعالى بعد المشاهدة السابقة في معهد ﴿ألست بربكم﴾[671] فعرفوا ذاته وعرفوا بها أسماءه، وبأسمائه صفاته، وبصفاته أفعاله: فأولئك أتوا البيوت من أبوابها[672] وطلبوا الفروع من أصولها، فجدير أن يعرفوها كما هي، لأن أخذ الفروع من الأصول متيسر، لأن الفرع في ضمن الأصل، فمعرفته معرفته.

وفي كتاب «التوكل» من «الإحياء»[673]: «فكم من طالب عرف ربه[674] بالنظر إلى الموجودات، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله[675]، كما قال بعضهم: عرفت ربي بربي، ولولا معرفة ربي[676]، ما عرفت ربي. وهو معنى قوله تعالى

---

(669) سورة الأنعام، الآية 125.

(670) سورة آل عمران، الآية 60.

(671) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ (سورة الأعراف، الآية 172).

(672) قال تعالى: ﴿واتوا البيوت من أبوابها﴾ (سورة البقرة، الآية 188).

(673) الإحياء: المراد به كتاب «إحياء علوم الدين»، لأبي حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي المتوفى سنة 505هـ.

(674) في «الإحياء»: عرف الله تعالى.

(675) في «الإحياء»: بالله تعالى.

(676) في «الإحياء»: ولولا ربي لما عرفت ربي.

﴿أوَلَمْ يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾[677]» انتهى»[678]. وأن يعرفوا[679] الرب تعالى كما هو، فيأمنوا النكرة عندما يتجلى لهم يوم القيامة بغير وصف التأثير فيقول أنا ربكم فيقول من عرفه بفعله: نعوذ بالله منك كما ورد في «**صحيح البخاري**»[680]. فقوله : «أنا صام متصمم» ـ أشار به لقول النبي ﷺ : «حبك الشيء يعمي ويصم»[681]، أي يعمي عن غير المحبوب ويصم عن غير المحبوب، فلا يرى إلا محبوبه ولا يسمع إلا محبوبه؛ ولقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه : «**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**»[682]. انتهى.
فكأنه معزول عن حواسه التي تشاهد. ومن هذا قول الشبلي[683] لما سئل عن أهل المحبة : صم بكم عمي؛ وقول الشاعر : [الكامل]

أخذ الهوى بمسامعي فأصمها فبقيت في طرق الهوى حيرانا

(677) **سورة فصلت**، الآية 52.

(678) «**الإحياء**»، ج 4، ص. 251.

(679) معطوف على قوله : «فجدير أن يعرفوها كما هي».

(680) انظر : «**صحيح البخاري**» باب قول الله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (ج4، صص. 200-201)، ولفظه : «فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربناعرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول : أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه...»، (الحديث)، وفي رواية : «... فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول : أنا ربكم، فيقولون : أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مومن...» (الحديث).

(681) في النسخ المعتمدة : «حبك للشيء يعمي ويصم»، والصواب ما أثبتناه، والحديث رواه أبو داود والعسكري عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعا، وقد بالغ الصغاني فحكم عليه بالوضع، وتعقبه العراقي، وقال بشأن هذا الحديث، ليس بموضوع ولا شديد الضعف، بل هو حسن (انظر «**المقاصد الحسنة**»، ص. 181، رقم الحديث 381).

(682) رواه البخاري في «**صحيحـ**»ـه : «كتاب الرقاق»، الباب 36 (ج 4، ص. 92).

(683) الشبلي هو أبو بكر دلف بن جحدر، أصله من خراسان، ومولده ونشأته ببغداد، صحب الجنيد، فكان من الصلحاء المشهورين، وتوفي سنة 334 (انظر «**طبقات الصوفية**» لأبي عبد الرحمان السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، صص. 337-348).

والمعنى الأقرب وقوفه مع الشارع في التصرف بهذه الحواس حتى كأنه المتصرف بها. وقوله : «وأنا جاهل بكل فن» ينظر إلى قول ابن الفارض[684] :

[الطويل]

كذاك بفعلـــي عارف بي جاهـــل وعارفـــه بِي عارف بحقيقـــة[685]

أشار إلى أن العارف صنفان عارفه تعالى بصفاته وعارفه تعالى بمشاهدته. فمعرفة الأول تعد جهلا بالنسبة إلى الثاني، ومعرفة الثاني هي المعرفة الحقيقية، وهي مقام الشيخ رضي الله عنه.

ومنها : الألسنة ثلاثة : لسان العلم ولسان الحقيقة ولسان الحق. فلسان العلم ما يؤدي إلى العلم بواسطة، ولسان الحقيقة نور يقذفه الله في قلب من يشاء، ولسان الحق ليس إليه سبيل. ومنها في التحذير من الدنيا ــ ويتمثل به كثيرا ــ قوله :

[البسيط]

فمـــا قَضَى أحـــدٌ منها لبانتـــه ولا انتهى أَرَبٌ إلا إلى أرب

ومنها في التحذير من البدع والأهواء، للذي سأله بناء الزاوية : قام سلطان الهوى مستندا إلى ظلمة الغي، بمقتضى الشهوة، عن عدل وفق الطبع، بُعدول العدول، بتعاطي أنواع الفضول فذهبت الأوقات، في نيل تلك اللذات، على بساط الغفلات. ولا يثبت في هذه المواطن مع الحق إلا من ثبته الله، والحق واحد؛ ولولا خوف قصور الأفهام، لكثر الكلام، والجاهل أعمى، والمعاند محروم، والحسود مفسود[686]. يا أخي لا تغبن أتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير[687]، لا تبع الحق بالغي، ولا تتعلل ولا تستعذر، التعلل هنا لا يفيد، والعذر لا يقبل وإياك وتوبة الكذابين، وهي نطق

---

(684) هو الإمام العارف بالله الشيخ أبو حفص عمر بن أبي الحسن المعروف بابن الفارض، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ولد بالقاهرة سنة 576هـ، وتوفي بها في جمادى الأولى سنة 632هـ. اشتهر بشعره الصوفي الرقيق. (انظر : «**وفيات الأعيان**»، ج 3، ص. 456؛ و«**لسان الميزان**» لابن حجر، ج 4، ص. 138).

(685) ورد هذا البيت في «**ديوان ابن الفارض**»، ص. 55، المكتبة الثقافية بيروت، لبنان هكذا :

كذاك بفـــعلي عارفي بيَ جاهـــل وعارفـــه بي عارف بالحقيقـــة

(686) هكذا في النسخ المعتمدة، وفعل فَسَد لازم، ويتعدى بالتضعيف وبالهمزة.

(687) قال تعالى في معرض الحديث عن بني إسرائيل : ﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ (سورة البقرة، الآية 60).

باللسان وتكميش بالعينين وإباية النفس، ولابد من لقاء ما عملت بين يدي من لابد من لقائه. فاتق الله ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾[688]، وكن عبد رب واحد لا عبد أرباب، «تعس عبد الدينار والدرهم»[689]، ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[690].

قلت : وأظن هذا الكلام في قطب العارفين، وهو أبلغ في نصح السائل وأتم لإرشاده.

من دعواته

ومن دعواته : اللهم ــ رب الإيمان والإسلام والكتاب والسنة ــ بحرمة الإيمان والإسلام والكتاب والسنة، أحيني على الإيمان والإسلام والكتاب والسنة، وأمتني على الإيمان والإسلام والكتاب والسنة، وابعثني على الإيمان والإسلام والكتاب والسنة بحرمة الإيمان والإسلام والكتاب والسنة، فإنه ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[691].

من اذكاره

ومن مستفتحات أذْكاره: الحمد لله الواسع الجود والعطا[692]، العالم بما كان وما يكون من العلو إلى الثرى، الباعث الرسل لإقامة الحجة على الورى، وخص من بينهم أفضل الخلق نبينا محمداً ﷺ بجميع الفضائل والفواضل[693]، وأنزل عليه كتابه الحكيم مفرقا بين الحلال والحرام، من حكم به اهتدى، ومن خالفه ضل واعتدى. فسبحانه لا إله إلا هو الرحمان الرحيم. فمن نصحه اهتدى وهدى غيره، ومن غشه ضل وأضل غيره ﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا﴾[694]، ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾[695]. فنسأل الله تعالى أن يضع لنا البركة فيما وهبه لنا من نعم الدنيا والآخرة.

---

(688) قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ (سورة الحشر، الآية 18).

(689) حديث رواه البخاري في «كتاب الجهاد والسير» و«كتاب الرقاق» من «صحيحه» (ج 2، ص. 102؛ ج 4، ص. 84).

(690) سورة الأحزاب، الآية 4.

(691) سورة الأنبياء، الآية 86.

(692) العَطا ــ وقد يُمَدُّ ــ : ما يُعطَى.

(693) الفضائل : جمع فضيلة، وهي الدرجة الرفيعة في الفضل. والفواضل : الأيادي الجسيمة، أو الجميلة.

(694) سورة البقرة، الآية 25.

(695) سورة الإسراء، الآية 82.

من بركاته

ومن بركته أن محتاجا سأله فأخذ شيئا من الرمل فشده له في صرة، وقال : اذهب به إلى الصواغ، فناوله إياه، فوجده تبرا فسككه له[696].

ومنها أن صبيا أُقْعِدَ[697] أُتِيَ به فكلم في شأنه من بالمجلس من الطلبة الفقراء، فأخرج له أحد الفقراء شيئا من الدقيق فناول منه الصبي ثلاث مرات فقام من حينه، فقال لصاحب الدقيق : من أين لك هذا الدقيق؟ قال له : ترك لي والدي بقعة بَرَاحا[698] فكنت أحرث نصفها لمعيشتي وأرعى بقرتي في نصفها الآخر، فقال: انظروا ما يفعل الحلال.

ومنها ما حدثني به أحمد بن سعيد الركَيتي[699]. قال : أخبرني الفقير المسن حسين بن عبد الله الركَيتي ــ وكان من تلاميذه ــ أنه ذهب إليه مرة فقال له : يا سيدي إني سكنت بقرية بور لا ماء فيها، وإني أحتاج إلى خضرة طعام، فقال له : تَحفَّظ على شجرة تنبت بطرف ساحة مسكنك ورد إليها عقلك، فرجعت ونسيت، ومر عليَّ زمان ثم رأيت غصنا صغيرا أوراقه مثل ورق التين نبت في طرف ساحة الدار كلما ظهر أكلته البهائم وهو ينمو بسرعة، ولا أذكر إشارة الشيخ، ثم تذكرت قول الشيخ وأنها الشجرة التي ذكر لي، فزربتها[700] وحافظت عليها فانقسمت فرعين فلم يمض إلا قليل فأطعمت وولدت قرانا[701] كبارا، فأخذناها للخضرة فكانت ألذَّ شيء نيئة ومطبوخة، واستمرت ولادتها كذلك لا تنقطع شتاء ولا صيفا، وكل من احتاج الخضرة من أهل القرية أخذها منها ولا تطيب أبدا وإن بقيت ما بقيت، ولا تنبت إن غرس منها عود، وكانت على خلاف جنس شجر التين في ذلك كله فسبحان الخلاق الحكيم، وهي إلى الآن بقرية «ورغوض» ببلاد هركَيتة أعجوبة الزمان وآية ذلك الشيخ.

ومنها ما أخبرني به الرجل الصالح محمد بن عبد الله بن أبي القاسم بن الغازي، أنه عزم على تشييع بنيه لزيارته، ثم ومر[702] أحدهم فانحلت عزيمته فرأى أخي في نومه

(696) سككه له : صنع له منه النقود، والسِّكَّة : حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم والدنانير.

(697) أُقعِد ــ بالبناء للمفعول ــ : أصابه داء في جسده، فلا يستطيع الحركة للمشي، فهو مُقْعَد، وهو الزَّمِن أيضا.

(698) البَرَاح : المكان المتسع الذي لا سترة فيه من شجر وغيره.

(699) نسبة إلى «إِرْكِيتْنْ»، وهي قبيلة سوسية معروفة، وتُعَرَّبُ بـ : «رْكِيتَة» أو «هَرْكِيتَة».

(700) زربتها : أي سَيَّجْتُها بـ«ـالزرب» الذي يعني في اللهجة العامية السدر.

(701) إِقْرَّانْ : المراد به : التين قبل نضجه، وبعض الناس يستعملونه خضرة للكسكس.

(702) هكذا في النسخ المعتمدة، ولم يتضح معناه، ولعله : ثم أمر.

بعض أصحابه الموتى، فقال له : شيعهم لزيارته، فإن بركة ذلك الشيخ لا تحد وما وجدنا إلا بركته. وتتبعُ كراماته وما نِيل ببركاته لا يحمله التقييد[703]، لأنه كالإشارة لبعض مواهبهم.

جولاته وسياحته

وأما جولاته في الدنيا وسياحته، فأخبرني الفقيه المتجرد الزاهد محمد بن إبراهيم ابن موسى الطيبي، قال لي ولده محمد : دخلت عليه يوما في خلوته فوجدته متشمسا مادا رجليه ينظر إليهما ويضحك فتوهمت أن ضحكه مني، فقلت له : مم[704] تضحك يا أبت؟ فقال : وجدتني أنظر إلى هاتين، يشير إلى رجليه، وأضحك، ثم قال لي : لو نهض جميع ما على الأرض من الإبل من جميع أقطار الدنيا وحملت الزاد، لفنيت مع أزوادها ولم تسلك ما سلكته هاتان؛ ولو اجتمع جميع طيورها تطير حتى تفنى أرياشها وتبلى أجنحتها وتنبت أخرى تطير بها لم تصل إلى ما وصلت إليه هاتان، يشير لرجليه.

وأخبرني الخطيب أبو زيد بن الوقاد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى، قال : أخبرني ولده عبد الباقي[705] قال : قال لي والدي : ليقدم أحدكم ما وجد من قليل أو كثير بين يدي حاجته[706] عند طلبها من الله تعالى، فإني عييت يوما في سياحتي وتركني أصحابي، فأويت إلى خربة حولي فجلست فيها متحيرا متوحشا فرأيت عنكبوتة في بيتها فأخذت ذبابة فناولتها إياها، فقمت من ساعتي ولحقت بأصحابي.

حدثني تلميذه المسن العابد محمد بن موسى الجطيوي[707] قال : حضرت مجلسه يوما، فجاءه رجلان فقالا له : هنيئا لنا إذ بلغنا إليك ونظرنا إلى وجهك، فقال لهما : هذا أحمد، ومن أين أنتما ؟ فقالا له : من المشرق الأقصى، كان لنا شيخ

(703) لا يحمله التقييد : أي لا يتسع له هذا الكتاب.

(704) في النسخ المعتمدة : بِمَ. وما أثبتناه هو الصحيح.

(705) انظر أبناء الشيخ أحمد بن موسى وأعقابهم في «**إيليغ قديما وحديثا**»، صص. 25-27.

(706) يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيم الرسول، فقدموا بين يدي نجواكم صدقة. ذلك خير لكم وأطهر﴾ (**سورة المجادلة، الآية 12**)، وهذه الآية منسوخة بما بعدها، وهو قوله تعالى : ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذْ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون﴾ (الآية 13)، قيل : إن هذه الآية لم يعمل بها قبل نسخها إلا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (انظر «**تفسير ابن كثير**»، ج 4، ص. 326).

(707) نسبة إلى «جطيوة» - إكْطَّايْ - وهي قبيلة سوسية معروفة بضواحي تارودانت، في الجهة الجنوبية.

ببلدنا، فأتيناه يوما نزوره فقال لنا : إن كنتم تقدرون على الزيارة أريكم من تزورون. فقلنا له : نعم، فقال : سيدي أحمد بن موسى بالمغرب الأقصى، فتجهزنا إليك سائلين عنك وعن بلادك حتى انتهينا إليك وطابت أنفسنا وقرت أعيننا بالوصول إليك، ثم قال لهما[708] : كم في مشرقكم الأقصى من قصر؟ فقالا : لا نعلم نهايتها، فقال لهما : أخبركما : فيه ألف قصر وقصر واحد، فقال لهما : تعرفان[709] القصر الذي على واديه نخلتان إحداهما في حافة والأخرى في حافته الأخرى، تلتقيان كل سنة يوما إلى الليل فتفترقان إلى مثل ذلك اليوم بعينه من السنة الأخرى، وذلك دأبهما دائما؟ فقالا له : ذلك بلدنا، فقال لهما : تعرفان السبب في كونهما كذلك ؟ قالا : لا، فقال لهما : إني أخبركما، كان ولي من الأولياء وزوجته في قرية، وانفردا بالعبادة عن أهلها ثم قال الزوج لزوجته : لا نستطيع البقاء بأمري على هذه القرية مع ضلالة أهلها، فإن شئت تستوفين حقك مني وتلحقين بأهلك فعلت، فقالت له : العشرة إذا كانت لله لم يحسن خلافها، فخرجا عنها نحو ساحل البحر فأسرهما العدو، فصار كل واحد منهما لغير الذي صار إليه الآخر، فافترقا، فمكثت الزوجة عند صاحبها سنة فرأى لها برهانا فأعتقها وأخرجها لبلد الإسلام، وبقي الزوج عنها عند صاحبه سنة فرأى له برهانا فأعتقه فذهب به لموضع زوجته فأخبر بأمرها، فأخرجه من المرساة التي أخرجت منها الزوجة فمشى لأولى قرى الإسلام يطلبها، فأذّن فيها فلم يجدها، فانتقل إلى التي تليها فأذن فيها أيضا فلم يجدها، فانتقل إلى الثالثة فأذن فيها فسمعت أذانه ــ وكانت تعرفه ــ فأرسلت إليه غلاما يسأل لها، فقال له الغلام : هنا امرأة تسأل عنك، فقال له : ارجع تعرفك باسمها، ففعل. فقالت له : بل حتى يعرّفك هو باسمه، فعرفه باسمه وعرفته هي باسمها فتعارفا فخرج كل منهما لصاحبه فالتقيا تحت النخلتين وتعانقا وشهق كل منهما شهقة فارق بها الدنيا، فافترقا على محبة الله كما اجتمعا عليها، فرفعا معا لسدرة المنتهى[710]، فذلك

(708) في النسخ المعتمدة : ثم قال لهم. وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(709) في النسخ المعتمدة : تعرفون. وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(710) سدرة المنتهى : شجرة في السماء السابعة، ثمرها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة وسميت سدرة المنتهى، لأن علم كل عالم ينتهي إليها، فلا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى. وقيل سميت بذلك، لأن ما تعرج به الملائكة من الأرض ينتهي إليها فيقبض منها وما هبط به الملائكة من فوقها ينتهي إليها، فيقبض منها (انظر «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي، ص. 1666 و«تفسير ابن كثير»، ج 4، ص. 252).

السبب في معانقتهما. فإذا جاء اليوم الذي تعانقا فيه وماتا فيه، تعانقتا بقدرة الله تعالى، فقالا له : اكتب لنا بها[711] يا سيدي، فقال لهما : نعم، إن شاء الله.

وفي الورقات المشتملة على بدايته وسياحته قال : كنا نلعب ذات يوم الكرة[712] إذ طلع علينا شيخ كبير على رأسه قفة تين، فقال : معشر الأحداث من يرفع عني منكم هذه القفة رفع الله مقامه فوق المقامات، وسلك به في البلاد مسالك لم يسكلها نبي ولا وليّ؟ فألهمني الله وأخذتها منه وأوصلتها للموضع الذي قصده، فرجعت لأصحابي فسقطت العصا من يدي وبقيت مغشيا عليّ ثلاثة أيام. فلما أفقت، تجهزت لقطب زمانه وشيخ الطائفة في وقته الولي الشهير أبي مروان عبد العزيز بن عبد الحق الحرار[713] الفاسي المعروف بالتباع وارث طريقة الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي[714].

فلما وصلته، سلمت عليه، فقال لي : مرحبا بك يا ولي الله، أقامك الله فوق المقامات وسلك بك مسلكا لم يسلكه نبي ولا ولي، فوضع يده على رأسي فغشي علي أربعة أيام بلياليها. فلما أفقت، شيعني لقبر رسول الله ﷺ وللبيت الحرام. فلما قضيت فريضتي وزيارتي، قصدت قبر ولي الله سيدي عبد القادر الجيلاني[715]، فأدركني التعب والإعياء فظهر لي ذات يوم، فقال : عليك بركوب القصبة يا أحمد ابن موسى، فسرت من عنده نحو مطلع الشمس، فبت ليلة عند امرأة عندها اثنتا عشرة بنتا، فأطعمتني طعاما مأدوما فقالت : كل يا أحمد بن موسى، فلما أكلت اللقمة الأولى، نظرت إلى الأرض فظهر لي البهموت[716] وهو الثور الذي عليه الدنيا، فأخذت اللقمة الثانية فنظرت إلى السماء فرأيت العرش والكرسي. انتهى محل الحاجة منها، وهي طويلة اشتملت على عجائب لا يحملها التقييد.

---

(711) في نسخة : به.

(712) في النسخ المعتمدة : الكورة. وهو خطأ، لأن الكورة تعني المدينة والصقع.

(713) انظر ترجمته في ص. 80، هامش 52.

(714) انظر : صص. 80-83، هامش 53.

(715) هو شيخ الطريقة القادرية المشهورة، عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني المتوفى ببغداد عام 561هـ (انظر ترجمته في «شذرات الذهب»، ج 4، ص. 198؛ و«الأعلام»، ج 4، ص. 47).

(716) في **المستطرف** للأبشيهي (ج 1، ص. 158) أن «بهموت» هو اسم الحوت الذي حمل الثور المذكور. أما الثور، فاسمه «كيوثا». وفي «الشقراطيسية» :

والكفر في ظلمات الرجس مُرتكِسٌ ثاوٍ بمنزلة البهموتِ مِن زُحلِ

(المجموعة النبهانية، ج 3، ص. 209).

والشيخ الكبير صاحب القفة الذي فتح له باب العناية هو الولي الصالح سيدي محمد بن إبراهيم الوجاني نزيل غشانة من بلاد جزولة المدفون بها، ويحكون عنه أنه كان يقول : من الرجال من يضع قدمه في الأرض ثم لا يجد أين يضع الأخرى، فكانوا يرون أنه هو.

وذكر لي أعرابي من أعراب سجلماسة أنهم اصطادوا في بعض الأقفار، فرأوا ناقة فأسرعوا إليها، قال : فوجدنا رجلا مسجى في ثوبه ولم نجد الناقة، فرجعنا ثم رأينا الناقة أيضا فرجعنا إليها فلم نجدها، وفعلنا ذلك مرات، ثم سألناه، فقال : ما ذكرتم، قال الأعرابي : وقد عرفته بصفته؛ ولما ظهر أمره، أتيته بتازروالت أزوره فإذا هو الرجل الذي رأيته في ذلك القفر وقد عرفني، فقال لي : اسكت يا أعرابي، ثم سافطني[717] بدنانير وقال لي : خذها ولابد، وستحتاجها، فحاولت بها في التجارة حتى نمت بكثير ببركته فجاءني بمراكش الرجل الذي ابتاع[718] أصولنا بسجلماسة يطلب ثمنها ففديتها بذلك، وما كنت أظن أنه يفعل ذلك أبدا لولا بركة هذا الشيخ.

من شيوخه

قال تلميذه الشيخ الصالح المحدث الراوية[719] أبو العباس أحمد بن محمد الدرعي المعروف بأدفال : وشيخنا سيدي أحمد بن موسى قالوا : له ثلاثمائة شيخ وأكثر، منهم سيدي عبد العزيز التباع نفعنا الله به، وسيدي محمد الوجاني، وقد كان جال البلاد وساحها. انتهى محل الحاجة منه.

وفاته وغسله

وأخبرني الخطيب ابن الوقاد التلمساني قال قال لي ولده عبد الباقي قال لي والدي : لي ثلاثمائة شيخ ونيف وستون شيخا كل واحد منهم لا يدع سلبه للآخر[720].

توفي رضي الله عنه ليلة الاثنين لسبع خلون من ذي حجة سنة إحدى وسبعين وتسعمائة. قال لي غاسله ومتولي تجهيزه تلميذه الولي الصالح سيدي إبراهيم

---

(717) سافطني : كلمة عامية تعني ودعني وأعطاني.

(718) ابتاع : اشترى.

(719) في النسخ المعتمدة : الرواية.

(720) في نسخة : لآخر.

ابن عبد الله العَبدي[721] نزيل وجاسة[722] بجزميل[723] من جبل درن : لما أردت غسله، هممت بتجريده فلم أزل أتهمّم في ذلك حتى ألهمني الله أن أغسله من تحت الثوب فغسلته تحته، ثم بعد ذلك طالعت أن النبي ﷺ كذلك غسل، فقلت : الحمد لله الذي اختار لوليه ما صنع بنبيه ﷺ.

وذهبت مع شيخنا الفقيه المحصل أبي عثمان سعيد بن عبد الله بن إبراهيم السملالي[724] في نفر من أصحابنا لزيارة قبره رضي الله عنه أحد شهور عام اثنين وألف من مدينة تارودانت، فقلت عند انفصالنا[725] : [الطويل]

فصلنـــا بأعبـــاء الهوى وكأننـــا	فصلنا بركب يا[726] يؤم[727] بنا نجدا
وسرنـا وفي القلـوب منـا إنابـــة	تفض قواهـا من مسالكنـا صلـدا

وعند الإشراف على روضته والقرب من ربوع بركته، قلت : [الطويل]

نسيم سرى للـوصل أعطـــر ناسم	يغشي المطايـــا بالمسرات والوفـــدا
ألا فانزلـوا فقـد بلـغتم مناكـــم	وفـزتم بقُـرب لن تروا بعـده بعـدا
وصلتم إلى شيــخ حماه ممنـــع	يُنيلُكُـمُ أمنـا ويوسعكـم رِفْـدا
إليـه أسير الـذنب يأوي فينثنـــي	وقد أكسب الآمال واستنجز الوعـدا

وعند الإرتحال عنه والإرتواء منه، قلت : [الطويل]

ولما قضينــــا من مزار ضريحه	وعفرنـــا من تراب ساحتـــه الخدا
وأوثقنـا للـود العتيـــق وَثاقـــه	وأحكمنا للعهـد الوثيـق به عقـدا
ثنينا وقـد ثنـى الصبابـة ريحُهـا	علينا فلم نملك من أنفسنا وجدا[728]

---

(721) في نسخة : العيدي.

(722) وجاسة : أيت وجاس، وهي فرقة تابعة لقبيلة منتاكَة (إمْنْتَاكْنْ) تقع في منطقة جبلية، تبعد عن مدينة تارودانت شمالا بحوالي 50 كلم.

(723) سقطت كلمة «بجزميل» في نسخة.

(724) سبقت ترجمته في ص. 108.

(725) في نسخة : عند انفصالها.

(726) يا : لعل المراد به ما يرمز إليه بحساب الجمل وهو العدد : 11.

(727) في نسخة : تؤم.

(728) من : زائدة، و«وجدا» منصوب على المفعولية المطلقة، أو التمييز.

وبه ختمت ذكر مشايخنا الأعيان، ومشايخهم هداة الخلق وأعلام الزمان.

وحين غربت تلك الشموس، وضمت أجسادها الرموس، ونكصت المكارم على أعقابها، وسدلت المحاسن سَجْف[729] حجابها، وغمَّضت أزهار تلك الرياض أجفانها، وعوضت من حلل البهاء أكفانها، وردت جواهر العلوم إلى أصدافها، وخشي بقية أفاضل الدهر في أنفاق الخمول وأكنافها، طفقت أبكي انطفاء نور ذلك المصباح، وأرثي محاسن تلك الوجوه الصباح[730] فقلت : [الطويل]

ألا يا هواها اليوم أنت رفيق ... كفى بك خلا في النوى وصديق

شموس تدلت للغروب عشية ... ومد لها جيش الأفول أُفُوق[731]

على دار سلمى باللوى[732] وتلاعها ... وأعلامها اللّأئي للعين[733] تروق

سلام يبث الشوق بين طلولها ... وينشرها صبوحه وغبوق[734]

تحملت عنها ثقل كل صبابة ... وما يحمل الأثقال الا مشوق

وزودت إلا الصبر عنها ومقلة ... تضن ولكن في الدموع غريق

وقلبا يهيم في البلاد كآبةً ... عليها وصدرا بالغرام يضيق

فيا قاصرات الطرف من كل حلة ... تعالين نبك البين فهو حريق

تعالين نبغ مأتما لفراقها ... عراكن منها نفحة وعبيق

ونندب أطلال الوفاء بأعين ... يذاب بهن لؤلؤ وعقيق

ونشكو جوى الأكباد والقلب والحشا ... فَلَيَّ[735]وحين للغرام يطيق

ونذكرُ أياما مضت بوصالها ... لهن على كل الزمان شروق

جررنا بها ذيل التصابي على الصبا ... وللحب منا وصلة وحقوق

---

(729) السُّجْفُ ـ ويُكسر ـ : الستر.

(730) الصباح : الجميلة المشرقة. وقد علق في طرة النسخة المصورة بالخزانة العامة بالرباط، على هذه الجمل، بما يلي : «عبارات جيدة لطيفة».

(731) أُفوق : أفُق، أشبع ضمة الفاء حتى تولد منها الواو، وذلك من الضرائر الشعرية الجائزة (انظر : «الضرائر، وما يجوز للشاعر دون الناثر» لمحمود شكري الألوسي، ص. 283).

(732) اللِّوَى : ما التوى من الرمل.

(733) في نسخة : لعين، وفي نسخة أخرى: لعيني.

(734) الصَّبوح : ما يشرب بالغداة، والغَبُوق : ما يشرب بالعشي.

(735) كذا في النسخ المعتمدة.

فكـم ليلـة بتنـا والأنس شقيقهـا ... إلى أن بدا من وجنـتيها شقيـق[736]

نفض ختامـــا عن حديث مودة ... له بجـاب[737] القـلب مِنّـا رُشوق

وبتنا وبات الثَّغرُ يُوضحنا الدجـى ... وتلمـع منـه للجمـال بروق

ويسقي رذاذ[738] الطل والرشفة التي ... عليها قلـوب العـاشقين تفيـق

وكل تراب الجزع[739] مسك بطـيبها ... وكل شراب بالعُـذَيب[740] رحيـق

تمطى بذات الرَّنـد[741] بين خيامهـا ... شبـابي فوجـدي بالخيـام عليـق

سقى الله ذاك العهد من مزنة الصبا ... وسحٌّ له من ساحـتيها غديـق

وأروى ديـار العـاشقين وجيرة ... لنـا بهم عهـد هنـاك وثيـق

وضوَّع[742] نشر الـود عنـي وعنهم ... وأينع منه الرَّوْضُ حتـى يروق[743]

بعض من لقيهم التمنارتي من أصحاب الأحوال

وممن لقيته من أصحاب الأحوال السيد الزاهد المتجرد الجوال الفكر سيدي علي بن عبد الله بن حسين[744] من الفجة الصفراء، ذكر لي من شأنه أمور عجيبة، وأنه كان يرى أهل النار في سلاسلهم وأغلالهم، وكان يصيح لذلك صياحا منكرا يقطع أنه من أمر هائل فظيع. وربما عرض له ذلك الحال في الصلاة فيصيح ولا يملك نفسه، ثم قال : كان أبو بكر وعمر يأتياني زمنا طويلا، ثم بعد ذلك يأتيني رسول الله ﷺ فيدخل يده في جوفي فيعرك[745] قلبي وكان مثل كبد الجمل في قوامه ولونه،

(736) يقصد شقائق النعمان، وهو زهر أحمر معروف، يُستعمل هكذا للمفرد والجمع، والتمنارتي استعمل منه هنا المفرد، وهو غير مستعمل.

(737) حباب القلوب : المراد حَبّات القلوب، وحَبَّة القلب : سويداؤه أو مهجته.

(738) في نسخة : وداد.

(739) الجزع : منعطف الوادي، ووسطه، ومحلة القوم، وبلدة عن يمين الطائف، وأخرى عن شمالها («**القاموس**»).

(740) العُذيب : واد بظاهر الكوفة، وماء لبني تميم باليمامة («**معجم ما استعجم**»، ج 3، صص. 927-928).

(741) الرند : شجر طيب الرائحة، والعُود، والآس، وذو رند : موضع بجادة حاج البصرة.

(742) ضوَّع نشر الود : جعله يَضُوع أي تفوح رائحته الزكية.

(743) حتى يروقُ : رفع يروق بعد حتى، على غرار قوله تعالى : ﴿وزلزلوا حتى يقولُ الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾ (سورة البقرة، الآية 214).
(انظر شروط رفع المضارع بعد حتى في «**مغني اللبيب**»، صص. 170-171).

(744) انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 246. والفجة الصفراء تعريب «تيزكي ييرغن» الواقعة بين «تمنارت» و«أقا»، وهي تبعد عن «إيشت» بنحو 40 كلومتراً.

(745) يعرك : يدلك، ويحك.

فما زال يتعاهدني كذلك حتى أصفى قلبي وذهب عنه كل دَخن[746] وسواد كان فيه، فسقاني عند ذلك شربة حصلت بها في حضرة الربوبية وأنسها، ونسيت كل ما كان قبلها من الأُنس بأبي بكر وعمر ورسول الله ﷺ. ومتى حدث بحاله حتى يبلغ ذكر الشربة، غُشيَ عليه ولا يفيق إلا بعد طول. وقد صافحته رجاء بركته، لأنه صافح الصديق وعمر ومولانا رسول الله ﷺ. وكان شيخنا أبو محمد عبد الله بن المبارك يعظمه ويكرمه، ومات في حدود العشرين بعد الألف في قفر بين تامانارت والفجة الصفراء، فكان شأنه مثل أويس القرني رضي الله عنه[747].

ومن لقيت منهم عمر بن حسين السندالي، قال لي : رأيت رسول الله ﷺ على فرس ومعه راكب آخر لا أعرفه. أما رسول الله ﷺ، فقد عرفني بنفسه فسلمت عليه وصافحته وقبلت ركبتيه، ثم بعد ذلك رأيت ثلاثة رجال في سمت حسن فدنوت منهم على هيبة وحياء منهم، وحططت للسلام عليهم ثلاث مرات. ولما وقفت بين أيديهم وبعد السلام عليهم، قلت لهم : من أنتم يرحمكم الله؟ فقال لي واحد منهم : هذا ميكائيل وهذا إسرافيل وهذا جبريل وهو صاحبك، فقلت له : أنا في حرمتك، فانتبهت مسرورا بذلك، فسألته عن عبادته وعن أوراده فقال : ليس لي كبير عمل إلا ما كان من الصلاة على رسول الله ﷺ، فقلت : ذلك ببركتها وصافحته ودعا لي. والسلام.

---

(746) الدَّخن : الحقد وسوء الخلق.

(747) أويس القرني : هو أويس بن عامر القرني، أحد كبار نساك التابعين، اشتهر بالزهد والعبادة، أصله من اليمن، وسكن الكوفة، توفي عام 37هـ (انظر ترجمته في «**طبقات**» ابن سَعْد، ج 6، ص. 111؛ و«**تاريخ دمشق**» لابن عساكر، ج 3، ص. 157؛ و«**ميزان الإعتدال**» للذهبي، ج 1، ص. 129؛ و«**حلية الأولياء**» لأبي نعيم، ج 2، ص. 79 (رقم الترجمة 162)؛ و«**طبقات**»الشعراني، ج 1، ص. 27).

ٱلبَابُ ٱلثَّانِي:

فِي ٱلأَسَانِيدِ وَهُوَ بَيْتُ ٱلقَصِيدِ وَلُبَابُ ٱلتَّقْيِيدِ

الباب الثاني
فـــي الأسانيد
وهو بيت القصيد ولباب التقييد

مقدمة الباب

الحمد لله الذي نصب للسعادة أعلام الرشاد، وجعل خدمة العلوم الشرعية أمارة اليمن والإسعاد، والمتجر الرابح في الِاستعداد ليوم المعاد، وخصوصا علم حديث رسول الله ﷺ الذي تضرب أكباد الإبل في طلبه بالإسناد، وملئت سماؤه حرساً وشهبا يحفظونه من كل شيطان مارد يسترق سمعه بفساد، وازدحم فضلاء الأمة للمثابرة عليه في سائر البلاد، وعنه تحدث رجال السنة فرادى ومثنى، وتتحاك ركبهم في تحقيق ألفاظه[1] سندا ومتنا، حتى كأنه ﷺ يمليه بلسانه في كل محفل وناد، ويشافه بإلقائه وتلقينه كل حاضر وباد، وحتى اقتبس من مشكاة نبوته ﷺ من قرب ومن هو في غاية البعاد، وعم نور سراجه المنير أقطار البلاد، وكافة العباد، واعتصم بحبله المتين وعروته الوثقى من ربط نفسه في قطار رواة حديثه الأئمة النقاد، وعُدمن وُعاة جوامع كلمه التي تثلج صدر كل رائح وغاد، وفاز بالقرب منه ﷺ باتصال سنده الذي تقوم به الحجة البالغة يوم يقوم الأشهاد، وبحظه من دعائه ﷺ في قوله «نضَّر الله امرَأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»[2] في الإصدار والإيراد، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المخصوص بالمقام المحمود والحوض المورود

---

(1) في النسخ المعتمدة : ألفاظهم.

(2) رواه الترمذي بهذا اللفظ : «نضَّر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع» (انظر من خرجه ودرجته في ص. 404، هامش 1077).

والشفاعة يوم التناد، وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين، أئمة الاقتداء، ونجوم الاهتداء، وأسوة كل حاضر وباد، صلاة تتصل باتصال الآباد، وتتجدد بتجدُّد الإيجاد والإمداد.

وبعد؛ فيقول العبد الفقير، المعترف بالعجز والتقصير، عبد الرحمان بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن أحمد الجزولي التامانارتي منشأً ومولدا، التارودانتي دارا ومحتدا : لما منَّ الله علي بلقاء جماعة من مشايخ الإرشاد، وأئمة التحقيق والاجتهاد، وفضلاء الإفادة والإنجاد، وأدلاء الله للتوفيق في طرائق الارتياد، وأنفقت في صحبتهم من العمر الطارف والتِّلاد[3]، وقطفت من أزهار دروسهم، وجنيت من ثمار غروسهم، ما راق السمع والبصر والفؤاد، ولقطت من درر علومهم، ولؤلؤ حكمهم ما بجر[4] الحقائب وأثقل الأكتاد[5]، وسمعت من مروياتهم وطالعت من مسنداتهم ما لا ينال إلا بأفلاذ الأكباد[6]، وكنت معهم في زمن إبدار الطلب[7] أرى وأسمع، وأتأنق وأجمع،

(3) التِّلاد، والتالد، والتَّلِيد : المال القديم، وخلافه الطارف والطريف.

(4) بجر الحقائب : ملأها. والحقائب : جمع حقيبة وهي وِعَاء يجعل الرجل فيه زاده، ويحتقبه الراكب خلفه. ومن الشواهد النحوية قول الأعشى يهجو لصوصا :

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ويرجعن من دارين بُجْرَ الحقائب

(انظر «شرح الجرجاوي على شواهد ابن عقيل»، ص. 116).

(5) الأكتاد : جمع كَتَدٍ ـ بفتح التاء وكسرها ـ وهو مجتمع الكتفين، وقيل ما بين الكاهل والظهر، وقيل مغرس العنق في الكاهل.

(6) أفلاذ الأكباد : الكنوز والأموال، وفي الحديث في أشراط الساعة : «وتقيءُ الأرض أفلاذ كبدها»، أي كنوزها وأموالها («لسان العرب» مادة «فلذ»).

(7) إبدار الطلب : المراد: ازدهار طلبه للعلم. شبه الطلب بالقمر عندما يكتمل نوره ويصبح بدرا.

ووجه التهاني يشرق ويلمع، حتى نظم الجزع ثاقبه[8]، وأبصر الجمل طالبه[9]، وتفتح للراغب بابه، وتفجر للطالبين عبابه، وفي هذا المعنى قلت[10] : [الطويل]

ولما أنختها بذي الـــرمث واللـــوى   وجـاوزت أعــلام العقيـــق ورابيــا
نزلت بوادي الجزع والأيك ناعـــم   غضيض وصادفت الـنسيم اليمانيــا
فقلت أرى الوادي خصيبــا ومــاؤه   أرى الزهر والأعشاب يعلوه طافيا[11]
فقيــل سعـــاد أقبـــلت بين تِربها   فخاضته حتى صار بالنـــور حاليــا

فلم أزل أرعى للرشاد نجومهم، وأدخر للعاقبة علومهم، حتى تقهقر الزمان وذهب العلماء الأعيان، وانقرض الأكابر والأقران، ورحلوا عن الدروس إلى الرموس، وآل الأمر من بعد عمارتهم إلى الدروس[12]، فتعطلت مصادر الطلب وموارده، وأقوت[13] مجالسه ومعاهده، وأفلت أو كادت من معظم آفاق المغرب شمسه، وتطاول أمد الفترة[14] حتى أنسي أمسه ورمسه، وغير رسمه وبدل اسمه: [الطويل]

---

(8) الجزع : خرز فيه بياض وسواد. ويقال فلان ينظم الجزع بالليل لحدة بصره. أخذ المنارتي هذه العبارة «نظم الجزع ثاقبه» من الشاهد البلاغي :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههـــــم   دُجى الليل حتى نَظّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ
نجومُ سماء كلمــا انـــقض كوكب   بدا كوكب تأوي إليـــه كواكِبُــهْ

(انظر «الإيضاح» للقزويني، ج 1، ص. 110). والبيتان نسبهما ابن حجر العسقلاني في «الإصابة» (ج 1، ص. 381)، واليوسي في «المحاضرات» (ج 2، ص. 496)، وغيرهما لأبي الطمحان حنظلة بن الشرقي القيني، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. ونسبهما ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص. 365) للقيط بن زرارة، واعتبرهما من جيد شعره، وقال : «وبعض الرواة ينحل هذا الشعر أبا الطَّمَحَان القيني، وليس كذلك، وإنما هو للقيط».

(9) أبصر الجمل طالبه : يشير إلى ما أخرجه البخاري في «صحيحه» («كتاب الدعوات»، «باب التوبة»، ج 4، صص. 70–71) من قول النبي ﷺ : «لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده». وفي رواية : «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة». («صحيح البخاري»، ج 4، ص. 71).

(10) يوحي قوله : «وفي هذا المعنى قلت»، بأن هذه الأبيات من نظمه، وليس الأمر كذلك، بدليل قوله عندما أوردها في ص. 168: «وكثيرا ما كنت أتمثل في أثناء ذلك بقوله».

(11) في نسخة : صافيا.

(12) الدروس : الإنمحاء والزوال، يقال : درس الرسم بمعنى عفا، ومنه قول عمر بن عبد العزيز لأبي بكر بن حزم : «... فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء».

(13) أقوت : خلت وأقفرت.

(14) الفترة : المدة التي تفصل بين رسول ورسول، أي مدة انقطاع الوحي.

أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودهـــا   وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر[15]

فلزمت بعدهم زوايا الوحشة والخمول، أتأنس بتذكارهم وأستريح إلى الدمع الهمول[16].

وأنـــدب أطـــلال الوفـــاء بأعين   يذاب بهن لؤلـــؤ وعقيـــــق[17]

ورأيت أن أحيي آثارهم، وأخلد في صفحات الدهر مآثرهم، وأروي ما حصل لي من أسانيدهم، وأستتم بذلك مرغوب مقاصدهم، وأقيدها بعقال الكتابة خوف الدروس والنسيان، وأنشرها بحسب الإمكان، والموت أقرب من شراك نعل كل إنسان[18]، وليتعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المجلس والناد[19]، على مرور الأزمان، وقد ثاب[20] إليَّ بعد ما درجوا[21] عصابة من الإخوان، وصُبَابة[22] تبل شفاه المتعطشين في هذا الأوان، يحضرون معي الدروس التفسيرية والحديثية وغيرها بالجامع الكبير بالحضرة السوسية: تارودانت قاعدة السوس الأقصى أمنها الله من طوارق الحدثان[23]، وحماها من غصص الأيام ونزوات الزمان، فرأيت عليهم مخايل الخيرات وآثار القبول، والهمة الصادقة في الإفادة والإستفادة ممَّا هو عمدة الوصول، فرأيت أن أجيز لهم هذه الأسانيد قصدا لإحيائها، واستبلاغا في نصح الأمة بنشرها وإفشائها. وقد أعلم من نفسي أني لست من أهل هذا الشأن، لقصور باعي، ونبو طباعي، وقلة بضاعتي؛ لكن حملني عليه المقصد المذكور، الذي أرجو من الله أن يجعله من السعي المشكور، فاستخرت الله تعالى فأجزت لهم أن يَرْوُوا عني ما أثبت

إجازة التمارتي ما في هذا الباب من الأسانيد لمن حضر مجلسه يوم 28 رمضان عام 1036هـ

(15) سبق إيراد هذا البيت في ص. 68.

(16) الهمول : الكثير الفيضان والجري.

(17) هذا البيت من قصيدة التمارتي السابقة في ص. 192.

(18) الشِّرَاك : سَيْر النعل. أخذ التمارتي هذا المعنى من قول أبي بكر بن شعوب ــ وينسب للحكم النهشلي :

كل امـــرئ مصبـــح في أهلـــه   والموت أدنى من شِرَاك نعلـــه

وقد تمثل به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين أصابته حُمَّى المدينة بعد الهجرة (انظر «**مغني اللبيب**»، ص. 259 ــ مع الهامش 4 ــ؛ و«**سيرة ابن هشام**»، ج 2، ص. 220؛ و«**صحيح البخاري**»، ج 1، ص. 228؛ وج 2، ص. 232).

(19) أخذ التمارتي هذه السجعة من عنوان فهرس ابن غازي، وهو : «**التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد**». وتوجد منه نسخة بخط المؤلف في الخزانة الملكية بالرباط، تحت رقم 3444ز («**الحركة الفكرية**»، ج 1، ص. 22).

(20) ثاب : رجع.

(21) درجوا : ذهبوا وانقرضوا.

(22) الصُّبَابة : البقية من الماء واللبن.

(23) الحدثان : نُوب الدهر وأحداثه.

في هذا التقييد من مروياتهم بأسانيدها المقررة في الأصول، وكل ما لي من نثر ونظم ورسالة وتقييد ووصية وغير ذلك مما أرجو من الله أن يجعله من العمل المقبول، وكذلك أجزت ذلك لكل فاضل حضر مجلسي في هذا اليوم، وهو الثامن والعشرون من رمضان سنة ست وثلاثين وألف، ولولدي محمد وأحمد لحضورهما فيه على الإحاطة والشمول، رجاء نفعهم بها، وسيرهم على سيرة مذهبها، ورجوت من صلاحهم في حمل هذه الأمانة أن يَعوهَا. فرب مبلغ أوعى لها من سامع كما ثبت في صريح المنقول[24]، وأن ينشروها في عباد الله حتى يحصل النفع الذي هو المقصد المأمول، إذ هذا العلم عمدة الدين وطريق السلف الصالح المحمول، وأن يذكروني بالدعاء بالتوبة والمغفرة والثبات على السنة والنجاة من النار، وأن يعصمنا سبحانه من فتنة المحيا والممات حتى نلقاه في دار القرار.

وأوصيهم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وبالصدق والوفاء، والحلم والصبر والسخاء، والرفق والتؤدة والتواضع ورحمة العباد وتعظيم شعائر الدين، وأحذرهم ونفسي من مغصية الله والأخلاق الذميمة من الكبر والعجب والرياء والحسد والبخل والطمع والإنكباب على الدنيا وحبها والسخرية بعباد الله، والتهاون بدين الله وبكتاب الله وبحديث رسوله ﷺ وسنته، وترك الإنصاف، وغَمْص الخلق[25] وبَطر الحق[26]، وكل ما لا يرضاه ربنا تعالى، ونسأله سبحانه أن يجعلنا وإياهم من أهل المقام الأسنى، وأن يختم لنا ولهم ولجميع الأحبة بالسعادة والحسنى. إنه الولي المنعم الجواد الكريم.

قصيدة كتبها التمنارتي لبعض شيوخه مرجعه من رحلة علمية

وقد رأيت أن أثبت هنا الأبيات التي كتبت بها لبعض مشايخي مرجعه من رحلته حاملا عن بعض مشايخه لإشعارها بهذا المقصد ومناسبتها له، وهي[27]:

[الطويل]

ألا خبراني عن رُبى وطـن القـلب ... وحدث عن أغوار الصبابـة والحب

ورددني أوصاف المنـازل باللـوى ... وذكر نسيم جوهـا البـارد الـرطب

وعلـل فؤادي مرة بعـد مرة ... بما قد رويت من حلى خبرها العذب

---

(24) انظر : ص. 197، هامش 2.

(25) غَمْص الخلق : احتقارهم وعيبهم، والتهاون بحقهم. والغَمْط كالغَمْص.

(26) بَطَر الحق : أن يتكبر الإنسان عن الحق، فلا يقبله. وفي الحديث : «الكبر بَطَرُ الحق وغَمط الناس» (رواه مسلم)، وفي رواية : «... ولكن الكبر مَن بَطَرَ الحَقَّ وغَمَص الناس» (رواه الترمذي) (انظر «تحفة الأحوذي»، ج 3، ص. 145).

(27) قارن هذه القصيدة بالقصيدة الواردة في صص. 427–430. فبينهما تشابه كبير.

وأسقط علينا من رذاذ هوائها ... بما قد مرحت في حدائقها الغلب
بلاد إذا ما الزُّوْرُ[28] قص حديثها ... يفيق لها المكروب من غشية الكرب
وحسبي من ليلاها أني أحبها ... وأني منها في الخيال على قرب
إذا ذكرت نيطت بقلبي راحة ... وإن وصفت أهدت هدوءا إلى قلبي
فلو أن نفسي ساعدتني قرنتها ... بركبك يوم قمت مستنهض الركب
ولكنها من رِبْقة[29] الذنب عجزها ... فيا ضيعة الأعمار في ربقة الذنب
وما زال يدعو الوجد مني صبابة ... إليكم وأرجو منها مجتمع السلب
تقاسم بال أورثت كل جفوة ... وفي الدهر ما يَزوي[30] الوئام عن الصب
كأني بها في معترك الحرب تارة ... أفر وحورا أرتمي في لظى الحرب
فإن لم يكن سِوَى التلاقي الذي مضى ... ففي المَصِّ ما يغني اللبيب عن العب
وإن علني[31] الوصل الذي كنت آملا ... فذاك شهود لم أخف بعد من غيب
على أن قلبي عندكم مستراده[32] ... وجسمي لديَّ في أُوَامِ[33] من اللوب[34]
زجرت بكم بُرء الهموم لعلني ... أُلِمُّ بدار الوصل يوما على الرحب
وأشكو إليكم ما بِيَ البعد صانع ... إذا جمعتنا عندكم زورة الغِب[35]
وأنصب حالي بين ضم وكسرة ... وقد قيل إنَّ الفتح من أثر النصب
لعلي إذا ما نلت منكمُ دعوة ... تؤمن من زيغ ومن لمَّة[36] السلب

(28) الزُّوْرُ : الزائر، يطلق على المفرد والجمع، والمذكر والمؤنث.

(29) الرِّبْقَةُ: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها. وفي نسخة: رفقة. وفي هذا البيت والذي قبله تأثر بقول الشاطبي في «حرز الاماني ووجه التهاني»:

ولو أن عيناً ساعدت لتوكفت ... سحائبها بالدمع ديما وهطلا
ولكنها عن قسوة القلب قحطها ... في ضيعة الأعمار تمسي سبلا

(سراج القارىء المبتدي وتذكار المقرىء المنتهي لابن القاصح).

(30) يزوي: يُنَحِّي. (31) علني: سقاني ثانية. (32) مستراده: المكان الذي يرتعي فيه. (33) أوَام: عطش، أو حره.

(34) اللوب : العطش، أو استدارة الحائم حول الماء وهو عطشان ولا يصل إليه.

(35) الغِبّ : عكس الإكباب، زورة الغب : التي تأتي على فترات متباعدة، ومنه المثل : «زر غِبّاً تزدد حبا». (انظر : «**مجمع الأمثال**» للميداني، ج 1، ص. 453)

(36) لمَّة السلب : المراد بها وسوسة الشيطان التي تفتن الإنسان، وتسلبه الخير. قال رسول الله ﷺ : «إن للشيطان لَمَّة بابن آدم، وللملك لَمَّة. فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله فليحمد الله؛ ومن وجد الأخرى، فليتعوذ بالله من الشيطان. ثم قرأ : ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء﴾ الآية. (رواه الترمذي وقال : «هذا حديث حسن غريب»، ورواه النسائي وابن حِبَّان في «**صحيحه**»، وابن أبي حاتم. انظر «**تحفة الأحوذي**»، ج 4، ص. 78؛ و«**تفسير ابن كثير**»، ج 1، ص. 321).

عليكم سلامي يغتدي كل بكرة ويهدي لكم من عطفه نسَق[37] الحب

سند الحديث المسلسل بالأولية[38]

جرت عادة أئمة الحديث رضوان الله عليهم أن يرووا هذا الحديث الشريف لطالب سند الحديث في أول ما يلقون إليه من الحديث الشريف النبوي ليكون هذا الحديث أول ما يطرق سمع الطالب عن شيخه، وهو مسلسل بالأولية إلى سيدنا سفيان بن عيينة[39] رضي الله عنه.

فأقول : حدثني به أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى الجزولي التامانارتي وشيخنا الإمام القدوة أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي[40] قدس الله روحه، والخطيب أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني[41] نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى، وهو أول حديث سمعته من الأولين ومن الثالث مطلقا.

قال الأول : حدثني به الفقيه الصالح سيدي محمد بن إبراهيم ابن الشيخ الفقيه الإمام العلامة أبي عبد الله سيدي مَحمد بن إبراهيم الجزولي التامانارتي، قال : حدثني شيخي الفقيه الإمام الراوية البحر الفهامة ولي الله أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد العزيز الجزولي الحامدي رحمه الله ورضي عنه، قال : حدثنا مولانا الإمام الملك الصالح العادل مولانا أبو العباس ابن مولانا الإمام القائم بأمر الله مولانا محمد بن عبد الرحمان الشريف الحسني قدس الله روحه، قال : حدثني السيد الفاضل سيدي سالم بن محمد، قال : حدثني قاضي القضاة وشيخ المشايخ بالديار المصرية أبو إسحاق إبراهيم بن علاء الدين القرشي القلقشندي بمنزله من حوش، قال : وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن

(37) النسَق : ما جاء من الكلام على نظام واحد. ومنه عطف النسق في النحو (انظر «**شرح الأشموني على ألفية ابن مالك بحاشية الصبان**»، ج 3، ص. 89).

(38) سبق إيراد سند الحديث المسلسل بالأولية، في صص. 92-94.

(39) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، سكن مكة، وتوفي سنة 198هـ («**تهذيب التهذيب**» لابن حجر العسقلاني، ج 4، صص. 117-122).

(40) سبقت ترجمته في ص. 157.

(41) سبقت ترجمته في ص. 137.

محمد القدسي[42] وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا أبو الفتح محمد بن محمد القدسي، وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا أبو سعيد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا والدي أبو صالح المؤذن وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد الزيادي وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا عبد الرحمان بن بشر[43] بن الحكم العبدي وهو أول حديث سمعته منه، قال : حدثنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص[44]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[45].

وحدثني أيضا بهذا الحديث الكريم عن شيخه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المذكور عن شيخه أبي زيد عبد الرحمان بن علي المذكور، قال : حدثني به أبو علي منصور بن أحمد بن إبراهيم بن حرزوز رضي الله عنه، عن سراج الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن علي بن سليمان الراشدي نسبا الجزائري مسكنا التونسي موطنا عن الولي العارف بالله أبي إسحاق سيدي إبراهيم بن محمد اللنتي التازي[46] وهو أول حديث قرأته بلفظي عليه، قال سيدي إبراهيم التازي : قرأت على أبي الفتح محمد بن أبي بكر بن حسين العثماني، وهو أول حديث قرأته بلفظي عليه، قال : سمعت من

---

(42) في ص. 93 : المقدسي.

(43) في ص. 93 : بشير – بدل بشر – (انظر ص. 94، هامش 113).

(44) في النسخ المعتمدة : العاصي. والصواب : العاص (انظر ص. 94، هامش 115).

(45) انظر درجة هذا الحديث في ص. 94، هامش 117. قال الكتاني (في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، ص. 94) : «وقد أفرد هذا الحديث بالتاليف لأهميته جماعة من المحدثين كابن الصلاح... ومنصور بن سليم الرازي، وأبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي، والحافظ السلفي، والذهبي... والتقي السبكي، وابن ناصر الدمشقي، والسراج ابن الملقن، والحافظ العراقي، وولده أبي زرعة، وأبي الفتح اللخمي... والحافظ ابن الأبار التونسي... وأبي البقاء خالد البلوي... والحافظ مرتضى الزبيدي... والشمس الجوهري المصري... والشيخ عطا المكي، وغيرهم».

(46) انظر ترجمته في ص. 75، هامش 19.

لفظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي وهو أول حديث سمعته منه مطلقا إن شاء الله تعالى، قال : حدثنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم البكر الميدومي[47]، وهو أول حديث سمعته من لفظه، قال : حدثنا عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني، وهو أول حديث سمعته من لفظه، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو سعيد إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن من لفظه وكتابه، وهو أول حديث سمعناه منه، أخبرنا والدي أبو صالح أحمد بن عبد الملك وهو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد الزيادي[48]، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار[49]، وهو أول حديث سمعناه منه، حدثنا عبد الرحمان ابن بشر بن الحكم، وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته من سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبد الله ابن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[50].

وقال الثاني : حدثني به الشيخ الصالح المحدث الرحال المسند المعمر الصوفي أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدافَالْ الدرعي، قال: حدثني به الإمامان العالمان العاملان سيدي بركة ابن الإمام العالم الشهير محمد بن عبد الرحمان الحطاب، وابن أخيه سيدي يحيى الحطاب[51] بمكة المشرفة بالمسجد الحرام بها، وهما عن الإمام العالم

---

(47) اسم الميدومي في النسخ المعتمدة : محمد بن محمد بن إبراهيم. وهو كذلك عند الكتاني (في «**فهرس الفهارس**»، ج 2، ص. 647). وأورده في الجزء الأول (صص. 90–91، 93) هكذا : محمد بن إبراهيم وهو صدر الدين المصري المسند المعمر، ولد سنة 664هـ، وتوفي سنة 756هـ (انظر ترجمته في «**الدرر الكامنة**»، ج 4، ص. 274؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 6، ص. 181).

(48) انظر ترجمته في ص. 93، هامش 111.

(49) في «**سد الأرب**»، ص. 176: «هكذا الرواية المشهورة، وفي رواية لبعض المحدثين : البزاز بزايين معجمتين، والأول أشهر.

(50) سقط في متن الحديث هنا : «تبارك وتعالى»، وثبت في ص. 94 (انظر ص. 94، هامش 116).

(51) هو الفقيه المحدث الراوية أبو زكرياء يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب المتوفى سنة 995هـ. له تآليف في الفقه والمناسك والحساب والعروض وغيرها (انظر ترجمته في «**درة الحجال**»، ج 3، ص. 341؛ و«**نيل الإبتهاج**»، ص. 360؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ج 1، ص. 279).

العامل والد سيدي بركة[52] وجد سيدي يحيى، وهو سيدي محمد بن عبد الرحمان الحطاب الكبير[53]، وسيدي يحيى عن والده سيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمان، وهو أيضا عن والده سيدي محمد قال سيدي يحيى : حدثني به الوالد محمد ابن محمد الحطاب[54]، وهو أول حديث مسلسل سمعته منه، قال : حدثني به جمع من المشايخ منهم سيدي والدي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الحطاب المالكي، وهو أول حديث مسلسل سمعته منه، قال : أخبرني به العلامة المحدث أبو عبد الله محمد ابن الشيخ العلامة ناصر الدين المراغي، قال سيدي يحيى : قال الوالد : وسمعته عاليا بدرجة من الشيخ العلامة أبي الفضائل عبد الحق السنباطي[55]، والخطيب البليغ الأمير أحمد محب الدين النوري، وعن المعمر الأصيل أقضى القضاة شرف الدين ابن القاسم الرافعي وهو أول حديث سمعته من الأول والثالث مطلقا، وأول مسلسل من الثاني، قالوا ثلاثة منهم المراغي[56] أخبرنا به جمع من المشايخ سماعا وإجازة أعلاهم العز أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن الفرات[57]، وهو أول حديث رويناه عنه، قال : أخبرنا به أبو عبد الله البياني[58] وأم محمد بنت النجار، وهو أول حديث رويناه عنهما، قالا : أخبرنا به رُحْلة[59] الدنيا فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن النجار وهو أول حديث حضراه عليه أو حضره أولهما وروته عنه ثانيتهما، قال : أخبرنا به أبو الفرج عبد الرحمان بن محمد بن علي بن الجوزي البكري إلى آخر السند المتقدم.

---

(52) في النسخ المعتمدة هنا : بركة. وفي ص. 98 : بركات. وهو الاسم الوارد في «**نيل الإبتهاج**» (انظر ص. 98، هامش 132).

(53) انظر ترجمته : في ص. 98، هامش 133.

(54) هو العلامة الحافظ المحقق المتوفى سنة 954هـ (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**»، صص. 337، 338؛ و«**درة الحجال**»، ج 2، ص. 188؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 270؛ و«**معجم المؤلفين**»، ج 11، ص. 230).

(55) انظر ترجمته في ص. 62، هامش 7.

(56) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ المعتمدة.

(57) هو قاضي القضاة، ومسند الديار المصرية. له مصنفات عديدة، ورحل إليه الناس لعلو سنده. وتوفي سنة 851هـ (انظر «**قطف الثمر**»، ص. 27، هامش 1).

(58) في نسخة : البياضي.

(59) رُحْلة الدنيا : يقصده الناس، ويرحلون إليه من كل الأقطار، لأخذ الحديث عنه، لأن الرُّحْلة ـ بضم الراء وسكون الحاء ـ هي الوجهة التي يقصدها الراحل.

وأرويه بطريق الوجادة[60] عن شيخنا الإمام العالم العلامة الخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد التلمساني[61] ــ رحمه الله ــ عن أبي العباس أدافال بسنده المذكور.

وأخبرني به أيضا شيخنا أبو زكرياء المذكور[62] عن الإمام المحدث أبي العباس أحمد بن أحمد بن أحمد الصنهاجي السوداني[63] إجازة، قال : أخبرني به قطب الدين محمد بن أحمد بن قاضي خان بن محمد بن يعقوب بن حسين بن علي النهروالي[64] المكي الحنفي إجازة من مكة شرفها الله.

قال : حدثني به زين الدين أبو الفضائل عبد الحق السنباطي[65] المصري الشافعي، قال : وهو أول حديث سمعته من لفظه بالمسجد الشريف المكي لما قدم إلى مكة ليموت[66] بها أحد شهور سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة، وتوفي بها مستهل رمضان من السنة المذكورة، قال : أخبرني به جمع من المشايخ الأجلاء، منهم الرحلة زين الدين أبو الفهم عبد الرحمان ابن الشيخ صلاح الدين خليل بن مسلمة القابوني الدمشقي، والمسند زين الدين أبو الطيب شعبان محمد بن محمد بن حجر الكناني، والسيدة الأصيلة أم محمد زينب بنت الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، والرئيسة الجليلة أم الكرام أنس بنت القاضي كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز اللخمي المصري زوجة شيخ الإسلام قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، والرحلة المكين زين الدين أبو محمد عبد الرحمان بن محمد بن حسن القابوس، والمكين المجيد شرف الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن علي بن صلاح الدين الحريري الحنفي، قال : أخبرني به العلامة الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن حسين[67] العراقي سماعا، وهو أول حديث سمعناه منه، قال : حدثنا به

---

(60) الوِجَادة : «هي أن يجد بخط يعرف كاتبه، فيقول : وجدت بخط فلان». («شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر العسقلاني، ص. 36). وسيأتي تعريف التمارتي للوِجَادة في ص. 340.

(61) هو ابن الوقاد الذي سبقت ترجمته في ص. 85 فما بعد.

(62) هو الأمير يحيى الحاحي الذي سبق التعريف به في ص. 157.

(63) هو أحمد بابا التنبكتي الذي تقدمت ترجمته في ص. 133.

(64) انظر ص. 62، هامش 6.

(65) انظر ص. 62، هامش 7.

(66) في «النور السافر» للعيدروس، ص. 150 : «رحل إلى مكة بأهله ليموت بأحد الحرمين».

(67) كتب «حسين» هنا دون «ال»، وكتب آنفا (ص. 205) «الحسين» ــ مع «ال» ــ.

الصدر أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي إلى آخر السند المتقدم. وقال الثالث : حدثني به الشيخ المفيد المشارك المحدث الرحال إمام الدين ابن الشيخ الإمام وأحد العلماء الأعلام أبي عبد الله محمد بن يوسف بن قاسم البطائحي الخليلي الشافعي[68]، قال : حدثني به شيخنا الإمام العالم العلامة الصدر عالم دمشق الشام ومفتيه أبو البركات الحسن بن رضى الدين الغزي ثم الدمشقي[69]، قال : وقد أملى علي بمنزله الملاصق للجامع المعظم الأموي بدمشق الحديث المسلسل بالأولية : «الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وروى عن شيخي شيخ الإسلام القاضي زكرياء الأنصاري المصري[70] عن شيخ الإسلام قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني[71] بأسانيده المذكورة في أول «**فتح الباري على البخاري**»[72].

سند حديث الضيافة[73]

أضافني شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الجزولي التامانارتي تمرا وماء، قال : أضافني شيخي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مَحمد بن إبراهيم التامنارتي تمراً وماءً، قال : أضافني شيخي أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد العزيز الحامدي تمرا وماء، قال : أضافني شيخنا أبو علي منصور بن أحمد بن إبراهيم بن حرزوز تمرا وماء، قال : أضافني شيخي سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سليمان الراشدي تمرا وماء، قال : أضافني شيخي الشيخ العارف بالله

---

(68) انظر ترجمته في ص. 138.

(69) قال الخليلي : «قرأت عليه مواضع من «**الجامع الصحيح**» بعد أن أسمعني من لفظه الحديث المسلسل بالأولية (مجلة «**المناهل**» العدد 35، السنة 13، ربيع الثاني 1407هـ/دجنبر 1986م، ص. 257).

(70) هو قاضي القضاة أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الخزرجي الشافعي المتوفى سنة 925هـ (انظر بعض مصادر ترجمته في «**قطف الثمر**»، ص. 29، هامش 4).

(71) هو أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني المصري الشافعي، انتهت إليه الرئاسة في علم الحديث. وخلف مؤلفات قيمة كثيرة، أشهرها «**فتح الباري في شرح صحيح البخاري**»، وتوفي سنة 852هـ. ترجم له أكثر من واحد، وخصه السخاوي بكتاب «**الجواهر والدرر من ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**»، وله ترجمة مفصلة في كتاب «**ابن حجر وكتابه الإصابة**» للدكتور شاكر عبد المنعم.

(72) انظر أسانيده في «**فتح الباري**»، ج 1، صص. 5–7.

(73) سبق إيراد هذا السند في صص. 83–85.

سيدي إبراهيم بن محمد التازي رضي الله عنه تمرا وماء، قال : أضافني الشيخ محمد ابن أبي بكر بن الحسين المراغي المدني بمنزله بالمدينة المشرفة تمرا وماء، وقَرَأنا[74] عليه أخبرنا نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي اليمني بقراءتي عليه بتَعِزَّ قال : أخبرني والدي عن تقي الدين عمر بن علي الشعبي، قال : أضافنا شيخنا فخر الدين الطبري على الأسودين التمر والماء، قال : أضافنا فخر الدين محمد بن إبراهيم الجبرتي الفارسي على الأسودين التمر والماء، قال : أضافنا أبو جعفر[75] محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم الصوفي على الأسودين التمر والماء، قال : أضافنا أبو الحسن علي بن الحسن[76] الواعظ على الأسودين : التمر والماء، قال : أضافنا أبو شيبة أحمد بن أحمد ابن إبراهيم العطار المخزومي على الأسودين : التمر والماء، قال : أضافنا جعفر بن محمد ابن عاصم الدمشقي على الأسودين : التمر والماء، قال : أضافنا نوفل بن إهاب على الأسودين : التمر والماء، قال : أضافنا عبد الله بن ميمون القداح على الأسودين : التمر والماء، قال : أضافنا جعفر بن محمد الصادق على الأسودين : التمر والماء، قال : أضافنا أبي[77] محمد بن علي الباقرعلى الأسودين : التمر والماء، قال : أضافنا أبي[77] علي بن الحسَين[78] بن علي على الأسودين : التمر والماء، قال : أضافنا علي[79] بن أبي طالب كرَّم الله وجهه على الأسودين : التمر والماء، قال : أضافني رسول الله ﷺ على الأسودين : التمر والماء ثم قال :

من أضاف مومنا فكأنما أضاف آدم، ومن أضاف مؤمنين فكأنما أضاف آدم وحواء، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائل وإسرافيل، ومن أضاف أربعة فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن أضاف خمسة فكأنما صلى الصلوات الخمس في الجماعة من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف ستة فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أضاف سبعة غلقت

---

(74) في ص. 84؛ وفي «اقتفاء الأثر»، ص. 171: وقرأ علينا.

(75) انظر ص. 84، هامش 63.

(76) في «اقتفاء الأثر»، ص. 171؛ و«فهرست» أحمد بن عبد العزيز الهلالي (ص. 65): علي بن الحسين.

(77) في النسخ المعتمدة هنا وفي ص. 84: أبوه، والسياق يقتضي «أبي». (انظر ص. 84، هامش 64).

(78) في النسخ المعتمدة هنا وفي ص. 84: علي بن الحسن بن علي. والصواب : علي بن الحسين (انظر ص. 85، هامش 65).

(79) توجد واسطة بين علي بن الحسين بن علي، وعلي بن أبي طالب، وهي الحسين بن علي. (انظر ص. 85، هامش 66).

عنه أبواب جهنم السبعة، ومن أضاف ثمانية فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن أضاف تسعة كتب الله له حسنات بعدد من عصاه من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف عشرة كتب الله له أجر من صلى وصام وحج واعتمر إلى يوم القيامة[80].

سند المصافحة والمشابكة

حدثني وصافحني وشابكني الفقيه الصالح المعمر سيدي محمد بن عبد الله ابن محمد الجزولي التامانارتي، قال : حدثني وصافحني الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم بن مَحمد بن إبراهيم الجزولي التامانارتي، قال : حدثني وصافحني شيخي الفقيه الإمام الراوية البحر الفهامة ولي الله تعالى أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن علي ابن محمد بن عبد العزيز الجزولي الحامدي رضي الله عنه، قال : حدثني وصافحني الفقيه أبو علي منصور بن أحمد بن إبراهيم بن حرزوز المكناسي رضي الله عنه، قال : حدثني وصافحني سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن سليمان الراشدي، قال : حدثني وصافحني الشيخ العارف سيدي إبراهيم بن محمد اللَّنْتِي التازي[81] رضي الله عنه، قال : حدثني وصافحني شيخي سيدي صالح الزواوي، قال : حدثني وصافحني الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفاسي[82] نزيل الإسكندرية، قال : حدثني والدي عبد الرحمن، وعاش من العمر مائة وأربعين سنة، وصافحني، قال : حدثني وصافحني أحمد بن عبد الغفار بن نوح القوصي، قال : حدثني وصافحني أبو العباس الملثم، قال : حدثني وصافحني المعمر[83]،

---

(80) انظر درجة هذا الحديث في ص. 85، هامش 68.

(81) هنا يلتقي سند التمنارتي بسند أبي سالم العياشي (انظر «**اقتفاء الأثر**»، ص. 166).

(82) قال عبد الحفيظ الفاسي في «**الآيات البينات**»، ص. 199 : «وفي السند رواية صالح الزواوي عن محمد ابن عبد الرحمان الفاسي الإسكندري، وكذلك هو في كافة الفهارس التي وقفنا عليها، وهو غلط. وصوابه : المكناسي، بدل الفاسي كما هو مصرح به في «**لسان الميزان**» و«**الإصابة**» للحافظ ابن حجر، وهو أعرف به لأنه تلميذه بالإجازة مكاتبة».

(83) أنكر أهل الحديث المعمر هذا – وهو في أكثر الفهارس بفتح الميم الأولى، وتخفيف الثانية، وفي بعضها بضم الميم الأولى، وتشديد الثانية – قال السخاوي : «هو رجل مغربي ظهر قريب القرن السادس وزعم أنه صحابي رأى النبي ﷺ وحادثه وأنه عمر كذا وكذا، وهو باطل، ومعمر لا وجود له، والأكثر من الأئمة الحفاظ بالغوا في تكذيبه، والرد عليه، وأكثروا من التنبيه على ذلك في كتبهم، خشية أن يغتر به أحد من القاصرين» (انظر «**الآيات البينات**»، ص. 197، وقارن ما فيه بما كتبه الكتاني في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، صص. 329–332).

قال : حدثني وصافحني رسول الله ﷺ وقال : «من صافحني أو صافح من صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة»[84].

ثم قال الشريف سيدي عبد الرحمٰن المذكور : وصافحني أيضا عبد الرحمٰن الحطاب التونسي، وهو صافح الصقلي، وهو صافح المعمر، وهو صافح رسول الله ﷺ.

ثم قال التازي : وصافحني أيضا شيخي سيدي عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي الفاسي، وحدث بها عن شيخه محمد بن جابر الغساني، عن أبي عبد الله محمد بن علي المراكشي المعروف بابن عليوات، عن أبي عبد الله الصدفي، عن أبي العباس بن البناء، عن أبي عبد الله الهزميري، عن أبي العباس الخضر عن رسول الله ﷺ.

ثم قال التازي أيضا : وشابكني شيخي الزواوي المذكور كما شابكه شيخه عز الدّين بن جماعة، وهو شَابَكَ محمد الشريف، وهو شابك سعد الدين التبريزي، وهو شابك محمود الزعفراني[85]، وهو شابك أبا بكر الرادي[86] وناصر الدين علي بن أبي بكر بن ذي النون اللوطي[87]، وهما شابكا محمد بن إسحاق الغوني[88]، وهو شابك محيي الدين بن العربي، وهو شابك أحمد بن مسعود بن سنداد المقري الموصلي، وهو

(84) جرت العادة بذكر هذا المسلسل على سبيل التبرك والتفنن، لا بقصد الإحتجاج. وفي فتاوي السيوطي أنه سئل عن حديث معمر ولقياه للنبي ﷺ وآله يوم الخندق، فأجاب بأن معمر كذاب دَجّال، وأن حديثه باطل لا تحل روايته ولا التحدث به، إلخ. («**الآيات البينات**»، ص. 195، 198).

(85) في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 167 : وهو شابك عز الدين بن جماعة، وهو شابك الشيخ محمد شيرز، وهو شابك سعد الدين الزعفراني وهو شابك أبا بكر اليواسي؛ وفي «**فهرست**» الهلالي، ص. 70 : عن عز الدين بن جماعة، عن الشيخ محمد بشير، عن سعد الدين الزعفراني، عن والده محمود الزعفراني. وفي «**الآيات البينات**»، ص. 223 : عن عز الدين بن جماعة عن محمد الأسدي.

(86) في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 167 : أبا بكر السواسي؛ وفي «**فهرست**» الهلالي، ص. 70 : عن أبي بكر السنداسي. وفي «**الآيات البينات**»، ص. 223 : عن أبي بكر السيوطي.

(87) في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 168؛ و«**فهرست**» الهلالي، ص. 70؛ و«**الآيات البينات**»، ص. 223 : الملطي.

(88) في «**اقتفاء الأثر**»، ص.168؛ و«**فهرست**» الهلالي، ص.70؛ و«**الآيات البينات**»، ص.223 : القونوي.

شابك علي بن محمد الحائك الناهاري[89] وهو شابك أبا الحسن الباغوزاوي[90]. قال الباغوزاوي : رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فشبك أصابعه بأصابعي[91] وقال : يا علي! شابكني، فمن شابكني دخل الجنة، ومن شابك من شابكني إلى يوم القيامة دخل الجنة، ثم استيقظت وأصابعي في أصابع رسول الله ﷺ[92]. انتهى السند.

ثم أقول : فبيني وبين رسول الله ﷺ بسند المصافحة بكلا طريقيه اثنا عشر رجلا، عيني ثالثة عشرة عينا رأت من رأى رسول الله ﷺ، والحمد لله على هذا السند العالي القريب من رسول الله ﷺ، وهو من أعظم الغنيمة في هذا الزمان البعيد عن رسول الله ﷺ، وهو فوق الثلاثين بعد الألف. وقد عد قطب الدين النهروالي المكي اثني عشر رجلا من السند العالي القريب جدا من رسول الله ﷺ، وهو بعد الثمانين من العاشرة. وعد الحافظ ابن الجوزي قبله بنحو المائة والخمسين سنة السند العاشري سندا عاليا افتخر به على أهل عصره، فكيف لا يفتخر بالقرب من رسول الله ﷺ بهذا السند العالي فيما بعد الألف ونيف وثلاثين سنة؟

وأروي المصافحة بطريق آخر، وهو : صافحني سيدنا ومولانا الإمام المقدس أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي المناني قدس الله روحه وأسكنه من الجنان بحبوحة[93]، قال : صافحني الولي الصالح المحدث الرحال أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن أحمد أدافال السوساني ثم الدرعي، قال : صافحني أستاذي مولانا محمد ابن مولانا أبي الحسن البكري الصديقي القطب ابن القطب،

---

(89) في «اقتفاء الأثر»، ص. 168؛ و«فهرست» الهلالي، ص. 70؛ و«الآيات البينات»، ص. 223 : الباهري.

(90) في «الآيات البينات»، ص. 223 : الباغوزاري. (انظر أيضا «اقتفاء الأثر»، ص. 168 مع هامش 14).

(91) في «فهرست» الهلالي، ص. 70 : في أصابعي.

(92) في «اقتفاء الأثر»، ص. 168؛ و«الآيات البينات»، ص. 223 ورد متن الحديث هكذا : «يا علي شابكني، فمن شابكني دخل الجنة، ومن شابك من شابكني دخل الجنة، وما زال يعد حتى وصل إلى سبعة». فاستيقظت وأصابعي في أصابع رسول الله ﷺ. وفي «فهرست» الهلالي، ص. 70 : زيادة : «ومن شابك من شابك من شابكني دخل الجنة». وفيما يخص قيمة هذا الحديث، قال عبد الحفيظ الفاسي في «الآيات البينات»، ص. 224 : «وهذه رؤيا منامية لا تحتاج إلى الكلام عليها لتقدم الكلام على الرؤيا النبوية مرتين، كما أننا لا نحتاج لتأويل ما ورد فيها أو شرحه، لكونه إنما قيل فيها مناما. وإنما روينا ذلك على سبيل التبرك، وجمعا للنظائر».

(93) بحبوحة المكان : وسطه.

وهو ـ رضي الله عنه ـ صافحه والده، وهو صافحه شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري المصري، قال شيخ الإسلام : صافحني الحافظ المفيد الزين رضوان المستملي[94] رحمه الله، قال : صافحني الشريف أبو الطاهر الربعي، قال : صافحني أبو إسحاق القطبي وأنا في الرابعة، وقال : صافحني النجيب أبو عبد الله الجوني، وقال : صافحني أبو المجد القزويني، وقال : صافحني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي زرعة، وقال : صافحني أبو محمد عبد الملك بن محمد بن يحيى بن عبد الكريم البغوي، وقال · صافحني أبو القاسم عبد الله[95] بن حميد بن عبدان المنيحي بحلب وقال : صافحني خلف بن تميم، وقال : دخلنا على ابن هرمز[96] نعوده فصافحني وقال : دخلنا على أنس بن مالك[97] نعوده فصافحنا، وقال : صافحت بكفي هذه كف رسول الله ﷺ، فما مسست خزا ولا حريرا ألين من كف رسول الله ﷺ[98].

وروى سيدي أحمد أدافال المذكور مصافحة المعمر المذكورة أولا بثلاث طرقها[99] عن عبد الله بن محمد الوردي المراكشي، قال : صافحني الشيخ المبارك المذكور أعلاه بمقتضى مصافحته لأبي الحسن الغماطي الطرابلسي، وهو صافح أبا حفص عمر بن علي الجزائري، وهو صافح شيخه سيدي إبراهيم التازي، إلى آخر الأسانيد المتقدمة.

ويروي هذه المصافحة أيضا والمشابكة عن الشيخ ابن غازي، لكن بثلاث وسائط، أعني المصافحة المستندة إلى الخضر عليه السلام. والحمد لله وكفى.

---

(94) هو زين الدين رضوان بن محمد المستملي الشافعي المصري المتوفى سنة 852هـ. (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 7، ص. 275).

(95) في ص. 415 : عبد بن حميد بن عبدان المتيحي.

(96) في الأصل : أبي هريرة، وهو خطأ. والتصويب من «**فهرست**» الهلالي، ص. 68؛ و«**الآيات البينات**»، ص. 188.

(97) انظر ترجمته في ص. 260، هامش 358.

(98) قال عبد الحفيظ الفاسي في «**الآيات البينات**»، صص. 189-190، بعد إيراد هذا الحديث عن طريق ثابت البناني عن أنس بن مالك (ض) : «وقد أخرجه من هذا الطريق ابن عساكر أيضا والخطيب البغدادي في تاريخهما، وحيث ثبت وروده مسلسلا من غير طريق ابن هرمز بمتابعة ثابت البناني له في روايته وتسلسله فقد خرج من عهدته، وانجبر صدعه، وارتفع الوها عنه، لا سيما والمتن صحيح، فقد أخرجه أحمد والشيخان والترمذي كلهم من حديث أنس، ومعناه ظاهر، وله شواهد...»، إلخ.

(99) هكذا في النسخ المعتمدة، والمراد : بطرقها الثلاث.

سند الطريقة الصوفية ولبس الخرقة[100] والتلقين والتربية والإرشاد

أخذت الطريقة وألبسني من شيخنا الإمام القدوة العالم الصوفي أبي زكرياء، يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم رضي الله عنه ونفعنا به، وأخذها هو من شيخه الولي الصالح الصوفي أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدافال الدرعي، وأخذها من شيخه الأستاذ الكبير زين العابدين محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن البكري الصديقي، عن والده القطب أبي الحسن محمد بن عبد الرحمٰن المذكور، وهو عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري المصري، وهو عن أبي عبد الله محمد بن عمر الواسطي الأصل المغري بالغين المعجمة، وهو عن الشيخ العارف الكامل سيدي أحمد الزاهد، وهو أخذ عن الشهاب الدمشقي، وهو عن عبد الرحمٰن الشرقي، وهو عن أحمد الدردياي، وهو عن علي الشهير بلالا، وهو عن المجد البغدادي، وهو عن العارف النجم أحمد بن عمر المعروف بالكبرى على وزن فعلى، عن عثمان، عن الضياء، عن النجيب، عن الباهر الشهير بالسهروردي، عن القطب الأعظم سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، عن الشيخ أبي سعيد بن المبارك بن علي المخزومي، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي الهكاري[101]، وهو عن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمان بن عبد الله الطرطوشي، وهو عن الشيخ عبد الواحد ابن عبد العزيز التميمي، وهو عن والده عبد العزيز، وهو عن أبي بكر بن حجر الشبلي[102]، وهو عن أبي القاسم الجنيد بن محمد الزجاجي القواريري[103]، وهو عن سري السقطي، عن معروف الكرخي، وهو عن علي الرضا، وهو عن والده موسى الكاظم، وهو عن والده جعفر الصادق، وهو عن والده محمد الباقر، وهو عن والده زين العابدين علي بن الحسين، وهو عن والده الحسين، وهو عن والده أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو عن رسول الله ﷺ.

(100) قال الشيخ الأمير في «سد الأرب»، ص. 266 : «واعلم أن الخرقة وعلم الراية والحزام، ونحو ذلك، ليست هي المقصود الأصلي من الطريق، بل مدار أصل الطريق مجاهدة النفس وإلزامها بالشريعة والسنة المحمدية في الباطن والظاهر».

(101) نسبة إلى قبيلة من الأكراد تقطن شرق الموصل بالعراق (انظر «المعزي»، ص. 357، هامش 854).

(102) في ص. 219 : أبكر جحدر، وفي «المعزى»، ص. 357 : ألبسني أبو بكر دلف الشبلي، وفي «طبقات الصوفية»: أبو بكر دلف بن جحدر (انظر : ص. 183، هامش 683).

(103) في «المعزى»، ص. 357 : أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري البغدادي القبر والدار والمزار.

وأخذ أبو الحسن المذكور الطريقة أيضا عن الرضا الغزي[104] عن البرهان الأقفاعي[105] بسنده إلى أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وعن الشيخ سعيد العزفي عن شيخه المواق بسنده إلى أبي الحسن الشاذلي.

وسند أبي الحسن رضي الله عنه أخذ عن القطب الشريف سيدي عبد السلام بن مشيش[106]، وسيدي عبد السلام قيل: هو أول من تقطب من الشرفاء بالمغرب، وهو عن سيدي عبد الرحمان بن زيات المدني، وهو أخذ عن الشيخ تقي الدين الصوفي المعروف بالفقير مصغرا، وهو عن الشيخ فخر الدين، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي، وهو عن الشيخ تاج الدين محمد القزويني[107] وهو عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم البصري، وهو عن الشيخ أبي القاسم المرواني[108]، وهو عن الشيخ فتح السعود، وهو عن الشيخ سعيد الفروني[109]، وهو عن الشيخ أبي محمد جابر، وهو عن السيد السبط مولانا الحسن بن علي بن أبي طالب[110]، وهو عن أبيه علي رضى الله عنه، وهو عن رسول الله ﷺ.

وأخذ أيضا سيدي أحمد أدافال المذكور الطريقة عن الشيخ الصالح المجاور سيدي محمد بن عيسى التلمساني نزيل المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بين الروضة الشريفة والمنبر المنيف، وأخذ سيدي محمد بن عيسى طريقة التصوف بسائر طرقها عن شيخه ولي الله عبد الوهاب الهندي نزيل مكة شرفها الله وأجازه بإلباسها وبتلقين الذكر والمصافحة على الطريقة الشاذلية والقادرية والمدنية[111]

---

(104) في نسخة: القزي.

(105) في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 162: الأقباعي.

(106) هو أبو محمد عبد السلام بن سليمان بن أبي بكر المولود حوالي سنة 559هـ بجبل العلم في قبيلة بني عروس، والمتوفى سنة 622هـ، وهو صوفي مشهور من ذرية المولى إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل (انظر ترجمته في «**مناقب الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش**» لعبد الله بن محمد الوراق، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1484د من ص. 243 إلى ص. 253؛ و«**الأعلام**» للزركلي، ج 4، ص. 9؛ و«**سيدى عبد السلام بن مشيش**» للدكتور عبد الحليم محمود).

(107) في نسخة: الغزويني، وفي نسخة أخرى: الغرويني، وفي ص. 216 ثلاث وسائط بين تاج الدين محمد وبين أبي إسحاق إبراهيم البصري.

(108) في نسخة: المدواني.

(109) في نسخة: الفرواني.

(110) انظر ترجمة الحسن بن علي (ض) في «**الإصابة**»، ج 1، صص. 328–331؛ و«**الإستيعاب**»، ج 1، صص. 329–378.

(111) في نسخة: والمدينية.

والجشتية رضوان الله عليهم أجمعين، كما أخذ هو الطريقة بطرقها الأربعة[112] عن شيخه ولي الله سيدي علي التقي الهندي.

سند الطريقة الشاذلية

يقول الفقير إلى الله تعالى عبد الوهاب بن ولي الله : ألبست خرقة التصوف على طريقة الشاذلية الشيخ محمد بن عيسى المغربي، كما لبستها عن شيخي العارف بالله علي بن حسام الدين الشهير بالتقي، وهو لبس عن الشيخ محمد بن محمد السخاوي، وهو من رواية الأصاغر عن الأكابر، وهو عن الشيخ طاهر بن زيان الزواوي، وهو عن الشيخ أحمد بن موسى النبثيثي، وهو عن الشيخ شهاب الدين أحمد زروق، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي النبثيثي، وهو عن السيد فخر الدين أبي محمد صالح الزواوي، وهو عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن مخلص، الطيبي، وهو عن الشيخ علاء الدين مغلطاي، وهو عن السيد زين الدين أبي بكر المغربي والسيد أبي عبد الله محمد ابن السيد الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وهما عن القطب الغوث الفرد الجامع أبي الحسن علي بن عبد الجبار الشهير بالشاذلي، وهو عن سيدي عبد السلام بن مشيش، وهو عن سيدي عبد الرحمن بن زيات المدني، وهو عن الشيخ تقي الدين الصوفي المعروف بالفقير مصغرا، وهو عن الشيخ فخر الدين، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي، وهو عن الشيخ تاج الدين محمد، وهو عن الشيخ محمد[113]، وهو عن الشيخ شمس الدين محمد، وهو عن الشيخ زين الدين محمد القزويني[114]، وهو عن الشيخ أبي إسحق إبراهيم البصري، وهو عن الشيخ أبي القاسم المرواني، وهو عن الشيخ فتح السعود[115]، وهو عن الشيخ سعيد الفرواني[116]، وهو عن الشيخ أبي

---

(112) «الطريق» يذكر ويؤنث.

(113) هذه الواسطة، بين تاج الدين محمد والشيخ شمس الدين، ساقطة من «اقتفاء الأثر» (انظر ص. 147).

(114) لقبه هنا : زين الدين. ولقبه فيما سبق (ص. 215) تاج الدين.

(115) توجد في «اقتفاء الأثر» (ص. 147) واسطة بين أبي القاسم المرواني وفتح السعود، وهي : القطب سعيد.

(116) في «اقتفاء الأثر»، ص. 147 : الغزواني.

محمد جابر، وهو عن الشيخ الشهيد[117] الحسين[118] بن علي بن أبي طالب، وهو عن أبيه علي بن أبي طالب، وهو عن رسول الله ﷺ.

سند الطريقة المدنية

يقول الفقير إلى الله عبد الوهاب بن ولي الله : ألبست خرقة التصوف على الطريقة المدنية محمد بن عيسى المغربي[119] كما ألبسنيها شيخي العارف بالله علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي[120]، وهو لبس من الشيخ محمد بن محمد السخاوي، وهو عن الشيخ طاهر بن زيان الزواوي، وهو عن الشيخ أحمد بن موسى النَّبْثِيثي، وهو عن الشيخ شهاب الدين أحمد زروق، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي النبثيثي، وهو عن والده أبي حفص عمر بن علي النبثيثي وهو عن السيد مجد الدين أبي محمد صالح الزواوي، وهو عن الشيخين محمد بن محمد بن مخلص الطيبي، وأحمد بن أَيْدُمُر، وهما عن الشيخ شرف الدين بن العادلي[121] وهو عن الشيخ كمال الدين أبي عبد الله محمد ابن الحسن بن عبد الولي البكري الشافعي الفيومي، وهو عن الشيخ سيدي محمد بن الحسن بن أبي محمد عبد الرحيم الغناوي وهو عن والده السيد الحسن، وهو عن الشيخ عبد الرزاق الجزولي[122]، وهو عن الشيخ القطب الغوث الفرد أبي مدين شعيب[123]، وهو عن الشيخ أبي يعزى يلنور[124]، وهو عن الشيخ أبي شعيب أيوب

---

(117) في نسخة : الشهير.

(118) سبق في ص. 215 أن الشيخ أبا محمد جابر روى عن السيد السبط مولانا الحسن بن علي. وفي «اقتفاء الأثر»، ص. 147 : عن القطب جابر، عن أول الأقطاب الحسن بن علي بن أبي طالب.

(119) في نسخة : المقري. وفي نسخة : الغربي. وهو الشخص نفسه الذي سبق في بداية سند الطريقة الشاذلية.

(120) هكذا في النسخ المعتمدة، وسبق في سند الطريقة الشاذلية : «الشهير بالتقي».

(121) هكذا في النسخ المعتمدة. وفي سند الطريقة القادرية (انظر: ص. 219) : شرف الدين العادلي.

(122) هو تلميذ أبي مدين. استقر بالإسكندرية، وبها مات (انظر ترجمته في «التشوف»، صص. 327-330).

(123) هو أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري المعروف بالغوث. أصله من الأندلس، توفي عام 594هـ وقيل 588هـ. (انظر ترجمته في «التشوف»، صص. 319-326؛ و«المُعْزَى»، صص. 130-132. وفي أماكن أخرى. وأهم مصادر ترجمته مذكورة في «التشوف»، ص. 319، هامش 3).

(124) انظر ترجمته ومناقبه في كتاب «المعزى، في مناقب الشيخ أبي يعزى» لأحمد التادلي الصومعي، تحقيق الأستاذ علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1996م (من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير).

السارية بن سعيد الصنهاجي[125]، وهو عن الشيخ عبد الجليل[126]، وهو عن الشيخ أبي الفضل الجوهري[127] وهو عن والده أبي عبد الله الحسين الجوهري، وهو عن الشيخ أبي الحسن القوري[128] المعروف بابن البغوي رفيق الجنيد، وهو عن السري.

وأيضا لبس الشيخ أبو مدين، عن الإمام أبي بكر الطرطوشي، عن الشاشي، عن الشبلي، عن الجنيد، عن خاله سري السقطي، عن معروف الكرخي، عن داود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ[129].

سند الطريقة القادرية

يقول الفقير إلى الله عبد الوهاب بن ولي الله : ألبست خرقة التصوف على الطريقة القادرية الشيخ محمد بن عيسى المغربي، كما ألبسنيها شيخي العارف بالله علي

---

(125) وهو مولاي بوشعيب دفين أزمور، وعُرف بالسارية لأنه يطيل القيام في الصلاة. توفي سنة 561هـ وقيل سنة 570هـ (انظر ترجمته في «التشوف»، صص. 187-192؛ و«الإعلام»، ج 1، صص. 396-403).

(126) لعله أبو محمد عبد الجليل بن ويحْلَانْ الذي مات بأغمات عام 541هـ (انظر «التشوف»، صص. 146-150).

(127) هو أبو الفضل عبد الله بن حسن الجوهري المصري المتوفى منصرفه من الحج عام 480هـ (انظر «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني، ج 1، ص. 286).

(128) في «التشوف»، ص. 154، هامش 258 : أبي الحسين النوري المعروف بابن البغوي.

(129) في «المقاصد الحسنة» للسخاوي، ص. 331 : «حديث لبس الخرقة الصوفية، وكون الحسن البصري لبسها من علي. قال ابن دحية وابن الصلاح : إنه باطل، وكذا قال شيخنا [يعني ابن حجر العسقلاني] : إنه ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحداً من أصحابه، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى من ذلك صريحا فباطل. قال : ثم إن من الكذب المفترى قول من قال : إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة». وعلق عبد الله بن محمد بن الصديق على كلام السخاوي فقال : «بل ألبس [أي النبي ﷺ] عليا عمامة تسمى السحاب، وألبس أيضا عبد الرحمان بن عوف عمامة وأرخى لها عذبة» («المقاصد الحسنة»، ص. 311، هامش 1)، وقال : «بل ثبت سماعه [أي سماع الحسن من علي] في حديث ذكرناه في تعليقنا على الحديث الآتي : «مثل أمتي مثل المطر (المصدر نفسه، هامش 2). وقال السيوطي في «فتاويه» : «أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب وتمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به طريق لبس الخرقة، وأثبته جماعة وهو الراجح عندي لوجوه، وقد رجحه أيضا الحافظ ضياء الدين المقدسي في «المختارة»...» (انظر «الآيات البينات»، صص. 193-194).

ابن حسام الدين الشهير بالمتقي، وهو لبس من الشيخ محمد بن محمد بن محمد الطحاوي، وهو عن الشيخ طاهر بن زيان الزواوي، وهو عن الشيخ أحمد بن موسى النبيثي، وهو عن الشيخ شهاب الدين أحمد زروق، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي النبيثي، وهو عن والده أبي حفص عمر بن علي، وهو عن السيد مجد الدين أبي محمد صالح الزواوي، وهو عن الشيخ محمد بن محمد بن مخلص الطيبي والشيخ أحمد بن أيدمر، وهما عن الشيخ شرف الدين العادلي، وهو عن الشيخ جمال الدين أبي محمد يوسف بن محمد بن نصر الغربي، وهو عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، وهو عن الشيخ الإمام الفرد الغوث الجامع محيي الدين عبد القادر الجيلاني، وهو عن الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي الهكاري، وهو عن الشيخ أبي الفرج عبد الله(129م) بن عبد الله الطرطوشي، وهو عن الشيخ عبد الواحد ابن عبد العزيز التميمي، وهو عن الشيخ والده عبد العزيز، وهو عن أبي بكر جحدر الشبلي، وهو عن أبي القاسم الجنيد بن محمد الزجاجي القواريري، وهو عن سري السقطي، وهو عن معروف الكرخي، وهو عن علي الرضا، وهو عن والده موسى الكاظم، وهو عن جعفر الصادق، وهو عن محمد الباقر، وهو عن والده زين العابدين علي بن الحسين، وهو عن والده الحسين بن علي، وهو عن والده أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو عن رسول الله ﷺ وشرَّف وكرَّم.

سند الطريقة الجشتية

يقول العبد الفقير إلى الله عبد الوهاب بن ولي الله : ألبست خرقة التصوف على الطريقة الجشتية الشيخ محمد بن عيسى المغربي، كما ألبسنيها شيخي العارف بالله علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي، وهو عن الشيخ جابر، وهو عن الشيخ رحمة الله، وهو عن والده الشيخ عزين الله بن لطيف الدين المتوكل، وهو عن الشيخ ركن الدين الجشتي، وهو عن الشيخ بن أحمد الجشتي، وهو عن الشيخ محمد الجشتي، وهو عن الشيخ علي بن أحمد الجشتي(130)، وهو عن الشيخ أبي أحمد الجشتي، وهو عن الشيخ مودود الجشتي، وهو عن الشيخ أبي يوسف الجشتي، وهو عن الشيخ

(129م) في ص. 214 : عبد الرحمان بن عبد الله.

(130) في نسخة : وهو عن الشيخ ركن الدين الجشتي، وهو عن الشيخ علي بن أحمد الجشتي ـ دون ذكر الواسطتين الواقعتين بينهما ـ.

محمد بن أبي أحمد الجشتي، وهو عن الشيخ أبي محمد أبدّال فَرَسْقَافَهْ الجشتي، وهو عن الشيخ أبي إسحاق الشامي، وهو عن الشيخ حلو الدينوري، وهو عن الشيخ هبيرة البصري، وهو عن الشيخ حذيفة المرعشي، وهو عن الشيخ السلطان إبراهيم بن أدهم، وهو عن الفضيل بن عياض، وهو عن عبد الواحد بن زيد، وهو عن الحسن البصري، وهو عن أمير المومنين علي بن أبي طالب، وهو عن مولانا رسول الله ﷺ. انتهى.

والخرقة التي يلبسها هي طاقية أو قلنسوة أو ثوب أو عمامة، سواء كان الثوب لِلْمُلْبِس أو للابس ويكسوه الملبس أو نائبه قائلا : «بسم الله، كسوتك أو ألبستك خرقة التصوف». وإن صافحه بعد ذلك أو قبله، أو لقن الذكر بعد ذلك أو قبله، فحسن. انتهى من كلام ولي الله عبد الوهاب في الإجازة. والحمد لله.

سند أثر السبحة[131]

أخبرني الفقيه الصالح سيدي محمد بن عبد الله بن محمد الجزولي التامانارتي، قال : أخبرني الفقيه الصالح سيدي محمد بن إبراهيم ابن الشيخ الإمام أبي عبد الله مَحمد بن إبراهيم الجزولي التامانارتي، قال : أخبرني شيخي أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد العزيز الجزولي الحامدي، قال : أخبرني أبو علي منصور بن أحمد بن إبراهيم بن حرزوز المكناسي، قال : أخبرني سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سليمان الراشدي النسب الجزائري الدار وفي يده سبحة، قال : أخبرنا شيخنا سيدي إبراهيم التازي إجازة تلفظ لي بها، قال : أخبرني أبو الفتح العثماني إجازة تلفظ لي بها، قال : أخبرني أبو العباس أحمد بن أبي بكر الردادي ورأيت في يده سبحة، قال : أخبرني مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب البكري الصديقي ورأيت في يده سبحة، قال : أخبرني جمال الدين يوسف بن محمد الترمتذي[132] السُّرَّمَري[133] ورأيت في يده سبحة، قال : قرأت على تقي الدين بن أبي الثنا محمود بن علي ورأيت في يده سبحة، قال : أخبرني مجد الدين عبد الصمد

(131) سبق إيراد سند أثر السبحة في صص. 74-77.

(132) ورد هذا النسب هكذا في إحدى النسخ المعتمدة.

(133) نسبة إلى مدينة «سُرَّ مَن رَأى» (انظر ص. 75، هامش 23).

ابن أبي الجيش المقرئ، ورأيت في يده سبحة، قال : قرأت على أبي الفضل محمد بن ناصر ورأيت في يده سبحة، قال : قرأت على أبي محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي ورأيت في يده سبحة، قال : قلت له : سمعت أبا بكر محمد بن علي السملالي الحداد ورأيت في يده سبحة، قال : نعم رأيت أبا نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر ورأيت في يده سبحة، قال : رأيت أبا الحسن علي بن الحسن بن أبي القاسم الصوفي وفي يده سبحة، قال : سمعت أبا الحسن يقول : وقد رأيت المالكي في يده سبحة، فقلت : يا أستاذي وأنت إلى الآن مع السبحة؟ قال : كذلك رأيت أستاذي الجنيد وفي يده سبحة، فقلت : يا أستاذي وأنت إلى الآن مع السبحة؟ فقال : كذلك رأيت أستاذي سري بن المغلس السقطي وفي يده سبحة، فقلت : يا أستاذي! وأنت إلى الآن مع السبحة؟ فقال : كذلك رأيت أستاذي معروف الكرخي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه، فقال : كذلك رأيت أستاذي بشر الحافي وفي يده سبحة، وسألته عما سألتني عنه، فقال : رأيت أستاذي الحسن البصري وفي يده سبحة، فقلت له : يا أستاذي ! مع عظم شأنك وحسن عبادتك أنت إلى الآن مع السبحة؟ فقال لي : هذا شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات. أنا أحب أن أذكر الله تعالى بقلبي ويدي ولساني.

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي بكر: فتبين من قول الشيخ الحسن البصري أن السبحة كانت موجودة متخذة في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، لقوله : هذا شيء كنا استعملناه في البدايات. وبداية الحسن من غير شك كانت مع أصحاب رسول الله ﷺ، فإنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورأى عثمان وعليا وطلحة رضي الله عنهم، وحضر يوم الدار في قصة عثمان وعمره أربع عشرة سنة. وروى عن عثمان، وعلي، وعمران بن حصين، ومعقل بن يسار، وأبي بكرة، وأبي موسى، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وخلق كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

شعر في السبحة

ولأجل إنكار بعض الناس للسبحة، لجهله بالأثر المذكور، قال فيها بعض شيوخ شيوخنا : [الطويل]

فقل للذي ينهى الفقير عن الورد … وعن سبحة أعدها القوم للعد
لإحصاء أوراد بها قد تقربوا … إلى ربهم خوف القطيعة والبعد
إذا لم تكن منهم فدعهم ولا تكن … بمنتقد على ذوي الحق والرشد

فقد قيل الإنتقاد يورد أهله ... ويوبقهم في النار في المقت والطرد
وسلم لقوم أعرف الناس بالهدى ... واتبعهم للمصطفى عن صفا الود
طريقتهم بالذكر خصت وسبحة ... عليها تواطا القوم فاهجر ذوي الرد
فما هي إلا آلة الذكر عندهم ... كما هو لوح للقراءة والسرد
وما هي إلا كالوسيلة للقرب ... وحكم وسيلة كمقصدها يهدي
وفي الشرع أذكار لها عدد رُوي ... فناهيك فخرا ما يُعين على العد
وحسبك بالألف السبعين[134] للفدا ... من النار فاعمل ما استطعت وما تهدي
كذا كان أهل الله فاختر طريقهم ... فقد عمروا الأوقات بالذكر والحمد
ومنهم من استغنى عن المضغ مطلقا ... لما فاتهم في المضغ من أعظم القصد
فأبدله بالذكر فافهم مناقب الـ ... ـرجال وشمر فيه عن ساعد الجد
وكن ذاكراً لله في كل حالة ... به ترتقي قطعا إلى الواحد الفرد
فخذ من جوابي فضل ذكر وسبحة ... وأتحفني بالدعاء في آخر الورد

سند مد النبي ﷺ

ضربت مدي على مد شيخنا الإمام القدوة أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم رحمه الله ورضي عنه، وضرب مده على مد الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن بفاس المحروسة بالله تعالى سنة تسعين وتسعمائة، وضرب مده على مد الفقيه أبي محمد عبد الله بن سالم سنة عشر وسبعمائة، وضرب مده على مد الفقيه الصالح أبي محمد عبد الرزاق سنة اثنتين وتسعين وستمائة، وضرب مده على مد الفقيه أبي الحسن علي ابن الحاج سنة ثلاث عشرة وستمائة، وضرب مده على مد الحاج الحسين بن يحيى البكري الذي عدله بمد أبي إسحٰق إبراهيم بن عبد الرحمان الحاحي، الذي عدله بمد الشيخ المرحوم أبي علي منصور بن يوسف القواس، الذي عدله بمد الفقيه أبي جعفر أحمد بن عزلوان، الذي عدله بمد الفقيه القاضي أبي جعفر أحمد بن الأخطل الذي عدله بمد خالد بن إسماعيل، الذي عدله بمد إسحاق بن الشنطيز وبمد

(134) هذا الشطر غير مستقيم الوزن، وقد ورد في نسخة : «وحسبك بآلاف السبعين للفدا». وهو أيضا غير مستقيم. وفي البيت إشارة إلى ما روي من أن من قال : «لا إلـٰه إلا الله» سبعين ألف مرة كانت له فداء من النار. وقد أنكره الحافظ ابن حجر، وقال : إنه موضوع لا تحل روايته إلاّ مع بيان حاله (انظر : حاشية الشيخ الطالب على شرح ميّارة على المرشد المعين لابن عاشر، ج 1، ص. 113).

أبي جعفر أحمد بن ميمون، وكانا عدلا مديهما بمد زيد بن ثابت[135] رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ.

قلت : وفي «**مناهج التحصيل**»[136] على «**المدونة**» في «باب زكاة الفطر»، قال وكان عند شيخنا أبي محمد صالح[137] مد زيد بن ثابت رضي الله عنه، ولعلّ إليه وقع هذا الإسناد. والله أعلم.

سند الأربعين حديثا المسماة بـ«الذهب الإبريز»[138]

غالب رواتها أهل البيت وهي كلمات وحكم مختصرة جدا. قرأت جميعها على شيخنا الإمام القدوة أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم قدس الله روحه. وأخبرني بها الخطيب أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني نزيل تارودانت، قالا : أخبرنا بها الإمام المحدث أبو العباس أحمد بن أحمد ابن أحمد بن محمد بن عمر أقيت الصنهاجي السوداني الأول إجازة مكاتبة، والثاني إجازة مشافهة وكتابة، قال : حدثني بها والدي الفقيه المحدث العلامة، وسيدي القاضي العدل أعدل قضاة زمانه سيدي العاقب، وسيدي القاضي الأفقه الأنوه أخوه سيدي عمر ابن شيخ الإسلام بركة الوقت سيدي محمود بن عمر بن محمد أقيت

---

(135) هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك، أبو خارجة وأبو سعيد الأنصاري الخزرجي المقرئ الفرضي. كاتب النبي ﷺ وأمينه على الوحي، وهو الذي كتب «**القرآن**» في الصحف لأبي بكر الصديق (ض) وكتب المصحف لعثمان (ض) حين بعث بنسخ منه إلى الأمصار. توفي (ض) سنة 45هـ وقيل سنة 48هـ عن ست وخمسين سنة. (انظر ترجمته في «**الإصابة**»، ج 1، صص. 561-562؛ و«**الإستيعاب**»، ج 1، صص. 551-554؛ و«**غاية النهاية في طبقات القراء**» لابن الجزري، ج 1، ص. 296، رقم الترجمة 1305).

(136) «**مناهج التحصيل، ونتائج لطائف التأويل**» على كشف أسرار المدونة للفقيه أبي الحسن علي بن سعيد الرَكراكي المعروف بابن تامسري. ابتدأ تأليفه عاشر ذي الحجة عام 633هـ بجبل «الكست» من جبال جزولة (انظر في ترجمته : «**نيل الإبتهاج**»، ص. 200؛ و«**المعسول**»، ج 5، صص. 305- 308).

(137) قال عنه ابن فرحون في «**الديباج**» (صص. 129-130) : « شيخ المغرب عِلْماً وعملاً وبيته بيت صلاح وجلالة وعلم إلى الآن. وقيد عنه في «**شرح رسالة ابن مجهوم**» ما كان يلقيه على الطلبة. توفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة. وهو من أهل فاس. رحمه الله تعالى».

(138) شرحها العلامة التمازي اليمني المتوفى سنة 975هـ، واسم شرحه «**القول الوجيز، في شرح سلسلة الإبريز**» (انظر «**فهرس الفهارس**»، ج 2، ص. 978).

شقيق جدي لأبي، والشيخ العالم العلامة الصالح البركة النظار الذي جعله الله أمة قانتا لله شييخي محمد بن محمود بَغْيُعُ.

قال الأربعة : أخبرنا بها قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن حسين بن علي النهْروالي[139] المكي الحنفي القادري الخرقاني، قال : حدثني بها شيخ الإسلام الحافظ المسند المعمر الرحلة مولانا الشيخ زين الدين عبد الحق السنباطي الشافعي المصري خاتمة المحدثين والرواة المسندين، أخذت عنه بمكة المشرفة في سنة ثلاثين وتسعمائة بزيادة دار الندوة من المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما.

وحدثني بها أيضا شيخنا الإمام أبو زكرياء، قال: حدثني بها أبو العباس أحمد ابن محمد بن أحمد أدافال الدرعي عن زين العابدين أبي المكارم محمد بن أبي الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمان البكري الصديقي[140]، عن والده المذكور، عن قاضي القضاة زكرياء الأنصاري.

قال عبد الحق السنباطي والقاضي زكرياء : أخبرنا بها إمام المحدثين شيخ الإسلام والمسلمين قاضي القضاة أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي المصري رضي الله عنه، قال : حدثنا بها أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان النيسابوري المكي سماعا منه في سنة خمس وثمانين وتسعمائة[141]، وهو أول شيخ سمعت عليه الحديث فيما أعلم. قال : أنبأنا الثقة الصدوق أبو القاسم عبد الرحمان بن فتوح بن بقين[142] المكي في الحرم الشريف، قال : أنبأنا بها السيد الشريف الحسيب بقية السادات الأكرمين بحلب[143]، فخر الدين أبو جعفر أحمد ابن محمد بن جعفر الحسني، قال : أنبأنا به الإمام الأجل سراج الدين محمد بن علي ابن ناشر الأنصاري، قال : حدثنا به السيد الشريف بقية السادات الأكرمين ببلخ[144] شرف الدين أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني[145] البلخي

(139) انظر ص. 62، هامش 6.

(140) انظر ص. 230، ص. 196. كان المنصور الذهبي يكاتبه ويبعث إليه بجوائز سنية. وقد استجازه فأجازه (انظر «**نزهة الحادي**»، صص. 129-132؛ و«**اقتفاء الأثر**»، صص. 161-162).

(141) هكذا في النسخ المعتمدة، وهو تاريخ غير صحيح، لأن ابن حجر توفي سنة 852هـ ولعله : 785هـ.

(142) في ص. 62: بن يقيس.

(143) حلب : مدينة سورية. وصفها ياقوت بأنها «مدينة عظيمة واسعة، كثيرة الخيرات طيبة الهواء، صحيحة الأديم والماء» («**معجم البلدان**»، ج 7، ص. 282).

(144) بَلْخ : مدينة مشهورة بخراسان («**معجم البلدان**»، ج 1، ص. 479).

(145) في ص. 62: الحسيني.

قراءة علينا من لفظه في غير مرة سنة سبع وعشرين وخمسمائة قال : حدثني به سيدي ووالدي أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن محمد الحسني في سنة ست وأربعين وأربعمائة، قال : حدثني سيدي ووالدي أبو طالب الحسن بن عبد الله ابن محمد الجسني[146] في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، قال : حدثني سيدي ووالدي محمد[147] بن عبد الله، قال : حدثني سيدي ووالدي السيد علي بن حسين[148]، قال : حدثني سيدي ووالدي السيد حسين بن جعفر أول من دخل بلخ من هؤلاء[149] السادات الأشراف رواة هذه الأربعين من أحاديث رسول الله ﷺ، المسماة باعتبار روايتهم[150] لها بسلسلة «الذهب الإبريز»[151] لأنهم يروونها متصلة الإسناد[152] ولدا عن والد إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو يرويه عن رسول الله ﷺ. قال السيد حسين بن جعفر المذكور : أخبرني سيدي ووالدي السيد جعفر الملقب بالحجة قال: أخبرني سيدي ووالدي السيد عبد الله الملقب بالزاهد قال : أخبرني سيدي ووالدي الحسن الأصغر قال : أخبرني سيدي ووالدي زين العابدين علي بن الحسين[153] قال : حدثني سيدي ووالدي أمير المومنين الحسين[154] المظلوم الشهيد بكربلاء سبط رسول الله ﷺ قال : حدثني سيدي ووالدي إمام المشارق والمغارب أسد الله الغالب أمير المومنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس الخبر كالمعاينة»[155]، وبهذا الإسناد

(146) هنا اضطراب. فالراوي الحسن بن عبد الله بن محمد يروي عن محمد بن عبد الله، مع أنه يروي عن والده، ووالده هو عبد الله بن محمد.

(147) هنا كذلك اضطراب، فالراوي محمد بن عبد الله يروي عن علي بن حسين، مع أنه يروي عن والده، ووالده هو عبد الله.

(148) في نسخة : حسن. وهو ما في ص. 62.

(149) في النسخ المعتمدة : من هذه السادات الأشراف.

(150) في نسخة : رواياتهم.

(151) في نسخة : بسلسلة الإبريز.

(152) في النسخ المعتمدة : يروونه متصل الإسناد.

(153) في النسخ المعتمدة هنا : علي بن الحسن؛ وفي ص. 62: علي بن الحسين، وهو الصواب.

(154) في النسخ المعتمدة هنا : الحسن؛ وفي ص. 62: الحسين، وهو الصواب.

(155) رواه أحمد والطبراني وغيرهما عن ابن عباس، وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما (انظر **«المقاصد الحسنة»**، صص. 351-353، رقم الحديث 915؛ و**«تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث»**، ص. 139).

قال رسول الله ﷺ : «الحرب خدعة»[156]، وبه قال رسول الله ﷺ : «المستشار مؤتمن»[157] وبه قال رسول الله ﷺ : «المسلم مرآة المسلم»[158] وبه قال رسول الله ﷺ : «الدال على الخير كفاعله»[159]، وبه قال رسول الله ﷺ : «استعينوا على الحوائج بالكتمان»[160]، وبه قال رسول الله ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[161]، وبه قال رسول الله ﷺ : «الدنيا سجن المومن وجنة الكافر»[162]، وبه قال رسول الله ﷺ : «الحياء خير كله»[163]، وبه قال رسول الله ﷺ : «عدة المومن كأخذ الكف»[164]، وبه قال رسول الله ﷺ : «لا يحل للمومن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»[165]، وبه قال رسول الله ﷺ : «ليس منا من غشنا»[166]،

(156) أخرجه البخاري في «**صحيحه**»، «كتاب الجهاد والسير» : «باب الحرب خدعة» (ج 2، ص. 118) ومسلم في «كتاب الجهاد» من «**صحيحه**».

(157) رواه أحمد عن أبي مسعود مرفوعا، وفيه : «وهو بالخيار إن شاء تكلم، وإن شاء سكت. فإن تكلم فليجتهد رأيه». ورواه القضاعي عن سمرة، والعسكري عن عائشة، وعن علي بزيادات مختلفة (انظر «**المقاصد الحسنة**»، ص. 383، رقم 1019؛ و«**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 154؛ و«**الشذرة**»، ج 2، ص. 130، رقم 875).

(158) رواه ابن منيع عن أبي هريرة مرفوعا بزيادة : فإذا رأى به شيئا، فليأخذه عنه (انظر «**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 155).

(159) رواه العسكري والدارقطني وغيرهما عن ابن عباس مرفوعا في حديث لفظه : «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان». وفي «**صحيح مسلم**» عن ابن مسعود رفعه : «من دل على خير، فله مثل أجر فاعله» («**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 78؛ وانظر أيضا «**المقاصد الحسنة**»، صص. 210-211).

(160) رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة عن معاذ بن جبل مرفوعا بلفظ : «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»، وسنده ضعيف. (انظر طرقه الأخرى في «**المقاصد الحسنة**»، صص. 56-57).

(161) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم («**المقاصد الحسنة**»، ص. 20؛ و«**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 9).

(162) أخرجه مسلم عن أبي هريرة («**المقاصد الحسنة**»، ص. 217؛ و«**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 80).

(163) أخرجه الشيخان عن عمران بن حصين بلفظ : «الحياء لا يأتي إلا بخير»، وفي رواية «الحياء خير كله» («**تحفة الأحوذي**»، ج 3، ص. 147).

(164) رواه الديلمي بلفظ : «عِدَة المومن دَيْن، وعدة المومن كالأخذ باليد» («**المقاصد الحسنة**»، ص. 283؛ و«**الشذرة في الأحاديث المشتهرة**» لمحمد بن طولون الصالحي، ج 1، ص. 38.

(165) أخرجه الشيخان بلفظ : «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

(166) رواه أبو داود عن أبي هريرة بلفظ : «ليس منا من غش»، ورواه الترمذي بلفظ : «من غشنا، فليس منا» («**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 140).

وبه قال رسول الله ﷺ : «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»[167]. وبه قال رسول الله ﷺ : «الراجع في هبته كالراجع في قيئِه»[168] وبه قال رسول الله ﷺ : «البلاء موكل بالمنطق»[169]، وبه قال رسول الله ﷺ : «الناس كأسنان المشط»[170]. وبه قال رسول الله ﷺ : «الغِنى غِنى النفس»[171]، وبه قال رسول الله ﷺ : «السعيد من وعظ بغيره»[172]، وبه قال رسول الله ﷺ : «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا»[173]، وبه قال رسول الله ﷺ : «عفو الملوك

---

(167) رواه أبو يعلى والعسكري من حديث أنس مرفوعا (**«تمييز الطيب من الخبيث»**، ص. 148).

(168) أخرجه البخاري في مواضع من **«صحيحه»**، بألفاظ مختلفة، منها : «... فإن العائد في هبته كالعائد في قيئه». وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه.

(169) أخرجه ابن أبي شيبة في **«الأدب المفرد»**، والخطيب في **«تاريخه»** عن ابن مسعود، ورواه الديلمي عن أبي الدرداء. وسنده ضعيف. وأنشد القاضي ابن بهلول :

لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون

(انظر **«المقاصد الحسنة»**، ص. 147؛ و**«تمييز الطيب من الخبيث»**، ص. 55؛ و**«الشذرة»**، ج 1، ص. 197).

(170) رواه ابن عدي في **«الكامل»**، ج 3، ص. 1099 عن أنس بن مالك مرفوعا بلفظ : «الناس سواء كأسنان المشط... الحديث»، وهو ضعيف جدا كما ذكر الألباني في **«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»**، ج 2، ص. 60، رقم الحديث : 596. وخرجه الديلمي عن سهل بن سعد بلفظ : «الناس سواء كأسنان المشط»، وخرجه عن أنس بلفظ : «الناس مستوون كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله (انظر **«تخريج أحاديث كتاب اللمع في التصوف»**، للسراج الطوسي، مطبوع في آخر كتاب **«اللمع»**).

(171) متفق عليه عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ : «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس». وللديلمي بلا سند عن أنس رفعه : «الغنى غنى النفس، والفقر فقر النفس» (**«المقاصد الحسنة»**، ج 2، ص. 297؛ و**«تمييز الطيب من الخبيث»**، ص. 112).

(172) أخرجه مسلم في **«صحيحه»** عن ابن مسعود، وتمامه : «والسعيد من سعد في بطن أمه» (**«المقاصد الحسنة»**، ص. 240؛ و**«تمييز الطيب من الخبيث»**، ص. 90).

(173) أخرج البخاري في «كتاب الأدب» من **«صحيحه»**، عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال : «إن من الشعر حكمة» (انظر **«صحيح البخاري»**، ج 4، ص. 52)، وأخرج في «كتاب النكاح» و«كتاب الطب» عن عبد الله بن عمر أن رجلين قدما من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال النبي ﷺ : «إن من البيان سحرا» (انظر **«صحيح البخاري»**، ج 3، ص. 179؛ ج 4، ص. 16). وأخرجه أبو داود عن ابن عباس بلفظ : «إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكما». وأخرجه الطبراني عن ابن عباس بلفظ : «إن من الشعر حكما وإن من البيان سحرا». (انظر **«الشذرة»**، ج 1، صص. 170–171، رقم الحديث 229).

أبقى للملك»[174]، وبه قال رسول الله ﷺ : «المرء مع من أحب»[175]، وبه قال رسول الله ﷺ : «ما هلك أمرؤ عرف قدره»[176]، وبه قال رسول الله ﷺ : «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[177]، وبه قال رسول الله ﷺ : «اليد العليا خير من اليد السفلى»[178]. وبه قال رسول الله ﷺ : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[179]، وبه قال رسول الله ﷺ «حبك الشيء يعمي ويصم»[180]، وبه قال رسول الله ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»[181]، وبه قال رسول الله ﷺ : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[182] وبه قال رسول الله ﷺ : «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»[183]، وبه قال رسول الله ﷺ : «إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه»[184]، وبه قال رسول الله ﷺ : «اليمين

---

(174) رواه الرافعي من حديث علي مرفوعا («**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 107).

(175) متفق عليه («**المقاصد الحسنة**»، ص. 379).

(176) أورده الميداني في «**مجمع الأمثال**»، ج 2، ص. 172 بلفظ : «لن يهلك امرؤ عرف قدره». وقال : «قال المفضل : إن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طيء».

(177) أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجد والإمام أحمد.

(178) متفق عليه من حديث حكيم بن حزام.

(179) رواه الإمام أحمد من حديث الأشعث بن قيس مرفوعا، وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة بلفظ : «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»، وصححه، وعن أبي سعيد بلفظ : «من لم يشكر الناس لم يشكر الله». (انظر «**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 197؛ و«**تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**» للمباركفوري، ج 3، ص. 132).

(180) انظر تخريجه ودرجته في ص. 183، هامش 681.

(181) رواه أبو نعيم في «**الحلية**»؛ وأبو الشيخ، وابن حبان في «**روضة العقلاء**»؛ والخطيب في «**تاريخ بغداد**» عن ابن مسعود موقوفا؛ ورواه ابن عدي في «**الكامل**»، ومن طريقه رواه البيهقي في «**الشعب**»؛ وابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» مرفوعا، وهو باطل مرفوعا وموقوفا. (انظر «**المقاصد الحسنة**»، صص. 171-172).

(182) أخرجه ابن ماجه، والطبراني في «**الكبير**»؛ والبيهقي في «**الشعب**»؛ وحسنه ابن حجر لشواهده («**المقاصد الحسنة**»، ص. 152).

(183) أخرجه مسلم عن أنس في حديث طويل، وأخرجه أحمد من حديث علي، وكذا أبو نعيم في «**الحلية**»، وغيرهما. («**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 192؛ وانظر أيضا «**المقاصد الحسنة**»، ص. 248).

(184) رواه ابن ماجه في سننه عن ابن عمر مرفوعا بلفظ : «إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه». وله طرق كلها ضعيفة. قال السخاوي : «وبهذه الطرق يقوى الحديث، وإن كانت مفرداتها كما أشرنا إليه ضعيفة، ولذا انتقد شيخنا [ابن حجر العسقلاني] وشيخه [العراقي] رحمهما الله الحكم عليه بالوضع». (انظر «**المقاصد الحسنة**»، صص. 32-34؛ و«**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 13).

الفاجرة تدع الديار بلاقع»[185]، وبه قال رسول الله ﷺ : «من قتل دون ماله فهو شهيد»[186]، وبه قال رسول الله ﷺ : «الأعمال بالنيات»[187]، وبه قال رسول الله ﷺ : «سيد القوم خادمهم»[188]، وبه قال رسول الله ﷺ : «خير الأمور أوسطها»[189]، وبه قال رسول الله ﷺ : «اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس»[190]، وبه قال رسول الله ﷺ : «كاد الفقر أن يكون كفرا»[191]، وبه قال رسول الله ﷺ : «السفر قطعة من العذاب»[192]، وبه قال رسول الله ﷺ : «المجالس بالأمانة»[193]، وبه قال رسول الله ﷺ : «الزاد التقوى»[194]. انتهت

---

(185) رواه البيهقي في «سننـ»ـه عن أبي هريرة مرفوعا، وهو طرف من حديث طويل («**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 201).

(186) رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الترمذي («**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 172).

(187) متفق عليه عن عمر، لكن بزيادة «إنما»، وهو في «**صحيح**» ابن حبان بدونها («**المقاصد الحسنة**»، ص. 68؛ و«**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 26). قال عبد الله بن الصديق : «وهو صحيح غريب، وقد تواتر معناه من طرق استوعبتها في «**الإبتهاج، بتخريج أحاديث المنهاج**» («**المقاصد الحسنة**»، ص. 68، هامش 2).

(188) رواه أبو عبد الرحمان السلمي في «**آداب الصحبة**»، وفي سنده ضعف وانقطاع؛ ورواه أبو نعيم في «**الحلية**» بسند ضعيف مع انقطاعه؛ ورواه الحاكم في «**تاريخـ**»ـه بلفظ : «سيد القوم في السفر خادمهم. فمن سبقهم بخدمة، لم يسبقوه بعمل إلا الشهادة». (انظر «**المقاصد الحسنة**»، ص. 246).

(189) أخرجه ابن السمعاني في «**ذيل تاريخ بغداد**» بسند مجهول عن علي مرفوعا؛ وأخرجه البيهقي عن مطرف من قوله («**المقاصد الحسنة**»، صص. 205–206).

(190) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، والطبراني في «**الأوسط**» عن عائشة، ولفظ الطبراني : «واجعله يوم الخميس». ورواه البزار عن ابن عباس وأنس بلفظ : «اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها». وكلها ضعيفة. وروى الأربعة من حديث صخر بن وداعة الغامدي، أن النبي ﷺ قال : «اللهم بارك لأمتي في بكورها»، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان. («**المقاصد الحسنة**»، ص. 89).

(191) رواه أبو نعيم في «**الحلية**»؛ والبيهقي في «**الشعب**» عن أنس مرفوعا بزيادة : «وكاد الحسد أن يغلب القدر»، وفي لفظ : «أن يسبق القدر»، وهو ضعيف، وله شواهد ضعيفة (انظر «**المقاصد الحسنة**»، ص. 311؛ و«**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 119).

(192) متفق عليه عن أبي هريرة، وتمامه : «يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه. فإذا قضى نهمته، فليعجل إلى أهله» («**المقاصد الحسنة**»، ص. 241؛ و«**تمييز الطيب من الخبيث**»، ص. 90).

(193) رواه العسكري والديلمي والقضاعي عن علي مرفوعا، ورواه أبو داود والعسكري عن جابر بن عبد الله مرفوعا، بزيادة : «إلا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق». ورواه الديلمي أيضا من حديث أسامة بن زيد رفعه : «المجالس أمانة، فلا يحل لمومن أن يرفع على مومن قبيحا» («**المقاصد الحسنة**»، ص. 376).

(194) قال تعالى : ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ (**سورة البقرة، الآية 196**).

الأحاديث الأربعون الشريفة بهذا السند الشريف، نفعنا الله ببركتها وبركة السادة الشرفاء رواتها آمين.

سند «الأربعين» للنووي[195]

حدثني بها شيخي الإمام القدوة البركة أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد ابن عبد المنعم ـ قدس الله روحه ـ قراءة عليه لجميعها مع شرح غريبها عن الشيخ الصالح المحدث الرحال أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدافال الدرعي رحمه الله، عن شيخه الإمام الشهير أبي المكارم زين العابدين محمد بن أبي الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي الشافعي المصري[196]، عن والده أبي الحسن، عن قاضي القضاة زكرياء الأنصاري، عن شيخ المحدثين وإمام المسندين قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بأسانيده.

سند الأحاديث الأربعة

التي لا أعلم في عصري أعلى سندا منها إلاّ ما تقدم في المصافحة، أحدها ينتهي فيه السند باعتباري إلى ثلاثة عشر راويا، وثانيها إلى أربعة عشر، والاثنان ينتهي فيهما إلى خمسة عشر.

الأول من الإثنين أخبرني به الخطيب أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت، قال : أخبرني أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر ابن محمد أقيت الصنهاجي السوداني، قال : أخبرني والدي الحاج أحمد بن أحمد، والفقيه القاضي عاقب ابن الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت، والفقيه محمد ابن

---

(195) هو أبو زكرياء يحيى بن شرف بن حسن محيي الدين النووي المتوفى سنة 676هـ. له مؤلفات مهمة كثيرة، منها شرح على «**صحيح مسلم**»، و«**رياض الصالحين**»، و«**الأربعين حديثا النووية**»، وغيرها. ترجم له الإمام السخاوي في كتابه «**ترجمة الإمام النووي**» (انظر مصادر ترجمته في «**معجم المؤلفين**»، ج 13، ص. 202).

(196) توفي سنة 494هـ. له ثبت فيما رواه عن والده أبي الحسن محمد البكري (انظر ترجمته في «**شذرات الذهب**»، ج 8، ص. 431؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، ص. 1062؛ و«**جامع كرامات الأولياء**» للنبهاني، ج 1، ص. 187؛ و«**الأعلام**» للزركلي، ج 7، ص. 289).

الفقيه محمود بن عُمر[197] بن محمد أقيت، والفقيه محمد ابن الفقيه محمود بَغْيُغ، قالوا:أخبرنا قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب بن حسين بن علي النهروالي المكي الحنفي القادري إجازة من مكة شرفها الله، قال : حدثنا شيخنا المسند المُعَمَّر شرف الدين عبد الحق السنباطي الشافعي في أحد شهور سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة أمام باب الزيادة بالمسجد الحرام، قال : أخبرنا العلامة الرحلة قاضي المسلمين ناصر الدين محمد بن الفرات القاهري الحنفي مكاتبة، قال : أخبرنا مسند الدنيا صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم الصالح والنجم أحمد بن النجم إسماعيل بن أحمد بن محمد، والبدر حسن بن هلال بن الهبل، وأبو جعفر عمر بن حسين[198] بن يزيد المراغي، والفاضلة المحدثة أم محمد ست العرب بنت محمد بن أبي الحسن علي بن أحمد البخاري، قال الخمسة : أخبرنا رحلة الدنيا فخر المحدثين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد البخاري فقالت حفيدته حضورا، وقال الآخرون : إجازة.

قال في رواية حفيدته : أنبأنا به أبو حفص محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني، وأم هانئ عتيقة بنت أحمد الأصبهانية، قالا[199] : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجُوزدانية[200]، قالت : أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن بريدة[201] الضبي، قال : أخبرنا الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد

---

(197) في النسخ المعتمدة هنا : «محمد». والصواب : «عمر». ومثل ذلك يقال في اسم جد عاقب، فهو إيضا سمي في النسخ المعتمدة ـ هنا ـ «محمد» واسمه «عمر» (راجع ص. 135، هامش 414 وهامش 416).

(198) في ص. 407 : عمر بن حسن؛ وفي «**قطف الثمر**»، ص. 30، هامش 1 : وقع في المطبوع والمخطوط : عمر بن حسين، وهو خطأ.

(199) في النسخ المعتمدة : قالوا.

(200) نسبة إلى جُوزَدان قرية كبيرة على باب أصبهان. وفي النسخ المعتمدة : الحوزانية.

(201) كذا في النسخ المعتمدة. وفي «**سد الأرب**»، ص. 90 : «أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة الأصبهاني». وعلق محمد بن ياسين الفاداني في «**نهاية المطلب**» على «ريذة» في الهامش 6 بقوله : «براء ثم ياء تحتية ثم ذال معجمة آخره تاء مربوطة. كذا في «**تاريخ الذهبي**» وفي «**شذرات الذهب**»، وفي النسخة المطبوعة : ريزة بزاي معجمة بعد التحتية، وهو تصحيف».

اللخمي الطبراني[202]، قال : أخبرنا عبد الله بن رماجس[203] القيسي في سنة أربع وتسعين ومائتين[204]، قال : حدثنا أبو عمرو[205] زياد بن طارق وقد كان أتت عليه مائة وعشرون سنة، قال : سمعت أبا جرول[206] زهير بن صرد الجشمي يقول : لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين يوم هوازن[207] وذهب يفرق السَّبْيَ والشاء[208]، أتيت النبي ﷺ فأنشأت أقول[209] :

آمـــن علينــــا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجـــــوه وننتظـــــــر

آمـــن على بيضة قد عاقهـــا قدر ... مشتت شملهـــا في دهرهــــا غير

أبقت لنا الدهــر هتافـــا على حزن ... على قلـــوبهم الغمَّـــاء والغمَـــرُ

إن لم تداركهــم نعمـــاء تنشرهـــا ... يا أرجـــح النـــاس حلمـــا حين يختبر

يا خير طفـــل ومولـــود ومنتـــخب ... في العالمين إذا ما حصل الـــبشر[210]

آمـــن على نسوة قد كنت ترضعهـــا ... إذ فوك تملأه من محضهـــا الـــدرر

إذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها[211] ... وإذْ يزيـــنك ما تأتي ومـــا تذر

---

(202) هو الحافظ المسند أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي المولود بطبرية الشام سنة 260هـ، والمتوفى بأصبهان سنة 360هـ/971م، وله مصنفات ممتعة أشهرها معاجمه الثلاثة في الحديث (انظر ترجمته في «**الأعلام**» للزركلي، ج 3، ص. 18).

(203) في نسخة : رماحس.

(204) في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 215 : سنة أربع ومائتين، وهو خطأ واضح.

(205) في ص. 408 : أبو عُمَر.

(206) في نسخة : جدول. وهو الصحابي الجليل زهير بن صرد السعدي الجشمي المكنى أبا جرول (انظر «**الإصابة**»، ج 1، ص. 553).

(207) هوازن : قبيلة حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ. وحنين : واد قريب من ذي المجاز (السوق المشهورة من أسواق الجاهلية) بناحية عرفة. بين ذلك الوادي ومكة نحو ثلاث ليال («**شرح بنيس همزية البوصيري**»، بهامش «**شرح محمد جسوس للشمائل المحمدية**» للترمذي، ص. 161).
وقد اتفق أشراف هوازن وثقيف على حرب النبي ﷺ، بعد فتح مكة، فخرج إليهم النبي ﷺ سادس شوال عام 8هـ. ودارت المعركة بين المسلمين وأعدائهم في حنين. وكان النصر حليف المسلمين (انظر تفاصيل غزوة حنين في «**سيرة ابن هشام**»، المجلد الرابع، ص. 65 فما بعد).

(208) كانت غنائم المسلمين في غزوة حنين : ستة آلاف من النساء والذراري، وأربعة وعشرين ألف رأس من الإبل، وأكثر من أربعين ألف رأس من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة («**شرح بنيس على الهمزية**»، ص. 161).

(209) انظر هذه القصيدة في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 216. وقد سقط منها البيت الخامس.

(210) هذا البيت الخامس لم يرد في النسخ المعتمدة.

(211) الشطر الثاني من البيت السادس، والشطر الأول من البيت السابع لم يردا في النسخ المعتمدة.

فألبس العفو من قد كنت ترضعـــه　　من أمهـــاتك إن العفـــو مشتهر
لا تجعلنـــا كمـــن شالت نعامتـــه　　واستبـق منـــا فإنـــا معشر زهــر[212]
يا خير من مرحت كمت الجيـــاد به　　عنـد الهيـــاج إذا ما استوقــد الشرر
إنـــا لنشكـــر آلاء وإن كفـــرت　　وعندنا بعد هذا اليــوم مدخــر[213]
إنَّـــا نُؤَمِّـــلُ عفـــوا منك تلـــبسه　　هذي البريـــة إذ تعفـــو وتنـــتصر
فاغفر عفـــا الله عمـــا أنت راهِبُـــهُ　　يوم القيامة إذ يُهـدى لك الظفـر[214]

فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر، قال ﷺ : «فما كان لي ولبني عبد المطلب، فهو لكم»، وقالت قريش : «ما كان لنا، فهو لله ولرسوله»؛ وقالت الأنصار: «ما كان لنا، فهو لله ولرسوله»[215].

الحديث الثاني أرويه بهذا السند إلى الحافظ الطبراني، قال : حدثنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن فروح[216] الأنصاري الدمشقي، قال : حدثني جدي لأبي عمرو بن أبان بن مفضل[217] المدني، قال : أراني أنس بن مالك الوضوء وأخذ ركوة فوضعها عن يساره وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا، وغسل وجهه ثلاثا، ويديه إلى المرفقين ثلاثا، ومسح برأسه ثلاثا، وأخذ ماء جديدا لصِمَاخيه[218]، فمسح صماخيه فقلت : يا عمِّ قد مسحت أذنيك، فقال : يا غلام إنهما من الرأس، ليس هما من الوجه ثم قال : يا غلام هل رأيت أو فهمت أو أعيد عليك، فقلت : قد كفاني وقد فهمت، قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ توضأ[219].

---

(212) هذا البيت لم يرد في النسخ المعتمدة.

(213) هذا البيت الحادي عشر هو البيت السادس في النسخ المعتمدة، وشطره الأول هكذا :
فإننـا نشكـــر النعمـــاء إذ كفـــرت　　..................................

(214) انظر هذه القصيدة أيضا في ص. 408.

(215) هذا الحديث أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة، وهو حسن غريب كما سيأتي في ص. 409. وهو الحديث الأول من الأحاديث الثلاثة التي أفردها السيوطي بتأليف صغير سماه : **«النادريات من العشاريات»**. وقد خرجها من **«معجم»** الطبراني، فرواها بعشر وسائط بينه وبين الرسول ﷺ. وهذا التأليف أورده العياشي بتمامه في **«اقتفاء الأثر»**، صص. 214–217. قارن ما ورد في هذا الحديث، بما ورد في **«سيرة ابن هشام»**، ج 4، صص. 134–135.

(216) هكذا في النسخ المعتمدة هنا؛ وفي ص. 409 : جروح؛ وفي **«اقتفاء الأثر»**، ص. 217 : فروخ.

(217) في نسخة : مفيضل؛ وفي ص. 409 : فضل الدين.

(218) الصِّمَاخ : خرق الأذن، والأذن نفسها.

(219) هذا الحديث هو الثالث في **«النادريات من العشاريات»** (انظر **«اقتفاء الأثر»**، ص. 217). وسيأتي في ص. 409.

علامة إعراض الله عن العبد

الحديث الثالث الذي ينتهي فيه السند باعتباري إلى أربعة عشر راويا، أخبرني به الخطيب أبوزيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت، قال : أخبرني به الإمام المحدث أبو العباس أحمد بن الحاج أحمد الصنهاجي السوداني، قال : أخبرني والدي الحاج أحمد والقاضي عاقب بن محمود بن عمر والفقيه محمد بن محمود ابن عمر، والفقيه محمد بن محمود[220] بَغْيُعُ، قالوا : أخبرنا قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي الخرقاني إجازة من مكة شرفها الله، قال : حدثني والدي أبو العباس، وأستاذنا العالم العامل مولانا عماد الدين عبد العزيز بن جمال الدين العباسي الأَفْزَرِي - بفتح الهمزة وسكون الفاء بعدها زاي مفتوحة ثم راء مهملة، ثم ياء النسبة - الشافعي، وشيخنا العلامة جمال الدين محمد ابن مولانا نظام الدين محمود الانصاري السعدي الخزرجي الخرقاني الشافعي، والعلامة المحقق الفهامة المدقق، شيخ الكل في الكل مولانا زين الدين علي القرماني الحنفي، والوالدة الماجدة الزاهدة العابدة الفاضلة ختران بنت الفقيه الأجل مولانا شمس الدين محمد بن عمر الأنصاري السعدي الخزرجي الشافعي الإسكندري الخرقاني، قالوا : حدثنا العارف بالله الرباني القطب الفرد الجامع الصمداني حامل لواء القطبية العظمى، صاحب الكرامات الباهرة والشرف الأسمى، مجدد المائة التاسعة، مفيض رحمة ربه الواسعة، مولانا قطب الدين بايزيد ابن مولانا محيي الدين محمد ابن مولانا نظام الدين محمود ابن مولانا فخر الدين أحمد الأنصاري السعدي الخزرجي الخرقاني الشافعي، الأحدقافادي[221]، قال : حدثنا شيخنا رحلة الأنام، صفوة علماء الإسلام، مولانا نُور الدين أحمد بن عبد الله ابن أبي الفتوح بن أبي الخير بن عبد القادر الحكيم الطائي، قال : أخبرنا الفاضل صدر الدين أبو الفضل بن فضل الله، قال : أخبرنا عبد الرحيم الأوالي، قال : أخبرنا أبو عمرو الصدفي، قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن نيان قراءة عليه قلت : أخبركم أبو بكر بن نصر، قال : سمعت أبا عمرو الخطابي المعمر يقول : قال إمام المشارق والمغارب، أمير المومنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا أعرض الله عن العبد ورثه الإنكار على أهل الديانات»[222].

---

(220) في النسخ المعتمدة هنا محمد بن محمد بَغْيُعُ؛ وفي ص. 231 : محمد بن محمود بَغْيُعُ، وهو الصواب (انظر ص. 231، هامش 197).

(221) في نسخة : الأخر قافادي.

(222) سياتي هذا الحديث في ص. 412.

حديث: «الحكمة ضالة المومن»

والحديث الرابع الذي ينتهي سنده باعتباري إلى ثلاثة عشر راويا أرويه بالسند المذكور من أوله إلى نور الدين أحمد بن عبد الله بن أبي الفتوح المذكور، قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد بن صديق، قال : أنبأنا أبو عبد الله الأوالي قال : حدثنا محمد بن شاذ بخت بن جرير، قال : أخبرنا أبو بكر العيد عن أبي عمرو المعمر عن أمير المومنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلمة الحكمة ضالة المومن : حيث وجدها، فهو أحق بها»[223].

انتهت الأحاديث الأربعة العالية السند والحمد لله.

سند «موطإ» الإمام مالك[224] رضي الله عنه

أرويه عن شيخنا الإمام القدوة أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان بحبوحة، بالإجازة العامة مشافهة لجميع مرويات شيخه الإمام المحدث الرحال أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدافال الدرعي عن شيخه أبي المكارم زين العابدين، عن والده أبي الحسن تاج العارفين محمد ابن محمد بن عبد الرحمان البكري الصديقي المصري، عن شيخه قاضي القضاة زكرياء الأنصاري المصري عن شيخ المحدثين وإمام المسندين قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني عن شيوخه المثبتين في سنده.

وأرويه أيضا عن الخطيب أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت عن الإمام المحدث أبي العباس أحمد ابن الحاج بن أحمد الصنهاجي

---

(223) أخرجه الترمذي في أواخر أبواب «العلم» من «جامعه» عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها». وفي إسناده إبراهيم بن الفضل المخزومي، وهو ضعيف في الحديث. وأخرجه أيضا ابن ماجه وابن عساكر عن علي بإسناد حسن ـ كما قال المناوي ـ (انظر «تحفة الأحوذي»، ج 3، صص. 382–383).

(224) هو إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، المولود بالمدينة المنورة سنة 93هـ، والمتوفى بها سنة 179 هـ (انظر ترجمته في «ترتيب المدارك»، ج 1، صص. 104–193؛ و«تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك» لجلال الدين السيوطي؛ و«مناقب سيدنا الإمام مالك» لعيسى بن مسعود الزواوي، وهما مطبوعان مع «المدونة الكبرى» للإمام مالك، رواية سحنون عن ابن القاسم (انظر المجلد الأول، صص. 2–61). وفيما يخص الباعث على تأليف مالك لـ«موطإ»، وعدد أحاديثه، ومكانته بين كتب الحديث، يراجع كتاب «يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطإ» للأستاذ محمد بن حسن شرحبيلي، صص. 79–83.

السوداني عن والده الحاج أحمد، والقاضي عاقب بن محمود، والفقيه بَغْيُعُ، عن قطب الدين النهروالي المكي عن والده أبي العباس، عن الحافظ السخاوي، قال : أخبرني به برواية يحيى بن يحيى غير واحد، منهم أبو إسحاق الزمزمي بقراءتي، والعز أبو محمد بن الفرات سماعا لبعضه وإذنا لسائره.

قال الأول : أخبرنا به أبو إسحاق بن موسى الفقيه الزاهد، أخبرنا به عبد الله ابن جابر الواد ياشي، أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن هارون أخبرنا به أبو القاسم بن بقي، أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن عبد الحق الخزرجي، أخبرنا به محمد ابن فرج، أخبرنا به يونس الصفار.

قال الثاني : وهو أعلى : أخبرنا به العز أبو عمر بن جماعة، أخبرنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتابه، أخبرنا به أبو الخطاب السكوني عن أبي عبد الله بن زرقون، وأنبأنا به أبو عبد الله الخولاني، أخبرنا به أبو عمرو القيجاطي، قال : أخبرنا أبو عيسى يحيى بن عبد الله الليثي أخبرنا به عم أبي أبو مروان[224م] عبيد الله بن يحيى أخبرني به أبي يحيى بن يحيى، أخبرنا به مؤلفه رحمه الله ورضي عنه آمين.

سند «صحيح» البخاري[225]

حدثني به مولانا الإمام أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي قراءة لجميعه عليه خمس مرات بزاويته وإجازة ومشافهة وكتابة لروايته عنه، قال : حدثني به شيخنا الإمام المحدث الرحال أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدافال الدرعي، قال : حدثني به مولانا الإمام زين العابدين أبو المكارم محمد بن أبي الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمان البكري الصديقي المصري، قال : حدثني به والدي أبو الحسن، قال : حدثني به قاضي القضاة زكرياء الأنصاري[226] المصري، قال : حدثني به قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر

(224م) في النسخ المعتمدة هنا اضطراب. والتصويب من ص. 263.

(225) هو أمير المومنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المولود سنة 194هـ، والمتوفى سنة 256هـ (انظر ترجمته في «**هدي الساري مقدمة فتح الباري**» لابن حجر، صص. 477-493). وكتابه «**الجامع الصحيح**» هو أول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد. وقد اعتمده المسلمون شرقا وغربا، ووضعت عليه شروح وحواش كثيرة، أحسنها «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**» للحافظ ابن حجر العسقلاني.

(226) هنا يلتقي سند التمنارتي بسند الهلالي (انظر «**فهرست الهلالي**»، ص. 11).

العسقلاني، قال : حدثني به أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان النيسابوري[227] المكي سماعا عليه، قال : أخبرنا به العلامة رضا الدين أبو أحمد إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الطبري سماعا عليه، قال : أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمان ابن أبي حرمي[228] سماعا عليه، سوى من قوله تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾[229] إلى قوله «باب مبعث النبي ﷺ»[230]. فإجازة منه، قال : أنبأنا أبو الحسن علي الطرابلسي[231]، قال : أنبأنا أبو مكتوم عيسى ابن الحافظ أبي ذر عبد الله[232] بن أحمد بن محمد الهروي، قال : أنبأنا أبي، قال : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد المستملي[233]، قال: أنبأنا به أبو عبد الله محمد بن يوسف الفِرَبْرِي[234]، قال : أنبأنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رضي الله عنه.

وحدثني به أيضا الشيخ الصالح الفقيه العلامة، الخطيب المنشئ البليغ، مفتي المسلمين والإسلام، وأحد العلماء الأعلام، شيخنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الوقّاد التلمساني، نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى سماعا منه لجميعه من سنة أربع وتسعين[235] إلى سنة وفاته رحمه الله سنة إحدى وألف، كل سنة مرة في رمضان، بحد روايته له عن شيخه الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد

---

(227) في «فهرست الهلالي»، ص. 11 : أبو محمد عبد الرحمان بن محمد بن سليمان النيسابوري.

(228) هنا يلتقي سند التمنارتي بسند أبي سالم العياشي (انظر «اقتفاء الأثر»، ص. 179).

(229) هكذا في النسخ المعتمدة. وفي «صحيح البخاري» (ج 2، ص. 169) : «باب قول الله تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾».

(230) «صحيح البخاري»، ج 2، ص. 219.

(231) في «فهرست» الهلالي : أبو الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي وهو ما في «فتح الباري»، ج 1، ص. 6.

(232) هكذا في : النسخ المعتمدة وهو ما في «فتح الباري»، ج 1، ص. 6؛ وفي «قطف الثمر»، ص. 38 : عبد بن أحمد بن محمد الهروي؛ وهو ما في «اقتفاء الأثر»، ص. 179، وهو المحدث الحافظ الزاهد المتوفى سنة 434هـ (انظر ترجمته ومراجعها في «معجم المؤلفين»، ج 5، ص. 65) وابنه عيسى توفي 497هـ (انظر «شذرات الذهب»، ج 3، ص. 406).

(233) وهو أحد أعلام الرواية، توفي سنة 376هـ/986هـ (انظر ترجمته في «شذرات الذهب»، ج 3، ص. 86؛ و«الأعلام» للزركلي، ج 1، ص. 23).

(234) نسبة إلى فَرَبْر (بفتح الفاء ــ ويقال فيه بكسر الفاء أيضا ــ وفتح الراء، وسكون الباء الموحدة، وراء مهملة في آخره) وهي بلدة بالقرب من بخارى. وتوفي الفربري سنة 320هـ (انظر «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 2، ص. 798). وفي النسخ المعتمدة هنا : «عبد الله بن محمد بن يوسف»، وهو خطأ (انظر : ص. 240).

(235) أي وتسعمائة.

ابن عبد الجليل التنسي التلمساني قراءة عليه لجميعه ست عشرة مرة بالجامع الكبير بتلمسان، عن شيوخه التلمسانيين، عن أصحاب الحافظ ابن مرزوق[236]، عن الحافظ بأسانيده.

وحدثني به أيضا الفقيهان الأجلان المتقنان أبو عبد الله محمد بن علي السوسي الهوزالي[237]، وأبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان بن عيسى السكتاني[238] قراءة على الأول لجميعه سنة خمس وألف، صحبة الوزير أبي عبد الله محمد بن موسى بن أبي بكر بمحلته، وقراءة لبعضه على الثاني، وسماعا لسائره عدة مرار أيام قضائه بتارودانت، عن شيوخهما الفاسيين، الفقيه الأستاذ أبي العباس أحمد بن علي بن أبي بكر الزموري، وأبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور المؤلف الشهير، وعن غيرهما، عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمان اليَسِّيْتْنِي، وعن محدث فاس ومسندها الإمام المحدث الرحال أبي محمد عبد الرحمٰن بن علي بن أحمد القصري ثم الفاسي المعروف بسُقَّيْن[239]، عن شيخ الجماعة أبي عبد الله بن غازي، والشيخ الصوفي المحدث أبي العباس زروق بأسانيدهما، وعن المصريين أبي إسحاق إبراهيم بن علاء الدين القلقشندي وناصر الدين وشهاب الدين اللقانيين، عن الحافظ ابن حجر بأسانيده في الأول، وعن الحافظ السيوطي في اللقانيين.

وحدثني به أيضا الخطيب أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى سماعا منه لجميعه مرارا عديدة، وإجازة مشافهة وكتابة، قال : حدثني به الإمامان الجليلان المحدثان إمام الدين ابن الإمام الفقيه المعمر أبي عبد الله محمد بن يوسف بن قاسم البطائحي الخليلي الشافعي، والإمام

---

(236) هو العلامة الحافظ الحجة المحقق المفسر المحدث المسند أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد ابن مرزوق الحفيد، المتوفى سنة 842هـ (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**»، صص. 293–299؛ و«**نفح الطيب**»، ج 5، صص. 420–433؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، صص. 523–525؛ و«**الأعلام**»، للزركلي، ج 6، ص. 228).

(237) تقدمت ترجمته في ص. 125.

(238) تقدمت ترجمته في ص. 139.

(239) توفي سنة 956هـ/1549م، تتلمذ لابن غازي واستكمل دراسته في المشرق، وأقام بعدوة الأندلس في فاس يدرس في جامعها. (انظر ترجمته في «**درة الحجال**»، ج 3، صص. 96–97؛ و«**الفكر السامي**»، ج 4، ص. 102؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 987–988؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 349 وغيرها).

الفقيه المحدث أبو العباس أحمد ابن الفقيه الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي السوداني.

قال الأول : حدثني به شيخنا واحد الفئة، وصدر هذه المائة، عالم دمشق الشام ومفتيها، ومفيد الطالبين ومربيها، أبو البركات الحسن بدر الدين بن[240] رضا الدين الغزي ثم الدمشقي، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرملي[241] الأنصاري، وشيخنا جمال الدين ابن شيخ الإسلام القاضي زكرياء الأنصاري المصري، قال: الأربعة[242] حدثنا به قاضي القضاة زكرياء الأنصاري عن شيخ الإسلام قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بأسانيده.

وقال الثاني : حدثني به سماعا من لفظه غير ما مرة سيدي ووالدي الفقيه المحدث العالم النبيه الرحلة الحاج أحمد، وإجازة منه بحق سماعه له كله عن شيخه الفقيه المحدث محمد ابن الفقيه محمد بن أحمد الأثري التازختي، قائلا : أخبرني به شيخ الإسلام قاضي القضاة جمال الدين إبراهيم بن علاء الدين القرشي القَلْقَشَنْدي[243] الشافعي، عن الحافظ ابن حجر، قال : أخبرنا أبو علي المهدوي اذنا مشافهة عن يحيى بن محمد بن سعيد عن جعفر بن علي الهمداني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الديباجي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي الباهلي، أخبرنا الحافظ أبو علي الجياني، أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيى الحذاء سماعا، وأبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر[244] إجازة، قالا : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهني، أخبرنا أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن

(240) سقطت لفظة «بن» في إحدى النسخ المعتمدة.

(241) الملقب بشمس الدين، والمعروف بالشافعي الصغير، نسب إلى رملة وهي قرية صغيرة في مصر. وهو مشهود له بالفقه والتحقيق، ومن مصنفاته الجليلة «**نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**». وله إجازة عن الشيخ زكريا الأنصاري وغيره. توفي سنة 1004هـ. (انظر ترجمته في «**خلاصة الأثر**»، ج 3، ص. 342).

(242) أين الرابع ؟ فالشيوخ المذكورون ثلاثة، إلا إن كان رضا الدين معطوفاً على بدر الدين، وسقط واو العطف في نسخة، وعوض بابن في نسخة أخرى.

(243) نسبة إلى قرية من قرى مصر، روى «**صحيح البخاري**» عن جماعة يزيد عددهم على ثمانين شيخا. وانتهت إليه الرئاسة وعلو السند في الكتب الستة. توفي عاشر جمادى الآخرة سنة 922هـ (انظر ترجمته في «**الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**» لنجم الدين الغزي، ج 1، ص. 108؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 8، ص. 104؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 963– 964).

(244) انظر ص. 123، هامش 297.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبْري، أخبرنا أبو عبد الله إمام الأئمة أمير المومنين محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله.

سند «صحيح» مسلم[245]

أخبرني به مولانا الإمام أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي[246] فيما أجازنيه، والخطيب أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى إجازة مشافهة وكتابة.

قال الأول : أخبرني به شيخنا الإمام المحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدفال الدرعي، قال : أخبرني به مولانا الإمام زين العابدين أبو المكارم محمد ابن مولانا أبي الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمان البكري الصديقي المصري الشافعي، قال : أخبرني به والدي أبو الحسن، قال : أخبرني به قاضي القضاة زكرياء الأنصاري المصري، قال : أخبرني به الحافظ الرحلة أبو النعيم رضوان ابن محمد بن يوسف العقبي ثم القاهري[247]، والإمام المحقق شمس الغايات سماعا، وحافظ الوقت الشهاب أبو الفضل العسقلاني، ومسند الوقت أبو ذر عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله القاهري الحنفي سماعا عليهما لبعضه وإجازة لباقيه، عن مشايخهم، وهكذا بالأسانيد المتصلة للحافظين أبي الحسن مكي بن عبدان[248]، وأبي حامد

---

(245) هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري المولود سنة 206هـ والمتوفى سنة 261هـ، أجمع العلماء على جلالته وإمامته وورعه وحذقه في صناعة الحديث. ويكفي دليلا على ذلك كتابه الصحيح، الذي امتاز بحسن الترتيب، وتلخيص طرق الحديث، والتنبيه على ما في ألفاظ الرواية من الإختلاف متنا وسندا. وإلى ذلك يشير ابن الديبع (كما في «**شذرات الذهب**»، و«**الكنز**»، للثعالبي) أو الهلالي (كما في «**نفحة المسك الداري**») بقوله :

تنازع قوم في البخاري ومسلم ... لديَّ وقالوا أيَّ ذين يُقدم
فقلتُ لقد فاق البخاريُّ صحةً ... كما فاق في حُسن الصناعة مُسلمُ

(انظر ترجمة مسلم في «**تذكرة الحفاظ**»، ج 2، ص. 588؛ وانظر ما قيل في مرتبة «**صحيحه**» والموازنة بينه وبين «**صحيح البخاري**» في كتاب «**الحطة في ذكر الصحاح الستة**» لصديق حسن خان، ص. 228).

(246) نسبة إلى أيت داود بحاحة.

(247) كان إماما بارعا دينا متواضعا بشوشا، سليم الطوية بعيدا عن التكلف. توفي سنة 852هـ (انظر ترجمته في «**شذرات الذهب**»، ج 7، ص. 275).

(248) هو الإمام الحافظ الثقة الحجة، وهو تميمي نيسابوري، توفي سنة 325هـ. (انظر ترجمته في «**شذرات الذهب**»، ج 2، ص. 307).

الشرقي إجازة لهما من مؤلفه[249] الفقيه الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان[250] سماعا على المؤلف لجميعه سوى ثلاثة أبواب[251] كان يقول فيها : عن مسلم[252]، ولا يقول : أنبأنا مسلم.

وقال الثاني : أخبرني[253] به الإمام المحدث أبو العباس أحمد ابن الحاج أحمد ابن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي السوداني، قال : أخبرني[253] به سيدي ووالدي الفقيه الحاج المحدث المتفنن أحمد ابن الفقيه الحاج أحمد، وشيخنا العلامة محمد بن محمود بَغْيُعُ سماعا منهما لجميعه أو إلا قليلا، والقاضي الأجل أبو حفص عمر ابن الفقيه محمود إجازة، قالوا كلهم : أخبرنا به شيخنا اندغمحمد[254] سماعا منه غير ما مرة، قائلا : أخبرني به شيخ الإسلام جمال الدين أبو الفضل إبراهيم بن علاء الدين إجازة، قال : أخبرني به شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر، قال : أخبرني به المسند أبو عبد الله النيسابوري مشافهة عن أبي الفضل سليمان بن حمزة

---

(249) هكذا في النسخ المعتمدة، ولعلّ الواو ساقطة بعد «مؤلفه».

(250) السفياني ـ نسبة إلى مذهب سفيان الثوري ـ الحافظ الزاهد، كان ملازما للإمام مسلم. توفي سنة 308هـ (انظر مقدمة «**شرح صحيح مسلم**» للنووي؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 2، ص. 252).

(251) في «**سد الأرب**»، ص. 43 : «إلا ثلاثة أفوات». وعلق عليه صاحب «**نهاية المطلب**» في الهامش 6 بما يلي : «جمع فوت (بالفاء والتاء الفوقية بينهما واو). وفي النسخة المطبوعة : أبواب (بباءين موحدتين بينهما ألف). وهو تحريف. «الفوت الأول» في «كتاب الحجّ» من قول مسلم : «حدثنا ابن عنبر حدثنا أبي عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر فذكر حديث المقصرين والمحلقين، إلى حديث : «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم»، ويليه : حدثنا هارون بن محمد. «الفوت الثاني» في «كتاب الدعاء»، من قوله : حدثنا أبو خيثمة محمد بن المثنى، فذكر حديث ابن عمر (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه) إلى حديث القسامة، ويليه : حدثني إسحاق بن منصور أخبرنا بشر بن عمر. «الفوت الثالث» في «كتاب الإمارة والخلافة» من قوله : حدثني زهير بن حرب قال : حدثنا شبابة، فذكر حديث أبي هريرة (إنما الإمام جُنة) إلى قوله في «كتاب الصيد» في حديث أبي ثعلبة، ويليه (إذا رميت سهميك) حدثنا محمد بن مهران الوراق الرازي حدثنا أبو عبد الله حماد بن خالد الخياط. وهذه الأفوات الثلاثة نرويها في ضمن رواية ابن ماهان من طريق القلانسي عن مسلم».

(252) في «**سد الأرب**»، صص. 43-44 : «فكان يقول فيها عن مسلم. قال ابن الصلاح : فلا ندري أحملها عنه إجازة أو وجادة».

(253) في نسخة : أخبرنا.

(254) في النسخ المعتمدة : اندعمجمد. وفي ص. 419 وص. 420 : اندغمحمد . وفي «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 636 : «القاضي الشهير اندغمحمد بن محمد بن عثمان».

المقدسي[255]، عن أبي الحسن علي ابن المُقَيَّر، عن الحافظ أبي الفضل السلامي عن الحافظ مودة[256]، عن الحافظ أبي بكر الجوزقي[257]، عن أبي بشر مكي بن عبد الله[258]، عن الإمام أبي الحسين[259] أمير المومنين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

حَ[260] قال شيخنا العلامة الصالح محمد ابن الشيخ الصالح العلامة قاضي القضاة محمود بَغْيُعُ : أخبرني به قراءة لأوله إلى «كتاب الصلاة»، وإجازة لباقيه، شيخنا شيخ الإسلام محمد بن محمد البرهتموشي الحنفي بالقاهرة قراءة لجميعه، عن شيخ الإسلام المحقق الفهامة، خاتمة المحدثين شهاب الدين أحمد ابن سيدنا علي الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار بقراءته لجميعه، عن شيخ الإسلام البدر أبي السعادات محمد بن محمد ابن شيخ الإسلام عبد الرحمان البلقيني سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة، قال : أخبرني به أبو ذر عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين الزركشي الحنبلي وغيره بأسانيدهم المتصلة إلى مؤلفه رحمه الله ورضي عنه آمين.

قال الإمام أبو العباس السوداني : أخبرني به أيضا والدي والقاضي عاقب ابن الفقيه محمود، والفقيه محمد ابن الفقيه محمود[261]، والفقيه محمد ابن الفقيه

(255) هو قاضي القضاة، مسند الشام، المتوفى سنة 715هـ (انظر ترجمته في «**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**» لابن حجر العسقلاني، ج 2، ص. 146؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 6، ص. 35).

(256) في نسخة : عن أبي الحسن علي بن المقيَّد عن الحافظ ابن مهدة. وفي «**فهرست**» الهلالي، ص. 19 : عن الحافظ أبي القاسم عبد الرحمان بن منده. وسيأتي في ص. 419 : عن الحافظ ابن منده.

(257) هو الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن زكرياء الجوزقي الشيباني («**نهاية المطلب**» بهامش «**سد الأرب**»، ص. 42، هامش 2). وفي «**فهرست**» الهلالي، ص. 19) : عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله الجوزي.

(258) في «**نهاية المطلب**»، ص. 42، هامش 3 : «هكذا في جميع النسخ، وفي «**ثبت**» الشوكاني : مكي ابن عبد الرحمان النيسابوري. والمعروف على أفواه المشايخ : مكي بن عبدان التميمي النيسابوري بدال مهملة ثم ألف آخره نون».

(259) في النسخ المعتمدة : أبي الحسن.

(260) ح : «إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر، كتب المحدثون عند الانتقال من إسناد إلى إسناد «ح»، وهي حاء مهملة مفردة، والمختار أنها مأخوذة من التحول لتحوله من إسناد إلى إسناد. ويقول القارئ إذا انتهى إليها : «ح»، ويستمر في قراءة ما بعدها. وقيل إنها من حال الشيء يحول، إذا حجز لكونها حالت بين الإسنادين. ولا يلفظ عند الانتهاء إليها بشيء، وليست من الرواية. وقيل إنها رمز إلى قوله : الحديث. وأهل المغرب كلهم يقولون إذا وصلوا إليها : الحديث. قاله النووي» («**تحفة الأحوذي**»، ج 1، ص. 7 ؛ وانظر أيضا «**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**» للعيني، ج 1، ص. 84).

(261) لم يرد في نسخة هذا الاسم : الفقيه محمد ابن الفقيه محمود.

محمود بَغْيُغ قالوا : آخبرنا به قطب الدين الخرقاني المكي إجازة من مكة شرفها الله، قائلا: أخبرني به والدي عن الحافظ السخاوي[262]، قال: أخبرني به خلق يزيد عدهم على العشرين، أعلاهم العز أبو محمد عبد الرحيم بن محمد الحنفي[263] وأم محمد سارة بنت السراج عمر الحمدي الشافعي، وأبو ذر عبد الرحمان بن محمد الزركشي، وأبو بريرة عبد الرحمن بن عمر القباني[264] الحنبليان قراءة على الأولين ملفقا وإذنا من الآخرين.

قالوا إلا المرأة : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخزرجي البياتي، قال أولهم: إذنا، وقال الآخران : سماعا، قال ثانيهما : لبعضه ومشافهة لسائره، قال : أخبرنا به أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر[265] زاد الأخير، فقال : وأخبرني به الشيخان أولهما أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي القاسم التنوسي سماعا لجميعه، وغالبه أخبرنا به أبو محمد عبد العزيز بن نصر الحصري، وثانيهما أبو عبد الله بن إسماعيل الأنصاري إذنا، أخبرنا به أبو القاسم بن أبي بكر الأربلي.

وقالت المرأة : أخبرنا به أبو العباس أحمد بن عبد الكريم البعلي إذنا، قال : أخبرتنا به أم المؤيد زينب بنت عمر بن كندي.

قال الأربعة : أخبرنا به أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي، قال الأربلي : سماعا، والباقون : إذنا، أخبرنا به أبو أحمد الجلودي[266]، أخبرنا به أبو إسحاق بن سفيان الفقيه، قال : أخبرنا مؤلفه بذكره.

---

(262) هو الامام الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمان السخاوي ــ نسبة إلى سخا ــ قرية من قرى مصر، المولود في ربيع الأول سنة 831هـ، والمتوفى سنة 902هـ، بالمدينة المنورة، ترجم لنفسه في «الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع»، كما كتب ترجمة ذاتية مستقلة. وترجم له تلميذه ابن غازي في «فهرستـ»ـه (انظر «فهرس الفهارس والأثبات»، ج 2، صص. 989-993).

(263) (انظر ص. 206، هامش 57).

(264) في نسخة : البقاني.

(265) هو شرف الدين أبو الفضل وأبو العباس أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن عساكر المسند المعمر، المتوفى سنة 699هـ (انظر ترجمته في «شذرات الذهب»، ج 5، ص. 445).

(266) هو أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي (بضم الجيم) نسبة لسكة الجلوديين بنيسابور الدارسة، وقيل بفتحها نسبة لجلودا قرية، وهو إمام حافظ زاهد، توفي سنة 368هـ (انظر مقدمة «شرح صحيح مسلم» للنووي؛ و«شذرات الذهب»، ج 3، ص. 67؛ و«سد الأرب»، ص. 43).

«سنن»[267] أبي داود[268]

أخبرني به مولانا الإمام أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم رحمه الله فيما أجازنيه، عن شيخه الإمام المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدافال الدرعي، عن شيخه الإمام زين العابدين أبي المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي المصري، عن والده تاج العارفين أبي الحسن، عن قاضي القضاة زكرياء الأنصاري، عن شيوخه بأسانيدهم المذكورة في ثَبَتِه[269].

وأخبرني به أيضا الخطيب أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى، إجازة مشافهة وكتابة، قال : أخبرني به الإمام المحدث أبو العباس أحمد السوداني، قال : أخبرني به والدي الفقيه العلامة الحاج أحمد ابن أحمد، قال : أخبرني به قطب الدين الخرقاني المكي الحنفي إجازة، قال : أخبرني به والدي عن الحافظ محمد بن عبد الرحمان السخاوي قال : أخبرني به جماعة كثيرون منهم الشيخ عبد الرحيم بن محمد القاضي وإجازة من أبي الحسن البعلي، كلاهما عن أبي حفص المدني، قال ثانيهما : سماعا، أنبأنا به الفخر بن البخاري[270]،

---

(267) في نسخة : سند أبي داود.

(268) هو الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، المولود سنة 202هـ، والمتوفى سنة 275هـ. جمع كتاب «السنن» الذي يعد ضمن الكتب الستة المعتبرة في الحديث. وقد عرضه ـ عندما جمعه ـ على شيخه أحمد بن حنبل فاستحسنه واستجاده (انظر ترجمته في «**وفيات الأعيان**»، ج 2، ص. 402؛ و«**معجم المطبوعات العربية والمعربة**» ليوسف سركيس، ج 1، ص. 309).

(269) الثَّبَت : الفهرسة التي يجمع فيها المحدث مروياته وأشياخه. كأنه أخذ من الحجة، لأن أسانيده وشيوخه حجة له. («**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، صص. 68-69).

(270) هو الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي، المولود سنة 595هـ، والمتوفى سنة 690هـ. عرف والده بالبخاري لكونه أقام ببخارى مدة يقرأ على الرضي النيسابوري. له مشيخات متعددة تدل على حفظه وسعة روايته. (انظر ترجمته في «**العبر في خبر من غبر**» للذهبي، ج 5، ص. 368؛ و«**طبقات الحنابلة**» لابن رجب الحنبلي، ج 2، ص. 325؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 5، ص.ج 414؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 633-634؛ و«**الرسالة المستطرفة**»، ص. 142).

أنبأنا به أبو حفص[271]، أخبرنا به أبو عُمر[272] الهاشمي[273]، أخبرنا به أبو علي اللؤلؤي[274]، قال : أنبأنا به مؤلفه رحمه الله.

«الجامع» للترمذي[275]

أخبرني به مولانا الإمام أبو زكرياء يحيى بن عبد الله رحمه الله فيما أجازنيه، عن شيخه الإمام أبي العباس أحمد بن محمد أدافال، عن شيخه زين العابدين أبي المكارم، عن والده أبي الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمان المصري الصديقي الشافعي، عن القاضي زكرياء الأنصاري، عن شيوخه أبي الفضل العسقلاني، والحافظ[276] أبي النعيم رضوان بن محمد بن يوسف العقبي القاهري، والإمام شمس الغايات، ومسند الوقت أبي ذر عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله القاهري الحنبلي، عن مشايخهم بأسانيدهم.

---

(271) هو أبو حفص عمر بن محمد بن طَبَرْزد البغدادي المتوفى سنة 607هـ، وهو إمام محدث مشهور (انظر ترجمته في «**وفيات الأعيان**»، ج 3، ص. 452؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 5، ص. 26).

(272) في نسخة : أبو عمرو. وما أثبتناه هو الوارد في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 180؛ و«**سد الأرب**»، ص. 45؛ و«**قطف الثمر**»، ص. 51.

(273) البصري، كان ثقة أمينا، وتولى قضاء البصرة، وتوفي سنة 414هـ (انظر ترجمته في «**العبر**»، ج 3، ص. 117؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 201). وتوجد في «**سد الأرب**»، ص. 45 بين أبي حفص وبين أبي عمر الهاشمي واسطتان.

(274) هو أبو علي محمد بن عمر اللؤلؤي المتوفى سنة 332هـ وقيل سنة 333هـ، وهو حافظ ثقة ثبت، لزم أبا داود مدة طويلة، وتعتبر روايته لـ«**سنن**» أبي داود أصح الروايات (انظر ترجمته في «**شذرات الذهب**»، ج 2، ص. 334؛ و«**الحطة**»، ص. 251).

(275) هو الإمام الحافظ الحجة أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تتلمذ على البخاري، وكان غاية في الورع والزهد والعلم. وضرب به المثل في الحفظ، ولد سنة 210هـ وتوفي سنة 279هـ (انظر ترجمته في «**معجم المطبوعات العربية والمعربة**»، ج 1، ص. 632؛ و«**الأعلام**» للزركلي، ج 7، ص. 213. وانظر مصادر ترجمته في «**تاريخ التراث العربي**» لسزكين، المجلد الأول، الجزء الأول، ص. 300). وقد وصف أبو السعادات ابن الأثير في كتابه «**جامع الأصول في أحاديث الرسول**»، ج 1، ص. 193 («**جامع الترمذي**» ـ الذي تساهل البعض كأبي عبد الله الحاكم، والخطيب البغدادي، فسماه «**الجامع الصحيح**» ـ بقوله : «وهذا كتابه «**الصحيح**» أحسن الكتب، وأكثرها فائدة، وأحسنها ترتيبا، وأقلها تكرارا، وفيه ما ليس في غيره : من ذكر المذاهب، ووجوه الإستدلال، وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب، وفيه جرح وتعديل. وفي آخره «كتاب العلل» قد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها».

(276) في النسخ المعتمدة : «عن الحافظ أبي النعيم». لكن تقدم في سند «**صحيح مسلم**»، أنه لا واسطة بين زكريا الأنصاري وأبي النعيم. وسيأتي في ص. 248 ما يؤيد صحة ما أثبتناه.

وأخبرني به أيضا الخطيب أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى، قال : أخبرني به الإمام المحدث أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت السوداني، قال : أخبرني به والدي والفقيه القاضي عاقب ابن الفقيه محمود، والفقيه محمد ابن الفقيه محمود[277]، والفقيه محمد ابن الفقيه محمود بَغْيُعُ.

قالوا : أخبرنا به قطب الدين محمد بن أحمد الخرقاني المكي الحنفي إجازة من مكة شرفها الله، قال : أخبرني به والدي عن الحافظ السخاوي، قال السخاوي : أخبرني به جماعة كثيرون منهم سارة أم أحمد[278] بنت أبي حفص الحمدي، وإجازة عن عائشة بنت إبراهيم، وأبي عبد الله بن محمد بن الحضر المصري[279] كلهم عن عمر بن أحيلة، قال الآخران : سماعا أو هما لجميعه والآخر لبعضه، أخبرنا به أبو الحسن السعدي أخبرنا به عمر بن محمد[280]، أخبرنا به أبو الفتح الكروخي[281]، أنبأنا به أبو عامر الأزدي[282] وأبو بكر الغُورَجي[283]، قالا : أنبأنا به أبو محمد الجراحي[284] أنبأنا به أبو العباس المحبوبي[285]، حدثنا مؤلفه رحمه الله ورضي عنه.

(277) سقط من إحدى النسخ المعتمدة : «والفقيه محمد ابن الفقيه محمود».

(278) كنيتها في ص. 243 : أم محمد.

(279) في نسخة : الحضر بن المصري.

(280) هو ابن طبرزد السابق في هامش 271.

(281) هو أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكَرُوخي ـ نسبة إلى كَرُوخ بلدة في نواحي هراة ـ المتوفى سنة 548هـ. كان خيرا صالحا صدوقا، وكان يكتب نسخا لـ«**جامع الترمذي**» ويبيعها فيتقوت منها (انظر «**تذكرة الحفاظ**»، ج 4، ص. 1313؛ و«**شذرّث الذهب**»، ج 4، ص. 148).

(282) هو القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي، الفقيه الشافعي المتوفى سنة 487هـ (انظر «**طبقات الشافعية الكبرى**»، لتاج الدين السبكي، ج 5، ص. 327؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 382).

(283) هو الإمام أبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغُورَجي ـ بضم الغين المعجمة، وفتح الراء، نسبة إلى غُورَة، قرية بهراة ـ المتوفى سنة 481هـ (انظر «**تذكرة الحفاظ**»، ج 3، ص. 1190؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 365). وفي النسخ المعتمدة : الفوزخي، وهو تصحيف.

(284) هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن أبي الجراح المرزباني المروزي المتوفى سنة 412هـ. وهو مسند مرو، وكان ثقة صالحا (انظر «**تذكرة الحفاظ**»، ج 3، ص. 1052، و«**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 195). وفي النسخ المعتمدة : الحراجي، وهو تصحيف.

(285) هو محدث مَرْو وشيخها ورئيسها أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي، المتوفى سنة 346هـ (انظر «**تذكرة الحفاظ**»، ج 3، ص. 863؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 2، ص. 373).

«السنن الصغرى» للنسائي[286]

أخبرني به مولانا الإمام أبو زكرياء فيما أجازنيه، عن شيخه أبي العباس أدافال عن شيخه زين العابدين أبي المكارم عن والده أبي الحسن عن القاضي زكرياء الأنصاري المصري عن شيوخه المذكورين بأسانيدهم.

وأخبرني به أيضا أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت، قال : أخبرني به أبو العباس السوداني، عن والده الإمام المحدث أبي العباس أحمد بن أحمد، والقاضي عاقب بن محمود، والفقيه محمد بن محمود، قالوا : أخبرنا به قطب الدين محمد بن أحمد الخرقاني المكي الحنفي، قال: أخبرني به والدي عن الحافظ السخاوي، قال السخاوي : أخبرني به عبد الواحد بن صدقة الحداني، وحليمة بنت الشهاب الأسحاني ملفقا.

قال أولهما : أخبرني أبو العباس بن الرحل سماعا وإذنا، أخبرني به كذلك أبو البهاء أبو الحسن بن الصواف، أخبرنا بما سمعته منه فقط الصفي أبو بكر بن باقا[287].

وقالت المرأة : أخبرنا به الصلاح بن عمر الحنبلي إذنا، أخبرنا به التقي أبو إسحاق الواسطي، أخبرنا أبو الفتح البراج وأبو طالب بن القبيضي ملفقا، قال الثلاثة : أخبرنا به أبو زرعة المقدسي[288] سماعا وإجازة، أخبرنا به أبو محمد

---

(286) هو الحافظ أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي النسائي ـ نسبة إلى نسا، مدينة بخراسان. ولد سنة 215هـ، وتوفي سنة 303هـ. قال عنه السيوطي : «الحافظ شيخ الإسلام، أحد الأئمة المبرزين، والحفاظ المتقنين». صنف «السنن الكبرى»، وأهداه إلى أمير الرملة، فقال له الأمير : أكل ما في هذا صحيح؟ فجرد الصحيح منه في المنتخب المسمى بـ«المجتبى» (وهو «السنن الصغرى») و«المجتبى» أقل الكتب بعد «الصحيحين» حديثا ضعيفا ورجلا مرجوحا. (انظر «وفيات الأعيان»، ج 1، ص. 77؛ و«كشف الظنون» لحاجي خليفة، ج 2، ص. 159؛ و«سد الأرب مع نهاية المطلب»، صص. 55-56؛ و«معجم المطبوعات العربية والمعربة»، ج 2، ص. 1851).

(287) هو صفي الدين أبو بكر عبد العزيز بن أحمد بن باقا البغدادي الحنبلي المتوفى سنة 630هـ/1233م. (انظر «شذرات الذهب»، ج 5، ص. 135).

(288) هو الرجل الصالح الراوية أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي الهمذاني المتوفى سنة 566هـ (انظر «شذرات الذهب»، ج 4، ص. 217).

الدُّوني[289]، أخبرنا به أبو نصر بن الكسَّار[290]، أخبرنا به أبو بكر بن السُّني[291] الحافظ، أخبرنا به مؤلفه رحمه الله ورضي عنه.

«السنن الكبرى» للنسائي أيضا

أخبرني به مولانا الإمام أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ـ قدس الله روحه ـ عن شيخه الإمام المحدث أبي العباس أحمد بن محمد أدافال الدرعي، عن شيخه الإمام زين العابدين، عن والده أبي الحسن تاج العارفين، عن شيخه القاضي زكرياء الأنصاري المصري، عن شيوخه أبي الفضل العسقلاني والحافظ أبي النعيم رضوان بن محمد بن يوسف القاهري، والإمام شمس الغايات، ومسند الوقت أبي ذر عبد الرحمٰن ابن محمد بن عبد الله القاهري الحنبلي، عن مشايخهم.

وأخبرني به الخطيب أبو زيد عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى، قال : أخبرني به الإمام المحدث أبو العباس أحمد ابن أحمد السوداني، قال : أخبرني به والدي، والقاضي عاقب بن محمود، والفقيه محمد بن محمود.

قالوا : أخبرنا به قطب الدين الخرقاني المكي، قال : أخبرني به والدي، عن الحافظ السخاوي، وقال السخاوي: أخبرني به قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قال : أخبرني به عبد الرحيم العراقي[292] بروايته عن الحافظ أحمد بن

---

(289) هو الزاهد العابد أبو محمد عبد الرحمان بن محمد الدُّوني ـ بضم الدال المهملة وسكون الواو، وكسر النون بعدها ياء النسب، نسبة إلى دُون : قرية بين همذان ودينور ـ المتوفى سنة 501هـ (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 4، ص. 3). وفي النسخ المعتمدة : الدرمي؛ وفي «**فهرست**» الهلالي، ص. 26 : الدريني، وذلك تحريف وتصحيف.

(290) هو الإمام أبو نصر أحمد بن الحسين بن محمد الكسار ـ بفتح الكاف، وتشديد السين المهملة، وبالراء لقب له ـ القاضي الدِّينَوَري المتوفى سنة 433هـ (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 250).

(291) هو الفقيه المحدث الثقة الحجة أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي المعروف بابن السني، المتوفى سنة 364هـ (انظر ترجمته في «**تذكرة الحفاظ**»، ج 3، ص. 939؛ و«**طبقات الشافعية الكبرى**»، ج 3، ص. 39؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 47). في النسخ المعتمدة : المسنى. وهو خطأ.

(292) هو الفقيه الأصولي، المحدث الحافظ، اللغوي الأديب زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان العراقي الأصل المصري الشافعي، المتوفى سنة 806هـ (انظر «**معجم المؤلفين**»، ج 5، ص. 204).

إبراهيم بن الزبير الغرناطي بكتاب إليه من غرناطة، قال : أخبرني بجميعه أبو الحسن محمد بن علي الغافقي قراءة عليه وأنا أسمع، قال : سمعت جميعه على أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن حجر، قال : قرأت الكتاب أجمع على الحافظ أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن البطروجي، قال : أخذت جميعه ما بين سماع وقراءة عن أبي عبد الله محمد بن فرج مولى بن الطلاع، قال : سمعت جميعه عن القاضي أبي الوليد يونس ابن المغيث الصفار، قال : قرأته على أبي بكر محمد بن معاوية القرشي المعروف بابن الأحمر، قال : حدثنا النسائي بذكره.

«السنن» لابن ماجه(293)

أخبرني به مولانا أبو زكرياء رحمه الله فيما أجازنيه، عن شيخه الإمام المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدفال الدرعي، عن شيخه الإمام زين العابدين أبي المكارم، عن والده تاج العارفين أبي الحسن الصديقي البكري المصري، عن القاضي زكرياء المصري، عن شيوخه المذكورين.

وأخبرني به أيضا أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى، قال : أخبرني به الإمام المحدث أبو العباس السوداني، عن والده أبي العباس أحمد بن أحمد، والقاضي عاقب بن محمود، والفقيه محمد بن محمود.

---

(293) هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله ابن ماجهْ (بسكون الهاء، لقب أعجمي لوالده يزيد، وقيل ماجه أمه) الرَّبَعِي (نسبة إلى ربيعة بالولاء) القزويني (نسبة إلى مدينة بعراق العجم، بقرب الأبهر والديلم) ولد سنة 209هـ وتوفي سنة 963هـ، وقيل 273هـ. وكتابه «السنن» هو سادس الكتب الستة. وأول من أضافه إلى الكتب الخمسة ليكون سادسها أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي في «أطراف الكتب الستة» له، ثم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي في كتاب «الكمال في [illegible] الرجال» ـ أي رجال الكتب الستة ـ ومن العلماء من جعل الكتاب السادس «الموطأ»، بدل «سنن» ابن ماجه ـ كرزين بن معاوية (ت 525هـ)، وابن الأثير الجزري (ت 606هـ) في «جامع الأصول». وقال بعض الحفاظ كابن الصلاح والنووي وصلاح الدين العلائي والحافظ ابن حجر : لو جعل مسند الدارمي سادسا كان أولى.

و«سنن» ابن ماجه كتاب مفيد، كثير النفع في أحاديث الأحكام، حسن الترتيب والتبويب، لكن فيه أحاديث ضعيفة، بل منكرة، قال الحافظ الذهبي : ««سنن» أبي عبد الله كتاب حسن لولا ما كدره منأحاديث واهية ليست بالكثيرة». (انظر «سد الأرب مع نهاية المطلب»، صص. 58ـ59، و«معجم المطبوعات العربية والمعربة»، ج 1، ص. 231؛ و«تاريخ التراث العربي» المجلد الأول الجزء الأول، ص. 258).

قالوا : أخبرنا به قطب الدين محمد بن أحمد الخرقاني المكي الحنفي، قال : أخبرني به والدي عن الحافظ السخاوي، قال : السخاوي أخبرني به القاضي عز الدين المؤرخ[294] بن الفرات، وإجازة من أبي هريرة الغباني وأبي عبد الله بن أبي الحياة، قال الأولان : أخبرنا به أبو إسحاق الزيناوي[295] إذنا للأول، وسماعا للثاني لبعضه وإذنا، قال : أنبأنا به أبو محمد بن دَرْوَان، قال : أخبرني[296] به الوفق بن قدامة، وقال الثالث : أخبرنا به الظهير العجمي، والكمال بن حبيب حضورا وسماعا وإجازة، قالا : أنبأنا به سنقون الزبيني حضورا لثانيهما وسماعا للآخر أنبأنا به الموفق أبو محمد البغدادي قال : أنبأنا به أبو زرعة المقدسي، أنبأنا به أبو منصور المقومي[297]، أنبأنا به أبو طلحة بن أبي المنذر الخطيب[298]، حدثنا به أبو الحسن ابن إبراهيم القطان[299]، قال : أنبأنا به مؤلفه.

«جامع الأصول» لابن الأثير[300]

أخبرني به الخطيب أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى، قال : أخبرنا به الإمام أبو العباس المحدث أحمد بن

---

(294) في بعض النسخ : عز الدين بن المؤرخ.

(295) في نسخة : الزيتاوي.

(296) في نسخة : أخبرنا.

(297) هو أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد المُقَوِّمي ـ بضم الميم، وفتح القاف، وتشديد الواو المكسورة، نسبة إلى مقوم جده ـ القزويني المتوفى سنة 484هـ (انظر «**تذكرة الحفاظ**»، ج 4، ص. 1197؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 372).

(298) هو الإمام المسند أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر القزويني المتوفى سنة 409هـ (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 189).

(299) هو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القَطَّان ـ بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة نسبة إلى بيع القطن. وهو إمام حافظ ذو ديانة وعبادة وزهد، توفي سنة 345هـ (انظر «**تذكرة الحفاظ**»، ج 3، ص. 856). في النسخ المعتمدة : أبو الحسن بن عمر القطاني. وفي «**فهرست الهلالي**»، ص. 27 : عن الشيخ إبراهيم القطان. والتصويب من «**قطف الثمر**»، ص. 66؛ و«**سد الأرب**»، ص. 58.

(300) هو العلامة المحدث الفقيه الأصولي الأديب مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الشافعي المعروف بابن الأثير الجزري، المتوفى سنة 606هـ (انظر «**معجم المؤلفين**»، ج 8، ص. 174؛ و«**قطف الثمر**»، ص. 121 هامش 4).
واسم كتابه المعني هنا «**جامع الأصول في أحاديث الرسول**». وقد نشر في سوريا بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط عام 1389هـ ـ 1969م.
ولرَزِين بن معاوية الأندلسي المتوفى سنة 535هـ كتاب يحمل أيضا عنوان «**جامع الأصول**»، ويسمى كذلك : «**تجريد الصحاح الستة**» (انظر «**سد الأرب**»، ص. 162).

أحمد السوداني، قال : أخبرني به والدي، والقاضي عاقب ابن الفقيه محمود، والفقيه محمد بن محمود، قالوا : أخبرنا به قطب الدين محمد بن أحمد الخرقاني المكي، قال : أخبرني به والدي، عن الحافظ السخاوي، قال : أخبرني به جماعة كثيرون منهم العز ابن الفرات الحنفي عن أبي عبد الله الشيباني، أنبأنا به الفخر بن البُخاري، عن مؤلفه الإمام المجد أبي السعادات الشيباني رحمه الله.

«تيسير الوصول» للدَّبْيَع[301]

أروي «**تيسير الوصول إلى جامع الأصول**» من حديث الرسول للعلامة الموجه عبد الرحمٰن الديبع، عن الخطيب أبي زيد التلمساني، عن أبي العباس السوداني، عن والده وعن القاضي عاقب، والفقيه محمد بن محمود، عن قطب الدين الخرقاني المكي عن مؤلفه بالإجازة العامة وبالمكاتبة.

«الترغيب والترهيب» للمنذري[302]

أخبرني به مولانا الإمام أبو زكرياء ـ رحمه الله ـ فيما أجازنيه، عن الإمام المحدث أبي العباس أدفال، عن زين العابدين أبي المكارم، عن والده أبي الحسن تاج العارفين، عن القاضي زكرياء، عن أشياخه المذكورين.

(301) هكذا في النسخ المعتمدة، والصواب : لابن الديبع، وهو الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمان بن علي الديبع الشيباني العبدري الزَّبيدي اليمني الشافعي. والديبع معناه بلغة السودان : الأبيض، وهو لقب جده علي بن يوسف. ولد سنة 866هـ، وتوفي ضحى يوم الجمعة 26 رجب عام 944هـ. ترجم لنفسه ترجمة مفصلة في ذيل كتابه : «**بغية المستفيد في أخبار زبيد**». وكتابه المعني هنا عنوانه : «**تيسير الوصول إلى جامع الأصول**»، وهو اختصار لكتاب «**جامع الأصول**» لابن الأثير المتقدم في ص. 250. وفيه يقول :

كتابي تيسير الوصول الذي حوى ... أصول الحديث الستَّ عزّ نظيره
فمن بمعانيه اعتنى ودرومه ... وتحصيله استغنى ودام سرورُه

(انظر ترجمته في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، صص. 412-415).

(302) هو الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سعد بن المنذر الشامي ثم المصري، المولود سنة 581هـ، والمتوفى سنة 656هـ. ولي مشيخة الكاملية مدة، وانقطع فيها نحو عشرين سنة مكبا على العلم والإفادة. ومن مصنفاته «**الترغيب والترهيب**»، و«**التكملة لوفيات النقلة**»، و«**مختصر صحيح مسلم**»، و«**مختصر سنن أبي داود**»، وله عليه حواش مفيدة. (انظر «**تذكرة الحفاظ**»، ج 4، ص. 1436؛ و«**سد الأرب، مع نهاية المطلب**»، ص. 158؛ و«**معجم المطبوعات العربية والمعربة**»، ج 2، ص. 1801؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 562-563).

وأخبرني به أيضا الخطيب أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التلمساني، عن الإمام المحدث أبي العباس السوداني، عن والده والقاضي عاقب بن محمود، والفقيه محمد بن محمود، قالوا : أخبرنا به قطب الدين الخرقاني المكي، قال : أخبرنا[303] به الحافظ السخاوي، قال : أنبأنا به أبو الفتح المراغي، عن الجلال[304] السيوطي[305]، أنبأنا به أبو النون الدبوسي[306]، عن مؤلفه رحمه الله.

«الشمائل النبوية» للترمذي[307]

أخبرني[308] بها[309] مولانا الإمام أبو زكرياء ــ رحمه الله ــ فيما أجازنيه، عن شيخه الإمام أبي العباس أدفال، عن شيخه أبي المكارم، عن والده أبي الحسن، عن القاضي زكرياء المصري، عن شيوخه الذين تقدم ذكرهم.

وأخبرني بها[310] أيضا الخطيب أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة السوس الأقصى. ں الإمام المحدث أبي العباس السوداني، عن والده، والقاضي عاقب بن محمود، والفقيه محمد بن محمود، قالوا : أخبرنا به قطب الدين الخرقاني المكي، عن والده، عن الحافظ السخاوي، قال :

---

(303) في نسخة : أخبرني.

(304) في النسخ المعتمدة : الجمال. وهو خطأ، لأن لقب السيوطي هو جلال الدين.

(305) هو الإمام المشارك جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي المولود سنة 849هـ والمتوفى سنة 911هـ. وصفه الكتاني، في «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، ص. 1011ز، بأنه «كان نادرة من نوادر الإسلام في القرون الأخيرة حفظا واطلاعا ومشاركة وكثرة تأليف»، ورفع أحمد الشرقاوي إقبال في كتابه «**مكتبة الجلال السيوطي**» عدد مؤلفاته إلى 725 مؤلفا. (انظر ترجمته في «**درة الحجال**»، ج 3، ص. 92؛ و«**الفكر السامي**»، ج 2، ص. 351؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 1010–1022).

(306) هو الإمام المسند المعمر أبو النون يونس بن إبراهيم الدبوسي المتوفى سنة 729هـ (انظر ترجمته في «**الدرر الكامنة**»، ج 4، ص. 484؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 6، ص. 92). ولا يمكن أن يأخذ السيوطي عن أبي النون مباشرة ودون وسائط، لأن أبا النون توفي قبل ولادة السيوطي بمائة وعشرين سنة. وفي «**قطف الثمر**»، صص. 52–53، نجد في سند «**سنن**» أبي داود بين السيوطي وأبي النون واسطتين هما أبو بكر بن صدقة المناوي (ت 880هـ) ومحمد ابن المطرز (ت 797هـ).

(307) سبق التعريف بالترمذي في ص. 245، هامش 275. وكتابه المعنيُّ هنا هو «**الشمائل المحمدية**». وقد طبع مرارا. وممن شرحه محمد بن قاسم جسوس، وإبراهيم البيجوري، وكلا الشرحين مطبوع ومتداول.

(308) في نسخة : أخبرنا.

(309) في نسخة : به.

(310) في نسخة : به.

أخبرتنا بها سارة بنت عمر الحمدي[311]، وإجازة عن أبي الحسن بن بردس، كلاهما عن أبي عمر محمد بن أحمد الحنبلي[312]، قال الثاني : سماعا، أخبرنا أبو الحسن السعدي، أنبأنا بها أبو اليمن الكندي، أخبرنا أبو إسحاق[313] البسطامي أخبرنا بها أبو القاسم الخليلي[314] أخبرنا بها أبو القاسم الخزاعي[315]، أخبرنا أبو سعيد الشاشي[316]، حدثنا بها المؤلف رحمه الله.

«الشفاء» للقاضي عياض[317]

أخبرني به مولانا الإمام أبو زكرياء ـ رحمه الله ـ فيما أجازنيه، عن شيخه أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدفال، عن شيخه زين العابدين، عن والده أبي الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن البكري، عن القاضي زكرياء الأنصاري المصري، عن شيوخه أبي الفضل العسقلاني، والحافظ أبي النعيم رضوان بن محمد بن يوسف القاهري، والإمام شمس الغايات، ومسند[318] الوقت أبي ذر عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله القاهري الحنبلي، عن شيوخهم بأسانيدهم.

---

(311) في نسخة : الحموي. وقد ذكر هذا الاسم في ص. 243 وص. 246.

(312) في نسخة : المنبلي.

(313) في نسخة : أنبأنا إسحاق.

(314) في النسخ المعتمدة : الخليل. وهو مسند بلخ أبو القاسم أحمد بن محمد بن محمد الخليلي الدهقان، المتوفى سنة 491هـ عن مائة سنة وسنة (انظر ترجمته في «**تذكرة الحفاظ**»، ج 4، ص. 1230؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 397).

(315) هو الإمام المسند أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الخزاعي البلخي المتوفى سنة 411هـ (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 195).

(316) في النسخ المعتمدة : الشافعي، وهو خطأ. وهو الإمام المحدث أبو سعيد الهيثم بن كليب ابن شريح الشاشي، المتوفى سنة 335هـ (انظر ترجمته في «**تذكرة الحفاظ**»، ج 3، ص. 848؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 2، ص. 342).

(317) هو الفقيه المحدث الأديب أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليَحْصبي. ولد بمدينة سبتة سنة 476هـ، وتوفي بمراكش سنة 544هـ. وله مصنفات بديعة نافعة، منها كتاب «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» الذي طبقت شهرته الآفاق، وأقبل عليه الناس في المشرق والمغرب إقبالا منقطع النظير. وقد انتقده الذهبي، فقال : «إنه محشو بالأحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة نقده، مما لا يحتاج قدر النبوة له». (انظر في المقدمة التي قدم بها محمد بن تاويت للجزء الأول من «**ترتيب المدارك**» لائحة مصادر ومراجع ترجمة عياض).

(318) في النسخ المعتمدة: مسند الوقت ـ دون واو العطف ـ، وهو خطأ (انظر ص.240 وص.248).

وأخبرني به أيضا الخطيب أبو زيد عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد التلمساني نزيل تارودانت، قال: أخبرني به أبو العباس أحمد بن أحمد السوداني، أخبرني به والدي، قال : أخبرني به إجازة شيخنا الإمام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة أبو اليمن محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن الميموني بلدا، المصري مولدا، المكي استيطانا ومحتداً بمكة المشرفة بمنزل سكناه علو باب السلام المعروف بباب بني شيبة عام ستة وخمسين وتسعمائة، كما رواه وسمعه عن شيخه شيخ الإسلام، مالك العلماء الأعلام، صدر مصر والعراقين والشام، قاضي القضاة زكرياء الأنصاري، عن شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني إجازة، قال : أخبرني به الشيخ أبو الفرج عبد الرحمٰن بن المقري إذنا مشافهة، عن يونس بن إبراهيم بن عبد الملك، عن محمد بن محارب[319] عن أحمد بن علي بن خيثم[320]، عن مؤلفه القاضي عياض رحمه الله تعالى.

ثم أجازنيه أبو العباس المذكور مكاتبة من بعده من تنبكتو.

سند الكتب التي أسندها الحطاب[321] في أول شرحه لخليل

أرويها بالإجازة العامة مكاتبة عن أبي العباس أحمد بن أحمد السوداني المعروف ببابا.

وأرويها عن الخطيب أبي زيد عبد الرحمٰن بن محمد التلمساني مشافهة وكتابة عن أبي العباس المذكور، بحق روايته لها عن العلامة يحيى الحطاب، عن عمه بركات، عن والده محمد الحطاب الكبير بأسانيده في أول ذلك الشرح.

وأرويها بالإجازة العامة، عن شيخنا الإمام أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي، فيما أجازنيه، عن شيخه أبي العباس أحمد بن محمد أدفال، عن شيخه زين العابدين، عن مؤلفه الحطاب الكبير بالإجازة العامة له وتفصيل أسانيدها بقوله : أخذت الفقه عن جماعة منهم سيدي والدي محمد بن عبد الرحمٰن الحطاب رحمه الله، وهو أخذ الفقه عن جماعة منهم الشيخ العلامة العارف بالله

(319) لم يكتب «محارب» في النسخ المعتمدة هنا، وإنما ترك مكانه فارغا. وكتب في ص. 422.

(320) في نسخة : عن خثم. وفي ص. 423 : بن حليم.

(321) انظر ترجمته في ص. 206، هامش 54. ولا تنس ما أشرت إليه في ص. 136، هامش 419 من أن الحطاب الكبير ليس هو شارح «المختصر»، وإنما شرحه ابنه محمد، عكس ما ظن التمنارتي.

تعالى أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد السلام المعروف بالعلمي[322]، والعلامة قاضي القضاة بالمدينة محمد بن أحمد بن موسى السخاوي، وهما أخذا الفقه عن جماعة منهم العلامة المحقق قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان البساطي[323] شارح «**المختصر**»، وأخذ الثاني أيضا عن أبي القاسم محمد بن محمد بن علي النويري[324]، وحضر الوالد أيضا بعض دروس الشيخ الإمام العلامة شيخ المالكية في زمنه نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الله بن علي السنهوري[325]، وهو أخذ الفقه عن الإمام العلامة زين الدين طاهر بن محمد بن علي النويري[326].

وأخذ البساطي الفقه عن العلامة قاضي القضاة أبي البقاء بهرام[327] الشارح، والعلامة المؤرخ قاضي القضاة أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون[328].

---

(322) بضم العين وفتح اللام، وهو قسنطيني نزل القاهرة، ثم حج وقطن بمكة، وانتفع به العلماء في الحديث وغيره. توفي سنة 888هـ (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**»، ص. 358؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 265).

(323) هو الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطي، المتوفى سنة 842هـ/1439م (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**»، صص. 300–303؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 241؛ و«**معجم المؤلفين**»، ص. 8، ص. 291؛ و«**الأعلام**» للزركلي، ج 6، ص. 228).

(324) الإمام الفقيه المقرئ المحقق المتوفى سنة 857هـ (انظر «**شجرة النور الزكية**»، ص. 243).

(325) هو الإمام الحافظ المحدث شيخ المالكية في وقته. توفي سنة 889هـ (انظر ترجمته في «**الضوء اللامع**»، ج 5، ص. 249؛ و«**نيل الإبتهاج**»، ص. 208؛ و«**درة الحجال**»، ج 3، ص. 251؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ج 1، ص. 258؛ و«**الفكر السامي**»، ج 2، ص. 261).

(326) هو الشيخ زين الدين طاهر بن محمد بن علي بن محمد النويري – نسبة إلى نويرة، وهي قرية من قرى صعيد مصر الأدنى – المتوفى سنة 856هـ (انظر ترجمته في «**الضوء اللامع**»، ج 4، ص. 5؛ و«**درة الحجال**»، ج 1، ص. 281؛ و«**نيل الإبتهاج**»، ص. 130؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 242).

(327) هو قاضي القضاة أبو البقاء بهرام بن عبد الله الدميري المتوفى سنة 791هـ، وهو حامل لواء المذهب المالكي بمصر، له تآليف كثيرة مفيدة، منها «**الشامل في الفقه**»، وثلاثة شروح على «**مختصر خليل**»، وغيرها (انظر ترجمته في «**شذرات الذهب**»، ج 7، ص. 49؛ و«**درة الحجال**»، ج 1، ص. 217؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ج 1، ص. 239؛ و«**الفكر السامي**»، ج 2، ص. 250).

(328) المتوفى سنة 808هـ. وهو فقيه مؤرخ متبحر في سائر العلوم. له مؤلفات شهيرة كـ«**المقدمة**» التي شرق صيتها وغرب، وكتاريخه الحافل (انظر ترجمته في «**توشيح الديباج وحلية الإبتهاج**» للقرافي، ص. 118؛ و«**نيل الإبتهاج**»، صص. 169–170؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ج 1، ص. 227، وعرَّف بنفسه في تاريخه في نحو 44 ورقة).

وأخذ الشيخ بهرام الفقه عن الشيخ العلامة ولي الله تعالى خليل بن إسحاق صاحب «المختصر»، وهو أخذ عن الشيخ العالم العامل أبي محمد عبد الله بن سليمان المنوفي[329]، وهو أخذ الفقه عن جماعة منهم شيخ المالكية الشيخ زين الدين محمد بن محمَّد بن عبد الرحمنٰ الشهير بالقويع[330]، وهو أخذ الفقه عن جماعة منهم يحيى بن الفرج بن زيتون[331] ومحمد بن عبد الرحمنٰ قاضي تونس[332] أخذ عن ابن حَبيش[333] وابن الدارس.

وأخذ القاضي عبد الرحمنٰ بن خلدون عن جماعة منهم قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري[334].

وأخذ أبو القاسم النويري والد الشيخ طاهر النويري عن جماعة منهم البدر حسين بن علي البوصيري[335]، عن جماعة منهم الشيخ خليل بن إسحاق والشيخ أحمد بن عمر بن هلال الربعي[336].

---

(329) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي، المولود سنة 686هـ، والمتوفى سنة 749هـ. تفقه في مذهب مالك، وجمع بين العلم والعمل (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**»، صص. 143-145).

(330) هكذا في النسخ المعتمدة. وفي «**الديباج المذهب**» : «الشهير بابن القويع»؛ وفي «**نيل الإبتهاج**» : «عرف بابن القويع». وهو قرشي هاشمي مالكي تونسي. كان شيخ المالكية في مصر والشام. ولم يخلف بعده مثله في فنونه، ولد سنة 664هـ بتونس، وتوفي بالقاهرة سنة 738هـ (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، ص. 329؛ و«**نيل الإبتهاج**»، صص. 232-233).

(331) في النسخ المعتمدة : «يحيى بن العرج بن زبيق»، وهو تحريف، والتصويب من «**نيل الإبتهاج**»، ص. 232. وفيه أن ابن القويع أخذ عنه النحو.

(332) في «**نيل الإبتهاج**»، ص. 232 ان ابن القويع أخذ عنه الأصول.

(333) هو أبو بكر بن محمد بن الحسن بن يوسف بن حُبيش (انظر «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، ص. 357). وفي نسخة : ابن قبيس.

(334) قاضي الجماعة بتونس. ولد سنة 676هـ، وتوفي سنة 749هـ. تفنن في علمي الأصول والعربية، وعلم الكلام وعلم البيان. شرح «**مختصر ابن الحاجب**» الفقهي شرحا حسنا. (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 336-337؛ و«**نيل الإبتهاج**»، ص. 242؛ و«**درة الحجال**»، ج 2، ص. 133؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 210؛ و«**الفكر السامي**»، ج 2، ص. 241).

(335) هو أبو علي حسين بن علي بن سبع البوصيري القاهري المالكي، المتوفى سنة 838هـ (انظر ترجمته في «**الضوء اللامع**»، ص. 210؛ و«**الفكر السامي**»، ج 2، ص. 241).

(336) هو الإمام المتفنن أبو العباس أحمد بن عمر بن علي بن هلال الربعي ـ نسبة إلى ربيعة الفرس بن نزار ابن معد بن عدنان ـ المتوفى سنة 795هـ. له مؤلفات عديدة، منها «**شرح مختصر ابن الحاجب**» الفقهي؛ وشرحان على «**مختصر ابن الحاجب**» الأصولي (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 82-83).

وأخذ الشيخ أحمد بن عمر بن هلال عن قاضي القضاة فخر الدين بن المخلطة[337].

وتفقه فخر الدين عن جماعة منهم أبو حفص عمر بن فراخ[338] الإسكندراني، وتفقه ابن فراخ بجماعة منهم أبو محمد أحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله[339]، وتفقه ابن عطاء الله بجماعة منهم أبو بكر الطرطوشي[340]، وتفقه الطرطوشي بجماعة منهم أبو الوليد الباجي[341].

حـ وأخذ السيد الوالد أيضا عن الشيخ ابن العطي بن الخطيب التونسي، وهو أخذ عن قاضي الجماعة بتونس أبي العباس أحمد بن أحمد[342] بن عبد الله القلشاني، عن الشيخ أحمد عن الشيخ زروق، وهو أخذ عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، وعن الشيخ أحمد حلولو.

والأول منهما أخذ عن الأبي، عن ابن عرفة، وهو أخذ عن ابن عبد السلام.

وأخذ ابن عبد السلام عن جماعة منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن

---

(337) هو فخر الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الشهير بابن المخلطة، ولد بثغر الإسكندرية سنة 696هـ، وتوفي سنة 759هـ (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، ص. 82).

(338) في النسخ المعتمدة : عمر بن فراخ ـ بالفاء والراء والألف والخاء ـ الإسكندراني؛ وفي «**سد الأرب**»، ص. 242 : عمر بن فراج الكندي. وذكر ابن فرحون في ترجمة ابن المخلطة أنه تفقه بالإمام أبي حفص عمر بن قداح («**الديباج المذهب**»، ص. 82).

(339) كان إماما في الفقه والأصول والعربية. له مؤلفات منها : «**البيان والتقريب في شرح التهذيب**» ـ لم يكمل ـ؛ و«**مختصر التهذيب**»؛ و«**مختصر المفصل**» للزمخشري (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، ص. 167).

(340) هو الفقيه أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري المعروف بالطُّرطوشي، نسبة إلى طرطوشة وهي بلدة في شرق الأندلس على ساحل البحر، تفقه على أبي الوليد الباجي، وسكن الشام مدة ودرس بها. وتوفي بالإسكندرية سنة 520هـ (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 276-278).

(341) هو القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي. ولد سنة 403هـ، وتوفي سنة 494هـ. له تآليف كثيرة مشهورة، منها ثلاثة شروح على «**الموطأ**»؛ وكتاب «**السراج في علم الحجاج**»؛ وكتاب «**إحكام الفصول في أحكام الأصول**»؛ و«**كتاب الإشارة في أصول الفقه**» وغيرها. (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 120-122).

(342) في نسخة : أحمد بن محمد بن عبد الله.

هارون[343]، وأخذ ابن هارون[344] عن أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي[345] وأخذ ابن بقي عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق[346]، وأخذ محمد بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع[347]، وأخذ أبو عبد الله مولى ابن الطلاع والقاضي أبو الوليد الباجي عن أبي محمد مكي بن أبي طالب[348] محمد بن مختار القيسي.

وتفقه مكي عن جماعة منهم الشيخ الإمام القدوة الور ع الزاهد حافظ مذهب مالك وشار ح أقواله أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني[349].

وهو تفقه بجماعة منهم الإمام الزاهد أبو بكر محمد بن اللباد[350].

وهو تفقه بجماعة منهم الإمام القدوة الزاهد مجاب الدعوة أبو زكرياء يحيى بن

---

(343) كان إماما عادلا دينا فاضلا كاتبا مسندا. ولد سنة 603هـ، وتوفي سنة 702هـ، ودفن بالزلاج بتونس («**الديباج المذهب**»، صص. 143-144؛ و«**درة الحجال**»، ج 3، ص. 44).

(344) سقط «وأخذ ابن هارون» من إحدي النسخ المعتمدة.

(345) في النسخ المعتمدة : «أحمد بن مور بن أحمد. وهو خطأ، والتصويب من «**قطف الثمر**»، ص. 22. وهو القاضي أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي وهو فقيه محدث، تولى قضاء الجماعة بقرطبة، ولد سنة 537هـ، وتوفي سنة 625هـ (انظر ترجمته في «**شجرة النور الزكية**»، صص. 178- 179؛ و«**معجم المؤلفين**»، ج 2، ص. 206).

(346) الخزرجي القرطبي الإمام المحدث الفقيه. قال ابن الأبار: «ولم أقف على تاريخ وفاته» (انظر «**التكملة لكتاب الصلة**»، ج 2، ص. 496).

(347) شيخ الفقهاء في عصره، رحل إليه الناس من كل قطر لسماع «**الموطإ**» و«**المدونة**»، لعلو سنده فيهما. وهو مؤلف كتاب «**أقضية رسول الله ﷺ**». ولد سنة 404هـ، وتوفي سنة 497هـ (انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**»، ج 8، صص. 180-181؛ و«**الصلة**» لابن بشكوال، ج 2، ص. 634؛ و«**الديباج**»، ص. 275؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 123).

(348) صاحب التصانيف المشهورة، وهو إمام حافظ فقيه مقرئ مفسر، توفي سنة 437هـ (انظر ترجمته في «**غاية النهاية في طبقات القراء**»، ج 2، ص. 309؛ و«**نفح الطيب**»، ج 3، ص. 179؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 107).

(349) انظر ترجمته في ص. 267 هامش 409.

(350) هو الفقيه الجليل العالم باختلاف أهل المدينة واجتماعهم. ألف كتاب «**الطهارة**»، وكتاب «**إثبات الحجة في بيان العصمة**»، وكتاب «**فضائل مالك بن أنس**»، وكتاب «**الآثار والفوائد**». وبه تفقه أبو محمد بن أبي زيد القيرواني وغيره. فلج آخر عمره، وتوفي في منتصف صفر سنة 333هـ، (انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**»، ج 5، صص. 286-295؛ و«**الديباج المذهب**»، صص. 249- 250).

عمر بن يوسف البلوي الإفريقي[351] صاحب كتاب «**خلاف ابن القاسم وأشهب**».

وهو تفقه بجماعة منهم الإمام الحجة الزاهد أبو سعيد عبد السلام المدعو سحنون، والعلامة القدوة أبو مروان عبد الملك بن حبيب[352].

وهما تفقها بجماعة منهم الإمامان الفقيه القدوة أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي[353]، والعلامة الزاهد أبو عمر أشهب ابن عبد العزيز[354] واسمه مسكين[355].

وهما تفقها بالإمام المجتهد إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث المدني.

وهو تفقه بجماعة من علماء التابعين، منهم ربيعة بن عبد الرحمن[356] ونافع[357].

---

(351) أندلسي من أهل جيان، وعداده في الإفريقيين، سكن القيروان، واستوطن سوسة أخيرا. كان فقيها حافظا للرأي ثقة ضابطا لكتبه. وإليه كانت الرحلة في وقته. وله كتاب «**الرد على الشافعي**»، وكتاب اختصار «**المستخرجة**» المسمى بـ«**المنتخبة**» وغيرهما، وتوفي في سوسة سنة 289هـ، ومولده بالأندلس سنة 213هـ (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 351–353).

(352) أصله من طليطلة، وانتقل جده إلى قرطبة، وانتقل أبوه إلى ألبيرة. كان فقيها نحويا عروضيا شاعرا نسابة إخباريا، غير أنه لم يكن له علم بالحديث. ألف كتبا كثيرة حسانا في الفقه والتاريخ والأدب. وتوفي سنة 238هـ وقيل 239هـ. (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 154–156).

(353) المتوفى سنة 191هـ، وهو من كبار أصحاب مالك. صحب مالكا عشرين سنة، وتفقه به. قال ابن وهب ـ لأبي ثابت ـ : «إن أردت هذا الشأن ـ يعني فقه مالك ـ، فعليك بابن القاسم، فإنه انفرد به وشغلنا بغيره». وعنه روى سحنون مسائل «**المدونة**» (انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**»، ج 3، صص. 244–261؛ و«**الديباج المذهب**»، صص. 146–147).

(354) ولد سنة 140هـ وقيل 150هـ، وتوفي بمصر سنة 204هـ ـ بعد موت الشافعي بثمانية عشر يوما ـ. قرأ على نافع وتفقه بمالك والمدنيين والمصريين. وانتهت إليه الرئاسة بمصر بعد ابن القاسم. (انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**»، ج 2، صص. 262–263؛ و«**الديباج المذهب**»، صص. 98–99).

(355) في النسخ المعتمدة : مسكنى. والتصويب من «**الديباج المذهب**»، ص. 98.

(356) في النسخ المعتمدة : ربيعة بن أبي عبد الرحمان. والمراد : ربيعة بن عبد الرحمان المعروف بربيعة الرأي، المتوفى سنة 136هـ. قال الإمام مالك : «كانت أمي تعممني وتقول لي : اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه» («**ترتيب المدارك**»، ج 1، ص. 130؛ و«**تهذيب التهذيب**»، ج 3، صص. 258–259).

(357) هو الفقيه البارع المحدث الثقة أبو عبد الله نافع بن سرجس الديلمي، المتوفى سنة 120هـ، وقيل 117هـ. خدم مولاه عبد الله بن عمر ثلاثين سنة. وبعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنة (انظر «**تهذيب التهذيب**»، ج 10، صص. 412–414).

وتفقه ربيعة عن أنس[358]، وتفقه نافع عن ابن عمر[359]، وكلاهما ممن أخذ عن سيد المرسلين وإمام المتقين أبي القاسم مولانا محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء.

ولا بأس بذكر سند الكتاب وشروحه، وسند بعض كتب المذهب المشهورة تتميما للفائدة. فإن الإسناد خصيصة لهذه الأمة شرفها الله تعالى فينبغي الاعتناء به اقتداء بالسلف وحفظا للشرف، وقال شيخ شيوخنا شيخ الإسلام ابن حجر الشافعي في أول «**فتح الباري**»[360] : «سمعت بعض الفضلاء يقول : الأسانيد أنساب الكتب، فأحببت أن أسوق هذه الأسانيد مساق الأنساب». انتهى.

«الموطأ» للإمام مالك بن أنس

ولنقتصر على رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي[361] أشهر رواته[362] المغاربة.

أخبرني به من الطريق المذكورة جمع من المشايخ، منهم سيدي والدي محمد بن عبد الرحمن الحطاب رحمه الله قراءة عليه لجميعه بالمسجد الحرام سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، قال : أخبرني[363] العلامة المسند شمس الدين محمد بن ناصر الدين المراغي سماعا لبعضه وإجازة لسائره.

(358) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي، خادم الرسول ﷺ. وأحد المكثرين من رواية الحديث. توفي رضي الله عنه سنة 93هـ ودفن بالبصرة. (انظر ترجمته في «**الإصابة**»، ج 1، صص. 71–72، رقم 277؛ و«**الإستيعاب**»، ج 1، صص. 71–73).

(359) هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وله قبل البعثة بسنة، وأسلم مع أبيه وهو صغير. كان من فقهاء الصحابة ومن المفتين منهم. بلغت حجاته 60 حجة، وعُمَره ألف عمرة. مات بمكة سنة 73هـ (انظر ترجمته في «**الإصابة**»، ج 2، صص. 347–350؛ و«**الإستيعاب**»، ج 2، صص. 341–346).

(360) ج 1، ص. 5.

(361) سمع «**الموطأ**» من الإمام مالك سنة 179هـ، وتوفي سنة 234هـ/849م (انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**»، ج 3، ص. 379؛ و«**وفيات الأعيان**»، ج 6، ص. 143؛ و«**الديباج**»، صص. 350–351؛ و«**تاريخ علماء الأندلس**» لابن الفرضي، ص. 170؛ وانظر ترجمته وحياته العلمية وروايته للـ«**موطإ**» ـ بتفصيل ـ في كتاب «**يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ**» للأستاذ محمد بن حسن شرحبيلي).

(362) في النسخ المعتمدة : رواتها.

(363) في نسخة : أخبرنا.

وأخبرني به عاليا بدرجة، الشيخان المسندان العلامة المحقق عبد الحق بن محمد السنباطي، وخطيب مكة المشرفة المحب أحمد بن أبي القاسم النويري[364]، قراءة على[365] الأول لقطعة من أوله، وإجازة ومناولة لسائره، وسماعا على الثاني بمجلس الحكم وإجازة لسائره.

قال الأول : أخبرنا به العلامة مفتي المسلمين أبو محمد الحسن[366] بن محمد ابن أيوب بن محمد بن حصين[367] الحسني النسابة[368]، قال : أخبرني به عمي أبو محمد الحسن بن عمر بن حصين النسابة[369]، وقال الثاني والشمس المراغي : أخبرنا به قاضي القضاة شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر، والإمام الرحلة شرف الدين أبو الفتح محمد بن أبي بكر المراغي، وهو عم الشمس المراغي، قال شيخنا الخطيب : إجازة من الأول وسماعا على الثاني، وقال الشمس المراغي : إجازة من الأول ومن الثاني إن لم يكن سماعا.

قال ابن حجر: أخبرني به أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التَّنوخِي[370]، وقال الشرف المراغي : أخبرني به العلامة قاضي المدينة الشريفة إبراهيم ابن أبي القاسم بن فرحون، قال هو والتنوخي والنسابة الأكبر: أخبرنا به أبو عبد الله

---

(364) هكذا في النسخ المعتمدة. وفي «**قطف الثمر**»، ص. 171 : محمد بن أبي القاسم النويري. وقال محققه عامر حسن صبري في الهامش 2 : «وقع في المطبوع والمخطوط : أحمد بن أبي القاسم، والصواب ما أثبتُّه، وهو الإمام محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أبي القاسم النويري المالكي، توفي سنة 873هـ (انظر المراجع التي أحال عليها).

(365) في نسخة : قراءة من الأول.

(366) في نسخة : المسن.

(367) في نسخة : حسين.

(368) له كتب كثيرة كـ«**الجوهر المكنون في القبائل والبطون**»، و«**نفائس الدرر في فضائل خير البشر**»، وغيرهما. وتوفي سنة 866هـ (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 7، ص. 305؛ وانظر مصادر ترجمته في «**معجم المؤلفين**»، ج 3، ص. 276).

(369) في «**قطف الثمر**»، ص. 32 : «عمه أبي محمد الحسن النسابة». وقال محققه في الهامش 2 : «هو الشيخ حسن بن أيوب بن محمد بن حسن الحسني الشافعي النسابة، كان قارئا محدثا فقيها، وأحال على «**الضوء اللامع**»، ج 3، ص. 123.

(370) شيخ الديار المصرية في القراءات والإسناد. ولد سنة 709هـ، وتوفي سنة 800هـ (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 6، ص. 363؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، صص. 220-221).

محمد بن جابر الوادياشي[371] سماعا، قال : قرأناه على أبي محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي، قال : أخبرنا[372] به قاضي الجماعة أحمد بن يزيد بن أحمد بن بقي[373] الخلفي[374]، قال : أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد الحق الخزرجي، قال : أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن الفرج[375] مولى ابن الطلاع، قال: أخبرنا به القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله ابن مغيث الصفار[376].

وأنبأنا به عاليا بدرجة أحد المشايخ الثلاثة قضاة القضاة ومشايخ الإسلام أبي محمد زكرياء بن محمد الأنصاري والبرهان القَلْقَشَنْدي[377]والبرهان بن أبي الشريف مكاتبة منهم. قالوا والسنباطي والخطيب النويري والشمس المراغي : أنبأنا به العز عبد الرحيم بن محمد بن الفرات عن القاضي عز الدين بن جماعة[378]، قال : أخبرنا به الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير[379] وكاتبه من المغرب، قال : أخبرنا به أبو الخطاب محمد بن أحمد بن خليل[380] قراءة وسماعا، قال : أخبرنا به القاضي أبو

---

(371) نسبة إلى مدينة وادي آش الأندلسية. انفرد بعلو إسناده للـ«موطإ» من رواية يحيى بن يحيى الليثي. توفي بمرض الطاعون سنة 749هـ (انظر ترجمته في «فهرس الفهارس والأثبات»، ج 2، صص. 1116-1117؛ و«الأعلام» للزركلي، ج 6، ص. 293).

(372) في نسخة : أخبرني.

(373) في النسخ المعتمدة : بن بقير، وهو خطأ.

(374) سيأتي في ص. 266: الخلدي.

(375) في النسخ المعتمدة هنا : كتب «الفرج» بالألف واللام، وفي ص. 258 كتب : «فرج»، دون «ال».

(376) هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث القرطبي. ولد سنة 338هـ، وتوفي سنة 429هـ. كان رجلا صالحا مقدما في الفقهاء والأدباء، مشاركا في كل فن (انظر ترجمته في «ترتيب المدارك»، ج 8، صص. 15-20؛ و«شذرات الذهب»، ج 3، ص. 244؛ و«الديباج المذهب»، ص. 360؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 113).

(377) هو الحافظ المحدث برهان الدين أبو الفتح إبراهيم بن علي القلقشندي الشافعي (انظر ترجمته في ص. 239، هامش 243).

(378) هو الفقيه الحافظ قاضي القضاة عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي المصري، المتوفى سنة 767هـ (انظر ترجمته في «طبقات الشافعية»، ج 10، ص. 79).

(379) الثقفي الغرناطي صاحب المؤلفات الكثيرة، المتوفى سنة 708هـ (انظر ترجمته في «درة الحجال»، ج 1، ص. 11؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 212؛ و«معجم المؤلفين»، ج 1، ص. 138).

(380) السكوني القاضي الذي له عناية فائقة بالرواية ولقاء الشيوخ، توفي سنة 614هـ («قطف الثمر»، ص. 27، هامش 5. ولم يكن دقيقا في إحالاته).

عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون[381]، قال : أنبأنا به الإمام أبو عمر عثمان بن أحمد اللخمي.

قال هو وابن مغيث : أخبرنا به أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى[382]، قال : أخبرنا به عم أبي أبو مروان عُبيد الله[383] بن يحيى بن يحيى قال : حدثني به أبي يحيى بن يحيى، قال : أخبرني به الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس سماعا عليه بجميعه ما خلا الأبواب الثلاثة[384] الأخيرة من «كتاب الاعتكاف»، فإني شككت في سماعها، وقد سمعتها مع جميع الكتاب على زياد بن عبد الرحمان[385] بسماعه له جميعه على مالك.

وفي إسناد **الوادياشي** فائدتان : إحداهما أنه سماع ليس فيه إجازة، والثانية أن رجاله من ابن فرحون مالكيون. والله أعلم.

كتاب «المدونة» و«المختلطة» لسحنون بن سعيد[386]

أخبرني بها سيدي والدي قراءة لبعضها وإجازة لسائرها، قال : أنبأنا بها

---

(381) وهو إمام حافظ، رحل إليه الناس لعلو سنده. وله مؤلفات منها «**الأنوار في الجمع بين المنتقى والإستذكار**». توفي سنة 586هـ (انظر «**تذكرة الحفاظ**»، ج 4 ص. 1360؛ و«**درة الحجال**»، ج 2، ص. 121؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ج 1، ص. 158).

(382) هو أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى القرطبي المتوفى سنة 367هـ، كان جليل القدر عالي الدرجة في الحديث، ولي القضاء في عدة مواضع. ومولده سنة 287هـ (انظر ترجمته في ج 2، ص. 121؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 158).

(383) في النسخ المعتمدة : عبد الله. والتصويب من «**قطف الثمر**»، صص. 23، 28؛ و«**التمهيد**» لابن عبد البر، ج 1، ص. 11. وهو مسند الأندلس بعد والده. توفي سنة 298هـ (مقدمة «**التمهيد**»، ج 1، ص. كج).

(384) وهي : «باب خروج المعتكف إلى العيد»، و«باب قضاء الاعتكاف»، و«باب النكاح في الاعتكاف» («**قطف الثمر**»، ص. 24).

(385) هو الفقيه الحافظ الزاهد أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمان القرطبي المعروف بشبطون، المتوفى سنة 193هـ وقيل سنة 199هـ. كان أهل المدينة يسمونه فقيه الأندلس. وهو أول من أدخل إلى الأندلس «**موطأ**» الامام مالك، ثم تلاه يحيى بن يحيى الليثي. (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 118-119.

(386) انظر ترجمة سحنون في ص. 173، هامش 632؛ و«**المدونة**» التي روى مسائلها عن ابن القاسم عن الإمام مالك تعتبر من أجل كتب المذهب المالكي، وإذا أطلق المالكية اسم الكتاب انصرف إليها. ومسائلها بلغت ثلاثين ألفا ومائتي مسألة، كما نقله البليدي عن المازري في «**تكليل الدرر**» («**المدخل الوجيز في اصطلاحات مذهب السادة المالكية**» لإبراهيم الزيلعي، ص. 7). و«**المختلطة**» هي تلك «المدونة» نفسها، سميت بذلك لما فيها من اختلاط المسائل في الأبواب.

الحافظ السخاوي، وشافهني بها - بعلو درجة - جمع من المشايخ. فمنهم الشيخ العلامة أبو الفضائل عبد الحق السنباطي، قال هو والسخاوي : أنبأنا بها الحافظ ابن حجر عن حافظ العصر أبي الفضل بن الحسين العراقي، عن عبد الحق بن محمد بن شاهد الجيشي، قال : أخبرنا أبو القاسم محمد بن محمد بن سراقة عن أبي القاسم بن بقي، قال : أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الخزرجي، قال : أخبرنا ابن فرج مولى ابن الطلاع قال : أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى[387]، عن عبد الرحمن بن أحمد السحني[388] عن إسحاق بن إبراهيم التجيبي[389] عن أبي عمر أحمد بن خالد، قال : أخبرنا أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد[390] عن محمد بن وضاح[391] عن سحنون بن سعيد.

وذكرها في الطريق الأول أربعة عشر، وفي الثانية ثلاثة عشر.

---

(387) هو الفقيه البعيد الصيت أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال بن القطان كان - كما وصفه ابن فرحون - «أحفظ للمدونة والمستخرجة وأبصر أصحابه بطرق الفتيا والرأي، توفي سنة 460هـ» (انظر ترجمته في «**الصلة**»، ج 1، ص. 61؛ و«**الديباج المذهب**»، ص. 40؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 119).

(388) في «نسخة السخني» وفي «**قطف الثمر**»، ص. 152 : التجيبي. قال محققه في الهامش 2 : «هو أبو بكر القرطبي، الإمام الفقيه المحدث»، وأحال على «**بغية الملتمس**»، ص. 360.

(389) هو إسحاق بن إبراهيم بن مسرة، أبو إبراهيم التجيبي - مولاهم - المتوفى سنة 352هـ، كان حافظا لفقه مالك وأصحابه متقدما فيه، صدرا في الفتوى، وليس له كبير علم بالحديث (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 96-97؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 90).

(390) كرر هذا الاسم : إذ ورد مسبوقا بـ«عن»، وورد مسبوقا بـ«قال أخبرنا»، وهو قرطبي يعرف بابن الحباب - بباءين بموحدة من أسفل - لأنه كان يبيع الحباب - وكنيته في «**الديباج المذهب**»، ص. 34 : أبو عمرو - ولد سنة 246هـ وتوفي سنة 322هـ. كان إمام وقته بالأندلس غير مدافع في الفقه والحديث والعبادة (انظر ترجمته في «**تذكرة الحفاظ**»، ج 3، ص. 815؛ و«**الديباج المذهب**»، صص. 34-35؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 2، ص. 293؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 87).

(391) القرطبي: ولد سنة 199هـ، وتوفي سنة 287 - وقيل 286هـ - به وببقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث، ولم يكن له علم بالعربية ولا بالفقه (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 239-241؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 76؛ و«**معجم المؤلفين**»، ج 12، ص. 94).

«العتبية» وتسمى «المستخرجة»[392]

آخبرني بها الوالد قراءة وإجازة، والشيخ عبد الحق إجازة بالسند المتقدم إلى محمد بن الفرج عن أبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث[393] عن أبي عيسى يحيى ابن عبد الله، عن محمد بن عمر بن لبابة[394]، عن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة[395] بن حميد بن أبي عتبة العتبي الأندلسي فذكرها في الطريق الأول اثنا عشر، وفي الثانية أحد عشر[396].

«تهذيب» البراذعي[397] «في اختصار المدونة»

أخبرني به سيدي والدي قراءة لمواضع متعددة منه وإجازة لسائره، قال : أنبأنا به الشيخ المراغي.

---

(392) تسمى «العتبية» نسبة إلى مؤلفها محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة العتبي، نسبة إلى جده عتبة على قول القرطبي المتوفى سنة 255هـ – وقيل 254هـ. وتسمى «المستخرجة» لأنها استخرجت من الأسمعة المسموعة من مالك بن أنس مباشرة عن طريق ابن القاسم وأشهب، وعبد الله بن نافع المدني، أو المسموعة من ابن القاسم عن طريق ثمانية من الرواة. وأكثر ما فيها الروايات المطروحة والمسائل الشاذة. ومع ذلك اعتمدها أهل الأندلس، وهجروا الواضحة وما سواها ـ كما قال ابن خلدون («المقدمة»، ص. 502). وقد تناولها أبو الوليد بن رشد بالبيان والشرح والتعليل والتوجيه والتحصيل في كتابه «البيان والتحصيل». (انظر ترجمة العتبي في «ترتيب المدارك»، ج 4، صص. 152–154 ؛ و«الديباج المذهب»، صص. 238–239).

(393) في النسخ المعتمدة : يونس بن مغيث بن عبد الله بن أبي عيسى. والتصويب من «قطف الثمر»، ص. 153، ومما سبق في ص. 262.

(394) هو أبو عبد الله القرطبي المتوفى سنة 314هـ. وهو أفقه الناس في زمانه بالأندلس وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك، وله حظ من النحو والخبر والشعر (انظر ترجمته في «ترتيب المدارك»، ج 5، صص. 153–157؛ و«الديباج المذهب»، ص. 245؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 86؛ و«الفكر السامي»، ج 2، ص. 104).

(395) في النسخ المعتمدة في الموضعين معا : عقبة ـ بدل عتبة. انظر أيضا : «قطف الثمر»، ص. 154 مع الهامش 1.

(396) في نسخة : ثلاثة عشر.

(397) هو أبو سعيد خلف بن أبي القاسم بن سليمان الأزدي القيرواني المعروف بالبراذعي. خرج من القيروان إلى صقلية فحصلت له عند أميرها مكانة، وهناك ألف كتبه التي منها كتاب «التهذيب في اختصار المدونة» الذي اتبع فيه طريقة اختصار ابن أبي زيد القيرواني لل«مدونة» وأقبل المالكية خاصة في المغرب والأندلس على تهذيب البراذعي وتركوا «المدونة» ومختصراتها (انظر «ترتيب المدارك»، ج 7، صص. 256–258؛ و«الديباج المذهب»، صص. 112–113؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 105؛ و«الفكر السامي»، ج 2، ص. 109).

وأنبأنا به ـ عاليا بدرجة ـ شيخ الإسلام زكرياء، قال هو والمراغي : أنبأنا به الحافظ ابن حجر، عن أبي حيان محمد بن حيان[398] عن جده أبي حيان[399]، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن هارون، عن أبي القاسم بن بقي الخلدي[400] عن أبي الحسن شريح بن محمد[401]، عن أبي محمد عبد الله بن إسماعيل[402]، عن أبي بكر ابن محمد[403]، عن مؤلفه أبي سعيد خلف بن أبي القاسم الملقب بالبراذعي[404]، في الطريق الأول عشرة، وفي الثانية تسعة.

كتاب محمد بن المواز[405]

أذن لي في روايته شيخ الإسلام زكرياء عن الحافظ ابن حجر عن أبي علي الفاضلي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي الحسن بن المقيَّر[406]، عن أبي

---

(398) هو الفقيه اللغوي محمد بن حيان بن محمد بن يوسف بن حيان. ولد سنة 734هـ، وتوفي سنة 806هـ (انظر ترجمته في «شذرات الذهب»، ج 7، ص. 60).

(399) هو الفقيه المحدث النحوي المفسر أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان. ولد في غرناطة سنة 654هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 745هـ. ألف مؤلفات كثيرة، منها تفسير القرآن الكريم المسمى «البحر المحيط» (انظر ترجمته ومصادرها في «معجم المؤلفين»، ج 12، ص. 130).

(400) مر في ص. 262 : الخلفي؛ وفي «قطف الثمر» (ص.157) : المخلدي، ولعله نسبة إلى مخلد والد بقي.

(401) هو الإمام المقرئ المحدث الأديب أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني المتوفى سنة 539هـ (انظر ترجمته في «الصلة»، ج 1، ص. 234؛ و«شذرات الذهب»، ج 4، ص. 122).

(402) وهو إمام ثقة جليل، توفي سنة 478هـ (انظر ترجمته في «الصلة»، ج 1، ص. 284).

(403) هو القاضي أبو بكر أحمد بن أبي عمر بن أبي زيد المتوفى سنة 460هـ. كان فقيها فاضلا، عارفا بالأحكام والنوازل (انظر ترجمته في «شجرة النور الزكية»، ج 1، ص. 116).

(404) في النسخ المعتمدة : خلف بن الملقي القريشي.

(405) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندري المعروف بابن المَوَّاز ـ بفتح الميم وتشديد الواو ـ، نسبة إلى بيع الموز. ولد سنة 180هـ. وهو فقيه حافظ نظار، راسخ في الفقه والفتيا. توفي سنة 281هـ ـ على قول ـ (انظر ترجمته في «ترتيب المدارك»، ج 4، صص. 167-170؛ و«الديباج المذهب»، صص. 232-233). وكتابه الفقهي الكبير المعروف بـ«المَوَّازية» ـ نسبة إليه ـ «أجل كتاب ألفه المالكيون، وأصحه مسائل، وأبسطه كلاما وأوعبه. وقد رجحه القابسي على سائر الأمهات» («الديباج»، ص. 233).

(406) في النسخ المعتمدة : بن مغير، وهو أبو الحسن علي بن الحسين المعروف بابن المقيَّر، مسند الديار المصرية المتوفى سنة 643هـ (انظر «تذكرة الحفاظ»، ج 4، ص. 1432؛ و«شذرات الذهب»، ج 5، ص. 223).

الفضل[407] بن ناصر، عن أبي عبد الله الحميدي[408]، قال : أخبرنا ابن عبد البر، عن محمد بن حسين، عن أبيه، عن ابن أبي مطر، عن مؤلفه محمد بن إبراهيم بن المواز. فيه أحد عشر.

كتب الشيخ أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد[409] : مختصر «المدونة» و«النوادر» و«الرسالة»

أخبرني بها سيدي الوالد قراءة عليه لجميعها[410] غير مرة، عن الشمس المراغي.

ح وشافهني بها ــ بعلو ــ جماعة منهم العلامة أبو الفضائل عبد الحق، والمسند المعمر خطيب مكة المشرفة المحب أحمد بن أبي القاسم النويري، والعلامة عبد العزيز.

قالوا والشمس المراغي : أنبأنا بها شيخ الإسلام ابن حجر، قال : أنبأنا بها العلامة إمام المذهب أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي عن أبي عبد الله محمد بن جابر الوادياشي، وقاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام قال : أخبرني بها أبو عبد الله محمد بن هارون، عن أبي القاسم محمد بن

(407) هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي ــ نسبة إلى مدينة السلام في بغداد ــ المتوفى سنة 550هـ (انظر «شذرات الذهب»، ج 4، ص. 155).

(408) هو الإمام الحافظ الثبت أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الميورقي الأندلسي، ولد سنة 420هـ، وتوفي سنة 488هـ. («التمهيد»، ج 1، ص. يز).

(409) هو الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمان النفزي. ولد سنة 310هـ في القيروان، وتوفي بها يوم 30 شعبان 386هـ. وهو إمام المالكية في عصره. وله مؤلفات مهمة كثيرة منها كتاب «النوادر» الذي جمع فيه ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال؛ وكتاب «المدارك في اختصار المدونة» الذي توجد منه نسخة خطية في مكتبة القرويين بفاس تحت رقم 339، ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية تحت رقم 337 تيمور («تاريخ التراث العربي»، المجلد الأول، ج 3، ص. 152)، و«الرسالة» التي تعتبر من أشهر مؤلفاته وأكثرها تداولا. وقد اعتمدها المغاربة في الدراسة على مر العصور، وقيل في شأنها : «من عنده «الرسالة» لا تنقصه أية مسألة». (انظر ترجمة ابن أبي زيد في «ترتيب المدارك»، ج 6، صص. 215-222؛ و«شذرات الذهب»، ج 3، ص. 131؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 96؛ و«الأعلام» للزركلي، ج 4، ص. 230).

(410) في النسخ المعتمدة : لجميعه. والصواب ما أثبتناه ــ كما هو واضح من قوله فيما بعد : وبهذه الأسانيد أروي «النوادر» و«مختصر المدونة».

الطيلسان[411]، عن محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الحق، عن أبي عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع.

حـ وأذن لي في روايتها ـ بعلو درجتين ـ شيخ الإسلام زكرياء، قال هو والمشايخ الثلاثة الآخرون : أنبأنا بها المسند، قاضي المسلمين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات، عن أبي حفص عمر بن أميلة[412] عن أبي الحسن علي بن البخاري، عن أبي طاهر الخشوعي[413]، عن أبي عبد الله الرازي[414]، عن عبد الله بن [415] الوليد الأنصاري[416]، قال هو ومكي بن أبي طالب : أخبرنا بها مؤلفها الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد.

في طريق الوالد عشرة، وفي الطريق الثانية تسعة، وفي الثالثة سبعة، وبهذه الأسانيد أروي «**النوادر**»، و«**مختصر المدونة**»، قراءة لبعضهما على الوالد، وإجازة لسائرهما، منه ومن بقية المشايخ.

---

(411) هو الإمام الحافظ أبو القاسم القاسم بن أحمد بن محمد بن سليمان الأنصاري القرطبي. ولد سنة 575هـ، وتوفي سنة 642هـ. (انظر «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، ص. 476). وفي النسخ المعتمدة : أبو القاسم محمد بن الطيلسان. واسمه : القاسم، ومحمد اسم جده الثاني.

(412) هو الشيخ المعمر أبو حفص عمر بن حسن بن أميلة المراغي، حدث نحو خمسين سنة، وكثر الإنتفاع به. وتوفي سنة 778هـ (انظر ترجمته في «**الدرر الكامنة**»، ج 3، ص. 159؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 6، ص. 258).

(413) هو الحافظ المسند أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي الدمشقي المتوفى سنة 598هـ (انظر ترجمته في «**شذرات الذهب**»، ج 4، ص. 335).

(414) هو الإمام المفسر الفقيه الأصولي المتكلم فخر الدين محمد بن عمر التيمي البكري الرازي الشافعي، المتوفى سنة 606هـ (انظر «**طبقات الشافعية**»، ج 8، ص. 81؛ و«**معجم المؤلفين**»، ج 11، ص. 79).

(415) سقطت لفظة «بن» من النسخ المعتمدة.

(416) هو الفقيه المالكي أبو محمد عبد الله بن الوليد الأنصاري الأندلسي المتوفى سنة 448هـ (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 277).

مؤلفات القاضي عبد الوهاب[417] : «التلقين»، و«المعونة» و«الإشراف» و«شرح[418] على الرسالة»، و«شرح المدونة» المسمى «شرح الشيخ أبي محمد» لم يكمل

أنبأنا بها الخطيب النويري وابن عمه عبد القادر بن أبي البركات، عن الحافظ ابن حجر، عن عبد الله بن محمد النيسابوري[419]، عن يحيى بن محمد، عن جعفر ابن علي الهمداني[420]، عن أبي القاسم بن بشكوال[421]، قال : أخبرنا القاضي أبو بكر بن العربي[422].

حَ وقال الهمداني : أخبرنا بعلو درجة محمد بن عبد الرحمن الحضرمي[423]،

---

(417) هو الفقيه الحافظ الحجة النظار الأديب، القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي المتوفى سنة 422هـ. له مصنفات كثيرة، منها «التلقين» الذي طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب عام 1413هـ/1993م و«المعونة لدرس مذهب عالم المدينة»، و«الإشراف في مسائل الخلاف»، و«شرح المدونة»، و«الممهّد في شرح مختصر أبي محمد» ـ ولم يتم ـ (انظر ترجمته في «ترتيب المدارك»، ج 7، صص. 220-227؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 103).

(418) لم ترد لفظة «وشرح» في النسخ المعتمدة، والسياق يقتضيها لأن «الإشراف» ليس شرحا على «الرسالة».

(419) هو جمال الدين عبد الله بن محمد بن محمد الحسيني النيسابوري المتوفى سنة 776هـ (انظر «الدرر الكامنة»، ج 2، ص. 286).

(420) هو أبو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله الهمداني الإسكندراني المالكي المتوفى سنة 636هـ (انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ»، ج 4، ص. 2424؛ و«شذرات الذهب»، ج 5، ص. 180).

(421) هو المحدث الحافظ المؤرخ المسند أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال القرطبي المتوفى سنة 578هـ (انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ»، ج 4، ص. 1339؛ و«الديباج المذهب»، ص. 114؛ و«معجم المؤلفين»، ج 4، ص. 106).

(422) هو الحافظ المتبحر القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي المتوفى سنة 543هـ. له مؤلفات كثيرة مفيدة، منها «أحكام القرآن»، و«القبس في شرح الموطإ»، و«عارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي»، و«الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم» (انظر ترجمته المفصلة ومصادرها في «الناسخ والمنسوخ» بتحقيق الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، ج 1، ص. 13).

(423) هو قاضي الإسكندرية أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن منصور الحضرمي المتوفى سنة 589هـ («شذرات الذهب»، ج 4، ص. 297).

قال : هو وابن العربي : حدثنا أبو القاسم مهدي بن يوسف بن فتحون[424] الوراق، قال : حدثنا مؤلفها القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي.

في الطريق الأول ثمانية، وفي الثانية سبعة.

مؤلفات ابن عبد البر

أخبرني بها سيدي الوالد قراءة لبعضها، وإجازة لسائرها، عن الحافظ السخاوي، عن الحافظ ابن حجر، وأنبأني بها عاليا شيخ الإسلام زكرياء، عن الحافظ ابن حجر بالسند المتقدم في سند كتاب ابن المواز.

مؤلفات ابن رشد[425] : «المقدمات» و«البيان» وغيرهما

أرويها عن سيدي الوالد قراءة لبعضها وإجازة لسائرها عن الشمس المراغي.

وأنبأني بها ـ عاليا بدرجة ـ الخطيب النويري، قال هو والشمس المراغي : أنبأنا بها ابن حجر، عن أبي علي المهدي[426]، عن يونس بن أبي إسحاق العسقلاني[427]، عن أبي الحسن بن الصابوني[428] قال : أخبرنا السِّلَفِي[429] إجازة مشافهة، عن مؤلفها أبي الوليد بن رشد إجازة.

---

(424) في «**قطف الثمر**»، ص. 164 : ابن فتوح. وأحال محققه في الهامش 1 على «**الأمم**»، للكوراني، ص. 95.

(425) هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة 520هـ. له مؤلفات كثيرة منها : «**البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل**»، و«**المقدمات الممهدات**»، و«**اختصار المبسوط**»، وغيرها. (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 278-279؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 129).

(426) هو أبو علي محمد بن أحمد بن علي بن عبد العزيز المهدي المعروف بابن المطرز، المتوفى سنة 797هـ (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 6، ص. 350).

(427) انظر ص. 252، هامش 306.

(428) هو الإمام الحافظ العدل أبو الخير علي بن محمود الصابوني المتوفى سنة 640هـ. (انظر «**شذرات الذهب**»، ج 5، ص. 208).

(429) هو الحافظ المسند أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفِي المتوفى سنة 576هـ (انظر ترجمته في «**الأعلام**» للزركلي، ج 1، ص. 209؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 994-997).

مؤلفات ابن العربي[430]

تقدم سندها في مؤلفات القاضي عبد الوهاب.

مؤلفات ابن الجلاب[431]

أخبرني بها سيدي الوالد قراءة لبعضها وإجازة لسائرها، عن الشمس المراغي، عن ابن حجر، وأنبأني بها ـ عاليا بدرجة ـ غير واحد من مشايخنا، عن ابن حجر بالسند المتقدم للقاضي عبد الوهاب إلى أبي القاسم بن بشكوال، قال : أنبأنا بها أبو الحسن علي بن عبد الله بن موهب[432]، عن أبي العباس أحمد بن عمر العذري[433]، عن علي بن محمد[434] عن مؤلفها أبي القاسم عبيد الله بن الحسن بن الجلاب البصري.

مؤلفات الإمام المازري[435]

منها «**المعلم بفوائد مسلم**»، ومنها «**شرح التلقين**»، ومنها كتاب ذكر المازري في باب الإمامة من «**شرح التلقين**» أنه صنفه سماه «**قطع اللسان النابح المترجم بالواضح**»، قال : «وهو كتاب نقضنا فيه كتابا ألفه بعض نصارَى[436] المشرق،

---

(430) انظر ص. 269، هامش 422.

(431) هو الفقيه الأصولي الحافظ أبو القاسم عبيد الله بن الحسن بن الجلاب البصري المتوفى سنة 378هـ (انظر «**ترتيب المدارك**»، ج 7، ص. 76؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 92؛ و«**معجم المؤلفين**»، ج 6، ص. 238). ومن مؤلفاته كتاب «**التفريع**»، و«**مسائل الخلاف**».

(432) هو الإمام أبو الحسن الجذامي الأندلسي المتوفى سنة 532هـ (انظر «**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**» لأحمد بن يحيى الضبي، ص. 423).

(433) هو المحدث الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس الأندلسي الدلائي المتوفى سنة 478هـ (انظر «**شجرة النور الزكية**»، ص. 121).

(434) هو أبو الحسين علي بن القاسم بن محمد الغابشي، الإمام الفقيه («**قطف الثمر**»، ص. 161، هامش 7).

(435) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري (نسبة إلى مازر ـ بفتح الزاي وكسرها ـ، وهي مدينة في جزيرة صقلية على ساحل البحر) توفي سنة 536هـ. له مؤلفات منها : «**شرح كتاب مسلم**»، وكتاب «**التلقين**»، و«**شرح البرهان**» للجويني وسماه : «**إيضاح المحصول من برهان الأصول**». (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 279-281).

(436) في النسخ المعتمدة : بصري. وهو تصحيف.

وقصد فيه إلى جمع المطاعن التي تشغب بها الملحدون، وقدح بها الطاعنون على ديننا وأضافوها إلى العقل والنقل»، انتهى من «**شرح التلقين**».

أرويها عن السنباطي، عن ابن حجر، عن أبي عبد الله محمد بن عرفة، عن أبي عبد الله محمد بن جابر[437]، قال : أخبرنا بها الخطيب أبو الفضل بن أبي القاسم ابن أحمد، عن أبي زكرياء يحيى بن محمد المهدي، عن مؤلفها الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري رحمه الله ورضي عنه آمين.

مؤلفات القاضي عياض ومنها «الشفاء»

أخبرني به سيدي الوالد قراءة لجميعه، قال : أخبرني به العلامة الشمس محمد ابن ناصر الدين[438]، أخبرني به الوالد العلامة ناصر الدين المراغي، أخبرني به قاضي القضاة أبو بكر بن الحسين[439] المراغي[440]، قال : أخبرني به مسند الآفاق أحمد ابن أبي طالب الحجار[441]، عن أبي الفضل جعفر بن علي الهمداني[442].

حـ وأخبرني به ـ عاليا بدرجة ـ المشايخ الثلاثة أبو الفضائل عبد الحق، والخطيب النويري، وجمال الدين الصالي[443] سماعا لبعضه على الأولين مفترقين، وإجازة لسائره، وقراءة على الثالث لجميعه.

قال الأولان : أخبرنا به شيخ الإسلام ابن حجر والعلامة التقي بن فهد[444]

---

(437) الوادياشي (انظر ص. 262، هامش 371).

(438) هو محدث البلاد الشامية الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين، المتوفى سنة 842هـ (انظر «**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 2، صص. 675–677، مع هامش 354).

(439) في النسخ المعتمدة : الحسن. وهو خطأ.

(440) هو زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغي المتوفى سنة 816هـ (انظر ترجمته في «**الضوء اللامع**»، ج 11، ص. 28؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 7، ص. 120).

(441) هو شهاب الدين أبو العباس الحجار المعروف بابن الشحنة، المتوفى سنة 730هـ. حدث بـ«**صحيح البخاري**» أكثر من سبعين مرة (انظر «**الدرر الكامنة**»، ج 1، ص. 152؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 6، ص. 93؛ و«**فهرس الفهارس والأثبات**»، ج 1، صص. 340–431).

(442) في نسخة : العمراني. وهو خطأ (انظر ص. 269، هامش 420).

(443) هكذا في النسخ المعتمدة. وسيسمى بعد قليل «الصالحي» (ص. 273).

(444) هو العلامة الحافظ المؤرخ تقي الدين محمد بن محمد ابن فهد الهاشمي العلوي المكي الشافعي المتوفى سنة 871هـ (انظر «**الضوء اللامع**»، ج 9، ص. 281؛ و«**معجم المؤلفين**»، ج 11، ص. 291).

قال الأول : إذنا، وقال الثاني : مكاتبة من ابن حجر، وسماعا على ابن فهد أربع مرات قال : أخبرني الخطيب محمد بن عمر السحولي، قال ابن حجر: إذناً، وقال ابن فهد : سماعا.

قال : أخبرني به الشرف أبو عبد الله الفهملي، قال : أخبرنا به أبو الحسن يحيى بن أحمد بن تانيت[445] اللواتي سماعا، قال : أخبرنا به الحسن بن يحيى بن محمد بن علي العابد.

ح وقال شيخنا الصابي : أخبرنا به أبو العباس الحجار، قال : أخبرنا به قاضي القضاة عبد الرحيم العراقي، قال : أخبرنا به أبو عبد الله الإسكندراني، قال : أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الأمري سماعا، قال : أخبرني به الفقيه أبو جعفر بن علي القيسي الحصار.

ح وقال شيخنا الخطيب : أنبأنا به عاليا بدرجة، ولا يوجد الآن أعلى منها، الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي الحفاري عن المسندة زينب بنت الكامل المقدسية، قالت[446] : أخبرنا به أبو الحسن علي بن هبة الله اللخمي المعروف بابن بنت الجميزي[447]، قال هو والعمراني : أخبرنا به الحافظ أبو طاهر السلفي.

قال هو وابن الصائغ والحصار : أخبرنا به مؤلفه أبو الفضل عياض اليحصبي.

في طريق الوالد سبعة، وفي الثانية بعدها ستة، وفي الثالثة خمسة.

وبهذه الأسانيد أروي بقية كتب «**التنبيهات**»[448] و«**الإكمال**»[449] و«**القواعد**»[450] وغير ذلك.

(445) في نسخة : تانينت؛ وفي «**سد الأرب**»، ص. 72 : يحيى بن أحمد بن محمد تاميت.

(446) في النسخ المعتمدة : قال.

(447) في نسخة : بنت الحميدي؛ وفي «**قطف الثمر**»، ص. 222، هامش 3 : «المعروف بابن الجميزي» ـ دون بنت ـ. وهو مصري شافعي. توفي سنة 649هـ (انظر ترجمته في «**غاية النهاية في طبقات القراء**»، ج 1، ص. 583؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 5، ص. 246).

(448) «**التنبيهات المستنبطة في شرح كلمات مشكلة وألفاظ مغلطة مما اشتملت عليه كتب المدونة والمختلطة**» للقاضي عياض.

(449) «**إكمال المعلم في شرح مسلم**» للقاضي عياض، والكتاب الذي أكمله هو : «**المُعْلم في شرح مسلم**» للمازري.

(450) «**الإعلام بحدود قواعد الإسلام**» للقاضي عياض.

مؤلفات العلامة شهاب الدين القرافي[451]

«**الذخيرة**» و«**القواعد**» و«**التنقيح**»[452]، وهو مقدمة كتاب «**الذخيرة**»، و«**شرح المحصول**»، وكتاب «**الأمنية في النية**»[453]. أخبرني بها السيد الوالد قراءة لبعض «**الذخيرة**» و«**القواعد**» وغير ذلك، وإجازة لسائرها. قال : أخبرني بها الشمس المراغي عن والده ناصر الدين المراغي وأنبأني بها ـ عاليا بدرجة ـ المحب خطيب مكة المشرفة[454]، عن الشيخ أبي الفتح المراغي، وأم الحسن فاطمة بنت خليل الكناني. قالا : أنبأنا بها الإمام فخر الدين محمد بن محمد القرشي.

وقال المقري : أنبأنا بها الإمام جار الله النيسابوري، قال هو والقرشي[455] وأبو حيان : أخبرنا بها مؤلفها العلامة أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي.

«مختصر» ابن الحاجب «الفرعي»[456]

أخبرنا به الوالد قراءة لـ«كتاب الحج» جميعه ولمواضع متعددة من بقيته، وسماعا لمواضع متعددة، وإجازة لسائره ولبقية كتبه، قال : أنبأنا بها الحافظ السخاوي عن شيخ الإسلام ابن حجر.

---

(451) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي المصري المتوفى سنة 684هـ. له مؤلفات كثيرة منها : «**الذخيرة**»، وهو كتاب كبير في الفقه، و«**تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول**»، وهو مقدمة كتاب «**الذخيرة**» وشرحه، و«**شرح المحصول في الأصول**» للفخر الرازي، و«**الفروق**»، و«**الأمنية في إدراك النية**»، وغيرها. (انظر ترجمته في «**الديباج المذهب**»، صص. 62ـ67؛ و«**درة الحجال**»، ج 1، ص.8؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 188).

(452) في النسخ المعتمدة : والشيخ، وهو تحريف للتنقيح.

(453) في نسخة : المنية؛ وفي نسخة أخرى : الدية.

(454) هو أحمد بن أبي القاسم النويري خطيب مكة المتوفى سنة 873هـ (انظر ص. 261، هامش 364).

(455) في طرة إحدى النسخ المعتمدة، ما يلي : «نحو هذين الاسمين لا أدري بالقاف أو بالغين، وهما القرشي والمقري لطمسهما في النسخة الأم، والغالب القاف، والله أعلم».

(456) هو أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب، المتوفى سنة 646هـ. وهو فقيه أصولي متكلم نظار. له مؤلفات كثيرة منها : مختصره الفرعي المسمى بـ«**جامع الأمهات**». وقد دخل هذا المختصر إلى شمال إفريقيا في آخر المائة السابعة على يد تلميذه ناصر الدين المشدالي البجائي، ومن بجاية انتشر بتونس والمغرب. ويحتوي هذا المختصر على أربعين ألف مسألة، كما قال ابن دقيق العيد. (انظر «**نيل الإبتهاج**»، ص. 235؛ و«**الفكر السامي**»، ج 4، ص. 66؛ و«**الأعلام**» للزركلي، ج 4، ص. 374؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 1، ص. 83، هامش 3).

ح وأنبأنا بسائر مصنفاته ـ عاليا بدرجة ـ الخطيب النويري، عن ابن عمه عبد القادر، عن[457] شيخ الإسلام ابن حجر، عن أبي الفرج المقري[458] وغيره عن أبي النون[459] الدبوسي، عن مؤلفها أبي عمرو عثمان بن الحاجب.

«شرحـ»ـه لابن عبد السلام[460]

أخبرني الوالد قراءة لمواضع منه، وإجازة لسائره، عن الشمس المراغي، عن ابن حجر.

وأنبأنا به ـ عاليا بدرجة ـ جمع من المشايخ عن الحافظ ابن حجر، عن الشيخ الإمام محمد بن محمد بن عماد الحميري[461] البحتري، عن مؤلفه.

مؤلفات تاج الدين الفاكهاني[462] : «شرح الرسالة»، و«شرح العمدة»، و«شرح الأربعين النووية»

أخبرني بها سيدي الوالد قراءة لبعضها وإجازة لسائرها، قال : أخبرني بها الخطيب أبو الفضل محمد بن أحمد بن ظهيرة.

ح وأخبرني بها ـ عاليا بدرجة ـ الخطيب محب الدين النويري مشافهة، عن إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي.

قال هو وابن ظهيرة : أخبرنا بها الشيخ جمال الدين عبد الله ويسمى محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن عتيق بن جريرة الأنصاري، قال : أنبأنا بها

(457) في نسخة : وشيخ ـ بواو العطف ـ.

(458) في نسخة : المغربي؛ وفي «قطف الثمر»، ص. 168 : الغزي.

(459) في النسخ المعتمدة : أبي النور، وهو خطأ.

(460) انظر ترجمته في ص. 256، هامش 334.

(461) في نسخة : الحميدي.

(462) هو العلامة تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم ـ وسيأتي بعد قليل أنه عمر بن محمد بن علي ـ اللخمي الإسكندراني الفاكهاني المتوفى سنة 734هـ. كان متفننا في الفقه والحديث والأصول والعربية والأدب. له مؤلفات منها : «شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، و«شرح عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي»، وهو شرح لم يسبق إلى مثله لكثرة فائدته ـ كما قال ابن فرحون في «الديباج»، ص. 86 ـ؛ و«شرح الأربعين النووية» المسمى «المنهج المبين في شرح الأربعين». (انظر ترجمة الفاكهاني في «الديباج المذهب»، ص. 186-187؛ و«درة الحجال»، ج 3، ص. 197؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 204).

مؤلفها العلامة تاج الدين عمر بن محمد بن علي بن سالم اللخمي الفاكهاني إذنا إن لم يكن سماعا بذكرها.

مصنفات الشيخ خليل(463) : «المختصر» و«التوضيح»، و«المناسك»، و«ترجمة شيخه المنوفي»

أخبرني سيدي والدي بـ«ـالمناسك» قراءة لغالبه، وسماعا لجميعها(464) وبـ«ـالتوضيح»، قراءة لغالبه، ولبعض «الترجمة» المذكورة وإجازة للجميع.

قال : أخبرني بها القاضي شمس الدين السخاوي سماعا لبعض «المختصر» وإجازة لسائرها، عن القاضي شمس الدين البساطي، عن القاضي تاج الدين بهرام.

حـ وأنبأنا بها عاليا بدرجة كل من(465) شيخنا المحب أحمد بن أبي القاسم خطيب مكة المشرفة، وابن عمه عبد القادر النويريان العقيليان، عن المعمر العلامة حسين بن علي بن سبع البوصيري(466) المالكي، قال هو والقاضي تاج الدين بهرام : أخبرنا بها مؤلفها الشيخ خليل بن إسحاق الجندي رحمهم الله أجمعين.

مؤلفات ابن راشد القفصي(467): «اللباب»، و«شرح ابن الحاجب»، وغيرهما

أخبرني بها سيدي الوالد : بـ«ـاللباب»، و«شرح ابن الحاجب» قراءة لبعضهما وإجازة لسائرهما وسائر مصنفاته، قال : أنبأنا بها الشمس المراغي، عن عمه الشيخ أبي الفتح المراغي.

(463) هو ضياء الدين أبو المَوَدَّة خليل بن إسحاق المعروف بالجندي المتوفى سنة 776هـ، شرح «جامع الأمهات» لابن الحاجب شرحا حسنا سماه «التوضيح»، ووضع الله عليه القبول. وألف مختصرا في المذهب المالكي جمع فيه فروعا كثيرة جدا، مع الإيجاز البليغ، وأقبل عليه الطلبة شرقا وغربا، وله منسك وتقاييد مفيدة. (انظر ترجمته في «الديباج المذهب»، صص. 115-116؛ و«نيل الإبتهاج»، صص. 112-115؛ و«درة الحجال»، ج 1، ص. 275؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 223؛ و«الفكر السامي»، ج 2، ص. 243).

(464) أعاد الضمير على المناسك، ولذلك أنثه؛ وذكّر ضمير «لغالبه»، لأنه قصد الكتاب.

(465) في النسخ المعتمدة : بدرجة من شيخنا.

(466) هو الفقيه المالكي أبو علي حسين بن علي بن سبع البوصيري القاهري المتوفى سنة 838هـ (انظر ترجمته في «الضوء اللامع»، ج 3، ص. 150؛ و«شذرات الذهب»، ج 7، ص. 227). في النسخ المعتمدة : البوصري، والتصويب من «اقتفاء الأثر»، ص. 171.

(467) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي المتوفى سنة 733هـ — وقيل سنة

حـ وأنبأنا بها ـ عاليا بدرجة ـ جمع من المشايخ، منهم الخطيب محب الدين النويري، وابن عمه عبد القادر، والعز بن فهد، والشيخ عبد الحق السنباطي، عن الشيخ العلامة أبي الفتح المراغي، عن القاضي إبراهيم بن علي بن فرحون، عن الجمال عفيف[468] الدين المطري[469]، عن مؤلفها، وقد ذكر ابن فرحون، في «الديباج المذهب»[470] أن شيخه العفيف المطري[471] استجاز من ابن راشد في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة.

مؤلفات القاضي برهان الدين ابن فرحون[472] : «شرح ابن الحاجب» و«تبصرة الحكام» و«الألغاز» و«الديباج المذهب» وغير ذلك

أرويها بالسند المتقدم عن الوالد قراءة لبعضها، وإجازة لبقيتها، وعن مشايخنا الباقين إجازة.

= 736هـ ـ وهو فقيه محصل متفنن في العلوم. وله مؤلفات منها «الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي». و«المُذْهَب في ضبط مسائل المذهب»، و«تحفة اللبيب في اختصار كتاب ابن الخطيب»، و«اللباب» ـ المطبوع في تونس عام 1346م ـ. (انظر ترجمته في «الديباج المذهب»، صص. 334–336؛ و«نيل الإبتهاج»، صص. 235–236؛ و«درة الحجال»، ج 2، ص. 112؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 207).

(468) في النسخ المعتمدة : عقيب الدين، وهو خطأ؛ والتصويب من «قطف الثمر»، ص. 176؛ و«الديباج المذهب»، ص. 335.

(469) في نسخة : الحضري؛ وفي نسخة أخرى : الحضرمي. وكلاهما خطأ. والمراد : الفقيه الحافظ المؤرخ جمال الدين محمد بن خالد بن عيسى المطري المدني المتوفى سنة 741هـ («قطف الثمر»، ص. 176، هامش 2).

(470) صص. 335–336.

(471) في النسخ المعتمدة : المصري، وهو خطأ.

(472) هو الفقيه الأصولي قاضي المدينة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون المتوفى سنة 799. وهو عالم بالفقه والأصول والنحو وعلم القضاء، وعالم بالرجال وطبقاتهم، ومشارك في الأسانيد، له مؤلفات منها : «شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي المسمى تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات»، و«تبصرة الحكام، في أصول الأقضية ومناهج الأحكام»، و«الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب» ـ ترجم فيه لنيف وثلاثين وستمائة عالم ـ، و«درر الغواص، في محاضرة الخواص» ـ ألفه ألغازا في الفقه ـ. (انظر ترجمته في «نيل الإبتهاج»، صص. 30–32؛ و«شذرات الذهب»، ج 6، ص. 357؛ و«درة الحجال»، ج 1، ص. 182؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 222؛ و«الفكر السامي»، ج 2، ص. 271).

مؤلفات ابن عرفة[473] : «المختصر الفقهي» و«مختصر الحوفي» وغير ذلك

أخبرني[474] سيدي الوالد قراءة لمواضع متعددة من «المختصر الفقهي»، وإجازة لسائره ولبقية كتبه، عن الشمس المراغي، عن ابن حجر.

وأنبأنا بجميع مؤلفاته ــ عاليا[475] بدرجة ــ المشايخ الأربعة المذكورون في سند مؤلفات ابن راشد، عن الحافظ ابن حجر، عن مؤلفها المحقق أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوَرْغَمِّي رحمه الله.

مؤلفات تاج الدين بهرام[476] : شروحه الثلاثة على «المختصر» و«الشامل» وغيرها

أخبرني السيد الوالد بـ«الشرح الأوسط» قراءة عليه لجميعه إلا اليسير وإجازة لسائره، وبـ«الشرح الكبير» و«الصغير» و«الشامل» قراءة لمواضع متعددة منها، وإجازة لسائرها، عن القاضي شمس الدين السخاوي، عن البساطي.

وأنبأنا بها ــ عاليا بدرجة ــ المشايخ الثلاثة أبو الفضائل عبد الحق السنباطي، والخطيب النويري، وابن عمه عبد القادر، عن المراغي وشمس[477] الدين البساطي، عن مؤلفها الشيخ بهرام بن عبد الله الدميري[478].

---

(473) هو العلامة المقرئ الفروعي الأصولي البياني المنطقي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوَرْغَمِّي التونسي المولود عام 716هـ، والمتوفى عام 803هـ. له مؤلفات منها : «مختصره الفقهي»، وتأليف في المنطق، و«مختصر كتاب الحوفي» وغيرها (انظر ترجمته في «الديباج المذهب»، صص. 337-340، و«نيل الإبتهاج»، صص. 274-279، وغيرهما).

(474) في نسخة : أخبرنا.

(475) سقطت كلمة «عاليا» من النسخ المعتمدة، والسياق يقتضيها.

(476) انظر ص. 255، هامش 327.

(477) في النسخ المعتمدة : وعن المراغي شمس الدين البساطي، وهو خطأ.

(478) في النسخ المعتمدة : الديري، وهو خطأ.

مؤلفات البساطي[479] : «شرح المختصر» و«المغني» وغيرهما

أخبرني سيدي الوالد بـ«شرح المختصر»، و«المغني» قراءة لبعضهما وإجازة للباقي، ولبقية مؤلفاته، عن القاضي الشمس السخاوي.

وأنبأني بها ـ عاليا بدرجة ـ المشايخ الثلاثة المذكورون فوقه، قالوا ثلاثتهم : والشمس السخاوي. أنبأنا بها مؤلفها القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطي.

انتهى ما قيد لي من «شرح الحطاب» من هذه الأسانيد ولابد مما فيها من التصحيف. فمن وجد نسخة عتيقة معتمدة فليصلح منها خلل هذه الأسانيد، وله الأجر وبالله التوفيق لا رب سواه.

سند الكتب التي في ثبت القاضي زكرياء الأنصاري المصري رضي الله عنه

أرويها عن سيدنا الإمام أبي زكرياء، عن شيخه أبي العباس أدفال، عن شيخه أبي المكارم زين العابدين، عن والده تاج العارفين أبي الحسن البكري الصديقي المصري، عن القاضي زكرياء الأنصاري رحمه الله. وتفصيلها بما قال أبو العباس أدفال في إجازته. ونصه : وأجازني شيخنا أن نروي عنه أيضا بحق روايته، عن والده قدس الله روحه، عن مشائخه سائر مروياته، ومن جملتها الكتب المعينة بأسانيدها بعد «الصحيحين» في ثبت شيخ الإسلام زكرياء شكر الله له وهي «سنن» أبي داود، و«جامع» أبي عيسى الترمذي، و«سنن» النسائي «الصغرى» و«سننه الكبرى» و«سنن» ابن مَاجَهْ، و«موطأ» الإمام مالك، و«مسند» الإمام الشافعي و«رسالتـ»ـه و«اختلاف الحديث» له و«سننـه المأثورة» رواية المازني و«شرح معاني الآثار» للطحاوي و«مسند» الإمام أبي حنيفة رواية الحارث، و«مسند» الإمام أحمد بن حنبل، و«مسند» أبي يعلى الموصلي، و«سنن» البيهقي «الكبرى»، و«سنن» الدارقطني و«سيرة» ابن هشام، و«سيرة» ابن سيد الناس المسماة

(479) انظر ص. 255، هامش 323. وللبساطي مؤلفات منها : «شفاء الغليل في شرح مختصر خليل»، و«المغني في الفقه»، و«توضيح المعقول، وتخريج المنقول على مختصر ابن الحاجب الفرعي»، وغيرها.

«**عيون الآثار**»، و«**دلائل النبوءة**» للبيهقي، و«**الشفاء**» للقاضي عياض، و«**الشمائل النبوية**» للترمذي، و«**عرفة التعريف في المولد الشريف**» للإمام ابن الجزري، و«**عدة الحصن الحصين**» له، و«**الأدب المفرد**» للبخاري، و«**عمل اليوم والليلة**» لابن السني و«**الدعاء**» للمحايل[480] و«**الأذكار**» للنووي، و«**رياض الصالحين**» له، و«**المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**» لأبي محمد الرَّامَهُرْمَزِي و«**شرف أصحاب الحديث**» للإمام الحافظ الخطيب البغدادي، و«**علوم الحديث**» لابن الصلاح، و«**ألفية علوم الحديث وشرحها**» للحافظ زين الدين العراقي، و«**النخبة وشرحها**» للحافظ ابن حجر، و«**بلوغ المرام**» له، و«**حلية الأولياء**» لأبي نعيم، و«**رسالة**» الإمام القشيري و«**عوارف المعارف**» للإمام السهروردي، و«**بداية الهداية**» لحجة الإسلام الغزالي، و«**العقيدة**» و«**الإحياء**» له، و«**الترغيب والترهيب**» للمنذري، و«**المصابيح**» للبغوي، و«**شرح السنة**» له، و«**معالم التنزيل**» له، و«**المشارق**» للصغاني، و«**عمدة الأحكام**» للحافظ ابن مسرور[481] المقدسي، و«**البعث**» لابن أبي داود، و«**تذكرة**» القرطبي، و«**فضل رمضان**» لابن أبي الدنيا، و«**المعجم الصغير**» للطبراني، و«**المعجم الأوسط**» له، و«**مشيخة الحقاف**»[482] لحزيع[483] الحافظ ابن البخاري، و«**الأربعون**» للنووي، و«**الأربعون**» للمنذري، و«**الأربعون**» للذهبي، و«**فوائد**» الثقفي، و«**جزء**» سفيان بن عيينة، و«**جزء**» الشحاذي، و«**المجالسة**» للدينوري، و«**مختصر سنن أبي داود**» للمنذري، و«**المحاميات**» و«**التبيان في آداب حملة القرآن**» للنووي، و«**التيسير**» للداني، و«**العنوان**» للطاهر النحوي، وكل من منظومتي الإمام أبي القاسم الشاطبي : «**لامية القراءات**» و«**رائية الرسم**»، وكل من «**النشر**»، و«**طي النشر**» للحافظ ابن الجزري، و«**التنبيه**» لأبي إسحاق الشيرازي، و«**المنهاج**» للنووي، و«**الحاوي الصغير**» للعلامة عبد الغفار القزويني، و«**البهجة**» للعلامة ابن الورد[484]،

---

(480) في نسخة : للحمايل.

(481) في النسخ المعتمدة : سرور. والمراد : أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي المتوفى سنة 600هـ. («إحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد، ج 1، ص. 5، هامش 1).

(482) في نسخة : الخلاف.

(483) هكذا في النسخ المعتمدة.

(484) في نسخة : ابن المورد.

و«**شرحها**» للولي العراقي، و«**مختصر**» أبي الحسن القدوري، و«**الهداية**» للبرهان أبي الحسن المرغناني[485]، و«**الكنه**» و«**المنار**»، وغيرهما من تصانيف حافظ الدين النسفي الحنفي، و«**المختار**» للفتوي و«**الإختيار**»، و«**مسائل المختصر**» و«**مجمع البحرين**» لابن الساغاني[486]، و«**المدونة جمع سحنون**» عن ابن القاسم عن الإمام مالك، و«**الرسالة**» لابن أبي زيد، و«**المختصر الفرعي**» لابن الحاجب، و«**مختصره الأصلي**»، و«**الكفاية**» له، و«**مختصر**» الشيخ خليل، و«**مختصر**» أبي القاسم الخرقي الحنبلي، و«**محرر المجد**» لابن تيمية، و«**المقنع**» لشيخ الإسلام ابن قدامة، و«**الطوالع في أصول الدين**»، و«**منهاج الأصول**» للقاضي البيضاوي، و«**جمع الجوامع**» لتاج الدين السبكي، و«**الملحة**» للحريري، و«**ألفية**» ابن مالك، و«**الجرومية**» لأبي عبد الله الشهير بابن آجروم، و«**تصانيف**» الجمال ابن[487] هشام، و«**تلخيص المفتاح**» للجلال القزويني وقصيدة البوصيري المعروفة بـ«**البردة**»، و«**تصانيف**» الهائم في الفرائض والحساب، وغير ذلك، و«**مجموع**» الكلائي، جمع الله لنا من خير الدنيا وخير الآخرة بفضله إنه ولي ذلك.

تذنيب فيما قرأناه من الكتب المذكورة ومن غيرها

ما قرأه التمنارتي على محمد بن الوقاد

كان دخولي لمدينة تارودانت قاعدة السوس الأقصى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة، فوجدت فيها علماء أجلاء، من أجلهم شيخنا الإمام الفقيه الصالح الزاهد الخطيب المنشئ البليغ، مفتي المسلمين والإسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني، نزيلها، هو المقدم فيها والمعتمد في الإفادة بها، فقرأت عليه «**رسالة**» أبي محمد و«**مختصر**» خليل بتمامهما قراءة تفهم وتحرير، و«**المختصر الفرعي**» لابن الحاجب إلى قرب ثلثه، كل ذلك بلفظي، وسردت عليه «**الشامل**» للعلامة بهرام إلى قرب نصفه، وحضرت بقراءة الغير الكتب المذكورة وغيرها كـ«**العقائد**»، و«**التفسير**» من «سورة الأعراف» إلى ﴿تلك الرسل﴾»[488]، وداومت مجلسه إلى أن توفي رحمه الله لعشر خلون من ربيع الثاني سنة إحدى وألف.

---

(485) في نسخة : المرعاني

(486) في نسخة : السغاني.

(487) في النسخ المعتمدة : لابن، وهو خطأ.

(488) هو بداية الحزب الخامس حسب ترتيب المصحف.

وأخذ عن أئمة تلمسان الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي، والفقيه المتفنن المحصل الفهامة أبي عبد الله محمد بن هبة الله شقرون، والخطيب البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال، وغيرهم من معاصريهم بتلمسان قبل انتقاله لسوس، وأخذ أيضا عن بعض أئمة فاس حين نزلها كأبي عبد الله اليستثني وغيره.

ما أخذه عن سعيد الهوزالي

ومنهم شيخنا الفقيه المحقق الدراكة أعدل قضاة زمانه، أبو عثمان سعيد بن علي ابن مسعود الهوزالي، حضرت حَلقته بقراءة الغير في «**المختصر الأصلي**» لابن الحاجب، و«**مختصر**» خليل، و«**رسالة**» الشيخ أبي محمد، و«**ألفية**» ابن مالك و«**تنقيح**» القرافي، و«**شرح**»ـه[489] للشوشاوي، وهو عزيز، و«**التفسير**» لابن جزي، و«**مقدمة**» الوغليسي، و«**شرح**»ـها للإمام أحمد زروق، و«**العلوم الفاخرة**» للثعالبي، و«**جزء الحبشي**» في الأدب، وتوفي رحمه الله ليلة الاثنين لثماني عشرة خلت من صفر سنة إحدى وألف.

وأخذ عن الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد بن مهدي بن سعيد بن الغازي الجزولي الجراري الدرعي الإستيطان، انتقل إليه والده فنشأ فيه وقرأ، وعن الفقيه المتفنن أبي القاسم بن عمر التفنوتي الدرعي الإستيطان، الفاسي الأخذ والمحتد، المعروف بأبي القاسم الكوش، عن شيخ الجماعة ابن غازي.

ما قرأه على سعيد السملالي

ومنهم شيخنا الفقيه المحقق المدقق العلامة أبو عثمان سعيد بن عبد الله بن إبراهيم الجزولي السملالي، ختمت عليه «**الرسالة**» و«**مختصر**» خليل، و«**ألفية**» ابن مالك ختمات عدة بإقراء تحقيق وتحرير، وقرأت عليه من لفظي «**المختصر الفرعي**» لابن الحاجب إلى قرب نصفه، وبقراءة الغير إلى تمامه، وقرأنا عليه «**عقائد التوحيد**» للشيخ أبي عبد الله السنوسي، و«**جمع الجوامع في الأصول**» للسبكي، و«**تلخيص المفتاح**» للقزويني، وداومت مجلسه إلى أن توفي بالطاعون في الحادي والعشرين من ذي قعدة سنة سبع وألف.

وأخذ عن الشيخين أبي عبد الله التلمساني، وأبي عثمان الهوزالي المذكورين، وعن الفقيه المحصل المتفنن أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي، أخذ عن شيوخ فاس أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمان اليستثنى، والفقيه المتفنن أبي الحسن علي

---

(489) في النسخ المعتمدة : وشرحها.

ابن موسى بن هارون المضغري[490] مضغرة تلمسان نزيل فاس، وعن الفقيه المتفنن الحافظ أبي محمد عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق[491] التجيبي وغيرهم.

ما قرأه على عبد الرحمان البعقيلي

ومنهم شيخنا الفقيه المتفنن أبو زيد عبد الرحمٰن بن عمرو[492] بن أحمد الجزولي البعقيلي، حضرت حلقته في «**الألفية**» و«**اللامية**» و«**الخزرجية**»، و«**تلخيص**» ابن البناء، و«**روضة الأزهار في علم التوقيت**» وقرأت عليه «**الألفية**» إلى «الإضافة». وكان متقنا للحساب والتنجيم، ولذلك نقله الإمام المنصور لمراكش قبل الإتقان عليه، وتوفي بالطاعون سنة ست وألف بعد رجوعه لبلده من مراكش.

ما قرأه على منصور الومي

ومنهم شيخنا أبو علي منصور بن محمد بن يوسف السوسي المومني، قرأنا عليه «**مختصر**» خليل إلى «الحج»، و«**جمع الجوامع**» لتاج الدين السبكي، و«**تلخيص المفتاح**» للقزويني، و«**عقائد**» أبي عبد الله السنوسي، وشروحها، و«**مقدمتـ**»ـه على المنطق، و«**محصل المقاصد**» لابن زكري[493]، و«**مقدمة**» البقاعي على المنطق، وكان فصيحا، أخذ عن المنجور وغيره. توفي سنة ألف.

ما قرأه على «أشخن» التيوتي

ومنهم شيخنا أبو عبد الله محمد بن المبارك السوسي التيوتي المعروف بأشخن[494]، ختمنا عليه «**الرسالة**»، و«**مختصر**»خليل، و«**ألفية**» ابن مالك، و«**عقائد**» السنوسي، و«**مقدمتـ**»ـه على المنطق، و«**إيساغوجي**» للبقاعي على المنطق أيضا ختمات عدة، و«**الجرومية**»، و«**لامية الأفعال**» كذلك، و«**الخراز على الرسم والضبط**»، و«**الدرر اللوامع**» لابن بري و«**الشاطبية**» لأبي القاسم بن فيرة، و«**ألفية**» العراقي على الحديث، توفي رحمه الله في شعبان سنة خمس عشرة وألف.

أخذ عن شيوخ فاس أبي العباس الزموري، وأبي زكرياء يحيى بن السراج، وأبي محمد عبد الواحد الحميدي، وبفقهاء[495] تارودانت أبي حفص عمرو بن أحمد

---

(490) المتوفى سنة 951هـ/1545م (انظر ترجمته ومصادرها في «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 349 مع الهامش 19).

(491) المتوفى سنة 961هـ/1554م (انظر «**الحركة الفكرية**»، ج 2. ص. 351 مع الهامش 23).

(492) في النسخ المعتمدة : عمر - لا عمرو -. (انظر ص. 115 مع الهامش 236).

(493) في النسخ المعتمدة : لابن زكرياء -. والمراد ابن زكري التلمساني المشهور (انظر ص. 172، هامش 629).

(494) سبق التعريف به في ص. 120. وهو شيخ التمنارتي الثامن. (انظر كذلك ص. 138، هامش 432).

(495) هكذا في النسخ المعتمدة. والصواب : وعن فقهاء.

البعقيلي الجزولي، وأبي عبد الله التلمساني، وأبي عثمان القاضي سعيد بن علي الهوزالي، وهو آخر من أخذنا عنه من كبار شيوخنا بتارودانت.

ما قراه على عيسى السكتاني

ومنهم شيخنا الفقيه المحصل المحقق المتفنن أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان ابن عيسى السكتاني، أحضر دروسه بقراء الغير في «**مختصر**» خليل، و«**الرسالة**»، و«**التفسير**»، و«**عقائد**» السنوسي، و«**مقدمت**»ـه على المنطق، و«**أصول**» السبكي وقرأنا عليه «**إيضاح المسالك**» لأبي العباس الونشريسي قراءة بحث وتحرير، وأعجبني إدراكه فيه وحسن تقريره لمسائله مع عدم شرح له بيده. وما زال في قيد الحياة أمتعه الله وأمتع به[496].

أخذ عن شيوخ فاس أبي العباس المنجور، وأبي العباس أحمد بن علي الزموري، وأبي محمد عبد الواحد الحميدي، وغيرهم من معاصريهم.

ما قرأه على ابن المبارك الأقاوي

ومنهم شيخنا الشيخ الصالح الرئيس أبو محمد عبد الله بن المبارك الأقاوي، وفدت عليه سنة خمس عشرة وألف فأقمت عنده سنة، فقرأت عليه «**الشفا**» للقاضي أبي الفضل عياض و«**الأنوار السنية**» لأبي جزي، و«**المنهاج**» للغزالي، إلا يسيرا في أواخرهما ناولنيه، ومنع من إتمامه مرض وفاته، وأملى عليَّ مقدمات الإيمان والإسلام والإحسان مع لطائف إشارات القوم فيها. توفي رحمه الله صبيحة يوم الاثنين الثالث والعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وألف.

وحدثني رحمه الله بوصيتين، قال : أوصاني بهما شيخاي : إحداهما: قال : أوصاني بها قطب المقامات شيخي وأستاذي الشيخ الولي الصالح الرباني سيدي أحمد ابن موسى بن عمر بن عيسى بن أبي بكر الجزولي السملالي صاحب تازروالت، قال : قال لي : آعمل لنفسك عملا تسعد به غدا؛ والثانية أوصاني بها شيخي وأستاذي الشيخ الولي الصالح العالم الكبير أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم الجزولي التامانارتي، قال: قال لي : آخدم نفسك.

وأخذ شيخه أبو عبد الله التامانارتي، عن الفقيه أبي علي الحسن بن عثمان بن عبد الله التاملي، عن شيخ الجماعة الشيخ ابن غازي، وأجازني مؤلفات شيخه، منها نظمه العجيب، الحسن الترتيب، في علوم الآخرة، ومنها وسيلة بالأسماء الحسنى في الإستسقاء، ومنها قصيدة دالية في التوسل في بحر المتقارب، والأولان رجز. والسلام.

(496) سبق في ص. 140، هامش 441 أنه توفي عام 1062هـ/1652م

هذا وإن لم أكن لما تكلفته أهلا، ولا سمح الدهر بما كتبته أصلا، ولكن كما قيل : [الوافر]

أحـــن إذا رأيت جمال سُعــــدى وأبكــــي إن سمعت لها حنينـــــا
سقى الغيثُ الهطولُ ديار سُعــدى وإن خلت البــــلاد وإن بلينـــــا
على سعـــدى السلامُ وآلِ سعــــدى تحيــــات يَرُحْــــنَ ويغتدينـــــا

ٱلْبَابُ ٱلثَّالِثُ :

فِيمَا تَلَقَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْفَوَائِدِ ، وَسَمِعْنَاهُ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ وَٱلْغَرَائِبِ

الباب الثالث

في ما تلقيناه من الفوائد وسمعناه من العجائب

أدعية عجيبة

حدثني الطالب النجيب، التالي لكتاب الله محمد بن محمد بن يدار المنتاكَي أنه أصيب بالطاعون الواقع بالمغرب سنة ست وألف، فغشي عليه، فلُقِّنْتُ[1] في غشيتي : «اللهم اشفني بشفائك، وداوني بدوائك، وعافني من بلائك، ظاهرا وباطنا. إنك على كل شيء قدير»، فأفقتُ وقد ثبتت في عقلي، وكنت أدعو به فعافاني[2] الله بعد الإشراف.

وحدثني التالي لكتاب الله إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الزدوتي أن أحد الأعيان قال له : دخلت أزور الولي الذي يقال له بمراكش سيدي الغازي[3]، فقعدت بإزاء القبر وتركت صاحبي وفرسي بالباب، ثم سقط إلى جنبي رجل فقال : «اللهم ارزقني من هذه الدنيا القناعة، وأخرجني منها بلا تِبَاعَة[4]، بحق سيدنا محمد ﷺ صاحب الشفاعة». فقام ولم يزد عليها فخرج، فسألت عنه صاحبي، فقال : ما دخل عليك أحد ولا خرج من عندك، قلت : ولعله من المستورين.

وحدثني صاحبنا الطالب النجيب أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن المبارك الشرادي السوسي الشباني أنه مرض مرضة طويلة أشرفت به على الردى، قال : فأرشدني والدي ـ وكان من أهل الفضل ـ أن أزور سيدي أبا السحاب[5]، فقلت له : خشيت أن أنتكس بالتعب ويزداد مرضي لبعد ما بيننا وبينه، فانحلت عزيمتي،

(1) في نسخة : فقلت.

(2) في النسخ المعتمدة : فعافني.

(3) دفن بدرب أجاط، وبني عليه حوش كبير («السعادة الأبدية»، صص. 48، 134).

(4) التِّباعَةُ والتَّبِعَة : ما تطلبه من ظُلامة ونَحْوِها.

(5) انظر ترجمته في «مناقب» الحضيكي، ج 1، صص. 113-114.

فأتاني في الليلة القابلة وعرفني بنفسه وقال : زرنا فإنك لا تنتكس إن شاء الله، فأصبحت على أهبتي إليه، فركبت دابتي، وصابرت النفس حتى وصلت قبره فدعوت الله عنده، وتوسلت به إلى الله تعالى في شفائي، فألقى الله علي الراحة في الحين فجئت راجعا للمنزل على قدمي، فتعجبت من سرعة الإجابة ببركته.

التعريف بسيدي أبي السحاب

قلت : وذكر لي هذا السيد التعريف به، وهو إبراهيم بن يحيى السملالي، من أولياء صدر المائة السادسة، وأن المهدي[6] كتب إليه وسأل منه الدعاء، وتوسل به إلى الله في أمره حين رجع من المشرق، وناهيك بمن اعترف له المهدي على ... (٤٨) عليه، وإنما قيل فيه «أبو السحاب» لأن الناس يستسقون عند قبره فَيُغَاثُون، واطرد لهم ذلك، وهو في غابة بني شبل المجاورة لأبي موسى[7] مشهور المزارة مهيب الحرم.

حكايتان عجيبتان

وحدثني جيران ولي الله سيدي إبراهيم الرجراجي[8] المدفون بقرية أسك من بلد وجاسة من جبل درن، أنه تواتر عن سلفهم أن صخرة عظيمة كانت على حافة تشرف على قبره فتهيل ما تحتها فأشرفت على السقوط على القبر، فاجتمع أهل البلد على شأنها فأجمعوا على أن لا يبقى منهم أحد في الغد ليبنوا من أسفل الحافة حتى يبلغوا الصخرة تمسك، فانصرفوا على ذلك، فجاء مطر وابل ورعد هائل في تلك الليلة فَهَمَّ الناس من أجلها، فأصبحوا مسرعين فلم يجدوا إلا أثرها الذي نقلت منه ولا يدرون إلى أين نقلت من بركته، ولم يزل الناس اليوم يتراءون محلها، ولم أر من عرف بهذا الولي إلا أنه قديم.

وأخبرني أيضا بعض أهل جبل درن أن عندهم صيادا أخبرهم أنه بات ليلة في صيادته[9]، فأوى إلى مكان اختفى فيه لبياته. فإذا الأسد جاء لقربه فوقف ثم رفع رأسه إلى السماء فنزل عليه مثل قبضة صوف أبيض فالتقمه ومشى، فأتيت المكان من الغد، فلقطت منه مثل حبة الذرة، فابتلعتها فلم أشته الطعام مدة أربعين ليلة.

---

(6) يعني محمد المهدي بن تومرت الهرغي زعيم الدولة الموحدية (انظر ترجمته وأخباره في «**الاستقصا**»، ج 2، ص. 78 فما بعد؛ وانظر أيضا : «**أخبار المهدي**» لأبي بكر الصنهاجي (البيذق).

(7) أبو موسى، دُفن غرب أولاد تايمة، بعيدا عنها بنحو 5 كلم. وضريحه مزارة مشهورة، ويقام عليه موسم سنوي في بداية الصيف. ولعله أبو موسى عيسى بن أبي عيسى بن جعفر السوسي الذي ذكره ابن الزيات في «**التشوف**»، ووصفه بأنه «كان عبدا صالحا» (انظر : «**التشوف**»، صص. 295، 398، 444).

(8) انظر : «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 114.

(9) أي صيده. والتمنارتي يتكئ أحيانا على الكلمات العامية فيعبر بها عن مراده.

حدثني الطالب ـ ورد علينا بعد الألف ـ الفاضل[10] محمد الشريف القسمطيني، فذكر لنا أنه طالع ببلدهم كتاب ملك العجم لأمير مكة، من فصوله : «الحسنات في أنفسها حسنات وفي أهل البيت أحسن، والسيئات في أنفسها سيئات، وفي أهل البيت أشين. لئن لم تنته عما استطار عنك، لأغمدن فيك سيف جدك».

وكتب المنصور لملك العجم بهذين البيتين[11] : [المتقارب]

فلما نأيم ولم أستطع أسير لحضرتكم بالقدم
شفعت إليكم بحق الرسول[12] وخاطبتكم بلسان القلم

فأجابه بمثلها : [المتقارب]

فإن زُرْتُمُ وتفضّلتمُ وشرفتمونا بخط القلم[13]
فليس بعار ولا منقص دخول الموالي بيوت الخدم

وينظر للبيتين الأولين ما كتبت به لشيخنا الإمام أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان بمدينة مراكش وهو قاضيها : [المتقارب]

ولما تناءت بلادكم وعوقت عن وصلكم بالقدم
جعلت مكان شفاهي لكم على الرغم مني شفاه القلم

وبلغني عن بعض أصحابنا ملام بعض الإخوان في أمر، فكتبت إليه بهذه الأبيات : [الطويل]

ألا أيها اللأحي[14] رويدك فاجمعا ولا ترين جليدتي أن تمزعا[15]
فإن أبصرت عيناك شيئا فحدثن وإلا فالأذن قد تعي مُتصنّعا
ولست بأرض أحمل الناس كلهم ولا بسماء أشبع الخلق أجمعا

(10) هكذا هذه العبارة في النسخ المعتمدة، وهي قلقة.

(11) ذكر الإفراني في «نزهة الحادي»، ص. 129، أن هذين البيتين من نظم محمد بن أبي الحسن البكري في بعض رسائله التي كان يبعث بها إلى المنصور الذهبي، والبيتان قديمان.

(12) ورد هذا الشطر في «نزهة الحادي»، ص. 129 هكذا : «سعيت إليكم برجل الرسول».

(13) ورد هذا الشطر في «نزهة الحادي»، هكذا : «وشرفتمونا بنقل القدم».

(14) اللاحي : الشاتم.

(15) تُمَزَّع : تُشتّت وتفرق وتُقطَّع.

موعظتان

عدا محمد الكبير خال المنصور على رجل بدرعة في ضيعة له، فشكاه للمنصور، فقال له : كم تساوي ضيعتك ؟ قال له : سبعمائة أقية[16]، قال له : خذها وقل لخالي : الموعد الموقف الذي لا أكون فيه سلطانا ولا تكون فيه خال السلطان، فرجع صاحب الضيعة إليه وأدى إليه كلام المنصور، فأمسك رأسه بيده ساعة ثم قال له : اِلحق ضيعتك، وغرم اه كل ما أكل منها. قلت : وقول الحق والإذعان له من كرم العنصر.

حدثني الفاضل الطالب إبراهيم بن أحمد بن يعقوب الهشتوكي، قال : أخبرني والدي أنه جلس مع قطب زمانه أبي العباس سيدي أحمد بن موسى الجزولي، فجاءه رجل فجلس، فقال له : أعد علي القصة التي قصصت علينا عام أول، فقال له : نعم، كنا في لعب عرس ببعض قرى البادية حتى غلبنا النوم، فنمنا خارج القرية، ثم سمعنا تحت الأرض هزة هائلة وأصواتا منكرة ببكاء ونحوه، فسمعنا تحت الأرض قائلا يقول : ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾[17]. ولما أصبحنا، رأينا في الموضع قبورا قديمة، فقال له الشيخ : ليس وراء هذه موعظة.

الصلاة على الجنازة شفاعة لها

حدثني الرجل الصالح المسن المتجرد محمد بن إبراهيم بن موسى الطيبي[18]، قال : أخبرنا أحد تجار أسرر[19] أنه وجد في الصحراء قتيلا عليه ثعبان امتد عليه من قرنه[20] إلى قدمه، رأسه يشبه رأس الذئب، وهو في الغلظ على قدر جثته، فتيممت فشرعت في الصلاة عليه، فطار نحو السماء وله صوت شديد مفزع، فواريته وتركته.

قال الراوي : ومرض من فزع صوته إلى أن مات.

قلت : دل هذا على أن الصلاة على الجنازة شفاعة لها.

---

(16) هكذا في النسخ المعتمدة. والأوقية أربعون درهما شرعيا؛ والدرهم الشرعي يزن 2,97 غ، أي أن الأوقية تساوي 119 غ من الفضة.

(17) سورة النبأ، الآية 30.

(18) ذكره الحضيكي في «مناقبـ»ـه، ج 1، ص. 56، ولم يزد على ما ذكره التمنارتي هنا.

(19) أسرير : قرية على ضفاف وادي نون في تخوم الصحراء، بإقليم أكلميم (انظر : «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 621 ؛ وانظر أيضا : «التشوف»، ص. 344، هامش 69).

(20) القَرْن : الجانب الأعلى من الرأس.

حدثني السائح الجوال الحاج محمد بن عيسى التونسي، قال : أخبرني رجل بمصر كان يرعى مغارة الدفن، فطرحوا فيها رجلا إذا جن الليل رآه واقفا إلى الفجر، قال : فضربه في بعض الليالي بعمود على ساقيه فكسرهما، فرقد. فجاءه في النوم، فقال له : جزاك الله خيرا؛ كنت أسأل واقفا تشديدا علي. ولما كسرت ساقي، خُفِّفَ عليَّ بالسؤال مضطجعا.

رجل يخبر بالمغيبات

حدثني الطالب محمد بن عبد الرحمان المسجدادي، قال شرطت في بعض مساجد حاحة في أيام الولي الصالح سيدي إبراهيم بن علي الأضمني[21]. فشاع بها ذكر رجل أنه يخبر بالمغيبات وأنه يصدق فيها، فجاءوا به لسيدي إبراهيم المذكور، فقال : أحق ما يذكر عنك ؟ فقال له : نعم، فقال له : فأخبرني عن صاحبنا فلان مات في هذه الأيام،أخبرني ما صنعتُ به وما قلتُ له حين ودعتُه. فقال له : إنكم لما غسلتموه وكفنتموه، أخرجت الناس عنه وقبضت بإبهام رجله اليمنى، وقلت له : ثبتك الله على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهززته فخرجت عنه، فقال لهم : صدق، فعظم بذلك شأنه وانكباب الناس عليه، فلم يمض إلا قليل فوجدوه يزني بامرأة، فأتوا به لسيدي إبراهيم المذكور، فقال له : لست على استقامة، ولكنك مستدرج، فأخبرنا عن قصتك، فقال له : نعم يا سيدي وأنا تائب إلى الله على يدك؛ كان لي صاحب من الشياطين أركع له ركعتين في متمرغ الحمير كل يوم فكان يخبرني بما رأيتم. وأثبتها لئلا يغتر بمثله.

زيارة ضريح السهيلي من أسباب التيسير

حدثني صاحبنا الطالب الحسن بن أحمد الصوابي قال : كان ولدي محمد يقرأ ببلد جزولة حتى حفظ كتبه وفهمها على فقهاء جزولة، وكانت العجمة غالبة على ألسنتهم، ثم سافر لمدينة مراكش للقراءة بها، فوجد طلبتها في غاية ما يكون من حدة اللسان وطلاقته[22] بالعبارة الحسنة، فيفهم مقاصدهم ولا يستطيع الرد عليهم لغلبة العجمة عليه، قال : فطال همي بذلك، فنمت في بعض الليالي، فرأيت أمي وهي ماتت ببلاد جزولة لا تعرف مراكش ولا علماءَه ولا صلحاءَه، فقالت لي : عليك بزيارة سيدي السهيلي[23] وأنا لا أعرفه ولا سمعت به قط، فسألت عنه بعض

(21) انظر : «مناقب» الحضيكي، ج 1، صص. 117-118.

(22) في النسخ المعتمدة : وطلاقتها.

(23) هو الإمام الفقيه الأصولي اللغوي الأديب أبو زيد وأبو القاسم عبد الرحمان بن الخطيب السهيلي ـ نسبة إلى سُهَيْل وهي قرية أندلسية بالقرب من مالقة، سميت باسم كوكب سهيل لأنه لا يرى في جميع الأندلس إلا من جبل مطل عليها. ولد سنة 508هـ، وتوفي بمراكش سنة 581هـ، ودفن خارج باب =

الخواص، فأرشدني لقبره، فزرته على حاجتي، فيسر الله ببركته أمري وأطلق من عقدة[24] العجمة لساني، فكنت أحاورهم وأجاريهم على مثل عبارتهم وأحسن، فتعجبوا من الفتح القريب الذي حصل لي ببركته.

التعريف بالإمام السهيلي

قلت : والسهيلي هذا هو أبو القاسم السهيلي الأندلسي، استوفده السلطان يعقوب المنصور الموحدي لتعليم بنيه بمراكش وأوصى عليه أن يتولى غسله وتجهيزه وأن يدخله قبره بتنمل[25] ففعل، وكان في آخر عمره من أهل التبتل[26] والصلاح، يشهد له نور الولاية وقوة الدين توفي بعد الثمانين وخمسمائة[27]، ودفن بمقبرة باب لشريعة[28] على طريق المصلى. رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به وبأمثاله.

سيل في الحرم الشريف

وفي منتصف صفر[29] ورد علينا الطالب عبد الحق بن أحمد بن مسعود الأوزالي، فذكر لنا أنه لقي الأستاذ المجاور الحاج أبا بكر السجتاني[30] في أوبته من الحرم الشريف بتاريخه، فأخبره أنه وقع بالحرم الشريف سيل هائل مهم لم يعهد مثله قط. ولما هجم على مكة، ربا على شعابها وزلزل دورها، فهرب الناس خاصة وعامة للمسجد الحرام ظنا منهم أنهم ينجون فهجم عليهم فيه حتى امتلأ وبلغ باب الكعبة ودخلها فملأ البيت امتلاءً، وفيه ركن شُعِبَ[31] قديما، فانهد به من البيت نحو ربعه،

= الرب، وعليه قبة حافلة بناها السلطان محمد بن عبد الرحمان العلوي (انظر : «**الديباج المذهب**»، صص. 150–151 ؛ و«**السعادة الأبدية**»، صص. 158–159).

(24) في نسخة : من عقد.

(25) تنمل : القرية التي استقر بها المهدي بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية. يوجد بها قبره، كما توجد بها قبور عبد المومن بن علي، وأبي يعقوب يوسف، وأبي يوسف يعقوب المنصور، وبها شيد عبد المومن بن علي المسجد الأعظم الذي ما زالت أطلاله قائمة. تقع على بعد كلمتر واحد من الكلمتر 101 في الطريق المؤدية من مراكش إلى تارودانت عبر تيزي نتست («**المغرب**» للصديق بن العربي، صص. 82–83). وقد تمّ ترميمه في الآونة الأخيرة.

(26) التبتل : الإنقطاع إلى الله، والتفرغ للعبادة، وترك النكاح، والزهد فيه. قال تعالى : ﴿**وتبتل إليه تبتيلا**﴾ (**سورة المزمل، الآية 7**).

(27) تاريخ وفاته بالضبط هو يوم الخميس 26 شعبان 581هـ («**السعادة الأبدية**»، ص. 159).

(28) المراد بباب الشريعة : باب الرب حاليا.

(29) لم يذكر السنة.

(30) حج أكثر من عشرين حجة، وجاور بمصر والحجاز سنين متعددة. توفي سنة 1063هـ، ودفن خارج باب الدبغ بمراكش («**السعادة الأبدية**»، صص. 95–96).

(31) شُعِب : تصدع.

وسقط به ميزاب الرحمة، فما أخذوه إلا من خارج مكة بعد الصحو، ومات به من الأعيان ألف ونيف، والعامة لا يحصيها العدد. وهذه[32] مصيبة يعم حزنها سائر أقطار المسلمين ويبكي لها كل مومن مشفق من أهل الدين، نسأل الله بحلمه وعفوه أن يجبر حال المسلمين والإسلام بجاه[33] سيدنا ونبينا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

سبب هذا السيل أمير ظالم

وذكر عنه أن سبب ذلك ما وقع بالحرم من سفك دماء العلماء على يد أمير جائر تحيَّل بمكره على قتل الأمير العادل بها من أهل البيت. وكان هذا الجائر من بني عمه. ولما تغلب، قتل بمكة ثمانية عشر فقيها أعلاهم مفتيها وقاضيها فمن دونهما، فنزل بمكة الحادث المذكور.

وشرح قصة هذا الظالم ـ على ما حكي ـ أن أمير ملك العجم[34] نزل بجدة شرقي مكة بجنوده[35] قاصدا اليمن لثائر من الروافض ثار به فصدَّ الحجيج عن البيت فهرب إليه الظالم المذكور من مكة، فقال إنك توجهت بجيش كثيف لِعَدوٍّ لفيف[36] تحتاج إلى مال كثير، فابعث لأمير مكة يعضدك بالمال ففعل، فقال له أمير مكة تحتاج لكتاب الملك. فقال له الظالم : إنه عصاك وأبغضك. فبينما هو في تدبير أمره، إذ غرقت سفن أثقاله، وغاصت بجميع أمواله. فبعث لأمير مكة أن أرسل إلي الغواصين في استخلاص هذا المال. فأتوه فغاصوا جهدهم فما اتصلوا بشيء، فقال له الظالم : إنهم خانوك عن أمر صاحبهم ليأخذه إذا ذهبت.

ولما علم صاحب مكة تلفَ المال وتَعَذُّرَ استخلاصه، بعث إليه بالمال مع الفقهاء والأعيان. ولما قارب الأمناء محلة الجيش، مات أمير الجيش حتف أنفه[37] وعنده فقيه حنفي من مكة. فقال الظالم للجيش : إن الفقيه المكي قتله بسم عن أمر

(32) في النسخ المعتمدة : وهذا.

(33) اعتاد الناس ـ علماء وعامة ـ أن يتوسلوا بجاه النبي ﷺ، معتمدين على حديث : «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»، بالرغم من أن هذا الحديث لا أصل له، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «**القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة**» (انظر : «**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**» لمحمد ناصر الدين الألباني، المجلد الأول، ج 1، ص. 30 رقم الحديث 22).

(34) في نسخة : أن أمير المومنين ملك العجم.

(35) في نسخة : نزل بجنوده شرق مكة.

(36) لفيف : مختلط، من كل القبائل والأجناس.

(37) مات حتف أنفه : أي مات على فراشه ميتة طبيعية من غير قتل ولا ضرب، ولا غرق ولا حرق.

صاحب مكة، فقتلوا الفقيه وزحفوا لمكة فقتلوا أميرها العادل فولوا مكانه هذا الظالم، وقتل الفقهاء المذكورين. فأرسل الله عليهم الصاعقة المذكورة، ثم بعث ملك العجم رئيسا آخر للقصد المذكور، فقتل هذا الظالم فأراح منه البلد. والحمد لله.

من كرامات أبي العباس السبتي والقاضي عياض

حدثني العدل أبو زيد عبد الرحمان بن يعزى الرسموكي الجزولي قال : كنت قيِّما على روضة الولي أبي العباس السبتي[38] رضي الله عنه، عن أمر قاضيها الفقيه أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني، فكانت امرأة تختلف إليه كل صباح نحو ستة أشهر تشكو إليه أمرها، فجاءته صبيحة بعد يأسها فأطالت عليه وألحت إلى أن قالت له : كل من أتاك قضيت حاجته إلا أنا، وأنا ما طلبت إلا أمرا سائغا فماطلتني هذا الأمد الطويل، وأنا دعوتك للقاضي عياض فخرجت. قال : فتعجبت منها ومن جرأتها، ثم جاءت في الغد، فسلمت عليه، فقالت: جزاك الله قضيت حاجتي فدعت له وشكرت، فكاشفتها عن أمرها، فقالت : اغتصب بعض علوج الإمارة بنية لي فتعذر استخلاصها، فكنت أتوسل فيها بهذا الولي حتى أبطأ عني الغوث فدعوته للقاضي عياض ليحكم لي فيه ففعل، فجاءتني البنية البارحة، أدخلها عليَّ من لا علم لي به ولا معرفة[39]، فجئت أجازيه وأشكر له. هذه[40] قصتي. ثم سمعت من كثير أنهم إذا أبطأ عنهم المراد عنده، دعوه للقاضي عياض فيتيسر لهم مرغوبهم، وهذا من العجب.

مرض شيخنا أبو عبد الله التلمساني وتخلف عن مجلسه أياما. ولما عوفي وعاد لمجلس درسه بالجامع الكبير، أنشدته : [البسيط]

أبيات للتمنارتي بمناسبة شفاء ابن الوقاد من مرض

عاد لمبتهج الريـــاض وابِلـــه	فالزهـــر مبـــتسم والـــنشر منتســـم
العلـــم عوفي إذ عوفـــيت والـــبشر	كما هما إذ سقمت فيهمـــا سقـــم[41]
شفـــا البريـــة قد يرى بواحدهـــم	كما يرى مرض من واحـــد بهـــم

(38) انظر ترجمته في «التشوف»، ص. 451 فما بعد.

(39) في النسخ المعتمدة : ولا معرفتي به. ولعله في الأصل : ولا معرفة لي به.

(40) في النسخ المعتمدة : هذا قصتي.

(41) البيت مأخوذ من قول المتنبي في مطلع قصيدة له :

المجد عُوفِـــيَ إذ عُوفـــيتَ والكَـــرَم وزال عنك إلى أعـــــدائك الألم

(«العَرْف الطيب، في شرح ديوان أبي الطيب» لناصيف اليازجي، ج 4، ص. 434).

قصيدة انشدها التمنارتي على قبر والده

وقفت على قبر الوالد رحمه الله مرجعي من بلدنا فائجة[42] تامانارت، وقد طالت غيبتي بها فأنشدت على قبره هذه الأبيات، وذلك في صفر سنة تسع عشرة وألف، وهي : [الطويل]

أفض عبرات العين ما سمحت تترى	على جدث حوى الزهادة والصبرا
وتابع خطاك نحوه فلطالما	أطال الملام في إرشادك والزجرا
وزر والدا قد طالما بات ناشرا	عليك جناح الرحم يَأمُلك الذخرا
يمونك طفلا وهو فيك محمل	متاعب لم تسطع لأقلها صبرا
تصح فيبهج ارتياحا ولذة	وتسقم فيهتاج من حره صدرا
وترجف منه النفس بين ضلوعه	متى جزع ينتاب يخشى بك الدهرا
ويسهر في الظلما عليك كأنما	يقيك الذي من طارق ربما أسْرى
فكم مسحت يمناه جلدك يتغي	بك الخصب والأحشاء منه تلي الضمرا
وكم ربى للعليا جناحَك وكَسْرُه	فصاغت لك العلياء من جوها وكرا
فلو وفت الأجفان برك حقه	لكنتُ على الأجفان أستنجد السيرا
ولو كان في الناس امرؤ ولي والدا	وفيتك لكن مثلكم يقبل العذرا
وحسب غرام البين بعدك أنني	أجف الجوى من شِرَّتِي[43] الغُصنَ والزَّهرا
سألت من البر الرحيم لك الرضا	وأن يجزني[44] من بركم ولدا برا
ومن دِيمَةِ[45] الغفران والرَّوح رحمة	تعم لديك ساحة القبر والقبرا
سأشكر منك السعي ما دمت مفردا	وأبكي إليك ستة قدموا الشكرا

وأعني بالستة : الإخوة ماتوا معه بالوباء الجارف الواقع بعد ألف، فتركوني مفردا رحمهم الله تعالى وألهم الصبر عن مصابهم.

وفي جمادى الأولى سنة سبع عشرة وألف، وردت على شيخنا أبي زكرياء لأحمل عنه الحديث، فقرأت عليه من الكتب الحديثية ما تقدم في الأسانيد، وأجازها لي مكاتبة بخط يده، ومشافهة، فقلت بين يديه رحمه الله ورضي عنه: [الطويل]

(42) فائجة تمنارت : قرية أبي زيد التمنارتي التي تسكنها أسرته، وقد اندثرت الآن ولم يبق منها إلا أطلال ومقبرة (انظر : «خلال جزولة»، ج 3، ص. 26 ؛ و«المعسول»، ج 3، ص. 324 ؛ و«أبو زيد التمنارتي وشعره» لليزيد الراضي، صص. 32–33 – مخطوط –). وانظر أيضا ص. 12 مع الهامش 5.

(43) شِرَّة الشباب – بكسر السين – : نشاطه.

(44) حذف ياء يجزيني للضرورة.

(45) الدِّيمَة : المطر الدائم في سكون، أي ليس فيه رعد ولا برق.

بك الفتـح صاح وجهـه وجبينـه ومـن ثغـره الـوضاح لمعـة بارق
فقلت صباح الـرشد بعـد إيـاسه ومن بعد ليل طولـه كل فالـق[46]
سرينـا ونجم قد أضاء ومُـذ بدا محيَّـاك أخفـى ضوؤه كل شارق[47]
فلذنـا بذاك الضوء من كل ظلمـة وعذنا بذاك الصبـح من شر غاسق[48]
ولم لا وخُطمُ[49] الغرب في كف راشد هو الجد[50] يرتـاد الهدى بالخلائـق
فكـان كفجـر للضيـاء صباحـه أبوك[51]، وأنت اليـوم شمس المشارق

فقال : لا يفضض الله فاك[52]، فبقيت لي أسناني بدعائه وقد ناهزت السبعين. والحمد لله على فضله.

كتب إليَّ أبو العباس أحمد[53] بن الحسن بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم في الإنتصار للخطيب أبي زيد التلمساني[54] في مرسم للحبس غيره، فقمت عليه فيه أيام قضائي لعمه أبي زكرياء رحمه الله، فجاوبته: [الطويل]

جـواب التـمنارتي لأحـمـد بن الحسن عندما انتصر لعبد الرحمان بن الوقاد

أقول وقـد رمـى الفـؤاد بعـاتب أخو المجد والنصح الجميل المُوالي بِ[55]
سددت أبـا العبـاس كل ذريعـة برأي يحاذي مكرمـاتك صائب
وحـزت بإرشادي ونصحـي بهمـة مثوبة[56] أهل النصح في كل لا حب[57]

---

(46) المراد بالفالق هنا : فالق الإصباح. وفي هذا الشطر تعقيد. ولو قال : «ومن بعد طول ليله كل فالق»، لكان أقرب.

(47) هذا البيت مضمن، وهو شاهد نحوي لم يعرف قائله (انظر : «همع الهوامع، في شرح جمع الجوامع» للسيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ج 2، ص. 31).

(48) غاسق : ليل مظلم. قال تعالى : ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ (سورة الفلق، الآية 3).

(49) الخطم : جمع خطام، وهو ما وضع في أنف البعير ليقتاد به.

(50) يقصد بالجد : أبا عثمان سعيد بن عبد المنعم المناني الحاحي جد الأمير يحيى الحاحي (انظر ترجمته في ص. 153).

(51) هو الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم (انظر ترجمته في ص. 150).

(52) لا يفضض الله فاك : لا ينثر الله أسنانك. وهو دعاء يدل على الإستحسان والإعجاب.

(53) انظر ترجمته في «المعسول»، ج 19، ص. 83.

(54) المراد : أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد، الذي تقدمت ترجمته في ص. 137.

(55) هكذا كتب في غالب النسخ المعتمدة. وكتب في نسخة واحدة : المواثب. والمواتي : المطاوع والموافق. أما المواثب ــ بالثاء المثلثة ــ، فهو المهاجم والمصاول.

(56) مثوبة : جزاء وثواب.

(57) لاحب : طريق واضح.

فلله منا[58] من رأى صدع[59] صاحب — فَرَمَّ[60] انصداع الثلم[61] منه بواجب

على أنها أحدوثة[62] قد رَمَوا بها — وما لِيَ فيها من شِكاس؛[63] مُصَاقِبِ[64]

على عادة الواشين والنوح قبلها — بلا سبب غير الظنون الكواذب

سوى أنني أقسمتُ لله رحمه — وأنقذته من عاديات غوالب

فحَاصُوا[65] لديها حَيْصَةً مسترية — فما نفعتهم في الملا والعواقب

وأنتم لدين الله أرسى جباله، — وهل زعزعتكم طنة من نواعب[66]

وصِهْرُك[67]خِلّ ضمنا الود دائما — كما لازم في قيسهم[68] خل لازب[69]

وكنا كندماني جذيمة[70] حقبةً — من الدهر حتى قيل ليس بناكب[71]

---

(58) في نسخة : فلله عينا.

(59) صدع : كسر.

(60) فَرَمَّ : فأصلح.

(61) الثلم : الكسر، يقال ثَلَم الإناء ثَلْماً، أي كسر حرفه.

(62) أُحْدُوثة : ما يتحدث به الناس.

(63) شِكَاس : معاكسة ومخالفة.

(64) مُصَاقِب : مواجه.

(65) حاصوا حيصة : نفروا نفرة يريدون الفرار. في حديث هرقل مع أبي سفيان : «فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب» (انظر : «**صحيح البخاري**»، «باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ»، ج 1، ص. 8).

(66) نواعب : جمع ناعبة، وهو اسم الفاعل المؤنث من نعب الغراب ونحوه إذا صَوَّت، أو مَدَّ عنقه وحرك رأسه في صياحه.

(67) صهرك : أي عبد الرحمان بن الوقاد المذكور؛ وفي نسخة : وصهريَ.

(68) قيسهم : قياسهم.

(69) لازب : لازم، ثابت. يشير إلى ما ورد في كتب اللغة من أن العرب يقولون : ليس هذا بضربة لازب، ولازم، يبدلون الباء ميما لتقارب مخرجيهما. فلازم على هذا الأساس خل لازب.

(70) المراد بجذيمة، جذيمة الأبرش أحد ملوك الحيرة. والنُّدْمَان : النديم الذي يجالسك على الشراب، ونديما جذيمة هما مالك وعقيل آبنا فالج وقد نادماه أربعين سنة. وهذا البيت مضمن، مع تغيير طفيف اقتضته القافية، وهو لمتمم بن نُوَيْرة هكذا :

وكنا كندماني جذيمة حقبة — من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

وبعده :

فلما تفرقنا كأني ومالكا — لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(انظر : «**الشعر والشعراء**» لابن قتيبة، ص. 157).

(71) ناكب : اسم الفاعل من نكبه الدهر إذا أصابه بنكبة.

فراش[72] سهاما لاعتداء بباطل ... فلزت[73] به بين الكُلا[74] والترائب[75]

وما زلت أرجو الله أن يستقيله ... فيصبح من تصرامه[76] خير آيب

فلا تركبوا بالوهم متن قضية ... على شبهة الإجمال من كل كاتب

وحظ القضا من شيمة الدهر محنة ... وقدح[77] وكدحٌ[78] في الهموم النواصب

فهذا يلوك لحمه بلهاته[79] ... وهذا يشق عرضه بالمثالب[80]

وهذا كبير يستحث بمن، وذا ... كبير أناس في بجاد[81] العقارب

أجل، وغريب الحق قل نصيره ... وطالبه في الناس جم الغرائب

وفيكُمُ بالظهر والعين والشَّوَى[82] ... من الدوس[83] والضغث[84] الكريه المواظب

ومستهدف جهم[85] من الليل عاتم ... تفر له شمس العلا للمغارب

على حالة يَرثِي لها كل مشفق ... فَيا لِي من طي العزاز المتاعب

رجوتكم عونا عليها فلم يكن ... سوى عكسه والعون يمن المطالب

ولا عون إلا بالإله وما يشأ ... يَكُونُ وعقبى الخير عقبى الأَطائب

عليك أبا العباس كل تحية ... تُوَرِّد منك القلب أصفى المشارب

---

(72) راش السهم : ألزق عليه الريش استعدادا للرمي.

(73) فلزت به : فلزمته ولصقت به.

(74) الكُلا : جمع كُلْيَة وكُلْوَة. والكُليتان : لحمتان منتبرتان حمراوان لازقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين في كُظْرَين من الشحم.

(75) الترائب : عظام الصدر، أو ما ولي الترقوتين منه، وما بين الثديين والترقوتين أو أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته، أو موضع القلادة («قاموس»).

(76) تصرامه : هجره ومقاطعته، يقال صرمه بمعنى قطعه وقطع كلامه.

(77) قدح : طعن وعيب.

(78) كدح : خدش، عمل شاق.

(79) اللَّهَاة : اللحمة المشرفة على الحلق. والمراد بلوك اللحم باللهاة : الغِيبة.

(80) المثالب : المعايب والمناقص.

(81) بِجَاد : كساء مخطط. قال آمرؤ القيس في معلقته :

كأن ثبيراً في عَرَانِينِ وَبْلِهِ ... كبيرُ أناس في بِجَادٍ مُزَمَّلِ

(«مجموع مهمات المتون»، ص. 788).

(82) الشَّوَى : أطراف الجسد، وقيل : جلد الرأس.

(83) الدوس : المراد به الهوس.

(84) الضغث : الحلم. يقال أضغاث أحلام، أي منامات.

(85) جهم : قبيح، كريه.

تمثل السملالي الناصري...

ولما تتابع الوباء على مدينة تارودانت من عام ستة بعد الألف إلى ست عشرة، وتفرق الناس منها، وخلت جوا معها وأسواقها، ومرافقها الدينية والدنيوية، خرجت لبلدنا فائجة تامانارت، وطال بها مكثي، وكنت أتمثل كثيرا بقول الحافظ ابن عبد البر : [الوافر]

تمثل التمنارتي بأبيات لابن عبد البر

أليس من القبيح مقام مثلي بدار الخسف منخسف الجمال
أخالط أهل سائمة ورعي وأرتع بين راعية الجمال
إذا استفهمت عن أدب وعلم شكوت قديم عهدي بالنضال[86]

وما مررت في هذه الجولة على قرية أقوت مراسمها، وجفت مذانبها[87] إلا تمثلت بقول الشاعر : [البسيط]

كانت هي الوسط المحمي فانبعثت لها الحوادث حتى أصبحت طرفا

ولما خلصت إليها، كتبت لأصحابنا الفقهاء بمدينة تارودانت، أعني من بقي منهم بها : [الطويل]

قصيدة بعث بها التمنارتي من مسقط رأسه إلى فقهاء تارودانت

أقول لمغرب البلاد وشرقها تخيرت سكنى الضب سكنى إكَامِ[88]
تخيرتها يكفيني طيب مقيلها ونشق خزاماها وبعر أرام[89]
ودعنيَ من أرض متى اهتز جيدها تعاجلها بالجزِّ[90]، سيف حمام
فلله كم من فتية قد مضوا بها صحبتهم والدهر ذاتِ وئام
أحادثك[91] عنهم فاستمع من حديثهم فسيف لساني فيه غير كهَام[92]
فمن بين مصروع حوته لحوده توارثنا عنه الحزن طول أيام
ومن بين أوحد ثوى بمكانه يصب عليه الوحش[93] كلُّ غمام

---

(86) البيتان الأولان وردا في «نزهة الحادي»، ص. 27، منسوبين لبعض فقهاء الأندلس. والشطر الثاني من البيت الثالث يشير إلى قول الشاعر :

ولكنَّ عهدي بالنضال قديم

(87) المَذانب : جمع مِذْنب، وهو الجدول الذي يسيل من الروضة بمائها إلى غيرها.

(88) إكَام : جمع أكمة، وهي التل.

(89) آرام : جمع رِيم وهو الظبي الأبيض الخالص البياض.

(90) الجَز : القطع؛ وفي نسخة : بالحز. والمعنى واحد.

(91) سكن «أحدثك» للضرورة، وحقه الرفع.

(92) كهام : كليل، لا يقطع.

(93) الوحش : الوحشة، وهي الشعور بالغربة، وانعدام المؤنس.

ومن بين غاد في الفلا تستبينه ... يسابق في البيدا ظليمَ[94] نعام
سوى أنني بعهدها متمسك ... ومن حسن عهد الصب ذكر خيام
وتلك صروف الدهر تجري عظاتها ... بَلاءً ولكن أنفس في ظلام
فبالله يا ريح الجنوب تحملي ... إلى معشر بها لي ضِعف سلام
وبثي إليهم أنني لست حائلا ... وشوقي إليهم آخذ بزمامي
وواصل[95] لديهم ما لهم من رعاية ... لما لي بهم من حرمة وذمام
فإني لصرف الدهر كنت آدخرتهم ... تخيرتهم أبناء سام وحام[96]
ولولا رسوم اعولت ببكائها ... وألفيتها في وحشة وضيام[97]
تعلمت آيات لها فعرفتها ... وعهدي برسمهن عصرُ فِطام
كتبن على صفح الفؤاد بدمعها ... سطورا جمعن معنى كل غرام
مغيبا يحلي الصدر أفلاذ قلبه ... ويُنبت بالأفواد[98] شبه ثغام[99]

وقولي مغيبا معمول لفعل الجواب الذي دل عليه الشرط، تقديره : ولولا ما ذكر لغبت عنهم مغيبا صفته كذا.

قصيدة اخرى منه إليهم

ولما طال مقامي بباديتها، وألفت جمال رائحتها وغاديتها، كتبت إليهم :

ألا هل لأيام هجرن وِصال ... وهل لليال قد دَمَسْنَ[100] هلال؟
وهل لربوع قد أقْوَيْنَ[101] موانس ... وهل لصُوَاها[102] الطامسات خيال؟
وهل للحوادث التي كم تتابعت ... إليها خطاها إحجام وحيال؟

(94) الظليم : ذكر النعام.
(95) في بعض النسخ المعتمدة : وواصر.
(96) أبناء سام وحام : بيضا وسودا. وسام ونوح من أبناء نوح عليه السلام، وحام بن نوح هو أبو السودان («قاموس»).
(97) ضيام : يريد أنها شعرت بالضيم، الذي هو الظلم والإنتقاص.
(98) الأفواد : جمع فَوْد، وهو معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.
(99) ثغام : نبت يكون بالجبال غالبا، إذا يبس ابيض، يشبه به الشيب.
(100) دمسن : اشتد ظلامهن.
(101) أقوين : خلون من سكانهن.
(102) صُوَاها : الصُّوَى جمع صُوَّة : وهي حجر يكون علامة في الطريق.

وهل سرحات[103] قد تركت قواحلا[104] بصرصرهـــا[105] فاءت لهن ظلال؟

وهل لي من بعد النوى مُتَعَرَّس[106] إلى جنبكن والمِحـال[107] مُحـال؟

وهل العيون الفاترات وجوهها كساهن بعدي رونق وجمال؟

وهل للعوادي فترة فتلمنا على شَعَث والشمل فيه كمال؟

تُدال[108] علينا مرة بعد مرة كذاك نُدال[109]، والحروب سجال

كذاك آيات الدهر تتلى سطورها وأحرفهن مفتوح ومُمَال[110]

أعيذك باسم الله من كل حادث له الموت خِدْن[111] والفراق خِلالُ[112]

تحامل والإيناس أشرق وجهه وأيدي الأيادي بالإنعام طوال

فما كان إلا أن دجا[113] وهو موحش له بُرقع من البأسا وجِلال[114]

رماني من أرض خليلي أنيسها لأرض بها خِلْيَ الطَّلحُ والضَّال[115]

فما برحتْ بي النوى مستهيمة إلى أن دعتني يا هيمان جمال

إذا لم يكن للصب في مجهل الفلا دليل لحي سلمى أين مجال؟

أراني أو هيهات والذنب ربما أجال أو أجلى والأيام تحال

تقاضيت عن خُسر من العمر شطره كأني في متجر الربيح مُقال[116]

وجدت بأيام وإني لذخرها فقير وبذلُ المرءِ العمر ضلال

---

(103) سرحات : شجرات.

(104) قواحل : جمع قاحلة، أي يابسة.

(105) ريح صَرْصَر : شديدة الصوت أو البرد.

(106) المراد بالمُتَعَرَّس موضع نزول القوم للإستراحة. يقال أعرس القوم وعرَّسوا إذا نزلوا آخر الليل للإستراحة. والموضع الذي نزلوا فيه يسمى المُعْرَس والمُعَرَّس.

(107) المِحَال : الكيد، ورَوْم الأمر بالحِيَل.

(108) تُدَال علينا : تغلبنا وتنتقم منا.

(109) نُدَال : نغلب.

(110) مُمَال : من الإمالة التي هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء من غير قلب خالص («**الحجة في تجويد القرآن**» لمحمد الإبراهيمي، ص. 173).

(111) خدن : صاحب.

(112) خِلال : خصال، مفرده خَلَّة ـ بفتح الخاء ـ.

(113) دجا : أظلم.

(114) جِلَال : جمع جَلّ وجُلّ، وهو ما تلبسه الدابة لتُصان به («**قاموس**»).

(115) الضال : السدر البري، وشجر آخر.

(116) مُقال : من الإقالة في البيع، وهو فسخه ليرد المبيع للبائع، والثمن للمشتري.

وألبسني البَدو[117] ثوب جفائه   فصرت كأني إذ لمست أخال
كما قد طوى بأزمه[118] ومشاقه   رداء شبابي واستحال لي حال
وآلف جسمي من بطالته التي   إذا قعدت بالمرء فهو نذال[119]
كأنّيَ لم أجلس من العلم مجلسا   يلذ لسمعي فيه قيل وقال
ولم أسهر الليل الطويل تناغني[120]   خرائده[121] شقت بهن كِلال[122]
وأني بطرق الرشد أهدى من القَطا[123]   إذا ضلّهن في المُهود رجال
ولم يجتذبني نحوها روح بكرة   ولما يُذذّني ملهما وكسال
ولم أورد النهل العذيب صدورها   صدورا لهن بالمعشي علال
ولم أنشد الشريد منهن معشرا   لهم في طلاب الشاردات رحال
ولم ترتضع لديَ البراعات لوحَتي   وحجري لها جَدّ ويُمنايَ خال
قد أنجبها مني الثلاثة فانثنت   عن السبط منه عصمة وثمال[124]
فكفوا الملام عن بُكاي فراقه   ويرثي لي منكم منصف يا عُذال[125]
فإن ختم الله النوى بوصاله   فنعم النوى، ونعم نعم وصال

موت المنصور واضطراب الأحوال وتمثل التمنارتي بأبيات لأبي نواس

وفي هذه الجولة وصلني وفاة المنصور رحمه الله سنة ثنتي عشرة وألف، فاختل بموته الأقوال، وعمت الأهوال، وسدت المسالك، ومنعت السابلة، وتتابعت الفتن

---

(117) البُدُوّ : الخروج إلى البادية والإقامة بها.

(118) بأزمه : باشتداد قحطه.

(119) نذال : المراد بالنذال النذل الخسيس. ولم أجد صيغة «نذال» في المعاجم التي رجعت إليها.

(120) تناغني : تناغيني، حذف الياء ليستقيم الوزن.

(121) الخرائد : جمع خريدة، وهي البكر التي لم تمسس، أو الحيية المتسترة.

(122) كِلَال : جمع كِلة، وهي الستر الرقيق، وغشاء رقيق يتوق به من البعوض.

(123) أخذ هذا الشطر من قول الطِرِمّاح بن حكيم :

تميم بطُرْق اللؤم أهدى من القطا   ولو سلكت سُبْلَ المكارم ضلّت

(«الشعر والشعراء»، ص. 292 ؛ و«التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه» للبكري، ص. 123).

(124) الثِّمَال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه. والشاعر ينظر إلى قول أبي طالب يصف النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثِمَال اليتامى عصمة للأرامل

(انظر : «صحيح البخاري»، «باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا»، ج 1، ص. 127 ؛ و«فتح الباري»، ج 2، ص. 496).

(125) يا عُذال : يا عُذّال، إنما خفف الذال للضرورة.

السادلة، وأنا أرفل بين ظفرها ونابها، في حلل حفظ الله وأمانه، مستجنا[126] بقراءة كتاب الله والصلاة على رسول الله ﷺ من إعنات زمانه وأقول[127] : [الطويل]

علقت بحبل من حبال محمد أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسمِيَ؟ ما درت وأين مكاني ؟ ما عرفن مكاني

تعيدة للتمنارتي في التوسل

وفي أثناء هذه الفتن المسترسلة، والمخاوف الداهمة المستوبلة[128]، وبلاد أقطارها راجفة، وأمم قلوبها واجفة، توسلت بهذه الوسيلة التي تجل عن التالدة والطارفة[129] :

سألتك ربي بالهداة أولي البر

ثمانية في الدهر كالأنجم الزهر

أويسهم[130] ثم الربيع[131] وعامر[132]

وهارم[133] مسروق[134] أبي الحسن البصري[135]

أبي مسلم[136] والأسود بن يزيدهم[137]

وسيلتنا في كل ضيق من الأمر

وبالفقهاء السبعة[138] المهتدى بهم

نجوم سماء الفقه من هالة البدر

---

(126) مستجنا : متسترا، من المِجَن الذي يتقي به المحارب ضربات عدوه.

(127) هذه الأبيات لأبي نواس الحسن بن هانئ. قالها في محمد بن الفضل بن الربيع (انظر : «الشعر والشعراء»، ص. 427 ؛ و«أزهار الرياض»، ج 1، ص. 287).

(128) المستوبلة : يقال استوبلت الأرض إذا لم توافقني، ومراد الشاعر بالمستوبلة الوبيلة، أي الشديدة.

(129) التالد : المال القديم الموروث، والطارف : المال الجديد المكتسب.

(130) المراد : أويس بن عامر القرني اليمني التابعي الناسك المتوفى سنة 37هـ. (انظر ترجمته في «طبقات ابن سعد»، ج 6، ص. 111 ؛ و«حلية الأولياء» لأبي نعيم، ج 2، ص. 79).

(131) الربيع بن خيثم أبو يزيد (انظر : «حلية الأولياء»، ج 2، ص. 105).

(132) عامر بن عبد الله بن عبد قيس العنبري المصري (المصدر نفسه، ج 2، ص. 87).

(133) هرم بن حيان العبدي (المصدر نفسه، ج 2، ص. 119).

(134) مسروق بن عبد الرحمان أبو عائشة الهمداني الكوفي (المصدر نفسه، ج 2، ص. 95).

(135) انظر: ص. 76، هامش 35.

(136) عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني («حلية الأولياء»، ج 2، ص. 122).

(137) الأسود بن يزيد أبو عمر النخعي (المصدر نفسه، ج 2، ص. 102).

(138) الفقهاء السبعة : هم فقهاء تابعيُّون، اشتهروا في المدينة المنورة بالفقه أكثر من غيرهم.

أبي بكر المخزومي[139] عروة[140] قاسم[141]

سعيد[142] عبيد الله[143] خارجة[144] الحزر

سليمان[145] مولى بنت الحارث معشر	لهم في علوم الدين ألوية الفخر
بأهل الصحاح الستة[146] المقتدى بهم	بعلم الحديث الحائزي شرف القدر
إمام أئمة المذاهب مالك[147]	موطؤه في الناس معتبق النشر
محمد البخاري[148] مسلمهم[149] غدا	صحيحا هما الذخرين في كل ما قطر

---

(139) أبو بكر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام المخزومي، ولد في خلافة عمر (ض)، وتوفي بالمدينة سنة 94هـ، وكان يقال له : «راهب قريش» لكثرة صلاته (**المصدر نفسه**، ج 2، ص. 187 ؛ و«**تهذيب الأسماء واللغات**»، ق 1، ج 2، صص. 194-195).

(140) عروة بن الزبير بن العوام المتوفى سنة 94هـ («**الحلية**»، ج 2، ص. 176 ؛ و«**تهذيب الأسماء واللغات**»، ق 1، ج 1، ص. 331).

(141) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ض) («**الحلية**»، ج 2، ص. 183 ؛ و«**تهذيب الأسماء واللغات**»، ق 1، ج 2، ص. 55).

(142) سعيد بن المسيب أبو محمد المخزومي المتوفى سنة 93هـ - وقيل 94هـ («**الحلية**»، ج 2، ص. 161 ؛ و«**تهذيب الأسماء واللغات**»، ق 1، ج 1، صص. 219-221).

(143) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله الهذلي المتوفى سنة 99هـ - على قول - («**الحلية**»، ج 2، ص. 188 ؛ و«**تهذيب الأسماء واللغات**»، ق 1، ج 1، ص. 312).

(144) خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري المتوفى سنة 100هـ («**الحلية**»، ج 2، ص. 189؛ و«**تهذيب الأسماء واللغات**»، ق 1، ج 1، ص. 172).

(145) سليمان بن يسار أبو أيوب الهلالي مولى أم المومنين ميمونة بنت الحارث الهلالية (ض)، المتوفى سنة 109هـ - وقيل سنة 103هـ («**الحلية**»، ج 2، ص. 190؛ و«**تهذيب الأسماء واللغات**»، ق 1، ج 1، صص. 224-235). وقد جمع بعضهم هؤلاء الفقهاء السبعة فقال :

ألا كل من لا يقتدي بأئمة	**فقسمته ضيزى عن الحق خارجة**
فخذهم : عبيد الله عروة قاسم	**سعيد أبو بكر سليمان خارجة**

(«**تهذيب الأسماء واللغات**»، ق 1، ج 1، ص. 172).

(146) **يطلق على كتب الحديث الستة التي تلقتها الأمة بالقبول، اسم الصحاح، وذلك من باب التغليب، وإلا فليست كلها صحيحة. ووقع الإتفاق على الكتب الخمسة. أما الكتاب السادس، فقد اختلف فيه (انظر : ص. 249، هامش 293).**

(147) **اعتبر التمنارتي كتاب «الموطأ» للإمام مالك سادس الكتب الستة، تبعا لبعض العلماء كرزين بن معاوية، وابن الأثير الجزري (انظر : ص. 249، هامش 293). وانظر بخصوص الإمام مالك و«موطئه»، ص. 235، هامش 224.**

(148) **انظر بخصوص البخاري : ص. 236، هامش 225.**

(149) **انظر ترجمة مسلم في ص. 240 هامش 245.**

وبابـــن شعـــيب الـــنسائي[150] أحمدا أبي داود[151] الحبر ابن الأشعث والبحر
وبالترمذي[152] الرضى ابن سورة كلهم وسيلتـــي في نيـــل المبرة والـــيسر
وبالسبعـــة القـــــراء من قد توسطت بدورهـــم للسالـــكين سما الذكـــــر
بنافعهم[153] وبالمكي ابن كثير هم[154] كسائيهم[155] وحمزة[156] الزهد والصبر
أبي عمرهـم[157] واليحصبي ابـن عامـر[158]
وعاصمهـــم[159] كل وسيلتـــي في الـــنصر
بكـــــم سادتي قرعت باب مطالبــــــي
وأدفـــع في نحر الخطـــوب التـــي تجري

وصف التـــمنارتي بتـــارودانت بعـــد عودته إليها، وأبيات له في ذلك

ولما تخلصت من حبالة البادية، وتنصلت[160] من كوارثها الشاجية، دخلت الحاضرة، فرأيت مجالس الكبار وملاعب الصغار خاوية، كساها الإيحاش القترة[161] الرابية[162]، ورأيت ملعب‌صبية حومتنا بقبلة الجامع الكبير بها فاقد أنسِه، وملحق

---

(150) انظر ترجمة النسائي في ص.247 هامش 286.

(151) انظر ترجمة أبي داود في ص.244 هامش 268.

(152) انظر ترجمة الترمذي في ص.245 هامش 275.

(153) انظر ترجمة نافع في ص.144، هامش 472.

(154) انظر ترجمة ابن كثير في ص.144 هامش 472.

(155) الكسائي هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي مولاهم المتوفى سنة 189هـ (انظر ترجمته في «غاية النهاية في طبقات القراء»، ج 1، صص. 535–540، رقم الترجمة 2212).

(156) هو حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي التيمي مولاهم – وقيل من صميمهم – الزيات. ولد سنة 80هـ، وتوفي سنة 156 – على قول – (انظر ترجمته في «غاية النهاية»، ج 1، صص. 261–263، رقم الترجمة 1190).

(157) أبو عمرو بن العلاء، واسمه زبان بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري، ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة سنة 154هـ – على قول – (انظر ترجمته في «غاية النهاية»، ج 1، صص. 288–292، رقم الترجمة 1283).

(158) ابن عامر هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة. ولد سنة 8هـ، وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة 118هـ (انظر : «غاية النهاية»، ج 1، صص. 423–425، رقم الترجمة 1790).

(159) عاصم بن بهدلة أبي النُّجود، أبو بكر الأسدي – مولاهم – الكوفي المتوفى سنة 127هـ – وقيل غير ذلك (انظر ترجمته في «غاية النهاية»، ج 1، صص. 346–349، رقم الترجمة 1496).

(160) في نسخة : ونصلت، ومعناهما واحد، وهو خرجت.

(161) القترة : الغبرة.

(162) الرابية : الشديدة، الزائدة.

عبرة يومه بعبرة أمسه، وكان أكثر ما وقع الوباء في الشباب، وقلما يمد المخلب إلى ثغرة[163] من شاب فخنقتني الدموع، أمثال الهطل الهموع[164]، فأنشأت أقول :

[الطويل]

أراهـا صيران الحي ترعى فريـدة فأين ظباء الحي أين جـآذره

فقالت رسوم الـدار: بعدك حادث تقض على الأحداث صُمّا عساكره

فجـال عليهم جولـة يستحثهـا ودارت بفتيان الشباب دوائره

فمـا تركت من غادة غضٍ[165] غصنها

ولا شادنـا[166] تبـدي السرور غدائره[167]

وجددنا من بعدهم لوعـة الأسى ملاعب عين[168] جردتها مقابره

كأن لم يكن لليوم من قبـل زينـة ولا برزت بالزاهيـات عشائره

ولا كان فيـه للولائـد دولـة ولا ضرب دف تجتليـه مزاهره

فيا ويح عرصات الديار تعجمت[169] ويا ويح ساح الدرب ساحت عمائره

لقـد جل خطب واستطال بكربه ولله تجري في البرايـا مقـادره

والصِّيَران : ذكور بقر الوحش ثم استعير للرجال كما استعير الظباء والجآذر للصبيان.

قصيدة توسلية للتمنارتي عند نزول الوباء

وكنت توسلت عند نزول هذا العارض، بهذه الوسيلة: [الطويل]

.صلي على قطب الوجـود بأسره صلاتك ربنا تعظيمـا لقـدره

أصلي على قطب الوجـود محمـد صلاة رضاه وامتثـالا لأمـره

أصلي صلاة القـرب صفـوة قدسه عليـه عبـاد مُكرَمـون ببره

أصلي صلاة المومـنين بأسرهـم عليـه صلاة عرفهـا مثـل نشره

أصلي صلاة تملأ العـرش والفـرشا عليـه صلاة خطرهـا فوق خطـره

---

(163) ثغرة : نقرة النحر بين الترقوتين.

(164) الهموع : السائل بكثرة.

(165) غض : أي كان غضا ناضرا ناعما.

(166) الشادن : ولد الظبي إذا قوي واستغنى عن أمه، والمراد به هنا الصبي.عُطف على محل «غادة».

(167) غدائره : ذوائبه.

(168) في نسخة : ملاعب عيد؛ والعين : جمع عيناء، وهي المرأة التي عظم سواد عينها في سعة.

(169) تعجمت : أي أصبحت خرساء لا تفصح بسبب موت الأطفال الذين يملؤونها صخبا وضجيجا.

أصلي عليـــه مِلْءَ ما قد علمتـــه ... ومـلء السمـاوات الـعُلى مع بره

إلٰهـي قرعنـا باب عفـوك ذلـة ... بهذا النبـي مصطفـاك وقـدره

بذمتـه وَوَجهـه وجمالـه ... وحرمتـه وخُلقِـه، وبره

بحق علاه مع سنـاه ومجده ... وبحق مسراه العـظيم لسره

بما قد رَآهُ من سنـا جبروتـه ... ومـن ملكـوت الله في غيب أمـره

بحبك فيـه واعتنـاك بشأنـه ... وقـدرك يا ربَّ العُـلَا حق قدره

تقينـا البلايـا والمكـاره كلهـا ... وتكفينـا حادث الوبـاء وشره

وترفـع عنـا ما قد أرسلت فتنـة ... من الطعـن والطاعـون دفعـا لضره

ومُـنَّ علينـا بالمعافـاة جملـة ... ومـا كان من ذنب فمُـنَّ بغفـره

فإنـا إلـيك بالشفيـع محمـد ... تشفعنا في رفـع البـلاء وإصره[170]

فقـد جل خطبٌ واستطـال بكربـه ... وشاهـد كل مذنب عقبـى وزره

وجئنـاك يا رب البريـة بالـذي ... منـحت الجلال والجمـال بأسره

محمـد المُهـدى إلى الخلـق رحمة ... وأمنُهـم من كل رَوْع بذكـره

فصل عليـه يا إلهنـا دائمـا ... وعِترتـه[171] وصحبـه أهـل بره

إصابة التمنارتي بالعمى

وفي محرم من سنة أربع عشرة وألف نزلت بي مصيبة العمى فأرخت مني عزائم الطلب، ونغصت شبابا منعما وأسف الأحباب، وكسف رجاء الأصحاب، وتلقيت سورة هذا الحادث بالصبر، ورجعت فيه إلى ملام النفس بالتقسيم والسبر[172]، موقنا أنه مما كسبت يدي، مسلما في القضاء لمالك أمسي ويومي وغدي، ورجعت إلى الله في إصلاح شأني، وغسلت بالتوبة إليه درن شيني، فلزمت بالقرْع بابه، واعتمدت في استسراع الفرج جنابه، وألححت عليه في وسيلة الهم إليها، وكشف حديث هذه

---

(170) إصْره : ثقله.

(171) عِتْرَته : آله، رهطه، عشيرته الأدنيْن.

(172) التقسيم والسبر : مصطلحان أصوليان يدرسان في مبحث مسالك العلة في القياس. ومعنى التقسيم: «حصر الأوصاف المناسبة التي تصلح علة لحكم الأصل في نظر المجتهد»، ومعنى السَّبْر: «بحث كل وصف منها واختباره ليصل المجتهد إلى إبطال بعضها ـ ولو بدليل ظني ـ ليبقى له منها وصف لا يحتمل الإبطال، فيكون هو العلة». (انظر : «شرح المحلي على متن جمع الجوامع لابن السبكي بحاشية البناني»، ج 2، ص. 270؛ و«إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» للشوكاني، صص. 213–214؛ و«أصول التشريع الإسلامي» لعلي حسب الله، ص. 149).

الغاشية[173] لديها، وعندما أتممتها رأيتني أقرأ في نومي : ﴿ولقد نَادَانَا نوح، فلنعم المجيبون﴾[174]، فكان ذلك من عجيب الإجابة، لصدق الإنابة. فعافاني الله عقبها والحمد لله، وهي : [الطويل]

سألـتك يا ألـلـه يا من له الأمـر ... فأنت الـذي ندعو متى مسنا الضر
وأنت رحيم الخلـق مالك أمرهـم ... تجيب بكشف السوء من هو مضطر
بعينـيك ربي محنـة وبليـة ... ينـادي دجاهـا[175] مِنِّيَ السر والجهر
أيـا ليلـة بلواهـا ضاق لها الصدر ... وطـأطأ منها الظهـر وانهزم الصبر
أريني جبين الصبح والنفحـة التـي ... من الـروح والريحان ينشرها الفجـر
وغِثْ يا إلٰهي خاطرا أمسى حائـرا ... تشابه منه في المدى الفِتْر[176] والشبر
فأنت دلـيلي يا دليـل التـي غدت ... كَفرخِيَ خانها الجناحان والوكـر[177]
وأنت مجيري من جوار مصيبـة ... تلاشى لديها الحِسُّ مِنِّـي والفكـر
شَفَت[178] بي ذنوبي يا إلٰهي على الردى ... ومنك بُعَيْد الـكسر يُلتـمس الجبر
سعت بي خُطاي للخطايـا فقيـدت ... خُطاي الخطايا فهـي في سعيها أسْرُ
فحل وثاق العبد يا سيـد العبـد ... حنانـا، فإن العبـد أوثقـه الـوزر
وفك خنـاق الجبـل عن ودج غدا ... تضيق من تضياقه السَّحر[179] والنحر
ودارك بحلـم يا حليم عقوبتـي ... وفي حلـمك المرضاة لا النظـر الشزرُ
وجدلي بألطاف المعافاة ينهمـي[180] ... بها غدوة در[181] وفي روحـة در
وكـن بي لطيفـا يا لطيـف فإنـه ... بألطـافك الأسواء تكشف والضر
وإن جمحت[182] فلكي بعاصفة الهوى ... فمـن بريح يستـقيم بها الـسعر

(173) الغاشية : من أسماء القيامة. قال تعالى : ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ (سورة الغاشية، الآية 1)، والمراد بالغاشية هنا ما غَشِيَ المنارقي وأصابه من العمى.

(174) سورة الصافات، الآية 75.

(175) دجاها : ظلماتها، والمراد عماها.

(176) الفِتْر : مسافة ما بين الإبهام وطرف السبابة.

(177) لا يخفى ما في هذا البيت من ضعف.

(178) مراده بشَفَتْ : أشفت، أي أشرفت.

(179) السَّحْر : الرئة.

(180) ينهمي : يسيل وينصب.

(181) دَرٌّ : حليب.

(182) جمحت : جرت بسرعة في غير الإتجاه المطلوب، ولم أتحكم فيها. وفي نسخة : جنحت، أي مالت عن طريقها.

وبالتوب[183] جدلي من ذنوبي فعندما   أتى التوب منك بحرها أعذب البحر

فقد أورثتني غمرة أي غمرة   تفطر منها القلب واحْدَوْدَبَ الظهر

وليس لها يا خالقي غير عاجل   من العفو من رحماك يا راحمٌ بَر

وها أنا بالباب المعظم قدره   أناديك علّ الفتح يزعجه القدر

أناخت آمالي عند بابك رحلها   إليك من أقصى الذنب جد بها السير

ورحت من أطراف الشبيبة زاجرا   جوارحها الجزأى[184] وحق لها الزجر

ونحت بكاءً من ذنوب جنيتها   حرى شؤمها لله في رفعها الجأر[185]

وما ذرفت عيناي حزنا عن القِلى   ولكنها عن ذنبها دمعها الغزر[186]

فيا خير غفار ويا خير راحم   ويا خير فتاح إذا نزل الضير[187]

أقل عثرتي واكشف بَلايَ وغمتي   فليس لها زيد سواك ولا عمرو

فأنت رجائي واعتمادي وعدتي   ومن يرج منك الروح جاد به القطر

ولي فيك حسن الظن أورد لهجتي   مناهل صدق يجري منك لها نهر

سؤالي لكم فخر، وذلي عزة   تبارك من ببابه العز والفخر

وثقت بكم في الحادثات وصرف ما   تحامل منها فاكفني كل ما يعرو

فمن ذا الذي يا مؤئليَ وَعدتي   سواك يكف الدهر إن رامني الدهر

ومن ذا الذي أيدي البلايا بصرفه   سواك إذا همت بي محتزة[188] بُتُرُ

دعوتك ربي للذي أنت أهله   وقد جاء بالإحسان منك لنا أمر

وأنت به أولى من العبد سيدي   فللعبد من علياك من نقصه العذر

وهذا شفيع المذنبين وغوثهم   ومن في صفوف رُسْلِك العلَم الصدر

أخذت ببرده الكريم شفاعة   إليك فإن الشمس من فضلها البدر

نبي له فوق السماوات رتبة   تقاصر عنها الروح والمَلَك البر[189]

---

(183) التوب : التوبة.

(184) الجزأى : المراد الجريئة.

(185) الجأر : التضرع والإستغاثة، ورفع الصوت بالدعاء.

(186) الغزر : الغزير أي الكثير، من باب الوصف بالمصدر. يقال غَزُرَ الشيء غَزارة وغزرا وغُزْرا بمعنى كثر.

(187) الضير : الضر. وفي النسخ المعتمدة : «إذا نزل الصبر»، ولا يستقيم معه المعنى ولذلك وضعنا «الضير» مكان «الصبر». ويصح : «إذا خذل الصبر». فكما يمكن تصحيف الضير وكتابته «الصبر»، فكذلك يمكن تصحيف «خذل» وكتابته «نزل».

(188) مُحْتَزَّة : مقطوعة. وكذلك بُتُر، فهي أيضا تعني مقطوعة، ومفردها بتّراء.

(189) أشار في هذا البيت إلى معجزة المعراج، وسيأتي ذكر جملة من معجزاته ﷺ في ص. 368 فما بعد.

ومن بالرسول المصطفى قد تأيدت | وسائله في كفه الفوز والظَّفَر
وقد صار جمر النار بردا بجاهه | وردت به عين قد طال بها الغور
وألقت سبوح اليم عنه مسبحا | وأذهب حزن الشام ما بعثت مصر
وإن يقيني أن ترد حبيبة[190] | على كبدي من فقدها للأسى جمر
شفاعتُه لأنني بكماله | ومجد علاه أستغيث وأعتر[191]
ملاذي وذخري واعتمادي وعدتي | لدنيا وأخرى وانكساري له جبر
وإذ بلغت روعاتي مَديَن[192] أحمد | نجوت بحمد الله وانقشع الضير
وآنست نور البدر جانب طوره | فجلى ظلام كربتي ذلك البدر
فصلى عليه الله ماسَحَّ[193] وابل | من العفو فوق الجاني وانكشف الذعر
وأختصُّ أهل البيت والعترة التي | على الناس من رياها ينتفث[194] العطر
بذاكي الصلاة والسلام وصحبه | أولي الجد حتى جاءه الفتح والنصر
وتاليهُمْ وتالي مَن قد تلاهم | ومن ضمهم في الشرق والمغرب القبر
ومن جاء من بعد العصور التي خلت | على العهد لم يصرم له[195] حبله الدهر
من أهل الهدى والعلم والصدق والوفا | وبالكُل شيعت الدعا وسما الذكر

قصيدة له في مدح الرسول ﷺ

ولما تبدت لي بهذه الوسيلة بشائر الفرج، ونفحت علي بسببها نفحات الأرج، أضفت إليها هذه القصيدة في مدح رسول الله ﷺ في مولده من ربيع النبوي من العام المذكور وهي :

[المتقارب]

أطيبوا الثنا معشر المسلمين | وصلوا على سيد المرسلين

غداة غدا الركب نحو الحمى
وودَّع دارا وجارا حمى
ومن لوعة البين دمع همى[196]

(190) في نسخة : حبيبتي، والمراد بالحبيبة العين.

(191) أعترُّ : أتعرض للمعروف من غير أن أسأل، أي أسأل بلسان حالي. قال تعالى : ﴿وأطعموا القانع والمُعْتَرّ﴾ (سورة الحج، الآية 34).

(192) وظف التُّمارتي هنا قصة موسى عليه السلام ابتداء من قوله تعالى : ﴿ولمَّا توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا﴾ (سورة القصص، الآيات 21-22).

(193) سحَّ : هطل وانصب متتابعا.

(194) ينتفث : يفوح وينتشر.

(195) في بعض النسخ : لها.

(196) همى : سال.

تبدّى من القلب شيء كمَى[197] وأصبح وجدي فوق الجبين

أيا غائبين علي عدت
حُداتكم اليوم لما حدت[198]
ونار الصبابة قد أوقدت

وللحب آي[199] علي بدت ولم يغن فيها الدموع الأنين

أمن بُعدهم هِجتُ دمعا جرى
وجسمَك طولُ الجوَى[200] قد برى
فلونك من بعدهم أصفرا

تذكرت أربُع[201] نجد سَرى نسيم صباها بفرط الحنين

ويا لائمي كف عن لومتي
ودعني لحالي فما صرمتي
وطيف الحبيب دعا عزمتي

وأيقظ جفنيَ من نومتي[202] ألذ كَرَاهَا برفق ولين

روى عن زرود[203] صحيح النبا
وحدث عن منحنى[204] وقُبا[205]
وأذكى عن الحي عَرف[206] الكِبا[207]

---

(197) كَمَى : كتم وستر.

(198) حدت : حثت الإبل على السير بالحُدَاء، الذي هو الغناء لها، واسم الفاعل حادٍ، وجمعه حُدَاة. قال الشاعر :

فغنّها وهيَ لك الفِداءُ إنَّ غناء الإبل الحُداء

(199) آي : آيات، أي علامات.

(200) الجَوَى : الحرقة وشدة الوجد.

(201) أرْبُع : منازل، ودُور، مفرده رَبْع.

(202) في النسخ المعتمدة : لومة، صرمة، عزمة، نومة.

(203) زَرُود : جبل رمل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع («معجم ما استعجم»، ج 2، ص. 696؛ ج 3، ص. 914).

(204) المُنْحَنَى : أرض لغطفان (المصدر نفسه، ج 3، ص. 981).

(205) قُباء : موضع قرب المدينة، بينه وبينها ثلاثة أميال («الفتوحات الأحمدية، بالمنح المحمدية، على متن الهمزية» لسليمان الجمل، ص. 105).

(206) العَرْف : الريح الطيبة.

(207) الكِبَاء : عود البخور، أو ضرب منه.

وبات يناجي بتلك الربى وتلك المعالم والساكنين

ذكرت به بدوها والقرى
ونبع[208] العقيق[209] وطلح الكرا[209م]
فلله طيف لها أذكرا

فجهز من ذكرها عسكرا من الشوق نحو النبي الأمين

رسول الإله مطاع مكين
رؤوف رحيم بأهل اليمين
مؤملنا معشر المذنبين

إمام النبيئين والمرسلين ومن هو للكون تاج الجبين

نبي له الفخر مجداً سَمَا
وجود يديه كبحر طمى[210]
ومعنى الكمال إليه انتمى

ومن هو في الأرض بل والسما وما بين هاتين نور مبين

تعطرنا من طيب محتده
وفزنا بأعذب مورده
ولذنا بمن عند مشهده

ومن قد بدا يوم مولده بشائر مَلْيَنَ كل حزين

ومن أظهر الله آيته
وأيد بالنصر غايته
متى لَبسَ الحربُ لأمَتَه

ومن جزَّ[211] للكفر هامته وتوج دينه عِزٌ مكين

أجار من الشرك ظبي الكنيس[212]

---

(208) نبع : شجر للقسي وللسهام ينبت في قُلّة الجبل.

(209) العقيق : موضع بالمدينة.

(209م) الكرَاء : موضع يضاف إليه عقبة شاقة بطريق الطائف (القاموس، مادة «كَرَا»).

(210) طَمَى : امتلأ.

(211) جزُّ : قطع.

(212) الكَنيس : مراده الكُنَاس، وهو المكان الذي يستتر فيه الظبي.

وأنقـــذ من ضره القَنَعــيس[213]

فلله من طاب منـه الجليس

ومـن قد جرى يوم ظمـإ الخميس من أيمنـه الخمس ماء معين[214]

ونطـق الجمـاد وذي عجمـة[215]

لمن قد دعـا الله في أزمـة

وضم الحنين إلى رحمة

ومن قد أتى الغـار في عصمـة[216] وأعـداؤه ثم جُرْد وعين[217]

إذا وطـئت قدمـاه الصفـا[218]

من اليمن والعــز لأنَ الصفـا

وفي اللّيـن[219] يقسو حذار الجفـا

ولله في أحمد المصطفـى آيات على الصدق عين اليـقين

بهن ـ كشمس الهدى ـ يُهتـدى

وسبـل الـرشاد بها تُختَـدى

ويُرمَـى بها مستـطير العِـدا

تمسك بها فهـي حبـل الهدى وحبْـل النجـاة وحصن حصين

سلكنـا الـرشاد بمذهبـه

ونلنـا المفـاز بمركبـه

فبـادر أخـي إلى جنبـه

---

(213) القَنَعَيس : مراده : القِنْعَاس، وهو العظيم من الإبل، وجمعه قناعيس.

(214) الخميس : الجيش. يشير إلى معجزة نبع الماء، من أصابعه ﷺ. (انظر ما ورد في ذلك في «الشفاء»، ج 1، صص. 285–286). والمراد بأيمنه الخمس : أصابعه الخمس.

(215) يشير إلى ما ورد من نطق الحجر والجذع والشجرة والحيوانات كالذئب والضب والظبي والجمل، وشهادتها برسالة النبي ﷺ (انظر هذه المعجزات في «الشفا»، ج 1، صص. 298–314).

(216) يشير إلى اختفائه ﷺ ـ مع أبي بكر الصديق (ض) ـ في غار ثور، وحفظ الله له من كفار قريش الذين بحثوا عنه في كل مكان (انظر : «سيرة ابن هشام»، ج 2، صص. 98–99).

(217) في نسخة : حُرْد ـ بالحاء ـ ومعناه لئام، ومفرده أحرد. وأما الجُرْد، فمعناه السبّاقون، ومفرده أجرد.

(218) الصّفا : جمع صَفَاة، وهي الحجر الصلد الضخم.

(219) في نسخة : وفي الليل.

ولازم حماه على حبـــــــــه وحب الصحابـة أسد العريـــن[220]

وزن حلـــة لك من فخــره
بحلــي الثنـــاء على قدره
وعطـــف علـيك شذا ذكـــره

تنـــل من رضاه ومصـــن برّه مكانـة أهـل الوفـــا السابـــقين

وتمضي إليـــــــه على نجدة
وتحظـــى لديـــه لدى وفـــدة
وتسلـــــم في الحشر من شدة

فيـــا خيرة الـــرسل يا عدتي ويـــا من إليــه رجـــا المعتـــبين[221]

ويـــا من له السعـــيُ من فرَق[222]
وشكـــوى الأحبـــة من حُرَق
وحنَّـــــة صب لدى أرَق

أتيـــتُك والقـــلبُ في قلـــق وجسمـــي بقيـــد أثامـــي رهين

وذنبـــي على السعين أحـــلك من
ليـــال بها نجم عزمـــي كمـــن
ودمعـــي على البعـــد شاني ضمـــن

لتشفـــع لي للإلـــه فمـــن شفـــعت له أضحـــى في الآمنين

تعطّـــف على من لـــى رجلَـــه
زمانـــةُ ذنب شكـــا ثقلـــه
وأوثـــق عن قربكـــم رَحلَـــهُ

وحُـــلَّ وَثـــاقَ عُبيْـــدٍ له إلـــيك الفـــرارُ وطـــولُ الأنين

فمـــنك رجت جبرهـــن القلـــوب
وطـــالت لجاهك أيـــدي الذنـــوب
ونـــادتك يا خير بيت رحـــوب

(220) العَرِين : مأوى الأسد.

(221) المُعْتَبِين : المرضي عنهم. يقال أعتبه، أي أعطاه العُتْبى وهي الرضا.

(222) فرق : خوف.

فمن للذنوب ومن للكروب سواك فخذ بيدي يا متين

ولا تنسني يوم لا ملجأ
سواك يؤمل أو منبأ
وأنت لمن قد دنا أونأى

فصلى عليك الإله وآل بيتك والصحب والتابعين

صلاة تردد دون مدى
صلاة تواكف[223] كل ندى
صلاة تزيد على كل ذا

صلاة يروح ويغدو شذا رياحينها كل وقت وحين

قصيدة أخرى له في المديح النبوي والتوسل

ومما أمليته في مدحه ﷺ والوسيلة به في أمور شتى عرضت فحسن الله في جميعها العاقبة[224] : [الرمل]

يا جمال الكون يامن هُ[225] أحد في المحاسن أنت السؤل وأنت العتد[226]
أنت عين الجُود[227] وبحر الوفا وسراج الأفق وشمس الرشد
ولنورك في جبهة آدم قد أسرع الأملاك فكل قد سجد
ودعا باسمك آدم توبته فأجاب الله دعوته ورشد[228]

(223) تواكف : تواجه وتعارض.

(224) غالب أبيات هذه القصيدة، انكسر وزنها.

(225) من هُ أحد : من هو أحد. وهذا البيت مأخوذ من قول علي بن وافا :

رب الجمال ومرسل الجدوى ومَن هُوَ في المحاسن كلها فرد أحد

في قصيدته التي مطلعها :

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

(انظر هذه القصيدة في صص. 577-578).

(226) العتَد : مراده العتاد الذي هو العُدّة.

(227) في نسخة : الوجود.

(228) يشير إلى ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» مرفوعا : لما اقترف آدم الخطيئة، قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله : «يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال : يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله : صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك». وهو حديث موضوع كما بين ذلك الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، المجلد الأول، الجزء الأول، ص. 38 فما بعد، رقم الحديث 25.

وسفينة نوح جمحت[229] فرقا ... باسمك مُجْرَاها ومُرساها[230] فاقتصد
وبكونك في صلب خليل الله غدت ... نار نمرود سلاما وبرد[231]
الصدور جميعا سألوا ... بك حاجات فكل قد سعد
بك ذو الذنب وذو خطيا ... مثلي يرجو العفو وتقويم الأود
وبك الأمن وفيك الرجا ... وبك الغوث ومنك المدد

يا رسول الله هب لي نظرة
تصلح القلب جميعا والجسد

يا حبيب الله أسقني[232] شرْبَة ... تغسل الغيرَ عن قلبي والجسد
وتدارك بالقرب الأقصى فتى ... كهلال الشك عليك اعتمد
شفه السقم وبالبعد انطوى ... عن جوارك نعم الجار ونعم البلد
أنت قصدي ورجائي ومنى ... كل قلب كل عين كل يد
يا رب برسول الله أطب ... لي مماتي وحياتي لي رغد
واكفني ربي شرورا وفتن ... وَهَوىً بفساد الدهر اعتضد
ومعاص قضيت لي وجلا ... وذنوبا ذاب منها القلب وذاب الكبد
وهموما شغلت قلبي عن ... رشد ما لها غيرك يا مجلي النكد
لُمَّ بالتوفيق لنا شَعْثاً ... واهد الكل إلى النهج الأسد
واسقنا غيثك يا صمد ... بحبيبك من خير ابن معد
فقد اشتدت أزمتنا وأبت ... غير خنق الأوداج وخنق الوَرِد
فسألناك بخير الخلق عسى ... ترحم الخلق بغيث مطرد

يا رسول الله يا أملي يا
وسيلتنا العُظمى إلى الله الصمد

سألت الله بوجهك أن ... يرني قرة العين بخير ولد
وهب لي وليا منك تورثه ... وحيك وترضاه إمام الرشد

---

(229) في نسخة : صبحت، وفي نسخة أخرى : صحت.
(230) كلمة «ومرساها» ساقطة من النسخ المعتمدة. والسياق يقتضيها.
(231) يشير إلى قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه، حين كسر أصنامهم، وألقوه في النار، فأنقذه الله منها، وسلبها خاصية الإحراق. قال تعالى : ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ (سورة الأنبياء، الآيتان 67-68).
(232) في نسخة : أسْقِني.

وذرارينـــا جميعـــا وكـــذا	أعقـــاب الأعقـــاب على سير الأبـــد
في حيـــاة لك طيبـــة	وأمـــان لا يبلى ولا يرتعـــد
وغفـــران الله ورحمتـــه	ورضوان الله وروح وبـــرد
على أبـــويّ المحسنين إلي	بما ربّيا صغـــري برشدٍ وبجـــد
وعلى عُصَبِ الإيمان بما شهـــدت	أنك الحق فجُـــلّ ربي وعُـــد
وصلاة الله كمسك الختـــام	على خير رسل الله مع العـــدد

قصيدة له في تشييع حجاج تارودانت

وفي ذي الحجة سنة اثنتين وألف خرج الحجيج من تارودانت قاعدة السوس الأقصى، وكنت ممن شايعهم بنشيج[233] ودمع شريق، وعويل فيه زفير وشهيق، في مشهد أحكمت فيه لوعة البين صَبابتها[234] وأراقت به المُقلُ صُبابتها[235] وتوديع أشعل نار الفرقة بين الضلوع والأحشاء، والنار[236] من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم غراما ووحشا، وارتفع به للشوق أعلامُه، وعدا على القلوب والأكباد آلامه، فقلت في ذلك : [الطويل]

لقلبك شوق هاجه الـركب إذ سرى	ودمعك من ذكرى الأحبة قد جرى
أريج الصبا هبت عليك من أرضهم	وزفت لك من أرضهم مِسكاً أذفرا[237]
نعم سحـرا سرت بعـرف نسيمـة	جلت عيني من برد الكرا فتسهـرا
تؤمت من جنب النعـائم[238] وحيا	فقـلت وقلبـي المستهام تفطـرا
عن بارقهم[239] وعن عذيب[240] وغورهـم[241]	وعـن مُنحَنـى وعـن شُمَيـطٍ[242] فخبرا
أرقت بها من حبهم مد ليلتـي	فيـا عجبـا ماذا بها الشوق أثّـرا
أتت وانثنت بالوجد والنوم لم تدر[243]	سوى لوعـات بالحشا متسعـرا

(233) النشيج : مصدر نشج الباكي أي غُصَّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

(234) صبابتها : رقة شوقها.

(235) صُبَابتها : بقية دموعها. والصُّبابة في الأصل : بقية الماء واللبن.

(236) هكذا في النسخ المعتمدة، ولعله : وأتى الناس.

(237) مسك أذفر: جيد إلى الغاية، والذَّفَر: شدة ذكاء الرائحة.

(238) النعائم : موضع بنواحي المدينة («القاموس»).

(239) بارق : موضع بالكوفة («معجم ما استعجم»، ج 1، ص. 221).

(240) عذيب : واد بظاهر الكوفة، وماء لبني تميم (المصدر نفسه، ج 1، ص. 927).

(241) الغَوْر: ما بين ذات عرق إلى البحر، ومواضع أخرى («القاموس»).

(242) الشُّمَيْط : جبل في بلاد طيئ («معجم ما استعجم»، ج 3، ص. 812).

(243) في نسخة : لم ترد.

فكم نومة قد نمت وهي تناجني[244]   وكم ليلـــة قد بتها متفكـــرا

كتمتُ الهوى جهدي وأضمرت حبكم   ويوم استعطفتكم غدا الكل مُظهَـرا

وقِدمـاً ملـكتم الفـؤاد صبابـــةً   والآن ملـــكتم كلي عبـــدا محررا

حشوتم حشاي بالأُوَار[245] وقلتـــمُ   فدونك سرا لاتبديه[246] فيُدْرَى[247]

وجـئتُ بمركب الرجـا بحرَ حبكـم   فهاجت[248] به ريح النوى فتـكسرا

وهـا أنـا أستغـيث ذروة جاهكـم   لعلـيَ إن أبصرت رَبعكـمُ أبـرَا

فما ذِيـد[249] قط مستجير علاكـمُ   ولا عامـدٌ لِبَابكـم وَلّـى مُدبـرا

ألا ليت شعري هل يُرَى الدهرُ ساعيا   بِلُقياكـمُ أم دون ذاكُـم منبرا[250]

وهـل يَنسخ الهَجْرَ الـمُشِتُ[251] وِصالُكم

فقـد طالما حبـل الـوصال تبتـرا[252]

فيـا دهــرُ جُد بالـوصل منهم فإنهم   حيـاتي وعَـدْ بذاك منهم وكَـرِّرا

فوَصْلُهـــمُ لي جَنَّـــةٌ ونعِيمُهـــا   وهَجْرُهـمُ أذهَـى من النـار مسعرا[253]

إذا ذَكِـرُوا نِيطَتْ[254] بقلبيَ راحــةٌ   وإن وُصِفُوا عاينتُ[255] أبهج منظـرا

سأشكـو إليهم ما بيَ البُعـدُ صانـعٌ   إذا ما بنا جمع الإينـاس تقـررا[256]

وأنشُر للدهـر الخـؤُون حديثَـــه   وما في الحشا بأقلام الـبين سُطِّـرا

فواحَـزَني إن لم أنـل ما اقترحتُـــه   ولم أجـلْ في تلك المواطـن منظـرا

ولم ترو ديم الـعين مِن روضة مَتَـــى   ما ذكـرتُ زهرَهـا سلتُ محجـرا[257]

(244) تناجني : أصله تناجيني بالياء، وحذفها الشاعر لضرورة الوزن.

(245) الأُوار: العطش.

(246) لا تبديه : لا تُبْدِه، لأن اللام ناهية، وإنما أثبت الشاعر الياء للضرورة.

(247) يُدْرَى : يُدْرَى ويعرف.

(248) في النسخ المعتمدة : فناجت.

(249) ذِيدَ : طُرِدَ ودُفِع.

(250) يبدو أنه من نَبَرَه بمعنى زجره وانتهره.

(251) المُشِت : المفرق.

(252) تبتر: تقطع.

(253) مسعرا : اشتعالا واتقادا، من سَعَر النار، أي أوقدها.

(254) نيطت : علقت.

(255) في النسخ المعتمدة : عينت.

(256) في نسخة : تقدرا.

(257) المحجر من العين : ما دار بها وبدا من البرقع أو ما يظهر من نقابها. وفي البيت ما فيه وزناً ومعنى، ولعله :

ولم ترو دِيَــم العيـــون من روضة   متـأ ما ذكـرتُ زهرها سلت محجـرا

لئن نلتُ ما أرجــوه من نيــل قربها … فذلك أنس لم أخف بعد مَهجرا[258]

وإني إذا ما الحب أغـــرَى بأهلـــه … إليها ويــوم عهدهــا يدعـــو معشرا

ومــن حبها قد طار من كل شائـــق … فؤاد ولم يملك سوى الحب موقــرا[259]

ثَنــيْتُ عِنــان اللحـــظ نحو جمالها … فهل لك شوق للمدينة والكَـرَى[260]

أجــل لي فؤادي[261] للـــمسير عزيمة … وأيُّ فؤاد شوقـــه كان أقصرا ؟

نسير الفَلا[262] والعِيس[263] تشكو مسيرها … أسير اشتيــاق لا يرى القَفْــرَ مُقْفِــرَا[264]

غدت بانزعـــاج والنـــوى لم يزل بها … كأن بها من حبها قسطـــا أوفـــرا

تقاذفُنــا في مَهْمَــهٍ[265] بعـــد مَهْمَـــه … خضوعا[266] وَوَخْدُها[267] بها[268] كان أثْـرا

حملــن جبـــال الحب فوق متـــونها … فيا صَبْرَها كم جُبْن من خرْق[269] أقفرا

ولما علت بالـــركب ريح ديارهـــا … وضاعت[270] شذاً بين المحامل أعطرا

رأيت خليل الوجـــد جادت دموعــه … غِزارا ولم تملك له الـــعين مصدرا

علـــون لها شُعْثاً وفـــاءً بعهدهـــا … فيـــا حَبَّـــذا وقـــد رآها وأبصرا

---

(258) مهجرا : هجرا.

(259) يبدو أنه من : أوقر الدابة، إذا حمل عليها الوِقْر الذي هو الحِمل الثقيل.

(260) الكَرَى : النعاس.

(261) في نسخة : في الفؤاد.

(262) الفلا : جمع فلاة وهي القفر والصحراء الواسعة.

(263) العِيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

(264) القفر: الخلاء من الأرض، وأقفر المكان : خلا.

(265) المهمه : المفازة البعيدة والبلد المقفر.

(266) خضوعا : مصدر خضعت الإبل، أي جدّت في سيرها.

(267) الوَخْد : ضرب من سير الإبل، وهو سعة الخطو في المشي.

(268) في نسخة : بنا.

(269) الخرق : القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح.

(270) ضاعت : انتشرت رائحتها. قال اليوسي :

وما أنا إلا المسك عند ذوي النهى … يضوع وعنــد الجاهــلين يضيـــع

فهذا عقيق[271] والزورا[272] قد دنت بنا وذاك بقيع[273] بالقبــاب قد أقمــرا

وهــذا مُنَــاك والــذي أنت يَامِــمٌ[274] عن العِيس فانـزل واخـفَ[275] وامض موقرا

وسلِّم ولثِّـمْ وانـتشق من كِبَائِهـا وقبِّــلْ ودَانِ بالمشيب وعَفِّــرا

وبُــخْ بهواك يستــريح قرارُه ونــادِ : يَا نَادِيَ المحبين واجْهَــرا

أيا روضة[276] الحسن البديع التي بها بَهــاءٌ به وجــهُ السعــادة أسفــرا

لنــا فيكِ زَهْــرٌ قد تجلَّــى جمالُــه ومن حسنه في الكون نور تَنشَّرَا[277]

أصيــل البها فصل البها وارث البها منير البها منــه البها كان أبهرا

لواء الهدى بحر الندى مطر الجدا[278] مديد المدى ومُــذ بَدا الحقُّ أظهــرا

نبــيٌّ زكــيٌّ ذو الجلالــة مُرسَل كمال به نقص الوجــود قد أُجبرا

ألا يا رسول الله جئنــاك ذلــة ذماما[279] فإن الله أعطاك كوثرا[280]

وجُبنــا إلــيك كل أغبر مهمــه وخضنا الفلا يا خير من وطئ الثرى

لتشفــع فينــا للإلــه إجــارة إذا ما وردنــا بالجرائم محشرا

فأنت لنــا إليــه أسمى[281] وسيلــة وجــاهك يا مختــارُ أرفــع منبرا

لنــا بك طود للنجــاة ومــعصِم وركــن شديــد بالعنايــة أفخــرا

ظفرنــا بكــل منيــة وإرادة وفزنــا بكــل بغيــة بك في الــورى

---

(271) العقيق : موضع بالمدينة، كما سبق.

(272) الزوراء : موضع بالمدينة قرب المسجد.

(273) البقيع : اسم لمواضع متعددة في المدينة، والمراد هنا مقبرة المدينة.

(274) يامم : قاصد. فك الإدغام للضرورة، وأصل الياء الهمز.

(275) اخْفَ : امش بلا نعل ولاخف تأدبا مع الرسول ﷺ.

(276) يريد الروضة الشريفة التي بها قبر النبي ﷺ.

(277) تنشر: انتشر وانبسط.

(278) الجَدا : العطاء.

(279) ذِمَاما : حقا وحُرْمة.

(280) يشير إلى قوله تعالى : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (سورة الكوثر، الآية 1). روى الإمام أحمد أن النبي ﷺ لما نزلت عليه سورة الكوثر وقرأها على الناس، قال : «هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال : «هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول : يا رب إنه من أمتي، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» («تفسير ابن كثير»، ج 4، ص. 556).

(281) في بعض النسخ المعتمدة : أسنى.

كفانا اعتزازا وافتخارا ظهورنا	بشرعتك البيضا على الكل مقهرا
وكيف وقد جرعت كل معاند	غصاصة[282] لم يطق بها أن يكررا
تجردت سيفا للإيمان فأصبحت	معالمه[283] تحز حلقا ومغفرا[284]
فلم يترك الحسام للجحد هامة	ولم يدع التبيان للريب خنجرا[285]
ترى كل فدم مائق[286] جاء مذعنا	وكل قصي بالتداني مبادرا
بك النور يا نور الوجود متمم	وبدرك للآفاق دام منورا
ختمت لوحي الله ما أنت فاتح	وللشأن خطر[287] ليس يحصى فيذكرا
عليك صلاة الله ما زان زهرها	رياضا ونظم في القلائد جوهرا

ثم بعثت مع ركب آخر هذه الأبيات وهي : [الطويل]

أبيات بعثها مع ركب آخر

أيا مصطفى الإله يا خير مرسل	ويا من له في القلب شوق مبرح[288]
هديتك عن بعد جميل تحيتي	عليك شذاها والضجيعين[289] ينفح
ويغشى بُناك[290] والمعاهد كلها	وكل مكان حل فيه مسبح
معاهد بالتقديس والوحي عُمرت	وجبريل بالتنزيل يمسي ويصبح
لئن [كنت][291] تقصيت شأواً بمغرب	فعين فؤادي في جوارك تسرح
اسرح في بيداك طرف صبابتي	وتربتكم براحة الروح أمسح
عليك صلاة الله ما حنّ شائق	لدارك منزل الرسالة يجنح

وعندما خلفني ركب الحجيج، وأودع بين الضلوع مثل الأجيج[292] عظمت في الفؤاد حسرة، أن فاتني المسير مع تلك الأسرة، فسليت نفسي بذكر حالهم،

---

(282) مراده بالغصاصة : الغُصّة، وهي ما يشرق به الإنسان فيعترض في حلقه، ولا يكاد يسيغه.

(283) في نسخة : معامله.

(284) المِغْفَر : زَرَد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حَلَق يتقنع بها المتسلح.

(285) في نسخة : خنجرا.

(286) الفَدْم : الغليظ الأحمق الجافي، والمائق : الأحمق الغبي، يقال : أحمق مائق.

(287) خطر : شرف، وسكن الطاء للضرورة.

(288) مبرح : شديد وعظيم.

(289) المراد بالضجيعين : أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، لأنهما مدفونان ـ مع الرسول ﷺ ـ في الروضة الشريفة.

(290) بُنَاك : أبنيتك التي بنيتها، مفرد البُنى بُنْيَة.

(291) لفظة «كنت» لم ترد في النسخ المعتمدة، والوزن يقتضيها.

(292) الأجيج : تلهب النار.

ووصف مسير رحالهم، واستدناء[293] المنى، وإزاحة شؤون العجز والونى[294]، فقلت[295] :

متى ترى يوم إسعادك دارها	عساك تُدعى بعد إبعادك جارها
فما للعيون جفاها النوم ما لها	ما كادت تطعم من السهاد غِرَارَها[296]
طرق الحبيبَ خيالُها وسرى بها	من تلكم الديار جارها فأجارها
أليس في الآماق دليل على مِقَة[297]	يا هذا لو أنصفت أرسلت غزارها
إن في الأيام مساعدا فلعله	يدنيك يوم من الأيام مزارها
فيا سعد قومن ونبيّ عيسك أنها	إلى أرض يقرب السرى وبدارها
ويا أيها الحادي بها مغربا يقص[298]	بين الرمل والسباسب[299] آثارها
تغن[300] لها باسم الحبيب فإنها	شوق[301] الحبيب بالبيداء أسارها[302]

وإذا مررت برباهـــا رُبى نجد

فشميما[303] بعيشك[304] الغداة عَرَارَها[305]

وإمّا تجُز بالوادي وادي العقيق	فحيين سكان وادي العقيق جهارها
أما أنت ومن نوى الديار ديار محمد	يا سعد من نواها ويا سعد من زارها
كتب الجليل إلى الحبيب كرامة	قد حلهم معشر الزوار قرارها

---

(293) استدناء : طلب الدنو والقرب.

(294) الوَنى : الفتور.

(295) هذه القصيدة مختلة الوزن.

(296) الغِرَار : القليل من النوم.

(297) مِقة : حب.

(298) يقص : يتتبع.

(299) السباسب : جمع سَبْسَب وهو المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

(300) في النسخ المعتمدة : تغني، وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(301) في نسخة : لشوق.

(302) أسارها : سيّرها، أي جملها على السير.

(303) فشميماً : فشمّ.

(304) هكذا في كل النسخ المعتمدة. ولعله : بعشيك.

(305) العَرَار : بهار البَر. والمنارتي ينظر في هذا البيت إلى قول الصمة بن عبد الله القشيري :

أقول لصاحبي والعِيسُ تهوي	بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار

(«لسان العرب»).

فإذا أتخم بباب السلام[306] فسلموا | واخلعوا ما عليكم وأطفوا الصبابة نارها
وقولوا معا للحبيب إجارة[307] | فهنالك[308] تضع الظهور أوزارها[309]
يا خير المرسلين جئنا إليك بحوبة[310] | لا تُقِل[311] الجبال الرواسي صغارها
ويا شفيع المذنبين ومن غدا | ملجا النفوس يوم تُنادي خيارها[312]
ناديناك بالضراعة ذمة | وحاشاك أن يحرم الأثيم جوارها
وهذا ضريحك المقدس رحمة | أمنّ به نامنُ الأيام وسُوارَها[313]
فمن لنا إن لم تكن لنا يا نبي الهدى
ومن للأنفس الكابية[314] إن لم تُقِل عِثارَها
عليك الصلاة والسلام مني سرمدا | ألقى بها يوم ألقاك إيثارها
وعلى ضجيعيك في ثراك ومن بكم | اقتدى وأبصر للهداية منارها

رسالة إلى ركب الحجاج المغاربة

وفي ذي الحجة تمام[315] خمس وثلاثين وألف خرج الركب المغربي وفيه فضلاء من مراكش وسوس، فأمليت على أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد الحاحي أمير الوقت بسوس ما نصه :

إلى الفقهاء الصلحاء المرابطين الأخيار، والفضلاء الأبرار، سيدي الحسن بن محمد بن يوسف الأونيني، وسيدي محمد بن عبد الرحمان الجرسيفي[316] وسيدي أحمد ابن إبراهيم بن يبورك الهشتوكي[317]، وسيدي محمد بن إبراهيم

(306) باب السلام : أحد أبواب المسجد الحرام. وهو الآن داخل المسجد، ويسامته باب بني شيبة.
(307) إجارة : أي أجرني إجارة. يقال : أجار الرجلَ بمعنى خفره أي منعه وآمنه.
(308) في نسخة : فهناك.
(309) أوزارها : ذنوبها، مفرده وِزر.
(310) بحوبة : بإثم.
(311) لا تُقِلّ : لا تحمل. وفي النسخ المعتمدة : لا تقل. وهو غير مناسب للسياق.
(312) يشير إلى الشفاعة العظمى يوم القيامة (انظر : «**صحيح البخاري**»، ج 4، ص. 202).
(313) سُوّارها : جِدُّها.
(314) الكابية : الساقطة على وجهها.
(315) في نسخة : عام.
(316) توفي عام 1036هـ (انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 82؛ و«**المعسول**»، ج 17، ص. 72؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 45؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 610).
(317) توفي سنة 1073هـ (انظر ترجمته في «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 112؛ و«**المعسول**»، ج 14، ص. 279؛ و«**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 38).

الدرعي، وسيدي أبي بكر السكتاني، وكافة من نظمتهم يد التوفيق في سلك ركبهم المغربي الحجازي وأكرم به من رفيق، من العلماء والصلحاء، والأعيان والخاصة والعامة من أهل سوس وأهل المغرب، وأهل الفائجة والصحراء، أمن الله مصادرهم ومواردهم، وبلغ من حج البيت الحرام وزيارة قبر سيدنا ومولانا محمد ﷺ مقاصدهم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته[318].

أما بعد، فكتابي هذا إليكم، بعد التنبيه على خلوص[319] النيات، وتطهير البواطن من عوارض الندامة والخواطر الدنيات، وصاية بتقوى الله التي هي جماع الخير في الورد والصدر، وملاك الدين في الحضر والسفر، ومعونة السر والجهار، وعمدة المستخفي بالليل والسارب[320] بالنهار، وبالصبر الذي هو قرين البشارة[321]، ومعتمد الإشارة، وقامع النفس الأمارة. فبمطايا الصبر وصل من وصل، وبمدارسه حصل إلى[322] أمنيته من حصل، فهو المحمود العاقبة، والحقيبة[323] الفائزة بربح المضاربة، والخصلة التي نص على وفور أجرها الكتاب، فقال : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[324]، وبالرفق الذي أحبه الله في الأمور، وجعله حلية الخاصة والجمهور، ووصف العاقل[325] وعون الضعيف، وزينة القوي والشريف. فهو روح الوفاق، وأوثق أسباب الإرتفاق، وبالعطف الذي ترتاح له النفوس، وينزاح به البؤس، وتحصل به المودة، وتتصل به الألفة والتؤدة. فألزموا ــ وفر الله جموعكم، وحف برعايته جميعكم ــ هذه الخصال، فإنها بحول الله كافلة ببلوغ المقاصد والآمال، واقطعوا بها تلكم المفاوز والأخطار، ومجاهل البيد الجرد[326] التي تضل فيها القطا[327] وتكل[328] دونها الأكوار[329]، حتى

---

(318) في نسخة : وبركته.

(319) خلوص : مصدر خلَص، أي صار خالصا

(320) السارب : الذاهب على وجهه في الأرض. وفي القرآن الكريم : ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ (سورة الرعد، الآية 11).

(321) يشير إلى قوله تعالى : ﴿وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، الآية 154).

(322) هكذا في النسخ المعتمدة. ولعله : على.

(323) الحقيبة : ما يحمل من القماش على الفرس خلف الراكب («المصباح المنير»، مادة «الحقب»).

(324) سورة الزمر، الآية 11.

(325) في نسخة : العقول.

(326) الجرد : التي لا نبات فيها، مفردها جرداء.

(327) القطا : ضرب من الحمام، سمي بذلك لثقل مشيه، واحدته قطاة، ويضرب به المثل في الإهتداء، فيقال إنه لأدل من قطاة، لأنها ترد الماء ليلا من الفلاة البعيدة («لسان العرب»، مادة «قطا»).

(328) تكل : تُعْيِي في المشي.

(329) الأكوار : جمع كَوْر، وهو الجماعة الكثيرة من الإبل («القاموس»).

تخلفوها بنَصَبِها[330] ويشهد بالجلاد والصبر عِثْيَرُها[331] ويثبت حَصبُها[332].
فعمًّا قريب[333] إن شاء الله تدنو بكم من أمكنة العرب المكينة، وتنزل بكم أباطح[334] مكة وأطناب المدينة فترون بأبصاركم مشارق أنوار الوحي والتنزيل، وأماكن تردد فيها الأمين جبريل، أرض وأية أرض... تفتق منها عبير مسك النبوءة والرسالة، وتبدت متبخترة في حلل الجمال والجلالة : [الطويل]

بلاد بها جبريـــــل جر جناحـــــه
وللوحـــي فيها مكرمـــات عظـــام
ومولـــــد خير الأنبيـــــاء ولحده
عليهن من رب العبـــــاد سلام[335]

وحقيق عليكم إذا دنوتم منها، وأبصرتم أعلامها، أن تتمثلوا وتقولوا : [الكامل]

رفـــع الحجـــاب لنـــا فلاح لناظـــري
قمـــر تقطـــع دونـــه الأوهـــام
وإذا المطـــي بنـــا بلغـــن محمـــدا
فظهورهـــن على الرجـــال حرام
قرّبْنَنَـــا من خير من وطـــئ الثرى
فلهـــا علينـــا حرمـــة وذمـــام[336]

كما حق علي أن أقول[337] : [الكامل]

يا دار خير المرسلين ومـــــن به
هُدِيَ الأنـــــامُ وخُصّ بالآيات

---

(330) النَّصَب : الإعياء، نصبه الهم : أتعبه، ونَصَبه المرض : أوجعه.

(331) العِثْيَر : التراب والعجاج.

(332) الحَصَب : صغار الحصى. وقد تأثر التمنارتي هنا بمنصبه، فوظف شهادة الشهود وإعلام القاضي بثبوت ما يشهدون به.

(333) في النسخ المعتمدة : بعزما قريب، وهو تصحيف وتحريف.

(334) أباطح : جمع أبطح وبطحاء، أي مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(335) البيتان من قصيدة مولدية نظمها التمنارتي سنة 1039هـ بطلب من الأمير يحي الحاحي (انظر : ص. 368).

(336) في «حياة الحيوان» للدميري (ج 2، ص. 561) : «ولما رأى الشيخ أبو الفضل الجوهري مدينة النبي ﷺ أنشد يقول : رفع الحجاب... إلخ. وقال السهيلي في غزوة مؤتة : «وإذا المطي بنا بلغن محمدا»، هو من شعر أبي نواس. قال : «وقد أحسن في ذلك».

(337) هذه الأبيات للقاضي عياض (انظرها في «الشفاء»، ج 2، ص. 59 ؛ و«أزهار الرياض»، ج 4، ص. 180).

عنـــدي لأجــلك لوعـــة وصبابـــــة
وتشوق متوقــــــــد الجمـــــــرات

وعلــيَّ عهـــد إن ملأت محاجــري
من تلكــم الجدرات[338] والعــرصات

لأعفــــــرن مصون شيــــــي بينها
من كثرة التقبيـــــل والرشفـــــات

لولا العــــوادي والأعــــادي زرتها
أبـــدا ولـــو سحبـــا على الوجنـــات

لكن سأهدي من حفيل[339] تحيتي[340]
لقـطين تلك الـــدار والحُجـــرات[341]

أذكى[342] من المسـك المفتق[343] نفحة
تغشاه بالآصال والبكـــــــــــرات

وتـــــخُصُّه بزواكــــي الصلـــوات
ونوامـــــــي الـــــتسليم والبركات

ثم أعهد إليكم إذا سرحتم الأحداق في تلك المشاهد، وعاينتم تلك الرسوم والمعاهد، وقضيتم آراب الشوق من تلك المواطن الشريفة، والمشاعر الدينية والمواقف الزكيـة الرحموتيـة[344]، بالدعـاء لي عندهـا، وخصوصا عنـــد الركـــن[345]

(338) في «أزهار الرياض»، ج 4، ص. 180 : الجدران.
(339) في «أزهار الرياض»، ج 4، ص. 180 : جميل. والحفيل : الكثير.
(340) في «أزهار الرياض» : تحية.
(341) في النسخ المعتمدة : والجُدَرات. والتصويب من «الشفاء» و«أزهار الرياض».
(342) في «الشفاء» : أزكى.
(343) المفتق : المستخرج الرائحة.
(344) الرحموتية : نسبة إلى الرَّحَمُوت، وهي الرحمة. يقال في المثل : «رهبوت خير من رحموت»، أي لأن تُرْهَب خير من أن تُرحم (انظر : «لسان العرب»، مادة : «رحم» ؛ و«مجمع الأمثال» للميداني، ج 1، ص. 403).
(345) الركن : الركن اليماني الذي قبل الحجر الأسود، وهناك ركنان شاميان وهما اللذان يليان الحجر (انظر : «حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة الصغير على ابن عاشر»، ج 2، ص. 139).

والملتزم[346]، وعند شرب ماء زمزم[347]، وموقف عرفات[348]، والمشعر[349] وما هنالك من مشاهد الخيرات والبركات، ولقطركم المغربي بالصلاح والهناء والسلامة من الفتن والآفات، وتداركه بالوئام والألفة وتوالي النعم والخيرات والبركات.

ونسأل الله لكم حسن النجعة[350]، وسرور الرجعة، وأن ييسر لكم الإقبال والإياب، وأن يكتب لكم وردا وصدرا[351] ما تنالون به أوفر الثواب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي جمادى الأولى سنة سبع عشرة وألف وردتُ على شيخنا أبي زكرياء يحيى ابن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي، رضي الله عنه، بزاويته بجبل درن، لحمل الحديث والتصوف عنه، فحضرني عند الإنفصال، والتردد في قنن تلك الجبال، ومشاهدة الثلوج والأنهار، والتلذذ بنضارة الأشجار، ونسمات الأزهار، طاويا في ذكر بلاده ولوازمها اسمه رضي الله عنه مشيرا لما نلت به من الإنابة ونصوح التوبة ما هذا ترجمته : [الطويل]

قصيدة للتمنارتي أثناء أخذه الحديث عن يحيى الحاحي

لدى صفوات[352] فيها للماء مُنحَدر   إلى تلع[353] حصباؤها الدر منتظـر

---

(346) الملتزم : ما بين باب الكعبة والحجر الأسود. ويستحب الدعاء عنده، وكان النبي ﷺ يلصق صدره ووجهه به (انظر : **المصدر السابق**، ج 2، ص. 140).

(347) زمزم : البئر المباركة المشهورة التي أكرم الله بها هَاجَر وابنها اسماعيل عليه السلام. قيل سُميت زمزم لكثرة مائها، يقال ماءٌ زَمْزَمٌ وزُمازِم، وقيل هو اسم لها، وعَلَم مُرْتَجَل، وقيل سُميت بضم هَاجَر أم اسماعيل عليه السلام لمائها حين انفجرت، وزَمُّهَا إياه، وهو قول ابن عباس، حيث قال : لو تركت، لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. («**معجم البلدان**»، ج 10، ص. 147).

(348) عرفات : المكان الذي يقف فيه الحجاج في اليوم التاسع من ذي الحجة، بينه وبين مكة نحو تسعة أميال (انظر : **المصدر السابق**، ج 13، صص. 104-105).

(349) المشعر : المشعر الحرام الوارد في قوله تعالى : ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ (**سورة البقرة**، الآية 197). وهو ما بين جبل المزدلفة وقُزَح، سمي مشعرا لما فيه من الشعائر، والوقوف والدعاء فيه مستحب، قال ابن عاشر في «**المرشد المعين**» : «قف وادع بالمشعر للإسفار». (انظر : «**حاشية الشيخ الطالب على ميارة**»، ج 2، صص. 147-148 ؛ وانظر أيضا : «**معجم البلدان**»، ج 18، ص. 133).

(350) النُّجْعَة : طلب الكلإ في موضعه، والمقصود هنا طلب الأجر والثواب.

(351) وردا وصدرا : أي ذهابا وإيابا، والأصل فيه الذهاب إلى مورد الماء والرجوع منه بعد الشرب والإستقاء.

(352) صفوات : جمع صفاة، وهي الحجر الصلد الضخم.

(353) هكذا في النسخ المعتمدة. والتلعة : ما انخفض من الأرض، ومسيل الماء، وما اتسع من فوهة الوادي، وجمعه تَلَعَات، وتِلَاع، قال طرفة بن العبد البكري في معلقته :

ولستُ بحلَّال التِّـلَاع مخافـةً   ولكن متى يَسْترفـد القـومُ أرفـدِ

(«**مجموع مهمات المتون**»، ص. 791).

ومطـــردات من حمامـــات دوحهـــا | كأن اطـــراد الماء بالسجـــع تختصر
يخللهـــا رطب الـــنسيم يسُوسهـــا | إذا زجـــرها هَبَّـــةً منـــه تنزجـــر
على مورقـــات في السمـــاء فروعهـــا | وفي الأرض ممدود[354] الظلال على الخضر
ومختصرات[355] بالثلـــوج تحفهـــا | ومقتنعات[356] ما عليهن معتجر[357]
تُنشّر أرواحـــا[358] نديّـــاً غدوهـــا | على صفحات الخد أوْهَفَ ما انتشر
وتطفئ من حر الهجير[359] وطيسه[360] | وتلويك[361] أنفاسا تفيّحُ من سَقَـــر
تجوّبَ[362] شجْوي عندهن وغمتي | وروْح ارتيـــاح في فؤاديَ منـــتشر
لترنُوقةٍ[363] أعلاهـــا أوفـــيتُ جيئـــة | فأقـــرت من فرش الكائنـــات بمعتبر
وأذّنتُ إعلانـــا برفـــــع عقيرتي | وصلـــيت اربعـــا على كل مفتقـــر
فأدبـــر شيطـــان الغوايـــة خاسئـــا | عليه القتام[364] سيئ الظن مُنحسر
ونـادى بها قلبـي على النـفس صارخا | ذريني ـ يا أم الغيِّ ـ سحركِ مستمر
أتـــاكِ من الأمـــر المبين يقينُـــه | وجاكِ[365] من الأنبـاء ما فيه مُزْدَجَرْ
فهَبْك تعلّ[366] النفس من ترشاف[367] الصّبا
إلى غايـــة فالشيب من بعدهـــا يمر

(354) في بعض النسخ : محدود. وهو خطأ.
(355) مختصيرات : منتطقات، من الخصْر الذي هو وسط الإنسان.
(356) مقتنعات : لابسات للأقنعة.
(357) مُعتجَر : اعتجار، وهو لبسة للمرأة.
(358) أرواحا : جمع رُوح، أي نسيم الريح.
(359) الهجير : منتصف النهار.
(360) وَطيسَه : تنوره.
(361) تلويك : تُثني عليك.
(362) تجَوَّب : انكشف، وانجاب.
(363) في بعض النسخ : لرنقة. وفي بعضها : لترنقة. والتُّرنُوق ـ ويُضم ـ والتُّرنُوقَاء بالضم : الطين في الأنهار، والمسيل إذا نضب عنه الماء («القاموس»).
(364) القَتام : الغبار.
(365) وجاك : وجاءك، حذفت الهمزة للضرورة. وضمن المختارتي هذا الشطر قوله تعالى : ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدَجَر﴾ (سورة القمر، الآية 4). ويسمى تضمين القرآن والحديث بالإقتباس، قال الخُضَري في «الجوهر المكنون» :
الإقتبـــاسُ أن يُضمَّـــن الكـــلام | قرآنا أو حديثَ سيـــــد الأنام
(«حلية اللب المصون، على الجوهر المكنون» لأحمد الدمنهوري، بهامش «شرح عقود الجمان» للسيوطي، ص. 163).
(366) تُعِل النفس : تسقيها مرة ثانية، أو سقيا بعد سقي.
(367) ترشاف : مَصّ، وهو مصدر رَشَف، أي مَصّ.

ألم تعلمي أن التصابي غِبُّه[368] إلى ندم واللُّبُّ للغِبِّ مُذْكر
تقضى هوى صَبوحُه وغَبوقُه[369] وآن إلى مولى التجاوز مُعتذر
وَلِمْ لا وعُمري قد تولى أشُدُّه[370] وهل ثم بعد الأربعين سوى النُّذُر
وصَوَّح[371] في اللهو اخضرار شبيبتي فجئتك شيبا مستقيلا ومعتذِر
تجاوز علي يا إلٰهي فإنني عصيتك جهلا بعدما ابيضت العُذُر[372]
ودارِك بصفحك الجميل جرائما جئت بها بباب عفوك منتظِر
وقل يا قبيح الفعل يا طائل الرجا ويا قاصر الأعمال يا حسن معتذر
وهبتُ قبيح الفعل منك تكرما لحُسن اعتذار منك فالكل مغتفر
فكم حسن سمعته من حديثكم وكم من صحيح في فؤاديَ مستطر[373]
وفيك رجائي معضل، ومسلسل غرامي، وقلبي من مهابك مستعر
ومرسل دمعي فوق خدي مدبَّجٌ وما ذاك إلا مهجتي فيك تعتصر
لذا أمري موقوف إليك رفعته وإنيَ مغلوب، لعبدك فانتصر[374]
لضعف اصطباري أترك العدل فيكم وأنكر تدليس التصنع معتكر
وحُزني موصول عليك لأنني بمنقطع الأعمال نحوك متزر
فكم لي بأبواب البطالة مدرجا أقلب جنبي في ضروب من الحذر
ومفترقا فعلي وقوليَ في النهى ومتفقا جفني ونومي على الغِرر
ومؤتلفا يومي وليلي على الهوى ومختلفا صدري وصبري على الوطر
يعز علي ما شرِبتُ بعصرها زمانا بمشهور الخِلابةِ[375] مشتهر
فرفقا بمقطوع الرفاق جاءت به روائد حسن الظن فيك من الخطر
غريب طواه البعد والصد كلما تحول عن دار القلى ولى مبتدر
وقد وَرَّى لفظي عن حديث جمالكم وأنت مرادي والهوى فيك منحصر
روى الحبُّ عنك مسندا ومعنعنا فؤادٌ بموضوع الهوى غير مؤتمر

---

(368) غِبُّه : عاقبته.
(369) الصَّبُوح : ما يشرب في الصباح، والغَبُوق : ما يشرب بالعشي.
(370) أشُده : قوته، وهو ما بين ثماني عشرة وثلاثين سنة.
(371) صَوَّح : يَبِس.
(372) العُذُر : جمع عِذَار، وهو شعر اللحية النازل على اللحيين.
(373) مستطر : مُسَطَّر.
(374) أخذ الشطر الثاني من قوله تعالى : ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ (سورة القمر، الآية 10).
(375) الخِلابة : الخديعة والمكر.

وعالي الهوى إن رمته طال شرحه   وذو نبذة من مبهم الحب معتبر
فذا أثر العشاق فاسلك سبيلهم   وسل خيم البطحاء تنبيك بالخبر

ما تضمنته هذه القصيدة من ألقاب الحديث

فائدة : اشتملت هذه القطعة من ألقاب الحديث على قواعد، من قوله :

فكم حسن سمعته من حديثكم   وكم من صحيح في فؤادي مستطر

إلى آخرها، فتضمن هذا البيت أربع قواعد :

الأولى : الحسن، وحدُّه ما قصر عن درجة الصحيح لوصف غير قادح في روايته على الجملة؛

الثانية : السماع، وهو الأخذ عن الشيخ بالمشافهة، ويشترط فيه كالإسماع، أن لا يتشاغل بما يخل به من نسخ أو حديث أو نعاس؛

الثالثة : الحديث، قال الشيخ زروق عن البلالي[376] : الخبر المنتهى إلى النبي ﷺ، سمي بذلك لحدوثه، فرقا بينه وبين القديم الذي هو القرآن، إذ كلاهما من قبله عليه الصلاة والسلام بوحي من الله تعالى إذ ﴿ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[377]. انتهى. فانظر ذلك وافهمه.

وقد نقل صاحب «**الإتقان**» عن الجُوينِي[378] فرقا هو أوضح ونصه[379]:

قال الجويني كلام الله المنزل قسمان : قسم قال الله لجبريل : قل للنبي الذي أنت مرسل إليه: إن الله يقول افعل كذا وكذا، وأمر بكذا[380] وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قال ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملك لمن يثق به : قل لفلان يقول لك الملك : اجتهد في

---

(376) البلالي هو محمد بن علي بن جعفر الشافعي المصري الفقيه المحدث، المتوفى سنة 829هـ (انظر : «**شذرات الذهب**»، ج 7، ص. 147).

(377) من **سورة النجم** (الآيتان 3-4). وأول الآية الأولى : ﴿وما ينطق...﴾.

(378) في النسخ المعتمدة : الجوني؛ والتصويب من «**الإتقان**». والجويني هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله. جاور بمكة أربع سنين، فلقب بإمام الحرمين. كان إمام نيسابور والمشرق كله في الفقه والأصول والكلام. من تصانيفه : «**النهاية في الفقه**»، و«**البرهان في الأصول**»، و«**مغيث الخلق في ترجيح مذهب الشافعي**»، توفي سنة 478هـ (انظر : «**طبقات الشافعية**»، ج 3، صص. 249-283 ؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 3، ص. 358 ؛ و«**معجم المؤلفين**»، ج 6، ص. 184).

(379) انظر : «**الإتقان**»، ج 1، ص. 44.

(380) في النسخ المعتمدة : وأمر كذا وكذا. والتصويب من «**الإتقان**».

الخدمة، واجمع جندك للقتال. فإن قال الرسول : يقول لك الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرق[381] وحثهم على المقاتلة، لا ينسب إلى كذب وإلى تقصير في أداء الرسالة.

وقسمٌ آخر، قال الله لجبريل : اقرأ على النبي هذا الكتاب، فنزل جبريل بكتاب الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ويقول : اقرأه[382] على فلان. فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا. انتهى.

قال السيوطي : «القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن. ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى، لأن جبريل أداه بالمعنى، ولم تجز القراءة بالمعنى، لأن جبريل أداه باللفظ، ولم يبح له إيحاءه[383] بالمعنى. والسر في ذلك أن المقصود[384] منه التعبد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وإن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة فلا يقدر أحد أن يأتي بدله[385] بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين : قسم يروونه بلفظه المُوحى به، وقسم يروونه بالمعنى. ولو جعل كله ممَّا يروى باللفظ، لشق؛ أو بالمعنى، لم يؤمن التحريف والتبديل[386]. فتأمل»[387] هذا مع الفرق الأول.

القاعدة الرابعة : الصحيح، وهو ما اتصل سنده وعُدِّلتْ نقلته على الجملة.

وتضمن قوله :

وفـــيك رجـــائي مُعضَل ومُسَلْسِل غرامي وقلبي من مهـــابك مستعـــر

قاعدتين :

الأولى : المُعضل، وحده : ما سقط منه اثنان فصاعدا، من أي محل كان.

---

(381) في النسخ المعتمدة : يتفرق. والتصويب من «الإتقان».

(382) في نسخة : اقرأ.

(383) في النسخ المعتمدة : «إيجادة»، والتصويب من «الإتقان».

(384) في نسخة : المقصد.

(385) سقطت هذه الكلمة من النسخ المعتمدة، ووردت في «الإتقان».

(386) في «الإتقان» : التبديل والتحريف.

(387) في «الإتقان» : فتأمل، وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجويني.

ومنه «بلاغات»[388] مالك، إذ اقل ما سقط منه نافع وابن عمر رضي الله عنهما.

الثانية : المسلسل وحده : ما اتفق رواته في صفة أو حالة أو صنعة، كالمسلسل بالأولية[389] أو الحلف ونحو ذلك.

وتضمن قوله :

ومــرسل دمعــي فوق خدي مُدبَّــج   وما ذاك إلا مهجتــي فيك تقتطــر

قاعدتين :

الأولى : المرسل، وحده : ما سقط من سنده الصحابي، مثاله قول نافع : «نهى رسول الله ﷺ عن قتل الكلاب».

الثانية : المدبَّج، وهو : رواية القرينين كل منهما عن الآخر كعائشة وأبي هريرة، وابن المسيب وابن سيرين، ومالك والأوزاعي. فلو انفرد أحدهما عن صاحبه، فليس به.

وتضمن قوله :

فذا أمــري موقــوف إلــيك رفعتُــه   وإنــيَ مغلــوب لعبــدك فانـــتصر

قاعدتين :

الأولى : الموقوف، وحده : ما انتهى به لصحابي قولا وفعلا.

الثانية : المرفوع، وحده : ما أضيف إلى النبي ﷺ، كقال كذا، أو فعل كذا، أو تقريرا ككنا نفعل على عهد رسول الله ﷺ كذا، أو ذكر صحابي نحو نزول آية. واشترط الخطيب كون الرافع صحابيا.

وتضمن قوله :

لضعف اصطباري أترك العدل فيكمُ   وأنكــر تدلــيس التصنــع معتكــر

أربع قواعد :

الأولى : الضعيف، وحده : ما ليس بصحيح ولا حسن، وأنواعه كثيرة.

---

(388) جميع ما في «الموطإ» من قول الإمام مالك : بلغني، ومن قوله : عن الثقة، مما لم يسنده : واحد وستون حديثا وكلها مسندة من غير طريق مالك («ندوة الإمام مالك»، ج 2، ص. 125).

(389) انظر : الحديث المسلسل بالأولية، في صص. 203-204.

الثانية : المتروك، وحده : ما تفرد بروايته واحد وأجمع على ضعفه.

الثالثة : المنكر، وحده : ما تفرد به عن غير ثقة، وقال البردعي : الذي لا يعرف متنه إلا من راويه.

الرابعة : التدليس، وهو نوعان : مذموم وهو أن يروي حديثا عن شيخ عاصره أو سمع منه في الجملة، ولم يسمع منه ذلك الحديث الذي روى عنه، بل سمعه من ضعيف أسقط كحديث بغية، وغير مذموم وهو أن يكون مَنْ سمع منه في نفس الأمر ثقة كتدليس ابن عيينة.

وتضمَّن قوله :

وحـزني موصول علـيك لأننـي بمنقطـع الأعمـال نحوك متـزر

قاعدتين :

الأولى : الموصول، وحده : ما اتصل سنده رفعا أو وقفا، وقيل كالمتصل؛ غير أنه يقابل المقطوع كمقابلة المتصل المنقطع.

الثانية: المنقطع، وحده : قال ابن عبد البر والخطيب وجماعة ما لم يتصل إلى أي وجه كان انقطاعه، وقيل : ما وقف على تابعي فمن دونه، وقال الحاكم وغيره : ما اختل فيه قبل التابعي رجل بإسقاط أو جهل.

وتضمن قوله :

فكم لي في أثواب البطالـة مدرجـا أردد جنبـي في ضروب من الحذر

قاعدة واحدة وهي: المدرج، وحده : ما أدخل عليه ما ليس منه، ويكون ذلك في المتن والإسناد، مدرج المتن : وصل كلام بالمتن يوهم أنه منه وليس به، كان أوله أو آخره أو وسطه، ويعرف بفصله في طريق آخر، أو بيان راويه بعد توهمه، ومدرج الإسناد : رواية ما سمعه مختلفا(390) على الاتفاق، أو الاكتفاء بإسناد في متنين سمعهما بإسنادين، وصنف فيه الخطيب فشَفَى.

وتضمن قوله :

ومفترقـا فعلي وقولـيَ في النهى ومتفقا جفنـي ونومـي على الغـرر

(390) في نسخة : مختلف.

قاعدتين .

الأولى : المفترق، وحده : ما افترق لفظه وخطه.

الثانية : المتفق، وحده : ما اتفق لفظه وخطه، ويقال أيضا لما اتفق عليه البخاري ومسلم.

وتضمن قوله :

ومؤتلفـا يومـي ولـيلي على الهوى ومختلفـا صدري وصبري على الوطـر

قاعدتين : الأولى : المؤتلف؛ والثانية : المختلف، وهما اتفاق الأسماء خطا، واختلافهما نقطا وضبطا.

وتضمن قوله :

يعـز على ما شبت بعصرهـا زمانـا بمشهـور الخلالـة مشتهر

ثلاث قواعد :

الأولى : العزيز، وحده : ما رواه اثنان أو ثلاثة عن مثلهم إلى منتهاه.

الثانية : المشهور، وحده : ما رواه أكثر من ثلاثة، وقيل : هو المستفيض وهو خبر جماعة يبعد تواطؤهم على الكذب مع احتماله.

الثالثة : المشتهر، وهو ما اشتهر عند أهل الحديث، كحديث «نرى ربنا»[391]، أو عند الفقهاء، كـ«ـالأعمال بالنيات»[392]، ونحو ذلك.

وتضمن قوله :

فرفقـا بمقطـوع الرفـاق جاءت به روائـد حسن الظـن فيك من الخطـر

---

(391) حديث «إنكم سترون ربكم – يعني يوم القيامة – كما ترون القمر ليلة البدر»، ذكره السعد في «شرح النسفية»، وقال : هو حديث مشهور، رواه واحد وعشرون من أكابر الصحابة رضي الله عنهم» (انظر : «المتناثر من الحديث المتواتر» لجعفر الكتاني، ص. 153).

(392) حديث «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، جعله بعضهم مثالا للمتواتر، ورده ابن الصلاح في «مقدمة علوم الحديث» له (انظر : «المتناثر»، ص. 17). انظر أيضا ما سبق في ص. 229 هامش 187).

قاعدة واحدة وهي : المقطوع، وحده : ما وقف على تابعي؛ واستعمله الطبراني والشافعي في المنقطع، فجاز [استعمال][393] كل منهما بدل الآخر.

وتضمن قوله :

غريب طواه البعـد والصد كلمـا تحول عن دار الـقلى ولّـى مبتـدر

قاعدة واحدة وهي : الغريب، وحده : ما انفرد بروايته واحد.

وكل واحد من العزيز والمشهور والغريب يجوز أن يكون صحيحا أو ضعيفا.

وتضمن قوله :

وقد ورى لفظي عن حديث جمالكم وأنت مرادي والهوى فيك منحصر

قاعدة واحدة وهي : التورية. قال صاحب «الإتقان» هي :

أن يذكر لفظ له معنيان إما بالإشتراك[394] أو بالتواطؤ[395] أو بالحقيقة والمجاز، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويُقصد البعيد ويورّى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة، قال الزمخشري : لا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابه[396] في كلام الله ورسوله، قال : ومن أمثلتها ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾[397]، فإن الاستواء على

---

(393) لم ترد كلمة «استعمال» في النسخ المعتمدة، والسياق يقتضيها.

(394) الإشتراك اللفظي هو أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان، تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز («فقه اللغة» لعلي عبد الواحد وافي، ص. 189). وعرّف أهل الأصول اللفظ المشترك بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة («المزهر» للسيوطي، ج 1، ص. 217).

(395) التواطؤ : التوافق. ومعنى التواطؤ عند المناطقة والأصوليين أن يستوي معنى لفظ كلي في جميع أفراده، كالإنسان فإنه لفظ كلي معناه واحد وهو الحيوان الناطق، وأفراده كلها متوافقة في هذا المعنى، وإنما الإختلاف بينها بعوارض خارجة عن معنى الإنسان وماهيته، كالبياض والسواد، والطول والقصر، وما إليها. قال الأخضري في «السلم»:

ونسبة الألفاظ للمعاني خمسة أقسام بلا نقصان
تواطؤ تشاكك تخالف والإشتراك عكسه الترادف

(انظر : «شرح حسن القويسني على متن السلم»، صص. 27-28؛ وانظر كذلك : «حاشية» البناني على «شرح» الجلال شمس الدين المحلي على «متن جمع الجوامع» لعبد الوهاب السبكي المجلد 1، صص. 273-274).

(396) في «الإتقان» : المتشابهات.

(397) سورة طه، الآية 5.

معنيين : الإستقرار في المكان، وهو المعنى القريب المورى به، الذي هو غير مقصود، لتنزيهه ــ تعالى ــ عنه؛ والثاني الإستيلاء والملك، وهو المعنى البعيد المقصود، الذي وُري عنه بالقريب المذكور. انتهى[398].

وهي كالإستعارة مجردة ومرشحة. المجردة كالآية لخلوها من لوازم المورى به والمورى عنه، والمرشحة كقوله تعالى ﴿والسماء بنيناها بأييد﴾[399]، فإنه يحتمل[400] الجارحة، وهو المورى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان، ويحتمل[401] القوة والقدرة وهو البعيد المقصود. وعلى هذا النمط يجري تأويل متشابه القرآن والحديث كله، فعلى الطالب تحقيقه. وإنما اختار السلف رضوان الله عليهم التفويض فيه مع علمهم بكلام العرب وبلاغتهم، رفقا بعامة الأمة، وسدّاً لباب التعب عنهم لضعف إدراكهم، وخمود فطنهم[402] عن إدراك تلك المرتبة، فجزاهم الله عنا خيرا.

وتضمن قوله :

روى الحب عنك مسنـــدا ومعنعنـــا فؤَاد بموضوع الهوى غير مؤتمر

أربع قواعد :

الأولى : الرواية، وهي خبر يقصد به تعريف دليل حكم شرعي من شارع الأحكام صلوات الله وسلامه عليه. وقد تولى أهل علم الحديث بسط أنواعها، وفرقوا بينها وبين الشهادة بأن متعلق الرواية عام كالأعمال بالنيات، والشفعة فيما لم ينقسم، ومتعلق الشهادة خاص بمعين كشهادة العدل لإنسان بدينار له على آخر.

الثانية : المسند، قال الحاكم : ما اتصل سنده رفعا، وقال الخطابي : ما اتصل لوجهه، وقال ابن عبد البر : المرفوع ولو منقطعا.

تنبيه : السند: الإخبار عن طريق المتن التي يعرف بها وجوده، والإسناد: رفع الحديث لقائله بسنده.

الثالثة : المعنعن وحده : ما يقال : فيه فلان عن فلان؛ وعده بعضهم مرسلا. والصحيح الذي عليه الجمهور أنه متصل.

---

(398) انظر : «**الإتقان**»، ج 2، صص. 83-84.

(399) **سورة الذاريات، الآية 47.**

(400) في النسخ المعتمدة : عمل، وهو تحريف. والتصويب من «**الإتقان**».

(401) في النسخ المعتمدة : وعمل، وهو تحريف، والتصويب من «**الإتقان**».

(402) في نسخة : فطنتهم.

الرابعة: الموضوع، وحده : المكذوب المختلق، ويعرف بإقرار واضعه أو بمعنى إقراره، أو قرينة في الراوي أو المروي، كما شهدت ألفاظ أحاديث بوضعها لركاكتها، وسببه نسيان أو افتراء، قال البلالي رحمه الله : «وحرم روايته إلا مبينا، والعمل به مطلقا، ومنه صلوات الرغائب، والأسبوع، وما يُروى عن أُبَيّ[403] في فضائل السور سورة سورة، وأخطأ من ذكره من المفسرين». انتهى.

وتضمن قوله :

وعالِي الهوى إن رمتــه طال شرحـــه وذو نبـــذة من مبهم الحب معـــتبر

ثلاث قواعد :

الأولى: العالي، وحده : ما قل رجاله إلى منتهاه، وهو أقسام، وأفضله القريب من رسول الله ﷺ بإسناد نظيف. قيل ليحيى بن معين[404] في مرض وفاته : ما تشتهي؟ قال : سند عال وبيت خال.

وأعلى أسانيدنا فيما بعد الألف سند حديث المصافحة. فبيني وبين رسول الله ﷺ بسند المصافحة بكلا طريقيه اثنا عشر رجلا، عيني ثالثة عشرة عينا رأت من رأى رسول الله ﷺ. وقد تقدم بسطه في الأسانيد[405].

الثانية: المبهم، وحده : ما جاء في رجال السند غير مسمى كفلان عن رجل.

الثالثة : الِاعتبار، وهو سبر الحديث لتحقق قوته من ضعفه، وقال أبو حاتم : النظر في الراوي الذي لم يتابع هل تابع من فوقه ثقة أم لا.

وتضمن قوله :

فخذ أثـــر الحذاق واسلك سبيلهـــم وسل خِيمَ البطحـــاء تنبـــيك بالخبر

---

(403) هو الصحابي الجليل أُبَيّ بن كعب بن قيس، أبو المنذر الأنصاري المدني، سيد القراء، اختلف في سنة وفاته اختلافا كثيرا، فقيل سنة 19هـ، وقيل غير ذلك. (انظر ترجمته في «**غاية النهاية**»، ج 1، صص. 31–32؛ و«**الإصابة**»، ج 1، صص. 19–20؛ و«**الإستيعاب**»، ج 1، صص. 47–52).

(404) هو إمام الجرح والتعديل يحيى بن مَعين بن عون بن زياد المري الغطفاني ـ مولاهم ـ أبو زكرياء البغدادي. ولد سنة 158هـ، ومات بالمدينة المنورة سنة 233هـ (انظر : «**تهذيب التهذيب**»، ج 11، صص. 280–288).

(405) انظر ص. 210.

ثلاث قواعد :

الأولى : الأخذ، وهو التحمل. فمنه : حدثنا بلفظه، وهو المسموع؛ وأخبرنا قراءة عليه وإجازة منه، وأنبأنا في المذاكرة ونحوها كَـ«ـنَا»[406] للمتأخرين، وفي «البخاري» : كان عند ابن عيينة[407] حدثنا وأنبأنا وأخبرنا وسمعت واحدا؛ ومنه الإجازة، وهي إطلاق الرواية عنه للمجاز له، وهي أنواع : منها المشافهة، وهي الإجازة لفظا ومشافهة؛ ومنه المناولة، وهي إعطاء كتاب أو بعضه مع لفظ الإجازة فيه؛ ومنه الوجادة، وهي وجود خط من تعرف أنه خطه من أب أو شيخ ونحوه، وضعف قوم الرواية به.

الثانية : الأثر، قال النووي : يطلق على المروي سواء عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابي. قال : هذا هو المذهب المختار الذي قاله المحدثون وغيرهم، واصطلح عليه السلف وجماهير الخلف؛ وقال الفقهاء الخراسانيون : هو ما يضاف للصحابي موقوفا عليه؛ وفي تقييد الشيخ زروق : الأثر ما يؤثر عن السلف وتابعيهم من أئمة الهدى، وقد يسمي به الحديث على خلاف في ذلك.

الثالثة : الخبر، وهو قسمان : خبر تواتر، وخبر آحاد. الأول : خبر جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب، فهو قطعي؛ ويقرب منه المستفيض : وهو خبر قوم يبعد تواطؤهم على الكذب مع احتماله. والثاني : خبر الآحاد : وهو ما دون التواتر والاِستفاضة، وهو فيما دون الثلاثة اتفاقا، وفيما زاد عليها اختلاف. انتهى ما تعلق بالأبيات من الفوائد.

* * *

وفاة المنصور الذهبي وما اصاب البلاد والعباد من ذلك

وفي سنة اثنتي عشرة وألف، بلغني وفاة أبي العباس المنصور ملك المغرب في هذا العصر رحمه الله، وكانت وفاته بمدينة فاس. فبلغنا ذلك بفائجة تامانارت من بلاد القبلة في نحو أسبوع، وكنت هناك[408] أتطلع مراسم السلف. فنزل الأرض بذلك ما نزلها، ونالها من الفساد والفتن ما نالها، وطاش بها الوقور، ونيشَ[409] الحقور، ووضع النفيس، وارتفع الخسيس، وفشا العار، وخان الجار، ولبس الزمان البؤس، وجاء بالوجه

---

(406) يختصر بعض المحدثين صيغ التحمل فيكتبون «حدثنا» اختصارا : «نا» أو «ثنا» كما يكتبون «أنبأنا» و«أخبرنا» : «أنا».

(407) انظر ترجمته في ص. 203 هامش 39.

(408) في نسخة : هنالك.

(409) نيشَ : طَلِبَ، وقد يكون مراده بنيش : أُعْطِيَ النياشين.

العبوس، وأورد ماء الإختلاف، وأنضب ماء الوجوه والإئتلاف، وطأطأ الحق رأسه، وأخفى المُحقُّ نفسه، وتبرقعت الحسناء، وكشفت الشوهاء، واعتمل الخبيث، واحتمل على الخبائث بالسير الحثيث، ووردت المهالك، وسدت المسالك، وعم الجوع، وتبرأ الكوع من البوع، فإنا لله وإنا إليه راجعون[410]، فيا لها من مصيبة ما أعظمها، ولمحاسن الأرض ما أحطمها: [الوافر]

لعمـــرك ما المصيبـــة هدم دار ولا شاة تموت ولا بعير
ولكـــن المصيبـــة موت حر يموت بموتـــه بشر كثير[411]

فرأت النفوس بذلك عين البلوى، وشكت وعثاء[412] البعد والنوى، وطال من تلك الأوجاع أنينها، وإلى أوطان الأحبة حنينها: [الطويل]

وقائلـة تضيـق بالبعـد والنـوى أما لك من هجـر الخلائـق متسع
فقـلت لها ما لي بهجـر أحبـة غدا القلب من فُرقانهم[413] فيه منصدع

قصيدة وظف فيها التمنارتي تراجم ألفية ابن مالك

فرأيت أن أسليها، بما يلائم طبعها، ويستبقي رَمَقها، وأنشدت فيما بيني وبينها، قصيدة تناجيها منها التغازت الحسان، وتناغيها من تحت أستار نظمها الحبائب والحسان، إذ في ذلك تسرح هواها وتستمد في السلوان قواها، وإن كان فيها عند التأمل تورية بديعة بالبيت المحرم المكرم، يلتاح[414] منها التياح تراجم **«ألفية»** ابن مالك[415] فيما ترجم، وهذا أولها : [الطويل]

---

(410) انظر هذه الفقرة في ص. 166.

(411) البيتان، كما سبق في ص. 166 هامش 608، لامرأة من الأعراب. ونصهما في **«الأمالي»** لأبي علي القالي، ج 1، ص. 272) :

لعمـرك ما الرزيـة فقـد مال ولا شـاة تمـوت ولا بعيـر
ولكـن الرزيـة فقـد قرم يمـوت بموتـه بشر كثيـر

(412) وعثاء : مشقة.

(413) فرقانهم : الإنفصال عنهم، يقال : فَرَق بينهما فَرْقاً وفُرْقاناً أي فَصَل.

(414) يلتاح : يبدو.

(415) هو جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني المتوفى سنة 672هـ. استوطن دمشق، وتولى بها مشيخة المدرسة العادلية. وله مصنفات مهمة نظما ونثرا منها **«الكافية الشافية في النحو»**، وتقع في ثلاثة آلاف بيت، وشرحها، و**«الألفية»**، وهي خلاصة **«الكافية»**، وقد وقع عليها إقبال كبير شرقا وغربا، وترجمت إلى لغات، ووضعت عليها شروح كثيرة (انظر : **«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة»** لمحمد الطنطاوي، صص. 221-222 ؛ و**«المدارس النحوية»** لشوقي ضيف، صص. 309-317).

لجار سُليمى كلمتها شواهده ... فمالي أراها بالوشاة تؤاخذه

وآيُ الهوى في مذهب العُرْف أنها ... يلوح بها في الصب شوق يكابده

قضى في الفؤاد ما قضى حكم ذكرها[416] ... غداة غدت والحسن جمّتْ[417] أوابده

فسارت بأعلام البشاشة تهتدي ... ورُكن اصطباري واهياتٌ معاقده[418]

أشير إليها والجمال جمالها ... ومحبوب أسماء الإشارة[419] ناقده

وموصول[420] أتراب الحسان تركنه ... خيالا في أبناء الهوى قل عائده

ولما وردت الحي جئت خيامها ... معرفة الأداة[421] أضحت تناشده

ومبتدأ[422] الأفراح أهلا ومرحبا ... وأخبار[423] ذاك الحسن أنت تشاهدَه

فكانت[424] وإنها[425] لدى الظن[426] أصدرت ... إلى القلب وفق ما أكنت عقائده

فأعلم[427] أن الصدق في الحب شافع ... له عندما[428] صنع وفته عوائده

وفاعل[429] ذاك الوجد في الصدر شاغل[430] ... ونائبه[431] يفري الحشا ويعاوده

وفعل هواها ذو تعد ولازم[432] ... عليَّ ولي حتى الممات أكابده

---

(416) عن نسخة : نكرها.

(417) جمّت : كثرت.

(418) المراد : أبنيته، وما يشد به من عقود.

(419) إشارة إلى ترجمة «اسم الإشارة» في «الألفية».

(420) إشارة إلى ترجمة «اسم الموصول».

(421) إشارة إلى ترجمة «المعرف بأداة التعريف».

(422) إشارة إلى ترجمة «الإبتداء».

(423) إشارة إلى «الخبر» الوارد ضمن «باب الإبتداء».

(424) إشارة إلى ترجمة «كان وأخواتها».

(425) إشارة إلى «إن وأخواتها».

(426) إشارة إلى ترجمة «ظن وأخواتها».

(427) إشارة إلى ترجمة «أعلم وأرى».

(428) في نسخة : عندنا.

(429) إشارة إلى ترجمة «الفاعل».

(430) إشارة إلى ترجمة «اشتغال العامل عن المعمول».

(431) إشارة إلى ترجمة «النائب عن الفاعل».

(432) إشارة إلى ترجمة «تعدي الفعل ولزومه».

وقدما جرى بين العشاق تنازع[433] على حسنها كل غدا وهو قائده
وشكوى الفؤاد من مفاعيل[434] شوقها تضيق عليها في القياس منافذه
وأستثني[435] إنْ أقسمت أن لا أزورها فما قسَم لي حبها بَرٌّ عاقده
وحالِيَ[436] حال المستهام تواترت به سنة العشاق أنى تُجاحده؟
يميز[437] معنى الشوق فيها شهودها وتوضح أوطار الرجاء مشاهده
كذاك حروف جر[438] ذيل صبابتي لقد وضحت في الجسم مني شواهده
ألا رب حرف من حروف جمالها يوالي الهوى، والشوق منها يساعده
تحن لحالي رقة وتعطفا أضافت لياء النفس[439] ما قد تراوده
واعمل مصدرَ[440] الدموع حنينُها أجل، واسم فاعل[441] الغرام معاضده
بأبنية حوت مصادر[442] وُدّها سقت ربعك الأنواء أين معاهده
أرتنا صفات للملاحة أشبهت[443] ظباء العقيق لم يرعهن وافده
وفعل تعجب[444] الورى أن أزورها ولم أذكر العهد الذي[445] هي عاهده
فنعم[446] السرى سرت بنا لديارها وقد ساعدتنا في الطريق مراشده
تدل عليها في البلاد معالم وتهدي إليها في السماء فراقده
وافعل تفضيل[447] الهمام وفاؤه ومن وعد الحسنا وفتها مواعده

(433) إشارة إلى ترجمة «التنازع في العمل».
(434) إشارة إلى تراجم «المفعول المطلق» و«المفعول له» و«المفعول فيه وهو المسمى ظرفاً» و«المفعول معه».
(435) إشارة إلى ترجمة «الإستثناء».
(436) إشارة إلى ترجمة «الحال».
(437) إشارة إلى ترجمة «التمييز».
(438) إشارة إلى ترجمة «حروف الجر».
(439) إشارة إلى ترجمتي «الإضافة» و«المضاف إلى ياء المتكلم».
(440) إشارة إلى ترجمة «إعمال المصدر».
(441) إشارة إلى ترجمة «إعمال اسم الفاعل».
(442) إشارة إلى ترجمة «أبنية المصادر».
(443) إشارة إلى ترجمتي «أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهات بها» و«الصفة المشبهة باسم الفاعل».
(444) إشارة إلى ترجمة «التعجب».
(445) في النسخ المعتمدة : التي. ولا يستقيم معه المعنى.
(446) إشارة إلى ترجمة «نعم وبئس وما جرى مجراهما».
(447) إشارة إلى ترجمة «أفعل التفضيل».

ونعتكها[448] توكيد[449] حبي لعطفها[450]

فلا بدل[451] من قربها أنـا واجـده

وناديت[452] في أعلامها أستغيثها[453] ولازم أبواب الندا[454] لا تنابذه[454م]

سأختص[455] منها بالذي هو مسعدي وأسماء أفعالي وصوتي[456] تشاهده

تحذر من عصيـانها كل وارد وتغري[457] غراما قلما اعتل صائده

غدا كل دمـع قد عصى لفراقهـا ومنصرف[458] الأحباب ذابت جوامده

إذا نون توكيد[459] السُّرَايَة[460] أصبحت ودمـع الـوداع مرسلات قلائـده

وأعرب فعل[461] الحب فيها نُحـاتها ومن صد عنها جازم[462] فهو جاحده

ولو[463] منعتني ودهـا في جوارهـا لما صِرْت في أحيائهـا أنـا عابده

ولولا[464] الهدايا من دموع بعثتها لما كاد قلبي من جواه يجالده

فكم[465] عاذل أخبرته بالذي[466] لها من الحسن والإحسان لا الصد نافده

تزود شوقا من حكاية[467] وصفهـا فحادي المطايا باسمها وهو رائده

---

(448) إشارة إلى ترجمة «النعت».

(449) إشارة إلى ترجمة «التوكيد».

(450) إشارة إلى ترجمة «العطف» و«عطف النسق».

(451) إشارة إلى ترجمة «البدل».

(452) إشارة إلى ترجمتي «النداء» و«المنادى المضاف إلى ياء المتكلم».

(453) إشارة إلى ترجمة «الإستغاثة».

(454) إشارة إلى ترجمة «أسماء لازمت النداء».

(454م) القصيدة دالية ,لا ذالية.

(455) إشارة إلى ترجمة «الإختصاص».

(456) إشارة إلى ترجمة «أسماء الأفعال والأصوات».

(457) إشارة إلى ترجمة «التحذير والإغراء».

(458) إشارة إلى ترجمة «ما لا ينصرف».

(459) إشارة إلى ترجمة «نونا التوكيد».

(460) السَّرَايَة : من مصادر «سَرَى»، أي مشى ليلا.

(461) إشارة إلى ترجمة «إعراب الفعل».

(462) إشارة إلى ترجمة «عوامل الجزم».

(463) إشارة إلى ترجمة «فصل لو».

(464) إشارة إلى ترجمة «أمّا ولولا ولَومَا».

(465) إشارة إلى ترجمة «كم وكأين وكذا».

(466) إشارة إلى ترجمة «الإخبار بالذي والألف واللام».

(467) إشارة إلى ترجمة «الحكاية».

وثانيـــة[468] الأحشاء طوع قيـــاده تمد وتـــقصر[469] في كفيـــه مقـــاوده

لدارة جمع[470] الشمـل والمنزل الـذي صغيرا[471] سبـــاني غَورُه ونواجـــــده

سعيت[472] لها يا قرة العين وقفة[473] آمالي[474] طريف الـود فيك وتالـــده

وأسلـــمت نفسي كي أنـــال جوارهــــا

لشق النوى والبدل[475] قد عمّ[476] حاشده

فأديت فرضَ الحب فيها وأبــــــــــرأت

ولزجَـــمَ عنها مالك[477] وهـــو شاهـــده

استنفار للجهاد

ولما استولى شيخنا أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم رحمه الله على السوس الأقصى بعد العشرين والألف، أتاه رسول أهل مدينة سلا[478] بكتابهم يشكون ما نزل بهم من العدو، وقرئ بالجامع الكبير بتارودانت قاعدة السوس، فأمر أيده الله أن يكتب للنواحي وقبائل السوس باستنفارهم للجهاد فكتبت في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله الذي قرن نصرة الدين باجتماع كلمته، وألّف بين قلوب عباده المومنين في الذب عن حمايته بعزته وحكمته، العزيز الذي لا يضل من عاذ بحرزه ولا يذل من لاذ بعزه، اشترى سبحانه ﴿من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله، فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل

(468) إشارة إلى ترجمة «التأنيث».

(469) إشارة إلى ترجمة «المقصور والممدود»، وسكّن «تقصرْ» للضرورة.

(470) إشارة إلى ترجمة «جمع التكسير».

(471) إشارة إلى ترجمة «التصغير».

(472) هكذا في النسخ المعتمدة، ولعله : «نسبت» لتكون فيه الإشارة إلى ترجمة «النسب».

(473) إشارة إلى ترجمة «الوقف».

(474) إشارة إلى ترجمة «الإمالة».

(475) إشارة إلى ترجمتي «الإبدال» و«فصل في إبدال الواو من الياء».

(476) إشارة إلى ترجمة «الإدغام».

(477) المراد : ابن مالك صاحب «الألفية» التي وظف المنارتي تراجمها في هذه القصيدة. ولا يخفى أن هذا التوظيف أورث القصيدة تكلفا وتعقيدا.

(478) في النسخ المعتمدة : رسول مدينة أهل سلا.

والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[479].

نحمده على ما وعدنا من النصر والظهور، على مرور الأزمان وتوالي الدهور، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد جَرَّار الكتائب، مثير النَّقْع في الهيجاء بين السيوف القواضب[480]، والرماح الزواعب[481]، وعلى آله أولي الشرف الأصيل من ذُؤابة لؤي بن غالب، وأصحابه الممتازين بكمال الشجاعة في الوقائع العجائب، الفائزين مع قلة العدد من جهاد أعدائهم بأسنى الرغائب، صلاة تسددنا لاقتفائهم في أرشد سمت[482] وأقوم لاحب[483].

من كافة الفقهاء والصلحاء وأهل الفضل والدين من مدينة تارودانت قاعدة السوس الأقصى أمنها الله وسدد لما يرضي الله ورسوله قصودهم، وبلغ فيما أملوه من جهاد أعداء الدين مقصودهم.

إلى كافة الفقهاء والصلحاء والأعيان، من كافة قبائل سوس من سائر الخصوص والأنجاد، وأهل الفضل والدين والنجدة من سائر البلاد، وفَّر الله جموعهم، وكنف[484] برعايته جميعهم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ فإن أهم ما صرف[485] إليه أهل كل إقليم الوجوه، واستدفعوا برعايته المكروه، العملُ على ما في الآيات المتلوة، والحكم السائرة المجلوة، من إعزاز كلمة الدين، والدفاع عن حُرَم المسلمين، وإرهاب أعدائهم وأعداء الله الكافرين، وإنه ورد علينا بتاريخه رسول من مدينة سلا التي علاها من قَتَام[486] الكفر ما علا، وبلغكم من أمرها ما بلغكم، مما دهاها من العدو وحسبها تقرر عندكم، وإن العدو ـ دمره الله ـ لما استوثق بناءه، ومكن بساحتها حشمه وأبناءه، أخذ يشن الغارات على ما قرب وما بعد من بلاد الإسلام ويدب الضراء لاغتيال المسلمين

---

(479) سورة التوبة، الآية 112.

(480) القواضب : القواطع.

(481) الزواعب : القواطع. يقال زعب الإناء أي ملأه وقطعه. وزَاعِب : بلدٌ أوْ رجل، ومنه الرماح الزَّاعِبِيَّة، أو هي التي إذا هزت كأن كعوبها يجري بعضها في بعض للينها («القاموس»).

(482) سَمت : طريق، وهيأة أهل الخير.

(483) لَاحِب : طريق واضح

(484) كَنَف : صان وحفظ وحاط وأعان.

(485) في النسخ المعتمدة : صرفت، وهو جائز، «كل جمع مؤنث».

(486) قَتَام : غبار.

ونكايتهم بضروب الآلام، ويكاثرهم بالجنود العتيدة برا وبحرا، ويداهمهم بالمكايد المرية سرا وجهرا، حتى ضاق بسكانها الخناق، وبلغت القلوب الحناجر من ذلكم التضياق.

وعندما رأوا من تكالب العدو ما غلبهم أو كاد، أطلقوا في بلاد الإسلام أرسال[487] الإغاثة والتناد، فخلص هذا إلى نظركم، وقد قصَّ من حال غربة الإسلام هنالك، ومقاساة المسلمين بتدآب تلك المعارك، ما يذيب القلوب ويفتت الأكباد، ويوقظ كل مومن من غفلة الرقاد، من حاضر وباد، فكاتبناكم بهذا النبإ الذي حال بين الجفن وَوَسَنِه، وطرق الفؤاد بألمه وحَزَنِه، لتذيعوا النفير بالجهاد في سائر البلاد، وتنادوا في الأسواق بأخذ الأهبة له بالطارف والتلاد[488]، وتستنهضوا الصدور والأعجاز، وتعمموهم بخطاب الحقيقة والإنجاز، وتذكروا الخاصة والعامة بواجب هذا الفرض، وتحرضوهم على إقامة رسوم الألفة التي هي عماد كل نفل وفرض، حتى تجتمع بحول الله قلوبهم، وينجح في مرضاة الله مطلوبهم، فإنه ما غُزِيَ قوم في بلادهم إلا ذلوا[489] ولا قعدوا عن الدفاع عن ذِمارهم[490] إلا اضمحلوا، فكيف والروم ــ أخزاهم الله ــ قطعوا إلى بلادكم أمواج البحار، ومدوا اليد العادية إلى أسر قرى الإسلام ومحو ما شيد بها من الآثار، وفغر[491] تثليثهم لابتلاع توحيدكم فاه، وعدا الصليب من الإذلال طوره ومداه، وهم والله عبدة أحجار وأمدار[492]، لا يطمعون في جنة ولا يرتجون عقبى الدار، وما أتعبوا أنفسهم إلا للهوان وعذاب النار، والتعصب للآباء، واتباع سلفهم الأغمار[493]، ونحن ــ معشرَ المسلمين ــ نومن بالله وحده، لا نشرك به شيئا، ونومن بلقائه وجزائه وصدق وعده، وقد بشرنا سبحانه على لسان نبينا ومولانا محمد ﷺ فيهم ببشارة عظيمة فقال : ﴿قَاتِلوهم يُعذبْهم الله بأيديكم ويُخْزِهِم ويَنصرْكم عليهم ويَشفِ صدورَ قوم مومنين ويُذهِبْ غيظَ قلوبهم﴾[494]، وقال جل من قائل : ﴿ذلك بأنهم لا يُصيبهم ظمأ ولا نَصب ولا مَخمَصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يَغيظ

---

(487) أرسال : رُسُل.

(488) الطارف : المال الجديد، والتلاد : المال القديم.

(489) أخذه من قول علي كرم الله وجهه في إحدى خطبه الجهادية : «فوالله ما غُزِيَ قوم قَطُّ في عُقْرِ دارهم إلا ذلوا» («البيان والتبيين» للجاحظ، ج 2، ص. 53).

(490) الذِّمار : ما يلزم الإنسانَ حفظهُ وحمايته.

(491) فَغَرَ فاه : فتحه.

(492) أمْدار : قطع الطين اليابس، مفرده مَدَر.

(493) الأغْمَار : الذين لم يجربوا الأمور، الجهال، مفرده : غُمْر.

(494). سورة التوبة، الآيتان 14-15.

الكفار ولا يَنالون من عدوٍّ نيلا إلا كُتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا يُنفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم، لِيَجزيَهُم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾(495).

وأوجب لنا سبحانه فيهم إحدى الحسنيين(496): شهادة أو غنيمة، وأكرمنا بغلبة الواحد لاثنين(497)، وكفى بها كرامة عظيمة. وقد كان سلفكم الكريم يقطعون البحر مع ملوك الدول الماضية لجهادهم ببلاد الأندلس من وراء البحار. وكانت لهم فيهم وقائع بادية الآثار، واضحة الإشتهار، مثل غزوة الأرك(498) والزلاقة(499)، محق(500) المسلمون فيها للكفر كل طالعة وكل ساقة(501): أفتعجزون أنتم عن قتالهم في بركم، وبين أيديكم، ومن مسافة ثلاثة أيام أو أربعة من بواديكم. وأنتم والحمد لله أكثر منهم عددا، وأوفر عُددا، وأيسر أسبابا وأقرب مددا، ﴿فلا تهِنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مومنين﴾(502). فاستنفروا لهذا الأمر المهم من بني الزعامة وأولي الشهامة من تتهلل به وجوهكم(503) عند اللقاء، واستنهضوا له من برابركم وأعرابكم عساكر يصير لها الأعداء مثل الشيء اللَّقى(504)، وليكن أمركم على أتم عدة وأكمل استعداد، لتتوفر ـ إن شاء الله ـ جيوشكم عند تفاخر الأجناد، بتكاثر الأعداد. وقد يسر الله لكم ـ بحمد الله ـ الأقوات وبسط الأرزاق، وجمع لكم من الأعداد والعدد الوافرة ما تطمئن به النفوس

---

(495) سورة التوبة، الآيتان 121-122.

(496) قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بنا إلا إحدى الحُسْنَيَيْن﴾ (سورة التوبة، الآية 52).

(497) قال تعالى : ﴿فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يَغْلِبُوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، الآية 67).

(498) سمى الحمارتي معركة الأرك والزلاقة غزوة. وذلك من الناحية اللغوية مقبول، ولكن المتعارف عليه هو قصر الغزوة على المعركة التي شارك فيها رسول الله ﷺ. ومعركة الأرك وقعت في الأندلس بين المسلمين بقيادة أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن الموحدي، وبين النصارى بقيادة الأذفنش (ألفونس الثامن) ملك قشتالة سنة 591هـ، ودارت الدائرة على النصارى فانهزموا شر انهزام. (انظر: «**المعجب**»، صص. 404-406؛ و«**الإستقصا**»، ج 2، صص. 185-194).

(499) وقعت معركة الزلاقة عام 479هـ في الأندلس بين المسلمين بزعامة يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد والمسيحيين بزعامة الإذفنش (ألفونس السادس) ملك قشتالة. وكان النصر فيها حليف المسلمين (انظر: «**المعجب**» للمراكشي، صص. 195-200؛ و«**الإستقصا**»، ج 2، صص. 33-50).

(500) محق : محا. وفي نسخة : سحق، أي سهك ودَقَّ.

(501) ساقة الجيش : مؤخره، وطالعته: مقدمه.

(502) سورة آل عمران، الآية 139، وبداية الآية : ﴿ولا تهنوا...﴾.

(503) في نسخة : وجوههم.

(504) اللَّقى : المطروح.

من جميع الآفاق. وقد كان مَن قبلكم يجاهد بالعصا والمقلاع، فيسره الله لهذه الأمة لتوفير ثوابها وإظهار كرامتها بالسيف والرماح والمدفاع، ولتخلصوا لله نياتكم حتى لا يكون بساحتها طائف الشكوك والأوهام، وبرئوا النفوس من الحول والقوة. فإن الأمر كله للملك العلام.

ولتعلموا أن مولانا الإمام أيده الله قد أذاع النفير بالجهاد في سائر البلاد، واستنهض من جميع الجهات أهل الكفاح والجلاد، وهو ــ أيده الله ــ جادٌّ في أخذ الأهبة لهذا القصد الأسنى مؤكدا العزيمة في رفع قناع الذل عن وجه الحَنيفيَّة البيضاء موقنا أن الله يجمع له من عساكر المسلمين، ما يشرق به وجه الدين، ويدق به رقاب الكفرة المعتدين، وأن الله ــ جل ذكره ــ يصدقه فيهم وعده، وإن لم يكافحهم إلا وحده. فثقوا بهذا الأمل العجيب، ولا تكونوا في شك منه مريب، فخذوا أهبتكم بالبدار، بينما يصلكم انفصالنا عن الدار، واعملوا على العزم الذي لا يعقبه الندم، وعلى الصدق الذي يثبت لصاحبه القدم، ولا تصيخوا بأسماعكم لكل مرتاب يخاذل، ولا لكل مريب في إبطال الحق يجادل، فإن الله يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون[505]، والله يؤيدنا وإياكم بإعانته، ويَحفُّ[506] جميعنا في الظعن والمقام برعايته. والسلام. وفي غرة جمادى الثانية عام خمسة وعشرين وألف.

خطبة في على الجهاد

وأعددت في الجهاد خطبة يخطب بها عند تكامل جيوشه تحريضا عليه ورغبة[507] في كرامته وهي :

الحمد لله الذي وعد المومنين النصر والظهور، وجعله حقا عليه بمحض الفضل على مرور الأزمان والدهور. نحمده أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر[508] بضروب من البأس، ونشكره على ما أولانا من التأييد الباهر المشهور، يتوالى بتوالي الأيام والأعوام والشهور، والصلاة والسلام على سيدنا وملاذنا محمد ذي العز الممدود واللواء المنصور، الذي بعثه الله والحنيفية قد دَرَسَت[509] أعلامها، وتعطلت أحكامها، وتوقد[510] للجاهلية ضِرامُها[511]،

---

(505) قال تعالى : ﴿ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ (سورة يونس، الآية 82).

(506) يحف : يحيط.

(507) في نسخة : ومرغبة.

(508) قال تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله﴾ (سورة آل عمران، الآية 110).

(509) دَرَسَت : انمحت.

(510) في نسخة : توقدت.

(511) الضِّرام ــ ككِتاب ــ : دُقَاق الحطب أو ما ضعف ولان، أو ما لا جمر له، أو ما اشتعل من الحطب («القاموس»).

وعلا الآفاق قَتامُها، فأقام ﷺ اعوجاجها، وشرع إلى الرشاد منهاجها، وأحسن علاجها، ودعا إليها عشيرته الأقربين[512]، والأجانب الأبعدين، فمن أجاب قُبل، ومن عَنَدَ[513] قُتِل، صلى الله عليه وعلى آله أولي البأس والندى، وأصحابه الرحماء الأشداء[514].

أيها الناس ! إن أحق ما نَسَق[515] فيه البَطَلُ أقدامه، وأنفق فيه شجاعته وإقدامه، وأنضى[516] فيه سيفَه وسِنانه[517]، وأرسل فرسه في ارتياده وعنانه، جهادُ أعداء الدين الكفرة اللئام، والذَّبُّ عن حوزة المسلمين والإسلام، وقمع الطاغين وعبدة الأصنام، ومبادرة فك الثغور قبل أسر البطاح والآكام، وقد حث الحق سبحانه على هذا الصلاح الأعظم، وحَض في كتابه العزيز على حماية حماه الأعظم، فقال : ﴿قاتِلوا الذين يَلونكم من الكفار وليَجدوا فِيكم غلظة﴾[518]، وقال تعالى : ﴿فاقتلوا المُشركين حيث وجدتُموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كُلَّ مَرصد﴾[519]، وقال : ﴿قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يَدينون دينَ الحَقِّ من الذين أوتوا الكتابَ حتى يُعطوا الجِزية عن يدٍ وهم صاغِرون﴾[520]. وقال : ﴿يأيها النبيء جاهِدِ الكُفارَ والمُنافقِين واغْلُظ عَليهم﴾[521]، وقال : ﴿فإنْ تَولَّوا فخُذوهم واقتُلوهم حيث وجدتُموهم ولا تَتخذوا مِنهم ولياً ولا نَصيرا﴾[522]، وقال تعالى : ﴿ولا تهِنوا في ابتغاءِ القوم، إنْ تكونوا تالَمون فإنَّهم يَالَمون كما تالمون، وتَرْجونَ من الله ما لا يَرْجون﴾[523]، وقال جل من قائل : ﴿يأيها النبيء حَرِّض المومِنين على

(512) قال تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (سورة الشعراء، الآية 213).

(513) عَنَد : مال عن الطريق.

(514) قال تعالى : ﴿محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، الآية 39).

(515) نَسَق : نظَّم، يقال نَسَق الدر أي نظَّمه، ونسق الكلام أي عطف بعضه على بعض، ومنه عطف النَّسق. والمراد هنا بنَسْق الأقدام : تتابع الخطوات.

(516) كذا في النسخ المعتمدة. والصواب : «نَضَا» لا أنْضَى. يقال : نضا السيفَ يَنْضُوه، وانتضاه، ونضاه يَنْضيه بمعنى سَلَّه. أما أنضاه، فمعناه هَزَلَه، وأعطاه نِضْواً وهو المهزول من الإبل. وأنضى الثوب : أبلاه.

(517) السِّنان : حديدة الرمح.

(518) سورة التوبة، الآية 124.

(519) سورة التوبة، الآية 5.

(520) سورة التوبة، الآية 29.

(521) سورة التوبة، الآية 74.

(522) سورة النساء، الآية 88.

(523) سورة النساء، الآية 103.

القِتال، إنْ يكن مِنكم عشرون صابرون يَغلِبوا مِائتين، وإنْ تكن منكم مائةٌ يَغلبُوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقَهون، الآنَ خفَّف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، فإن تكن منكم مائة صابرةٌ يَغلبُوا مائتين، وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفينِ بإذن الله والله مع الصابرين﴾[524]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لَكم إذا قيل لكم انفِروا في سبيل الله آثاقَلتم إلى الأرض، أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾[525]، ووعد سبحانه على ذلك الأجر العظيم، والنعيم الدائم المقيم، فقال: ﴿إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يُقاتِلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقْتَلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومَن أوفَى بعهدِه من الله، فاستبشروا ببَيعِكم الذي بايَعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[526]، وقال تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ، عند ربِّهم يُرزقون فرِحين بما آتاهم الله مِن فضله﴾[527]، وقال: ﴿ما كان لأهل المدينة ومَن حولهم من الأعْراب أن يتخلَّفوا عن رسول الله ولا يَرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ذلك بأنهم لا يُصيبهُم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مَخمصةٌ في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظُ الكُفار ولا يَنالون من عدوٍّ نيلا إلا كُتب لهم به عمل صالح، إن الله لا يُضيع أجرَ المُحسنين، ولا يُنفِقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يَقطعون وادِيا إلا كتب لهم ليَجزيهم الله أحسن ما كانوا يَعملون﴾[528].

وذم سبحانه المُخلَّفين فقال: ﴿فرِحَ المُخلَّفون بمقعدهم خِلاف رَسول الله وكرِهوا أن يُجاهدوا بأموالِهم وأنفسهم في سَبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرِّ، قل نارُ جهنم أشدُّ حرا لو كانوا يفقهون﴾[529]، وأوعد الفارين فقال: ﴿ومن يولهم يومئذ دُبُرَه إلا مُتحرِّفا لقتال أو متحيِّزا إلى فئة فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنَّم وبيس المصير﴾[530]. وفي صحائح الآثار، قال ﷺ: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، وقاتلوا من كَفر بالله. اغزوا فلا تغُلّوا، ولا تغدروا ولا تمَثّلوا ولا تقتلوا وليدا. لغُدْوَة في سبيل الله أو رَوحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة»، ثم قال: «وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»، فقيل: وما هي

(524) سورة الأنفال، الآيتان 66-67.
(525) سورة التوبة، الآية 38.
(526) سورة التوبة، الآية 112.
(527) سورة آل عمران، الآيتان 168-170.
(528) سورة التوبة، الآيتان 121-122.
(529) سورة التوبة، الآية 82.
(530) سورة الأنفال، الآية 16.

يا رسول الله؟ قال : «الجهادُ في سبيل الله، ثلاثا، مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله، إن أبواب الجنة تحت ظل[531] السيوف، لولا أن أشُق على أمتي ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق، ولا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا من خير معاش الدنيا رجل يمسك عنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة[532] أفزعت طار إليها يبتغي القتل والموت مكانه ليس من الناس إلا في خير، من جهَّز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»[533].

وفي فضله قال رسول الله ﷺ : «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين، تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو[534] عَليَّ ضامن[535] أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده مَامِن كَلْمٍ يُكلمُ[536] في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم لونه لون دم وريحه ريح مسك[537]، والذي نفس محمد بيده لَوَدِدتُ أني أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرَى من الكرامات»[538]، فخذوا رحمكم الله من حظكم من هذه الآثار وتعلّقوا بصدقِ موعودِها في قتال أعدائكم.

---

(531) في نسخة : ظلال.

(532) هَيْعَة : صوت تفزع منه وتخافه من عدو.

(533) هذا الحديث ركبه الثمارتي من عدة أحاديث (انظر : «**صحيح البخاري**»، «كتاب الجهاد والسير»، ج 2، ص. 91 فما بعد ؛ و«**صحيح مسلم**»، «كتاب الجهاد»؛ و«كتاب الإمارة»؛ «**شرح النووي**»، الجز 12).

(534) في النسخ المعتمدة : هو.

(535) ضامن : قيل إن فاعلا هنا بمعنى مفعول، كما قيل في ماء دافق، وعيشة راضية، أي مدفوق ومرضية. وقد يقال إن ضامنا بمعنى ذا ضمان كلابن وتامر (انظر : «**إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**» لابن دقيق العيد، ج 4، ص. 226).

(536) ما من كلم يكلم : ما من جُرح يُجْرَح.

(537) في بعض الروايات : «لونه لون الدم، وريحه ريح المسك».

(538) ركب الثمارتي هذا الحديث من عدة أحاديث (انظر : «**صحيح البخاري**»، كتاب «الجهاد والسير»، ج 2، صص. 92، 93، 95؛ وكتاب «الإيمان»، ج 1، ص. 13؛ وانظر : «**صحيح مسلم**»، كتاب «الإمارة» ـ شرح النووي، الجزء 12، ص. 19 فما بعد).

وقد قام بهذه الفريضة بالمغرب ملوكه رضي الله عنهم من لدن إدريس الأكبر[539] أتم قيام، بطول أيامهم إلى ما يقرب من ألف عام ونيف، فنزل الأمر الذي ينسف الأقطار، ويجرفها جرف السيول والأمطار، طاعون السادس بعد الألف واستمر خناقه وعناقه إلى العام السادس عشر بعد الألف فلم يدع بنيانا إلا صَدعه[540]، ولا بابا إلا قرعه، ولا جمعا إلا فرقه، ولا ذا حال إلا طرقه، حتى اغتال ملكه المنصور، وكان الأسدَ الهصور[541]، فكسد[542] سوقه، ومُطِلت[543] حقوقه، وتعطلت مصادره وموارده، وطمست سبله ومعاهده، فركب أهله الهوان، وشملهم الخذلان، وأسر العدو ـ دمره الله ـ غرر بلاد العدوتين، وألقى عرشه بعرائشه[544]، وخنق حلق واديه بإحدى المعرتين[545]، وكان السبَبَ في ذلك الحادث المذكور مَوتُ أمير المومنين المنصور رحمه الله.

قصيدة في اعتناء ملوك المغرب بالجهاد

وقد أضفت لهذا التقييد منظومة تشتمل على دول من مضى من ملوك المغرب وبعض وقائعهم المشهورة واعتنائهم بالجهاد وحماية الإسلام في أيامهم ـ رحمهم الله ـ وهي: [الطويل]

ظِبـاءَ العقيـق حبكـن يزيـد وشوقي إلى أبطاحكن[546] عتيد[547]

---

(539) هو المولى إدريس بن عبد الله الكامل، المتوفى سنة 177هـ، هرب من العباسيين بعد انهزام آل البيت في موقعة فخ سنة 169هـ، وقصد المغرب، فالتف حوله المغاربة، وبايعوه، وكون أول دولة عربية مستقلة عن المشرق في المغرب سنة 172هـ (انظر : «الإستقصا»، ج 1، صص. 152-159).

(540) صدعه : شقه، لأن الصدع هو الشق في شيء صلب.

(541) الهصور : الشديد الذي يفترس ويكسر.

(542) هكذا في النسخ المعتمدة. والسوق وإن كانت مؤنثة، يجوز تذكيرها.

(543) مُطِلَتْ : سُوِّفَتْ وتأخر أداؤها.

(544) يقصد مدينة العرائش المغربية التي سلمها الشيخ المامون بن أحمد المنصور الذهبي للنصارى الإسبان، لما استنجد بطاغيتهم على أخيه السلطان زيدان. وقد أخلاها من السكان المسلمين، وقدمها للنصارى الذين دخلوها واستولوا عليها في رابع رمضان عام 1019هـ (انظر : «الإستقصا»، ج 6، صص. 20-21).

(545) المعرة : الإثم والأذى، والمَذَمَّة والمَساءة.

(546) البَطِح ـ ككَتِف ـ والبطيحة، والبطحاء، والأبطح : مَسيل واسع فيه دقاق الحَصَى جمعه أباطح، وبِطَاح، وبطائح. والجمع الذي استعمله التمارتي لم أجده في كتب اللغة التي رجعت إليها.

(547) عتيد : حاضر ومُهَيَّأ.

وهامت بكن اليوم كل تهامة[548] وحن لكن منحنى[549] وزرود[550]
وهمت بأمر الحزم مني حُشاشة[551] وجدَّ بي[552] حالٌ في الوفاء جديد
فإن تصل الأيام حبلي فإنني بكن على مر الزمان سعيد
سأدري الألى[553] يَسْكُنَّ غور تهامة وأبدئ في أخبارها وأعيد
إذا ما صبا بُطنانٍ[554] مكة هَبَّةً[555] على شجر الغَرْبين[556] أورق عود
سرت فأسرَّت للفؤاد لذيذةً أحاديثَ جيران العُذيب[557] ترود[558]
أتت مغربا من مشرق فتعوَّذَتْ من الله نصرا والسلام[559] سُعود
بإدريس سبط المصطفى طلعت به شموس الهدى فازدان ربع وبيد[560]
حلَّى جِيده من بعد ما كان عاطلا بعقد التُّهى فألتاق[561] عقد وجيد[562]
وبوأ منه الدار وانعقدت به مفاخره وارتاض بيض وسود

---

(548) تِهامة : أرض أولها ذات عِرْق من قِبَل نجد إلى مكة، وما وراءها بمرحلتين أو أكثر، ثم تتصل بالغور، وتأخذ إلى البحر. ويقال إن تهامة تتصل بأرض اليمن، وإن مكة من تهامة اليمن. قيل اشتقت تهامة من تَهِم اللبن واللحم أي تغير وأنتن، لأنها انخفضت عن نجد فتغيرت ريحها؛ وقيل اشتقت من تهم الحر، أي اشتد مع ركود الريح، لشدة حرها («المصباح المنير»، مادة «تهم»).

(549) المنحنى : أرض لغطفان («معجم ما استعجم»، ج 3، ص. 981).

(550) زرود : جبل رمل بين ديار بني عبس، وديار بني يربوع (المصدر نفسه، ج 2، ص. 696، ج 3، ص. 914).

(551) الحُشاشة : بقية الروح في المريض والجريح.

(552) في بعض النسخ : وجد لي.

(553) في النسخ المعتمدة : «الأولى». وما أثبتناه هو الصحيح. وقد جمع به المنارتي «التي» وإن كان في الأصل جمعا للذي، وذلك جائز، لأن «الألى» و«اللائي»يتقارضان، كما هو مقرر في كتب النحو.

(554) الباطن من الأرض : ما غَمَض، جمعه أبطنة وبُطنان. ومسيل الماء في الغلظ جمعه بُطْنان.

(555) أي هبت هبَّةً.

(556) الغَرْب : شجرة حجازية ضخمة مشاكة، قيل ومنه : لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق («قاموس»). ويبدو أن مراد المنارتي بالغربين المغربين : الأقصى والأوسط.

(557) العُذَيْب : ماء وأربعة مواضع.

(558) ترود : تطوف. وهذا البيت أخذه المنارتي من قول ابن الفارض :

سرت فأسرت للفؤاد غديـة أحاديث جيران العـذيب فسرَّتِ

(«ديوان ابن الفارض»، ص. 17).

(559) في نسخة : واستقام سعود.

(560) بيد : جمع بيداء : وهي الفلاة.

(561) التاق : المراد به تلألأ. ولا يرد التاق بهذا المعنى في اللغة.

(562) جيد : عنق.

رشيد فاس[563] العلم والحسن والبها	وأوثق رسم الدين منه «رشيد»[564]
ومن بعدهم لمتونة[565] المجد أضرموا	على الكفر نارا جُرعتها كبود
حماة كماة[566] للهيجاء صدورهم	وللفر أوفارُ[567] العداة تعود
تحاموْا بلاد العدوتين من العِدى	وقام بنصر الدين منهم أسود
راحوا وطيسا في لبيط[568] وأزلقت	بأقدام شرك في الزلاقة[569] عود
وأمست عشاء للرماح وللظُّبا[570]	حشود الضليل «الفنش»[571] وهو شريد

---

(563) تعتبر فاس منذ تأسيسها على يد إدريس الأصغر سنة 193هـ، عاصمة المغرب العلمية. وذلك يعود إلى جامع القرويين الذي كان منار إشعاع علمي منذ تأسيسه سنة 248هـ. (انظر : «المغرب» للصديق ابن العربي، صص. 17–18).

(564) رشيد : المراد به راشد مولى إدريس الأول أتى معه من المشرق إلى المغرب. وهو الذي كفل إدريس الثاني وتولى تربيته وتكوينه. وقد دَسَّ له إبراهيم بن الأغلب ـ عامل هارون الرشيد على إفريقيا ـ من أعطاه السم فمات. وفي ذلك قال ابن الأغلب :

ألم ترني أرديت بالكيد راشدا	وإني بأخرى لابن إدريس راصد
تناوله عزمي على نأي داره	بمختومة في طين المكائد
....	.... إلخ.

(من مقال «أدب الأدارسة» للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بمجلة «دعوة الحق»، ع. 240 ذو الحجة 1404هـ/ شتنبر 1984م، ص. 93).

(565) لمتونة : قبيلة صنهاجية ينتمي إليها مؤسس دولة المرابطين : يوسف بن تاشفين. والمراد بلمتونة هنا : المرابطون.

(566) كماة : جمع كَمِي وهو الشجاع، أو لابس السلاح.

(567) أوفار العداة : جموعهم الكثيرة.

(568) لُبيط : المراد حصن لبيط الموالي لمملكة ابن عباد في الأندلس، شحنه الإذفونش، ـ بعد انهزامه في الزلاقة ـ بالخيل والرجال والرماة، وأمرهم أن يغيروا على أطراف بلاد ابن عباد، انتقاما منه، لأنه السبب في جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس. فضاق ابن عباد بذلك، واستدعى يوسف بن تاشفين. فعبر إلى الأندلس للمرة الثانية، وحاصر حصن لبيط أربعة أشهر، ولم يتمكن من فتحه، لاختلال أمر المحلة بسبب شنآن وقع بين ابن عباد صاحب إشبيلية، وابن عبد العزيز صاحب مرسية. ووقع هذا الحصار سنة 481هـ. (انظر : «الإستقصا»، ج 2، صص. 51–52).

(569) الزلاقة : أرض بالأندلس بقرب قرطبة، وقعت فيها معركة الزلاقة المذكورة في ص. 348، هامش 499.

(570) الظُّبا : جمع ظُبَة وهي حد السيف والسنان ونحوهما.

(571) الفنش : المراد به الإذفنش ـ الفونس السادس ـ ملك المسيحيين الذي نازله ابن تاشفين في معركة الزلاقة (انظر : ص. 348، هامش 499).

عليه بُزاةُ الغرب يوم تصرصَروا[572] صواعق[573] عاد إذ عتت وثمود[574]
يعايـن من فوق الثنيـة عشه تقاسمه الأبطال وهـو نكيـد
فآسفَ يوسفُ[575] النصارى وعلَّها[576] عليٌّ[577] بأكـؤس الـردى لتبيـد
ذوت[578] سرحات[579] الروم من بعد ينعها[580]
بعمـرها واستـاء[581] بيض وغيـد[582]
وأضحت كماة الكومي[583] تعدو على العِـدى
ويـنصب عزمـا للوغـى ويكيـد
وما زال يرمي الروم في شقوة الردى ويقطـع أوداج الـطُّلى[584] ويبيـد

---

(572) تصرصروا : يريد صرصروا أي صَوَّتوا وصاحوا بشدة، قال جرير يرثي ابنه سَوَادة :
ذاكم سَوَادة يجلـو مقلتـيْ لَحِـم بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَـرْقَبِ العَالِـي
(«لسان العرب»، مادة «صرر»).

(573) صواعق : جمع صاعقة وهي كل عذاب مُهْلِك.

(574) يشير إلى قوله تعالى : ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ (سورة فصلت، الآية 12).

(575) يوسف : السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين الذي تولى ملك المغرب سنة 462هـ، وتوفي سنة 500هـ (انظر جوانب من شخصية يوسف بن تاشفين في كتاب «جولات في تاريخ المغرب» لعبد القادر الصحراوي، صص. 37-65).

(576) علها : سقاها مرة بعد أخرى.

(577) علي : السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين الذي تولى الملك بعد وفاة أبيه عام 500هـ، وتوفي عام 537هـ (انظر في شأنه «الإستقصا»، ج 2، ص. 61 فما بعد).

(578) ذَوَت : ذبلت.

(579) سرحات : شجرات.

(580) ينعها : نضجها.

(581) في النسخ المعتمدة : واشتاء. ولم يتضح معناه، إلا إن قصد به «أشتى» أي دخل في الشتاء. والتصويب مني.

(582) غِيد : جمع غَيْداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية لينا.

(583) الكَومي : عبد المومن بن علي الكَومي. وله سنة 487هـ بقرية «تاجرا» من أعمال تلمسان. اتصل بالمهدي بن تومرت عند عودته من المشرق فرافقه إلى المغرب وهيأه لخلافته. تولى ملك المغرب بعد وفاة المهدي سنة 524هـ وتوفي سنة 558هـ (انظر : أخبار عبد المومن في «الإستقصا»، ج 2، صص. 99-145؛ و«المغرب عبر التاريخ» لإبراهيم حركات، ج 1، صص. 260-268).

(584) الطُّلَى : الأعناق، مفرده طُلْيَة.

وبالأرك[585] المنصور[586] أعقب عِزَّةً | لها خضعت أذقانهم وخدود
فإدفنش إذ فشا به الغدر واثبا | تقضّ عليه الصقر وهو بعيد
فلم يتركوا للشرك من بعد دارةً | ولا مُدْرىً[587] يعلونه فيفيد
وأسد العَرِين[588] من مرين[589] سمت بهم
لتلك المعالي همة لا تميد[590]
لهم في بلاد الشرك من كل شارع | مَشارعُ بيضٌ والوقائعُ سُود
إذا ما اكتست أبطاحها بجيوشهم | غدا النصر في الأبطاح[591] وهو يقود
وشانجة[592] ألقى لها السَّلم[593] من شجىً
سليم الحشا تحت الصغار مقود
وغادره عبد العصا[594] بعد نخوة | حروبٌ جرت من أجلهن نكود
كأنّ جياد المسلمين مُفيضة[595] | على برة[596] بالمندبات[597] رعود

(585) انظر معركة الأرك، ص. 348، هامش 498.

(586) المنصور : هو السلطان الموحدي يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي الذي بويع بعد وفاة والده يوسف سنة 580هـ، وتوفي سنة 595هـ (انظر: أخباره في «**الإستقصا**»، ج 2، صص. 158–206).

(587) مُدْرَى : من قولهم ادَّرَوْا مكانا، أي اعتمدوه بالغارة والغزو. («**لسان العرب**»، مادة «درى»).

(588) العرين : مأوى الأسد.

(589) مرين : بنو مرين الذين حكموا المغرب بعد الموحدين (انظر : «**الإستقصا**»، ج 3 وج 4؛ «**المغرب عبر التاريخ**»، ج 2، ص. 8 فما بعد).

(590) تميد : تتحرك وتضطرب.

(591) في نسخة : البطاح.

(592) شانجة : من الشَّنَج الذي هو تقبض الجلد؛ وفرس شَنِجُ النَّسا : متقبضه. وهو مدح له، لأنه إذا تقبض نَسَاه وشَنِجَ لم تستخرج رجلاه («**لسان العرب**»، مادة «تشنج»).

(593) ألقى لها السلم : انقاد لها واستسلم.

(594) عبد العصا : أي العبد الذي يضرب بالعصا. قال المتنبي :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه | إن العبيد لأنجاس مناكيد

(«**ديوان المتنبي**» بشرح البرقوقي، ج 2، ص. 144).

(595) مفيضة : مندفعة ومسرعة.

(596) بَرَّة : مبق، وهي الخير والإحسان والصدق والطاعة. ولعل الكنارتي يقصد بيق «البرت» الأندلسية من نواحي طليطلة.

(597) المندبات : من أندبه الجرح، أي أثر فيه.

وأجروا على الخضراء[598] غوثا معجلا	فسُرِّي[599] عنها البؤس وهو قعيد
كذاك أمير المومنين محمد[600]	حمى المغربين[601] بالحسام يذود
حمى كل ثغر من ثغور بلاده[602]	بأسد الشرى[603] تغتالهم وتصيد
وكبَّ بكبتان النصارى بدارها[604]	على وجهه فاجترَّ وهو قديد
أدار بها الحران[605] من كل وجهة	صقور الوغى فاعتز منها شرود
وطوقها التوحيد من بعد غصِّها[606]	بتثليثهم فالكفرُ منها فقيد
وتم اعتصام المسلمين ونصرهم	بمعتصم[607] إذ فاجأتهم جنود[608]
فصال عليهم بالجيوش وعزمه	يباري مضاء السيف وهو بعيد
يناضل حتى جاد عنهم بنفسه	وصار بها لِلّهِ وهو شهيد

(598) الخضراء : الجزيرة الخضراء. والمراد الأندلس كلها.

(599) سُرِّيَ : انكشف وزال.

(600) محمد : المراد به السلطان السعدي أبو عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ ابن أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله. تولى ملك المغرب سنة 946هـ واغتاله الأتراك سنة 964هـ (انظر : «الإستقصا»، ج 5، ص. 19 فما بعد).

(601) المغربين : الأقصى والأوسط. حاصر الشيخ تلمسان تسعة أشهر وفتحها سنة 957هـ (انظر : «الإستقصا»، ج 5، ص. 25).

(602) فتح فونتي سنة 947هـ، وفتح آسفي سنة 948هـ، وفتح أزمور وأصيلا (انظر : «الإستقصا»، ج 5، ص. 19 فما بعد).

(603) الشرى : طريق في سَلْمَى كثيرة الأسد، وجبيل بتهامة كثير السباع (القاموس).

(604) اعتبار الشاعر الثغور المغربية التي أُجلي عنها النصارى، دار النصارى، غير سليم. ومنشؤه طول مكث النصارى بها. فحصن فونتي بأكادير – مثلا – فتحه الشيخ السعدي بعد أن أقام فيه النصارى 72 سنة («الإستقصا»، ج 5، ص. 19).

(605) الحران : أحد أولاد محمد الشيخ السعدي، واسمه أبو محمد عبد القادر، «وهو الذي كان يتقدم للحرب، ولم يفتح والده من البلاد إلا ما فتح له على يده». وقد قتل وهو يحاصر تلمسان («الإستقصا»، ج 5، صص. 24–25).

(606) في نسخة : غمها.

(607) معتصم : السلطان السعدي أبو مروان عبد الملك المعتصم بالله بن محمد الشيخ. الذي انتزع الملك من ابن أخيه أبي عبد الله محمد المتوكل ابن عبد الله الغالب بن محمد الشيخ، سنة 983هـ ومات في معركة وادي المخازن سنة 986هـ (انظر أخباره في «الإستقصا»، ج 5، ص. 59 فما بعد).

(608) يقصد جيوش سبستيان ملك البرتغال الذي استنجد به أبو عبد الله محمد المتوكل بن عبد الله الغالب، فجاء بجيش جرار بلغ عدده – على ما قال ابن القاضي في «المنتقى المقصور» – خمسة وعشرين ألفا ومائة ألف، وخاض به معركة وادي المخازن.

وبـالملك المنصور[609] شيـد منـزلا — من العِـزِّ بالغـربَين ليس يبيـد

لدون سبستيـان ألقـى حشوده — بوادي المخازي إذ خزتـه[610] قرود[611]

فعـاد صريعـا بينهن تنـوشه — هنالك ذؤبان[612] الفلا وخلود[613]

فلـم يتـرك الحسام للشرك هامـة — هنـاك ولم تنـدب للسلـم عقـود

كأن مثـار النقـع فوق رؤوسهـم — سحائب لكـن قطْرُهـن[614] حديـد

فكم من ديـون قد قضتها سيوفهـم — على الكفـر لم تُمطَـل بهن عهـود

وكم نسفـوا من قريـة بعـد قريـة — من أرض النصارى[615] والأيام شهود

روينـا عن أبنـاء الزمـان حروبهم — أحـاديث منها قائم وحصيـد[616]

وقد أفلَتْ[617] تلك المعالي شموسُها — وضم بنيها في الوِهَـادِ[618] لحود

وسامنا سوء الهُون من كل تُرعةٍ[619] — بنو اللؤم خالوا[620] ما بغِيلٍ[621] أسُود

فعَـرُش منهم بالعـرائش ثلـة — شجت كل حلـق، والفـؤادَ تذيب

تدب الضراء ضاريـات كلابها — أباهمهم[622] تزيار[623] منها حدود[624]

---

(609) المنصور : السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ. تولى ملك المغرب سنة 986هـ، وتوفي بالطاعون سنة 1012هـ (انظر أخباره في «الإستقصا»، ج 5، صص. 89–194).

(610) هكذا في النسخ المعتمدة، والصواب من الناحية اللغوية : أخزته.

(611) في بعض النسخ : قلود.

(612) ذُؤبان : جمع ذئب.

(613) خلود : جمع خُلْد، وهو ضرب من القِبرة، وضرب من الفِئرة.

(614) قطرهن : مطرهن. والشطر الأول من هذا البيت مأخوذ من قول بشار بن برد :

كأن مثـار النقـع فوق رؤوسهـم — وأسيافنـا ليـل تهاوى كواكبـه

(«ديوان بشار»، جمع وتحقيق محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1، ص. 355).

(615) اعتبر التمنارتي الشواطئ المغربية أرض النصارى لطول مدة احتلالهم لها. (انظر الهامش 604).

(616) وظف التمنارتي في هذا البيت قوله تعالى : ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ (سورة هود، الآية 100). والقائم : الباقي والعامر، والحصيد : الداثر والهالك.

(617) أفلت : غابت.

(618) الوهاد : جمع وهدة، وهي الأرض المنخفضة، والهُوّة في الأرض.

(619) تُرعة : باب.

(620) في نسخة : قالوا.

(621) الغيل : الشجر الكثير الملتف، أي الغابة.

(622) في نسخة : باهمهم.

(623) تزيار : لعله من الزِّيار، وهو شِناق يَشُد به البيطار جحفلة الدابة.

(624) في نسخة حرود. ولعل التمنارتي أخذه من الحَرْد الذي هو الغضب. ومعنى البيت لا يخلو من غموض.

فيـــا لأسود المغـــــربين تنبهوا ... فقـــد طال ما أنتم في الغيـــل رقـــود

ويـا أخوينـا عبـــد شمس ونوفـــلا[625] ... أجيبوا فقـــد دعـا الـــرشاد وسودوا

لدى مثلهـا تُنضى السيـوف مع القنـــا ... ويلـــبس فيها مِغفـــر[626] وزُرود[627]

وشهب وشقـر واضحـات شِيـاتها[628] ... وجُـرد[629] لها منها عليها شهـــود[630]

جياد يدعن رسم رسم[631] دارسا[632] ... ويعلـو بها القشتيـل[633] يومـا وقـود

وتملأ أرض الـــروم رعبـــا وهـــزة ... وتبـــدئ في أكنافهـــا وتعيـــد

فتلك التي يلهـــو بها الحر جاهـــدا ... وينفـــق فيها طارف وتليـــد

هي الجسم تِبراً والقـــوائم درة ... وفي المتـــن حرز والفـــؤاد جليـــد

وأسد تلـــف النـــار في جنبـــاتها ... لها وهي تمشي في الضرام وَئيـــد[634]

إذا أقلق الأبطال في الحرب عدوُهـــا ... ركدن[635] ومن أشداقِهنّ هديد[636]

خفافا ثقالا فانفـــروا[637] وتجهـــزوا ... أمامكـــم الـــنصر العزيـــز يقـــود

لئن أخلـدت منـا النفـــوس إلى الثرى ... فأنّـــى لنـــا دارَ الـــنعيم خلـــود؟

(625) الشطر الأول مأخوذ من قول طالب بن أبي طالب في قصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ ويبكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر :

فيـــا أخوينـــا عبـــد شمس ونوفـــلا ... فِدىً لكما لا تبعثـــوا بيننـــا حربـــا

(«سيرة ابن هشام»، ج 2، ص. 396).

(626) المِغْفَر: زَرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حَلَق يتقنع بها المتسلح.

(627) زرود : جمع زَرَد، وهو الدرع المزرودة (ومعنى زَرَد الدرع : سَرَدها).

(628) شياتها : علاماتها، وأصل الشية : وشية. وشية الفرس : لون فيه يخالف سائر لونه.

(629) جُرْد : جمع أجرد، والفرس الأجرد هو القصير الشعر الرقيقه، والسبّاق.

(630) هذا البيت مأخوذ من قول المتنبي :

وتسعـــدني في غمـــرة بعـــد غمـــرة ... سبـــــوح لها منها عليها شواهـــــد

وهو من شواهد البلاغة (انظر: «الإيضاح» للقزويني، ج 1، ص. 78).

(631) رسم : ملك الفرس. ولعله يشير إلى قصة ربعي بن عامر الصحابي مع رستم في القادسية (انظر هذه القصة في «تاريخ ابن جرير الطبري»، ج 3، ص. 33؛ و«البداية والنهاية» لابن كثير، ج 7، ص. 38؛ و«إتمام الوفاء بتاريخ الخلفاء» للخضري، ص. 79 فما بعد ؛ و«حياة الصحابة»، للكاندهلوي، ج 1، صص. 190-191، ج 3، ص. 608 فما بعد).

(632) دارسا : زائلا ومنمحيا.

(633) القشتيل : لعل المقصود بالقشتيل القشتاليون المسيحيون. وفي نسخة : التشغيل.

(634) الوئيد : الصوت، أو العالي الشديد، والرزانة والتأني. وفي النسخ المعتمدة : وبيد. ولا يستقيم معه المعنى.

(635) ركدن : سكن وثبتن.

(636) الهديد : المراد به الصوت الغليظ.

(637) قال تعالى : ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ (سورة التوبة، الآية 41).

وإن نكصت عن الجخادب[638] خِيفةً ... عساكرنا يخشى علينا وعيد
وكيف ووعد الله بالنصر صادق[639] ... لنا به تعلو الكافرين هُنود[640]
كأني بأجبال النصارى تدكدكت[641] ... إذا نشرت يوما علينا بنود
فإن تمتروا فادروا مشاهد من مضى ... تهد عزما ضل عنه بليد
وأشفت بنا على الردى لولا أنها ... تداركها أبو عثمان سعيد[642]
تخطفها من لجة الهول نجله ... أبو الفضل يحيى[643] والبلاد تميد
أتاها وقد أغضت جفونا على القذا ... فأصبح منها الطُرف[644] وهو حديد
شفاها من الداء العُضال الذي بها ... وأنشر ميتاً بالرجام يؤود[645]
شفاها مما تشكوه من أزمة الضنا ... وألقى إليها السمع وهو شهيد[646]
وأطلَعَ بدراً تمّ في حلك الدجى ... فسارت به الركبان حيث تريد
وحصحَص[647] فيها الحق لا كيد خائن ... وأدبر عنها بالحُصَاص[648] مَريد
إمام يراه البر للمجد قبلة ... ويخجل منه البحر حين يجود
فهل يا أولي الأحلام[649] يرعى ذمامها ... سوى من له في المكرمات جدود؟
وَجُودٌ ومجد وانتباه ونجدة ... وعزم وحزم قارنته سعود
إلى ما حباه الله من كل حكمة ... وحلم به يعلو الورى ويسود

---

(638) الجخادب : جمع جُخْدُب وجُخْدَب، أي الأسد.

(639) يشير إلى قوله تعالى : ﴿وكان حقا علينا نصر المومنين﴾ (سورة الروم، الآية 46)، وقوله تعالى : ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (سورة الحج، الآية 38).

(640) هنود : المراد السيوف المهندة، أي المشحوذة.

(641) تدكدكت : تهدمت.

(642) المراد جد يحيى الحاحي أبو عثمان سعيد بن عبد المنعم المنانيْ الحاحي أحد فحول التصوف في القرن العاشر الهجري (انظر ترجمته في ص. 153).

(643) الأمير يحيى الحاحي الذي سبقت ترجمته في ص. 157.

(644) الطُرف : العين.

(645) في بعض النسخ : مؤود.

(646) قال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (سورة ق، الآية 37).

(647) حصحص : بان وظهر.

(648) الحُصاص : الضُراط، وشدة العدو. وظف التمنارتي هنا قوله ﷺ : «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط، حتى لا يسمع التاذين... الحديث» (متفق عليه).

(649) في بعض النسخ : الأرحام.

لقــد ظفــر الــرُّوادُ منــه بمطــلب   يعز على الشّعـرى العَبــور[650] ترود
حلى جيدها من بعد ما كان عاطلا[651]   فراق بذاك الجيـــد منها وجـــرد
هو الشرعة البــيضاء من لم يدن بها   فإيمانه لغــو والعُــرف[652] جحــود
هو الطب للدهر الــعسير علاجــه   ونهج إلى دار الـسلام سديـــــد
هو السّلــم للأنــام من علــوائها[653]   إذا المُرتقى في المعضلات صَلود[654]
له الطائر[655] الميمون في كل طلعــة   وسانح[656] زجر[657] بالوئام سعــود
وهــذا[658] بنـو الآمال جاءوك رغبــة   لتجمـــع شملا فرقتـــه حقـــود
تذُبُّ[659] به عن بيضة رِيمَ[660] كسرها   وتحمـــي آرامـــا[661] رامهـــن قرود
تدافـــع عن أحسابهم وتلمهـــم   على شعث والــقصد فيك وحيــد
دعتك قلوب المسلـمين وأخــلصت   لِتجبر صدعــا بان منــه وَريــد[662]
ومدث إلــى الله الأكــف ضراعــة   فقـــال لهن الله : ذاك أريـــد

(650) الشّعْرَى : كوكب نير يقال له المِرْزَم، يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر. وهما شِعْرَيان : الشّعْرَى العَبُور التي في الجوزاء، والشّعْرَى الغُمَيْصاء التي في الذراع. وتزعم العرب أنهما أختا سُهَيل. وقد عبد الشعرى العبور طائفةٌ من العرب في الجاهلية فأنزل الله تعالى : ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ (سورة النجم، الآية 48). وسميت عبورا لأن العرب تقول إنها عبرت السماء عرضا، ولم يعبرها عَرضا غيرها. أما الغميصاء، فقد سميت بذلك لأن العرب تزعم أنها بكت على أثر العبور حتى غمصت (انظر : «لسان العرب»، مادة «شعر»).

(651) قارن هذا الشطر بالشطر الأول من البيت العاشر (ص. 354)، تلاحظ التكرار.

(652) العرف : المراد به أعراف القبائل التي يضعها أعيانها (إنفلاس)، ويحتكمون إليها، وستأتي فتوى للتمنارتي في موضوع هذه الأعراف (انظر : ص. 462).

(653) هكذا في النسخ المعتمدة. ولعله : غلوائها. وغلواء الشباب : أوله وشِرَّته. قال طفيل :

فمشوا إلى الهيجـــاء في غلوائهـــا   مشيَ الليوث بكــل أبيضَ مُذهَبِ

(«لسان العرب»، مادة «غلا»).

(654) صلود : صلب، أملس.

(655) الطائر : الحظ، وما تيمّنت به أو تشاءمت.

(656) سانح : من سَنَحَ الطائر : جرى على يمينك إلى يسارك، والعرب تتيامن بذلك. قال ابن فارس : السانح ما أتاك عن يمينك من طائر وغيره («المصباح المنير»، مادة «سنح»)، وعكس السانح :البارح.

(657) زجر : المراد زجر الطير للتيمُّن بسُنُوحها، والتشاؤم ببُروحها.

(658) هكذا في النسخ المعتمدة. ولو قال «أولاءِ» ـ بدل «وهذا» ـ، لكان أحسن وأسلم.

(659) تذب : تحمي وتدافع.

(660) رِيمَ : أُرِيد.

(661) آراما : ظباء.

(662) وَرِيد : عِرْق في العنق ـ وهما وريدان.

تعـزز بالأبطـال[663] والفئـة التـي	تصلب منها في الملاحـم عود
وما دريته[664] أن يشدو[665] إلى العدى	عزائم يرمـي موجهـا ويعـود
وقد رسم الأعـداء في كل طرة[666]	وحـقٌّ علينـا محُوهـنَّ أكيـد
فلا العـيش يحلـو والمنـام نلـذه	إذا كانت الأخنـا[667] علينـا تشيـد
ولا البيض[668] تزهـو والمصانع كلها	ولا سُرَّ كهـل عندهـا ووليـد
وكيـف وحـزب الله لابـد ظافـر	ومـاذا التلكي[669] والجنـود جنـود؟
أيجمل بالأبطـال من سُوسِها[670] التي	لها الفخـر قِدماً في الهيـاج قعـود؟
وبـالضاربين الهامَ[671] من كل فاتك	من العُرب ذي الغُرِّ العتاق[672] رُكود؟
بل[673] نحن كنـا أهلهـا سنشدهـا	ونُسْحِتُ[674] يومـا ما بنتـه قرود
فللـه من وافى الجهـاد مصدقـا	بما قال قبـل في البراع لبيـد[675]

(663) في ديوان المختارتي : ألم يان للأبطال.

(664) كذا في النسخ المعتمدة. وفي الديوان : ومادريثه. ومعناه غير واضح،

(665) في نسخة : أن يشد. وفي نسخة : أن يشيروا.

(666) يقصد بهذه العبارة أن الأعداء استولوا على الشواطئ المغربية.

(667) هكذا في النسخ المعتمدة. والخنا : الفحش في القول. وأخنى عليهم الدهر : أهلكهم وأتى عليهم؛ وأخنى فلان بفلان : أسلمه، وخفر ذمته.

(668) البيض : السيوف، مفردها أبيض.

(669) التلكي : التباطؤ والتقاعس.

(670) المراد إقليم سوس المعروف.

(671) الهام : الرؤوس، مفردها هامة.

(672) العِتاق : النجائب من الخيل.

(673) في بعض النسخ : فإن نحن.

(674) نُسْحت : نستأصل.

(675) لبيد : هو الشاعر المخضرم أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري. قدم على النبي ﷺ في وفد بني كلاب، فأسلم. وأقام في آخر عمره بالكوفة، وبها توفي ـ قيل في أول خلافة معاوية (ض) ـ («الشعر والشعراء»، ص. 123). ومراده بما قال لبيد، قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطـل	وكل نعيم لا محالـة زائـل

وهو من قصيدة مطلعها :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول	أنحب فيقضى أم ضلال وباطـل

(انظر: «الشعر والشعراء»، ص. 125 ؛ و«شرح الأشموني على الألفية، بحاشية الصبان»، ج 1، صص. 28—29).

وصَدَّقه خير البرية[676] قائلا : عليه الصلاةُ ما تفوح ورود
وآلٍ وصحبٍ والسلامُ عليهمُ سلام يباري المسك منه ورود
فدونكها شبه الشروق كأنها عليها من أنواع الجمال بُرودُ

وقد اشتملت هذه المنظومة على دول ملوك المغرب من أولهم إلى آخرهم. فإن فتح الله فيمن يكمل فائدتها بشرحها، زادها حسنا.

رجوع الجيوش السوسية من إمي نتانوت دون تحقق الغرض من استنفارها

وعندما تجمعت جيوش قبائل سوس بالإستنفار، نهض بهم شيخنا للغرب بنية الغزو، ولما نزل بهم «إيمي ن تانوت»[677] أتته رسل أمير مراكش بالتريث حتى يجمع جيوش الغرب فيقع اتفاق الجميع، فرجع ولم يتم [شيء][678] في ذلك الغرض لتخاذل جرى به الدهر فنسأل الله البر الرحيم أن يَلْطُف بنا حتى لا تلحق هذه العدوة بعدوة الأندلس.

التمنارتي يتولى قضاء سوس

ولما تم له أمرسوس، قدمني لقضائها، فوجدت قاعدتها تارودانت قد دَثَرَتْ[679] محاسنها، وغلب على عَذْبها آسِنها[680]، معكوسة الرجاء من سائر الأرجاء، معطلة الأحباس عن سائر الأجناس، وكسد بها سوق العلم والفضل، ونفق سوق الغي والجهل، وسعيت في رَمِّ[681] داثرها، وأعملت وجوه التصرف في تعمير[682] غامرها[683]، حتى بهج جمالها، وعاد إليها كمالها، وصلّت وظائفها الدينية إلى قبلتها، واستقرت مرافقها على مِنصَّتها، وأشرق بها وجه الدين، وتنافس في المعارف طوائف الطالبين، ونمت أحباسها من العشر إلى العشرين، واغتبط بها كهول الطلبة وشبان التمرين.

---

(676) يشير بذلك إلى قوله ﷺ ـ فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ : «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد ابن أبي الصلت أن يسلم» (انظر : «الأشموني على الألفية»، ج 1، ص. 28).

(677) إيمي نتانوت : قرية كبرى من قرى الأطلس الكبير، تبعد عن مدينة مراكش بحوالي 118 كلم، وعن مدينة شيشاوة بحوالي 44 كلم، تقع على الطريق الرئيسة الرابطة بين مراكش وأكادير عبر أمسكرود. (انظر: «المغرب» للصديق بن العربي، ص. 50)، وهي الآن مدينة صغيرة جميلة، ذات مناظر خلابة.

(678) في النسخ المعتمدة : ولم يتم في ذلك الغرض. وما بين المعقوفين اقتضاه المعنى.

(679) دَثرت : اندثرت وامّحت.

(680) الماء الآسِن : الآجن، المتغير الطعم واللون.

(681) رَمّ : إصلاح.

(682) في النسخ المعتمدة : في عامر.

(683) الغامر : الخراب، والأرض التي لا نبات فيها ولا زرع.

غزل التمنارتي وضياع أموال الأحباس

فسعى بها الكالح(684) الطريد، والفَدْم(685) الشريد، وقال للأمير : إن وَفْرَ الأحباس كثير، كيف يترك إلى نظر القاضي وفيه معونة لجيشك الذي إذا قام قامت الأحباس وغيرها، فرنت في أذنه، وضمها إلى ردنه، فجعل يامر بصرفها على الجيش ويكاتب بذلك فلا أقبل، فقال له الساعي : لا يتأتى لك الغرض إلا بعزله ففعل. فقدم عليها طالبا مسرفا فأتلفهَا وعادت لقلتها في نحو سنتين، ورجعت تلك المحاسن إلى دثورها، ونسجت عليها عناكب الإهمال بستورها، ثم هرب المسرف الذي قدموا عليها فندموا ورأوا أمرهم تسافل(686) بذلك فراموا الإقالة فما وجدوا، فقلت : [الطويل]

أتبكي على سُعْدى وأنت تركتها ... وقد ذهبت سعدى فما أنت صانع
فـارقتها من غير ذنب أتت به ... فأنت كآتٍ حتفه وهو طائع(687)

عودة التمنارتي إلى القضاء

ثم انقرض أمرهم قريبا بوفاة شيخنا رحمه الله، وَوَلِيَ بعده الأمير أبو الحسن علي بن مُحمد مَحمد ابن الشيخ الولي الصالح الرباني الشهير البركة والكرامات أبي العباس أحمد بن موسى الجزولي السملالي(688) نفعنا الله به، فقدمني للقضاء بها أيضا، فأعادها الله سيرتها الأولى، وردَّ عليها طريقتها المثلى، وقعدت على منصة علاها، وترفلت في بهجة حلاها.

التمنارتي والكاشحون

فبينما هي كذلك إذ راغ بها الكالح المذكور فتحيل على الوالي بها باستخراق(689) كتاب عن الأمير بعزلي وتقديم من سولت لهم نفوسهم، فأغلقت

(684) الكالح : المتكشر في عبوس.

(685) الفدم : الغليظ الأحمق الجافي. في النسخ المعتمدة : الفد، ولا معنى له.

(686) في نسخة : سافلا.

(687) البيتان لسعدى، زوجة الوليد بن يزيد، أجابت بهما عن بيتين بعث بهما إليها الوليد بعد أن طلّقها وتزوجت، وهما :

أسُعْدى هل إليكِ لنا سبيل ... ولا حتى القيامة من تلاق
بَلى ولعَلّ دهراً أن يُوَاتي ... بموتٍ من خليلك أو فراق

(انظر:«المستطرف»، ج2، ص. 210).

(688) يعرف ببودميعة. تولى الإمارة سنة 1021 («إيليغ قديما وحديث»، ص. 40). وانتزع منه يحيى الحاحي مدينة تارودانت ـ بعد حروب ـ حوالي 1023هـ. وتمكن بودميعة من استردادها سنة 1039 كما سيأتي في ص. 533) (انظر أخبار بودميعة وإمارته في «إيليغ قديما وحديثا» ابتداء من ص. 45).

(689) كذا في النسخ المعتمدة، ولعل مراده «اختراق» الذي هو اختلاق الكذب وافتراؤه.

الباب وأسدلت الحجاب، فلم يمض إلا أسبوع فجاء كتاب من عند الأمير ـ أيده الله ـ بنسخ فجورهم، ونقض عرى غرورهم، يُقسِم فيه بالحي القيوم ما كان لي في ذلك غادية ولا رائحة، ولا هممت لتلك الفعلة الكريهة رائحة، فسُقط في أيديهم[690]، وباء بالبؤس ناديهم، ونشر لهم الدهر بهذه النبوة[691]، عَلَمَ الخزي والملام على كل ربوة، فتمثلت بقوله : [الطويل]

هنيئـــا بما خُوِّلت من رفعـــة الشان
وإن كره الباغي، وإن رَغَمَ[692] الشاني[693]

وإن خصك الـــرحمان جل جلالـــه ... بمعجـــزة منسوبـــة لسليمـــان

أغـــار على كرسيـــه بعض جِنَّـــه ... فألـــقت له الدنيـــا مَقـــادة إذعـــان

فلمـــا رآها فتنـــة خرَّ ساجـــدا ... وقـال إلهي آمنـــن علي بغفـــران[694]

ولما تاب الدهر من خطئه وعمده، وعاد النصل إلى غمده، والغرس إلى منبت أصله، وتفيأ عن اليمين والشمال كريم ظله، وأدبر شيطان الغواية، خاسئا عليه القتام سيئ الظن والبال، تمثلت بقول ابن الخطيب[695] : [الطويل]

هنيئا أبا الفضل الرِّضا وأبـــا زيـــد ... أمانك من بغي يُخاف ومن كيـــد

فطالع بيمـن طال في السعـــد شأوه ... فما هو من عمرو الرجال ولا زيد

وقيـــد بشكـــر الله أنعمـــه التـــي ... أوابدها[696] تأبى سوى الشكر من قيد

(690) سُقِط في أيديهم : ندموا وتحيروا.

(691) النبوة : المراد بها هنا السقطة والزلة والجفوة. يقال : بيني وبين فلان نَبْوة، أي جفوة؛ ونبا السهم عن الهدف : إذا لم يصبه؛ ونبا السيف : إذا كَلَّ ولم يقطع.

(692) رَغَم : كَرِه.

(693) الشانئ : اسم الفاعل من شنأه بمعنى أبغضه.

(694) في هذه الأبيات إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾ (سورة ص، الآية 33) (انظر ما قيل في تفسير هذه الآية، ومناقشة ذلك، في «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي، ص. 575).

(695) هو أبو عبد الله محمد بن الخطيب الشهير بلسان الدين، والمعروف بذي الوزارتين. ولد بغرناطة سنة 713هـ. كان مكينا عند أمراء غرناطة، وترقى في المناصب إلى أن فسد ما بينه وبين الأمير الغني بالله، فلجأ إلى المغرب سنة 773هـ؛ وانتهى إلى السجن الذي قتل فيه صبرا سنة 776هـ (انظر ترجمته في «الدرر الكامنة»، ج 3، ص. 469؛ وانظر ترجمته الضافية في كتاب «نفح الطيب» للمقري، فقد ألف أساسا للتعريف بابن الخطيب ثم اتسع).

(696) الأوابد : الوحوش. قال امرؤ القيس في معلقته :

وقد أغتـــدي والـــطير في وكنـــاتها ... بمنجـــرد قيـــد الأوابـــد هيكـــل

(«شرح المعلقات السبع»، للزوزني، ص. 39).

وكان السبب في تحامل هذا الكاشح أنه ارتكب في إمامته بالناس مناكر، كلها صغائر، أو بعضها كبائر، وهو أنه اعتاد الحلف بالأيمان بالله وبأسمائه، والحلف بالكتاب، والمشي إلى مكة، يحنث في جميع ذلك واشتهر به في الخاصة والعامة، فتقدمت إليه، فتحيل على ضعفة الطلبة والعامة فاكتتب منهم أني مُعادٍ له، فرفعه للأمير فكتب له ألا تنفذ[697] عليه أحكامي، ولما تصنَّع هذه الغيلة[698] وتمت له بالضرب في وجه الشرع الحيلة، عمد إلى مسجدين مجاورين لبعض ما في حوزه فهدمهما وطرد من أحدهما نحو عشرين كتبيا[699]، فرفعته إلى الأمير وتقدمت إليه أيضا لحق الله كما فعلت في الأولى، فلم ينصف منه[700]، فتركته لغضب الله وسخطه[701]، وتمثلت بقوله[702] : [الطويل]

حمامة جَرعا حَوْمَة الجَنْدل اسجعي ... فأنت بمرأى من سُعاد ومسمع

والنَّصَفَةُ من الجبابرة وذوي الجاه في القديم والحديث أمر عسير، لا يتمكن منه إلا الملك القاهر، بتأييد الملك القدير، نسأله سبحانه أن يجبر حال هذه الأمة، ويكشف عنها أزمة هذه الغمة، فإنها بعد الألف أمة غريبة، أحاطت بها من كل الجوانب أمور مريبة، لا يرجى التخلص منها إلا من العلي الكبير، الذي له في خليقته حسن التدبير، آمين.

قصيدة التمنارتي في المولد النبوي

وفي سنة تسع وعشرين بعد الألف، استدعى الأمير أبو زكرياء من الطلبه قصائد تعرض عليه في ميلادها. فرفعت إليه هذه : [الطويل]

---

(697) في نسخة : ألا تجري تنفذ.

(698) الغِيلَة : الخديعة.

(699) المراد عشرون من الصبيان الذين يتعلمون في المسجد. قال المبرد : «الكتاب: الصبيان» («لسان العرب»، مادة «كتب»). وسيأتي في ص. 382 : «وطرد منه نحوا من عشرين صبيا من صبيان المكتب».

(700) سيأتي في ص. 382 ما يفيد أنه أنصف منه.

(701) واضح مما ذكره التمنارتي في هذه الفقرة، أن المراد بهذا الكاشح هو شيخه أبو زيد عبد الرحمان بن محمد ابن الوقاد الذي سبقت ترجمته في ص. 137. وسيأتي ذكره والتصريح باسمه في ص. 382.

(702) البيت لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك، من شعراء القرن الرابع الهجري، ومن شعراء «يتيمة الدهر» لأبي منصور الثعالبي؛ وجرعاء : كثيب جانب منه رمل، وجانب منه حجارة؛ وحومة : معظم؛ والجندل : الصخر. والبيت من شواهد البلاغة (انظر : «الإيضاح» للقزويني، ج 1، ص. 78).

لِمنْ ضُربتْ بين الحَجون[703] خيـــام وبين الجِـــرارِ[704] بعدهـــن مقـــام

لِمـــن شعبٌ تختـــال بين شعـــابها بها ابتهجت أبطاحهـــــا وإكام[705]

لِمـــنْ بلـــد تشدو الطيـــورُ بشوقـــه وشُدَّت مَطـــيٌّ[706] نحوه وحـــزام

لِمـــــنْ حَرَمٌ وُحـــوشه وأنـــيسُه تلاعب فيـــــــه جُؤذرٌ[707] وحمام

لمن دارةٌ[708] شُقت بدور لِبَدْرِهَا[709] ونـــال بها زرٌّ[710] النجـــوم نظـــام

لأحْمد خير المرسلين ومـــــــــن له

على قابِ قوسين[711] السَّنا[712] والسَّنام[713]

ولم لا وخير العـــــالمين بها بدا[714] وسُرِّيَ[715] عن وجه الجمـــال لثـــام

بلاد بها جبريـــــل جر جناحـــــه وللوحـــي فيها مكرمـــات عظـــام

ومولـــد خير العـــالمين[716] ولحده عليهنَّ من رب البـــــــلاد سلام

وكم بث فيها الشوقَ رطبُ نسيمهـــا وحَيَّ[717] بها ثُمامة[718] وضِمام[719]

---

(703) الحَجُون : جبل بمعلاة (مقبرة) مكة، وموضع آخر.

(704) الجِرَار : جمع حَرَّة، وهي أرض ذات حجارة نخرة سود.

(705) إكَام : جمع أكمة، وهي التل والهضبة.

(706) مَطِي : جمع مطية، وهي الدابة تَمْطو في سيرها، أي تُجِد.

(707) جُؤْذَر : ولد البقرة الوحشية.

(708) دارة : دار.

(709) المراد ببدرها النبي ﷺ. أشار المنارقي هنا إلى معجزة انشقاق القمر للنبي ﷺ (انظر: «**الصحيح المسند من دلائل النبوة**»، تحقيق مقبل بن هادي الوادعي، صص. 151-152)

(710) زر: الزِّرّ ـ بالكسر ـ الذي يوضع في القميص؛ والزَّر ـ بالفتح ـ شد الأزرار.

(711) قاب قوسين : القَابُ : ما بين المقبض والسية، ولكل قوس قابان. قال بعضهم في قوله تعالى : ﴿فكان قاب قوسين﴾ (**سورة النجم**، الآية 9) : أراد قابي قوس، فقلبه. وقيل : قاب قوسين : طول قوسين. قال ابن الأثير: القَابُ والقِيبُ : بمعنى القدر (انظر: «**لسان العرب**»، مادة «قوب»).

(712) السَّنى ـ بالقصر ـ : الضوء والنور؛ والسَّناء ـ بالمد ـ : الرفعة.

(713) السنام : المراد به هنا المقام. وسنام البعير: ذروته، وفي البيت إشارة إلى معجزة الإسراء والمعراج.

(714) في شرح المنارقي لـ«**سلامية**» الجزائري في التوحيد : «بَدَا بِهَا».

(715) سُرِّيَ : كُشف وأزيل. وهذا الشطر من قصيدة للنابغة النهزالي.

(716) في شرح المنارقي لـ«**سلامية**» الجزائري : خير الأنبياء.

(717) حَيّ : حَيِيَ، والمراد هنا الحياة المعنوية، أي امن. قال تعالى : ﴿أوَمَن كان ميتا فأحييناه﴾ (**سورة الأنعام**، الآية 123).

(718) ثمامة : هو الصحابي الجليل ثُمامة بن أُثَال الحنفي، خرجت خيل لرسول الله ﷺ فأسرته، فأكرمه النبي ﷺ وأحسن إليه، وعرض عليه الإسلام فأسلم بعد تلكؤ. وهو أول من دخل مكة يلبي (انظر: «**سيرة ابن هشام**»، ج 4، صص. 315-317).

(719) ضِمام : هو الصحابي الجليل ضِمام بن ثعلبه. بعثه قومه بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ،

بذاك سبَتْنا(720) والمشوق يقوده ... إليها لأرفع الجناب زِمَام

نبي زكيٌّ ذو الجلالة مرسَل ... كمال به نقص الوجود تمام(721)

له معجزات يُعجز العد حصرُها ... وإلا فحدث ما وراك(722) عصام(723)

تجلت(724) به بطحاء مكة مفردا ... وقام بساق العز ليس يضام

وسارت له(725) أبطاحها مستلينة ... يظلله من فوقهن غمام(726)

= ليأتيهم بخبره، فاستفسره عن أمور. فلما سمع أجوبتها، اعتنق الإسلام ورجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا (انظر: «**سيرة ابن هشام**»، ج 4، صص. 241–242؛ و«**حياة الصحابة**»، ج 1، صص. 169–170).

(720) سبتنا: أسرتنا.

(721) ورد هذا البيت مع تغيير بسيط اقتضته القافية في قصيدة سابقة (انظر: ص. 322).

(722) ما وراك : ما وراءك، حذفت الهمزة للضرورة. ووراء تأتي مقصورة في الشعر، قال الشاعر:

تقاذفه الرواد حتى رموا به ... وَرَا طرف الشام البلادَ الأباعدا

(«**لسان العرب**»).

(723) عصام : هو عصام بن شهبر حاجب النعمان بن المنذر. وقيل عصام اسم امرأة من كندة. «وما وراءك يا عصام؟» مَثَل قيل : أول من قاله النابغة الذبياني يسأل حاجب النعمان عن النعمان، وقد كان مريضا. وقيل : أول من قاله الحارث بن عمرو مَلك كندة يستفسر تلك المرأة (عصام) عن ابنة عوف بن محلم الشيباني بعد أن بلغه جمالها فبعثها لتأتيه بخبرها (انظر: «**مجمع الأمثال**» للميداني، ج 2، صص. 281–283).

(724) في نسخة : تجلت.

(725) في «**شرح لامية الجزائري**» : وسارت به.

(726) يشير إلى معجزة تظليل الغمام للنبي ﷺ. قال البوصيري في «**البردة**» :

مثل الغمامة أنّى سار سائرةً ... تقيه حرَّ وطيسٍ للهَجيرِ حَمِي

(«**حاشية الباجوري على متن البردة**»، ص. 42).

وجاءت ظِباها تستجير بجاهــه[727]	وللضب[728] والعَيْر[729] الذلول كلام
كما سجدت[730] أشجارهــا مطمئنــة	وسبَّح في الكــفين منــه رِجــام[731]
وغار عليه الغار[732] بَلْ وحمامُـه[733]	وأعمى عيــون الكافريــن قَتــام[734]

(727) يشير إلى ما رُوِي عن أم سلمة : كان النبي ﷺ في صحراء، فنادته ظبية : يا رسول الله، قال : «ما حاجتك؟» قالت : صادني هذا الأعرابي، ولي خِشْفان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع. قال : «أو تفعلين؟» قالت : نعم. فأطلقها، فذهبت ورجعت، فأوثقها، فانتبه الأعرابي، وقال : يا رسول الله، ألك حاجة؟ قال : تطلق هذه الظبية، فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء، وتقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. («الشفا»، ج 1، ص. 314). وهذه الرواية ضعيفة.

(728) يشير إلى ما رُوِي عن عمر (ض) : أن رسول الله ﷺ، كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا، فقال : مَن هذا؟ قالوا : نبي الله : فقال : واللّات والعُزّى لا آمنت بك أو يومن بك هذا الضب، وطرحه بين يدي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ له : «يا ضب»، فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا : لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا زَيْنَ مَن وَافَى القيامة، قال : «من تعبد؟» قال : الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال : «فمن أنا؟» قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي («الشفا»، ج 1، صص. 309-310).

(729) العَيْر: الحمار، يشير إلى ما رُوِي عن إبراهيم بن حماد ـ بسنده ـ من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر، وقال له : اسمي يزيد بن شهاب، فسماه النبي ﷺ يعفورا («الشفا»، ج 1، ص. 314).

(730) المراد بالسجود هنا معناه اللغوي، وهو الخضوع والانقياد. يشير بذلك إلى ما روي عن بريدة من أن أعرابيا سأل النبي ﷺ آية، فقال له : قل لتلك الشجرة : رسول الله ﷺ يدعوك، قال : فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها، وبين يديها، وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مُغْبَرَّة، حتى وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله. قال الأعرابي : مُرْهَا فلترجع إلى منبتها، فرجعت، فدلّت عروقها فاستوت... إلخ. («الشفا»، ج 1، ص. 299). وهناك روايات أخرى في هذا الصدد، بعضها في «صحيح مسلم» (انظر: «الشفا»، ج 1، صص. 298-303).

(731) رِجَام : أحجار. يشير إلى ما روي عن أنس قال : أخذ النبي ﷺ كفا من حَصىً. فسبَّحن في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن («الشفا»، ج 1، ص. 306).

(732) الغار: يقصد غار ثور الذي اختبأ فيه النبي ﷺ ـ مع أبي بكر الصديق (ض) ـ لما عزما على الهجرة إلى المدينة المنورة.

(733) يشير إلى ما ورد في كتب السيرة من أن الله تعالى أرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على باب الغار ـ لما اختبأ فيه النبي ﷺ، وأبو بكر الصديق ـ فلما رآهما بعض القرشيين الذين يبحثون عن النبي ﷺ وصاحبه، ظن أن لا أحد في الغار. قال البوصيري في «الهمزية».

أخرجــــــوه منها وآواه غار ... وحمتــــه حمامــــة ورقــــاء

(«حاشية سليمان الجمل على متن الهمزية»، ص. 30).

(734) القتام : الغبار، يشير إلى ما ورد في كتب السيرة من أن المشركين اجتمعوا على باب النبي ﷺ ليقتلوه،

وجاء البـعير يشتكـي بِكـآدَة[735]	أخَيْـرَ البرايـا إننـي لأضَام[736]
رمـاني ضلـول[737] المشركين بضره	وثقـل حُمـولٍ ما بين قيـام
فخـلصه من جهـده وضرارِه	وعـاد عليـه ذروة وسنـام
وبين خِلال أصبعيـه تفجـرت	عيون فسَقيُّ الجيش والقوم عام[738]
كما أشبعت من يمن كفيه بُرمَـة[739]	جوع الجيوش[740] والطعامُ طعام[741]
وقالت له احذرَنْـيَ شاةٌ صَليَّـةٌ[742]	ففـي لك سم قدمتـه لئـام[743]

= فخرج عليهم، وأخذ حفنة من تراب في يده، وجعل يذر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو : ﴿يس والقرآن الحكيم﴾، إلى قوله تعالى : ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ (سورة يس، الآيات 1–9) فأعمى الله أبصارهم فلم يروه (انظر: «سيرة ابن هشام»، ج 2، ص. 95).

(735) بكآدة : من كَأَد بمعنى كَئِب وحزن.

(735) لأضَام : لأظلَم. يشير إلى ما روي من أن بعيرا شكا إلى النبي ﷺ كثرة العمل وقلة العلف (انظر: «الشفا»، ج 1، ص. 312).

(737) ضلول : ضال.

(738) يشير في هذا البيت إلى معجزة نبع الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام (انظر: «الشفا»، ج 1، ص. 285).

(739) بُرْمة : قدر من حجر.

(740) في «شرح لامية الجزائري» : جموع جياع.

(741) يشير في هذا البيت إلى حديث جابر، في إطعام النبي ﷺ يوم الخندق ألف رجل، من صاع شعير، وعَنَاق .قال جابر: فأقْسِم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرْمتنا لتَغِطُ كما هي، وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله ﷺ بصق في العجين والبُرْمة وبارك («الشفا»، ج 1، ص. 291). قال البوصيري في «الهمزية» :

فـغـدى بالصاع ألـف جيـاعٌ وتـرَوّى بالصاع ألـف ظِمَـاء

(«حاشية الجمل على متن الهمزية»، ص. 68).

(742) صلية : مشوية.

(743) يشير في هذا البيت إلى ما روي عن أبي هريرة (ض)، من أن يهودية أهدت للنبي ﷺ بخيبر شاة مصلية سمَّتْها، فأكل رسول الله ﷺ منها، وأكل القوم، فقال : «ارفعوا أيديكم، فإنها أخبرتني أنها مسمومة...» الحديث («الشفا»، ج 1، ص. 316).

وقد يبست ضرع السما[744] فتحفلت[745]

بدعوته[746] فأنهلَّ[747] منها سِجام[748]

وكم آية تهدي الورى وتَرُوعُهم[749] وأصدقها بالمجرمين حُسام[750]

زوى[751] الروعَ إنجادُ الزمان ببعثه وحل قلوبَ الجائشين زُؤام[752]

غدا سيفه يرمي الجماجم والطُّلى[753] متى صاح فوق الهام[754] منهن هام[755]

طوت كل عات يوم بدر[756] رَكِيَّةٌ[757] وحل بأزرِ[758] الشرك منها صُرام[759]

وأدبر شيطان الغَوَايَة خاسئا لدى أُحُد[760] إذ رَام ما لا يُرام

---

(744) المراد بيبس ضرع السماء : الجدب وانحباس المطر.

(745) تحفلت : اجتمع لبنها وكثر. والمراد : أمطرت مطرا غزيرا.

(746) بدعوته : ببركة دعائه. يشير إلى ما روي من أن الناس أصابتهم سنة على عهده ﷺ، فقام أعرابي ـ وهو يخطب يوم الجمعة ـ فقال : يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه، وليس في السماء شيء من السحاب، فما وضعهما حتى صار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل من على المنبر حتى أصابه المطر، واستمر إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي ـ أو غيره ـ فقال : يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه، فقال : «اللهم حوالينا ولا علينا»، فانقطع المطر، وخرجوا يمشون في الشمس، وسال الوادي شهرا، ولم يجئ أحد من ناحية إلّا حدَّث بالجَوْد («**حاشية الجمل على متن الهمزية**»، ص. 60).

(747) انهل : اشتد انصبابه.

(748) سِجَام : من سَجَم الدمع أو الماء أي سال.

(749) تُروعهم : تفزعهم وتخيفهم.

(750) حُسام : سيف قاطع.

(751) زَوَى : نَحَّى.

(752) زُؤام : رُعب وفزع.

(753) الطُّلَى : الأعناق.

(754) الهام : الرؤوس.

(755) الهام ـ الثاني ـ : جمع هامة، وهي طائر من طير الليل، وهو الصُّدَى.

(756) يوم بدر: يريد غزوة بدر الكبرى التي وقعت يوم 17 رمضان عام 2هـ، وانتصر فيها المسلمون على كفار قريش (انظر: «سيرة» ابن هشام، ج 2، ص. 243 فما بعد).

(757) رَكِيَّة : بئر. يشير إلى قتلى المشركين ببدر، وعددهم سبعون، وقد أُلقيت جُثَثُهم في قَلِيبِ بدر.

(758) أُزر: قوة، وظَهْر.

(759) صُرَام : داهية.

(760) أُحُد : جبل قرب المدينة، وقعت بالقرب منه غزوة في شوال سنة 3هـ، فسميت بغزوة أحد (انظر أخبار هذه الغزوة في «سيرة» ابن هشام، ج 3، ص. 3 فما بعد).

ويوم حنين[761] حَيْن[762] كل مُزاعب[763]
ولله فيه عسكر لا يُشام[764]

بمكة أضحى الفتح[765] أشرق جيده
وعاد جميع الحرب وهو سلام

تجافت جُنوب الشرك عن كل مضجع[766]
ولذ بها للمسلمين منام

وراحوا بروح يُبرد القلب شربه
لديها وشرب المسرفين[767] هُيام[768]

فذوا من جُحُورِ الشرك للدين قبلة
وكعبتها للعالمين قيام

فكم صنم نَزَكْتهُ[769] حول بيتها
وكم نُصُب[770] بَتَكْت[771] وهي رُكام

تولى الحجاز أمرها وتشرفت
بخير الأنام طابة[772] وتهام

وذلّ لها لرُعبها كل قيصر
ودان لعزها عراق وشام

وجَلّ منه المغربين جلالة
ونوّر علا وكم علاه ظلام

ولم تزل الأقطار تنصر دينه
متى ما إمام بادَ جاء إمام

---

(761) يوم حنين : يريد غزوة حنين التي وقعت في 10 شوال عام 8هـ/630م. سميت باسم المكان الذي وقعت فيه، وهو وادٍ في طريق الطائف إلى جَنْب ذي المجاز، بينه وبين مكة ثلاث ليال (انظر أخبار هذه الغزوة في «سيرة» ابن هشام، ج 4، ص. 65 فما بعد).

(762) حَيْن : هلاك.

(763) هكذا في جل النسخ المعتمدة، وفي نسخة : مزاغب. ولعله من التَّزَعُّب الذي هو التغيظ. ولم أجد في المراجع اللغوية التي رجعت إليها فعل «زَاعَبَ».

(764) لا يُشام : لا يُرى. يشير إلى إمداد الله للمسلمين بجند من الملائكة. قال تعالى : ﴿لَقَد نصركم الله في مواطن كثيرة، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين، وأنزل جنودا لم تروها﴾ (سورة التوبة، الآيتان 25-26).

(765) الفتح : يقصد فتح مكة الذي وقع في رمضان من السنة الثامنة للهجرة (انظر خبر فتح مكة في «سيرة» ابن هشام، ج 4، ص. 3 فما بعد).

(766) تجافت عن المضجع : ارتفعت عنه، وانقلبت عنه، ولم ترتح إليه. قال تعالى : ﴿تتجافى جُنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾ (سورة السجدة، الآية 16).

(767) في «شرح لامية الجزائري» : وشرب المشركين.

(768) الهيام : الجنون والحيرة.

(769) نزكته : طعنته بالنَّيْزك، وهو الرمح القصير.

(770) نصب : حجارة نصبها الجاهليون حول الكعبة، يعظمونها، ويذبحون عليها. قال تعالى في سياق ذكر المحرمات ﴿وما ذُبح على النُّصُبِ﴾ (سورة المائدة، الآية 4).

(771) بتكت : قطعت وكسرت.

(772) طابة : طيبة، أي المدينة المنورة. وفي «شرح لامية الجزائري» : طيبة.

إلى أن جرت بالغرب كل قليّة[773]   وعاد نبات العز وهو قُمام[774]

تلالى شتات الفضل منه بهمة   أبو الفضل يحيى والجهات كِلام[775]

فأضحى يسوس الناس بالرفق للهدى   فشالت به للخارقين نعامُ[776]

وأيقظ جفن الدهر في الله رَغبة   يقول هلموا فالوئام دِعام

لدينك يا خير الورى قام عزمه   يقيم ولكن الآنام نيام

فكمْ[777] حرمات عدن للهتك نُهزة[778]   وكم حجرات خانهن وئام

لديك ـ أخير العالمين[779] ـ علاجها   وإلا فقد أودى بهن سَقام

بك النصر والتأييد يا خير ناصر   فكن لِظُباه[780] فهي منك نُشام[781]

وجدد قُوى مَن جدّ في رم طاره[782]   وسدد[783] شؤونا شانهنّ[784] ثِلام[785]

فجُودُك خيرَ الخلق قاض بأنه   إذا أمّك الملهوف أنت غمام

دعوتك[786] يا سرُّ الوجود ورُوحَه   وما يكشف الأوشاز[787] إلا ذمام

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة   بمغن سواك قدره ومقام[788]

عليّ ذنوب لا أطيق احتمالها   علالتي من أجلهن ثَغام[789]

---

(773) كل قليّة : كل مكروه.

(774) قُمام : جمع قُمامة، وهي الكُناسة.

(775) كِلام : جروح.

(776) شالت نعامتهم : طاشوا خوفا فهربوا. والخارقون : الكاذبون.

(777) في النسخ المعتمدة : ومن حرمات. والتصويب من «شرح لامية الجزائري».

(778) نُهزة : فرصة.

(779) في «شرح لامية الجزائري» : أخير المرسلين.

(780) في «شرح لامية الجزائري» : فكن لظبانا.

(781) في نسخة : تُسام.

(782) كذا في النسخ المعتمدة. ولم يتضح معناه.

(783) في «شرح لامية الجزائري» :

وشدد قوى من جد في رم طاره   وجدد شؤونا ....

(784) شانهن : عابهن، عكس زانهن.

(785) ثِلام : انكسار الحرف.

(786) في «شرح لامية الجزائري» : دعوناك.

(787) الأوشاز: الشدائد.

(788) أصل هذا البيت قول سواد بن قارب الصحابي :

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة   بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

(انظر: «مغني اللبيب»، ص. 548).

(789) ثَغام : نبت يكون بالجبال غالبا، إذا يبس ابيض، يشبه به الشيب.

أجرني أجرني من عُراض[790] وَبَـــالها ... إذا اشتــد في يوم القيـــام حِدام[791]

فإن قصرت بي عن جوارك قدرة ... وعـــاق بسوس الغـــرب عام وعـــام

فهـــــــذا فؤادي في بلادك هائم ... ونسيانـــــــه تلك الديـــــار حرام

بحبك أقضي حاجتي وهـــو حجتـــي ... إذا احتــد في فصل الحقـــوق خصام

وذي مدحتـــي جلـــوتها مستكينـــة ... وأملـــــيتها والكاتبـــــون كِرام

رجوت بها عُقبـــى الفـــلاح كما انتهت ... بمسك مديح في علاك ختـــــــام

فصلى علـــيك الله مازان زهرهـــــا ... ريـــاضا ودُرّاً في النحـــور[792] نظـــام

* * *

قصيدة أخرى في عيد المولد النبوي

وفي سنة أربع وثلاثين وألف، استدعى شيخنا أبو الفضل رحمه الله الطلبة أن يرفعوا إليه القصائد في موسمها الميلادي فرفعت إليه هذه المنظومة وهي : [الطويل]

ألا أيها الـــــرَّوْح اليماني تجـــــدَّدا ... وبُـــلَّ حشاي والفـــؤاد الموقـــــدا

وجُرَّ بكثبان اللِّـــوى[793] وتِلاعهـــا ... وقاعـــاتها الذيـل الرطيب المرقـــدا[794]

وبُثَّ حديث خُلةٍ[795] طال هجرهـــا ... فقد رَابَنِـــي الـتصرامُ منها وأوَّدا[796]

وصل بين مقصور الهوى ومديـــــده ... وقصر من الهجـــران منها المُمـــدَّدا

بِمسرى نسيم أرضهـــا كل حجـــــة ... هَوايَ مع الركب اليماني مُصْعِـــدا[797]

ويجزعُ قلبـــي للنَّـــوى كلمـــا بَدا ... وتسكب عيناي الدموع لِتَجمُـدا[798]

---

(790) عُراض : عريض.

(791) حدام : المراد به احتدام، وهو شدة الحر. في غالب النسخ المعتمدة : حرام.

(792) في «شرح لامية الجزائري» : اللبات.

(793) اللوى : ما التوى من الرمل، أو مسترقه.

(794) المرقدا : المنيم.

(795) الخُلة : الصديق، للذكر والأنثى، والواحد والجمع.

(796) أوَّد : مراده : آده بمعنى بلغ منه الجهد (أما أوَّده فمعناه عطفه وحناه).

(797) مصعدا : من أصعد بمعنى أتى مكة. ويقال أصعد في الأرض بمعنى مضى. والشطر الثاني من هذا البيت مأخوذ من قول جعفر بن علية الحَارثي ــ وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية :

هوايَ مع الـــركب اليمانِيـــنَ مُصعِـــدٌ ... جَنِيـــبٌ وجثماني بمكـــة مُوثَـــقُ

(«الإيضاح» للقزويني، ج 1، ص. 125).

(798) أخذ الشطر الثاني من قول العباس بن الأحنف :

سأطلب بُعْد الدار عنكم لتقْرُبـــوا ... وتسْكُبُ عيناىَ الدمـــوعَ لِتَجْمُـــدا

(«الإيضاح»، ج 1، ص. 76).

وليت زماني أسعدتني صروفه ... وليت تلادي في هواها مبددا[799]

فأسري[800] مع الأنضاء[801] في قَرَن[802] الهوى ... تشق بنا الدوّ[803] الجنيب الممددا

تفض[804] الحصا شوقا لمن سبّح الحصا ... على كفه وافتض جندا مجندا

ومن تمَّمَ الله الوجود بخلقه ... وأصبح في كل المحاسن مفردا

ومن شرّف الرُسْل الكرام من أجله ... وموسى وعيسى والخليل ومجّدا

ومَن خصَّ بالتكليم فوق سمائه ... وفي أرضه بالوحي جاء مُؤيَّدا

ومن فاق في الخلْق النبيئين كُلَّهم ... وفي خُلُق، والبحرَ في الجود والندى

ومن بشَّرت توراةُ موسى ببعثه ... وإنجيل عيسى والزبور المسددا

ومن أملاك الكونين جاءت لنوره ... على جبهة[805] المبرور آدم سجَّدا

ومن فضله عمَّ البريئة كلَّهم ... وفي جوده كل الورى مُترددا

ومن جاهه لكلهم موئلٌ غداً ... إذا أبرز الله الجحيمَ وأوقدا[806]

ومن قد أتانا بالبشائر والهدى ... وجاءنا بالقرآن نورا مؤيدا

ومن نطقت بصدقه معجزاته ... وسفه أديان الضلال وأخمدا

فمن مثل خير العالمين محمد ... ومن مثل نسر الله في الخلق أحمدا

نبي حباه الله كل كرامة ... وأرسل منه رحمة لن تُجَدَّدا[807]

رسول كريم من شفا الجرف[808] منقذ ... رؤوف رحيم للسعادة أرشدا

له ببساط القرب بالحق رتبة ... بها عن أمين الوحي حقا تفردا

فصلى عليه الله من خير مُرسَل ... إلى أمة لولاه لم تُلْفِ مرشدا

---

(799) في «شرح لامية الجزائري» : «وليت بلادي أسعدتني صروفها». وهو أحسن.

(800) في النسخ المعتمدة : فأسر - دون ياء -.

(801) الأنضاء : جمع نِضْوٍ، وهو المهزول من الإبل وغيرها.

(802) قَرَن : حبل يُقْرَن به بعيران.

(803) الدَّوّ : الفلاة.

(804) تفض الحصى : تكسره وتفرقه.

(805) في بعض النسخ: على جهة. وهو خطأ. انظر بخصوص ظهور نور النبي ﷺ على جبهة آدم؛ ص. 578، هامش 162.

(806) يشير في البيت إلى الشفاعة العظمى.

(807) أشار بعدم التجدد إلى كونه ﷺ خاتم الأنبياء والرسل.

(808) الشفا : حرف كل شيء وطرفه؛ والجُرُف والجُرْف : ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر. قال تعالى : ﴿... أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ (سورة التوبة، الآية 110).

وصلى عليـــــــــــــــه الله ما لاح بارق
ولعلـــع[809] في جوز[810] السحـــاب وأرعـــدا

وصلى عليــــه الله ما حن شائـــق ... ومـــا آغبـــرَّت الأقــدام نحوه جُلَّــدا
فيـــا خير موصول ويـــا خير واصل ... ويـــا خير مأمـــول جزاً[811] وتـــوُدُدا
تدارك بلاد الغـــرب منك بهمــــة ... فقد صار منها الشمل شِلوا[812] مبـددا
تعقــدت الأهـــواء وامتـــد شؤمهـــا ... وبالمصطفـــى ينحـــل ما قد تعقـــدا
وكـــن لأمير المومـــنين بها رِداً[813] ... أبـا الـفضل صدرا في الأمـور ومـوردا
ولُـمَّ[814] عليـه رحمة شعثَ[815] الـولا ... ورد لمعـــروف الهُـــدى من تشرَّدا[816]
واصلح أمـــور المسلـــمين وجيلهـــم ... وللعـــدل من ولـــيت فيهم فسدّدا
وقطِّع نِياط[817] القـلب من كل معتـد ... وردَّ على الأعقـــــاب من قد تمردا
فإنك باب الله والحكـــــمُ الـــذي ... به الـنقض والإبـــرام غيْبـــا ومشهـــدا
ودارك بسوس الغـرب من لُجـج الهوى ... فتـــى فرقـــا من ذنبـــه أن يُطَـــرَّدا
وكـــن مَلجئِـــي ومـــوئِلي وعُـــدَّتي ... وكن لي شفيعا يوم تُدعى لتشهـدا[818]
وروِّ فُؤادِي بالصفـــا منك دائمـــا ... بأعـذب ما أروِيتَ قلبا موحِّـــدا[819]
إلـــيك أخيـــرَ المرسلين رفـــعتها ... لتجـزي بها سكنـــى الجنـــان مخلـــدا
وتفتَـــح لي باب الـــرضا وتجيرني ... فقـد أمسى ظهـري بالذنـوب ملبـــدا
وجلِّـــلَ في أعتابكـــم ليـــلَ لِمَّتِـــي ... نهارُ المشيب للجنـــاب معبـــــدا
فلا تنسنـــي في موقــف الهول إننـــي ... على حبكـم شرخـا وشيخـــا ومُلحَـــدا

---

(809) لعلع : مراده تلعلع، أي تلألأ.
(810) جَوْز : وسط.
(811) جزا : جزاء، حذفت همزته للضرورة.
(812) شِلْوا : عضوا، وجسدا.
(813) رِداً : معينا، يقرأ مهموزا، وغير مهموز رِدْءاً ورِداً.
(814) لُمَّ : أجمع.
(815) شعث : تفرق وتشتت.
(816) في غالب النسخ المعتمدة : من تشدد.
(817) النِّياط : عرق في القلب، إذا قطع مات صاحبه.
(818) يشير إلى قوله تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، الآية 41).
(819) في بعض النسخ : مرددا.

فصلى عليك الله تهنيك دائما وسلم تسليما حفيلا مجددا
وآلك والأصحاب والأسرة التي بنور هداها في الشوارع يقتدى

لا بأس باللحن في المديح النبوي

وعاب بعض الطلبة لبعضهم قصيدته لقصورها عن مدارك العربية لغة ونحوا ووزنا فشكا ذلك إلي، فكتبت له : [الطويل]

إلى المورد العذب الكثير زحامه وردت ولم يُسطَع بدلو مرامه
إلى مورد يُروي الورى ويَميرها[820] أتيت فلا يَفُتْ يديك زِمامه[821]
فرِد كارعا[822] أو غارفا ودع الرِّشا[823] وَأدليَها[824] في زحمة لا تُضامه
ورد مورداً يُحيي النفوس مِزاجه[825] ومسك مديح الصادقين خِتامه[826]
ولا زِلت ريَّان الفؤاد بورده إلى حوضه والحوض منه تمامُه
فلا تكترث باللحن في مدح أحمدٍ[827] فمدحُك مقبولٌ لديه نِظامه
تطيب عليه أرضه وتفتقت بكل عبير طاب منه مقامه
وطابت من الله العظيم صلاته عليه ويزكو بالدوام سلامه
وتشمل أهل البيت والعِتْرَة التي على الناس من علياها يهمي سجامُه
وأصحابه أولي الكرامة والندى ومَن ضمهم رُبوعُه وخيامُه

جائزة المنصور للشاعر « الرابح »

حُكيَ لنا أن الشاعر الذي يقال له الرابح[828] بمراكش في دولة المنصور رحمه الله رفع إليه قصيدة فطعن فيها بما ذكر، فأمر له المنصور بجائزته وما قصر به. وإذا كان هذا من ملوك الدنيا فكيف لا يكون من ملك الدارين ﷺ.

وقد كان هذا الشاعر هجاءً مداحا وربما برع في بعض أبياته كقوله في مدح وزير المنصور القائد إبراهيم السفياني : [الطويل]

(820) يَميرها : يطعمها.
(821) لم يرد هذا البيت في ديوان الشاعر.
(822) كارعا : اسم الفاعل من كَرَع، أي تناول الماء بفيه من موضعه من غير استعمال كف أو إناء.
(823) الرِّشاء : الحبل، حذفت همزته للضرورة.
(824) الأَدْلِي : جمع دلو.
(825) مِزاج الشراب : ما يُمزَج به.
(826) استغل الحمارتي في هذا البيت قوله تعالى : ﴿يُسْقَوْنَ من رَحِيق مختوم ختامه مِسْك، وفي ذلك فلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُون، ومِزَاجُه من تَسْنِيم عَيْناً يَشْرَبُ بها المُقَرَّبُون﴾ (سورة المطففين، الآيات 25–28).
(827) في نسخة : أحمدا. وصَرْفُه في مثل هذا الموضع أحسن وأخف على اللسان من منعه من الصرف.
(828) في «نزهة الحادي»، ص. 170 : الدايم – بدل الرابح –.

له في ظلام الليـــل وقفـــة راهب وعند اصطلاء[829] الحرب صولة ماجد

وكقوله في هجو الشرطي محمد بن الحسن[830] الملقب مسمار التودماوي : [البسيط]

كم من سيوف مضت شلا[831] الزمان بها أطامــع بعدهـا في الخلـد مسمـار

وكقوله في القائد مومن بن العلج[832] أحد خدام المنصور : [الطويل]

فإن كــان كلّ المؤمـنين كمومــن فلا حملت بالمومــنين الحوامـــل

وللشعراء في كل زمان مجال واسع في المدح والهجاء، والذي ينبغي وتحفظ به المروءة أن لا يقطع لهم الرجاء، وأن يعاملوا بالإحسان، فهو أقرب ما ملك به الإنسان، ويغضى عن جفواتهم ويُتعامى عن هفواتهم.

هجو شاعر مصري للأمير والقاضي والوزير، وإحسان الأمير إليه

فقد حُكي لنا ـ أو طالعنا في كتب التاريخ ـ أن بعض شعراء مصر عضه الدهر بالبؤس، ولقيه بالوجه العبوس، فتحيل في قصيدة هجا فيها الأمير والقاضي والوزير وأهل الرتب كلهم فرفعها إليهم وقرأها عليهم. ولما أتمها، التفت الأمير إلى القاضي وقال له : ما جزاؤه فيما قال؟ فقال له القاضي : إنما قال : أنا جائع فأطعموني. فاستصوب الأمير جواب القاضي، فأحسن إلى الشاعر وصرفه منصرفا جميلا.

* * *

قصيدة نظمها التمنارتي، وهو مرابط في ثغر أكادير

وفي سنة عشر بعد الألف رابطت[833] في الثغر السوسي، حصن المنكب[834]، وكنت أبيت في السطح أراقب البحر وأظل هناك، وشاهدت من عظيم أمره ما فتح عين الشبيبة بالإستبصار، وملأ ضنينة[835] القلب بالإعتبار، فقلت ـ وكان ذلك في أول أمري : [الطويل]

---

(829) في النسخ المعتمدة : اصطلام. والتصويب من «نزهة الحادي»، ص. 170.

(830) في «نزهة الحادي»، ص. 170 : محمد بن محمد بن الحسن.

(831) شلا : سار. وفي «نزهة الحادي»، ص. 170 : سل.

(832) في «نزهة الحادي»، ص. 170 : مومن بن ملوك العلج.

(833) المراد بالمرابطة ـ والرِّباط ـ ملازمة الثغر الذي ينفذ منه العدو إلى بلاد المسلمين، لحراسته، والدفاع عن دار الإسلام. قال تعالى : ﴿يا أيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ (سورة آل عمران، الآية 200). ويطلق الرباط على ذلك الثغر، وجمعه رُبُط.

(834) تعريب «أكَادِيرْ إِيغِيرْ». وهو الاسم القديم لمدينة أكَادير الحالية.

(835) هكذا في النسخ المعتمدة. والضنينة : ما تختص به وتبخل به.

متى لاح لي من أمرك الغيب لائحٌ أجده إليك في الدلالة واضح[836]
فتفتح لي منك العناية منة وتودع في كُوَى[837] الوجود المفاتح
نأيت ولم أعبأ بنفسي فأسرعت إليَّ بأنس القُرب منك الفواتح
وقد يهتدي الساري النائيُّ[838] عن الهدى
إذا أدركته منك تلك اللوائح
رياح تهب للإنابة كلما أتت من جناب اللطف فهي لواقح[839]
تَعاجِبُ[840] لو يُتْلَى الجماد بأمرها لعاد لتوحيد الإله يُنافِح
وقد ضمَّ هذا البحرُ منها عظائما بها الفكر في بحر التفكر سائح
ترى الفُلْك تجري فيه وهي بأمره مواخرُ[841] والأمواج فيه تُكافِحُ
عساكر تعنو[842] بالسجود لربها لها رجة[843] في نُسكها[844] وتناوُح
تَجُرُّ الذيول الخُضر دأباً[845] فما تَفِي بنُسكٍ حتى تصير وهي ملائح[846]
نعم بِرَكَاتٌ قد نمت بركاتها وللفضل فيها ساحل متفاسح
إلى ما عليه من ثغور تعززت بها الحجرات المومنات الصوالح
تظل لها الكفار ندبا[847] عليهم بما قد ملاها عزَّة وتناوَح[848]

---

(836) في طرة إحدى النسخ المعتمدة ما يلي : «(أجده) يتطلب «واضحاً» ـ بالنصب ـ مفعولا ثانيا، والمؤلف رفعه للقافية، على عادته في شعره. ونشره كذلك يحط عند عامة الناس من قدره، ولذلك ارتأيت إصلاحه هكذا : «فذاك إليك في الدلالة واضح».

(837) كُوَى : جمع كُوَّة، وهي الخرق في الحائط.

(838) في نسخة : النَّاِئُي. وفي طرة نسخة أخرى : «الأحسن إبدال «النائي» بكلمة «البعيد».

(839) المراد تلقح القلب، وتملؤه بالإيمان. وظف التمارتي هنا قوله تعالى : ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ (سورة الحجر، الآية 22).

(840) تعاجب : تعاجيب أي عجائب.

(841) الفلك المواخر: التي يُسمع صوت جريها، أو تشق الماء بصدورها، أو المقبلة والمدبرة بريح واحدة. وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وترَى الفُلْكَ فيه مَوَاخِرَ لِتَبْتَغوا من فضله ولعلكم تشكُرون﴾ (سورة فاطر، الآية 12).

(842) تعنو: تخضع.

(843) في بعض النسخ : رحمة.

(844) نسكها : عبادتها.

(845) دأبا : بجد وباستمرار.

(846) ملائح : جمع مليحة، ضد العذبة.

(847) ندبا : أي تبكي بكاءً.

(848) تَنَاوَح : تَتَنَاوَح، حذفت إحدى التاءين.

ومنــــكبها قد حاز ذا الثغــر راجــم بنـار السمـاء أرضهــم ومُلافِــح[849]
تصبُّ عليهم العـــذاب رُعـــودُه متـى صاح منها للنكايـة صائـــح
بنـاه لها محيـي الهدى ومُـؤلي النـــدى
وغـيظ العِدى الشهـم الصؤول[850] المكافح
إمـام به أرض المغــارب طهـــرت من الشرك، منذ حلها الكفر طائح[851]
صوالِحُـه[852] يقـلّ منـا شكورهـا مآثِرُه آثارُهـــن الصحائـــح
على جدّه من مُجتبيــه وصحْبــه ومَن ضمَّهم ثوبُ النبوة[853] نافــح
من أذكى الصلاة والسلام ما قُلّدت لنصرة دينه الحنيــف الصفائـــح[854]

اتهام التمنارتي بالسرقة وإيداعه السجن

وفي سنة ست عشرة بعد ألف، بعثت لبعض الناسخين «**إيضاح المسالك**»[855] للونشريسي ينسخه لي. فلما أتمه، أتيت لآخذه فوجدته بداره مريضا، فأرسل معي بعض أصحابه بمفتاح حانوته بالسوق ليدفعه لي فأخذته، فلم يمض إلا أيام فمات من مرضه، فجاء الشرطي فقال : إنك أخذت مال النساخ من بيته. فشرحت له القضية. فلم يقبل. فحملني لوالي القصبة، فقال له : إن هذا أخذ مال فلان هلك من حانوته بالسوق، فذكرت له الواقع فلم يقبل، فأمر بي للسجن، وكان عادتهم أخذ مال كل ميت وإن كان له ورثة، ويأكلون الرفاق داخل المدينة وربما قتلوهم وغبَّروهم[856] لاختلال الحال بعد موت المنصور رحمه الله.

ولما طلعت[857]، خرجت لجبل درن وعطلت مجلس الإقراء لعُظْم مَا نالني من ذلك الظلم، وكنت أنشد أثناء ذلك : [البسيط]

(849) ملافح : من لفحته النار إذا أحرقته.
(850) الصؤول : الكثير السطو والوثوب.
(851) طائح : ساقط وهالك.
(852) صوالحه : أعماله الصالحة.
(853) يشير إلى ما صَحَّ من أن النبي ﷺ جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء وقال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». (انظر «**حاشية الجمل على متن الهمزية**»، ص. 127؛ و«**شرح بنيس على الهمزية بهامش شرح شمائل الترمذي**»، ص. 122).
(854) الصفائح : السيوف العريضة.
(855) كتاب «**إيضاح المسالك، إلى قواعد الإمام مالك**» لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى عام 914هـ. وقد طبعه صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية، والإمارات العربية المتحدة، بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، بتحقيق أحمد بوطاهر الخطابي.
(856) غبَّروهم : تعني هذه اللفظة في اللهجة العامية : أخفوهم، ومحوا أثرهم.
(857) طلعتُ : يعني خرجتُ من السجن.

تركتمـــــوني إلى ضر ومسغبـــــة أكابـــد العـــيش إدبـــاري وإقبـــالي
ولم تراقبـــوا في إلّا[858] لا ذِمـَّـــة واخلولى[859] عندكم عسري وإقلالي[860]
ولم تزالـــوا إلى أن زدتم حَنقـــا[861] بالرمـــي في سجـــن تنكيـــل وإذلال
فعطـــلت من معـــاني كل نافعـــة وأهمل الــــــقصد فيها أيَّ إهمال
سأطلب البعـــد منكـــم حيث لا شطـــط[862]
ولا قرمان[863] ولا شَوش[864] ذي تضلال[865]
وألزمُ النفس حكم البيْن عن جلد وألبِسُ النفسَ فيـــه ثوبَ إجمال
وأعرف الدهر من نفسي فمَن ذَرِبٌ بنائب الدهـــر منـــا غيـــرُ مغتـــال؟

فمكثا غير بعيد فقطع الله دابرهما[866] وأزال من المدينة أثرهما، وأشهدني والحمد لله سوء عاقبتهما ومتمرغ شقوتهما.

اعتداء عبد الرحمان بن الوقـــاد على مسجد وموقف التمنارتي منه

وفي حدود الثلاثين بعد الألف، عدا السيد عبد الرحمان التلمساني على مسجد حومتنا فهدمه وطرد منهُ نحوا من عشرين صبيا من صبيان المكتب ورمى بألواحهم وحُصُرهم خارجه وغرقه بالماء لمجاورته لضيعة في حوزه يريد توسيعها به، فاحتال عليه بفجور لا يسع هذا التقييد كتبه، فرفعته إلى شيخنا مع هذه القصيدة. فأقسم له : لئن ذكرته بَعْدُ، لأعلقنك ببابه. فرغبناه ورده ــ والحمد لله ــ لحاله، مكتبا صالحا عامرا نافعا. ونص القصيدة : [المتقارب]

بَكَـــــى مسجـــد الله والمكـــتب وفـــــواه يبكـــــي لها المذهب
وألواحـــه أولِـــيث هجـــرة عليها النســـج من العَنـــكبِ[867]

(858) إلّا : عهدا. قال تعالى : ﴿لا يَرْقُبون في مومن إلًّا ولا ذِمَّةً﴾ (سورة التوبة، الآية 10).

(859) احلولى : كان حُلْواً.

(860) إقلالي : فقري، وقلة ذات يدي.

(861) حَنَقا : غيظا.

(862) شطط : بعد عن الحق، وجور وتجاوز للحد.

(863) في بعض النسخ : قدمان. ولعله اسم والي قصبة تارودانت الذي سجن التمنارتي. وقد يسميه التمنارتي ــ تشويها له ــ باسم قزمان الذي قاتل في صف المسلمين قتالا شديدا في غزوة أُحُد. وكان النبي ﷺ يقول ــ إذا ذكر ــ : «إنه لمن أهل النار» (انظر: «البداية والنهاية»، ج 4، ص. 36؛ و«حياة الصحابة»، ج 1، صص. 429-430).

(864) شوش : عون (شرطي).

(865) تضلال : تضليل.

(866) دابرهما : آخرهما. وقطع دابرهما يعني استئصالهما بالكلية.

(867) العنكب : ذكر العنكبوت.

بُعَيْــد التقاطهــا من غُبْــرةٍ ومِصراعُــه هُدٌ والأغْــتُبُ
وأضحت شتيتــا له صِبيــةٌ يناعقهــا الــذِّئب والأرنب
كما لَقِــيت خُصُرُه حسرةً دَرَاهــا سجودُهــا والــغَيهبُ[868]
وليــل القــراءة منــه سَجَــا[869] وأصواتُهــا سَلَبَ المُخْــرِبِ
شنيــعٌ له عاب كــلُّ النبي وأنكــره الــعصرُ والمغــرب
على الديــن من ذكــره وصْمــةٌ[870] يؤرخهــا الدهــر والكُــتُبُ
ومــن عجب الدهــر أن الهدى إذا ما اشرأب له منــقب[871]
جثــا لاهتضامــه خصم الهُــدى على ركب الغــيِّ لا ينــكب[872]
كذاك الدليــل إذا ما عشا[873] خانتــه المعــالم والكــوكب
وهــذا ربيــع النبــي أتى ليحكــم لله أو يغضب
وهــذا إمــام الهدى قد علا منصة عدل بنــا يخطب
وهــذا صلاح الوجــود ومــن يم به الــقصد والمأرب
وهــذا فلاح بكــل المنــى ليفــرح مُثرِيها[874] أو مُتْــرِبٌ[875]
وهــذا رسول البشائــر قد أتانــا له بالهنــا موكِب
وهــذا صبــاح السرور انشُروا لمولــده المدح أو اطربــوا
إلــيك أمولــد خير الــورى شكــاة المساجــد إذ تخرب
وللوحــي إذ كان يُتلى بها وجبريــل الآتي به الأقــرب
وللخلفــا بعــد شمس الهدى ووارث مجدهــم الأرحب
أبي الفضل حامــي حِمــاه الــذي إذا ما اثْــأى[876] ديننــا يَرأبُ[877]
إمــام همام نلــوذ به إذا ما طَغَــى الدهــر أو يغــلب

(868) الغيهب : الظلمة.

(869) سجا : سكن.

(870) وصمة : عيب، وعار.

(871) المِنْقَب : الرجل العالم بالأمور، الكثير البحث عنها («لسان العرب»، مادة «نقب»).

(872) لا ينكب : لا يميل ولا يتنحى.

(873) عشا : أصيب بالعَشا، وهو سوء البصر بالليل والنهار.

(874) مثريها : اسم الفاعل من أثْرَى، أي كثر ماله.

(875) المُتْرِب : من قل ماله، ومن كثر ماله (ضد)، والمراد هنا : من قل ماله.

(876) إثْأى : مراده : فسد. وأصل الثَّأْيِ : خَرم خُرَز الأديم.

(877) يَرْأب : يصلح. قالت عائشة (ض) تصف أباها : و«رَأبَ الثَّأى»، أي أصلح الفساد («لسان العرب»).

إليك تظلم مأوى النهى | برية دهر بها يلعب
فتلك الشعائر أعظم بها | إليكم مناقِبها تُنسب
فلا ترضَيَنَّ بخسف لها | ولا بالخسوف وما يُغرب
وقد جدَّ في شدها جدكم | وما في سوى شمسها يَرغبُ
بحق الجلال وما قد حوت | علاك من المجد لا تغضب
تدال على ديننا نزوة | يُمَدُّ لها الكف والمنكب
فكم ذا انتظارك ركنٌ وَهَى | من الدين يَرقبُ ما ترقب
فذا أمل شمله قد جُمِع | وأجدر به بُغيةً تُطلب
ملأتم حقيبتها حكمة | وأعجب بها دُرراً تُحقَب
فتأمن بدورها[878] أسنى الذرى | وحسناء ما مثلها يخطب
وبث بها عنك نشر الثنا | فتنشر مكة أو يثرب
وأعلق بجيد النهى نظمها | لتعجب قحطان أو يعرُب
بقيت بقا الدهر في غبطة | يدين لها الشرق والمغرب
ودمت مصون المثابة في | علاءٍ لا رلت به ترهب
وهذا مرام إليك انتهى | علامة[879] رشد به تعرب

وكان رَفْعُ هذه القصيدة موافقا للموسم المذكور، وهذا الجرم الذي أتاه هذا السيد لم يقع لأحد في الإسلام فيما سمعنا ورأينا من تواريخ الأقطار والأمصار، غفر الله له ما أشنع فعلته مع ارتسامه بالطلب والخطابة في هذه المدينة العمية الأبصار الفاقدة الأنصار.

ثم من سخط الله عليه أن قيض له إنسانا استحق الضيعة المذكورة من حوزه، فما هو بالضيعة ولا بالمسجد، فانقلب بالسخط والحرمان وعاد مغموما عليه في مجامع الأقران.

ثم أرسل الله المطر الهائل بَقرب من ذلك، فهجم «الوادي الوَعر»[880] على

(878) في بعض النسخ : دورها.

(879) في نسخة : علامات.

(880) الوادي الوعر : واد عميق يمر شمال تارودانت، قريبا جدا من سورها، ينبع من الأطلس الكبير، ويصب في المحيط الأطلسي قرب أكادير ـ بعد أن يتصل بوادي سوس. وهو يشكل خطرا كبيرا على تارودانت.

هجوم الوادي الوعر على تارودانت 1033هـ

المدينة من جبل درن فخرق لها خرقا من سورها من المحائطة[881] بين سور القصبة[882] وسور البلد فانصب من حفير القصبة حتى امتلأ ففاض بعُبابه[883] على المدينة فهدم معظم أسواقها ودورها ومساجدها، وهلك بذلك من الأموال والأمتعة والأقوات ما لا يحصى، وسلم الله الأنفس لدخوله مع الإسفار[884] البين حين انتبه الناس. ولو دخل في الليل، لعظم به الهلاك، وكان ذلك لطفا من الله بعباده. فكان يقال : سبب ذلك ما فعل الشقي المذكور من هدم المسجد بإغراقه، فعوقبوا بعقوبة من جنس الذنب كما ورد مثل ذلك عن[885] الشارع صلوات الله وسلامه عليه في أمثالها[886].

ووقع هذا السيل صبيحة الأحد مفتتح ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف، فقيل[887] في ذلك : [البسيط]

قِفْ بحضرة سوس أيها الغادي ... وسَلْ مصانعها عن فعلة الوادي

وسل إذا جئتها عن سوق نعمتها ... هل كان إلا كُمَيْتٍ يبكيه النادي

أمست محاسنه من بعد بهجتها ... ونغمة الدهر فيه نغمة الحادي[888]

---

(881) المحايطة : اسم مكانٍ خارج تارودانت من الجهة الشرقية الشمالية.

(882) في نسخة : بين سور المدينة.

(883) العُباب : معظم السيل، وارتفاعه وكثرته.

(884) الإسفار : المراد به إذا كثر ضوء الصباح وقرب طلوع الشمس.

(885) في بعض النسخ : من.

(886) لعله يقصد «الجزاء من جنس العمل» الذي قال بشأنه السخاوي : «لم أقف عليه بهذا اللفظ». ويشير إليه قوله تعالى : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به﴾ (سورة النحل، الآية 126)؛ ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ (سورة الشورى، الآية 37)؛ و﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (سورة الرحمن، الآية 59)؛ و«كما تَدِين تُدان» (سيأتي تخريجه في ص. 544، هامش 2097)؛ و«اسمَح يُسمَح لَك» (رواه أحمد والطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، والعسكري، وحسَّنه العراقي في «المقاصد الحسنة»، ص. 58، رقم 110)، وأشباهها («المقاصد الحسنة» ص. 173، رقم 367؛ و«تمييز الطيب من الخبيث»، ص. 65).

(887) نسبها إليه ولده محمد في الديوان، فقال : «وينظر إلى هذا ما قاله ـ أيده الله ـ حين هجم الوادي الواعر عليها صبيحة الأحد من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف («مخطوطة» الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 5623، الورقة 6/أ).

(888) الحادي : الذي يسوق الإبل ويغني لها.

ما الدهر يُبقي ولو يُبقي على أحـــد[889]

أبقى على الدجلتين[890] كرخ[891] بغــداد

فاعرف ـ ولاطفه ـ صَرف الدهر واتَّئِدنْ ودع سواك يُمارسْ جبهة[892] الـــوادي

إذا قضيت التي نابتك[893] فادخرن لمثلها في الجِراب[894] فضيلَةَ الـــزاد

محاصرة بغاة العرب والبربر لتارودانت عام 1039هـ

وفي ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وألف، حاصر بُغاة[895] العرب والبرابر مدينة السوس الأقصى تارودانت، وهي إذ ذاك تحت إمارة الأمير أبي الحسن الجزولي فاستباحوها إلا قصبتها، وحاصروها خمسة وعشرين يوما وحفروا لها أسرابا[896] تحت سورها فوجدوا قاعدة أساسه الحصى لا تنال منه الفؤوس شيئا لوثاقته فقنطوا، وبلغ خبرهم الأمير المذكور فطوى إليهم المراحل من الصحراء، ولما قارب[897] بلاد السوس أقلعوا وهربوا عنها فورد في جيش عظيم من جزولة فأقام[898] بها حتى أصلحها ومتَّنها بالعدد والجيش ولم يتمكن من البغاة لتفرقهم في الجبال، وفي ذلك قيل[899]: [الطويل]

جرت فتن بالسوس تربـــو عن العـــد لمَا بعد الألـــف لا تقـــايس باحد

تضافـــر فيـــــه حادثـــــان كلاهما يَكُرُّ[900] على الأقطار بالسلب والطرد

---

(889) يبقي على أحد : يرحمه ويشفق عليه.

(890) الدجلتان : دجلة والفرات، وهما نهران معروفان في العراق. وإطلاق الدجلتين عليهما من باب التغليب، كإطلاق الأبوين على الأب والأم، وإطلاق العشاءين على المغرب والعشاء.

(891) كَرْخ : محلة ببغداد.

(892) جبهة الوادي : من جَبَهَهُ إذا أصابه بمكروه. وفي بعض النسخ : ميمة الوادي.

(893) نابتك : أصابتك.

(894) الجراب : المِزْوَد أو الوعاء.

(895) البُغاة : الثوار الذين خرجوا على الجماعة، وشقوا عصا الطاعة. مفرده باغ، وهو اسم الفاعل من بَغَى بمعنى ظلم وعدل عن الحق. قال تعالى : ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (سورة الحجرات، الآية 9).

(896) أسرابا : أنفاقا تحت الأرض.

(897) في بعض النسخ : ولما قرب.

(898) في بعض النسخ : فقام بها.

(899) نسبها إليه ولده في الديوان فقال : «وفي ذلك قال سدده الله». («مخطوطة» الخزانة الملكية بالرباط رقم 6523، ورقة 6/أ).

(900) يَكُرُّ : يهجم.

خلاف وسقـــمٌ في البَرِيَّـــة شائــــع

وهرْجُ[901] رَعاعٍ[902] تستميل عن القصد

لقد طُلت محاسنُ البــلاد وجوهُهـــا　　وردَّت على أدبارهـــا أيمـــا رد

فيـا لَكَ من دهـــر توالت خطوبــه　　ويا لك من قوم تمالـوا[903] به لُدّ[904]

وأدهمها[905] جلبُ[906] البغاة بخيلهـم[907]

ورجلِهـــمُ[908] لمصرِهِ المحكَـــم العهـــد

فدالـــوا[909] عليـــه بالحصار وبالـــردى

وحفـــر أساس سوره الموثـــق العقـــد

إلى أن وفتهم[910] نبأة[911] مستـــطيرة[912]

من آل قُصيّ عدنـــان مستعلـــيِ[913] الجد

فســروا من ألحاد[914] طبـــاق عليهم　　ومن عجب جر الملحود من اللحـــد

عليهم قتام[915] سيِّئي الظـــن خيّـــاً　　مُروعي الفؤاد لاجتني قنـــة الصلـــد

تقض[916] عليهم صقرهـــا فتشردت　　من السوس عصبة الفساد إلى السِّند[917]

---

(901) الهَرْج : الوقوع في الفتنة والاختلاط والقتل.

(902) الرَّعاع : سفلة الناس، وأخلاطهم.

(903) تمالوا : أصله تمالؤوا أي اجتمعوا، وساعد بعضهم بعضا.

(904) لُدّ : جمع ألَدّ، وهو الخصم الشديد الخصومة الذي لا ينقاد للحق.

(905) أدهمها : يريد به أقبحها. وفي استعماله لهذه الصيغة ما فيه.

(906) جَلْب : يقال جَلَب وأجلب عليه بمعنى هَوَّل بصياح ونحوه.

(907) بخيلهم : بفرسانهم الراكبين على الخيل.

(908) ورَجْلهم : الرَّجْل هنا جمع رَاجِل، وهو الذي يمشي على رجليه. أخذ التمنارتي ذلك من قوله تعالى : ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك...﴾ (سورة الإسراء، الآية 64).

(909) دالوا عليه : داروا.

(910) وفتهم : يريد وافتهم، أي أتتهم.

(911) نبْأة : زَأْرة الأسد، التي هي صوته.

(912) مستطيرة : هائجة، منتشرة.

(913) في نسخة : مستعملي.

(914) ألحاد : قبور.

(915) قتام : غبار.

(916) تقَضَّ : يريد تقَضَّى، أي انقضَّ على فريسته. يقال انقَضَّ الطائر وتقَضْقَضَ وتقَضَّى إذا هَوَى من طيرانه ليسقط على شيء. ولا يقال «تقَضَّ». (انظر : «لسان العرب»، مادة «قضض»).

(917) السِّند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان، وسجستان («معجم البلدان»، ج 11، ص. 267).

فخلصنـــا من ضيقهـــا وحصارهـــــا   ولله في استخلاصنـــا منتهى الحمـــــد

وجــود البــراهين المنطقيـة في القرآن، ومـا قـال السـيوطي في ذلك

وفي بعض شهور سنة ثلاث وأربعين وألف، ورد علينا طالب من طلبة مراكش فوجدنا في تقرير البراهين المنطقية بالجامع الكبير بتارودانت بمجلس التدريس به، فأنكر وجود البراهين المنطقية في القرآن، قائلا : لأنه علم الفلاسفة، فأطلعته على ما للسيوطي في «الإتقان» له، في فصل جدل القرآن منه، ونصه[918]:

قال العلماء : اشتمل[919] القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد[920] يُبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق بذلك، لكن أورده على عادة[921] العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين أحدهما بسبب ما قاله : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[922]، والثاني أن المائل إلى دقيق الحجة هو العاجز عن إقامة الحجة[923] بالجليّ من الكلام، وأن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون، لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يفهمه[924] إلا الأقلون، ولم يكن مُلغزاً، فأخرج تعالى مخاطبته[925] في محاجة خلقه في أجلى صورة لتفهم[926] العامة من جليها ما يلزمهم الحجة[927] ويفهم[928] الخواص من أنبائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء.

(918) انظر : «الإتقان»، ج 2، صص. 135-136.
(919) في «الإتقان» : قد اشتمل.
(920) كذا في النسخ المعتمدة، وفي «الإتقان» : وتحذير.
(921) في «الإتقان» : على عادات العرب.
(922) سورة إبراهيم، الآية 5.
(923) في «الإتقان» : المحاجة.
(924) في «الإتقان» : لا يعرفه.
(925) في «الإتقان» : مخاطباته.
(926) في «الإتقان» : ليفهم.
(927) في «الإتقان» : ما يقنعهم وتلزمهم الحجة.
(928) في «الإتقان» : وتفهم.

وقال ابن أبي الأُصبغ[929] زعم الجاحظ[930] أن المذهب الكلامي[931] لا يوجد في القرآن منه شيء[932]، وهو مشحون به. وتعريفه[933] أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام، ومنه نوع منطقي يستنتج[934] منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله : ﴿وإن الله يبعث من في القبور﴾[935] خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات، قوله : ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾، لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أن الله[936] تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظما لها، وذلك مقطوع بصحته، لأنه [خبر][937] أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته، منقول إلينا بالتواتر، فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق، فالله هو الحق؛ وأخبر تعالى أنه يحيي الموتى لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى لنشاهد[938] تلك الأهوال التي نقلها الله من أجلهم[939]، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الأشياء إحياء الموتى [فهو يحيي الموتى][940]؛ وأخبر أنه على كل شيء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين، ومن يجادل فيه بغير علم يذقه من عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير [فهو على كل شيء قدير][941]؛ وأخبر أن الساعة آتية لا ريب، لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه

(929) في نسخة : ابن الأصبغ. وفي «الإتقان» : ابن أبي الأصبع.

(930) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الأديب الكبير، صاحب التآليف المشهورة، تخرج في علم الكلام على أبي إسحاق النظام المعتزلي فنصر الإعتزال في كتاباته. توفي عام 255هـ (انظر: كتاب «**الجاحظ في حياته وأدبه وفكره**» لجميل جبر).

(931) المذهب الكلامي كما عرفه الخطيب القزويني في «**الإيضاح**» (ج 2، ص. 516) هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام، كقوله تعالى : ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (**سورة الأنبياء، الآية 22**).

(932) في «**الإتقان**» : لا يوجد منه شيء في القرآن.

(933) في بعض النسخ : وتقريبه.

(934) في «**الإتقان**» : تستنتج.

(935) الآية 7.

(936) في «**الإتقان**» : أنه تعالى.

(937) لفظة «خبر» ساقطة من النسخ المعتمدة، وثابتة في «**الإتقان**».

(938) في «**الإتقان**» : ليشاهدوا.

(939) في «**الإتقان**» : «تلك الأحوال التي يقبلها الله من أجلهم». وهو غير سليم.

(940) ما بين المعقوفتين لم يرد في النسخ المعتمدة، وورد في «**الإتقان**». والسياق يقتضيه.

(941) ما بين المعقوفين، ورد في «**الإتقان**». والسياق تقتضيه.

خلق الإنسان من تراب إلى قوله ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾[942] وضرب لذلك مثالا[943] بالأرض الهامدة[944] التي نزل[945] عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، ومن خلق الإنسان على ما أخبر به، فأوجده بالخلق، ثم أعدمه بالموت، ثم يعيده [بالبعث][946]، وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق ثم أماتها بالمحل[947]، ثم أحياها بالخصب، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب، حتى انقلب الخبر عيانا صدّق خبره في الإتيان بالساعة، ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور [لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فهي اتية لا ريب فيها، وهو سبحانه وتعالى يبعث من في القبور][948].

وقال غيره : استدل سبحانه[949] على المعاد الجسماني بضروب :

ـ أحدها : قياس الإعادة على الابتداء. قال[950] : ﴿كما بدأكم تعودون﴾[951]، ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾[952]، ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾[953].

ـ ثانيها : قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى. قال[954] : ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾[955].

ـ ثالثها : قياس الإعادة على إحياء الأرض [بعد موتها][956] بالمطر والنبات.

---

(942) الآية 5.

(943) في «الإتقان» : مثلا.

(944) الهامدة : التي لا نبات فيها.

(945) في «الإتقان» : ينزل.

(946) ما بين المعقوفين ورد في «الإتقان».

(947) المَحْل : الجدب، وانقطاع المطر.

(948) ما بين المعقوفين ورد في «الإتقان»، ولم يرد في النسخ المعتمدة. والسياق يقتضيه.

(949) في «الإتقان» : سبحانه وتعالى.

(950) في «الإتقان» : كما قال تعالى.

(951) سورة الأعراف، الآية 28.

(952) سورة الأنبياء، الآية 103.

(953) سورة ق، الآية 15.

(954) في «الإتقان» : قال تعالى.

(955) سورة يس، الآية 80.

(956) ما بين المعقوفين لم يرد في النسخ المعتمدة، وورد في «الإتقان».

ـ رابعها : قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر. وقد روى الحاكم وغيره أن أبيّ بن خلف[957] جاء بعظم ففتته، فقال : أيحيي الله هذا بعد أن بَلِيَ[958] ورم؟ فأنزل الله : ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾[959] فاستدل سبحانه[960] برد النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث، ثم زاد في الحجج[961] بقوله : ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا﴾[962]، وهذا[963] في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما.

ـ خامسها : في قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، بلى وعدا عليه حقا ولكن﴾ الآيتين[964]. وتقريرها أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه والحق في نفسه واحد. فلما ثبت أن هاهنا[965] حقيقة موجودة لا محالة لا سبيل[966] لنا إلى الوقوف عليها في حياتنا وقوفا يوجب الإئتلاف ويرفع[967] الإختلاف، إذْ كان الإختلاف مركوزا في فِطَرِنا، وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجِبِلَّة[968] ونقلها إلى صورة أخرى[969] غيرها، صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد، وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير إليها فقال : ﴿ونزعنا مافي صدورهم من غل﴾[970]. فقد صار الخلاف الموجود

---

(957) هو أحد صناديد قريش الذين عارضوا بشدة دعوة النبي ﷺ. وقد تولى النبي ﷺ قتله بنفسه (انظر: «سيرة »ابن هشام، ج 3، صص. 32-33).

(958) في «الإتقان» : بعد ما بلي.

(959) سورة يس، الآية 78.

(960) في «الإتقان» : سبحانه وتعالى.

(961) في «الإتقان» : في الحجاج.

(962) سورة يس، الآية 79.

(963) في «الإتقان» : وهذه.

(964) سورة النحل، الآيتان 38-39؛ في «الإتقان» : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى﴾ (الآيتين).

(965) في بعض النسخ : أن هنا. وفي بعضها : أن هذا. وما أثبته هو الوارد في «الإتقان».

(966) في «الإتقان» : وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها.

(967) في «الإتقان» : ويرفع عنا.

(968) الجِبِلَّة : الخِلْقة والطبيعة.

(969) لم ترد كلمة «أخرى» في «الإتقان».

(970) سورة الأعراف، الآية 42؛ وسورة الحِجْر، الآية 47. والغِلّ : الحِقْد.

كما نرى أفصح[971] دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون [كذا قرره ابن السيد][972].

ومن ذلك الِاستدلال على أن صانع العالم واحد، بدلالة التمانع المشار إليها بقوله تعالى[973] : ﴿لو كان فيهما إله إلا الله لفسدتا﴾[974]، لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما، وذلك أنه[975] لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته، فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة تجزي الفعل إن فرض الِاتفاق، ولامتناع اجتماع الضدين إن فرض الِاختلاف، وإما أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه والإله لا يكون عاجزا.

انتهى. وسقناه بتمامه لفائدته، ولكونه وافيا بمَقْصِدنا، فسلم الطالب وانصرف بفائدة عظيمة، والله يرشد للحق ويعين عليه بفضله.

نصاب الزكاة في الذهب والفضة

فائدة : نصاب الذهب عشرون مثقالا[976] سنية، في كل مثقال أثنتان وسبعون حبة من الشعير الوسط. فمجموع حبات نصاب الذهب ألف حبة وأربعمائة حبة وأربعون حبة، من ضرب عشرين عدد مثاقيل السنة في اثنين وسبعين عدد حبات كل مثقال منها؛ وفي المثقال الوقتي السادسي مائة حبة، فالنصاب به أربعة عشر مثقالا وخمسا مثقال.

ونصاب الفضة مائتا درهم شرعي[977]، كل درهم خمسون وخمسا حبة من الشعير الوسط. فمجموع حبات نصاب الفضة عشرة آلاف حبة وثمانون حبة، وفي الدرهم الأحمدي[978] المقطوع التعامل به قريبا خمس حبات. فالنصاب بدرهمه

---

(971) في «الإتقان» : أوضح.

(972) ما بين المعقوفين ورد في «الإتقان»، ولم يرد في النسخ المعتمدة. وابن السِّيد هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسي. ولد في بطليوس سنة 444هـ، وتوفي ببلنسية سنة 521هـ. وهو من كبار علماء الأندلس ؛ تنوعت ثقافته، وعلا كعبه في ميدان اللغة والنحو والأدب. وله مؤلفات قيمة. (انظر ترجمته ومصادرها في «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس» للدكتور محمد رضوان الداية، ص. 179 فما بعد).

(973) في «الإتقان» : في قوله.

(974) سورة الأنبياء، الآية 22.

(975) في «الإتقان» : وذلك لأنه.

(976) المثقال هو الدينار، ووزنه بالغرامات = 4,25غ. وعليه فنصاب الزكاة بالذهب هو 4,25 × 20 = 85 غراما.

(977) الدرهم الشرعي يزن 2,975غ. ونصاب الزكاة في الفضة هو 2,975 × 200 = 595 غرام.

(978) يبدو أنه منسوب إلى أحمد المنصور الذهبي.

خمسون أوقية وستة عشر درهما، وفي الدرهم الوقتي ثلاث حبات، فالنصاب به أربع وثمانون أوقية.

وجزء الزكاة من النصابين ربع العشر، وقيده في محرم ثلاث وعشرين وألف.

فائدة في الاستغفار

فائدة في الإستغفار : اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تُبْتُ إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخلطت به[979] غيرك، وأستغفرك مما وعدتك به من نفسي ثم لم أف[980] لك به، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت به في ضياء النهار وسواد الليل في خلاء ومَلإ وسر وعلانية، فاغفره لي فإنه لا يغفر الذنوب جميعا إلا أنت يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أدعية لرفع الوباء

ومما تلقيناه يصلح لرفع الوباء : هذا الدعاء يقرأ أول النهار وآخره وأول الليل وآخره، وهو:

> سبحان الله ملء الأرض والميزان، ومنتهى الرضا ومبلغ العلم وزنة العرش، يا علي يا حليم يا حنان يا حكيم، اكفني شر هذا الوباء وشر هذه[981] الريح وشر ما جاءت به، بفضل بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبحق لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. اللهم أمسك صدمة قَهْرَمَان[982] الجَبروت[983] بألطافك اللطيفة الخفية النازلة الواردة من باب الْمَلَكوت[984]، حتى نتشبث بأذيال لطفك ونعتصم بك من صدمة هذا الوباء بحق قدرتك يا ذا الرحمة الشاملة والقدرة الكاملة يا ذا الجلال والإكرام.

انتهى. خرجه الشريف الأفضل المحدث الأجل سيدي أبو عبد الله الفاسي في كتابه الموسوم بـ«**منهاج أشرف العبادات في الأذكار والدعوات**».

ومرض به بعض أصحابنا الطلبة، فلقن بين النوم واليقظة هذا الدعاء فكان

---

(979) في نسخة : فيه.

(980) في نسخة : لم أوف.

(981) في النسخ المعتمدة : هذا.

(982) القَهْرَمَان : المسيطر الحافظ لما تحت يده، وهو فارسي معرب («**لسان العرب**»).

(983) الجَبَرُوت : القهر، صفة الجبار وهو المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا.

(984) المَلَكُوت : العز والسلطان والعظمة.

يدعو به فشفي، وهو : «اللهم اشفني بشفائك، وداوني بدوائك، وعافني من بلائك ظاهرا وباطنا. إنك على كل شيء قدير».

ولما نزل الوباء الجارف بمراكش وتارودانت سنة ست وألف إلى ما يقرب من ستة عشر وألف، وأنا إذ ذاك في زمن الشباب، وكثيرا ما يقع في الشباب، فكنت أقرأ له أورادا مما ذكر وغيره، فاتفق لي ليلة رؤياهم[985] أشخاصا سودا عراة الرؤوس وهم يضربونني، فكنت أرميهم بحجارة جمعتها في حجري فيهربون إلا واحدا منهم زاحمني فقلت لهم : من هذا الذي لا يستحيي؟ فقال لي واحد منهم : ذلك خلا بهذا اللفظ، ولما تحامل علي جردت من جانبي الأيسر سيفاً أحمر فأشرت به إليه، ففر أمامي فكأني أنظر إلى بياض قدميه في فراره فضحكت في منامي من سرعة هروبه حتى استيقظت وأنا أضحك، فسلمني الله في جميع تلك الأعوام منه بحفظ الله وبركة ذكره.

فائدة للبركة

فائدة للبركة : تأخذ ألف حبة قمح أو غيره، تعدها بوضوء وأنت مستقبل القبلة، وتقرأ على كل حبة : [البسيط]

فإن فضل رسول الله ليس لـــــه حد فيعرب عنــه ناطــق بفــم[986]

فتصرُّ[987] الجميع في خرقة بيضاء نقية وتدفنها في قعر الزرع تجد البركة فيه بفضل الله.

فائدة في تثقيف الدور والجنان وما إليها

فائدة لتثقيف الدور والأجنة والفدادين والمسافرين والرفاق : تأخذ سبعة أحجار وتقرأ عليها: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[988] تقرأ الآية مفرقة الكلمات على الأحجار، لكل حجر كلمة منها من الكلمات السبع، ترفع حجرا منها عند قراءة كلمته على ترتيب كلمات الآية من أولها إلى آخرها تفعل ذلك ثلاث مرات فتجمع الأحجار، فترفع أولها فتقرأ عليه : ﴿فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾[989]، وعلى الثاني : ﴿قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك

---

(985) هكذا في النسخ المعتمدة.

(986) البيت من «بردة المديح» للبوصيري (انظر: «حاشية الباجوري على البردة»، ص. 28).

(987) تصرُّ الجميع : تشده وتجعل منه صرَّةً.

(988) سورة فاطر، الآية 10.

(989) سورة الشورى، الآية 7.

ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾[990]، وعلى الثالث : ﴿جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾[991]، وعلى الرابع : ﴿مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير﴾[992]، وعلى الخامس : ﴿خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم. لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾[993]، وعلى السادس : ﴿ما ننسخ من آية أو نُنسهَا نات بخير منها أو مثلها. ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾[994]، وعلى السابع[995] : ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾[996]، وحروف أوائل هذه الآيات: «فَقَجْمَخمَتْ». ثم ترفع الحجارة الثلاثة التي جزمت حروفها وتجعلها في وسط ما تريد حفظه، وترمي الأربعة في النواحي، واحداً إلى القبلة وتقول عند رميه : ﴿يس والقرآن﴾[997]، والثاني للجوف[998]، وتقول عند رميه : ﴿صٓ والقرآن﴾[999]، والثالث عن[1000] يمينك وتقول عند رميه : ﴿قٓ والقرآن﴾[1001]، والرابع ترميه عن يسارك وتقول : ﴿الرحمان علم القرآن﴾[1002].

فائدة في بركة الصلاة على النبي ﷺ

فائدة في بركة الصلاة على النبي ﷺ : رفع لشيخنا أبي علي منصور بن محمد بن يوسف السوسي المومني رحمه الله، سؤال نصه :

(990) سورة آل عمران، الآية 26.
(991) سورة فاطر، الآية 1.
(992) سورة البقرة، الآية 19.
(993) سورة المائدة، الآيتان 121-122.
(994) سورة البقرة، الآية 105. في نسخة : ﴿... أو ننسها﴾إلى ﴿أن الله...﴾
(995) في نسخة : وعلى السابعة؛ وهو غير منسجم مع ما عُطف عليه.
(996) سورة الملك، الآية 1.
(997) سورة يس، الآية 1.
(998) للجوف : أي للغرب.
(999) سورة ص، الآية 1.
(1000) في نسخة : على.
(1001) سورة ق، الآية 1.
(1002) سورة الرحمان، الآية 1.

أيها السيد ـ نفع الله بعلمكم ـ ذُكِر لنا[1003] أن العلامة ابن حجر ذكر في شرحه للبخاري أن من فضائل الصلاة على النبي ﷺ أنها حبس على من صلى عليه، عليه الصلاة والسلام، قالوا : وكيفية التحبيس فيها أن أرباب المظالم يوم القيامة لا يأخذون من ثوابها شيئا، ويكون مصليها مخصوصا به، هل ذلك صحيح أم لا؟

فجاوب :

الحمد لله. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[1004]. وبعد؛ نعم ! كذلك نص عليه شيخ الإسلام العلامة ابن حجر، وكأنك رأيته بعينك لا حرمنا الله وإياك الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ ومن الفوز بثوابها والدخول في منيع حصنها. إنه ولي الإنابة والقبول. وذكر أيضا أنها مقبولة على كل حال[1005]، على حالة الطهارة وغيرها مع حضور الذهن وعدمه، ولا يحبطها رياء ولا غيره. والحمد لله وله الشكر على نعم لا تحصى، وكتبه محبكم منصور بن محمد المومني.

ويليه لشيخنا الإمام أبي عبد الله التلمساني : «الحمد لله صح الجواب وهو موافق، وكتبه محمد بن أحمد التلمساني».

قلت : ومن بركتها وفوائدها أيضا ما أشار إليه الإمام السنوسي رضي الله عنه في «**شرحه لصغرى الصغرى**» بقوله:

وقد رأيت لبعض أئمة التصوف أن من فقد شيوخ التربية فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ، فإنه يصل[1006] إلى مقصوده. ولعل ذلك أخذه[1007] من قوله ﷺ[1008] لأبي هريرة رضي الله عنه لما[1009] التزم أن يجعل جميع صلاته للنبي

(1003) عبارة «ذكر لنا» ساقطة من إحدى النسخ المعتمدة.

(1004) في نسخة : وبركته.

(1005) أورد السخاوي في «**المقاصد الحسنة**»، ص. 266، حديث «الصلاة على النبي ﷺ لا ترد». وعلق عليه بما يلي : «هو من كلام أبي سليمان الداراني، ولفظه «الصلاة على النبي ﷺ مقبولة». وفي لفظ : «إن الله يقبل الصلاة على النبي ﷺ». أخرجه باللفظ ابن المنيري كما بينته في «**القول البديع**»، بل في «**الإحياء**» مرفوعا مما لم أقف عليه، وإنما هو عن أبي الدرداء من قوله : إذا سألتم الله حاجة، فابدأوا بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الله أكرم من أن يُسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى». اهـ.

(1006) في «**شرح صغرى الصغرى**» : يصل بها إلى.

(1007) في «**شرح صغرى الصغرى**» : ولعله أخذ ذلك.

(1008) في «**شرح صغرى الصغرى**» : عليه الصلاة والسلام.

(1009) في «**شرح صغرى الصغرى**» : عندما التزم.

ﷺ: « إذن تُكفى همك، ويغفر ذنبك»[1010] ولا شك أن المريد الطالب لمشايخ[1011] التربية قد اهم بتنقية نفسه وشفائها من علائق سواه تبارك وتعالى، فإذا أكثر من الصلاة على النبي ﷺ[1012] كُفيَ هذا الهم الذي اهم به. والله تعالى أعلم[1013]. انتهى.

وقد مضى لنا في الحض على لزوم جنابه ﷺ قطعة[1014] أثبتتها هنا، وكنت قلتها في صبيحة بعض موالده ﷺ، وهي : [الطويل]

قصيدة للتمنارتي في المولد النبوي

هنيئا لنا وجه السعادة أصبحا	بدا حسنه كلَّ المحاسن أفضحا
بدا حُسنُه يا حُسنَ وجه محمد	قد ضاءت به الآفاق طرا من أبطحا
جلا حسنه ظلماءَ ليلِك فانجلت	وضوء الصباح قد غَشيَك ألوحا
تبسمت الأكوان والنشر قاسم	وعاد نسيم الصبح وردا تفتحا
تَيَقَّظْ هَداك الله تشهد نوره	وتنشق من ذاك النسيم المنفحا
تبدّى من الأستار وجه محمد	محاطَ الحجاب بالبشائر أصبحا
وقد جَلَّل الأكوانَ نورُ جماله	وجلّى عيون الكائنات لِتَلمَحا
تدلت له الأملاك ساعة وضعه	وطافت به بين العوالم أفلحا
ونادت به الأشياء أهلا ومرحبا	لقد[1015] وُطِّئت مهد الكرامة أفسحا
فحيِّ مُحَيَّاه بطيب تحية	خليليَ فهو بالجلالة مُتَّحاً[1016]
وسارع إلى الحسنى وبادر ببره	وبالغَنْ في إعظامه وتمدحا

(1010) رواه أحمد والترمذي والبزار. والذي قال له النبي ﷺ ذلك هو أبي بن كعب (انظر: «**الصلاة على النبي ﷺ**» للقاضي عياض، قدم له وراجع أصوله محمد عثمان الخشت، ص. 89). وورد هذا الحديث في «**فضل الصلاة على النبي ﷺ**» لإسماعيل بن إسحاق الهضمي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ص. 32، بلفظ : «إذن يغفر لك ذنبك كله». وعلق عليه الألباني في هامش 2 بقوله : «حديث جيد...» إلخ. وبلفظ : «إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة»، وعلق عليه الألباني في ص. 31 هامش 3 بقوله : «هذا مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له ما بعده».

(1011) في «**شرح صغرى الصغرى**» : على مشايخ.

(1012) في «**شرح صغرى الصغرى**» : من الصلاة على نبينا ومولانا محمد ﷺ.

(1013) انظر: «**شرح السنوسي على صغرى الصغرى**»، ص. 5.

(1014) بل هي قصيدة بلغت أبياتها واحدا وعشرين بيتا.

(1015) في نسخة : فقد.

(1016) هكذا في النسخ المعتمدة، إلا واحدة، فقد ورد فيها «متحدا»، وهو غير سليم وزنا وقافية. ولعله «فتّحا» تشبيها لوجهه المشرق ﷺ بالورود المتفتحة.

فمن أجله وُجِدنا من خير أمة وأنقذنا من هُوّة الهُلك وانتحى
بنا سَنَن الرشد القويم وإذ محا
غياهب شرك والعَمايَة[1017] قد لحى[1018]
بطلعته ليل الضلالة مُنجلي وأعقبه صُبحُ الهداية أنجحا
هدانا به الإله من كل حيرة ولولاه لم تجد لعينيك مطرحا[1019]
نبي الهدى بحر الندا مطر الجَدا[1020]
مديدُ المَدى ومُذْ بَدا[1021] الحَقُّ أوضَحا
كريمُ نِجارٍ في قرارة سؤدد على ذروتي عز ومَجْدٍ تلوحا
خلاصة در من نفاسة هاشم[1022] وزهرة[1023] حسن زهره المتنفحا[1024]
لقد طاب مولدا وطبنا به عهدا وعاد لنا وعدا، وعيدا، ومفرحا
لنا مدحه في كل عام مضاعف وفي كل حين حبه فينا قد ضحا[1025]
عليه صلاة الله ما بدر حسنه أنار قلوب الشائقين لِتمدحا

حب النبي ﷺ يتحقق باتباع سنته

ضاعف الله حبنا في هذا النبي الكريم، وحققه باتباع سنته، وحفظ شريعته، والذب عن ملته، والقيام بحقوق أمته، وتعظيم شعائر دينه وآل بيته وصحابته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

(1017) العَمَايَة : الغَوَاية واللجاج.

(1018) لحى : لام.

(1019) طَرْف مِطرَاح : بعيد النظر.

(1020) الجَدَا : العطية.

(1021) حرف هذا الشطر في النسخ المعتمدة كلها. والتصويب من الديوان («مخطوط» الخزانة الملكية بالرباط، رقم 6523، الورقة 23/ب).

(1022) هاشم : هو الجد الثاني لرسول الله ﷺ واسمه عمرو وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي. سمي هاشما، لأنه وقعت مجاعة في قريش فهشم لهم الخبز، ويزعمون أنه أول من سن لقريش رحلتي الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج. وفي ذلك قيل :

عَمْرو الذي هَشَم الثريد لقومه قوم بمكة مُسْنِتِينَ عِجَافِ
سُنَّتْ إليه الرحلتان كلاهما سفرُ الشتاء ورحلةُ الإيلافِ

(انظر: «سيرة» ابن هشام، ج 1، ص. 147).

(1023) يشير إلى أخواله بني زهرة : لأن أمه ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب («سيرة» ابن هشام، ج 1، ص. 120).

(1024) المتنفحا : من نَفَح الطيب إذا أرِجَ وفاح.

(1025) ضَحَا : بدا وظهر.

وأنشدوا في المعنى[1026] : [الكامل]

تعصي الإلـه وأنت تظهـر حبـه هذا محال في القيـاس بديـع
لو كان حبك صادقـا لأطعتـه إن المحب لمن يحب مطيـع[1027]

ومثله في المعنى : [البسيط]

قالت وقد سألت عن حال عاشقها بالله صفـه ولا تنـقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمـإ وقلتِ قف عن ورود الماء لم يرد[1028]

وقد مضت لي في المحبة أبيات أثبتها هنا وهي : [الطويل] قصيدة للتمنارتي في المحبة

طَحَابك قلب[1029] في الحسان وَلُوع[1030]
بُعَيـد الشبـاب عصرَ حان نُزوع[1031]
وهـام بك الوجـد المتيم في الهوى
على حين يَطَّبـي[1032] المُنـيبَ رُجـوع
وأذوَى[1033] حَرُورُ لَوْعِها[1034] دوحة الصبا
وغصن شبـابي والفـؤاد مَلـوع[1035]
وأنت الخبير بالـذي تفعـل النـوى إذا لاح من نحو الحبيب مُلوع[1036]

(1026) سقط «في المعنى» من نسخة.

(1027) ورد البيتان ـ غير منسوبين لأحد ـ في «حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة للمرشد المعين»، ج 2، ص. 259.

(1028) المصدر نفسه، ج 2، صص. 259-260.

(1029) طحابك قلب : ذهب بك في كل شيء.

(1030) وَلوع : شديد التعلق والحب.

(1031) نزوع : انتهاء، وكف عن الغواية. وهذا المطلع أخذه التمنارتي من قول الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة التميمي :

طحـابك قلبٌ في الحسان طروبُ بُعَيـد الشبـاب عصرَ حَانَ مَشيبُ

(«المفضليات»، تحقيق وشرح محمد أحمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، صص. 390-391 ؛ و«الشعر والشعراء»، ص. 95).

(1032) يَطَّبي : يدعو.

(1033) أذْوَى : أذبل.

(1034) لوعها : لوعتها، وهي الحرقة والوجد.

(1035) مَلُوع : اسم المفعول من لاَعَه الحب، أي أمرضه.

(1036) ملوع : المراد به المَلْع، وهو الذهاب في الأرض.

عَلِقْتُ[1037] بهن مذ علقت تمائمي وذاك أوان حبهن شروع

تَمَطَّى[1038] شبابي بينهن وإنني بذاك للذاتي وإلي رضيع

وأضحى فتيت المسك أو نفحاته رسولا ينادي في الورى ويذيع

وأمست بذات الرند[1039] بين خيامها جآذر سُعدى والعبير يضوع[1040]

عصيت عذولي في هواها وإنني سميع لأمر حبها ومطيع

ألا هَلْ ترى الأيام تدني مزارَها وهل لي إليها من هواها شفيع؟[1041]

فإن يكن القيسان[1042] من أجل حبها جنونا[1043] وشمل العاشقين جميع

فها أنذا فرد الصبابة والهوى غريب وَبَين الكاشحين[1044] صريع

تظاهر وجد في فؤادي وغربة[1045] وللوحش في قلب الغريب صنيع

وإن يَكُ بهلول[1046] ثوى بضلوعه زفير ولكن رَوَّحته دموع

فلي زفرات قد عصتها دموعها حرام على إبدائهن ضلوع[1047]

(1037) عَلِقْتُ بهن : أحببتهن.

(1038) تَمَطَّى : تَمَطَّط أي امتد وطال.

(1039) ذات الرند وذو رند : موضع بجادة حاج البصرة.

(1040) يضوع : يفوح.

(1041) أخذ الشطر الثاني من قول قيس المجنون :

مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلى لُبْنَى الغداة شفيع

(**«ديوان مجنون ليلى»**، ص. 11 ؛ و**«الأمالي»** للقالي، ج 1، ص. 136).

(1042) القيسان، هما : 1 – قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة الذي جُنَّ بعشق ابنة عمه ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة من بني عامر المكناة أم مالك، وأم عمر. وهو المعروف بمجنون ليلى (انظر: **«ديوان مجنون ليلى»** بشرح عبد المتعال الصعيدي، صص. 9–10 ؛ و**«الشعر والشعراء»**، صص. 281–286؛ وانظر: **«الأغاني»** للإصبهاني، ج 2، ص. 8 فما بعد. فقد احتلت فيه أشعار مجنون بني عامر نيفا وتسعين صحيفة). 2 – وقيس بن ذريح الكناني المعروف بعشقه للبنى الخزاعية (انظر: **«الأغاني»**، ج 9، ص. 180 فما بعد، و**«الشعر والشعراء»**، ص. 316 ؛ و**«الأمالي»** للقالي، ج 2، صص. 75–76 و314–317؛ و**«تاريخ الأدب العربي : العصر الإسلامي»** لشوقي ضيف، ص. 364).

(1043) جنونا : أي جُنَّا جنونا.

(1044) الكاشحين : مضمري العداوة.

(1045) في نسخة : وغربتي.

(1046) لم أعرف مراده ببهلول.

(1047) مراده : حرام على الضلوع إبداؤهن.

وما بشر هند[1048] أو جميل بثينة[1049] بأوجد[1050] مني بالغرام لذيع

ولا توبة في الأخيلية[1051] جازيا وعروة في لبناه[1052] ذاك وضيع

وقل كثير من كثير عزة[1053]

وما غيل من غيلان مية[1054] روع[1055]

فكل وحيد هاجه حب واحد

وهيهات حبي هيجته جموع[1056]

ومن حبه ﷺ تعظيم الكتاب المنزل عليه، المتعبد بتلاوته، الذي هو قرآن مجيد، وتنزيل من حكيم حميد، فيتغنى المحب بتلاوته ويحسن بها صوته ويقيمها أداء وخطا، ويأخذ من تدبر آياته وتفهم خطابه وتأمل غريبه وإعرابه حظا، ويعلم أنه حبل الله المتين، وبرهانه الواضح المبين وحجته البالغة، ومعجزة رسوله الدامغة، فيعطيها من

من حبه ﷺ تعظيم القرآن الكريم

(1048) بشر هند : المراد ببشر بشر العابد الذي كان يقيم في المدينة المنورة، وكان كثير التردد على مسجد الرسول ﷺ، واشتهر بالصلاح والزهد، وكان شابا فائق الجمال. وقد أحبته هندُ بنت فهد، وكانت من أجمل نساء العرب، وأحبها وتبادلا الأشعار بينهما (انظر كتاب «**عشاق العرب وأخبارهم**»، صص. 13–26).

(1049) جميل بثينة : هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر، أحد عشاق العرب المشهورين. أحبُّ بثينة إحدى نساء قبيلته، فهام بها في شعره (انظر: «**الأغاني**»، ج 8، ص. 90 فما بعد ؛ و«**الشعر والشعراء**»، صص. 213–219).

(1050) بأوجد مني : بأكثر وجدا وعشقا مني.

(1051) توبة : هو توبة بن الحُمَيِّر من بني عُقَيْل. والأخيلية معشوقته، واسمها ليلى بنت عبد الله بن الرُّحالة (انظر : «**الشعر والشعراء**»، صص. 218–221).

(1052) عروة : لعل المراد به عروة بن حزام العذري أحد العشاق الذين قتلهم العشق. إلا أن معشوقته هي عفراء بنت مالك العذرية، لا لبنى كما ذكر المحارثي. (انظر: «**الشعر والشعراء**»، ص. 313 ؛ و«**عشاق العرب وأخبارهم**»، ص. 86).

(1053) كثير : هو كثير بن عبد الرحمان بن أبي جمعة الخزاعي، وهو أحد عشاق العرب، ومعشوقته عزة الضمرية التي يُنسب إليها (انظر: «**الشعر والشعراء**»، صص. 254–261).

(1054) غيلان : هو ذو الرمة غيلان بن عقبة. وهو أحد عشاق العرب، وصاحبته مَيَّة بنت فلان بن طَلَبَة ابن قيس. (انظر : «**الشعر والشعراء**»، صص. 265–270).

(1055) رُوع : قلب.

(1056) في طرة، ص. 230 من «**مخطوطة**» الخزانة العامة بالرباط رقم 142د — أمام هذا البيت الأخير — ما يلي : «أشار لما كان عليه من الوظائف العزيزة».

العناية حقها، ويتبين في المنطوق والمفهوم[1057] صدقها، ويعمل على يقين في معظم ثوابها، وأنه يرقى الدرجات بحسابها.

من حبه تعظيم الحديث الشريف

ومن حبه ﷺ تعظيم حديثه بقراءته والإعتناء بروايته بأسانيده، ومعرفة رجاله سندا ومتنا. وقد تقدم لنا طرق حمله وكيفية أدائه لأهله. ولنثبت هنا بعض رسوم إجازته التي جرت بها العادة في روايته، وإن كانت بلادنا السوسية ليس بها لعلم الحديث آثر[1058] ولا ذاكر، ولا متشوف[1059] لمصطلح أصله من باد وحاضر، وهو في جلالته ورفعة قدره كما قيل[1060] : [البسيط]

لم يضحك الورد إلا حين أعجبه ... حسن الرياض وصوت الطائر الغرد

بدا فأبدت لنا الدنيا محاسنها ... وراحت الراح في أثوابها الجدد

وقابلته يد المشتاق تسنده ... إلى الترائب والأحشاء والكبد

فكان فيه شفاء من صبابته ... ومانع جفن عينيه من السُّهد[1061]

قام بحجته ريح معطرة ... تشفي القلوب من الأوصاب[1062] والكَمَد[1063]

بين النديمين والخلين وصلته ... وَسَيْرُهُ مِنْ يدٍ موصولة بيد

لاخيَّب الله إلا من يحاوله ... بمسمع بارد وَمَنطق نكِد[1064]

* * *

إجازة النهروالي لأحمد السوداني

* فمن ذلك إجازة قطب الدين الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن محمد بن جميل الدين قاضي خان بن بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسين بن

(1057) المنطوق : ما تدل عليه الفاظ النص صراحة. والمفهوم : ما يفهم من النص وإن لم تصرح به ألفاظه.

(1058) آثِر : ناقل.

(1059) متشوف : متطلع.

(1060) نسبها إليه ولده في «الديوان»، فقال : «ولما طلب منه فقهاء المحمدية السوسية، الإجازة في علم الحديث، وتثبيت روايته، أنشد لهم ـ تأكيداً لمحبة علم الحديث ـ قوله» («مخطوطة» الخزانة الملكية بالرباط رقم 6523، الورقة 5/ب).

(1061) السُّهد : السهر.

(1062) الأوصاب : الأمراض، مفرده : وَصَب.

(1063) الكَمَد : الحزن الشديد، ومرض القلب منه.

(1064) نكد : عَسِير، شديد.

علي النهروالي[1065] المكي الحنفي القادري للإمام المحدث أبي العباس أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي السوداني[1066]. ونصها :

الحمد لله الذي رفع قدر علماء الحديث الشريف بعلو الإسناد، وخص أمة سيدنا محمد ﷺ باتصال السند من بين كافة العباد، وشملهم بفيض فضله المتواتر[1067] فعم سائر الآحاد[1068]، نحمده على الإعتقاد الصحيح الحسن الأشهر[1069]، ونشكره على أن وضع عنا كل معضل ومنكر[1070]، ونصلي ونسلم على النبي المرسل[1071] سيد الأولين والآخرين المبعوث إلى كافة العالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أئمة الهدى والدين الناقلين إلينا هَدْيَه وسُنَنَه، المقتفين أثره وسَنَنَه[1072]، والتابعين لهم[1073] بإحسان، ومن تبعهم وأحيا سنتهم إلى انتهاء الزمان.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير الحقير، الذاهب عمره في القصور والتقصير، محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن محمد شمس الدين بن جميل الدين قاضي خان بن بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسين بن علي النهروالي المكي الحنفي القادري أحسن الله خواتم أعماله، وسدده في أقواله وأفعاله وأحواله، وجعله من خدام أحاديث نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

اعلم ـ هداك الله إلى اتباع هدى نبيك ﷺ ـ أن اتصال السند بين راوي الحديث ورسول الله ﷺ معدود من أشرف الكرامات وأعلى المراتب، لأنه يوصل

(1065) سبقت ترجمته في ص. 62، هامش 6.

(1066) سبقت ترجمته في ص. 135.

(1067) في النسخ المعتمدة : المواثر. وهو خطأ. والمتواتر في اللغة هو المتتابع، ومراد المجيز أن يشير إلى مصطلح «الحديث المتواتر»، الذي يقابل «حديث الآحاد». والحديث المتواتر هو الذي رواه جماعة مستفيضة ـ يستحيل تواطؤهم على الكذب ـ عن مثلهم، من الإبتداء إلى الإنتهاء، وكان مستندهم الحس» (انظر: «**شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**» لابن حجر العسقلاني، ص. 3).

(1068) الآحاد : الأفراد. ومراده الإشارة إلى «حديث الآحاد»، وهو كل حديث لم تتوافر فيه شروط التواتر (انظر : **المصدر نفسه**، ص. 4).

(1069) أشار المجيز هنا إلى «الحديث الصحيح» و«الحديث الحسن» و«الحديث المشهور». وقد تقدمت تعاريفها في ص. 332، «الحسن»؛ وص. 333، «الصحيح»؛ وص. 336، «المشهور».

(1070) أشار المجيز هنا إلى الحديث المعضل و«الحديث المنكر». وقد تقدم معناهما في ص. 333 و335.

(1071) فيه إشارة خفية إلى الحديث المرسل. وقد تقدم معناه في ص. 334.

(1072) سَنَنه : طريقه.

(1073) في النسخ المعتمدة : له.

الراوي إلى النبي ﷺ ويقربه إليه، وكلما كان رجال السند بين الراوي وبين النبي ﷺ أقل كان السند عاليا، ويكون الراوي أقرب إلى النبي ﷺ وأقرب إلى قَرْنِه الشريف بالنسبة إلى من كان رجال سنده أكثر، فيحصل له حصة من الخيرية التي أشار إليها رسول الله ﷺ بقوله : «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». رواه البخاري ومسلم[1074] والترمذي والإمام أحمد بن حنبل في «**مسند**»ه عن ابن مسعود رضي الله عنه. ولهذا ثار علماء الحديث رضي الله عنهم إلى طلب السند العالي، ورحلوا من أوطانهم إلى أقطار الدنيا للأخذ عن علماء الحديث[1075]، خصوصا إذا كان لهم سند عال، وطالما رحلوا إلى البلاد الشاسعة لأخذ حديث واحد عن محدث انحصرت روايته فيه، توسلا إلى التقرب من النبي ﷺ ودخولا في زمرة ناقلي حديثه ﷺ، ورجاء أن يشملهم دعاؤه عليه الصلاة والسلام حيث قال : «نضَّر[1076] الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»[1077].

وكنت في صِغَر سني أحضرني والدي المرحوم المقدس في دروس أكابر العلماء المحدثين، واستجاز لي من الحاضرين والغائبين، بالإستدعاء للإجازة منهم طلبا لعلو السند كما هو شأن طالب علم الحديث، ورحلنا لطلب العلوم الشرعية والحديثية إلى مصر والشام وحلب وغيرها من بلاد العرب وهي مشحونة بالعلماء العظام والمحدثين الكرام، بعدما خط عِذاري[1078]، وشهَّدت[1079] أفكاري، وجثوت بين يدي العلماء، وباحثت أعاظم الفضلاء، وشَملتني بركاتهم، وحصلت لي إفاضتهم، واندرجوا

(1074) رواه البخاري في مواضع من «**صحيح**»ه، وبألفاظ مختلفة (انظر: «كتاب الشهادات»، و«كتاب «الرقاق»، و«كتاب الأيمان والنذور»، و«فضائل أصحاب النبي ﷺ»؛ ورواه مسلم في كتاب «فضائل الصحابة» من «**صحيح**»ه».

(1075) انظر في هذا الصدد كتاب «**الرحلة في طلب الحديث**» للخطيب البغدادي.

(1076) نضَّر: حسَّن وزين. من النضرة التي هي الحسن والبهاء والرونق.

(1077) هذا الحديث أخرجه ـ بألفاظ مختلفة ـ أبو داود والترمذي ـ وحسنه وصححه ـ وأحمد وابن ماجه وابن حبان والطبراني في الكبير والأوسط والدارمي (انظر: «**تحفة الأحوذي**»، ج 3، ص. 372 و«**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**»، المجلد الأول، ج 1، ص. 10). وعده بعضهم من المتواتر، لأنه ورد عن 24 صحابيا أو عن نحو 30 منهم (انظر: «**نظم المتناثر من الحديث المتواتر**»، صص. 24-25).

(1078) عِذَاري : شعر لحيتي النازل على اللَّحْيَيْن.

(1079) شهدت : أدركت ونضجت. يقال : أَشْهَد الغلامُ وشهَّد إذا أمذى وأدرك، وأُشهدت الجارية : إذا حاضت وأدركت. («**القاموس**»، و«**لسان العرب**»).

إلى رحمة الله تعالى. وإني صائر إلى ما صاروا إليه حالا أو مآلا، وكلنا مرجعنا إلى الفناء وإنما الله هو الباقي، فصرت الآن إلى أعلى سندٍ من جميع أهل عصري ممن لم يدرك أولئك الأعلام، وتميزت بذلك ـ ولله الحمد ـ على هذا الإكرام؛ وليس ذلك لعلو قدري، وتفوقي على أهل دهري: فإني أحقر عباد الله وأضعفهم وأهونهم فضيلة وأفضالا، وإنما ذلك لتقهقر الزمان، وذهاب الأعيان، وانقراض الأكابر والأقران : [مجزوء الكامل]

خلت الـــــدُّسوتُ[1080] من الرِّخــــا
خِ[1081] ففـرزنت[1082] فيها البيـاذق[1083]

فها أنا كالهشيم الذي تذروه الرياح قلعا، ويكاد يحتاج إليه عند فقد الربيع للضرورة إلى المرعى، كما قال القائل : [الوافر]

ولكـــن البـــلاد إذا اقشعـــرت وصَوَّحَ[1084] نبتها رُعــيَ الهشيم[1085]

ولما طال عهدي بتقادم ذلك الزمان الفياح[1086]، وخلا الدهر من أضواء تلك الوجوه الصِّباح[1087]، خشيت أن تندرس هذه الأسانيـد العاليـة، وتنمحي أسامي أولئك العلماء الأعلام، بمحو جملة تلك الآثار العظيمة الشأن،سيما[1088] مع

(1080) الدست : مواضع الرِّخاخ (معرّب).

(1081) الرِّخاخ : جمع رُخّ، وهو من أدوات الشطرنج.

(1082) فرزنت : صارت فِرْزانا، والفِرْزان في الشطرنج : الملكة (معرّب).

(1083) البياذق : بياذق الشطرنج (فارسية معرّبة).

(1084) صَوَّح : يَبِس وتشقق. يقال : صوَّح النبتُ، وتصوَّح، وصوَّحته الشمس.

(1085) الهشيم : الكلأ اليابس. والبيت لأبي علي البصير، وقبله :

لعَمْـرُ أبـيك ما نُسِب المُعَلّـــى إلى كَرَم وفي الدنيـــــا كريم

(انظر: «الأمالي» للقالي، ج 2، ص. 287 ؛ و«لسان العرب»، مادة «صوح»).

(1086) الفياح : صيغة مبالغة من فاح الطيب إذا انتشرت رائحته.

(1087) الصباح : الجميلة، يقال صَبُح صباحة، أي جَمُل.

(1088) استعمال «سيما» دون أن تتقدمها الواو ولا النافية، غير فصيح. قال الأشموني في «شرح الألفية»: «وتشديد يائها، ودخول «لا» عليها، ودخول الواو على «لا»، واجب». قال ثعلب : «من استعمله على خلاف ما جاء في قوله : «ولا سيما يوم»»، «فهو مخطئ»، وذكر غيره أنها قد تخفف، وقد تحذف الواو. قال الصبان : «وقد تحذف الواو. أما حذف «لا»، فقال الدماميني : حكى الرضي أنه يقال : «سيما» بالتثقيل والتخفيف، مع حذف «لا»، ولم أقف عليه من غير جهته، بل في كلام الشارح ـ يعني المرادي ـ أن «سيما» بحذف «لا» لم يُوجَد إلا في كلام من لا يحتج بكلامه». (انظر: «حاشية الصبان على الأشموني»)، ج 2، ص. 168).

عدم اعتناء أهل زماننا بعلو السند، إلا من هداه الله إلى طريق الرَّشَد، أحببت إحياء طريق سندي بقدر الإمكان، وكتبت بعض مشايخي وسندهم تخليدا لذكرهم في صحائف الزمان، ليبقى هذا الطريق مسلوكا لمن أراده من الإخوان، وأرجو من الله تعالى بذلك وافر الأجر وجزيل الثواب، ومن النبي ﷺ شفاعته يوم الحساب، وأن يكون لي بالإنتساب إليه ﷺ وإلى آله وأصحابه رضي الله عنهم، وإلى رواة حديثه ﷺ كال التشرف بهذا الإنتساب، يكفيني شرف الإنتساب إليهم بالأخذ عنهم إن لم أكن منهم طلبا للنجاة من العذاب، وشمول الرحمة والكرامة من الله الكريم الوهاب :

[مجزوء الكامل]

لـــــي ســــادة من عزهـــــم أقدامهـــــم فـــوق الجبـــاه
إن لـــم أكـــن منهـــم فلـــي فـــي حبهـــم عز وجـــاه[1089]

فإني أتضرع إلى الله تعالى أن يجعل هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يثقل به موازين الحسنات ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[1090]، وأن يبلغنا بفضله وكرمه المقام الأسنى، ويختم لنا أجمعين بالحسنى. إنه رؤوف رحيم، جواد كريم.

استجازة أهل التكرور للتهروالي وإجازته لهم

وقد اجتمع لي في السابع عشر من رمضان المبارك، أحد شهور سنة ثمان وثمانين وتسعمائة جماعة من حجاج بيت الله الحرام من بلاد التكرور[1091]. تقبل الله حجهم وصيامهم، وهم : الشيخ عبد الكريم بن محمد بن علي الجناوي، والشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمان الجناوي، وغيرهما من بلاد التكرور ـ شكر الله سعيهم، وتقبل حجهم وعمرتهم وزيارتهم ـ، وطلبوا مني إجازة هذه الأسانيد العالية والكتب الحديثية، فاستخرت الله تعالى، فأجزت لهم بذلك وبما يجوز لي روايته، وذكروا أن ببلاد التكرور علماء كبارا يطلبون الحديث الشريف؛ ولو حصلت لهم الإجازة بهذه الأسانيد العالية، لفرحوا بذلك، وصاروا سببا لنشر هذه الأحاديث الشريفة وهذه الأسانيد العالية في بلاد التكرور. واستكتبت أسماءهم، فقالوا : إن في بلاد تنبكت[1092] عالما كبيرا اسمه القاضي عاقب ابن الفقيه محمود بن عمر بن محمد

(1089) البيتان لأبي العباس المرسي كما سبق في ص. 65.

(1090) سورة الشعراء، الآيتان 88ـ89.

(1091) التكرور: بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب («معجم البلدان»، ج 5، ص. 38).

(1092) انظر بخصوص تنبكت : «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 635.

أقيت، والفقيه أحمد ابن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، والفقيه محمد ابن الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت، والفقيه محمد ابن الفقيه محمود بغيع.

فاستخرت الله تعالى وقصدت نفعهم ونشر أحاديث رسول الله ﷺ، وأجزت لهم أن يَرْوُوا عني هذه الأحاديث الشريفة النبوية على قائلها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، بهذه الأسانيد العالية، وأن يرووا عني هذه الكتب الشريفة الحديثية بهذه الأسانيد المذكورة في هذه الأوراق، وأجزت لهم أن يرووا عني جميع ما لي من نظم ونثر ورسالة وتأليف، وجمع وتصنيف، وجميع ما أرويه عن مشايخي وكل ما يجوز لي روايته بشرطه المعتبر عند علماء الأثر، وكذلك أجزت لجميع أهل تنبكت وجميع أهل التكرور ممن أدرك حياتي أن يرووا عني جميع ما يجوز لي روايته بشرطه، وأوصيهم وأوصي جميع المسلمين بتقوى الله تعالى وعبادته وطاعته، واجتناب معاصيه والتوبة إلى الله تعالى والإستغفار خلف كل صلاة، وخلف كل ذنب يوقعه الشيطان فيه فبادر[1093] في الحال إلى التوبة منه والإستغفار، ويسأل الله لنا وله خاتمة الخير، وغفران الذنوب، وقضاء الديون، في الحياة قبل الممات، وأن يجعل آخر كلامنا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا﴾.[1094]

حديثان عشاريان يرويهما النهروالي

سند حديثين عشاريين أرويهما عن شيخنا الشريف عبد الحق السنباطي الشافعي في أحد شهور سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة أمام باب الزيادة من المسجد الحرام، قال أخبرنا العلامة الرُّحَلَة قاضي المسلمين ناصر الدين محمد بن الفرات القاهري الحنفي مكاتبة قال أخبرني مسند الدنيا صلاح الدين محمد بن أحمد[1095] ابن إبراهيم الصالح، والنجم أحمد بن النجم إسماعيل بن أحمد بن محمد، والبدر حسن ابن هلال، وأبو حفص عمر بن حسن بن يزيد[1096] المراغي، والفاضلة المحدثة أم محمد ست العرب بنت محمد بن أبي الحسن علي بن أحمد البخاري.

(1093) هكذا في النسخ المعتمدة.

(1094) سورة النساء، الآية 68.

(1095) المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، المتوفى سنة 870هـ. وهو آخر من حدث عن الفخر ابن البخاري بالسماع (انظر ترجمته في «الدرر الكامنة»، ج 43، ص. 305 ؛ و«شذرات الذهب»، ج 6، ص. 267).

(1096) في «قطف الثمر»، ص. 30، هامش 1 : عمر بن حسن بن مزيد.

قال الخمسة أخبرنا رُحْلَةُ الدنيا فخر المحدثين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد البخاري، وقالت حفيدته حضورا، وقال الآخرون إجازة، قال في رواية حفيدته : أنبأنا به أبو حفص محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني، وأم هانئ عتيقة بنت أحمد الإصبهانية، قالوا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزَدانية[1097] قالت : أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن بريرة[1098] الضبي، قال : أخبرنا الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني، قال : أخبرنا عبد الله بن رماجس القيسي في سنة أربع وسبعين ومائتين، قال : حدثنا أبو عمر[1099] زياد بن طارق وقد كان أتت عليه مائة وعشرون سنة، قال : سمعت أبا جرول[1100] زهير بن صرد الجشمي يقول : لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين يوم هوازن وذهب يفرق السَّبْيَ والشاء، أتيت النبي ﷺ فأنشأت هذه الأبيات : [البسيط]

آمنن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وننتظر
آمنن على بيضة قد عاقها قدر	مشتت شملها في دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن	على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهمُ نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلما حين يختبر
آمنن على نسوة قد كنت ترضعها	وإذ يزينُك ما تاتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء[1101] إذ كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبِس العفو من قد[1102] كنت ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت كُمْتُ الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشَّرر
إنا نؤمل عفوا منك تلبسه	هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعْفُ عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفر[1103]

(1097) في النسخ المعتمدة : الجوزوانية. (انظر: ص.231، هامش 200).

(1098) كذا في النسخ المعتمدة. وفي ص.231 : بريدة (انظر: ص.231، هامش 201).

(1099) في ص.231، وفي «اقتفاء الأثر»: أبو عمرو زياد (انظر: «اقتفاء الأثر»، ص. 215، هامش 16).

(1100) في النسخ المعتمدة : أبا جدول (انظر : ص.232، هامش 206).

(1101) في النسخ المعتمدة : إنا لنشكرك النعماء.

(1102) في النسخ المعتمدة : ممن. والتصويب من ص.233.

(1103) سبق إيراد هذه القصيدة في ص.233 ـ بزيادة بيتين ـ.

فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر، قال ﷺ : «فما كان لي ولبني عبد المطلب، فهو لكم»، وقالت قريش : «ما كان لنا، فهو لله ولرسوله»، وقالت الأنصار: «ما كان لنا، فهو لله ولرسوله».

فهذا حديث حسن غريب أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة هكذا وقال :لا يروى عن زهير بن صرد بهذا التمام إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبيد الله[1104] ابن رماجس، ورواه الحافظ ابن سعيد بن الأعرابي وجماعة عن عبيد الله بن رماجس، قال : حدثنا زياد، قال : سمعت أبا جرول[1105] على الموافقة، وذكره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه «**الأحاديث المختارة مما ليس في واحد من الصحيحين من وجهين إلى الطبراني**».

قال شيخ الإسلام قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : «لا أعلم في تصحيحه سلفا. لكن رواته لم يجرحوا، وقد صرح كل واحد منهم بالسماع عن شيخه. فهو فرد غريب لا وجه لتضعيفه». انتهى.

الثاني : ويُروى أيضا بالسند المذكور في الحديث الأول إلى الحافظ الطبراني، قال : حدثنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن جروح[1106] الأنصاري الدمشقي، قال: حدثني جدي[1107] لأبي: عمرو[1108] بن أبان بن فضل الدين، قال أراني أنس ابن مالك الوضوء، وأخذ ركوة فوضعها عن[1109] يساره، وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا، وغسل وجهه ثلاثا، ويديه إلى المرفقين ثلاثا، ومسح برأسه ثلاثا، فأخذ ماء جديدا لصماخيه، فمسح صماخيه، فقلت : يا عم ! قد مسحت أذنيك، فقال : يا غلام إنهما من الرأس ليس هما من الوجه، ثم قال : يا غلام ! هل رأيت وفهمت أو أعيد عليك ؟ فقلت : قد كفاني وفهمت. قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ[1110].

(1104) هكذا في النسخ المعتمدة هنا «عبيد الله بن رماجس»، وهو ما في «**اقتفاء الأثر**»، ص. 215، هامش 15). وورد في ص. 408 وفي ص. 232: عبد الله بن رماجس.

(1105) انظر الهامش 1100.

(1106) هكذا في النسخ المعتمدة؛ وفي ص.233 : فروح.

(1107) في النسخ المعتمدة : جده. والسياق يأباه.

(1108) في النسخ المعتمدة هنا : عمر بن أبان؛ وفي ص.233 : عمرو بن أبان.

(1109) في نسخة : على.

(1110) سبق إيراد هذا الحديث في ص.233. وانظر بشأنه «**نظم المتناثر من الحديث المتواتر**»، صص. 39–40).

حديث غريب من هذا الوجه أخرجه الطبراني في «**معجمـه الصغير**» و«**الأوسط**»، وقال : لم يرو عمرو[1111] بن أبان عن أنس غير هذا. وذكره الذهبي في ترجمة جعفر بن حميد وقال : آنفرد عنه الطبراني وعمرو بن أبان لا يُدرى مَن[1112] هو. انتهى.

وقد ذكره ابن حبان في الثقات، فلا يعارضه كلام الذهبي.

قلت : وهذان الحديثان قد حازا أعلى السند في عصرنا، لأن بين شيخنا الذي رويناهما عنه وبين النبي ﷺ عشرة أنفس. وقد افتخر قبل هذا بنحو مائة وخمسين عاما بحديث عشاري السند رواه شيخ أهل عصره وحافظهم الرُّحْلَة المسند مولانا شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري رضي الله عنه في كتابه «**النشر في القراءات العشر**»، فذكر حديثا شريفا وساق سنده إلى النبي ﷺ وهو عشرة أنفس، وقال : بيني وبين النبي ﷺ عشرة رجال ثقات عدول، وقال : وهذا السند لم يوجد اليوم في الدنيا أعلى منه ولا أقرب إلى النبي ﷺ، فعيناي عاشرة عين رأت من رأى رسول الله ﷺ. وإنما ذكرت ذلك ليعلم شرف قدر علو الإسناد. انتهى كلام الحافظ ابن الجزري[1113] رحمه الله.

قلت : وأنا أروي الحديث العشاري الذي ذكره الشيخ ابن الجزري[1114] في كتابه «**النشر**» مع الكتب المذكورة وسائر تعليقاته وجميع ما يجوز له روايته بواسطتين هما : شيخنا المرحوم الزين عبد الحق السنباطي، وشيخه شيخ المحدثين في الدنيا شيخ الإسلام قاضي القضاة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تغمدهما الله تعالى برحمته ـ بروايته عن الحافظ ابن الجزري المذكور، فتكون عيني ثالثة عشرة عينا رأت من رأى رسول الله ﷺ. وأرجو أن يكون ذالك سببا للسعادة في الدنيا والآخرة، وأن يرزقني شفاعته يوم الفزع الأكبر إن شاء الله تعالى.

وأما باعتبار الحديثين العشاريين اللذين ذكرتهما آنفا عن شيخنا الزين عبد الحق السنباطي فعينه هي عاشرة عين رأت من رأى رسول الله ﷺ، وعيني أنا حادية عشرة عينا رأت من رأى رسول الله ﷺ. ومن روى عني هذين الحديثين،

(1111) في نسخة : عمر بن إبان.

(1112) في النسخ المعتمدة : ممن هو.

(1113) في النسخ المعتمدة : الحافظ الجزري ـ دون ابن ـ.

(1114) في النسخ المعتمدة : الحافظ الجزري ـ دون ابن ـ.

تكون عينه ثانية عشرة عينا رأت من رأى رسول الله ﷺ. وهذا السند عال جدا في هذا العصر قريب إلى رسول الله ﷺ.

ومن نعم الله تعالى على هذا العبد الفقير الحقير، وإحسانه الكبير الكثير، أنه شرفني بسند أعلى مما ذكرته، وأهَّلني لهذه الرتبة العالية فيما علمته، لا أعلم أحدا من أهل عصري له سند أعلى منه أو مثله، وهو حديث عشاري بيني وبين رسول الله ﷺ فيه عشرة أنفس، فتكون عيني عاشرة عين رأت مَن رأى رسول الله ﷺ، ومن روى عني هذا الحديث تكون عينه حادية عشرة عينا رأت من رأى رسول الله ﷺ.

ومن نعم الله علي أني أروي حديثا آخر تساعيا بيني وبين رسول الله ﷺ تسعة أنفس فيه، فتكون عيني تاسعة عين رأت من رأى رسول الله ﷺ، وتكون عين من روى عني هذا الحديث عاشرة عين رأت من رأى رسول الله ﷺ. ولا أعلم الآن في عصري سندا أعلى من ذلك، وهذا من فضل ربي وإحسانه.

والحديث العشاري حدثني به جماعة، منهم سيدي الوالد خاتمة المحدثين ومفتي المسلمين أحد العلماء العاملين مولانا أبو العباس بن خردان علاء الدين بن أبي محمد ابن مولانا حميد الدين محمد بن محمد بن يعقوب بن حسين بن علي المكي الحنفي، وأستاذنا العالم العامل الواصل العارف بالله مولانا عماد الدين عبد العزيز بن جمال الدين العباسي الأفزري (بفتح الهمزة وسكون الفاء ثم زاء مفتوحة فراء ثم ياء النسب) القطب الشافعي، وشيخنا علامة الآفاق نور الأحداق مولانا جمال الدين محمد ابن مولانا نظام الدين محمود الأنصاري السعدي الخزرجي الخرقاني[1115] الشافعي، والعلامة المحقق والفهامة المدقق، شيخ الكل في الكل مولانا زين الدين علي القرماني الحنفي والوالدة الماجدة الفاضلة الكاملة الزاهدة ختران بنت الفقيه الأجل الأفضل مولانا شمس الدين محمد بن عمرو الأنصاري الخزرجي الشافعي.

قالوا : حدثنا العارف الكبير الرباني القطب الفرد الجامع مولانا قطب الدين بايزيد ابن مولانا محيي الدين ابن مولانا نظام الدين محمود بن أحمد الأنصاري الخزرجي الشافعي، قال : أخبرنا شيخنا رُحْلَة الأنام صفوة علماء الإسلام مولانا نور الدين أحمد بن عبد الله بن أبي الفتوح بن أبي الخير بن عبد القادر الحكيم

(1115) في نسخة : الحرقاني.

الطائي[1116]، قال : أخبرنا الفاضل صدر الدين أبو الفضل بن فضل الله، قال : أخبرنا عبد الرحيم الأوالي، قال : أخبرنا أبو عمرو الصدفي[1117]، قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نيان قراءة عليه قلت : أخبركم أبو بكر بن نصر قال : سمعت أبا عمرو الخطابي المعمر يقول : قال إمام المشارق والمغارب أمير المومنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إذا أعرض الله عن العبد، ورثه الإنكار على أهل الديانات**»[1118].

حديث تساعي لايوجد في عصر النهروالي سند أعلى من سنده

والحديث التساعي أرويه بالسند المذكور إلى مولانا نور الدين أحمد بن عبد الله ابن أبي الفتوح المذكور آنفا. قال : أخبرنا إبراهيم .. محمد بن صديق، قال : أنبأنا أبو عبد الله الأوالي، قال : حدثنا محمد بن شاذ بخت بن جرير، قال : أخبرنا أبو بكر العيد عن أبي عمرو المعمر عن أمير المومنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلمة الحكمة ضالة المومن : حيث وجدها فهو أحق بها»[1119].

ولنسرد الكتب المجازة للمذكورين.

أولها المتقدمة لنا بأسانيدها في «باب الأسانيد»، فلتُراجع أسانيدها المتصلة بالمجيز هنالك. منها «**الموطأ**» للإمام مالك، ومنها «**صحيح**» البخاري، ومنها «**صحيح**» مسلم، ومنها «**سنن**» أبي داود، ومنها «**الجامع**» للترمذي، ومنها «**السنن الصغرى**» للنسائي، و«**السنن الكبرى**» له أيضا، و«**السنن**»لابن ماجة، و«**جامع الأصول**» لابن الأثير، و«**تيسير الوصول**» للديبع، و«**الترغيب والترهيب**» للمنذري، و«**الشمائل النبوية**» للترمذي، و«**الشفاء**» للقاضي عياض، و«**الأربعون الأبريزية**» غالب رواته أهل البيت، ومنها الحديث المسلسل بالأولية المتقدم في أول الأسانيد. انتهى ما اشتملت عليه إجازة الخرقاني رحمه الله.

(1116) في «**قطف الثمر**»، ص. 34، هامش 1 : «نور الدين أبو الفتوح أحمد بن عبد الله بن عبد القادر ابن عبد الحق الطاوسي».

(1117) في نسخة : الصرفي.

(1118) أورده الشوكاني في «**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**» (ص. 508، رقم 111) بلفظ : «إذا ألف القلب الإعراض عن الله، ابتلاه الله بالوقيعة في الصالحين»، وقال : لا أصل له. وقد سبق إيراد هذا الحديث بسند الممنارتي إليه في ص. 234.

(1119) سبق تخريج هذا الحديث في ص. 235، وص 223.

إجـــازة البكري المصـــري لأدفـــال الدرعي

• ومن ذلك إجازة الإمام زين العابدين أبي المكارم محمد ابن الإمام تاج العارفين محمد بن أبي البقاء جلال الدين بن عبد الرحمان بن أحمد بن محمد المصري الصديقي لشيخ شيوخنا أبي العباس أحمد بن محمد الدرعي المعروف بأدافال. ونصها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. صَلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، حمدا لمن أجاز أحمد خلقه علي أحمد صراط مستقيم، وشكرا لمن مَنَّ على خاصة أحبابه بالدين القويم وشهادة لله سبحانه بأنه الإله الواحد العلي العظيم، وبرسوله محمد ﷺ بأنه سيد الأنبياء وإمام ذوي المقام الكريم، وسيد الأصفياء الرؤوف الرحيم، وصلاة وسلاما عليه وعلى آله وأصحابه أولي الفخر الجسيم، وأصحاب الفضل في الحديث والقديم، ما لمع البرق، وهَمَع الوَدْق[1120]، وهب النسيم.

وبعد؛ فإن أول ما أعملت إليه ركائب الهمم، وأتيحت منه رغائب الكرم، واستعلق[1121] نوره، واغرورق[1122] نوره، وفاضت بحاره، وطاب نجاره، العلم الشرعي الذي هو قانون العقل، ولباب الفضل، وفذلكة[1123] القضايا وصفة المزايا غير أنه متنوع، فما أشرف تنوعه، متضوع[1124] فما أعرف تضوعه، وكان من أجل أنواعه وأحكم أوضاعه، علم الحديث وياله، علم جر على مفرق الثريا أذياله، به تتصل سلسلة الشرف سندا ومتنا، وعنه تحدث رجال السنة فرادى ومثنى، ومنه تظهر أنوار الكلمات النبوية، وتبدو أشعة الحضرة المحمدية، أدرك به حفظته من[1125] شوائب العلل المقام الأعظم، وأظهروه حتى كأنه ﷺ لم يزَلْ بين الناس قائما يتكلم. فلذلك رغب في تطلبه أي تطلب، وتَغَرَّب في استخلاصه أي تغرب[1126]، وشدَّ إليه حيازيم[1127] الحزم، وسَدَّد إليه قوسَ العزم، السيدُ الحسيب الزاهر، ذو النسب الطاهر

(1120) همع الودق : سال المطر.

(1121) هكذا في النسخ المعتمدة.

(1122) كتب في الأصل : واعلولق. ثم كتب أمامه في «الطرة» : واغرورق.

(1123) فذلكة : نتيجة. مأخوذة من فَذْلَكَ حسابه إذا أنهاه وفرغ منه، مخترعة من قوله إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا («القاموس»).

(1124) متضوع : من ضاع المسك، وتَضَوَّع، إذا تحرك فانتشرت رائحته.

(1125) في النسخ المعتمدة : عن.

(1126) في النسخ المعتمدة : وتقرب في استخلاصه، أي تقرب.

(1127) في النسخ المعتمدة : حيازم. والحيزوم – وجمعه حيازم – : الصدر، وقيل وسطه. وشد الحيزوم كناية عن التَّشَمُّر للأمر، والإستعداد له. قال علي كرم الله وجهه : =

المنيف، أحد ذراري المصطفى، ونخبة أرباب السيادة والاصطفاء، من كسته الفضائل جلبابها، وأفرغت عليه الفواضل إهابَها، وحنكته كلمات الأولياء فذاق من إشاراتهم سلسبيلا، وشملته عنايات الأصفياء فسلك بهم طريقا وسبيلا، السيد أحمد بن محمد ابن الحسن الدرعي عرف بأدافال نفع الله تعالى ببركة أسلافه، المجيزَ والراويَ وأهلَ الإقبال.

ولقد التمس مني على قصور باعي، ونبو طباعي، وتقاعد همتي، وتقاعس عزمتي، أن أجيزه بذلك كذلك، سلك الله به وبي أعدل المسالك، هذا وقد التمحت من أساريره بارقة نور وهداية، وانتفحت من أزاهيره ناسمة خير وولاية، فحملني ذلك على أن أجيزه بالتلقين عني نيابة بقطره وأوصيه كل الوصية بمراقبة الله تعالى في سره وجهره، فقد أجزته بذلك أيضا، وسألت الله تعالى أن يفيض عليه الخير والعرفان فيضا، وقد قرأ علي حصة من «صحيح» الإمام البخاري، وتلقن علي الذكر، وسمع مني كثيرا من الحكم النورانية، وجالسني في كثير من المجالس الرحمانية، فأرتني تجربته طالبا صادقا رجوت له أن يكون مطلوبا ناطقا(1128)، تجري سفن النجاة في بحار السلوك برياح إرشاده، وتستوي نسمات القبول في أذكاره وأوراده. قال ذلك وكتبه الفقير محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان البكري الصديقي الشافعي المصري الأشعري، وفي يوم الاثنين خامس عشر ربيع النبوي عام أربعة وسبعين وتسعمائة.

وللمجاز أبي العباس ما نَصُّه : «وأجاز لي أيضا أن نروي عنه بحق روايته عن والده قدس الله روحه عن(1129) مشايخه سائر مروياته(1130). ومن جملتها الكتب المعينة بأسانيدها بعد الصحيحين في ثَبَت شيخ الإسلام القاضي زكرياء» ـ وقد تقدمت في «باب الأسانيد».

وله أيضا : «أخذت طريق الصوفية تلقينا وخرقة ومصافحة عن شيخ الإسلام والمسلمين إمام أهل حضرتي الظاهر والباطن. ترجمان العارفين ومعدن الحقائق والأسرار الربانية، من آتاه الله الحكمة صبيا، أستاذنا الأعظم، القطب الكبير، سيدي أبي

= اشدُد حَيَازِيمَكَ للموت ... فإنَّ الموت لاقيكا
(«لسان العرب»، مادة «حزم» ؛ و«ديوان الإمام علي»، ص. 93).

(1128) في نسخة : قاطعا، وهو خطأ.

(1129) في نسخة : من.

(1130) في نسخة : سائر مروياته وليلته.

المكارم محمد ابن الشيخ العالم الرباني الولي العارف بالله تعالى قطب المقامات والدوائر سيدي أبي الحسن البكري الصديقي رضي الله عنهما وأرضاهما[1131]، قال أستاذنا ولي الله حقاً : أخذت الطريق عن والدي رضي الله عنه، ومن جملة مشائخه الذين أجازوا له بما تجوز به الإجازة، ومن ذلك التلقين ولبس الخرقة والتربية والإرشاد شيخ الإسلام أبو يحيى زكرياء الأنصاري، وهو أخذ الطريق عن جماعة، منهم أوحد الجماعة أبو عبد الله محمد بن عمر الواسطي الأصل الغمري ـ بالغين المعجمة ـ وهو عن الشيخ العارف الكامل سيدي أحمد الزهد، وهو أخذ عن الشهاب الدمشقي، وهو عن عبد الرحمان الشرقي، وهو عن أحمد الدردبادي، وهو عن علي الشهير بلالا، وهو عن المجد البغدادي، وهو عن العارف النجم أحمد بن عمر المعروف بالكبرى[1132] على وزن فعلى، عن عثمان عن الضياء، عن النجيب، عن الباهر الشهير بالسهروردي، عن القطب الأعظم سيدي عبد القادر الجيلاني بسنده المشهور».

وله أيضا في المصافحة : «صافحني أستاذي رضي الله عنه وأرضاه وأمدنا بإمداده، مولانا ابن مولانا أبي الحسن البكري الصديقي القطب ابن القطب وهو رضي الله عنه صافحه والده، وهو صافحه شيخ الإسلام القاضي زكرياء. وقال القاضي زكرياء : صافحني الحافظ المفيد الزين رضوان المستملي رحمه الله، قال : صافحني الشريف أبو الطاهر الربعي[1133]، وقال : صافحني أبو إسحاق القطبي وأنا في الرابعة، وقال : صافحني النجيب أبو عبد الله الجوني، وقال : صافحني أبو المجد القزويني[1134]، وقال : صافحني القاضي أبو الحسن علي بن محمد ابن إسماعيل ابن أبي زرعة، وقال : صافحني أبو محمد عبد الملك بن محمد بن يحيى[1135] بن عبد الكريم البغوي[1136]، وقال : صافحني أبو القاسم عبد بن حميد بن عبدان المتيحي[1137] بحلب، وقال : صافحني خلف بن تميم، وقال : دخلنا على ابن

(1131) سقطت لفظة «وأرضاهما» من نسخة.

(1132) في نسخة : بالبكري. وما أثبتناه هو الوارد أيضا في ص. 214.

(1133) هكذا في النسخ المعتمدة هنا. وفي ص. 213: الربعي.

(1134) في النسخ المعتمدة : القرويني.

(1135) في النسخ المعتمدة : نجيد. وفي ص. 213: يحيى.

(1136) في النسخ المعتمدة : البقري. وفي ص. 213: البغوي.

(1137) في ص. 213: عبد الله بن حميد بن عبدان المنيحي.

هرمز[1138] رضي الله عنه نعوده فصافحني، وقال : دخلنا على أنس بن مالك رضي الله عنه نعوده، فصافحنا، وقال : صافحت بكفي هذه كف رسول الله ﷺ، فما مسست خزا ولا حريرا ألين من كف رسول الله ﷺ»[1139].

إجازة أبي زكرياء الحطاب لأدفال

* ومن ذلك إجازة الإمام أبي زكرياء الحطّاب[1140] لأبي العباس المذكور على ما وجدت بخط شيخنا الإمام أبي عبد الله التلمساني رحمه الله ونصه[1141] : «كلّم الحبيب المصطفى سيدنا ومولانا محمد ﷺ الشيخ سيدي أحمد زروق مشافهة في الروضة الشريفة في قصة يطول ذكرها، قال ذلك عن العالم الشيخ سيدي بركات الحطاب، ووقعت القضية بمحضر والده سيدي محمد الحطاب الكبير الإمام العالم العامل[1142]، وكان تلميذا لسيدي أحمد زروق. وفي القضية ما يدل على علو مقام الإمام زروق، وذكر ناقلها السيد الفقيه سيدي أحمد أدفال أن الشيخ الحطاب المذكور أجازها له مع جملة تواليفه وطريقته ومع إجازة عامة في الحديث وغيره، ومنها «صحيح» البخاري، والحديث المسلسل بالأولية : تلقاها[1143] منه كاتبها بيده الفانية بمدينة مراكش بجامع الشرفاء، وقيدها رجاء بركتها والنفع بها إن شاء الله له ولعقبه من بعده في جمادى الأخرى سنة إحدى وتسعين وتسعمائة.

إجازة محمد بن عيسى التلمساني لأدفال

* ومن ذلك إجازة الصالح[1144] المجاور بالمدينة المشرفة أبي عبد الله محمد بن عيسى التلمساني لأبي العباس المذكور ونصها : «الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد؛ فيقول الفقير إلى الله تعالى محمد بن عيسى وفقه الله تعالى : إني قد أجزت الفقيه المكرم الوجيه المحترم الخير الدين البركة، والموفق في السكون والحركة، أحمد بن محمد بن أحمد الدرعي أن يلبس الخرقة وأن يلقن الذكر وأن يصافح من طلب ذلك منه على الطريقة[1145] الشاذلية والقادرية والمدينية والحبشية[1146] رضي الله عنهم وسقانا مما سقاهم آمين، بعد الوصية بتقوى الله العظيم

(1138) في النسخ المعتمدة : أبي هريرة (انظر : ص. 213، هامش 96).
(1139) انظر ص. 213، هامش 98.
(1140) في النسخ المعتمدة : الحطابي. وهو خطأ.
(1141) سبق إيراد هذه الإجازة في ص. 98.
(1142) سقطت كلمة «العامل» من نسخة.
(1143) في نسخة : تلقاهما.
(1144) سقطت كلمة «الصالح» من نسخة.
(1145) في نسخة : على الطريق.
(1146) في نسخة : الشاذلية والمدينية والجشتية.

والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، واللجإ إلى الله تعالى في كل ورد وصدر، ورفع الهمة عن الخلق[1147] بكل حال، وأن يكثر الصلاة على النبي ﷺ في جميع أحواله، وأن يجعلها رأس ماله، فإنها عين الفاتحة، وهي الخاتمة، وهي[1148] الإمام والهادي والسائق والقائد إلى كل خير، وإن لم تكن الصلاة على حبيب الله ﷺ هداية وفتحا ونورا[1149] فبأي شيء يكون، فوالله[1150] لا يعدل عنها إلا مخذول لا عبرة بهمته، نسأل الله التوفيق والهداية وحسن الخاتمة آمين، وأحمد المذكور بأدفال عرف». انتهى.

إجازة أحمد بابا السوداني ليحيى الحاحي

• ومن ذلك إجازة الإمام المحدث أبي العباس السوداني لشيخنا الإمام أبي الفضل يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم قدس الله روحه، نصها : «الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. يقول الفقير لرحمة ربه القدير، أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت خار الله له في أموره، وأنجح قصده ولطف به وبأسلافه : أجزت لسيدي وعدتي السيد النبيه الزكي القدوة العارف بالله سيدي وبركتي أبي الفضل يحيى ابن سيدنا وقدوتنا ومن نتوسل به إلى الله أن يسعدنا، أبي محمد عبد الله ابن السيد الأجل الولي المرابط الخير سعيد بن عبد المنعم نفعنا الله بهم آمين ولإخوته وأولاد إخوته كلهم أن يرووا عني ما اشتمل عليه هذا الجزء من الكتب والأحاديث المذكورة فيه بأسانيدها، وأعني بالجزء جزء إجازة الخرقاني المتقدم أول هذه الإجازات بحق روايتي لها عن أولئك السادات المسمين فيها المجاز لهم عن الشيخ المجيز لهم، وهو قطب الدين المكي الخرقاني، وبحق روايتي لما فيه عن قطب الدين المذكور بإذنه لعامة أهل بلدنا كما هو مذكور فيه. وكتب الفقير أحمد بابا يوم ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمان وألف».

إجازة أحمد بابا السوداني لعبد الرحمان بن الوقاد

• ومن ذلك إجازة أبي العباس السوداني المذكور للخطيب أبي زيد بن الوقاد التلمساني الخطيب بالجامع الكبير بتارودانت. ونصها : «الحمد لله وكفى، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل الخير والوفا، وبعد؛ فيقول الفقير الحقير، ذو القصور والتقصير، أحمد عرف بابا ابن الفقير أحمد ابن الحاج أحمد ابن عمر بن محمد أقيت، هداه الله ووفقه لما يرضاه، لما من الله تبارك وتعالى علي من

(1147) في نسخة : الخلف.

(1148) في نسخة : وهو.

(1149) لم ترد كلمة «ونورا» في نسخة.

(1150) في نسخة : والله.

مننه الوافرة، بالإجتماع بسيدنا الفقيه العالم الصالح المحصل المبارك المحدث أبي زيد سيدي عبد الرحمان ابن سيدنا الفقيه المفتي الجامع المحصل الكامل أبي عبد الله محمد التلمساني نزيل تارودانت من سوس الأقصى، وبالإنتفاع به دينا ودنيا، فرأيت مخايل الخير عليه لائحة، وآثار الهدى معه واضحة، مع ما جبل عليه من التؤدة والسكينة والطهارة، وحضر معنا الدروس الحديثية وغيرها، ثم قرأ علي من لفظه أكثر من النصف الأول من «صحيح» الإمام البخاري، بل لم يبق له منه إلا القليل، وأكثر كتاب «الشفاء» لأبي الفضل عياض، فرأيته مليح السرد، أنيق الفهم، سديد النظر، محصلا لاصطلاح أهل الحديث، مع التأني والتؤدة، وقرأ عليّ أيضا أوائل كتاب مسلم والترمذي وأبي داود بلفظه، وطلب مني مع ذلك أن أجيزه فيها وفي غيرها مما لي به إجازة، فأنعمت له بذلك لكونه أهلا له وزيادة، راجيا بركة دعائه في(1151) خلواته وجلواته. نفعنا الله وإياه بالعلم النافع، وحشرنا جميعا في لواء سيدنا ومولانا محمد ﷺ، فأقول وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب :

أما «صحيح» البخاري فأخبرني به سماعا من لفظه غير ما مرة سيدي(1152) والدي الفقيه المحدث العالم النبيه الرُّحْلة الحاج أحمد بن الحاج أحمد، وإجازة منه بحق سماعه له كله عن شيخه الفقيه المحدث محمد ابن الفقيه محمد بن أحمد الأثري التازخمتي(1152م) قائلا : أخبرنا به شيخ الإسلام قاضي القضاة جمال الدين إبراهيم بن علاء الدين القرشي القلقشندي الشافعي عن الحافظ ابن حجر، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن علي المهدوي إذنا مشافهة، عن يحيى بن محمد بن سعد، عن جعفر بن علي الهمذاني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الدياجي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي الباهلي، أخبرنا الحافظ أبو علي الجياني، أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد ابن يحيى الحذاء سماعا، وأبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر إجازة، قالا : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الأسد الجهني، أخبرنا أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكين، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، أخبرنا أبو عبد الله إمام الأئمة أمير المومنين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه.

(1151) في النسخ المعتمدة : من.

(1152) في النسخ المعتمدة : وسيدي.

(1152م) في ص. 239 : التازختي.

وقد أخبرنا به أيضا جماعة منهم شيخنا الإمام محمد بغيع وسيدنا القاضي عمر ابن الفقيه محمود[1153]، وكلاهما عن شيخ والدي المتقدم بسنده، وكذا غيرهما.

وأما «صحيح» مسلم، فأخبرنا[1153م] به أيضا سيدي والدي الفقيه الحاج المحدث المتفنن[1154] أحمد ابن الفقيه الحاج أحمد، وشيخنا المتفنن[1155] العلامة محمد ابن محمود بَغْيُغ سماعا منهما لجميعه أو إلا قليلا[1156] والقاضي الأجل أبو حفص عمر ابن الفقيه محمود إجازة قالوا كلهم : أخبرنا به[1157] شيخنا اند غمحمد المتقدم سماعا منه غير ما مرة قائلا : أخبرنا به شيخ الإسلام جمال الدين أبو الفضل إبراهيم بن علاء الدين إجازة، قال : أخبرنا به[1158] شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر، قال : أخبرني به المسند أبو عبد الله النيسابوري مشافهة، عن أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي، عن أبي الحسن علي بن المقيِّر، عن الحافظ أبي الفضل السلامي، عن الحافظ ابن منده[1158م]، عن الحافظ أبي بكر الجوزقي، عن أبي بشر مكي بن عبد الله، عن الإمام أبي الحسن أمير المومنين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

حـ قال شيخنا العلامة الصالح محمد ابن الشيخ الصالح العلامة قاضي القضاة محمود بغيع : أخبرني به قراءة لأوله إلى «كتاب الصلاة»، وإجازة لباقيه شيخُنا شيخ الإسلام محمد بن محمد البرهتموشي الحنفي بالقاهرة قراءة لجميعه، عن شيخ الإسلام المحقق الفهامة خاتمة المحدثين شهاب الدين أحمد ابن سيدنا علي الفتوحي الحنبلي الشهير بابن البخاري[1159] بقراءته لجميعه على شيخ الإسلام البدر أبي السعادات محمد بن محمد ابن شيخ الإسلام عبد الرحمان البلقيني سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة، قال : أخبرني به أبو ذر عبد الرحمان ابن الشيخ شمس الدين الزركشي الحنبلي وغيره بأسانيدهم المتصلة إلى مؤلفه رحمه الله.

(1153) في النسخ المعتمدة : محمد. وهو خطأ (انظر : ص. 223 وص. 241).

(1153م) في نسخة : فأخبرني.

(1154) سقطت لفظة «المتفنن» من نسخة.

(1155) سقطت لفظة «المتفنن» من نسخة.

(1156) ورد في النسخ المعتمدة : لجميع أو لا قليلا.

(1157) سقطت «به» من نسخة.

(1158) سقطت «به» من نسخة.

(1158م) انظر ص. 242، هامش 256.

(1159) في نسخة : بابن النجار.

وأجزت لسيدي عبد الرحمان ابن سيدي محمد التلمساني أن يروي عني أيضا السنن الأربعة[1160] بحق روايتي لها إجازة عن شيخنا الفقيه العالم محمد بَغْيُغ، عن شيخ الإسلام البرهتموشي بأسانيده المذكورة فيها[1161].

وأجزت له أيضا أن يروي عني كتاب «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» للإمام أبي الفضل عياض نفعنا الله به، بحق روايتي له سماعا غير ما مرة لجميعه من سيدي والدي من لفظه، وبحق روايتي[1162] له أيضا قراءة لبعضه وإجازة لباقيه من سيدي القاضي العدل شيخ الإسلام العاقب ابن الفقيه محمود، قالا : أخبرنا به شيخ الإسلام ناصر الدين اللقاني عن شيخ الإسلام الحافظ السيوطي بسنده إلى مؤلفه.

حَ وقال السيد الوالد : أخبرني به الشيخ العلامة أمين الدين الميموني نزيل مكة عن شيخ الإسلام زكرياء، قال الوالد : وأخبرني به أيضا شيخنا المحدث اند غمحمد عن الفقيه العالم محمد بن أبي أحمد الأثري التازختي بروايته إجازة عن شرف الدين عبد الحق السنباطي، قال : أخبرنا قطب الدين بن محب الدين الحوجري، قال : أخبرنا به ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات الحنفي قال : أخبرني به العلامة المقري برهان الدين إبراهيم بن أحمد التنوخي سماعا : أخبرني به أبو المحاسن يوسف ابن محمد المقدسي الدلاجي[1163] سماعا، قال : أخبرني به أبو الحسن[1164] محمد بن محمد بن تامنيت اللواتي، أخبرنا به أبو الحسن يحيى بن محمد ابن الصائغ الأنصاري، أخبرني[1165] به الحافظ أبو عمر عثمان بن التوزني[1166] إذنا، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان عرف بابن بوطلة، عن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الغافقي، قال : أخبرنا به مؤلفه أبو الفضل رحمه الله.

(1160) أي كتب السنن الأربعة، التي تشكل مع **الصحيحين** الكتب الستة المشهورة في الحديث.

(1161) في نسخة : محمد بغيع عن شيخ الإسلام البرهتوش بأسانيده المذكورة فيها.

(1162) في نسخة : وبحق روايته.

(1163) كتب عليه في النسخ المعتمدة «كذا».

(1164) في نسخة : أخبرني به الحسن محمد.

(1165) في نسخة : أخبرنا.

(1166) في نسخة : التوزي.

وأجزت له أيضا[1167] حفظه الله أن يروي عني «**موطأ**» الإمام الأعظم أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه، بحق روايتي له إجازة مكاتبة من مكة شرفها الله، من سيدنا العلامة يحيى الحطاب المكي، عن والده وعمه بركات، عن أبيهما بسنده المذكور في أول شرح والده على «**مختصر خليل**» المسمى «**مواهب الجليل**».

وأجزت له أيضا أن يروي عني جميع الكتب المذكورة في أول ذلك الشرح بأسانيدها هناك، بحق روايتي لجميعها عن العلامة يحيى المذكور، عن عمه العلامة بركات، عن والده محمد الحطاب، وعن والدي سيدي أحمد، عن بركات المذكور في عميم إجازته[1168] له للكتب المذكورة في الشرح المذكور[1169].

وأجزت له أن يروي عني «**مختصر خليل**» بحق قراءتي له قراءة بحث وتحرير على[1170] شيخنا العلامة الصالح المحقق محمد بَغْيُع بما يزيد على أربع ختمات أو خمس بقراءتي وملازمتي له[1171] بضع عشرة سنة[1172]، وهو أخذه عن سيدي الفقيه الصالح أحمد بن سعيد حفيد سيدي محمود، وعن والده العالم الصالح قاضي جن محمود[1173] بغيع، وعن خاله أيضا؛ وأخذته أيضا إجازة عن والدي سيدي أحمد، ووالدي ووالد شيخنا[1174] وأحمد بن سعيد، كلهم أخذوه عن بركة وقته، وإمام عصره، الولي الصالح المشهور سيدي محمد بن محمود بن عمر[1175] وهو عم والدي، وهو عن محمد بن عثمان، عن النور السنهوري، عن العلامة البساطي، عن بهرام والأقفهسي، عن مؤلفه الشيخ خليل رحمه الله تعالى.

فهذا ما تيسر قطفه في السرعة والعجلة من الأسانيد. فليرْوِ عني سيدي جميعها كيف شاء ومتى شاء، وعلى شرطه المعتبر عند أهل الأثر. كتبه أحمد بابا بن

(1167) سقطت لفظة «أيضا» من نسخة.

(1168) في نسخة : إجازاته.

(1169) في النسخ المعتمدة : من الشرح المذكور (هكذا).

(1170) في نسخة : عن.

(1171) سقطت «له» من نسخة.

(1172) في «**نيل الإبتهاج**»، ص. 341: «لازمته أكثر من عشر سنين، فقرأت عليه بلفظي «**مختصر خليل**»، و«**فرعي ابن الحاجب**»، قراءة بحث وتحقيق وتحرير، ختمتها عليه. أما خليل، فمرارا عديدة، نحو عشر مرات أو ثمان، بقراءتي وقراءة غيري».

(1173) في نسخة : محمد بغيع. وهو خطأ.

(1174) في نسخة : ووالدي والد شيخنا. وهو خطأ.

(1175) في نسخة : سيدي محمد بن عمر. وهو خطأ.

أحمد يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الثاني عام سبعة وألف. صحيح والحمد لله»
انتهى[1176].

إجـازة أخـرى من أحمد بابا السوداني لعبد الرحمان بن الوقاد

* ومن ذلك إجازته له بكتاب «الشفا» بسند أعلى من الأول ونصها[1177]:
«الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين، مولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾[1178]، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم[1179]، عليه توكلت وإليه أنيب. وبعد؛ فقد أجزت لسيدي الفقيه الصالح سيدي أبي زيد عبد الرحمان ابن سيدنا الإمام المفتي الصالح العامل الكامل سيدى محمد التلمساني نزيل سوس الأقصى بقاعدتها تارودانت أمنها الله بكتاب «الشفا» لأبي الفضل عياض رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته آمين، بحق سماعي له كله مرارا على سيدي والدي الفقيه المحدث أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد[1180] أقيت، قائلا : أخبرني به جماعة من فضلاء العلماء وعلماء الفضلاء، رواية ودراية بطرق متنوعة، وأنحاء متفرقة عالية ونازلة، وأقربها سندا ما أخبرني به[1181] إجازة شيخنا الإمام العالم العلامة البحر الفهامة أبو اليمن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان الميموني بلدا المصري مولدا المكي استيطانا ومحتدا، بمكة المشرفة بمنزل سكناه علو[1182] باب السلام المعروف بباب بني شيبة عام ستة وخمسين وتسعمائة، كما رواه وسمعه عن شيخه شيخ الإسلام مالك العلماء الأعلام، صدر مصر والعراق والشام[1183] قاضي القضاة زكرياء الأنصاري، عن شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني إجازة، قال : أخبرني به الشيخ أبو الفرج عبد الرحمان بن المقري إذنا مشافهة، عن يونس بن إبراهيم بن عبد الملك، عن محمد بن محارب، عن أحمد بن

(1176) سقطت لفظة «انتهى» من نسخة.

(1177) في نسخة : نصها ـ دون واو.

(1178) سورة طه، الآيات 24-27.

(1179) سقط «العلي العظيم» من نسخة. ونص الآية القرآنية : ﴿وما توفيقي إلا بالله. عليه توكلت، وإليه أنيب﴾ (سورة هود، الآية 88).

(1180) سقط «بن محمد» من نسخة.

(1181) في نسخة : وأقربها سندا لا ما أخبرني إجازة. (هكذا).

(1182) في نسخة : عملوا.

(1183) في نسخة : صدر مصدر العراقين والشام. (هكذا).

علي بن حليم[1184]، عن مؤلفه القاضي أبي الفضل عياض رضي الله عنه ونفعنا به. وكتب أحمد باب[1185] بن أحمد وفقه الله وألهمه رشده».

إجازة إمام الدين المقدسي لعبد الرحمان بن الوقاد

* **ومن ذلك إجازة إمام الدين المقدسي للخطيب التلمساني، لما[1186] وفد على** المنصور من بلاد العجم سنة تسع وتسعين وتسعمائة، ووجهه المنصور لسوس ليرى مَعَاصِرَهُ السُّكَّرِية ونزل مدينة تارودانت. ونصها :

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وعلى آله وصحابته الأكرمين. وبعد؛ فلما منَّ الله على كاتبه عبد الرحمان بن محمد بن أحمد التلمساني نسبا السوسي دارا ومنشأ، بلقاء الشيخ المفيد الفقيه المشارك المجيد، الراوية[1187] الرحال، الجامع لأوصاف[1188] الكمال، الأديب الأريب، المعتبر الحسيب، إمام الدين ابن الشيخ الإمام واحد العلماء الأعلام، الفقيه المعمر أبي عبد الله محمد بن يوسف بن قاسم البطائحي الخليلي الشافعي مذهبا، حفظ الله رتبته، وسنَّى[1189] في الأعمال الصالحات رغبته طلب منه أن يجيز له جميع ما تجوز له عنه روايته، وتجمعه درايته من مقروء ومسموع ومجاز، في أي علم من العلوم كان، فأجابه بقبول رغبته أبقاه الله معظم القدر والشان، وأجازه في كل ما يجوز له وعنه روايته من منثور ومنظوم ومنقول ومفهوم بشرطه المعتبر عند أئمة الأثر[1190]، وناوله جميع «**الجامع الصحيح**» تصنيف الإمام البخاري رضي الله عنه، وقرأ عليه من أوله «باب كيف كان بدْءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ» ومن النصف الثاني «مناقب عبد الله بن مسعود»، واستجازه به فأجازه بروايته له ولغيره عن أشياخه، منهم شيخنا واحد الفئة، وصدر هذه المائة، عالم دمشق الشام ومفتيها، مفيد الطالبين ومربيها أبو البركات الحسن بدر الدين بن رضا الدين الغزي[1191] ثم الدمشقي. وقد أملى علي بمنزله الملاصق للجامع المعظم الأموي الحديث المسلسل بالأولية : «الراحمون يرحمهم الرحمان

(1184) في ص. 254: بن خيم.

(1185) سقطت «باب» من نسخة.

(1186) في النسخ المعتمدة : بما وفد.

(1187) في النسخ المعتمدة : الرواية.

(1188) في نسخة : أوصاف.

(1189) في نسخة : وسنن، وهو تحريف. ومعنى سنَّى : يسَّر.

(1190) في نسخة : الآثار.

(1191) في نسخة : العزوي.

تبارك وتعالى. ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء». ثم بعد ذلك ناولني «**الجامع الصحيح**»، فقرأت عليه من مواضع منه، فأجازني بعد الطلب بما أملاه وناولنيه وقرأته وبما له من منظوم ومنثور، ومقروء ومسموع، ومجاز واستيجاز، بما يجوز له وعنه روايته، وتلفظ لي بالإجازة مشافهة، وكتب لي بخطه عام أحد[1192] وثمانين وتسعمائة.

ومن نظمه مصمنا الحديث[1193] :

عن النبي أتانا من رأى أمرأة	وحل في قلبه للحسن موقعها
فليات زوجته وليقض حاجته	فإنَّ ما[1194] معها مثلُ الذي معها

ومن نظمه ما كتب لي بخطه :

وهو والله عفيف نزه	وله عرض مصون ما اتهم
وخبير بمداراة الورى	ومداراة الورى أمر مهم[1195]

ومن مشايخه شيخ الإسلام القاضي زكرياء المصري، عن شيخ الإسلام القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، ومنهم شيخنا الشيخ محمد الخطيب الشربيني[1196]، وشيخنا الشيخ محمد بن أحمد الرملي الأنصاري[1197]، وشيخنا الشيخ جمال الدين ابن شيخ الإسلام القاضي زكرياء، عن والده القاضي زكرياء، كالذين قبله، عن ابن حجر. وقد قرأت على المذكورين في «**الجامعين الصحيحين**» وفي غيرهما من كتب عديدة في فنون شتى، وأجازوني بذلك وبما لهم من علميات ومعلومات مما يجوز لهم وعنهم روايته وتلفظوا لي بالإجازة مشافهة، وكتبوا خطوطهم بذلك نفعنا الله بهم، وقد أخذت «**الجامعين الصحيحين**» وغيرهما من كتب الحديث وغيرها من فنون العلم عن عدة من علماء الإسلام بمكة ومصر وبيت

(1192) في نسخة : إحدى، وهو خطأ.

(1193) انظر : ص. 139، هامش 436.

(1194) كتب هنا هكذا. وكتب في ص. 139: فإنما. وكلاهما صحيح.

(1195) انظر : ص. 139.

(1196) هو شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الفقيه الشافعي المفسر، من أهل القاهرة. توفي سنة 977هـ/1570م («الأعلام» للزركلي، ج 6، ص. 6).

(1197) هو شمس الدين الرملي ــ نسبة إلى الرملة، وهي قرية من قرى المنوفية بمصر ــ ولد بالقاهرة سنة 919هـ/1513م، وتوفي بها سنة 1004هـ/1596م، وولي إفتاء الشافعية بمصر، وألف مؤلفات كثيرة، ويقال له «الشافعي الصغير» («الأعلام» للزركلي، ج 6، ص. 7).

المقدس ومدينة حلب ومدينة صَفَد[1198] وحَمَاة[1199] وحِمْص[1200] ودمشق الشام[1201]، وغير ما ذكر من مدن الإسلام، وعن العلماء المشاهير الأعلام. وحين كان هذا الحال على هذا السؤال، فقد استخرت الله سبحانه، وأجزت سيدي ووليي راقم[1202] اسمه بِمُحَوِّله من أعلاه بلغه لله مناه، وأصلح له أخراه كما أصلح له دنياه، وذلك في جميع ما يجوز لي وعني روايته من منظوم ومنثور ومقروء ومسموع ومجاز واستيجاز وغير ذلك بشرطه المعتبر عند أولي الأثر، ولست ـ والله ـ أهلا لذلك. ولولا ما جرت به العادة من أخذ السند بالحديث، في القديم والحديث، ما سلكت هذه المسالك، وأنا أستغفر الله مما نطق به الفم، أو خطه القلم، ومولدي ومسقط رأسي مدينة شيخ الأنبياء خليل الرحمان عليه وعلى نبينا وعلى سائر أنبياء الله أفضل الصلاة وأتم السلام. وأنا ـ عن والدي عن جدي ـ إمامُ الشافعية بمسجد مقام إبراهيم الخليل، عليه صلاة الملك الجليل، الثاني مفتي تلك البلاد ومفيد الطالبين من حاضر وباد، سائلا ممن وقف على شيء من الخلل أن يغضي عن الزلل، وأن لا ينساني ووالدي والمسلمين من صالح دعواته، وسِنِّي ما بين الخمسة والثلاثين إلى ما دون الأربعين، قال خجلا، وكتب مستعجلا ليلة الثلاثاء لثمان عشرة خلت من شهر ربيع الأول عام تسعة وتسعين وتسعمائة بمحمية تارودانت المحمدية[1203] ـ كلأها الله وحماها ـ إمام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء الدين بن قاسم البطائحي الخليلي[1204] الشافعي الأزهري الأشعري مُعتَقَدا غفر الله له ولوالديه وللمسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما».

(1198) صَفَد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان («معجم البلدان»، ج 3، ص. 412).

(1199) حَمَاة : مدينة سورية من أعمال حمص، يجري أمامها نهر «العاصي»، ويسقي بساتينها («معجم البلدان»، ج 2، ص. 300).

(1200) حِمْص : مدينة قديمة بين دمشق وحلب في نصف الطريق («معجم البلدان»، ج 2، ص. 302).

(1201) دِمَشق الشام : بلدة مشهورة في الشام، وهي الآن عاصمة الجمهورية السورية. وصفها ياقوت الحموي بأنها «جنة الأرض بلا خلاف، لحسن عمارتها، ونضارة بقعة، وكثرة فاكهة، ونزاهة رقعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب» («معجم البلدان»، ج 2، ص. 463).

(1202) راقِم : كاتب.

(1203) نسبة إلى مجددها محمد الشيخ السعدي. ولم ترد لفظة «المحمدية» في إحدى النسخ المعتمدة.

(1204) سقط «الخليلي» من نسخة.

مـقـتـل إمـام الـديـن البطائحي الحليلي

قُتِل إمام الدين المذكور مَرجِعَه من تارودانت لمراكش في هذه الوفادة بطريق أسنٍ[1205] في الشهر المذكور من السنة المذكورة، فكان يقال أمر دبر، والله يعفو ويغفر.

وقد حصلت لي رواية كل ما في هذه الإجازات بأسانيدها حسبما تقدم بيان ذلك في «باب الأسانيد»[1206].

* * *

رسالة التمنارتي إلى أبي حسون السملالي

ولما أقلع الوباء عن مدينة سوس تارودانت وسكن اضطرابها، ونادت بالراغبين آرابها، كتبت إلى من جلا عنها من أصحابنا الفقهاء ببلاد جزولة بالمعاد[1207] إليها والإبقاء[1208] عليها، وذكرتهم رعاية عهدها، وحنان الأم إلى ولدها، في كتاب أصدرته لأميرهم أبي الحسن. ونصه :

«بسم الله الرحمٰن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسلميا، الأمير العدل الصالح سيدنا أبو الحسن أيدكم الله وأعانكم[1209]، وأصلح أعمالكم وزمانكم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ورد كتابكم الأثير تُعلم ـ أيدكم الله ـ أنكم على عزيمة الورود لهذه المدينة على ما وعدت به في كثير[1210] من كتبكم إلي، فسرنا ذلك والمسلمين لطول ما ارتقبوا مَقدَمَكم الميمون إليها، وتوفر رغباتهم في تفقدكم إياها وما بين يديها. ولعمري لهو من آكد واجب، وأرشد لأَحِب، لتباشر من أول الأمر أمورها[1211]، وتلقى فيما يجب خاصتها وجمهورها ويمتاز[1212] لديكم خاملها ووجيهها، ويرد عليكم من نواحيها أعيانها ووجوهها، فيسع الكل اختباركم، ويعم الجميع تباشركم[1213] وإنذاركم، والوقت

(1205) أسنٍ : آسني، وهو مركز بناحية مراكش، سبق التعريف به في ص. 139، هامش 437.

(1206) انظر : ص. 197 فما بعد.

(1207) بالمَعَاد : بالعودة والرجوع.

(1208) والإبقاء عليها : والإشفاق عليها.

(1209) في نسخة : ورعاكم.

(1210) في نسخة : على ما وعدنا به كثير من كتبكم.

(1211) في نسخة : بامورها، وهو خطأ.

(1212) في نسخة : ويتمار. ولعله تحريف : ويمتاز.

(1213) كذا في النسخ المعتمدة. ولعله : تبشيركم، أو تباشيركم.

وفت مساعدة، والفصل فصل انبساط ومقاومة، وقد اعشوشبت[1214] ـ بحمد الله ـ أوساطها وجوانبها[1215] واخضرت أباطحها[1216] ومذانبها، وتقاومت في بسط العيش الرغد زروعها وضروعها، وعاد للأمن والطمأنينة دَهِشُها ومَرُوعُها ولبَّت دعوتكم السعيدة كل آبية، وحنت بأعطافها لإيالتكم كل قاصية ودانية، وألقت إليها أزمتها ومقاليدها، فلم يبق إلا أن تمد اليد فتأخذها وتقتادها. ولله المنة على ما أسدى، وبه العون والتوفيق فيما قلد وأبدى. ولقد كان كافيكم ما يرفعُ لكم إلى الله من أدعية سكان هذه المدينة الغربية بسبب ما وجدوا من بركتكم في الِانتفاع بمرافقهم، والأمن على أنفسهم وطرائقهم، وخصوصا ما رفع لكم من أدعية مقبولة[1217] يوم ختم مجلس التفسير منسلخ[1218] الشتاء بها. وعند ختمنا للـ«ـجامع الصحيح» للإمام البخاري، وعند ختمنا للـ«ـجامع الصغير» للإمام السيوطي، وختمنا للـ«ـشفا» للقاضي أبي الفضل عياض[1219] رضي الله عنهم وأعاد علينا من بركاتهم، كل ذلك يحضره أعداد كثيرون من الفقهاء والصلحاء وأفاضل المسلمين ممن ترجى بركتهم[1220] وقبول دعائهم، ويرتفع لكم به الصيت المحمود، والذكر الجميل في هذا اليوم وفي اليوم الموعود.

ولما تسنت لنا هذه الحسنة المتجددة ببركتكم، تذكرت معاهدها الأول، فكاتبت أصحابنا ممن قرأنا بها معه، وقدر له منها الحول لهنالكم، أذكرهم عهدها، وأهيج رغبتهم في الإياب إليها، لينتظم بذلك شمل دعوتكم، ويكمل بها غرض أمنيتكم، وتتوفر به الرغبات، وتنمو به الخيرات والبركات، فقلت[1221] : [الطويل]

دعوة التمنارتي العلماء النازحين عن تارودانت للعودة إليها

ألا خبِّراني عن رُبا وطن القلب ... وخلّدث عن أغوار الصبابة والحب
ورددني أوصاف المنازل باللِّوَى ... وذكر نسيم جَوْها البارد الرَّطب
وبُلَّ حَشايَ من رَذاذ هوائها ... وأندى ظلال من حدائقها الغُلب[1222]

(1214) في نسخة : اعشرشبت. وفي نسخة : اعشرثبت. وكل ذلك تصحيف وتحريف.

(1215) في نسخة : وجانبها.

(1216) في نسخة : أبطاحها.

(1217) سقطت «مقبولة» من نسخة.

(1218) في نسخة : مسلخ.

(1219) سقطت «عياض» من نسخة.

(1220) في نسخة : بركاتهم.

(1221) انظر القصيدة الواردة في صص. 201-203. فبين القصيدتين تشابه كبير.

(1222) الحدائق الغُلْب : الملتفة الأشجار، الوازفة الظلال. قال تعالى : ﴿وحدائق غُلْبا﴾ (سورة عبس، الآية 30).

مُربّى جناحي[1223] والغصون التي بها بَنَى وكر فرخي جد قاصية الغرب

رَزانٌ[1224] إذا ما الـزُّوْرُ[1225] قصَّ حديثهـا

أفـاق لها المكـروب من غَشْيَـةِ الكـرب

وحسبـي من ليلاهـا أنـي جارُهـا وأنـي منها في الـوصال على قُرْب

صبرت على لأْواها[1226] في نيل برها وما برَّ غيري في الشدائد والْخطب

كأني بها في معـــــرك الحرب تارةً أفِرُّ وطورا أرْتمـي في لَظَـى الحرب

بقيـتُ وحيـدا أستجـدُ رُسومَهـا ومـا لِيَ فيها مِن خليـل إلى جَنْب

غريبٌ بها كصالح في ثمودهِ[1227]

أو إن شئت كالصديق[1228] في غُربة الجب[1229]

ولما تبـدى بالصَّباحـة[1230] وجههـا

وأخـرجت اليـد البـيضاءَ مِن الجنب[1231]

(1223) في نسخة : جَناني.

(1224) رَزَان : وقورة. فعله رَزُنَ ككَرُم.

(1225) الزُّوْر : الزائر.

(1226) لأْواها : شدتها.

(1227) في «طرة»، ص. 257 من النسخة المصورة بالخزانة العامة، رقم 1420د، ما يلي :
«هذا البيت مما لا ينبغي أن يكتب. وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي :
أنـا في أمـة تداركهـا اللـه غريب كصالح في ثمود
وكقوله :
ما مُقامـي بأرض نخلـة إلا كمُقـام المسيـح بين اليهود
وهذا مما عيب عليه أيضا كما هو مشهور». وفي طرة نسخة أخرى ما يلي : «هو ماخوذ من قول المتنبي :
أنـا في أمـة تداركهـا اللـه غريب كصالح في ثمود
بل هذا أقبح بزيادة : أو إن شئت إلخ، وذلك كله لا يحل لمومن التَّفَوُّه به، وهو من هفوات اللسان، والبلاء موكل بالمنطق، ونسألك اللهم العصمة من الزلل، والتوفيق لصالح القول والعمل. آمين، آمين».

(1228) الصديق : المراد به يوسف عليه السلام. قال تعالى : ﴿يوسف ـ أيها الصديق ـ أفْتِنَا في سَبْع بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾ (**سورة يوسف**، الآية 46).

(1229) الجب : البئر. يشير إلى ما ذكر القرآن في قصة يوسف من أن إخوته ألقوه في غيابات الجب (انظر: **سورة يوسف**، الآيتان 10 و15).

(1230) الصباحة : الحسن والنور والبهاء.

(1231) مراد الشاعر بهذا الشطر الثاني أن تارودانت سحرته بجمالها، وملكت عليه قلبه ـ وقد وظف معجزة من معجزات موسى عليه السلام. قال تعالى : ﴿وأَدْخِلْ يَدَكَ في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ (**سورة القصص**، الآية 32).

ونصَّت[1232] على الآفاق جِيـــداً مُنَصَّلا[1233]

وألــقت رِوَاقــا فاكــتَسَى كلُّ مَشعَبِ[1234]

يُبادِرهـــا من كل غَور ومـــن نجدِ بنُوهـــا وأنتم في عداد بنـــي الصُّلب

بداراً[1235] بجمع الشمـل فالسعدُ قائم وبالحفظ للدهماء[1236] سَعيُ أولِي النَّدب

فلا تُعـــرضوا عن طبعهـــا وجمالها ولا تُبدلُوا منها الغزالــة بالضَّب[1237]

فإن نَكَبتْها أزمُن ـ شُلَّ كَفُّها[1238] ـ وجارت عليها منها دائرةُ القَضْب[1239]

فلُؤلُؤها المكنـونُ في صدف[1240] النُّهَى عليــه من الأوراق جانحةُ الحَـــجبِ

وإن يَشغَــف الأمَّ البَنُــونَ مَحبَّــــةً فقد يَشغف الأبناءَ[1241] حب على حب

ألا تذكـــران أننـــا في بساطهـــا تُباهي بنا شُهب السماء بلا حُجب

ألا تذكـــــران أننـــا بفِجاجِهـــــا

صُدورُ الهَـــوادي في المسالك والصَّوب[1242]

فلَيْتَكُمـــا برَجعِهـــا تَريانِهـــا برِفعتِهـــا إيَّـاكُما زَمَـــنَ الـــنَّصبِ

وليت رواهـا[1243] إذ تَظامَا مشيبُها بما خزنتكم[1244] في الشباب من العَذبِ

وليت حُلاهـــا من علومكمـــا التـــي حَبَتكم، وحسنُ العهد من شِيمَة الصَّبِّ

سأشكـو إليكم ما بي البُعدُ صانـــعٌ إذا جمعتنـــا عندهـــا زَورة الـــغِبِّ

وأنصِب حالي بين ضمٍّ وكسرةٍ عسى الفتح يسمو بي على أثر النَّصْب

(1232) نصَّت : رفعت، وأظهرت.

(1233) مُنَصَّلا : يقال نصَّلت السهم، أي نزعت نصْلَه، أو رَكبت فيه النَّصْل (فهو من الأضداد).

(1234) مَشْعَب: طريق. وفي البيت خروج من القافية المتواترة الملتزمة في القصيدة إلى القافية المتداركة.

(1235) بدارا : أي بادروا بدارا. أُقيم المصدر مقام فعل الأمر.

(1236) الدهماء : جماعة الناس.

(1237) التعبير غير دقيق، لأن الباء في مثل هذه العبارة تدخل على المتروك. قال تعالى : ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ (سورة البقرة، الآية 61)؛ وقال تعالى : ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ (سورة النساء، الآية 2).

(1238) جملة «شُل كفها» اعتراضية، وهي دعاء على الأزمن.

(1239) القضب : القطع.

(1240) الصدَف : غشاء الدر. مفرده صَدَفة.

(1241) في النسخ المعتمدة : الرقباء. وفي الديوان : الرباء. وما أثبته هو الذي ينسجم مع السياق.

(1242) الصوب : الطريق.

(1243) رَواها : رَواءَها، أي ماءها الكثير المُرْوي.

(1244) هكذا في النسخ المعتمدة، وفي الديوان. ولو قال : «بما قد سقتكم»، لكان أحسن وأوضح.

وعلّـي إذا ما نلتُ منكـم دَعـوةً   تُؤمِّـن من زَيـغ ومـن لمة السَّلْب
عليكم سلامـي يغتـدي كل بكـرة   ويهدي لكـم من عطفـه نسق الحب

ولما تجافت عزائمهم عن هذا الغَرض، وشغلهم ما عَنُوا به عن شفاء عَليلِ هذا المرض[1245]، استخرت الله تعالى فتوجهت لزيارتهم وزيارة الرئيس، وزيارة مراسم السلف، لِأتروَّى في الِانتقال إليهم أو المقام بغربتها[1246]، وكان غالب مسير الوجهة ليلا، فحضرني في تلك الحال ما هذا ترجمته : [الطويل]

قصيدة قالها التمنارتي أثناء توجهه لزيارة «إيليغ» و«تمنارت»

نَجيبي[1247] إلى أي المعاهد تَرحـلُ   وأي النوى[1248] منها السوام المُؤَمـلُ؟
وأيَّـة أرض يُستـرادُ[1249] نبـاتها   وأيُّ سماء تُستَدرُّ[1250] فتَهطِـلُ[1251]
دَعَاك على وهْنٍ[1252] القُوى عَطنٌ[1253] الهوى   ومَبْـرك ريعـان[1254] الشبـاب ومَنهلُ
وهـاجَك ذكـرُ الرَّابيـات من اللّـوَى   وأعشابُهـا وطلحُهـا المُتدلّـلُ
بلادٌ بها حلَّ الشبـابُ تميمتـي[1255]   وأرضٌ بها زَهـري تفتَّـقَ أولُ
سَريتُ[1256] لها والشوق يهفـو[1257] أمامَنـا   بحَرفٍ[1258] كنُونٍ نصُّهـا[1259] لا يُعطَّـل

(1245) في النسخ المعتمدة : غليل هذا الحرض. وهو تصحيف وتحريف. والتصويب من الديوان (مخطوطة الخزانة الملكية رقم 8841، الورقة 3/أ).

(1246) المعنى : لأفكر جيداً، هل أنتقل إليهم، أو أبقى في تارودانت بالرغم من شعوري بالغربة فيها.

(1247) النجيب من الإبل : القوي الخفيف السريع.

(1248) النَّوَى : الدار.

(1249) يستراد : يطلب.

(1250) تستدر : يطلب غيثها الكثير.

(1251) تهطِل : تمطر مطرا متتابعا عظيم القطر.

(1252) وهن : ضعف.

(1253) العَطَن : وطن الإبل، ومبركها حول الحوض، ومَرْبض الغنم حول الماء.

(1254) ريعان الشيء : أوله وأفضله.

(1255) التميمة: خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في عنق المولود. وهذا الشطر من بيت قديم هو:
بلاد بها حل الشباب تمائمي   وأول ارض مسّ جلدي ترابها

(1256) سريت: مشيت ليلا.   (1257) يهفو: يسرع.

(1258) بحرف : بناقة ضامرة، وقد اعتاد الشعراء تشبيهها بحرف النون.

(1259) نصها : سيرها السريع.

تخط على طِرس الفـلا بِمَنـاسم ... نَواصِبُها في مُبْهم القَفر تُعمَل

تُكسّر حَصباءَ الشوارعِ والرُّبى ... وتقطعُ أجيَادَ الثنايا وتقتُل

ويعمل فيها الزجر رفعا إلى العلا ... وخفضاً ولكن في العلا تتهلّل

إذا ما الدُّجى وارَى الخُطا من أمامِها ... أرتْها الفجاج شهْبُها فتنصّل[1260]

ودُرُّ نجومِ ليلها شنّف[1261] الرُّبى ... وياقُوتةُ الجوْزا عليها تشعّل

ونشرُ الخُزامَى في الظِّراب[1262] دليلُها ... ورَطبُ النسيم في هَواها مُدلّل

فظلّتْ بأحشاء السَّباسِب[1263] خاطرا ... أجولُ عليها بالبَلاغ أعلل

بلاغ ربوعِ الجودِ والفضلِ والنّدى ... ومجدٍ زَرى بالراسيات مُؤثّل

ودَوْحُ نَوالٍ دانياتٌ قُطوفُها ... وفَرعُ كمالٍ في الهَجير مُظلّل

وكفٌّ تكُف النائبات عن الورى ... ووجهٌ متى ما جئتَه يتهلّل[1264]

وساعدُ جدٍّ عوَّدَ البَسْط كفَّها[1265] ... أناملُها بالسيف والسَّيب[1266] تُرسَل

«ولا غرْوَ في جمع المنيَّة والمُنى ... بكف إذا ما الدهرُ يقضِي ويعدِل[1266م]»

به أمِنت ظُعْنٌ[1267] الهوادج في الفلا ... على حِين أعيُنُ البَياهِس[1268] تحذَل[1269]

(1260) تُنصِّل : تتنصَّل، أي تسرع في سيرها وتخرج من المكان الذي تسير فيه كالسهم.

(1261) شنف الربا : ألبسها الشُّنُف وهو القرط الأعلى.

(1262) الظِّرَاب : جمع ظَرِب، وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طرفه، أو الجبل المنبسط أو الصغير («**قاموس**»، مادة «ظرب»).

(1263) السباسب : السبسب : المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

(1264) تأثر التمنارتي في الشطر الثاني بقول زهير بن أبي سُلمَى يمدح حصن بن حذيفة الفزاري :

تراه إذا ما جئتَه متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(«**شرح ديوان زهير**» لثعلب، ص. 142).

(1265) هكذا ــ بضمير التأنيث ــ في النسخ المعتمدة وفي الديوان.

(1266) في الديوان: بالسيب والسيف. والسيب: العطاء.

(1266م) هذا البيت من مولدية للنابغة الهوزالي.

(1267) ظُعْن: جمع ظَعِينَة، وهي المرأة ما دامت في الهودج، من ظَعَن بمعنى سار.

(1268) البياهس: جمع البَيْهَس، وهو الأسد.

(1269) الحَذَل: حمرة في العين وانسلاق وسيلان دمع، أو قلة شعر العينين، وفعله حَذِل كفَرِح («قاموس»).

وسائمـــةَ الأوعـــاس[1270] بين غِياضِهـــا[1271]
ولَغوسُها[1272] المحتـــال[1273] بالجد يختـــل[1274]

هو السِّلـــمُ للأيّـــام من غلوائهـــا[1275]
وغُـمس[1276] لِيـال للمثابـــة[1277] تحجُـــل[1278]

ومِرضاخُ[1279] طاغوت[1280] الضلال وجِبتِه[1281]
ومِشداخُ[1282] أرؤس الزمـــان المثقـــل

وتنفـــيسُ خنـــق الدهـــرِ والدهـــرُ عابسٌ
وتنفـــيسُه الأهنـــا أغـــرُّ مُحجُـــل

إليه تنص[1283] العِيس[1284] من مَهمهِ[1285] الفَلا
وعنـــه تقصُّ المجد صِرفـــا وتنقُـــل

له خُلُقٌ يشفِي الزّمانةَ حُلوُهـا[1286] ويَجلو الزمانَ حسنُها[1287] ويجـــل

(1270) الأوعاس : جمع الوَعْس، وهو شجر يعمل منه البرابط، والرمل السهل؛ يصعب فيه المشي.

(1271) الغِيَاض : جمع غَيْضَة، وهي الأَجَمَة، ومجتمع الشجر في مَغِيض ماء.

(1272) اللُّغوس : الذئب.

(1273) في الديوان : المختال.

(1274) يَختِل : يخدع.

(1275) في النسخ المعتمدة : علوائها.

(1276) غُمس ليال : أي ليال مظلمة، شديدة الظلمة.

(1277) المثابة : من ثاب بمعنى رجع.

(1278) تحجُل : ترفع رجلا وتتريث في مشيها على رجلها.

(1279) مِرْضاخ : حجر يُرْضَخ به النوى، أي يُكسر.

(1280) الطاغوت : الشيطان، ورأس كل ضلال، والأصنام، وكل ما عبد من دون الله، ومَرَدَة أهل الكتاب («قاموس»، مادة «طغا»).

(1281) الجِبْت : الصنم، وكل ما عُبِد من دون الله.

(1282) مِشداخ : ما يُشْدَخ به، أي يُكسَر.

(1283) تُنَصُّ : تستحث ويستخرج ما عندها من السير.

(1284) العِيس : الإبل البيض، يخالط بياضَها شُقرة. وهو أَعْيَس، وهي عَيْساء.

(1285) مَهْمَه : مفازة بعيدة، وبلد قفر.

(1286) هكذا في النسخ المعتمدة، وفي الديوان. والصواب : حلوه.

(1287) هكذا في النسخ المعتمدة، وفي الديوان، والصواب : حسنه.

فلو حاتمٌ ذو الجودِ قد راءَ[1288] بعضها وأحنَفُه لغار منها[1289] ويخجل
علـيُّ المعالي والمكانة والـذرى وسِبط الـذي بقـدرِه تَتَوسَّل
مَلاذُ بلاد المغـربين وقُطبُها وعِصمتُها من كل أمر يُهوِّل
أتتك الأماني والقوافي تُعينُها على نائبات الحق بالدهر تنزلُ
وقد طَحرت[1290] عيني قذاها برأيها إليك وسُرُّ فيك عنسي وأرحل
بقيتَ بقاءَ الدهر في فنع[1291] النَّدى وهذا دعاء للبرية يشمل[1292]

رفع إليَّ أهلُ مدينة تارودانت شكاياتهم باعتساف خدام[1293] الأمير أبي الحسن فكتبت إليه :

رسالة التمنارتي إلى أبي حسون السملالي بنصحه بالرفق بأهل تارودانت

«حدثني الإمام المحدث أبو العباس ابن الفقيه الحاج أحمد [بن أحمد][1294] ابن عمر بن محمد أقيت السوداني إجازة وقراءة وسماعا على غيره، قال: حدثني الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن حسين المكي الحنفي إجازة، قال : حدثني أبو الفضائل عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد العلا[1295] السنباطي المصري، قال : حدثني زين الدين عبد الرحمان بن صلاح الدين خليل بن مسلمة الدمشقي وأبو الطيب شعبان بن محمد بن محمد بن حجر الكناني، قالا : أخبرنا العلامة الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن حسين العراقي، قال : حدثنا الصدر أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي[1296]، قال : أنبأنا النجيب أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني، قال : أنبأنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمان بن محمد بن علي بن الجوزي

(1288) رَاءَ : رَأى.

(1289) في الديوان : منه.

(1290) طحَرَت العينُ قذاها : رمت به، فهي طَحُورة.

(1291) الفَنَع : الخير والكرم والفضل والزيادة، وحسن الذكر («قاموس»، مادة «فَنِعَ»).

(1292) أخذ التمنارتي هذا البيت ـ مع تحوير بسيط ـ من بيت ينسب للمعري وللمتنبي، وهو :
بَقِيتَ بقاءَ الدهر ـ يا كهفَ أهله ـ وهذا دعاءٌ للبرية شاملُ
(«الإيضاح» للقزويني، ج 2، ص. 599).

(1293) سقطت لفظة «خُدَّام» من نسخة.

(1294) سقطت «بن أحمد» من النسخ المعتمدة. والتصويب من ص. 133.

(1295) في نسخة : بن عبد العالي.

(1296) في النسخ المعتمدة : الميلوجي، وهو خطأ. (انظر : ص. 205 مع هامش 47).

البكري[1297]، قال : أنبأنا أبو سعيد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك النيسابوري، قال : أنبأنا أبي أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، قال : حدثنا الإمام أبو طاهر[1298] محمد بن محمد بن محمش[1299] الزيادي، قال : حدثنا أبو حامد أحمد ابن محمد بن يحيى بن بلال البزار، قال : حدثنا عبد الرحمان بن بشر بن الحكم العبدي، قال : حدثنا حافظ الأمة وحبر الملة، سيدنا سفيان بن عيينة، قال : حدثني عمرو[1300] بن دينار عن أبي قابوس، مولى عبد الله بن عمرو[1301] بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالى، اِرحموا من في الأرض يَرحمْكم من في السماء**».

سيدنا الإمام العدل الصالح سيدنا أبا[1302] الحسن. أيدكم الله وأعانكم وأصلح للمسلمين زمانكم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فبالله ـ يا سيدي ـ تأخذ مساكين هذه المدينة التي عهدتها عليك بمقتضى أحاديث نبيك ﷺ فترحمهم بالرفق بهم يرفق الله بك يوم القيامة، وتكف عنهم تعدِّيَ الخدام وتشطيطهم؛ فإنهم ضعفاء مساكين، لا سيما وقد مسهم الدهر بأزمة جَدبه، وغَمَّة كَربه، فنفس عنهم نفس الله عنك، وتقدم إلى الخدام بالرفق وسيرة[1303] العدل فيهم؛ فإنها التي تحمد عاقبتها وتنشر في الناس بركتها، وقد أتوك شُعثاً غُبراً، لِيُلقُوا إليك من شؤمهم خبرا، وهم لأحوالهم أشرح من كتابي، وأرجى لنيل مرادهم من قرع بابي. وقد ذكروا أن كثيرا من أهل صنائعهم ارتحلوا بسبب الاِعتساف، وقلة الإنصاف، والذي شاهدته انقطاع الوارد عنهم لعموم الخوف في الطرقات، وتناهي الفساد بالحِرابَة[1304]

(1297) في نسخة : الكبرى.

(1298) في نسخة : أبو الطاهر (انظر: ص. 93، وص. 205).

(1299) في النسخ المعتمدة : مخمش، والصواب : محمش (انظر: ص. 93، هامش 111).

(1300) في النسخ المعتمدة : عمر بن دينار. والصواب ما أثبتناه (انظر: ص. 94).

(1301) في النسخ المعتمدة : عبد الله بن عمر بن العاصي. والصواب ما أثبتناه (انظر: ص. 94، هامش 115).

(1302) في نسخة : أبو الحسن.

(1303) في نسخة : ولا سيرة؛ وفي نسخة : والأسيرة.

(1304) الحِرَابة : «هي خروج طائفة مسلحة في دار الإسلام، لإحداث الفوضى، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض، وإهلاك الحرث والنسل، متحدية بذلك الدين والأخلاق والنظام والقانون» («**فقه السنة**» للسيد سابق، ج 2، ص. 393). وتسمى الحرابة أيضا : «**قطع الطريق**». وحَدُّ الحرابة مذكور في قوله تعالى : ﴿إنما جزاءُ الذين يُحاربون الله ورسولَه ويسعون في الأرض فسادا أن

والسرقات وليس بها من يقوم عنكم بتغيير ذلك، وإن الخدام يتعرضون في الأحكام الشرعية، ويضربون في وجه الشرع بتعصبات للمحكوم عليه حتى يتخلص من الواجب عليه، ويضيع بذلك حق المحكوم له، وإن بعض العبيد بالقصبة قطعوا الماء عن جامعها فتضرر المصلون بذلك وتقدمت لصاحب القصبة فلم يغن فيهم شيئا.

قصة المنتصر بالله العباسي مع رجل ناصح من رعيته

وقد حكي أن المنتصر بالله العباسي لما حج - وكان يختفي ليطوف[1305] وحده في جوف الليل - فبينما هو ذات ليلة يطوف، سمع رجلا في الملتزم يدعو ويقول في دعائه : «إليك أشكو ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله إلا الظلم والطمع». فأسرع[1306] المنتصر في مشيه ودسَّ له من يأتيه به، فأتاه به فقال له : ما هذا البغي والفساد الذي[1307] حال بين الحق وأهله؟ فقال له : إن أمنتني على نفسي، أخبرتك. فقال له : أنت آمن، فقال له الرجل : أنت الظالم الذي حلت بين الحق وأهله بالطمع، فقال له المنتصر: ويحك؛ الصفراء والبيضاء[1308] بيدي والحلو والحامض في قبضتي، فكيف يدخلني الطمع؟

قال له : إن الله استرعاك أمور الخلق، فأهملتهم واهتممت بجمع أموالهم، وسددت في وجوههم أبوابا من حديد، وعليها حُجَّابٌ بأسلحتهم غلاظٌ شداد، وسجنت نفسك في قصرك وبعثت العمال يظلمون الناس ويأخذون أموالهم، وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان، ولم يصل إليك ملهوف ولا مظلوم ولا مسكين ولا ضعيف، فلما رآك الخلق كذلك خانوك كما خنتهم : ورَشا الظلامَ ذوو الثروة فضاع الضعيف والمسكين، وامتلأت البلاد بالبغي والفساد، وإن أتى المظلوم يشتكي، أخرج وضرب ليكون نكالا لغيره، فضاع الإسلام وأهله وشاع الظلم وأهله. وقد كانت بنو أمية قبلكم ينصفون للمظلوم من الظالم، وينادي المسكين : يا أهل الإسلام ! فيجيبونه : ما لك؟ ما لك؟ ولقد رأيت ببلاد الصين ملكا كافرا صَمَّت أذناه من

= يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو يُنفَوْا من الأرض، ذلك لهم خِزْيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ (سورة المائدة، الآية 35).

(1305) في نسخة : يطوف.

(1306) في نسخة : وأسرع.

(1307) في النسخ المعتمدة : التي.

(1308) الصفراء والبيضاء : الذهب والفضة. قال البوصيري في «الهمزية» :

سُدتم النــــاس بالتقـــى وسواكم سَوَّدتــــه البيــــضاء والصفـــراء

(«حاشية الجمل على متن الهمزية»، ص. 114).

الكبر، فأطلق النداء : لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم، ثم يركب كل يوم على فيل ويجتاز في البلاد. فإن رأى من لَبِس ثوبا أحمر، أمر بإحضاره وأخذ له حقه.

فهذا مشرك بالله قد غلبت رأفته على أهل الشرك بالله، وأنت مسلم وابن عَمِّ نبيِّك رسول الله ﷺ. أفلا تغلب رأفتك على إخوانك المسلمين وهم أمة نبيك ؟ وأنت مشغول بخاصة نفسك عما ولاك الله من أمرهم، فلا ترى إلا من يأتيك من عمالك بالمال الجزيل وتحت يدك أموال تفي على ملكك.

لو عرفت تسوس الخلق، والله ما فوق منزلتك إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح، والله مطلع على ضمير قلبك، وما يكون جوابك غدا يوم القيامة ؟

فبكى المنتصر – رحمه الله – حتى نَحَبَ وارتفع صوته وقال : يا ليتني لم أخلق، ثم قال له: «يا هذا ! إني[1309] لم أر في الناس ناصحا يقول لي مثل ما قلت لي، قال : «لو جالست العلماء والأولياء الأعلام، لدلوك على منفعتك»، فقال له : «إنهم يفرون مني». فقال له : «إنما فروا من أفعالك، لا منك. ولو سهلت الحجاب، وأنصفت المظلوم، وأقمت الحق، واستعملت العدل، لأحبك كل ولي لله في الأرض». فقال المنتصر: «اللهم وفقني». فإذا بالمؤذن يناديه بالصلاة للناس، فخرج يصلي ولم يره بعد. وهذا نصيحتي إليك. والسلام.

رسالة التمناري إلى محمد بن أبي بكر الدلائي

ولما بلغ الخبر أن الرجل الصالح الظاهر البركة المهيب الحرم أبا عبد الله محمد ابن أبي بكر الجزولي الأصل قاطن الدلاء[1310] من أعمال فاس هم بتوجيه ولده لنزع تافيلالت[1311] من يد أمير جزولة أبي الحسن[1312] الذي هي في يده، كتبت إليه ما هذا نصه :

(1309) سقطت «إني» من نسخة.

(1310) توفي عام 1046هـ/1636م (انظر ترجمته في «الزاوية الدلائية» لمحمد حجي، صص. 76-77 ؛ و«الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 501).

(1311) تافيلالت: تطلق على مجموعة من الواحات الواقعة على ضفتي وادي زيز، والضفة اليمنى لوادي غريس، وواحات النيف «انظر: «المغرب» للصديق ابن العربي، صص. 74-75؛ و«معلمة المغرب»، ج 6، ص. 2082).

(1312) هو علي بن محمَّد بن مَحمد ابن الشيخ أحمد بن موسى التزروالتي، المعروف ببودميعة (انظر ما بينه وبين الدلائيين في «إيليغ قديما وحديثا»، صص. 131-149).

«بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما،

ولينا في الله والمحب في ذاته[1313]، السيد الصالح البركة سيدي محمد بن أبي بكر. عصم الله من طائف الشيطان حوزته، وصرف عن قبول زخارف القول قلبه وفكرته. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1314].

هذا؛ وإنه قد طار لكثير من إخوانكم في العلم والدين بهذه البلاد السوسية أنكم عزمتم أو أحد بنيكم على الحركة لتافيلالت ومنازعة من بها قبلكم، فاستعظموا ذلك منكم، وأشفقوا عليكم أن تكونوا[1315] مثل من استزله الشيطان قبلكم كأبي العباس الساوري[1316]، وكشيخنا أبي زكرياء الحاحي، والمصلوحي[1317]، وابن كانون[1318]، حال بينهم وبين ما هم فيه من الهداية والإرشاد والتعليم والمواساة، والأخذ بأيدي[1319] الضعفة فألقاهم في هُوى[1320] الهوان، ولعبت بهم عامة آخر الزمان فصاروا لما ترى وليس الخبر كالعيان..

(1313) سقط «في ذاته» من نسخة.

(1314) في نسخة : وبركته.

(1315) في نسخة : ألا تكونوا.

(1316) المراد به أحمد بن عبد الله المعروف بابن أبي محلي، المولود عام 967هـ. دعا لنفسه ـ عندما تنازع أولاد المنصور السعدي على السلطة، وادعى المهدوية، وانتزع مراكش من زيدان بن المنصور ـ بعد معارك ـ فاستصرخ زيدان يحيى الحاحي فأصرخه، حيث واجه ابن أبي محلي في كَليز بمراكش وقتله سنة 1022هـ. وقد رمز أبو العباس أحمد المريدي إلى تاريخ قيامه ـ وهو 1019هـ ـ وتاريخ وفاته بقوله : قام طيشا ومات كبشا». (انظر : «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 15، هامش 75 ؛ و«**ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت**» لعبد المجيد القدوري، صص. 37–68).

(1317) المقصود الشيخ مولاي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسين. ولد بتامصلوحت وعندما لاحظ زيدان اجتماع الناس عليه، توجس منه خيفة، وأراد القبض عليه، فذهب إلى كيك، وقصده هناك آلاف الزوار. وهو من كبار العلماء. أخذ عن المنجور، وعبد الله بن طاهر الحسني، وأبي مهدي عيسى السجتاني. وتوفي سنة 1072هـ. ومشهده مزارة مشهورة، ويقام عليه موسم سنوي حافل («**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 147، هامش 342).

(1318) هكذا في النسخ المعتمدة؛ وفي «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 147 : «وأبي كانون». «وهو أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن الشيخ سيدي مَحمد كانون المطاعي العبدي. لم ترضه مهادنة زيدان بن المنصور للبرتغاليين فتمادى على محاربتهم في الجديدة، وتبعه الناس، وكثرت جموعه، فحاربه زيدان ـ بقيادة ابنه عبد الملك ـ فانهزم جيش ابن كانون وقُتل» (انظر: «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 17، هامش 80).

(1319) في نسخة : بيد.

(1320) هُوى : جمع هُوّة، وهي الحفرة أو الوهدة العميقة.

وأنت ـ بحمد الله ـ في غاية النفع للأمة بما أنت فيه، والله يشكر لك ذلك، ونبيك ﷺ يذكرك به. فلا تحقرن ما أنت فيه : فليس في مغربنا في هذه الساعة أنفع منك للأمة بما أنت عليه من واضح الإستقامة والحمد لله. ومن قصد استزلالك عنه، فقد غشك وغش الله ورسوله. فافهم ذلك واقبل النصح.

وقد طار إلينا قبل هذا أن أهل فاس قديمة مدائن الغرب وأعظمها، طلبوك بإمارتها فأبيت حفظا لما أنت فيه من الخير والصلاح، وأردت[1321] الآن أن تسلمه في قبضة من حَشَفٍ[1322]، وبُقعة سغب[1323] وشظف[1324]، لا تدري أتدرِك، وتَسْلَم أم تُدرَك وتُسلَم، فيضحل[1325] شأنك، ويشمت شانيك. وهذا يسوء سائر الأمة، ويحدث الثلم الكبير في هذه الملة. فاقدُر نعمة الله قدرها، واستنزل بالشكر دَرَّها، ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾[1326].

وقد شاهدتم كل من ألقى نفسه بهذه الشبهة، بعد المنصور رحمه الله، لم تتم له فيما يروم حجة، ولا اتضحت له في سمت قصده محجة. غير أنهم أثقلوا ظهورهم بالدماء والأموال، والحقوق التي تقل النجاة معها. والسعيد من وُعِظ بغيره.

وصاحب الأمر بهذه البلاد السيد أبو الحسن عن أخيه أبي سالم[1327] لهم في ضبط البلاد والسعي في مصالحها وإصلاح مفاسدها ما يقرب أو يفي بالثلاثين سنة، فآمنوا الأموال والحرم، وأفاضوا فيها الفضل والكرم، وحقنوا الدماء وآمنوا[1328] السبل، وعمروا السهل والجبل، فشكر المسلمون سيرتهم، واختبروا في صدق النصيحة سريرتهم، فأطاعوهم قاطبة، وأذعنت لهم القبائل راغبة وراهبة، فشملت العافية البلاد

(1321) في نسخة : فأردت.

(1322) الحَشَف : أردأ التمر.

(1323) سغب : جوع.

(1324) شَظَف : ضيق العيش وشدته.

(1325) يَضحل : يقل ويضعف. يقال : ضَحَلت الغُدُر، أي قلّ ماؤها. وما أَضْحَلَ خيرَك! أي ما أقله!

(1326) سورة الحشر، الآية 19.

(1327) أبو سالم : هو إبراهيم بن محمد ابن الشيخ أحمد بن موسى التزروالتي. وهو أول من ثار على زيدان وتصدى للإمارة من أبناء الشيخ، ثار في العشرة الثانية من القرن الحادي عشر الهجري، وتوفي في الكصيب بأسمن بيعقيلة، ليلة الأحد 29 جمادى الثانية عام 1018هـ (انظر : «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 35)، ولم يكن أبو سالم أخا لأبي الحسن بودميعة، بل هو عمه (انظر : «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 42).

(1328) سقطت «وآمنوا» من نسخة.

والعباد، فلم يكن من الشأن ولا من الشرع أن تتعرضوا لهذه النعمة بالفساد، ولا أن تثيروا شرر الفتنة في طرف من أطراف البلاد، والواجب أن تحفظ عافية هذه الناحية بأحوط مما حفظتم به عافية تلكم البلاد، فإن ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، وهم يد على من سواهم[1329]. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، واقبل نصيحتي تنفعك. فإني كما قيل[1330] : [المتقارب]

إذا المشكــــلات تصَدَّيـــــنَ[1331] لي   كشفتُ غوامِضهـــا[1332] بالنظــــــر

ولست بإمَّعـــــةٍ[1333] في الرجــــال   أُسائـــــــلُ هذا وذا[1334] ما الخبر

ولكنني مِذْرَبُ[1335] الأصْغريْــنِ[1336]   أبيِّــن مَعْ ما مضَى ما غبـــــر[1337]

ضــرورة العمــل والاحتراف

وشكا إلي بعضُ أصحابي الفاقةَ، فقلت : ألم يبلغك ما قال الحريري؟[1338]؟ قال : أفدني، فقلت[1339] : [البسيط]

(1329) قال ﷺ : «ذمة المسلمين واحدة. فمن أخفر مسلما، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل منه صرف ولا عدل» («**صحيح**» البخاري، «باب حرم المدينة»، ج 1، ص. 226)؛ وقال ﷺ : «المومنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم... الحديث» (رواه أبو داود).

(1330) هذه الأبيات من قطعة ـ من ثمانية أبيات ـ منسوبة لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه (انظر : «**ديوان الإمام علي**»، صص. 60–61)؛ ومن قطعة ـ من أربعة أبيات ـ منسوبة للشافعي (انظر : «**ديوان الشافعي**»، صص. 48–49).

(1331) تصدين : تعرّضن.

(1332) في «**ديوان علي**»، و«**ديوان الشافعي**» : حقائقها.

(1333) الإمَّعَة : الرجل الذي لا رأي له، ولا يثبت على شيء، وإنما يتبع الناس، ويميل معهم حيث مالوا. وهو مشتق من «إن» و«مع»، أي إن مالوا إلى اليمين مال معهم، وإن مالوا إلى الشمال مال معهم...

(1334) في النسخ المعتمدة : إذا، وهو خطأ.

(1335) في «**ديوان الشافعي**»: مِذرَه، ومعناه : السيد الشريف، والمُقدِم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال («**قاموس**»، مادة «ذرَه»). أما المِذْرب ـ كمِنْبَر ـ، فهو اللسان. ولكن المراد هنا : الحَادّ.

(1336) الأصغران : القلب واللسان.

(1337) ورد الشطر الثاني في «**ديوان الشافعي**» هكذا : جَلَّابُ خير وفَرَّاج شَر.

(1338) هو الأديب اللغوي أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري. ولد سنة 446هـ، وتوفي سنة 516هـ. له «**درة الغواص في أوهام الخواص**»، و«**مُلحَة الإعراب في النحو**»، و«**ديوان رسائل**»، و«**المقامات**» التي تعتبر أجود آثاره، وهي خمسون مقامة نسجها على منوال «**مقامات بديع الزمان الهمداني**». (انظر ترجمته في «**وفيات الأعيان**»، ج 1، ص. 530؛ و«**الأعلام**» للزركلي، ج 6، ص. 12).

(1339) انظر: «**مقامات الحريري**» : «المقامة 37 الصعدية»، ص. 411.

لا تقعُدنَّ على ضُرٍّ ومَسغبةٍ[1340]	لكي يُقالَ عزيزُ النفس مصطبرُ
وغُضَّ عما يُشير[1341] الأغبياء به	فأيُّ فضلٍ لعُودٍ ما له ثَمَرُ
واستنزل الرِّيَّ من درّ السحاب فإنْ	بُلَّت يداك به فلْيَهْنِك الظفَرُ
وإنْ رُددتَ فما في الرَّدِّ مَنقصةٌ	عليك قد رُدَّ موسى قبلُ والخضرُ[1342]

وانظر أيها القاعد لِمَا لَقيَ الإمام المحقق العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن محمد[1343] بن سليمان القرشي المخزومي الإسكندري بدر الدين المعروف بالدماميني[1344] صاحب «شرح البخاري»، و«تحفة الغريب في حاشية مُغني اللبيب»[1345] و«شرح التسهيل»[1346]، و«شرح الخزرجية»[1347]، و«جواهر النحر» في العروض و«الفواكه البدرية» من نظمه، و«عين الحياة: مختصر حياة الحيوان» للدميري. فإنه ـ رحمه الله ـ مع الإشتغال بالعلم كان يكتسب بالتجارة في بلده، ثم قدم القاهرة وعين للقضاء فلم يتفق له، ودخل دمشق، وحج منها ثم عاد إلى بلده وتولى خطابة الجامع. وكان يشتغل بأسباب الدنيا، فعانى الحياكة وصار له دولاب متسع، فاحترقت داره وصار عليه مال كثير، ففر إلى الصعيد فتبعه غرماؤه

(1340) مَسْغَبَة : جوع. قال تعالى : ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ (سورة البلد، الآية 14).

(1341) في «مقامات الحريري» : فَغُضَّ عما تشير.

(1342) لمح إلى قوله تعالى : ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يُضَيِّفُوهُما﴾ (سورة الكهف، الآية 76).

(1343) في «نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة» لمحمد الطنطاوي، ص. 240 ؛ و«المدارس النحوية» لشوقي ضيف، ص. 357 : محمد بن أبي بكر بن عمر.

(1344) نسبة إلى أصله «دمامين» ـ وهي قرية قريبة من الأقصر بصعيد مصر. ولد بالإسكندرية وتعلم بها، أقرأ بالإسكندرية وبالأزهر. غادر مصر، ودرس بجامع زبيد باليمن واتجه إلى الهند، فأقبلت عليه الدنيا هناك، واشتغل بالتعليم والتأليف، إلى أن توفي هناك في كلبرجا سنة 827هـ ـ أو سنة 837هـ. توجد ترجمته في «بغية الوعاة» و«حسن المحاضرة» للسيوطي؛ و«الضوء اللامع» للسخاوي؛ و«شذرات الذهب»، ج 7، ص. 181؛ و«البدر الطالع» للشوكاني، ج 2، ص. 150؛ و«نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة»، صص. 240-243 ؛ و«المدارس النحوية»، صص. 357-358).

(1345) في «نشأة النحو...»، صص. 240-241 : «وله تعليق على «المغني» كتبه بالديار المصرية، وشرح مزيج على «المغني»، ألفه بالهند، سماه «تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب».

(1346) سماه : «تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد»، عوَّل فيه كثيرا على «شرح المرادي للتسهيل» («نشأة النحو...»، ص. 240).

(1347) سماه : «العيون الغامزة على خبايا الرامزة»، وهو مطبوع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة 1324هـ.

وأحضروه للقاهرة مُهاناً، فقام معه تقي الدين بن حجة، وكاتب السر ناصر الدين المازري حتى صلحت حاله، ثم حج أخرى فدخل اليمن ودرس بجامع زَبيد[1348] فلم يُرْجْ له بها أمر، فركب البحر إلى الهند، فحصل له إقبال كثير فأخذوا عنه وعظموه، وحصلت له دنيا كثيرة[1349] فبغته[1350] هنالك[1351] الأجل في شعبان سنة سبع أو ثمان وعشرين وثمانمائة، فانظر ما أفاده رحمه الله من العلوم وقام به من الوظائف مع مقاساته وتردده في نواحي البلدان. فالله يمنح العون بفضله.

نزول الغيث بعد الجدب والغلاء، ورسالة التمنارتي في الموضوع إلى أبي حسون السملالي

وقع الغلاء والجدب[1352] بالمغرب[1353] والسوس سنة خمس وأربعين وألف، حتى بيع الزرع بمراكش عشر أواق للصاع، وبتارودانت أوقيتين، ثم نزل المطر بأبريل من السنة، فصلح المال، وذهب المحل[1354]، واستبشر الناس وفرحوا، فكتبت في ذلك للأمير أبي الحسن الجزولي أمير تارودانت :

«بسم الله الرحمٰن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

سيدنا الإمام العادل الصالح، سيدنا أبو الحسن، عصم الله من الحوادث أقطاره، وأسار على قصد السبيل أنظاره. سلام على المقام الأعلى ورحمة الله تعالى[1355] وبركاته تتوالى. أما بعد؛ فإن الله ــ والحمد لله ــ تدارك بفضله وإحسانه البلاد والعباد بغزير أمطاره، وغديق السحب الكفيل لكل حي بنيل أوطاره، فباهت به الأنجاد أغوارها، وآنس النسيم يانع نبتها وأزهارها في أبطاحها[1356]، وتلاحقت البشائر أُولاها بأُخراها، وشكرت المذانب[1357] مرساها ومجراها، وتعانقت الأزهار في أبطاحها، وسنابل الزروع فيما بين معترك رياحها، والجداول تخترق خلوجها[1358] وتحاول فيما

(1348) زَبِيد ــ كأمير ــ : بلدة باليمن.

(1349) سقط «فأخذوا عنه... دنيا كثيرة» من نسخة.

(1350) في نسخة : فباغته.

(1351) في نسخة : هنا.

(1352) في نسخة : والحرب.

(1353) في نسخة : بالغرب.

(1354) المحل : الجدب.

(1355) سقطت «تعالى» من نسخة.

(1356) سقط «في أبطاحها» من نسخة.

(1357) المذانب : جمع مِذْنب ــ كمنبر ــ وهو مسيل الماء إلى الأرض، والجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها («**قاموس**»، مادة «الذنب»).

(1358) هكذا في النسخ المعتمدة. ومراد التمنارتي بـ«ـالخلوج» الأماكن الملتفة الأشجار، وهو ما يطلق عليه السوسيون بلهجتهم المحلية «أَخْلِيجْ».

تصوب ولوجها، وعمت بحمد الله ديمَتُها[1359] سهولها وجبالها، وأطارت عن قطري الغرب والسوس الجدوب ووبالها، فأصبح بيمنها بعد كريه[1360] المنظر رائقا، ورهين البؤس طليقا بعدما أمسى في الرهن غالقا[1361]، والمحروم المختبط[1362] عاد ـ بحمد الله ـ بهذه النعمة موسرا وما هي بأول بركتكم يا آل أبي العباس بن موسى[1363]. لقد شرح الله بها صدور الصدور، سيما من ببيته منهم تعداد القدور، يغدو هذا المسكين إذا نَشِبَه[1364] العيال أو نزلت به نائبة طلب أو مضياف[1365]، يتحيَّر في أمره بين تَطْواف[1366] وتطفاف[1367].

فبينما هو يتقلب في تدبير مستقبل دهره، وهو عديم قوت يومه فضلا عن شهره، إذ فجأته الرحمة البينة الألطاف، الواسعة الاكناف، المتوالية الأعطاف، فعادت بهذه الرحمة التامة مكارمه لسيرتها الأولى، وتجددت في البرية فواضله تتلألأ غررها وتتوالى، وثبتت[1368] في صحائف الأعمال الصالحة مساعيه المشكورة، ورسخت في صفحات الدهر مآثره المذكورة، فلله فرج أتيح بعد الإبلاس[1369]، وغنى طرأ بعد الإفلاس، ولِرَبِّ الأيادي العامة، للحاضر والبادي، جزيل الشكر، وجميل الذكر، في الختام والمبادي، ومنه سبحانه نستوهب مزيد الإحسان، بضراعة القلب وبراعة اللسان، وأن يمد مولانا الإمام المؤيد المعان، بما يجمع له شمل الأنام في كنف الإيمان والأمان، ويجدد له المفاخر السنية، ويمن الإقبال بطول الليل والنهار، ويجلو غُرَرَ مآثره السافرة على مَنَصَّة الِاشتهار، ويجري أمره وأمر رعيته على بِساط ﴿ما يفعل الله

(1359) الدِّيمَة : المطر الذي يدوم في سكون بلا رعد وبرق.

(1360) في نسخة : بعد كربه.

(1361) غالقا : من غَلِق الرهن إذا استحقه المرتهن، وذلك إذا لم يُفْتَكَك في الوقت المشروط.

(1362) المختبط : الذي يسأل المعروف من غير آصرة.

(1363) أخذ التمنارتي هذه العبارة من قول الصحابي الجليل أسيد بن حضير لأمنا عائشة (ض) لما نزلت آية التيمم بسببها : «ما هي أول بركتكم يا آل أبي بكر» (رواه الجماعة إلا الترمذي).

(1364) نَشِبَه : لزمه، وتعلق به. ولعل مراده : يلزمه العيال يطلبون ما يأكلون.

(1365) مضياف : صيغة مبالغة من ضَافَه يَضيفه، أي نزل عليه ضيفا.

(1366) تطواف : دوران.

(1367) هكذا في النسخ المعتمدة.

(1368) في نسخة : وثبت؛ وفي أخرى : وتثبت.

(1369) الإبلاس : اليأس والتحير.

بعذابكم إن شكرتـم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما﴾[1370]. والسلام. معظم مقداره الكَلِف[1371] بنشر بشائره وأنواره عبد الله».

اشعار من بعض فضلاء مراكش لفقهاء سوس

وفي جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وألف، ورد من بعض فضلاء مراكش[1372] لفقهاء سوس ما نصه: [الطويل]

رباكم سقاهـا بالمياه غَمَـام | وقال بروحهـا[1373] النسيـمُ سلامُ
ينافحكـم بالمسك في أيكـة الهنـا | وقـد هتـفتْ وُرقٌ بها وحَمـام
ويُـفشي أحـاديثَ الحِمـى لِعُـلاكمْ | وشوقُ فتـاكمْ في قُـوَاهُ[1374] حُـمَام
متى راعه سَجفُ[1375] الدياجي بسَدله | يَئـنُّ أنِينـا لحمُـه وعظـام
تحمَّـلَ أعبـاءَ الهوى بفـؤادِه[1376] | تهُدُّ[1377] جبالَ الصَّلدِ[1378] وهْيَ عِظَام
ودمـعُ الشجـون مُرسَل ومُسَلسَل | على بُعدكمْ في الجفن منه كِلام[1379]
فليت على الوادي[1380] المقدس وَصْلَكم | لعلَّ النَّـدا يدنـو له وَكَـلام[1381]

(1370) سورة النساء، الآية 146.

(1371) الكَلِف : العاشق.

(1372) المراد به الفقيه المقرئ الأستاذ محمد بن يوسف التملي المراكشي (انظر: «المعسول»، ج 5، ص. 22). وقد ترجم له ابن إبراهيم المراكشي في «الإعلام» (ج 5، صص. 266–274، رقم الترجمة : 680).

(1373) في «المعسول»، ج5، ص22: بدوحها.

(1374) في النسخ المعتمدة: قداه والتصويب من المعسول ج5 ص22. حُمام: حُمّى.

(1375) سَجْف: سِتْر.

(1376) في النسخ المعتمدة : بعداده. والتصويب من الديوان، و«المعسول».

(1377) تهد : تهدم بشدة.

(1378) الصَّلد : الصلب الأملس.

(1379) كِلَام : جروح.

(1380) في النسخ المعتمدة، وفي الديوان : وادي.

(1381) ينظر إلى قوله تعالى : ﴿هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى﴾ (سورة النازعات، الآيتان 15–16).

ثم أردف بعد ما هرف[1382]، فقال : [الطويل]

إلى فقهاء السوس أهدي تحيتي[1383] ومني لهم أتت عجالة فكرتي[1384]
سؤال عساهم أن يجيبوا بنص ما به نسبة إلى إمام المدينة[1385]
عن الأمَةِ التي يَموت سَرِيُّها[1386] وكانتْ له موطوءةً في القضيَّة
وعادت لملوك السري حليلةً بعقد نكاح بعد من غير شُبهة
فجاءت ببنت هل لها من تزوُّج بنجلِ السريِّ بينوا لي قضيتي
فقال السيوري[1387] لا تحل لنجله
كما قد حكاه الونشريسي[1388] بعزوة[1389]
فما الفرق بينها وبينَ التي أتى بها ابنُ أبي زيد[1390] بأوضح حُجَّة
ومَن كان ذا عجزٍ عن النظم فلْيُجبْ بنثرٍ له سهلٍ[1391] بغير مشقة

ثم عطف بعدما لطف، فقال : [الطويل]

أُسائل في الفروع من هو حاذق عن أربع نسوةٍ وهُنَّ عوالق
فقال لهن الزوجُ من وضعت فتىً صواحبُها بالعزم مِني طوالِق
وكلٌّ أتينَ بالفتى بتعاقُبٍ أو إن له قد وضعنَ وقتا يُوافق
وما الحكم في جهل التَّرتُّب بيِّنوا فروعاً ثلاثةً بنصٍّ يُطابِق

(1382) في نسخة : هرب، وهو تحريف. وفي نسخة أخرى : هدى. (كذا). ومعنى هَرَف : أطرأ في المدح إعجابا به، أو مدح بلا خبرة، ومنه لا تُهْرِف بما لا تعرف («قاموس»، مادة «هرف»).

(1383) في نسخة : تحية.

(1384) في النسخ المعتمدة : بكرة.

(1385) أي الإمام مالك بن أنس الأصبحي، صاحب المذهب الفقهي المعروف.

(1386) سريها : سيدها ومالكها.

(1387) هو أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث السيُوري القيرواني المتوفى سنة 460هـ. كان يحفظ «المدونة» وغيرها من دواوين المذهب. وكانت له عناية بالحديث والقراءات. له تعليق حسن على «المدونة» (انظر ترجمته في «**ترتيب المدارك**»، ج 8، صص. 65-66 ؛ و«**الديباج المذهب**»، ص. 158 ؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 116).

(1388) انظر ترجمته في ص. 106، هامش 179.

(1389) بعزوة : بنسبة، أي منسوبا إلى السيوري.

(1390) انظر ترجمته في ص. 267 هامش 409.

(1391) في النسخ المعتمدة : سهلا.

زَفَّت خريدةٌ تبثُّ سَلامَها ... إلى فقهاءِ السوس نشرُه عابِق
ومن مال عَن بحر القريض تعسُّفا ... يجيب بنثرٍ هو[1392] بالحق ناطق

فجاوبته : [الطويل] جواب التمنارتي

تفتَّق عن زهر الأماني[1393] كِمامُ[1394] ... وسُرِّي[1395] عن وجه التهاني لِثام
وسَامَ بِكم دُرَّ القريض وجِيدَه ... طُلاً[1396] عُطِّلُ من قبلكم لا يُسام
وغُمَّ[1397] بأُفْق المغربين هلاله ... فأبْدَرَ منكم بعدُ فيه تَمامُ
وأورَقَ من حَمْرَا الحواضر[1398] عودُه ... وغنَّت عليه وُرْقُها وحَمام
ودَرَّ[1399] بقطر الغرب قطرُ[1400] سحابه
وأبدتْ رُباه زهرها وإكام[1401]
وآنستمُ من جانب السوس نارَه[1402] ... وجدتُمْ هُدى يقتادُ منه قِوام
ولبَّى نداكم كلُّ وادٍ مقدَّسٍ ... لدى طُورِهِ والأمنُ ثَمَّ لِزام[1403]
فلله كم من مُقلةٍ سهرَت به ... وأهْدى لها طيفُ الخيال مَنامُ

(1392) في النسخ المعتمدة : بنثره وبالحق. والتصويب مني.

(1393) في نسخة : الأمان.

(1394) كِمَام : جمع كِمٍّ، وهو غطاء النَّوْر.

(1395) سري : كُشف وأزيل.

(1396) الطُّلا : جمع طُلْيَة، أي العنق.

(1397) غُمَّ الهلال : غطاه الغمام.

(1398) يقصد بحمراء الحواضر : مراكش الحمراء.

(1399) دَرَّ : سال.

(1400) قَطر : مطر.

(1401) إكام : جمع أَكَمَة، وهي التَّل والهضبة.

(1402) وظف في هذا البيت قوله تعالى ـ في قصة موسى عليه السلام ـ : ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا﴾ (سورة القصص، الآية 29)، وقوله تعالى : ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنستُ نارا لعلي آتيكم منها بقَبَس أو أجد على النار هدى﴾ (سورة طه، الآيتان 8ـ9).

(1403) وظف في هذا البيت قوله تعالى : ﴿فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى﴾ (سورة طه، الآيتان 10ـ11)، وقوله تعالى : ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين، يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانٌّ وَلَّى مُدْبِرا ولم يُعَقِّبْ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسلون﴾ (سورة النمل، الآيات 8ـ10).

بحُسن التَّقاضي فاقتَضوا دَيْن جاهِدٍ ... له بحِجاكُم حُجَّةٌ وإمامُ

ترَخّص في بَيْع القَريضِ بمِثلِه ... وشِعرٌ بِشِعرٍ ما رِباه حرامُ

وعاد بمن تشْدو الطيورُ بشوقِهِ ... إذا فُضَّ يوماً عن شذاه خِتامُ

على الهِمَّة العُليا التي زان عِلمُها ... رُبوعَ المعالي والفَخارِ سَلام

والجواب عن المسألتين : [الطويل]

جواب أولاها الفرق بالمِلك لا يُرى ... نكاحُ امرئٍ لِملكه في القضية

على ذاك إجماع الأئمة والتي ... أتتْ حُرَّةً قبل انتشاب الحرية

تُباعُ لديهم باتفاقٍ وإنَّما ... أتى الخُلفُ في ربيبة من خلية

جوازاً ومنعاً والكراهة نَقلوا ... فلا تَعْدُوَنْ تفصيلهم للسَّوِيَّة

وما لاقَ بالشيخين خُلْفٌ بغيرها ... لِما فيه من نقضِ الأصول الجلية

فلا تركبوا بالوَهم مَتن اختلافهم ... على شُبهة الاجمال غير البريئة

وعن نسوة أولى ورابعة[1404] لها ... ثلاثٌ وطَلقةٌ تُرى للثنيَّة

وثالثة إلى اثنتين انتسابُها ... ووجهُ اختلاف الحكم خَرْجُ البريَّة

وشهَّرَ بثُ الكلِ لِلْعُتَقِي[1405] لدى[1406] ... جواهرَ[1407] نجلَ شاسهم[1408] الثمينة

سَقى رَبعكم صوبُ الصَّبا وجَنوبُها ... وماسَتْ بأزهار الوجوه الوضيئة

وحيَّاكُمُ روحُ الهُدى ورذَاذُه ... وطِيب نسيم غُدوةٍ وعشيَّة[1409]

(1404) في النسخ المعتمدة : وأربعة.

(1405) هو أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم بن خالد العتقي (انظر ترجمته في ص. 259 هامش 353).

(1406) لدى : في. قيل :

«لَدى» بمعنى «عند» فارسُم بالألف ... وإن بمعنى «في» فبالياء أُلِف

(1407) «الجواهر الثمينة، في مذهب عالم المدينة»، وهو كتاب نفيس اعتمدته الطائفة المالكية في مصر، لحسنه وكثرة فوائده ـ كما في «الديباج»، ص. 141.

(1408) نجل شاسهم : ابن شاس، وهو عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي، يكنى أبا محمد، ويلقب بالجلال. وهو فقيه عارف بقواعد مذهبه، صنف غير الجواهر المذكورة، ومال إلى النظر في السنة النبوية. توفي بثغر دمياط سنة 610هـ (انظر ترجمته في «الديباج المذهب»، ص. 141).

(1409) أجاب عن هذين السؤالين فقهاء سوسيون اخرون منهم :

ـ الفقيه سيدي عبد العزيز بن أبي بكر الرسموكي (انظر : «المعسول»، ج 5، صص. 23ـ24). =

رثاء النمنارني لأبي زكرياء وأبيه وجده

ولما توفي شيخنا أبو زكرياء، قطع خلفه زاويته، وقد كان ورثها عن أبيه وجده، وكان لهم صيت في المغرب برئاسة في العلم والدين وتعليم العقائد والفرائض والسنن، بتدبير عجيب، وترتيب لم يُسبَقوا بمثله، فخاطبتهم بما هذا ترجمته : [الطويل]

وقفتُ على رَبع الهوى أتأمَّلُ
ودمعي يخُط الواجنات[1410] ويهمِلُ[1411]

ولي كبد حرَّاءُ[1412] في طي نشره
وقلبٌ يَرى الأشجانَ فيه ويحمِل

فما لرباطِ الدين غُمَّ هِلالُه
وعهدي به زين الآفاقِ المؤمَّل

كما قمَرُ التوحيد فيك خُسوفُه
وقد كان بين البدر والشمس يرفُل

مضى لي بك الشيخان جدٌّ[1413] وفرعُه[1414]
ولي بهما عهدٌ هناك محمَّل

شرحت به صدرَ الزمان وإنني
على ثقة بالجد فيما أحمَّلُ

فآها على تلك الفضائل أصبحت
تموج بها الأهواءُ تعلو وتسفُل

وواها على تلك المواعظ قد غَدتْ
محاربُها بالهذْر[1415] تهمي وتهْمِل

كأن حروف الجزم ليس وَلوعُها
إلا في العُلا بالجزم تعمي وتعمل

فهلاَّ رأى الصِّنوانِ[1416] والفرعُ حقه
وقادهم للرَّعي مجدٌ مؤثل

فكم من كنوز أورثتها رجالُها
فقام بها الأبناءُ دهرا وأجمَلُوا

= — الفقيه سيدي محمد بن الحسن المنوزي (انظر : **المعسول**»، ج 5، ص. 24).
— العلامة القاضي سيدي محمد بن سعيد بن عبد الله العباسي السملالي (**المصدر نفسه**، ج 5، صص. 24–25).
— العلامة القاضي أبو مهدي سيدي عيسى السجتاني (انظر جوابه المنظوم والمنثور في «**أجوبته**»، ص. 186 فما بعد).
— الفقيه سيدي عبد الله بن سعيد التخفيستي السملالي (انظر:«**خلال جزولة**»، ج 2، ص. 63).

(1410) في نسخة؛ وفي الديوان : الواجبات. والواجن : شط الوادي.
(1411) يَهْمِل : يفيض ويسيل.
(1412) حراء : حَرَّى، أي عطشى. مَدَّ المقصور للضرورة.
(1413) المراد بالجد : الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد المترجم في ص. 150.
(1414) والمراد بفرعه ابنه أبو زكرياء يحيى الحاحي المترجم في ص. 157.
(1415) الهذر : الهذيان، والكلام الباطل.
(1416) الصنوان : الأخوان.

وما راعَ قلبي غيرُ ما قد رأيتُه بعكس الذي أرويه عنه وأحمِلُ
وكم راقَ عَيني في بُرود جمالِه وساءلي وهْوَ في بِجادٍ[1417] مُزمَّل[1418]
وأجمع شيءٍ للولّا عهد نافع بإصلاح ذاتِ البين للفضل أشمل

رؤيا تتعلق بسيدي عبد الله بن سعيد

ومن عجب ما يروى لجدهم أبي محمد عبد الله بن سعيد أن رجلا كبير السن ـ كان بوادي بني تَامّنْتْ[1419] من جبل درن ـ رأى في منامه قبل وروده لبلدهم عينا بيضاء خرارة خرجت من تحت سدرة عينها هنالك كان النساء يضعن تحتها أشقاف الجن، فجرت العين حتى صبت في الوادي، فرأيت جنودا من طيور سود تشرب منها فتصير بيضاء فتطير فتعجبت لِما رأيت من ذلك، فمضى عن الرؤيا ـ على ما حكى الراوي ـ ثلاثة عشر عاما، فورد ونزل بمغارة على ماء قريب من الموضع، فكان الرعاة يرونه هناك، وشاع خبره، فأتاه بعض أهل البلد وأتوا به للموضع فقال لهم: اجعلوا لي عريشا تحت هذه السدرة، فقلنا : موضع رديء كما ترى، فقال : لابد منه، فهيأناه له فنزله.

قال الراوي : فجئته[1420] بعد أيام فقلت له : يا سيدي! إني رأيت قبل هذا[1421] عينا صفتها كيت وكيت نبعت من تحت هذه السدرة ففاضت، ويسقط عليها من الطيور السود ما لا يحصى فتشرب منها فتعود بيضاء، فقال : صدقت رؤياك، سيرد عليك بهذا البلد من الجهال والعصاة ما لا يحصى، فيتعلمون ما يجب عليهم ويتوبون من معاصيهم فيبدلون حسنا بعد سوء.

قال : فلم يمض إلا شهور فشاع خبره في آفاق المغرب، فأتاه الناس لتعلم دين الله أفواجا، فأمضى الله ما رأيت والحمد لله.

(1417) البجَاد : كساء مخطط.

(1418) مُزمَّل : ملفف في ثوب. قال امرؤ القيس في معلقته :

كأن ثَبِيراً في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل

(«**شرح المعلقات السبع**» للزوزني، ص. 54).

(1419) تعريب لـ«أسيف نيْتْ تْمَنْتْ» و«أيت تمنت» هو اسم القبيلة التي يوجد فيها دوار تافيلالت، حيث توجد زاوية سيدي عبد الله بن سعيد.

(1420) في نسخة : فجئت.

(1421) سقط «قبل هذا» من نسخة.

أكثر بعض فضلاء مراكش من إرسال الأسئلة لفقهاء سوس، وبلده مشحون[1422] بالعلماء، فكتبت إليهم بما هذا ترجمته : [الطويل]

إرسال بعض المراكشيين الأسئلة إلى سوس، وقصيدة للمختار في الموضوع

إذا هبَّ مِن حمد الأحبة ريح تسلى فؤادٌ من جَواه يُريح
تحرك أغصانُ الحشا بهبوبه وتنشقُّ أزهار اللّمى[1423] وتفوح
فأوف[1424] نسيم الوصل بالله وآسدين[1425]
ذيول الولا تغدو بنا وتروح
وقل لحمامات اللوى عدن عودة ويا قُمريَ الأدواح[1426] دمت تنوح
فمُتعة[1427] صَبٌّ في الهوى بثلاثة نسيم وذِكرى والغرام يبوح
يَروح علينا شِعرُكم بصبابة كما هو للشِّعرى العَبور يلوح
يُناجي بأرواح المنازل والنُّهى ومَن ضمَّ في تلك الديار ضريح
أحنُّ إليها كلَّ حين كأنها شقيقة مَسقطِ الجبين دَلوحُ[1428]
فنون هوى ليلاكم لن يحدها وإن بذَّ في فن البيان فصيحُ
وفي قَيسِها المختال منكم بحبها إلى حب سُعدى بالشآم جُنوح
توهم في أحيائنا شبهَ ظبية فظل بأكناف البلادِ يصيح
فإن يك موضوعا لديه حديثها فعند رُوَاة[1429] الحي منه صحيح[1430]
روته عن الحادي وعن هوج النوى على سندٍ في العاليات رجيح
وحسبُ غريب الغرب أن دموعه على شبه ليلى بالعراق تسيح
فلو صحَّ منه حُبُّها وعشيرُها لما كان للأخيار منه طُموح

(1422) في النسخ المعتمدة : مشحونة.
(1423) اللّمَى ـ مثلثة اللام ـ : سمرة في الشفة.
(1424) في النسخ المعتمدة : فأوف، وفي الديوان : فأوفا.
(1425) في الديوان : واسْحَبي.
(1426) في النسخ المعتمدة : ويا قمري الأدراج. والتصويب من الديوان.
(1427) في النسخ المعتمدة : فمتعت. والتصويب من الديوان.
(1428) سحابة دَلوح : كثيرة الماء.
(1429) في نسخة؛ وفي الديوان : رواغي.
(1430) سقط هذا البيت من نسخة.

فكـــلُ هَوى عن ريبـــةٍ وتصنُّـــع إذا لَقي مَيلــق[1431] الصَّفـاءِ يروح
وحيت[1432] لخلان الوداد صحيفــة ومـــــن وحيها كنايــــة وصريح
ودمـــعُ غرامــــي فوق خديّ مُرسَل رواه عن إنسان العيــون تُرُوح[1433]
وعـانٍ يُعـاني الشوقَ من كل وِجهــة وفي ثَبَــج اليَــمّ العميــق سبـــوح

أسئلة منظومة من التمنارتي إلى المراكشيين

وأضفت لهذه الإشارة سؤالا هذا ترجمته : [الطويل]

إلى فضلاء الغرب من حضرة الفخــر مسائل تربو بالثـلاث على الـعشر
حَوى كُلّهـا علــمُ القــرءانِ لأنــه شعار موري......[1434] المثير أو المُقري
تأنّقهـا من روضه باكـــرُ النّـــدى خذوها شميم الروض من أفوح الزهر
فمـا السرُّ في حذف الحروف وزيدهـــا[1435]
إذا خالـــفت أصل الهجـــاء من الذكـــر
كَيَـــدعُ[1436] ويمحُ الله[1437] في أخواتِهــــا
وجاءو[1438] وعنـد الخط ما ليس في المرّ[1439]
وهــل حسنـــاتُ الحرف تتبـــع خطَّهـــا
أو اللفـــظ، نبّئنــي بمُعتمَـــد الأجـــر

(1431) المَيْلق : السريع. ولعل مراد التمنارتي بالميلق ما يسمى في اللهجة السوسية «الْمِيلْقْ»، وهو حجر أملس يُشحَذ به السكين.

(1432) في نسخة : وحيث. ولعل مراد التمنارتي بـ«وحيت» : أوحيت. وقد يكون كتا «وجبت» وقصد به «أجبت».

(1433) في الديوان : نزوح.

(1434) بياض بالأصل.

(1435) زيدها : زيادتها.

(1436) يكتب «يدعو» ـ بدون واو ـ في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ (سورة القمر، الآية 6).

(1437) يكتب «يمحو» ـ بدون واو ـ في قوله تعالى : ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ. إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (سورة الشورى، الآية 22).

(1438) يكتب «جاءوا» ـ بدون ألف ـ في قوله تعالى : ﴿وجاءو أباهم عشاء يبكون﴾ (سورة يوسف، الآية 16)، وفي قوله تعالى : ﴿فقد جاءو ظلما وزورا﴾ (سورة الفرقان، الآية 4)، وأينما ورد في القرآن ومثله «سَعَوْا» في قوله تعالى : ﴿والذين سَعَوْ في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ (سورة سبأ، الآية 5)، و«عَتَوْا» في قوله تعالى : ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعَتَوْ عتوا كبيرا﴾ (سورة الفرقان، الآية 21). وغيرها.

(1439) المَرّ : القراءة.

ويُهدى[1440] على التركيب في النحل[1441] وجّهوا

قِراءتَــه يُعــزى به السيــد المقــري

ولِمْ لامُ ضرّ الحج[1442] من يحكي أنها تزاد مع المفعول في النحو من أجر[1443]

وجمعُ عِجاف[1444] حائدٌ عن قياسِهِ فما وجهُه إذا على القَيْس[1445] لا يجْري

وأوْلى فأوْلى[1446] في القيامة[1447] ما اسْمُه

واعرابُــه وأصلُــه عن فتــى الخُبْــر

وتا اكتَسبت[1448] لِمْ زيدَ والكسبُ كلّه به علــق التكليــفُ بالنهي والأمْــر

وعن سُورة الإسراء[1449] ما وجهُ بدئها بسُبحان والإسراءُ من أعظــم الأمْــرِ

ولــيس يُنــزَّه الإلَــه عن الــذي يُفخّم أمرَ المرسلين[1450] من القــدر

وبيِّــن لنــا وجْــه الــذي به قد غَدتْ

إذا زُلزلت[1451] نصفَ القرآن[1452] على الأثر

(1440) يقصد قوله تعالى : ﴿إنْ تحرص على هُداهم، فإن الله لا يُهْدَى مَنْ يُضِلّ وما لهم من ناصرين﴾ (سورة النحل، الآية 37).

(1441) أي في سورة النحل، وهي السورة 16 في المصحف الكريم.

(1442) أي سورة الحج، وهي السورة 22 في المصحف الكريم – يشير إلى اللام الداخلة على «مَنْ» في قوله تعالى : ﴿يَدعو لَمَنْ ضره أقرب من نفعه لبيس المولى ولبيس العشير﴾ (سورة الحج، الآية 13).

(1443) لم يخل هذا البيت من تعقيد.

(1444) قال تعالى : ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف﴾ (سورة يوسف، الآية 43).

(1445) القيس : القياس.

(1446) يقصد قوله تعالى : ﴿أوْلَى لك فأوْلَى، ثم أوْلَى لك فأوْلَى﴾ (سورة القيامة، الآيتان 33–34).

(1447) أي سورة القيامة، وهي السورة 75 في المصحف الكريم.

(1448) يقصد قوله تعالى : ﴿لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ﴾ (سورة البقرة، الآية 285).

(1449) وهي السورة 17 في المصحف الكريم.

(1450) في نسخة : المسلمين.

(1451) أي سورة الزلزلة المبدوءة بـ : ﴿إذا زُلزِلَت الأرض زلزالها﴾، وهي السورة 99 في المصحف الكريم.

(1452) يقصد قوله ﷺ : «إذا زُلزِلتْ تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن». رواه الترمذي وقال : «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة»، وأخرجه الحاكم والبيهقي في «شعب الإيمان». قال المناوي : «هذا حديث منكر، وتصحيح الحاكم مردود». وذكر الحافظ هذا الحديث في «الفتح في فضائل القرآن» وعزاه للترمذي والحاكم وأبي الشيخ، وقال : «صححه الحاكم، وفي سنده يمان بن المغيرة، وهو ضعيف عندهم» (انظر : «تحفة الأحوذي»، ج 4، صص. 48–49).

ولـمْ حوّلت بِمومِـن[1453] عن مصدِّقٍ وفيه جِناس الإشتقاقِ[1454] الذي تدري؟

وبَيْـنَ معاذِيـر الإنسان[1455] وبَيْـنَ لا تحرِّكْ به[1456] استوضح مناسبـة العـذر

وكيف أبي السَّكاكي[1457] قل هي[1458] جواب

عن أهــل تلقــي سائــل[1459] بالــذي يَدري

على ما اقتضاه ظاهـر الكِلْـم إذْ على مقالتـه يُنبي[1460] الكـلام على الـغير

وذاك سؤالٌ قد أبـــــان جَوابـــــه طِباقهُمـــا بالذكـــر مُنفلـــق الفجْـــر

فإن تك للسكاكـــي في ذاك حجـــة فأمْـــل، وإلا فلْتمِـــــل نحوَ ما أدري

وإرسالُ مُطلـــــق القُـــــــرآن لغيره من الـوضع أو بالقـيْس يُدرى وبـالسبر

تُحذوها لحر الشعـــرِ منكـــم ممهـــدا وإن كان حرُّ الشعرِ من أيتام الدهـر

جـواب التـمنارتي على تلك الأسئلة

ولما أيِستُ من الجواب، رأيت أن أقيد ما يفتح الله لِي فيها. أما نقصان الحروف وزيادتها، فقال أبو العباس المراكشي[1461] في «**عنوان الدليل في مرسوم خط**

(1453) أي في قوله تعالى : ﴿وما أنت بمومن لنا ولو كنا صادقين﴾ (**سورة يوسف**، الآية 17).

(1454) جناس الإشتقاق هو أن يجتمع اللفظان في أصل الإشتقاق نحو : «الظلم ظلمات يوم القيامة» (انظر: «**الإيضاح**»، ج 2، ص. 542؛ و«**شرح عقود الجمان**» للسيوطي، ص. 147).

(1455) يقصد في قوله تعالى : ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرةٌ ولو ألقى معاذيرَه﴾ (**سورة القيامة**، الآيتان 14-15).

(1456) في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ به لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ علينا جَمْعَه وقرآنه﴾ (**سورة القيامة**، الآية 16).

(1457) السكاكي هو أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي سراج الدين السكاكي المتوفى سنة 626هـ. ألف كتاب «**المفتاح**»، وخصص القسم الثالث منه للبلاغة، وهو أول من قسم البلاغة إلى فنونها الثلاثة : المعاني، والبيان، والمحسنات (البديع). يراجع للوقوف على ترجمته وجهوده البلاغية كتاب «**البلاغة عند السكاكي**» لأحمد مطلوب.

(1458) في قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (**سورة البقرة**، الآية 188).

(1459) في نسخة : سائلا.

(1460) في نسخة : ينبي.

(1461) المراد هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي المولود بمراكش سنة 654هـ، والمتوفى سنة 721هـ. ينسب له 85 مؤلفا منها: «**عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل**»، وهو جزء نبيل في تحليل رسم المصحف الإمام، و«**منتهى السول في علم الأصول**»، و«**الرَّوْض المَرِيع في صناعة البديع**». (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**» ص. 65؛ و«**السعادة الأبدية**»، صص. 26-30؛ و«**ذكريات مشاهير رجال المغرب**»، العدد 32 (ابن البناء العددي) ؛ و«**من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني**» لمحمد بن عبد العزيز الدباغ، صص. 9-53 فما بعده؛ و«**القراء والقراءات بالمغرب**»، ص. 52).

التنزيل»: نقصانها للتنبيه عن سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول النفس التأثر به في الوجود، وزيادتها للتهويل والتفخيم والوعيد.

وأما أجر قراءة القرآن، فإنما يتعلق بحروف الخط لا اللفظ[1462] ثلاثة أحرف في الخط وفي البسط تسعة. هكذا نقل عن أبي عمرو الداني[1463].

وجه قراءة : ﴿فإن[1464] الله لا يُهدى من يُضِلُّ﴾ بالتركيب، فـمن نائب[1465]، ويُضل فاعله ضمير يعود على الله، وحذف العائد على من؛ والمعنى : مَن يُضله الله لا يُهدى، أي لا يَهْدِي غيرُ الله من يُضله الله.

وأما اللَّام في قوله ﴿لمن ضره أقرب من نفعه﴾، فقد استشكلوه بأن مَن مفعول، واللام لا تدخل على المفعول، وأجيب بأن اللام مقدمة؛ والأصل : يدعو مَن لضَرُّه أقرب من نفعه، وبأن يدعو هنا كرر تأكيدا للأول، فتم الكلام عليه، ثم استُؤنِف لمن ضره، والخبر «لبيس المولى»، وبأن معنى يدعو : يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدإ في أول الكلام.

وأما جمع عجاف على غير قياس[1466]، إذ قياسه عُجف على وزن فعل، فلمناسبته لسِمانٍ؛ وللمناسبة اعتبار في الكلام.

و﴿أولى لك فأولى﴾. قال في «الصحاح» : قولهم : «أولى لك» كلمة تهديد ووعيد. قال الشاعر:

فأولى لـه ثم أولى لـه

(1462) بين كلمتي «اللفظ» و«ثلاثة» بياض في النسخ المعتمدة، بمقدار ما يتسع لكلمة واحدة. ولعل المحذوف : فـ«ـألم» لأن «ألم» ثلاثة حروف في الخط هي : ا ـ ل ـ م، وتسعة في اللفظ هي الـف لام ميـم. والنبي ﷺ ربط الأجر بحروف الخط عند ما قال : «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» (رواه الحاكم عن ابن مسعود).

(1463) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني الأموي ـ مولاهم ـ القرطبي ولد سنة 371هـ، وتوفي بدانية سنة 444هـ. وهو شيخ مشايخ المقرئين. له مؤلفات كثيرة في علم القراءات. (انظر ترجمته في «غاية النهاية في طبقات القراء»، ج 1، صص. 503-505).

(1464) في النسخ المعتمدة : «وإن الله»، والصواب ما أثبته.

(1465) أي نائب عن الفاعل.

(1466) في «القاموس»، مادة «العجف» : «العَجَف ـ محركة ـ ذهاب السِّمَن، وَهُو أعجف، وهي عجفاء، جمعه عِجَاف. شاذ، لأن أفعل وفعلاء لا يجمع على فِعَال، لكنهم بنوه على سِمَان، لأنهم قد يبنون الشيء على ضده».

قال الأصمعي[1467] : قاربه ما يهلكه، أي نزل به. قال الجوهري[1468] : ولم يقل فيها أحد أحسن مما قال الأصمعي[1469]. وقال قوم : هو اسم فعل مبني معناه ويلك، شر بعد شر، ووزنُه على هذا فعلى، وقيل : هو علم للوعيد غير مصروف، ولذا لم يُنَوَّنْ، ومحله الرفع على الإبتداء ولك الخبر. وقيل : معناه : الذم لك أولى من تركه، فحذف المسند لكثرة دورانه في الكلام.

وإنما زيدت **التاء** في **اكتسبت** للدلالة على الإعتمال والتكلف والمعالجة، لأن الزيادة في البناء تؤذن بالزيادة في المعنى، وإن كان الكسب عند المتكلمين يطلق على كل مقدور خيرا أو شرا.

وأما افتتاح سورة الإسراء بالتنزيه، فلأن العرب لما كذبوا النبي ﷺ في الإسراء وتكذيبه تكذيبُ الله والكذب عليه محال فنزه سبحانه نفسه عنه، كذا في «**الإتقان**»[1470].

وحديث «﴿إذا زلزلت﴾ تعدل نصف القرآن» رواه الإمام السيوطي في «**الجامع الصغير**» عن ابن عباس[1471]، ولم أقف على شرحه. ولعلها لاشتمالها على أمور الآخرة، عدلت نصف القرآن، لأن القرآن نزل[1472] في أمور الدنيا وأمور الآخرة[1473].

(1467) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي المعروف بالأصمعي، ولد سنة 123هـ/740م، وتوفي سنة 216هـ/831م، وهو عالم لغوي كبير، وراوية مشهور (انظر ترجمته في «**وفيات الأعيان**»، ج 1، ص. 516 ؛ و«**بغية الوعاة**»، ص. 313 ؛ و«**شذرات الذهب**»، ج 2، ص. 36).

(1468) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة 393هـ، وهو أحد أئمة اللغة المرموقين في القرن الرابع الهجري. له معجم «**تاج اللغة وصحاح العربية**»، ويعرف اختصارا بـ«**الصحاح**».

(1469) هذه القولة نسبها ابن منظور في «**لسان العرب**» ـ مادة «ولي» ـ لثعلب.

(1470) انظر: ج 2، ص. 114.

(1471) انظر ما سبق في ص. 451، هامش 1452.

(1472) سقط «نزل» من نسخة.

(1473) قال الطيبي : «يحتمل أن يقال : المقصود الأعظم بالذات من القرآن بيان المبدإ والمعاد، وإذا زلزلت مقصورة على ذكر المعاد، مستقلة ببيان أحواله، فيعادل نصفه»، اهـ ـ وقد لخصه من كلام التوربشتي («**تحفة الأحوذي**»، ج 4، ص. 48)، قال المباركفوري بعد إيراده : «فإن قلت هلا حملوا المعادلة على التسوية في الثواب على المقدار المنصوص عليه ؟ قلت : منعهم من ذلك لزوم فضل إذا زلزلت على سورة الإخلاص» («**تحفة الأحوذي**»، ج 4، ص. 48).

وقوله ﴿وما أنت بمومن لنا ولو كنا صـٰدقين﴾ إنما[1474] عبر بمومن، لأنه أدل على المراد الذي هو عدم التصديق والإنقياد لما عندهم. ألا تراه عدِّيَ باللام على حد قوله: ﴿قل لا تعتذروا لن نومن لكم﴾[1475]، وقوله : ﴿لئِن كشفتَ عنا الرجزَ لنومِننَّ لك﴾[1476] ولفظ **مصدق** لا يفي بهذا المعنى، فغلب جانب مراعاة المعنى على مراعاة تحسين الألفاظ، لأن وجوه تحسينها تابعة للمعاني عند وجودها.

وأما المناسبة بين آيات أول «سورة القيامة» وبين آية ﴿لا تحرك به لسانك﴾ إلى قوله : ﴿إن علينا بيانه﴾[1477]، فمشكلة عندهم حتى قال بعض الرافضة[1478]: سقط من السورة شيء. وهذا قول مرغوب عنه، لأن الوحي محفوظ. وذهب القفال[1479] ـ فيما حكى عنه الفخر الرازي ـ إلى أنها نزلت في الإنسان، المذكور قبل في قوله :﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾[1480]، قال يُعرض عليه كتابه، فإذا أخذ في القراءة، تلجلج خوفا فأسرع في القراءة، فيقال له : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾؛ إن علينا أن نجمع عملك وأن نقرأ[1481] عليك. فإذا قرأناه عليك، فاتبع قرآنه[1482] بالإقرار[1483] بأنك فعلت، ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته. انتهى. وهذا مخالف لما ثبت[1484] في «**الصحيح**» أنها نزلت في تحريك النبي ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه[1485].

(1474) في النسخ المعتمدة : وإنما.

(1475) **سورة التوبة**، الآية 95.

(1476) **سورة الأعراف**، الآية 133.

(1477) **سورة القيامة**، الآيات 16-18.

(1478) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : «تبَرَّأْ من الشيخين» فأبى وقال : «كانا وزيري جدي». فتركوه ورفضوه، وارْفضوا عنه («**قاموس**»).

(1479) في «**الإتقان**» : «حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء، وحتى ذهب القفال فيما...»

(1480) **سورة القيامة**، الآية 13.

(1481) في النسخ المعتمدة : وأن نفسر عليك. وهو خطأ، والتصويب من «**الإتقان**»، ج 2، ص. 110.

(1482) في نسخة : فاتبع قراءته.

(1483) في نسخة : بالإقراء، وهو خطأ.

(1484) في «**الإتقان**» : وهذا يخالف ما ثبت.

(1485) أخرج البخاري في «**صحيحه**»، في كتاب «**تفسير القرآن**»، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان النبي ﷺ، إذا نزل عليه الوحي حَرَّك به لسانه، ووصف سفيان، يريد أن يحفظه، فأنزل الله : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾» («**صحيح البخاري**»، ج 3، ص. 150).

وقد ذكر الأئمة لها مناسبات، منها : أنه تعالى لما ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حبُّ العاجلة[1486] وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض[1487] على هذا المطلوب ما هو أجل منه، وهو الإصغاء إلى الوحي، وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر أن لا يبادر إلى التحفظ لأن تحفيظه مضمون على ربه، وليصْغ لما[1488] يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه، ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبدإ بذكره.

ومنها أن أول السورة لما نزل إلى ﴿ولو ألقى معاذيره﴾، صادف أنه ﷺ في تلك الحالة، بادر إلى تحفظ الذي نَزَل وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته، فنزل ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ إلى قوله ﴿ثم إن علينا بيانه﴾، ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به. انتهى[1489].

وهذان الوجهان أبين ما ذُكر في «**الإتقان**».

وقوله تعالى : ﴿يسئلونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج﴾، جعله السكاكي من باب تلقي السائل بغير ما يطلب[1490]، لأنهم سألوا عن الهلال لم يبدو دقيقا مثل الخيط، ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، فأجيبوا ببيان حكمة ذلك[1491] تنبيها على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ما سألوا عنه.

هكذا قال السكاكي ومتابعوه[1492]. وانتقد السيوطي هذا فقال :

(1486) في نسخة : عن العمل لما حب المعاجلة؛ وفي نسخة أخرى : عن الأعمال لا حب المعاجلة. وكل ذلك خطأ وتحريف، والتصويب من «**الإتقان**».

(1487) في نسخة : قد يتعرض.

(1488) في «**الإتقان**» : إلى ما.

(1489) هذا الجواب منقول من «**الإتقان**»، ج 2، صص. 110-111.

(1490) في النسخ المعتمدة : تلقي المسائل من غير ما يتطلب.

(1491) في «**مفتاح العلوم**» للسكاكي : فأجيبوا بما ترى (انظر في ص. 140 حديثه عن «الأسلوب الحكيم» الذي عرفه بقوله : «وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب... أو السائل بغير ما يتطلب»).

(1492) في «**الإتقان**»، ج 1، ص. 196 : «كذا قال السكاكي ومتابعوه». والمراد بمتابعيه الخطيب القزويني (انظر : «**الإيضاح**»، ج 1، صص. 162-163) ؛ وسعد الدين التفتازاني. قال السيوطي في «**الإتقان**»، ج 1، ص. 169 ـ بعد قوله : «كذا قال السكاكي ومتابعوه» ـ : «واسترسل التفتازاني في الكلام إلى أن قال : لأنهم [أي الصحابة] ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة».

«ليت شعري من أين لهم أن السؤال وقع عن[1493] غير ما حصل الجواب به، وما المانع من أن يكون إنما وقع عن حكمة ذلك ليعلموها، فإن نظم[1494] الآية محتمل لذلك، كما أنه محتمل[1495] لما قالوا، والجواب ببيان الحكمة دليل على ترجيح الإحتمال الذي قلناه وقرينة ترشد إلى ذلك، إذ الأصل في الجواب المطابقة للسؤال، والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل، ولم يرد بإسناد لا صحيح ولا غيره أن السؤال وقع عما[1496] ذكروه، بل ورد ما يؤيد ما قلناه، فأخرج ابن جرير[1497] عن أبي العالية قال : «بلغنا أنهم قالوا : يا رسول الله لم خلقت الأهلة؟ فأنزل الله : ﴿يسئلونك عن الأهلة﴾». فهذا صريح في أنهم[1498] سألوا عن حكمة ذلك لا عن كيفيته من جهة الهيئة، ولا يظن ذو دين بالصحابة الذين هم أدق فهما وأغزر علما أنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة[1499]، وقد اطلع عليها آحادُ العجم الذين أطبق الناس على أنهم أبلد[1500] أذهانا من العرب بكثير، هذا لو كان للهيئة أصل يعتبر، فكيف وأكثرها فاسد لا دليل عليه[1501]. وقد صنفت كتابا في نقض أكثر مسائلها بالأدلة الثابتة عن رسول

(1493) في النسخ المعتمدة : على. والتصويب من «الإتقان»، ج 1، ص. 169.

(1494) هنا بياض واضطراب في النسخ المعتمدة. والتصويب وملء البياض من «الإتقان»، ج 1، ص. 169.

(1495) في «الإتقان»، ج 1، ص. 169 : يحتمل لما قالوه.

(1496) في النسخ المعتمدة، و«الإتقان» : على ما ذكروه.

(1497) في «لباب النقول، في أسباب النزول» للسيوطي، ص. 35 : «وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال : بلغنا أنهم قالوا : يا رسول الله، لِمَ خُلِقت الأهلة ؟ فأنزل الله : ﴿يسألونك عن الأهلة﴾»؛ وفي «شرح عقود الجمان» للسيوطي، ص. 29 : «وقد روي ما يقتضي أنهم لم يسألوا عن سبب زيادة الهلال ونقصانه، بل عن سبب خلقه، فروى أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية، قالوا : بلغنا أنهم قالوا : يا رسول الله، لِمَ خلقت الأهلة ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلة﴾».

(1498) في النسخ المعتمدة : بأنهم. والتصويب من «الإتقان»، ج 1، ص. 169.

(1499) في «شرح عقود الجمان»، ص. 29 : «وجازف بعضهم [يعني التفتازاني] في العبارة حتى تعدى إلى أن قال : «لأنهم [أي الصحابة] ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة. وهذه قلة أدب منه، وجهل بمقدار الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وقد كانوا أدق نظرا، وأذكى فطنة، من ألوف من أضرابه، فظن أنه وأمثاله يسهل عليهم إدراك ذلك، ويصعب على مثل أولئك».

(1500) في النسخ المعتمدة : أبله. والتوصيب من «الإتقان»، ج 1، ص. 169.

(1501) ترك مكان «فاسد لا دليل عليه» فارغا في النسخ المعتمدة. وملء الفراغ من «الإتقان» ؛ وفي «شرح عقود الجمان»، ص. 29 : «ثم هل اعتقد أن علم الهيئة مما يعتبر أو يلتفت إليه؟ كلا ! بل هو هذيان بقول لا دليل عليه، وليس إلى التوصل إلى تصحيحه من سبيل». وهذه النظرة التنقيصية التي نظر بها السيوطي إلى علم الفلك، مبالغ فيها، وهي وليدة جهله بعلم الفلك، الذي يمكن اعتباره وليد جهله بعلم الحساب، والناس أعداء ما جهلوا. وقد سار في هذا المسلك نفسه من قال : =

الله ﷺ الذي صعد إلى السماء وَرَآها[1502] عيانا وعلم ما حوته من عجائب الملكوت بالمشاهدة، وأتاه الوَحْيُ من خالقها، ولو كان السؤال وقع عما ذكروه[1503]، لم يمتنع[1504] أن يجابوا عنه بلفظ يصل إلى أفهامهم كما وقع ذلك لما سألوا عن المَجَرَّة[1505] وغيرها من الملكوتيات». انتهى[1506].

وهو حجة على السكاكي.

وأما حمل المطلق على المقيد عند من يقول به من الأصوليين كالشافعي رضي الله عنه، فاختلفوا[1507] هل من وضع اللغة أو بالقياس، فيه مذهبان.

وهذا ما تيسر قطفه جوابا لما سئل عنه، والله الموفق المعين.

° ° °

رسالة من ركب حجاج مراكش إلى التمنارتي

ورد علي من مراكش بتاريخه ما نصه :

«بسم الله الرحمٰن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

من العبد الفقير إلى عفو ربه، خديم الحرمين الشريفين، محمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي عمر، وفقه الله وأسعده، وسدده وأرشده، وبلغه مرامه في جميع مراده، إلى الفقيه الأجل العماد الأكمل، المعظم المحترم، القاضي سيدي عبد الرحمان ابن محمد التامانارتي بتارودانت. حفظكم الله ورعاكم، وأخصب فيما يرضيه روض مسعاكم.

= أيا عُلَمَاء النجوم أحلتمونا   على علم أدق من الهَبَاء
علومُ الأرض لم تصلوا إليها   فكيف بكم إلى علم السماء؟

(1502) في النسخ المعتمدة، ترك مكان «إلى السماء، ورآها» فارغا، وملء الفراغ من «**الإتقان**».

(1503) ترك مكان «ولو كان السؤال وقع عما ذكروه» فارغا، في النسخ المعتمدة. وملء الفراغ من «**الإتقان**».

(1504) في النسخ المعتمدة : لم يمنع. وما أثبته هو الوارد في «**الإتقان**».

(1505) في النسخ المعتمدة : المجرة. والتصويب من «**الإتقان**». والمراد بسؤاله ﷺ عن المجرة، ما ورد في حديث معاذ قال : «لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمن قال : «إنك تأتي قوما أهل كتاب فإن سألوك عن المجرة فأخبرهم أنها من عرق الأفعى التي تحت العرش». رواه العقيلي، وقال هذا الحديث غير محفوظ، وقال في «**الميزان**» : هذا إسناد مظلم، ومتن ليس بصحيح (انظر : «**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**»، ص. 461 ؛ و«**اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**» للسيوطي، ج 1، ص. 85.

(1506) انظر : «**الإتقان**»، ج 1، ص. 196.

(1507) سقط من نسخة : فاختلفوا.

سلام كريم زكي مبارك عميم، يهب عليكم نفحاته، تصحبه رحمة الله وبركاته.

وبعد يا نعم السيد؛ فأنا ــ إن شاء الله ــ في التهيُّؤ للحرمين الشريفين في ركب عظيم من أهل هذه الحضرة المراكشية حرسها الله، وكتبنا لكم إعلاما بما نحن عليه من ذلك لتعلموا كل من تيسر عليه المسير لتلكم الأماكن الطاهرة ممن سبقت له عند الله السعادة، ولتذيعوا أخبارنا وتنادوا بها ليأخذ كل موفق في التهيُّؤ لهذا السفر المبارك، وتكاتبوا كل من نأى عنكم وقرب ممن أُهِّلَ للمكاتبة والإعلام، ولكم في ذلك الأجر الجزيل، لأن الدال على الخير كفاعله. وقد عزمنا على الخروج ــ إن يسّر الله ــ في القرب وقبل الوقت المعتاد. وكتب في آخر ذي قعدة[1508] خمس وأربعين وألف.

فجاوبته :

رد الشمنارتي على الرسالة

«بسم الله الرحمٰن الرحيم صَلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ولينا في الله والمحب في ذاته السيد الصالح المعظم البركة، في السكون والحركة الأمة القانت...[1509] بخلوص القصد إلى بيت الله، السيد المثيل والفرع الطاهر ...[1510] سيدي أبو عبد الله، بن أبي عبد الله، بن عبد الواحد ابن الولي الرباني الشهير المقدس المبرور سيدي أبي عمر نفع الله به وبخلفه، وأبقى سره المصون في متخلفه ومألفه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ورد عَلَيَّ كتابكم الأثير، بالإعلام بوجهتكم الميمونة للحرم الشريف بالجم الغفير، فعظمنا قدره، وأَذَعْنا في محافل هذه الحاضرة أمرَه، وأمرنا بالنداء بمقتضاه في شوارعها، ليعلم نبأه العظيم مَنْ نبا عن مرافضها ومصارعها، ويطير بخبره خطار البوادي، ويحمله الرائح والغادي. فجزاكم الله عن الإسلام خيرا، ويسر لكم وللمسلمين في هذا القصد السني الفاخر أمرا، وجعل مسعاكم فيه سعيا متقبلا مشكورا.

وأرجو أن يكون حظي من هذا الأمل الإسناد عليكم لي هنالك بسلوك طريقة الإحسان التي هي سبب الزيادة والحسنى، وأن تعرفوا الحق في ذلك المقام لهذا الأسير، المثقل بالذنب الكثير، عسى الله ببركة ذلك المقام وبركتكم أن يبدل سيئه

(1508) في نسخة : في أواخر قعدة.

(1509) بياض في النسخ المعتمدة.

(1510) بياض في النسخ المعتمدة. ولعل الكلمة المحذوفة هي «الأثيل».

بالحسنى، ويتداركه من لدنه بلطائف المنن، ويحفظ عليه العبادة والعادة، ويمن عليه بالختم بالسعادة، فإن الدعاء في تلك المشاعر المعظمة مقبول، وفيضان الخيرات فيها على الشاهد والغائب مأمول، والشوق إليها أكده المعقول والمنقول: [الكامل]

لولا الأعـــادي والعـــوادي زرتها أبـدا ولـو سحبـا على الوجنــات
لكـن سأهـدي من جميـل تحيتـي لقـطين تلك الـدار والجدرات
أذكـى من المسك المفتـق نفحـة تغشاه بالآصال والبكـــرات
وتخصه بزواكـــي الصلـــوات ونوامـــي الـــتسليم والبركات[1511]

ثم أعهد إليكم ـ سيدي ـ بالنيابة عني في التسليم على الجناب الرفيع، وطلب الشفاعة لي من ذلك الشفيع ـ فأنت الشميع إلى الشفيع ـ وأن تتنبه في ذلك المقام الأعظم الذي لا ترد وسائله، للدعاء لهذا المغرب الغريب، الذي طال به العهد في أمر مريب، وسحبت الفتنة ببدوه وحضره ذيلها، ومدت بسائر أطرافه ليلها، حتى خيف استلاب مجده، واستيلاء الكفر على غوره ونجده، والعيون في استلذاذ غرارها، والنوم على أريكة غرورها. كشف الله عنه المحال، وحفظه في المآل والحال، وبالله ـ يا سيدي ـ قيد لنا عن فضلاء مكة التعريف بالمرأة التي أدخلت الماء بعرفة، فغالب الظن أنهم لا يغفلون ذلك.

والله يعينكم ويحفظكم في النجعة والرجعة، بحوله وقوته. والسلام. وفي يوم عرفة من ذي الحجة خمسة وأربعين وألف.

معظمكم وطالب دعائكم عبد الله المشفق من ذنبه.

استشارة محمد بن يوسف الـــجزولي للتمنارتي في المسير مع ركب الحجاج، وجواب التمنارتي

وكتب إلي صحبة هذه الرسالة صاحبنا الأستاذ الفاضل أبو عبد الله محمد بن يوسف الجزولي نزيل مراكش بالإستشارة في المسير مع هذا الركب فجاوبته :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ولينا في الله والمحب في ذاته السيد الصالح البركة سيدنا الأستاذ أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف الجزولي نزيل المحروسة بالله مراكش، خار الله لنا وله، وحقق باليمن والإسعاد متناوله. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ورد كتابكم بالعزيمة التي إليها الإبتهال، وفريضتها على الفور والإمهال، فراع الفؤاد وآد، وشغل عن كل مهم أوكاد، ولاعج شوق تلك البلاد، يذهل عن الآباء والأولاد،

(1511) أسلفنا أن هذه الأبيات للقاضي عياض. انظر ص. 327 مع الهامش 337.

وينسي الطارف والتلاد. وأنا أقول متشوقا إليها، والتردد فيما بين لابتيها، وإن لم أكن في مربع بل تيها : [الطويل]

أهـــاجك ذكـــــر المنحنـــــى وزرود ... وذكـــــر غزال بالعقيـــــق شرودُ

وهَمْتَ[1512] بأمر الحزم منك حشاشة ... ولزّك[1513] حال بالغرام[1514] جديد

دعـــتك ثنيـــة الـــوداع وشعبها ... وخيْــف مِنــىً وبيتـــه وعمـــود

وناهـيك من بيت وركــن وكعبـــة ... إليهن من كل البـــلاد سجـــود

إلى بلـــد تشدو الطيـــور بشوقـــه ... وشدت صدور نحوه وكبـــود[1515]

إلى حرم وحـــــوشه وأنـــــيسه ... تلاعب فيـــه جُؤْذَرٌ وعُتـــود[1516]

إلى شُعَب تختــال بين شِعَـــابها ... بها ابتهجت أغوارهـــــا ونجود

إلى دارة شُقَّتْ[1517] بدور لبدرهــــا ... وزان لها زرُّ النجـــــوم عقـــود

إلى ربـــع خير المرسلين ومـــن له ... على قاب قوسين السنـــا والشهـــود

ولم لا وخير العــــــالمين بدا بها ... وسُرِّيَ عن وجـــه الجمـــال بُرُود

بلاد بها جبريـــلُ جَرَّ جناحَـــه ... وللوحـــي فيها مُكنـــة وعهـــود

ومولـــد خير العلـــمين ولحده ... ومنـــزل طه والفرقـــان وهـــود[1518]

لكن ـ يا سيدي ـ أخشى عليك ألا تكون نُطْفَة[1519] قِرْبَتِك تفي بوظائف

(1512) في نسخة : وهامت.

(1513) لزّك : شدّك وألصقك.

(1514) في النسخ المعتمدة : بالترام. والتصويب من «الديوان» (مخطوطة الخزانة الملكية رقم 5623، الورقة 20/أ).

(1515) في «الديوان» (مخطوطة الخزانة الملكية رقم 5823، الورقة 20/ب) :

بلاد لها تشدو الطيـــور بشوقهـــا ... وشدت صدور نحوهـــا وكبـــود

(1516) العَتُود : الحَوْليُّ من أولاد المعز («القاموس»).

(1517) في النسخ المعتمدة : شمت، وهو خطأ. والصواب ما أثبته، لأن مرادهُ، الإشارة إلى معجزة انشقاق القمر للنبي ﷺ. وقد ورد هذا الشطر في قصيدة سابقة مطلعها :

لمن ضربت بين الحَجُـــون خيـــام ... وبين الجِـــرار بعدهـــن مقـــام ؟

وهي قصيدة تشبه هذه إلى حد كبير (انظر: ص. 368).

(1518) طه، والفرقان، وهود: أسماء سور من «القرآن الكريم».

(1519) النُّطفة : قليل ماء يبقى في دلو أو قِرْبة («القاموس»).

غُرْبَتِكَ وَعَيْبَتُكَ[1520] لا تنهض بمُؤنِ غَيْبَتِكَ، على كبر السن، وتقعقع الشنِّ[1521]، ولعل تجويد القرآن في أفقك، أوفى لك أجرا من التمتع وَالقِرَان[1522] في حقك. فقد حدثني صاحبنا الحاج سيدي أحمد بن يحيى الماسي رفيق الأستاذ سيدي أحمد بن يحيى التنزرتي، وكان له اجتهاد تام في إقراء القرآن وتجويده للطلبة هنا، ثم دعاه مثل داعيك، فعطل الإقراء وانصرف مع ركب الحجيج حتى بلغ مصر، فرأى عمر رضي الله عنه في منامه، فقال له عمر : أين تريد ؟ فقال له : عند رسول الله ﷺ، فقال له عمر: قم معي إليه، فقام ورجع به مع طريقه إلى أن دخل به هذه المدينة، وسار به للجامع الجديد بها إلى أن أوقفه على السارية التي كان يجلس إليها لتجويد القرآن، فقال له عمر رضي الله عنه : هنا تركت رسول الله ﷺ، فاستيقظ وندم، ولم يسعه إلا المضي لقصده، فتوفي بمكة بعد الوفاء بمناسكه رحمه الله.

وأنت تعلم أن هذه الفريضة يسقط وجوبها بمشقة عظيمة وهي من لوازم الكبر، واقتحام ما لا يجب بإضاعة ما يجب لا يخفاك ما فيه، فاستخر الله وشاور من أهل الفضل والدين من يرشد لما تحمد عاقبته. والسلام. محبكم في الله.

رأي السمنارتي في «ألواح الحصون» أو قوانين «إنفلاس»

سافرت من تارودانت لبلاد القبلة، فمررت ببلاد هنكيسة فكانوا يتحاكمون إلي. فإذا عرضت خصومة تتعلق بحصونهم التي أعدوها لحفظ أموالهم، وكانوا يبنونها على شواهق منيعة، قالوا هذه إنما يحكم فيها ألواح الحصون، فسألتهم عنها، فقالوا : هي ضوابط وقوانين رسموها، وينتهون إليها عند وقوع حادث في الحصن. فشرحوا لي منها كثيرا، فوجدتها كلها من باب العقوبة بالمال التي ليست في الشريعة إلا في الغش، وليس شيء منها في الغش، بل هي عوض عن الحدود التي نصبها الشارع زواجر. فقلت لهم : هذا من التحاكم إلى الطاغوت الذي أمرنا أن نكفر به، وأجملت في ذلك، ثم طالعت في رجوعي جوابا في ذلك لشيخنا قاضي مراكش العلامة أبي

(1520) العَيْبَة : ما يُجعَل فيه الثياب. والمراد هنا المِزْوَد الذي يضع فيه المسافر زاده.

(1521) في «الديوان» (مخطوطة الخزانة الملكية، رقم 5623، الورقة 20/ب) : «على كبر سنك، وتقعقع شنك». والقعقعة : تحريك الشيء اليابس مع صوت. والشن : القربة اليابسة، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع. وفي الأمثال العربية : «ما يقعقع له بالشنان»، يضرب لمن لا يتضع لما ينزل به من حوادث الدهر، ولا يروعه ما يعرض له (انظر : «**مجمع الأمثال**» للميداني، ج 2، ص. 280).

(1522) التمتع هو اعتمار الإنسان في أشهر الحج، ثم حجه من عامه الذي اعتمر فيه. والقِرَان : أن يحرم الإنسان عند الميقات بالحج والعمرة معا (انظر : «**فقه السنة**»، ج 1، صص. 553-554).

مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني فيه تفصيل فأثبته هنا لفائدته. ونصه[1523] :

فتوى أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني في المسألة

«وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أيها الأخ.

أما بعد؛ فسؤالكم هذا ورد علي وأنا في شغل وتقاسم بال لطف الله بنا وبكم، ومع ذلك أقول وبالله توفيقي :

اعلم أنَّ فعل أولئك فيه تفصيل، وذلك أن منه ما هو جائز، ومنه ما هو غير جائز، فالأول اتفاقهم على عريف يصدرون على[1524] رأيه، وتعاهدهم على التعاون في الأخذ على أيدي المفسدين من المتلصصة وقطاع السبيل والسراق في استرداد المنهوب والمُتَعَدَّى[1525] في أخذه بعينه إن وُجِدَ[1526]. وإلا فبإغرام قيمته من ماله قهرا، لأن هذا من باب تغيير المنكر والتعاون على البر والتقوى الواجب على الكفاية : إما على كل الناس حتى تفعله طائفة منهم، وإما على البعض على ما هو مُقَرَّرٌ في أصول الفقه.

لكن يجب عليهم إذا قاموا بهذا الوظيف الديني أن يتعلموا ما يتوقف عليه ذلك، ويسألوا عنه أهل العلم، لأن للتغيير شروطا وأسبابا وموانع. فمن لم يعلم ذلك وأتى الأمر على عماية، فهو عاص مقدم على ما لم يعلم حكم الله فيه. وما أكثر هؤلاء اليوم! نسأل الله السلامة من مضلات الفتن. وكل هذا الذي ذكرته ظاهر لا يحتاج إلى جلب نصوص عليه.

والثاني من شِقَّيْ التفصيل إغرامهم الأبرياء ومؤاخذتهم الضعفاء من الأيتام والأرامل والمتمسك بدينه، لأنه من باب دفع الضرر بالضرر، أعني ضرر الماردة بضرر هؤلاء الأبرياء. وزعمُهم أن تركهم كذلك يؤدي إلى فساد بلادهم واختلال نظام حالهم نزغةٌ شيطانية، إذْ لَوْ وقفوا عندما حُدَّ لهم من مؤاخذة الظلمة بما حَدَّهُ الشرع لاستقام أمرهم، و«خير أمور الدين ما كان سنة»[1527].

(1523) انظر هذا الجواب في «أجوبة» أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني، ج 2، ص. 499 فما بعد.

(1524) في «أجوبة» السكتاني : عن رأيه.

(1525) في النسخ المعتمدة : والمتعذر. وهو خطأ. والتصويب من «أجوبة» السكتاني، ج 2، ص. 499.

(1526) لم يَرد : «إن وجد» في النسخ المعتمدة، بل ترك مكانه فارغا؛ وورد في «أجوبة» السكتاني.

(1527) شطر بيت كان الإمام مالك رحمه الله يتمثل به كثيرا، وهو : =

وقد ذكر بعض الفقهاء أن مؤاخذة الإنسان بجناية قريب له من بقية عمل الجاهلية. نعم، إن منع أحد الأقارب أو غيرهم من وجب عليه الحق شرعا، لزمه الغرم كلما نالته الأحكام، كمن فتح قيد عبد فأبق، أو انتزعه[1528] من أعوان الشرع. ولها نظائر في المذهب. وكذا إن أعان في الحرابة، فالغرم له لازم، لأن كل واحد من المحاربين يلزمه الغرم، بخلاف السراق على ما فيه في المذهب.

فالواجب عليهم في ذلك تغيير المنكر على ما يوافق الشرع بقدر الاستطاعة. وأما اختراعهم[1529] لألواح شيطانية، ويبتدعون أحكاما على ما سولت لهم النفوس الأمارة، حتى إن نازلة تنزل بهم، فيهرعون فيها إلى تلك الألواح نابذين ما أنزل الله وسنة رسول الله ﷺ، حاكمين بغير ما أنزل الله، فما أجهل[1530] هؤلاء وأبعدهم عن الدين الحق[1531] و﴿من يضلل الله، فلا هادي له﴾[1532].

وهذا أمر نشأ عن مكائد[1533] النفس والشيطان، وشبه يحتجون بها وهي واهية. فمن وجد السبيل إلى ردهم للصواب بتلطف ورفق، حيث نشأوا على ذلك ووجدوا عليه آباءهم، فليفعل، «ولأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[1534].

وعدم نفي المتلصصين ومجرد إيوائهم لا يوجب استباحة المال لآخذه عوضا عما أخذ له، لكن يجب التغيير عليهم ومباعدتهم بقدر الإمكان وإلا عصوا، وكذا حَلِفُهم عليهم لا يجوز، لأنه لا يحلف أحد على أحد؛ وقد يكون غموسا. وكذا

= وخير أمور الدين ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائع
(«ترتيب المدارك»، ج 2، ص. 38 ؛ و«الإعتصام» لأبي إسحاق الشاطبي، ج 1، ص. 85).

(1528) في النسخ المعتمدة : وانتزاعه. والتصويب من «أجوبة» السكتاني، ج 2، ص. 500.

(1529) لم يرد : «وأما اختراعهم» في النسخ المعتمدة، بل ترك مكانه فارغا، وورد في «أجوبة» السكتاني، ج 1، ص. 500.

(1530) لم يرد : «حاكمين بغير ما أنزل الله، فما أجهل» في النسخ المعتمدة، بل ترك مكانه فارغا. وورد في «أجوبة» السكتاني، ج 2، ص. 500.

(1531) في نسخة : عن دين الحق.

(1532) سورة الأعراف، الآية 186.

(1533) في النسخ المعتمدة : عن مكابدة النفس، والتصويب من «أجوبة» السكتاني.

(1534) جزء من حديث أخرجه البخاري في «صحيحه» («باب فضائل أصحاب النبي ﷺ»، «باب مناقب علي بن أبي طالب»، ج 3، ص. 204) بلفظ : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم».

حلف المتهم خمسين يمينا لا يجوز، لأنه لا يكون إلا في الدماء خاصة، وكل ذلك خلاف الشرع واتباع ألواح الضلالة والإفك.

وأما الإنصاف بالمال ـ في عرفهم ـ وتخريب الديار، فعقوبة بالمال. وليست عندنا في المذهب إلا في مسائل؛ وهذه ليست منها. لكن بعض شيوخ أهل المذهب من المتأخرين يستسهل إغرام حكام الفحص من تقع بهيمته في زروعات الناس قطعا لتلك المفسدة دريهمات. فإن فعلوا ذلك تقليدا له ورعيا للمصلحة العامة، فالخطب سهل، والله أعلم؛ ثم ما يجمع من ذلك يصرف مصرف الفيء ويكون في المصالح.

ثم قال : وهذه المسألة قد كان مني[1535] جواب عنها، حاصله تصويب فعلهم من أول السؤال[1536] إلى قوله : وإن لم يكن له أخذ من مال أقاربه ما عدا عقوبته بالمال المُسَمَّاة[1537] بالإنصاف، فإني لم أذكر فيها[1538] إلا ما كان يروى عن ابن عرفة من إغرام حكام الفحص بتونس دراهم من أرسل بهيمته على زرع غيره واستسهاله لذلك، ويامر الحاكم به لحسم مادة الفساد، وأنا أقول: في[1539] هذا أخرى.

ويعضد الفتيا بذلك ما ذكره القرافي في «**شرح التنقيح**»[1540] ونصه : «ومن ذلك، أعني القتال للإتلاف، قتال الظلمة لدفع ظلمهم وحسم مادة فسادهم، وتخريب ديارهم، وقطع أشجارهم، وقتل دوابهم إذا[1541] لم يمكن دفعهم إلا بذلك». انتهى. والجماعة يفعلون ذلك ويتنزلون منزلة السلطان في مثل بلاد السؤال، وليس الخبر كالعيان. وإذا كان الأمر كذلك، فلهم أن يفعلوا ما ذكر القرافي. والإنصاف أسهل مما ذكر، فيكون أجوز في حقهم. والله أعلم.

(1535) في النسخ المعتمدة : «قد كان من له جواب عنها». والتصويب من «**أجوبة**» السكتاني، ج 1، ص. 501.

(1536) انظر السؤال الموجه إلى السكتاني في «**أجوبته**»، ج 2، صص. 498ـ499.

(1537) في النسخ المعتمدة : المسمى، والتصويب من «**أجوبة**» السكتاني، ج 2، ص. 501.

(1538) في نسخة : منها.

(1539) لم يرد : «وأنا أقول في» في النسخ المعتمدة، بل ترك مكانه فارغا؛ وورد في «**أجوبة**» السكتاني، ج 2، ص. 501.

(1540) انظر «**شرح تنقيح الفصول، في اختصار المحصول في الأصول**» لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ص. 458.

(1541) في «**شرح التنقيح**» : إذْ.

وله بعده أيضا : «الحمد لله، تتمة للجواب عن مسألة نفاليس[1542] القبائل وما يتفقون عليه. اِعلم ــ أيدني الله وإياك بتوفيقه ــ أني وقفت في الجواب عن المسألة على أجوبة فقهاء مراكش ــ حرسها الله وسددني وإياهم ــ مختلفة التقارير متفاوتة في العبارة. غير أن منهم من تتبع السؤال وفصل في الجواب[1543]، ومنهم من أجمل في الجواب وأفتى بالمنع وألحق الجواب بالتفصيل لاشتمال النازلة على جائز وممنوع كما ستراه.

والذي ظهر لي ــ والله أعلم، وبه التوفيق ــ أن المسألة من مسائل الضرورات لا الِاختيار. وإذا كانت كذلك، فقد تقرر أن للضرورات أحكاما غير أحكام الِاختيار. ومن قواعد مذهبنا أن الضرورات تبيح المحظورات[1544]؛ ومنها : إذا التقى ضرران، ارتكب أخفهما[1545]. وإذا علمت هذا، علمت أن من حق الفقهاء أن يتفقهوا في الجواب على هذا النمط، ويفصلوا على هذا المنهج. والعذر لهم أنهم في الحضر حيث يتمكن إجراء الأحكام على نحو ما أجابوا به إن وفق الله إليه، وما ذكر من فقدان الأحكام ببلادهم وتعذرها على وجهها مما لا ريب فيه ولا إشكال ــ «وما راء كمن سمعا»[1546] ــ وإهمال أمر بلادهم مع ذلك إضرار[1547] يتسع الخرق فيه على الراقع، ولا يتمكنون من إقامة حد الحِرَابَةِ والسرقة، لأن بلادهم بلاد عصبية ولفوف[1548]، فما يفعلونه من التغيير على المفسدين غاية مقدورهم. والله أعلم. فجعل المسألة من قبيل تغيير الشرع على الإطلاق غير صحيح، لأن في صنيعهم ما يجوز بلا إشكال، ومنه ما يمنع، ومنه ما يجوز على غير المذهب وفيه باختلاف.

(1542) النفاليس : تعريب إنْفْلَاسْ، وهم الأعيان والرؤساء، الذين يحكمون القبائل.

(1543) في نسخة : وفصل في الجواب جوابه. وفي «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 501 : وفصل جوابه.

(1544) انظر «إيضاح المسالك، إلى قواعد الإمام مالك» للونشريسي، تحقيق أحمد بوطاهر الخطابي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1400هـ/1980م، ص. 365، القاعدة 97).

(1545) أورد الونشريسي في «إيضاح المسالك» (ص. 370)، هذه القاعدة بهذه الصيغة : «إذا اجتمع ضرران، أسقط الأصغر للأكبر» (القاعدة 101).

(1546) في «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502 : «وليس من رأى كمن سمع». ومن شواهد إعراب الفعل في النحو قول القائل :

يا ابنَ الكرام ألَا تدنُو فتُبصرَ ما   قد حدَّثوك فما رَاءٍ كمَن سَمِعا

(«شرح الأشموني على الألفية بحاشية الصبان»، ج 3، ص. 302).

(1547) لم يرد «إضرار» في النسخ المعتمدة، بل ترك مكانه فارغا. وورد في «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502.

(1548) المراد باللّفوف : الأحلاف.

فالجائز اجتماعهم على جماعة يتفقون على ضوابط مصالحهم[1549]، ومنع المحاربين والمتلصصين واسترداد ما أخذوه من المارة، وإغرامهم قيمته أو مثله من ماله على تفصيل فيما يتفقون عليه بحسب شهادة الشرع وعدمه[1550].

والممتنع مؤاخذة غير الجاني به[1551] ما لم يُعِنْ. أما إذا أعَانَ، فظالم. ومِنْ إعَانَتِه تعصبه للظالم[1552] ومنعُه من طالبه. وإغرامُه إذا منع صاحبَ الحق جارٍ[1553] على المذهب ولو كان أرملة، واليتيمُ إذا أفسد وحده أو معينا يلزمه الغرم في ماله.

وأما إحلافُ المتهم ما ذكروه[1554] باستعانة، فلم أقف على ما يقتضي جوازه.

وأما عقوبة الجناة أو معينهم بأخذ الإنصاف، فذلك من العقوبة بالمال. وفيها[1555] ما علم في المذهب وخارجه، فليست من تغيير الشرع بالاتفاق، فليس يلزم[1556] من الكفر ما ألزم في بعض أجوبة المراكشيين، إذ لا تصدق حقيقة الكفر على مرتكب ذلك. وقد وقفت فيه على كلام لبعض من ابتُلِيَ بأمور القبائل وعرفها[1557]، وهو الفقيه سيدي الحسن بن عثمان الجزولي التملي. يقول فيه : «ومسائل ألواح القبائل منها ما وافق الشرع وهو أكثرها، لكن على غير مذهب مالك، وأقلها مخالفة للشرع». انتهى ما وقفت عليه منسوباً إليه.

وأيضا العلامة البرزلي قال :

اِعلم أن العادة اليوم بتونس أن من أرسل البهائم في الكروم والزروع، فإن ربه يبلغه إلى حاكم[1558] الفحص فيغرمه عليه، وهو مدخول عليه. وكان شيخنا الفقيه

(1549) في نسخة : على ضوابط ومصالحهم. وفي «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502 : على ضوابط ومصالح لهم.

(1550) في «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502 : شهادة الشرع به وعدمه.

(1551) سقط «به» من نسخة؛ وثبت في «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502.

(1552) في النسخ المعتمدة : ومن أعان بتعصبه الظالم. والتصويب من «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502.

(1553) في «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502 : جَائز.

(1554) في «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502 : على ما ذكروه.

(1555) في النسخ المعتمدة : فيها ــ بدون واو ــ، والتصويب من «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502.

(1556) في «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502 : فليس فيه من الكفر.

(1557) في «أجوبة» السكَتاني، ج 2، ص. 502 : وأعرافها.

(1558) في نسخة : حكام الفحص.

ابن عرفة يستسهل ذلك ويأمر الحاكم أن يغرم ذلك لحسم المادة، ويكون من باب العقوبة بالمال، وكذا كنت أستحسن لمن سألني من قبل ذلك، واحتج بأن من جرت[1559] عادته بإرسال البهائم في الكروم والزروع يصير بذلك مستغرق الذمة سائغ أكل ما له لكل الناس[1560] كَالفَيْء. انتهى كلامه بواسطة من قيد غريب[1561] مسائله. على أني رأيت هذا في الأصل وتعلق بحفظي منه ما لابن عرفة قبل هذا.

وأما تخريب داره، فيؤخذ من قول شهاب الدين القرافي في «شرح التنقيح»[1562] ونصه : «ومن ذلك، أعني القتال للإتلاف، قتال الظلمة لدفع ظلمهم وحسم مادة فسادهم وتخريب ديارهم وقطع أشجارهم وقتل دوابهم إذا لم يمكن دفعهم إلا بذلك». انتهى.

وقد كان تقدم[1563] لنا أن الجماعة تتنزل منزلة السلطان أو نائبه كالقاضي حيث لا يكونان. وقد نص عليه أبو عمران الفاسي[1564] في «التعاليق» في كتاب الدية، كما نص في محل آخر على أنه يجبر آبِي الصلح أو الدية ـ الشك فيه[1565] ـ إذا خيف من ازدياد الفساد والقتال، ثم إذا تمكن ولي القتيل من القود بالشرع، فله نقضه، وفتياه هذه إنما كانت فيما وقع[1566] ببلاد المصامدة.

(1559) في نسخة : جارت. وفي نسخة : وجدت، وكلاهما خطأ. والتصويب من «أجوبة» السكّتاني، ج 2، ص. 503.

(1560) لم يرد : «أكل ما له لكل الناس» في النسخ المعتمدة، بل ترك مكانه فارغا. وورد في «أجوبة» السكّتاني، ج 2، ص. 503.

(1561) في «أجوبة» السكّتاني، ج 2، ص. 503 : غرائب مسائله.

(1562) انظر ما سبق في ص. 465 مع الهامش 1540.

(1563) في النسخ المعتمدة : يتقدم. وهو خطأ. والتصويب من «أجوبة» السكّتاني، ج 2، ص. 503. وما أشار إليه تقدم في ص. 465.

(1564) اسمه موسى بن عيسى بن أبي حجاج الغفجومي الفاسي، أصله من فاس، استوطن القيروان، وحصلت له بها رئاسة العلم. كان من أحفظ أهل زمانه للمذهب المالكي. وله كتاب «التعاليق على المدونة»، وهو كتاب جليل لكنه لم يكمل. توفي سنة 430هـ وهو ابن خمس وستين سنة (انظر ترجمته في «ترتيب المدارك»، ج 7، ص. 243ـ252 ؛ و«الديباج المذهب»، صص. 344ـ345).

(1565) في «أجوبة» السكّتاني، ج 2، ص. 503 : آبي الصلح والدية إذا خيف.

(1566) في «أجوبة» السكّتاني، ج 2، ص. 503 : يقع.

وفي «**مسائل**» الونشريسي حيث تكلم على ديار أهل[1567] الفساد ما نصه :

قيل العمل اليوم على تخريب دار[1568] من هذه حالته، ولعله نظير الحرق الذي أمر به في الرواية عن يحيى بن يحيى أرى أن يحرق بيت الخمار، قال : وأخبرني بعض أصحابنا أن مالكاً استحسن حرق بيت المسلم الذي فيه الخمر[1569].

وفي «**مسائل**»ـه في محل آخر في التعزيرات :

وأمر ﷺ بكسر الإناء من الخمر وشق ظروفها، وأمر ﷺ بتحريق متاع الذي غل من الغنيمة، وإضعاف الغرم على كاتم الضالة، وأحرق عمر المكان الذي . يباع فيه الخمر، وأحرق رضي الله عنه قصر بسعد بن أبي وقاص[1570] لما احتجب فيه عن الرعية وصار يحكم في داره.

انتهى ما قصد منه. والغرض منه التنبيه على أن العقوبة بالمال أَوْ فِيهِ لا تُوجِبُ كفرا. وأما النظر في فعل النبي ﷺ أو قوله أو الصحابي، فمن وظيف المجتهدين، وأما المال المأخوذ على جوازه، ففيء. ونقل عن ابن عرفة أنه يُدْعَى مَن عُرف بالفساد للحاكم دون القاضي وإن أدى إلى غرم المال عنده، لأن ما في يده من أموال الناس والتباعات لا ملك له فيه ؛ فبيت المال أولى به منه، ولأن فساده لا يكفه إلا الحاكم[1571] من باب ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به. انتهى. وضُمَّانُ الجبل كالحكام في الحواضر فيما ذكروا. والله أعلم. انتهى جوابه.

* * *

تفسير التمنارتي لما جاء في الجواب السابق وتتمته

وقوله : فليس يلزم من الكفر ما ألزم في بعض أجوبة المراكشيين إذ لا تصدق حقيقة الكفر على مرتكب ذلك، وقوله : والغرض منه التنبيه على أن العقوبة بالمال أو فيه لا توجب كفرا، أشار به إلى ما أفتى به قاضي مراكش قبله، أبو عبد الله محمد

(1567) لم ترد لفظة «أهل» في النسخ المعتمدة، ووردت في «**أجوبة**» السكّتاني، ج 2، ص. 503.

(1568) في نسخة : دور.

(1569) انظر «**الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**» لابن القيم، ص. 279 ؛ و«**تبصرة الحكام، في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**» لابن فرحون، ج 2، ص. 121.

(1570) توفي (ض) سنة 55هـ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتا (انظر ترجمته في «**الإصابة**»، ج 2، صص. 33-44 ؛ و«**الإستيعاب**»، ج 2، صص. 18-27).

(1571) في نسخة : إلا الحكام. وهو ما في «**أجوبة**» السكّتاني، ج 2، ص. 503.

ابن عمر[1572] ومفتيها الفقيه عبد الواحد بن أحمد الرجراجي. ففي فتوى الأول ما نصه : «فترك الأحكام الشرعية واستنباط ضوابط وقوانين تخالف أحكام الشرع المحمدي كفر صراح، فيجب على من مكنه الله في الأرض أن يحسم مادة أولئك الفجرة ويردهم إلى الشرع ولو بقتلهم»[1573]. انتهى. وفي فتوى الثاني في صدر جوابه : «اعلم ـ أرشدنا الله وإياك ـ أن الحق جلت قدرته لم يواجه خليقته بما أطلعه من محكم شريعته ليقابل فيه بالإعراض، ولا أوضح طريقته ليعامل فيها بوهي الأغراض، بل يكتفي بما ارتضاه دينا لعباده». انتهى. فصرَّح الأول ولوَّح الثاني.

جواب آخر لأحمد باب التنبكتي

وقد طالعت في المسألة جوابا آخر لنزيل مراكش أبي العباس أحمد باب، به عرف، ابن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد[1574] أقيت الصنهاجي السوداني التنبكتي، نقله المنصور مع عشائره حين افتتح السودان لمراكش، وهم أهل بيت علم وثروة، فانقرضوا كلهم بمراكش سوى أبي العباس أحمد[1575] بابَ. رجع لبلاده بعد وفاة المنصور بأمر ولده الملك زيدان، فتوفي في مسقط رأسه في تاريخ وفاته المتقدم.

ونص الجواب :

الحمد لله. الجواب ـ وبالله التوفيق ـ أن هذا السؤال اشتمل على فصول احتاج كل فصل إلى الجواب عنه بحدته. أما قولكم : «مجتمعون عن آخرهم» إلى قولكم : «الشيوخ والضمان»، فاعلم أن الموضح الذي لا سلطان فيه ولا يلحقه حكم سلطان أن اجتماع جماعة المسلمين فيه على إقامة أحكام الشرع على الوجه المشروع، فإن حكمهم يقوم مقام السلطان والقاضي حيث لا سلطان ولا قاضي، ولكن يجب عليهم السعي في الدخول تحت حكم السلطان. إذ لا يجوز البقاء فوضى للأحاديث الكثيرة كحديث «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»[1576].

وأما جعلهم الضوابط والأحكام على مقتضي المصالح : فإن كانت جارية على وجه الشرع، فليس بجعل؛ وإنما هو إنفاذ لحكم الشرع، وإن كانت على خلافه

(1572) هو محمد بن عمر المشتوكي، قاضي مراكش، المتوفى أواخر رجب عام 1098هـ (انظر ترجمته في «الإعلام» للمراكشي، ج 5، صص. 345-346).

(1573) انظر «الإعلام» للمراكشي، ج 5، ص. 346.

(1574) سقط «بن محمد» من نسخة.

(1575) في نسخة : سوى أبي العباس باب.

(1576) رواه مسلم في «كتاب الإمارة» من «صحيحه» بلفظ : «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بَيْعَةٌ مات مِيتَةً جاهلية».

فهو أمر حرام لا يجوز قطعا، يعلم فساده كل من له أدنى علم بالشريعة. فلا تكون الأحكام إلا على مقتضى ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، وبينه علماء سنته : ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[1577]. وعلى ذلك تجري الأحكام والوقائع: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[1578]. والغيرية صادقة في الأصول والفروع. فسواء اتبع دينا غيره أو ابتدع أحكاما غير أحكامه. وأما استردادهم من قاطع الطريق ما أخذه، من الأموال بعينها، فإن كانوا ليردوها لأربابها، فهو فعل حسن وأمر مستحسن أمر به الشرع، وإن كانوا لياكلوها فهو أمر قبيح، بل زادوا شرا على شر. وأما ما يغرمونه للقطاع مما أكلوه، فحكمه ما تقدم آنفا. وأما عقوبتهم الجاني بهدم داره، وإتلاف أمواله، ويسمونه إنصافا، فاعلم أن الواجب على الجاني إن قطع الطريق بإخافة أنه محارب، فيجب إنفاذ حكم المحارب فيه من قتل أو صلب أو قطع أو حبس أو نفي، وإن كان سارقا فحكم السرقة، أو غاصبا فحكمه التعزير، وكلها واضح، ويوخذ منه ما غصبه أو حارب عليه، ويرد إلى ربه. ولا تهدم داره، ولا تتلف أمواله بعد ذلك، لأنه عقوبة بالمال وهي لا تجوز في المذهب إما اتفاقا، وإما على المشهور. والجزئيات الواقعة في المذهب من ذلك إنما هي عقوبة في المال لا بالمال، بخلاف ما غش فيه ونحوه.

والكلام في المسألة طويل عريض لا يسعه المقام إلا أن يكون بنى داره في موضع يقطع فيه الطريق فتهدم عليه. فإذا ثبت الاتفاق على عدم جواز أخذ المال من الجاني على وجه التأديب له، وهو المسمى في عرف الظلمة بالإنصاف، ففعل هؤلاء الشيوخ ممنوع حرام لأنه ليس من أحكام الشرع، بل الجاني على المال يؤخذ منه عينه إن كان قائما لم يتغير، أو قيمته أو مثله إن تلف ليس إلا، ويعاقب في بدنه على قدر جنايته بما يردعه وغيره. هذا أمر الشريعة المطهرة، وفيه أعظم الزجر، لأن الإذاية البدنية على قدر الجناية أعظم من إتلاف المال وأنظر في ردع أهل الضلالة. فما في السؤال من أكلهم ما له وهدمهم داره، فظلم وعدوان وتَعَدٍّ مَحْضٌ وطغيان. وأعظم منه جناية وأكثر بلية أخذ أموال أقاربه، سيما الأيتام والأرامل : فإن ذلك أعظم الكبائر، وأفحش الفواحش الممنوع بالإجماع، إذ ليس في الشرع أن يؤاخذ الإنسان بجناية غيره.

فحديث بما فعل .... فحمل عليه[1579]. قال تعالى : ﴿ولا تزر وازرة وزر

(1577) سورة النحل، الآية 44.

(1578) سورة آل عمران، الآية 84.

(1579) كذا في النسخ المعتمدة. وهو بحاجة ماسة إلى تحرير وإصلاح.

أخرى﴾[1580]. وقد قرر العلماء أن ما جرت به العادة من أخذ القريب، أنه ظلم ليس من الشرع، كما بينه ابن فرحون وغيره. فقول هؤلاء الشيوخ: «إن ذلك فيه المصلحة» كذب وبهتان، وإثم وخسران وخطأ. فإذا اعتقدوا حل ذلك، ربما أفضى بهم إلى المروق من الدين. وقد كفّر العلماء المهديّ بن تومرت إمامَهم، بافتعاله أحكاما غير شرعية، كما ذكره الإمام ناصر السنة أبو إسحاق الشاطبي[1581] في كتاب «الحوادث والبدع». وأما تحليفهم المتهم خمسين يمينا، فمن جملة تغيير الشرع، إذ ليس في الشرع تحليف بغير يمين واحدة إلا في القسامة[1582] بخمسين، وفي اللعان[1583] بأربعة مع التخميس باللعن والغضب. وإنما يحلف المتهم يمينا واحدة مع تهديد له وضرب وسجن رجاء أن يخرج المال المتهم به كما قال ابن يونس وعبد الحق واللخمي وغيرهم من علماء المذهب، وهذا واضح.

(1580) سورة الأنعام، الآية 166 ؛ وسورة الإسراء، الآية 15؛ وسورة فاطر، الآية 18؛ وسورة الزمر، الآية 8.

(1581) هو الفقيه الأصولي النظار إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق الشهير بالشاطبي، المتوفى يوم الثلاثاء 8 شعبان عام 790هـ. له مؤلفات نفيسة منها كتاب «الموافقات في أصول الفقه»، وسماه «عنوان التعريف بأصول التكليف»؛ وكتاب «الحوادث والبدع» الذي سماه «الإعتصام»، وغيرهما (انظر ترجمته في كتاب «الإعتصام» المنشور بعناية رشيد رضا، صص. 10–15؛ وانظر ما كتبه الشاطبي في المهدي بن تومرت الموحدي في «الإعتصام»، ج 1، صص. 255– 258).

(1582) «صفة القسامة أن يحلف أولياء المقتول خمسين يَميناً أن فلانا قتل وليَّنا فلانا، أو أنه ضربه وَمِنْ ضربه مات، إن كان قد عاش بعد ذلك» («تبصرة» ابن فرحون، ج 1، ص. 266). انظر القسامة، والإختلاف في الحكم بها في : «فقه السنة» للسيد سابق، ج 3، صص. 493–496.

(1583) قال ابن فرحون في «التبصرة»، ج 1، ص. 268 : «حقيقة اللعان يمين الزوج على زوجته بزنا أو نفي حملها أو ولدها، ويمين الزوجة على تكذيبه. وسميت أيمانهما لعانا، لأن فيها ذكر اللعن، ولكونها سببا في بعد كل واحد من صاحبه. وصفتها أن يقول أربع مرات : أشهد بالله ـ وقال محمد : يزيد «الذي لا إله إلا هو» ـ فإن كان ادعى الرؤية فليقل : أشهد بالله الذي لا إله إلا هو إني لمن الصادقين رأيتها تزني زنا كالمرود في المكحلة. يقول ذلك أربع مرات، ثم يقول في الخامسة : لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ثم تقول المرأة أربع مرات : أشهد بالله الذي لا إله إلا هو إنه لمن الكاذبين، وما رآني أزني، ثم تقول في الخامسة إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين». ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويَدْرَأُ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ (سورة النور، الآيات 6–9).

وأما قول الشيوخ : إنهم لو تركوا أخذ الإنصافات من الجاني وأقاربه ما[1584] انتظمت كلمتهم ولا استقام أمر بلادهم، فهوكلام من وصل في الجهل إلى الغاية، أوْ غَرِقَ في اتباع الهوى إلى النهاية، بل انتظام الكلمة واستقامة الأحوال[1585] إنما يكون باتباع أحكام الشرع في الأقوال والأفعال. ولو علم الله بصلاح خلقه بغير ما شرعه على لسان نبيه لشرعه وبينه، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[1586]، ﴿فأولئك هم الظالمون﴾[1587]، ﴿فأولئك هم الكافرون﴾[1588].

وكتب أحد[1589] عمال عمر بن عبد العزيز إليه : أن السراق وأهل الفساد كثروا ببلادنا، أفَتأخُذُهم بالظنة والتهمة؟ أو بما أمر به الشرع؟ فكتب له لا تأخذهم إلا بما أمر به الشرع. فمن لم يصلحه الشرع لا أصلحه الله. انتهى. وكتب السيد الصالح عمر الملا ـ وكان كبير الشأن ـ إلى السلطان الصالح نور الدين محمود الشهيد، صاحب الشام ومصر، أن القطاع والمفسدين كثروا ويحتاج فيهم إلى نوع سياسة من قتل وصلب وضرب؛ وإذا أخذوا مال إنسان في برية، فمن يشهد له ؟ فكتب له السلطان محمود على ظهر كتابه : إن الله تعالى[1590] قد خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم وشرع لهم شرعه، ومصلحتهم فيما شرع لهم تحصل على وجه الكمال. فلو علم أن على الشريعة زيادة في المصلحة، لشرعها؛ فما لنا حاجة إلى الزيادة على شرعه تعالى. قال الإمام ابن الأثير: «فلما وصل الكتاب لعمر[1591] الملا، جمع أهل الموصل وقرأ عليهم الكتاب، وقال : انظروا كتاب الزاهد للملك، وكتاب الملك إلى الزاهد». انتهى. وقد ذكرنا ذلك في كتاب «**قطع السلوك في ذكر الخلفاء وفضلاء[1592] الملوك**».

وأما قولكم : «ما الحكم فيما أخذوه من الإنصافات؟»، إلخ. فالحكم في ذلك بعد إعطاء أرباب الحقوق حقوقهم من أموال الجناة أنفسهم أن يردوا الباقي إلى مولاه إن كان حيا أو لورثته إن مات؛ وإنْ جهلت أربابه، صار فيئا حكمه

(1584) في نسخة : لمّا.

(1585) في نسخة : واستقامة الأحكام.

(1586) سورة المائدة، الآية 49.

(1587) سورة المائدة، الآية 47.

(1588) سورة المائدة، الآية 46.

(1589) سقطت كلمة «أحد» من نسخة.

(1590) سقط «تعالى» من نسخة.

(1591) في نسخة : إلى عمر الملا.

(1592) في نسخة : وفضائل الملوك.

للإمام العدل. اللهم إلا أن يكون الجاني ممن طالت جنايته يأخذ الأموال حتى استغرقت ذمته فماله كله فيء يسلك به مسلك الفيء.

وأما ما أخذوا[1593] من أموال أقارب الجاني، فليس إلا رده لأربابه. إذ أخذ غير الجاني بجنايته غير مشروع. فهذا ما تيسر من الجواب، وبسطه بالنصوص يحتاج لتطويل لا يسعه الوقت. وبالله التوفيق. كتبه فقير مولاه أحمد باب بن أحمد بن أحمد[1594] بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى. وفقه الله وألهمه رشده. انتهى.

جواب السمنارتي على أسئلة فقيه إيسي

وفي أثناء هذه السفرة، رفع إليَّ فقيه إيسٍ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمان سؤالا مضمنه يظهر من الجواب. ونصه :

«الحمد لله، وعليكم السلام والرحمة والبركة. أيها المحب الصفي والخل الوفي الفقيه سيدي محمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمان الجزولي الإيسي[1594م]. وفقني الله وإياك لطاعته وسلك بي وبك سبيل نجاته.

أما بعد؛ فقد ورد علي رسمكم فيما سلف قريبا أيام وردت البادية تسأل فيه عن مسائل، وكنت وعدتكم بالجواب فماطلت به الأيام ومجاوبة الظراب والآكام، حتى ظننت أن سحابة وعدي قد أخلفت، وبارقة إرْجَائِي قد أحلكت مع ظهور العجز وقصور الباع، وقلة الذخيرة والمتاع. غير أني كما قيل : [الوافر]

أحـــن إذا رأيت جمال سُعْـــدى وأبكـــي إن سمعت لها حنينـــا

وعندما حططت ركابي، نهض بي إلى رغبتك عزمي الكابي، واستخرت الله عز وجل، وهو المعين على ما دق وجل، لا رب غيره، ولا خير إلا خيره.

المسألة الأولى : وهي قولكم : «وما حكم الوصية على أولاد الأولاد مطلقا كقول الموصي على أولاد أولادي ولم يقيده بذكر هل يدخل ولد البنات ؟ وكيف إن لم يقسم المال حتى مات من أولاد الذكور شيء، هل الوصية كلها لمن بقي أو ليس لهم إلا أنصباؤهم ونصيب من مات لورثته لكونها ليست حبسا، وإذا فرعنا على المشهور

(1593) في نسخة : ما أخذوه.

(1594) سقط «بن أحمد» ــ الثاني ــ في النسخ المعتمدة.

(1594م) في النسخ المعتمدة : الأوسي. وهل هو محمد بن محمد بن علي أو محمد بن علي ؟ فليحرر.

من إثباتها بشاهد ويمين، وحلف من قام على صحتها، هل تثبت له ولمن مات قبله، أو لا تثبت إلا لمن بقي اليوم؟».

والثانية : وهي : «ما معنى قول الشيخ خليل في «مختصر»ه في موانع الشهادة : «ولا إن استبعد كبدوي لحضري»[1595]. ما هذا البدوي الممنوعة شهادته لحضري أو عليه، هل كل وارد للمدينة من الآفاق، أو ليس إلا العمودي[1596] ؟ وقد يقع كثيرا في هذه السنين من مراكش[1597] وتارودانت أن يشهد طلبة القرى على من سكن بمراكش ونشأ بها لمن كان أصله الجبل ببيع أملاكه بسوس من مراكش والجبل من تارودانت مع قيام الشهود المنتصبين لذلك في الحاضرة».

والثالثة وهي المهمة، وهي قولكم : «وما حققتم أو سمعتم في حكم تاباغا من تحليلها أو تحريمها». والجواب ـ والله المؤيد بالتوفيق، والهادي بفضله إلى منهاج التحقيق :

أما الأولى، فقول الموصي : «على أولاد أولادي» لا يتناول ولد البنات على المنصوص. وفتوى أهل قرطبة بدخولهم مقصد عرف بلدهم، ومقصد العرف في جميع هذه البلاد على ضد ذلك، إنما يقصد الموصي فيها إخراج ولد[1598] البنات فيتبع قصده. وأما إذا مات بعضهم، فإنه يخرج وليس لورثته شيء، بل يبقى الجميع لمن بقي على معنى الإنتفاع، كل من وُلِدَ دخل، ومن مات خرج، حتى ينقرضوا جميعا فتكون لورثتهم أجمعين. وإذا ثبتت بشاهد ويمين كما هو قول ابن القاسم، فإنها توقف حتى يبلغ أول ولد يولد فيحلف فيستحقها هو ومن يأتي بعده. وكل من ولد دخل، ومن مات خرج. ولهذا كان الصواب في قولكم : «وحلف من قام على صحتها هل تثبت له، ومن مات قبله» أو تقول : «هل تثبت له ومن يأتي بعده؟». هكذا فرضوا المسألة. وأما من مات، فلم يبق له حق يثبت له ولا لوارثه، بل جميعها لمن بقي الآن من المُوصَى لهم حتى ينقرضوا جميعا، فتكون لورثتهم أجمعين كما ذكرنا آنفا.

(1595) انظر: «حاشية الدسوقي على شرح الدردير»، ج 4، صص. 155-156.

(1596) الذي يسكن في الخباء، قال الليث : يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها : هم أهل عَمُود، وأهل عِمَاد («لسان العرب»).

(1597) في نسخة : من يأتي من مراكش وتارودانت.

(1598) في نسخة : أولاد.

وأما الثانية، فالأصل فيها قوله ﷺ : «لا تقبل شهادة البدوي على القروي»، وفي رواية : «على صاحب قرية»[1599]. ومحمله عند الإمامين اللخمي والمازري موضع تحقق التهمة، قالا : وذلك إذا كتب خطه في الوثائق والصدقات وهما في الحضر، فَعُدُولُهُمَا[1600] عن شهادة الحاضرين المبرزين للشهادة في مثل ذلك إلى شهادة غيرهم رِيبَةٌ، قالا : ولو قال : مرًّا بي فسمعتهما يَتَقَارَّانِ كذا وكذا في سفر وما لا يقصد الإشهاد به كالقتل والجراح والقذف، فلا تهمة تقتضي الرد.

فأنت ترى كلام الشيخين دار على محل التهمة، فحيث وُجِدَت مُنِعت الشهادة وحيث لم توجد لم تمنع. وشهادة طلبة . . . على أهل الحواضر بما ذكرت عين الشهادة الممنوعة، أعني شهادة البدوي على الحضري. فالحزم الكتب بالعدول المنتصبين خشية التهمة وعسر إثبات الحق عند الإختلاف.

وقد اختلفوا في عكس هذه المسألة، وهي شهادة الحضري على القروي والبدوي. فَرَأى قوم أنها لا تجوز، وقال ابن وهب[1601] : وإنما أرى أن تجوز، إلا أن يدخلها ما دخل شهادة البدوي على القروي من التهمة والظِّنَّة.

جواب التمنارتي في شأن التبغ وتحريمه إياه.

والثالثة وهي المعضلة الدهماء، والبلية الصماء. وأول ما ورد هذا الدخان من جهة القبلة سنة ست بعد ألف مقرونا وروده بنزول الطاعون المخرب لأكثر بلاد المغرب، فاستمرت فتنته ــ ونعوذ بالله من الفتن ــ وإني بعدما وقفت في الجواب عنها على قدم الإحجام وانحلت مني عزيمة الإقدام، ورأيتها من فتن آخر الزمان، وحلية الأشرار: [الكامل]

ومكلــف الأيـــام ضد طباعهـــا   متطـــلب في الماء جذوة نار[1602]

(1599) حديث «لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية» رواه أبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا، ورجال إسناده احتج بهم مسلم في «صحيحه»، كما قال السيد سابق في «فقه السنة»، ج 3، ص. 338.

(1600) في النسخ المعتمدة : بعد ولهما. ويبدو أنه تحريف.

(1601) هو أبو محمد عبد الله بن وهب القرشي ــ مولاهم ــ المصري، تفقه بمالك والليث، وهو أثبت الناس في مذهب مالك ــ كما قال ابن عبد الحكم ــ وأعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار. ولد سنة 125هـ، وتوفي بمصر سنة 197هـ. (انظر ترجمته في «ترتيب المدارك»، ج 3، ص. 228).

(1602) البيت للفاضل التهامي (انظر «نشر العلَم، في شرح لامية العجم» للحضرمي، ص. 123).

ورأيتك في إحالتها عليَّ دون من هو أعلم مني كأخي الديلمي[1603] في قوله : [الكامل]

وجد الجميم[1604] فعافه وتَبَقَّلا[1605] وجرى له الوادي فَصَدَّ وأَوْشَلَا[1606]

بت ليلتي فنمت نومة، فرأيت البيت قد أضاء عليّ نورا، ثم رأيت إثر ذلك مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يُسَجِّينِي[1607] في ثوب وحده في مكان غربة، فأخرج لي يده اليمنى، فرأيت في بنانها أثر خضاب. فتأولت النور نور التوفيق، والبنان كتابة، والخضاب خطاب، ومكان الغربة غربة_ العلم والدين. فسارعت لمجاوبتك، وأسعفتك في رغبتك، فقلت ـ وبالله التوفيق : «ينبغي أن يكون الجواب لك فيها على فصلين، لأنك قلت في أصل السؤال : «وأعلمني بما حققتم في حكمها أو سمعتم»»، أحد الفصلين فيما حققته فيها وتقلدته في حكمها، والثاني فيما سمعت منها حكما وذما عمن أثق به من أهل العلم والدين لكي تم لك الفائدة باستيفاء المرادين إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول : اعلم أن علل التحريم أنواع : منها الِاستقذار الذي في ضمنه الخبث، ومنها المضرة، ومنها الإسكار، ومنها سد الذرائع؛ ثم اعلم أيضا أن قاعدة عدم الإذن أو التحريم، وقاعدة عدم سبب الإباحة أو المنع، قاعدتان مطردتان. فعُلم أن عدم كل واحدة من هاتين العلتين علة للحكم في الأخرى، بخلاف غيرهما من العلل : فعدمُ علة الإذن علةُ التحريم، وعدمُ علة التحريم علةُ الإذن. فمتى عُدمت علة الإذن تعين التحريم، ومتى عُدمت علة التحريم تعين الإذن: مثاله علة تحريم الخمر الإسكار. فمتى زال الإسكار، تعين الإذن. آخر : علة إباحة شرب العصير مسالمة العقل وسلامته من المفاسد. فَعَدَمُ المسالمة والسلامة علةُ منعه. آخر : علة تحريم تناول النجاسات والمستقذرات الِاستقذار. فمتى كانت العين ليست بمستقذرة، فحكم الله في تلك العين حلية التناول.

(1603) هو أبو الحسن مهيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور، كان مجوسياً فأسلم على يد الشريف الرضي، وهو شيخه وعليه تخرج في الشعر، وله ديوان شعر كبير. توفي سنة 428 هـ (انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 4/ 441، وفي مقدمة الجزء الأول من ديوانه ـ الطبعة الأولى، القاهرة 1344 هـ/1925م).

(1604) الجَميم: النبت الكثير. (1605) تَبَقَّل: رعى البَقْل، وهو ما ينبت في بزره، ولا ينبت في أرومة ثابتة.

(1606) من الوَشَل الذي هو الماء القليل. يقال أوشل ـ حافر البئر ـ: أي انبط ماء قليلا. وأَوْشَل حظَّه: أقلّه وأخَسَّه.

(1607) في النسخ المعتمدة: يسجني.

قال في «الجواهر»[1608] بعد ذكر المباح من الحيوانات والمكروه منها والمختلف فيه في المذهب: «وأما غير ذلك من الحيوانات، فالمستقذر منها يحكي المخالفون جواز أكلها. قال الشيخ أبو الطاهر: والمذهب على خلاف ذلك»[1609]. انتهى.

وإنما سقت لك ذلك لتعلم أن علة الِاستقذار لا تختص بالنجاسات والمتنجسات.

فإذا ثبت هذا وثبت في كل طبع غير متمسخ[1610] أن دخان هذه العشبة، بل وكل دخان ساواه مستقذر خبيث منتن. وبيانه من جهة النظر نفرة معظم الأطباع منه واستقباحها[1611] له حتى لا يتناوله إلا القليل لفرط دناءة أطباعهم وخبال عقولهم حتى استوى في إحساسهم الخبيث والطيب، مثل الخسيس من الحيوان البهيمي الذي يَسْتَجِلُّ[1612] ولا عبرة به في المناط[1613].

ومن الكتاب قوله تعالى : ﴿وظِل من يحموم لا بارد ولا كريم﴾[1614]، فَنَفْيُ وصفِ الكرم عنه يثبت له وصف الخبث والله عز وجل حكيم لا يتوعدنا إلا بنوع ما نعرف. ومن السنة قوله ﷺ : «مثل الجليس السوء كالقين[1615]، يحرق، ثوبَك

(1608) يقصد «الجواهر الثمينة، في مذهب عالم أهل المدينة» لابن شاس. وقد نشره محققا مجمع الفقه الإسلامي بجدة.

(1609) قال ابن جزي في «القوانين الفقهية»، ص. 150 : «المسألة السادسة : الحيوانات المستقذرة كالحشرات وهوام الأرض. قال في «الجواهر» : يحكي المخالفون عن المذهب جواز أكلها. قال ابن بشير : والمذهب بخلاف ذلك، وحرمها الشافعي لأنها خبائث».

(1610) في نسخة : مستمسخ.

(1611) في النسخ المعتمدة : واستقباحهم.

(1612) يستجل : يتتبع النجاسات، ويأكل الجِلّة والعَذِرَة، والجِلّة : البَعَر استعير ووضع موضع العذرة، فسمي الحيوان الذي يأكل العَذِرة جَلّالة. وقد نهى النبي ﷺ عن شرب لبن الجلالة (رواه الخمسة إلا ابن ماجة، وصححه الترمذي)، كما نهى عن ركوبها وأكل لحومها (رواه أحمد والنسائي وأبو داود).

(1613) المَنَاط : مصطلح أصولي يدرس في مجال الِاجتهاد في العلة، في مبحث القياس، إذ يمر البحث عن علة الحكم في ثلاث مراحل

أ ـ مرحلة تخريج المَنَاط، وهو البحث عن استنباط العلة إذا لم تكن منصوصة.

ب ـ مرحلة تنقيح المَنَاط، وهو البحث عن تنقيح العلة، أي تخليصها مما يشوبها من أوصاف لا دخل لها في العلية.

ج ـ مرحلة تحقيق المناط، وهو البحث في الفرع لمعرفة تحقق مَنَاط الحكم ـ أو عدم تحققه ـ فيه.

انظر «أصول التشريع الإسلامي» لعلي حسب الله، صص. 146-148).

(1614) سورة الواقعة، الآيتان 46-47.

(1615) القَيْن : الحَدَّاد.

شَرَرُه ويُؤْذِيك بدخانه»، وفي رواية أخرى: «يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا خبيثة»[1616]. فهذا أدل دليل على قذارته وإذايته. فليس لأحد أن يقول بضد ذلك وإلا صادر الشارع. ثم هذا في مجرد ما يصل بالمجاورة، فكيف بمن التقم جعبة استجمعته بقوته من أصل مادته مع قذارة العشبة وغمها في دَوَاة حرقها، وذلك كله مما يتكاثف به الدخان ويتقوى بخلاف دخان القين فإنه أخف من هذا بأضعافٍ لأنه يوقد بالفحم الذاهب القُذْرَة والقوة في متقد واسع فيما نعرف، بحيث تتلاشى أجزاؤه في الهواء حتى لا يصل منه إلى الجليس إلا القَذْر اليسير الذي لا يكاد يضر. فافهم ذلك تر العجب. فَثَبَتَ لك بهذا كونه خبيثا مؤذيا مستقذرا.

وإذا ثبت كونه كذلك، حكمنا بتحريمه لقيام علة التحريم به، وبظاهر عموم قوله ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾، بعد قوله ﴿ويحل لهم الطيبات﴾[1617]، وبمفهوم ﴿أحل لكم الطيبات﴾ بعد قوله : ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾[1618]، وأيضا علة الإذن في الغذاء قوام بنية الآدمي ونفعها، والدخان والرماد[1619] انتفت فيهما هذه العلة. وقد تقدم أن علة الإذن متى عدمت ثبت التحريم. وقد مر في القاعدة أولا، والدليل أنه لا نفع فيه حديث القين المتقدم، بل الثابت فيه المضرة، وقوله تعالى : ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾[1620] شبه ما يضمحل ويذهب في الدخان بالباطل. وذلك لا ينفع الناس. وأما ما ينفع الناس من الماء والحلية، فيمكث في الأرض. ومن كلام العرب قول أبي العلاء[1621] : [الوافر]

(1616) رواه البخاري ومسلم بألفاظ مختلفة، ولفظ البخاري في «كتاب الذبائح» من «**صحيحه**» : «مثل جليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحْذِيَكَ وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة» («**صحيح البخاري**»، ج 3، ص. 224).

(1617) **سورة الأعراف**، الآية 157.

(1618) **سورة المائدة**، الآية 5.

(1619) في نسخة : والدماء.

(1620) **سورة الرعد**، الآية 19.

(1621) هو الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، المولود بمعرة النعمان سنة 363هـ، والمتوفى بها سنة 449هـ. له ديوان «**سقط الزند**» الذي جمع فيه ما نظم في شبابه، وديوان «**اللزوميات**» الذي جمع فيه ما نظم في كهولته. وله مؤلفات نثرية من أهمها «**رسالة الملائكة**»، و«**رسالة الغفران**» (انظر ترجمة مفصلة له في كتاب «**تجديد ذكرى أبي العلاء**» للدكتور طه حسين، ص. 110 فما بعد).

وَعِيشَتِي الشَّبَابُ وَلَيْسَ منها صِبَايَ ولا ذَوَائِبِيَ الهِجَانُ
وكَالنَّارِ الحياةُ فَمِنْ رَمَادٍ أَوَاخِرُها وأَوَّلُهَا دُخَانُ[1622]

يقول : لست أعتدُّ بأول عمري حين كنت صبيا، ولا بآخره حين كنت هرما، وإنما أعتد بوسطه وهو عصر الشباب؛ كما أن النار لا ينتفع بأولها لأنه دخان ولا بآخرها لأنه رماد، وإنما ينتفع منها بما كان بين الطرفين. ومن ذَمِّهِ أيضا قول امرئ القيس[1623]: [الطويل]

حملت رُدَيْنِيّاً[1624] كأن سِنَانَه سنا لهب لم يتصل بدخان[1625]

وقد لقيت ببلدنا حين وردته أعرابيا له سمت، لكنه عَامِيٌّ فسألته هل كان يشربها؟ فقال لي : معاذ الله، دخان في مزمار عار في عار. والعرب ـ لنصاعة أفهامها وذكاء فطنها ـ يكثر عثورها على الصواب في الأشياء ببداهتها.

ولو لم يكن فيه إلا أن الله تعالى لم يذكره إلا بصفة العذاب، ونبيه ﷺ لم يذكره إلا بصفة الإذاية، لكفى في ذمه. وأما قول أبي فراس[1626] :

وأنا الذي مَلأت البسيطة كلَّها ناري وطَنَّبَ في السماء دُخاني[1627]

فكناية عن كثرة أضيافه[1628] المستلزمة[1629] لكثرة جوده، لا مدح الدخان لذاته وكم من مثل هذا في كلامهم.

(1622) «شرح التنوير على سقط الزند»، ج 1 (مطبعة مصطفى محمد بمصر، 1358هـ، صص. 62-63).

(1623) هو الشاعر الجاهلي المعروف، واسمه : جندح بن حُجْر بن عمرو الكندي (انظر ترجمته في : «الشعر والشعراء»، صص. 36-50).

(1624) ردينيا : أي رمحا رُدَيْنِيّاً، والرمح الرديني منسوب إلى امرأة تسمى رُدَيْنَة، وزعموا أنها امرأة السمهري، وكانا يقومان القنا بخَطِّ هَجَر («لسان العرب»).

(1625) «ديوان امرئ القيس»، ج 2، ص. 477 ؛ و«العمدة»، ج 2، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. 5، دار الجيل، بيروت، 1981م - 1421هـ، ص. 64.

(1626) هو الشاعر العباسي أبو الحارث بن أبي العلاء ابن عم سيف الدولة، المعروف بأبي فراس الحمداني، ولد بمنبج سنة 320هـ وتوفي سنة 357هـ (انظر ترجمته في «تاريخ الأدب العربي» لأحمد حسن الزيات، صص. 303-306).

(1627) ورد هذا البيت في النسخ المعتمدة هكذا :
أنا الذي ملأتُ بنار البسيطة كلها وخيم في السماء دخان
والتصويب من شرح ديوان أبي فِراس الحمداني العباس إبراهيم (دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 1994).

(1628) في النسخ المعتمدة : كثرة مضيافه.

(1629) في النسخ المعتمدة : المستلزم.

وكلُّ ما يَذْكُرُ لها شَرَبَتُها من المنافع قضت تجربة ما يقرب من عشرين سنة بكذبه، وإدمانهُم لها على سبيل الوَلوع والتسلط مكذب لهم في كل ما يدعون، إذ لو صح ذلك لاقتصروا به على وقت الحاجة كسائر العلاجات، لكنهم لم يفعلوا فبان افتضاحهم.

وبدليل آخر مَبْنَاه(1630) على العلة الثانية، وهي الضَّرَرُ وإذاية النفس. إن الله تعالى إنما خلق النار ودخانها وسمومها عذابا لمن شاء في الآخرة من عصاته، أو استحقه بلسان الشرع من أعدائه، فثبت بذلك أن اجتراع النار وسمومها ودخانها تعذيب للنفس وإيلام لها، وتعذيب النفس وإيلامها في غير مصلحة حرام، علم ذلك من دين الأمة ضرورة كتابا وسنة. وقد قال في «**الجواهر**» بعد ذكر الأطعمة المعتادة : «وما خرج عن(1631) المعتادة، فكان نجسا أو مُضِرّاً، فلا يوكل». انتهى.

فإن قيل : شَرَبَتُها لا يتألمون، قلنا : ذلك لِألفته كما قيل : [الطويل]

ألِفتُ الضَّنَى لما تطاول مكثه ... فلو زال عن جسمي شكته الجوارح

والألفة لا تبيح المضرة، وأيضا فالفقهاء اتفقوا على أن دخان الأفران والحمامات يضر بالحيطان والمباني وهي جماد ووجب عندهم قطعه، لكونه ضررا بها. فلأن يحكم بقطعه عن الأبدان اللطيفة التي هي أوعية أنوار الإيمان والأركان الشرعية من باب أحرى. فهاتان علتان قضتا بتحريمها، وهو الذي تحققته وتقلدته.

وأما الثالثة، وهي الإسكار، فنادر فيها. وقد أخبرني رجل أعرف دينه وصدقه أنه شربها مرة فأسكرته فلم يعد إليها. فينبغي أيضا ـ بمقتضى هذه العلة ـ تحريمها

(1630) في نسخة : ومبناه.

(1631) في نسخة : من المعتادة.

سدا للذريعة كما في الخليطين[1632] على قول الإمام، وكما في الحشيشة[1633] على قول المنوفي.

وأما ما يقوله بعض الطلبة من أنها من أعشاب الأرض، وكلها حلال، فهو مما لربيعتها[1633م]، ولسنا فيه، إن لم تكن سما كما أخبرني صاحبنا الطالب الورع النجيب أحمد بن علي الهشتوكي[1634] من طلبة مراكش عن الفقيه العلامة الثقة أبي محمد عبد الله بن طاهر الحسني السجلماسي[1635] نزيل مراكش[1636] عن بعض كتب ابن سينا[1637]. والله أعلم بذلك.

الفصل الثاني فيما سمعت فيها وفيما جر إليه، واقتصرت فيه على ما تقوم به الحجة من أهل الدين والورع. فمن ذلك ما أخبرني به الأستاذ عبد العلي بن عبد الرحمان الدرعي أنه رأى بدرعة سؤالا ذكروا أن أهل فزان كتبوه لإمام مصر في وقته وعالمها المعتمد في قطره الفقيه الجليل العالم الكبير القدوة الشيخ سالم السنهوري،

(1632) روى مالك في «**الموطإ**» عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ نهى أن يُنبَذ البُسْر والرُّطَبُ جميعا، والتمر والزبيب جميعا. وروى عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ نهى أن يُشرَب التمر والزبيب جميعا، والزَّهْوُ والرُّطَب جميعا. قال مالك : وهو الأمر الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا، أنه يكره ذلك لنهي رسول الله ﷺ عنه («**شرح الزرقاني على الموطإ**»، ج 4، صص. 168–169). وفي «**مختصر**» خليل – ممزوجا بـ«**شرح**» الدردير – : «ومن المكروه شرب شراب خليطين خلطا عند الانتباذ أو الشرب كتمر أو زبيب مع تين أو رطب، وكحنطة مع شعير أو أحدهما مع عسل أو تمر. ومحل الكراهة حيث أمكن الإسكار ولم يحصل بالفعل» («**حاشية**» الدسوقي، ج 2، ص. 104) ا ومثله في «**مدونة**» سحنون، ج 4، ص. 410.

(1633) جعل المنوفيّ الحشيشة من المسكر، وجعلها القرافي من المخدر. والفرق بينهما أن المسكر يحرم قليله وكثيره، غيب العقل أو لم يغيبه، والمخدر – ومثله المرقد – لا يحرم منه إلا ما أثر في العقل (انظر: «**حاشية**» الدسوقي، ج 1، ص. 46).

(1633م) كذا في النسخ المعتمدة.

(1634) لعله البوسعيدي الهشتوكي، نزيل فاس، المتوفى سنة 1046هـ (انظر «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، صص. 155–157؛ و«**فهرست الفهارس والأثبات**»، ج 1، صص. 248–249؛ و«**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 370 وغيرها).

(1635) هو الشيخ العلامة، أشهر علماء تافيلالت في عصره، عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي المتوفى سنة 1044هـ/1634م (انظر ترجمته ومصادرها في : «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 522).

(1636) قضى بمراكش سنوات «**الحركة الفكرية**»، ج 2، ص. 522.

(1637) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا، المولود بالقرب من بخارَى سنة 370هـ/980م، والمتوفى بهمذان سنة 428هـ. وخلف نحو 276 كتاب ورسالة (انظر ترجمته في «**تاريخ الفلسفة العربية**» للدكتور جميل صليبا، ص. 203 فما بعد).

فأجابهم بحرمة شربها وحرمة بيعها وزراعتها وأن يزجر الولاة عنها. وهو إن ثبت أنه خطه وهو الغالب أو كالمقطوع به لبعد الإستخراق[1638] في باب الدين إمام يقتدى به ويلزم اتباعه فيما أفتى به في الحوادث لتقدمه في العلم وإمامته، وقد انتشر بذلك ذكره إلى أقصى بلاد المغرب، ولعلماء مصر مزيد تقدم في الاِقتداء قديما وحديثا، وجل عمدة المغاربة على كتبهم في الأصول والفروع، ووجه ما أفتي به من تحريم شرب دخانها بين مما ذكرناه من العلل.

وأما حرمة بيعها وزراعتها، فلعدم النفع فيها كما قال الفقهاء في حرمة بيع الحشرات ومُحَرَّمٍ أشرَفَ[1639].

وأما الزجر عنها، فلأنها من المفاسد التي يزجر عنها متعاطوها كالحشيشة، ويعزرون على القول بعدم إسكارها. واستنباطُ العلماء مما تَثْبُتُ به[1640] الأحكام. ففي «سماع» ابن القاسم : قال مالك : بلغني أن رسول الله ﷺ قال في اليوم الذي توفي فيه: وقف على بابه فقال: «إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه يا فاطمة بنت رسول الله، ويا صفية عمة رسول الله اعْمَلا لما عند الله، فإني لا أغني عنكما من الله شيئا»[1640م].

قال القاضي أبو الوليد بن رشد رحمه الله : هذا الحديث يدل على صحة قول الله عز وجل : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1641]، وقال: ﴿تِبْيَاناً لكل شيء﴾[1642]. والمعنى في ذلك أن الله عز وجل نص على بعض الأحكام وأجمل القول في بعضها، وأحال على الأدلة في سائرها بقوله: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[1643]. فبين ﷺ ما أجمل الله في كتابه كما أمره بقوله : ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[1644]. فما أحل ﷺ أو حرم ولم يوجد في

(1638) المراد بالإستخراق : اختلاق الكذب. يقال : خرَق الكذب، وتَخرَّقه، وخرَّقه بمعنى اختلقه، ومنه قوله تعالى : ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾ (سورة الأنعام، الآية 101).

(1639) أي محرم أكله ـ كحمار ـ أشرف على الموت، لعدم الإنتفاع به. قال خليل متحدثاً عن شروط المعقود عليه : «وانتفاع لا كمحرم أشرف» («حاشية» الدسوقي، ج 3، ص. 9).

(1640) في النسخ المعتمدة : تثبته، ولا يستقيم معه المعنى المراد.

(1640م) انظر ص. 498.

(1641) سورة الأنعام، الآية 39.

(1642) سورة النحل، الآية 89.

(1643) سورة النساء، الآية 82.

(1644) سورة النحل، الآية 44.

القرآن نصا، فهو مما بين من مجمل القرآن أو علمه بما نصب من الأدلة فيما شهر[1645]. وهو عجيب فتأمله.

ومن ذلك ما أخبرني به الزاهد الصالح المعمر سيدي عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن داود المصمودي أن بعض أصحاب صالح زمانه وسيد وقته شيخنا أبي محمد عبد الله بن المبارك بن علي ابن الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن المبارك الأقاوي قال: لما وردت هذه العشبة من بلد[1646] السودان وأكبت العامة عليها، أشار إِلَيَّ بشر بها اختبارا لعل أن يكون فيها من نفع، فتناولتها أياما، فسألني عنها، فقلت له : لم أجد لها فائدة بل اَلْقَى[1647] في تجرعها شَقَاء ورخوة في مفاصلي وضعفا في قوتي، ونقصا في شهوتي وهيجان سعلتي[1648] هذا الذي تحدث في البدن، فنهاني عنها وهو إمام يُقتدى به في قطرنا، أخذ عن فقيه جزولة الإمام القدوة العلامة أبي عبد الله مَحمد بن إبراهيم بن عمرو[1649] بن طلحة بن محمد بن سليمان ابن عبد الجبار الجزولي التمنارتي عن الفقيه أبي علي الحسن بن عثمان بن عبد الله الجزولي التاملي[1650] المقدم على الكل في عصره عن الشيخين الإمامين القدوتين أبي عبد الله بن غازي المكناسي، وأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي الفاسي.

ومن ذلك ما أخبرني به الأستاذ عبد العلي بن عبد الرحمان الدرعي. وله جولة في بلاد جزولة. قال : لقيت بها الزاهد السائح المعمر يعقوب بن الحسن التهالي. فقال لِي : جلست مجلسا مع قطب زمانه وأعجوبة وقته الشيخ الكامل الرباني العارف بالله أبي العباس أحمد بن موسى بن عمر بن عيسى بن أبي بكر الجزولي السملالي رضي الله عنه ونفعنا به، فكان مما أخبرني به أن قال : «سترد عليكم من جهة القبلة عشبة يشربون دخانها في جِعَاب لا يشربها إلا أصحاب الشمال». وهو رضي الله عنه لا تصدر عنه قولة ولا فعلة ولا حركة ولا سكون[1651] إلا كان لها أصل من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ أو سيرة سلف الأمة وحكمهم، فَهِمَ ذلك من سيرته من

(1645) في النسخ المعتمدة : شهي.

(1646) في نسخة : بلاد.

(1647) في نُسخة : بل الملقى. وفي نسخة أخرى : بل الشقاء. وما أثبتُه هو الذي ينسجم مع السياق.

(1648) في نسخة : ورخوة في مفاصلي شهوتي وهيجان علة سعلتي..

(1649) في النسخ المعتمدة : عمر. وهو خطأ.

(1650) سقط من نسخة : التمنارتي عن الفقيه... الجزولي. وهو سهو من الناسخ.

(1651) في النسخ المعتمدة : سكونة

وفق. وأصل هذا قوله تعالى ﴿وأصحاب الشّمال ما أصحاب الشّمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم﴾[1652].

وهو ـ رضي الله عنه ـ ممن يُجرِي الله الغيب على لسانه، وما زالت مخبراته تقع على نحو ما أخبر. وقد أخبرني الرجل الصالح محمد بن إبراهيم الهلالي يعرف بوخشاش عن رجل من قريتهم، أنه قال : ذهبنا ثلاثةَ نفر لزيارة هذا الشيخ حياته[1653]. فلما أتيناه، جلسنا ببابه ننتظره. فلما خرج، قال لنا : قبل كل شيء من عضه كلب مكلوب[1654] رَبَط على موضع العض ثوما أربعين ليلة يَبْرَأ، فسكتنا ولم يسأله منا أحد ذلك ولا مشيرا إليه فيه. فبقينا حتى انصرفنا عنه، فمات بعد ذلك صاحباي ومات الشيخ، فبقيت أنا حتى مضت ست وثلاثون سنة فعضني الكلب المكلوب، فحملني أهلي إلى البحر. فلما كنت في بعض الطريق، تذكرت قول الشيخ فرجعت وقلت لأهلي : تذكرت كذا قاله لنا الشيخ سنة كذا حين زرناه، ففعلت ما قال، فبرئت. ومثل هذا كثير منه رضي الله عنه.

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا أحمد بن علي الهشتوكي، وكان من طلبة مراكش المتمسكين، أن بعض أهل الفضل شكا، فأشير إليه[1655] بشربها، [قال][1656] : فعزمت فرأيت في النوم قائلا يقول لي : إنها توقف عن الشهادة فتركتها.

ويؤكد هذا ما أخبرني به الزاهد المعمر المتجرد محمد بن إبراهيم بن موسى الطيبي، وكان من تلاميذ الشيخ الكامل الرباني أبي العباس سيدي أحمد بن موسى الجزولي رضي الله عنه ونفعنا به، قال : سمعت ممن أثق به أن حفيد الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى أبا[1657] القاسم بن عبد الله بن أحمد كان مولعا بها فمرض في مدينة[1658] مراكش مرض وفاته فرأى بعضُ جيرانه الشيخَ رضي الله عنه، أعني جده

(1652) سورة الواقعة، الآيات 43-47.

(1653) في نسخة : جولته.

(1654) المراد بالكَلْب المكلوب : الكَلْب الكَلِب، أي الذي أصابه سُعار، وداء يشبه الجنون، يسمى الكَلَب.

(1655) كذا في النسخ المعتمدة، والصواب : «عليه».

(1656) لم يرد «قال» في النسخ المعتمدة. والسياق يقتضيه.

(1657) في نسخة : أبي القاسم. وفي نسخة أخرى : بن أبي القاسم. والصواب ما أثبتُّه، لأن أبا القاسم بدل من : حفيد الشيخ، وهو منصوب.

(1658) في نسخة : بمدينة.

المذكور، أتاه في مضجعه فجعل يستل[1659] من فيه مثل حبل أسود شيئا فشيئا حتى عقبه خيط أبيض فقطعه فمات، فكأنه ـ رضي الله عنه ـ تداركه فنزع ما يمنعه الشهادة.

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا وبلديُّنا أبو القاسم بن عبد العزيز ابن الفقيه الإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الجزولي التامانارتي قال : أصابتني مرضة فأشير إليَّ[1660] بشربها فرأيت في النوم شخصين ذهبا بي إلى النار. فإذا قربت منها، تشهدت فيرداني ففعلا بي ذلك مرارا، ثم قال أحدهما للآخر : أمنعته الشهادة أن يصل إليها فعسرت[1661] علي، فأدنياني منها حتى أيقظني حرها وقبح رائحتها، فإذا رائحتها كرائحة هذه العشبة، أعني دخانها. قال : فتركتها لهذا الزاجر.

وقد سمعت من الناس في هذا النوع ما لا أستحصيه لكن اقتصرت لك فيه على ما تقوم به الحجة.

وما يحكى عن شربتها عند احتضارهم وبعد موتهم من اسوداد وجوههم وسيلان غِسْلِينِها[1662] من أفواههم وقبح صورهم يكفي زاجرا. نعُوذ بالله مما يشين العاقبة[1663].

فتن التبغ

ثم فيها وراء هذا كله فتن ظاهرة، منها : 1) فتنة استعجال النار. قال الله تعالى : ﴿يوم هم على النار يفتنون، ذوقوا فتنتكم. هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾[1664]؛ 2) ومنها فتنة الصد عن ذكر الله، لأن الشيطان سول لهم شربها في الغالب في حق من لم يُدْمِنْهَا في أول النهار وآخره، وعند النوم، وعند القيام منه، ليصدهم بذلك عن الأذكار الطيبة التي وردت في تلك الأوقات العزيزة عن صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه. فحرموا بذلك القدر الذي يكون به المرء من جملة

(1659) في نسخة : يسل.

(1660) كذا في النسخ المعتمدة. والصواب : علي.

(1661) في نسخة : فتعسرت.

(1662) الغسلين : ما يُغسل من الثوب ونحوه، وورد في القرآن (سورة الحاقة، الآية 36) بمعنى صديد أهل النار ـ حسب تفسير ابن عباس (انظر «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزابادي، ص. 454). والمراد بالغسلين هنا دخان التبغ إذا انعقد وصار مثل القطران.

(1663) سقطت لفظة «العاقبة» من نسخة.

(1664) سورة الذاريات، الآيتان 13ـ14.

الذاكرين الله كثيرا حسبما أفتى بذلك[1665] ابن الصلاح حين سئل عن القدر الذي يدخل به المرء من جملة الذاكرين الله كثيرا؛ 3) ومنها فتنة المقاطعة : فإن من يتناول الأشياء الخبيثة المنتنة التي تؤذي المسلمين يهجرونه من أجلها، أو يؤمر هو بهجرانهم لئلا يؤذيهم فيورث[1666] ذلك البغضاء المحرمة، وإلى الحذر من هاتين الفتنتين أشار الحق سبحانه بقوله : ﴿إنما يريد الشيطان أن يُوقِعَ بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون﴾[1667]؛ 4) ومنها فتنة اللهو، وقد ذم الله سبحانه اللهو[1668] في غير ما آية من كتابه[1669]، وأخرج النسائي والترمذي وأبو داوود عن عقبة بن عامر[1670] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته»[1671]؛ 5) ومنها فتنة الخَبَل: فإن الفقهاء إنما منعوا شهادة ذوي الحرف الدنيئة لكونها تزرع خَبَلا[1672] في عقولهم؛ 6) ومنها فتنة التشبه بأهل النار، ومن تشبه بقوم أوشك أن يكون منهم[1673]. قال الله العظيم : ﴿لهم شراب من حميم﴾[1674]، وقال الشيخ أبو بكر بن العربي في قوله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء

(1665) في نسخة : به.

(1666) في النسخ المعتمدة : فيوثر.

(1667) سورة المائدة، الآية 93.

(1668) في النسخ المعتمدة : في اللهو.

(1669) من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ (سورة الأنعام، الآية 70)؛ وقوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا أولئك لهم عذاب مهين﴾ (سورة لقمان، الآية 5).

(1670) صحابي جليل، توفي في خلافة معاوية على الصحيح. وكان قارئا عالما بالفرائض، والفقه، فصيح اللسان، كاتبا شاعرا. (انظر ترجمته في «الإصابة»، ج 2، ص. 489، رقم 5601 ؛ و«الإستيعاب»، ج 3، ص. 106).

(1671) حسَّنه الترمذي؛ ورواه أيضا الحاكم، وقال : صحيح الإسناد؛ ورواه البيهقي من طريق الحاكم (انظر: «تحفة الأحوذي»، ج 3، ص. 6).

(1672) في نسخة : خللا.

(1673) روى أحمد وأبو داود والطبراني (في «الكبير») عن أبي منيب الجُرَشيّ مرفوعا : «مَن تشبه بقوم، فهو منهم». (انظر: «الشذرة»، ج 2، ص. 161، رقم الحديث 941).

(1674) سورة الأنعام، الآية 70؛ وسورة يونس، الآية 4.

بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾[1675] : قال حذيفة[1676] : «وما الدخان يا رسول الله ؟ قال : دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب أربعين ليلة ويوما. أما المومنون، فيصيبهم منه كهيأة الزكام. وأما الكافر، فيصير بمنزلة السكران يخرج من منخره وأذنه ودبره»[1677]. انتهى. وأنت إذا تأملت هذه الصفة وجدتها عين صفة[1678] شربتها. نعوذ بالله من النار وأسبابها؛ 7) ومنها سقوط المروءة التي عليها ابتناء جميع الآداب الشرعية التي قليل العمل معها خير من كثيره دونها، وقد قال بعض الصالحين في وصية ابنه : اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا؛ وإذا ذهب أدب المرء بذهاب مروءته، صدق عليه قوله ﷺ : «إذا لم تَسْتَحِ[1679] فاصنع ما شئت»[1680].

ومَن شاهد حالَهم في ذلك في أزقة الحواضر والبوادي عرف ما أُشرنا إليه، وعلم أنها من فتنة آخر الزمان. نسأل الله السلامة والعافية لديننا وآخرتنا.

هذا ما انقدح لمحبكم في آفاتها واعتصمت في ذلك كله بالكتاب والسنة، إذ

(1675) سورة الدخان، الآيتان 9–10.

(1676) هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان العبسي (ض) صاحب سر رسول الله ﷺ، وأحد كبار الصحابة. توفي سنة 36هـ (انظر ترجمته في «الإصابة»، ج 1، صص. 317–318 ؛ و«الإستيعاب»، ج 1، صص. 277–278).

(1677) هذا الحديث أخرجه ابن جرير في «تفسيره» من حديث ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان مرفوعا، بلفظ : «يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوما وليلة. أما المومن، فيصيبه منه كهيئة الزكمة؛ وأما الكافر، فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره». وإسناده ضعيف، بل قال ابن كثير في «تفسيره»، ج 4، ص. 139 : «إنه موضوع بهذا الإسناد». لكن الحافظ ابن حجر ذكر روايات أخرى ضعيفة لهذا الحديث. وقال : «لكن تظافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلا» (انظر «تحفة الأحوذي»، ج 4، ص. 181).

(1678) سقطت لفظة «صفة» من إحدى النسخ.

(1679) في النسخ المعتمدة : تستحي. وما أثبته هو الصواب.

(1680) أخرجه البخاري في «صحيحه»، في «كتاب الأدب»، باب «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، من حديث رِبْعِي بن حراش بلفظ : «إن مما أدرك الناس من كلام النبوَّة الأولى : إذا لم تستَح فاصنع ما شئت» (انظر «صحيح» البخاري، ج 4، ص. 49). وقد نظم بعضهم معنى هذا الحديث فقال :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بَقِيَ اللِّحَاء

لا مطمع لأحد في محاجتهما. وقد قال الشيخ ابن عطية[1681] رحمه الله : حدثني أبي رحمه الله قال : سمعت الفقيه الإمام أبا عبد الله المعروف بالنحوي[1682] المجاور بمكة ـ شرفها الله ـ يقول : من نازع أحدا من الملحدين، فإنه ينبغي أن يرد عليه بالقرآن والحديث، فيكون كمن يدعو إلى الهدى بقوله تعالى : ﴿له أصحابٌ يدعونه إلى الهدى ايتنا﴾[1683].

قلت : وفي «الحلية»[1684] لأبي نعيم : سال رجل يحيى بن يحيى الخراساني عن ست مسائل فأجاب فيها، ثم سأل عنها محمد بن أسلم فأجابه بخلاف ما أفتاه به يحيى بن يحيى، فرفعها السائل إلى يحيى بن يحيى فأمره بطاعة محمد بن أسلم والأخذ بفتواه، فقال له : لماذا ؟ فقال له : لأنه احتج بحديث رسول الله ﷺ، وهذا شأن المشفقين من علماء الآخرة على هذه الأمة في دينها.

وأما قولكم : «وأتتنا فيها أبيات من تامنرت ذكر لنا أنها لبعض القضاة من هلالة[1685] لا نعرف اسمه وإن مطلعها قوله : [الطويل]

بدت بسماء الطيب نزهة رامق
فدان[1686] لها طوعا شعاع الشوارق»[1687]

(1681) هو أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة 546هـ صاحب تفسير «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». وقد ترجم له ترجمة واسعة الدكتور عبد الوهاب فايد في رسالته : «منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم». وانظر ما نقل عنه التمارتي في «المحرر الوجيز»، ج 6، ص. 80.

(1682) هو أبو عبد الله النحوي المري، المعروف بالجاحظ، إمام الحرم المكي، أخذ عنه والد ابن عطية ـ وهو غالب بن عطية المتوفى سنة 518هـ ـ بمكة (انظر ترجمة غالب بن عطية في «طبقات المفسرين» للداودي، ج 2، صص. 26-27).

(1683) سورة الأنعام، الآية 71.

(1684) «حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء» للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة 430هـ. وقد طبع بمطبعة السعادة بمصر عام 1351هـ/1933م.

(1685) في نسخة : سلالة. وهو خطأ.

(1686) في نسخة : بدار. وهو خطأ.

(1687) ومما ورد في هذه القصيدة التي ذكر ابن أبي محلي في «الإصليت الخريت» (ص. 166) أنها مشهورة بالمغرب، قوله :

ومن يعتقد تحريمها فهْوَ قائل ... بوهم ولا يَجِد له مِن مُوافق
فعندِيَ مِيزان يفرق بينها ... وبين ذوات السكر عند الحقائق
فما غيَّبَ العقل المنير بسكره ... ونشوته فهْو الحرام لذائق =

فاعلم أن قائل تلك المزلة هو سعيد بن أبي بكر بن عمر الهلالي[1688]، ليس بقاضيهم، ولا هو معروف بفقه ولا طب، ولا هو من أهل رَدٍّ ولا قَبول. نشأ بمدينة تارودانت، وتعلم بها مبادئ العربية لا غير، ثم استكتب لبعض شرطها، غير معدود من جملة فضلائها، ثم رحل منها نُزُولَ الوباء بها لوادي درعة، وبقي هناك حتى توفي رحمه الله بقرية تفروت[1689] سنة اثنتي عشرة، أو في التي تليها، بعد ألف. ومطلعه ينبئك عن غايته : فإنه ادعى أن ذلك الدخان من نوع الطيب الذي استعار لجنسه السماء، وسماه «نزهة رامق»، أي يعجبه، وأنه أشرق حتى خضع لإشراقه شعاع النيرات. وهذا كله يكذبه فيه الحس والعيان: فإنه لا مناسبة بين هذا الدخان وبين الطيب ولا بين الرامق والطيب، ولا إعجاب فيه لرامقه سينه وإظلامه ولا علاقة بينه وبين النور الذي ادعى أنه من جنسه، لأنه مظلم والنور مضيء، فهو ضده، فلم يكن لشيء من تلك الإستعارات وجه ولا علاقة. ومثل هذا مرفوض في اللسان لا متساخه وعدم ملاءمته. فلو قصد بكلامه التهكم الذي لا يراد به مدلول اللفظ، لكان أولى به، وحمله على ذلك فرط الجهل بقواعد اللسان حتى لم يميز بين ما يتلاءم في الطبع وبين ما يتنافر فيه، وهكذا سائر أبياته. فابتعد منها : فليس لها ظل ولا جنى : [الطويل]

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جَنىً ... فأبْعَدَكُنَّ الله من سمرات[1690]

= **فيحرُم منه القتلُ والكُفرُ واعتقد ... نجاسته والحدُّ فيه لفاسق**
وما غَيَّبَ الإحساس من دون نشوة ... وغَيَّب عقلا فهو شَيْنُ الخلائق
فتحريمُه أيضا روينا مُشْهَرا ... لما حل بالْجَنَانِ منه المفارق
على العقل دار الحكم في كل مسكر ... تفطَّنْ لما في فقهنا من طرائق
وَزَنْتُ بميزان الشريعة حُكْمَها ... فألفَيْتُ مَن قد عابها مثل وَاشِق
وكل الذي قلنا خلَتْ منه إنما ... تُحَذِّر جسما هل لِذا مِن مُشاقق
ولله قوم سلموا وتوقفوا ... ولم يذكروا عيبا لنزهة رامق

(عبد المجيد القدوري، «ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت»، ص. 167).

(1688) سبق إيراد قصيدة له في رثاء القاضي سيدي سعيد الهوزالي في ص. 103.

(1689) في نسخة : بقروت. ولعله : تمجروت.

(1690) البيت للخنساء ولم يرد في «ديوانـ»ـها ويُروى : «فأبعدكن الله من سَرَحات». كما يُروى «من شجرات». قال أبو زيد الجشتيمي :

أود صديقي في الرخاء وفي الغِنَى ... وإن لم يكن لي من صداقته غَنَا
وما كنت كالخنساء في سُخْق قولها ... إذا لم يكن فيكن ظلٌ ولا جَنَى

وغايته أنه يحاول، بمجرد التمويه، تقرير مفسدة يجب دَرْؤُهَا عن الدين[1691]، ولم يعلم ما يلزمه فيها. وقد قال القرافي رحمه الله : «من أقر المفسدة من غير تقليد صحيح ولا اجتهاد معتبر، فهو عاص»[1692].

ولو أنصف في وصفها، لقال : [الطويل] نظم في ذمّ الدخان

دخـان خبـيث منتــن متولــع ... به وسموم في اللَّهَـا[1693] متــبشع
شفـاهٌ لمُصٌ والخيــاشم وَيْلَهــا ... فويــلٌ لها مما تمص وتجــرع
إذا قذفتــهُ في الـحَشَا قَذْفَ الحشا ... حشائِـــيَ منها أرؤسٌ تتصدَّع
وأفئــدةٌ مثــل الليــالي صدورُهــا ... وأحشاؤها تحكـي العَـرِيش[1694] وأضْلُـعُ
وأنديـــةٌ مستقـــذرات كأنها ... على أخبثيها[1695] والضلالُ مُنَـوَّع
كأني بمن غدا لها متجرعــــا ... يُدان[1696] تجَرَّعْ بالـذي تتَجَـرَّعُ
لَعَمْـرُك ما شُربُ الدخـان بِمُنْـبِتٍ ... سوى نكَـد يغلي[1697] الحلال ويولــع
وقـد جزعت منـا القلــوب لأنها ... إذا ما جست أجناسهـا تتوجــع
نعــوذ برب النـاس من كل فتنــة ... وكل خبـيث بالخبـائث مُولَــع
فلا تَعدِلَنْ عن سنــة الله في الغِـذَا ... فتصبـحَ في الأدواء تبلى وتبلــع

وقولكم : «وقد كان أخونا ومحبوبنا ومحبوبكم سيدي محمد بن عبد الله بن محمد نظم عليها قطعة يذكر بعض منافعها وعللها، ومنعه من إخراجها ما جرى على ألسنة الناس من تحريمها، وقد كتب لسيدي يحيى بن عبد الله بن سعيد بذلك فيما قرب ولم يأته جوابه بعد أن ذكر له أنه أجاب له في ذلك، وإنما تعلق بحفظكم من قصيدته قوله : ألا إنما التقبيح للشرع لا العقل».

(1691) من القواعد الأصولية المشهورة قاعدة «دَرْءُ المفاسد مقدم على جلب المصالح» (انظر: «إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك»، القاعدة 34، ص. 219).

(1692)

(1693) اللَّهَا : جمع لَهاة، وهي اللَّحمة المشرفة على الحَلْق.

(1694) العريش : المراد به هنا المطبخ التقليدي الذي يَسْوَدُّ عادة بالدُّخان.

(1695) المردا بالأخبثين : البول والغائط. قال ابن عاشر رحمه الله في «المرشد المعين» :

وبجبُ استبــرَاءُ الأخبثيــن مَعْ ... سَلْتٍ ونثــرٍ ذكَــرٍ والشَّدّ دَعْ

(«حاشية الشيخ محمد الطالب على شرح ميارة على المرشد المعين»، ج 1، ص. 181).

(1696) يُدَان : يُجَازَى (أي يجازى يوم القيامة بأن يقال له : تجرعها كما كنت تتجرعها في الدنيا).

(1697) في نسخة : يقلي.

هذا المحب عرفته في صفاء حالة ومتانة دين. والمظنون به أن لا يخوض فيما ليس له به علم، وأن لا يعد نفسه فيمن سن سنة سيئة[1698]أو دعا الأمة إلى مفسدة. وقد رجوت من إنصافه بعد مطالعة ما أجبناك به أن يسلك واديَ الأنصار وشِعْبَهـا، ويـدع الإبـلَ والشاءَ وجَرَبَهـا[1699]، وقولـه : «ألا إنما التقبيـــح للشرع لا العقل» يلوح منه أنه لم يدرك تقبيح الشرع للدخان. وبمطالعة ما أجبناك به يدركه إن كان منصفا، لأن القبيح المنهي عنه ولو بدلائل العموم، فكيف إذا صرح الشارع به كما تقدم في حديث القَيْن وظواهر القرآن في النهي عن الخبائث والإذايات.

وأما كتبه في ذلك لسيد وقته وفريد قطره سيدي يحيى بن عبد الله بن سعيد ابن عبد المنعم ـ أبقى الله بركته وأدام كرامته[1700] ـ، فصواب لأنه من العلم والورع الذي هو ملاك الدين بحيث يقتدى به، ولا سيما والوقت خال من مثله أو كاد، لكن لا أراه يجيبه إلا بمثل ما أجبتك به أو أوضح، وأُعِيذه بالله أن يرعى الناقة وقد أمسك بخِطَامِهَا فيما يقتل أو يُلِمُّ[1701]، أو يُورِدها مورد هيام، أو يبركها في مبارك العدو، هذا آخر ما فتح الله لك على يد هذا المذنب وفيه. وقد اعترف أنه لم يكن أهلا لما كلفته، ولا قدر أن يفتي بما أملته :

(1698) يشير إلى قوله ﷺ : «مَنْ سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرُها وأجر مَن عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومَن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (رواه مسلم في «كتاب العلم» و«كتاب الزكاة» من «صحيحه»).

(1699) يشير إلى ما رواه البخاري في «كتاب المغازي» من «صحيحه»، عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : «لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال : يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أَمَنُّ، قال : ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ قال : كلما قال شيئا، قالوا : الله ورسوله أَمَنُّ. قال : لو شئتم، قلتم : جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؛ لولا الهجرة، لكنت امرأ من الأنصار؛ ولو سلك الناس واديا وشعبا، لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شِعَارٌ، والناس دِثَار. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» («صحيح» البخاري، ج 3، ص. 150؛ وانظر أيضا «صحيح» مسلم، «كتاب الزكاة»).

(1700) سقط من نسخة : وأدام كرامته.

(1701) يُلِمُّ : يقرب من القتل. وفي الحديث : «وإن مما يُنْبِتُ الربيعُ ما يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ. قال أبو عبيد : معناه : أو يقرب من الموت («لسان العرب»، مادة «لمم»).

ولكـــن البـــلاد إذا اقشعَـــرَّتْ وصَوَّحَ نَبْتُهـا رُعِـــيَ الهشيم[1702]

فتند بالطل حتى تجد الوابل، وخذ المعْزى حتى تنزل بالإبل، وأستغفر الله من زللي، وأستعيذ بوجهه من شر نفسي وسَيِّئ عملي. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد المختار وعلى آله وأصحابه المهاجرين والأنصار، صلاة دائمة، بدوام الليل والنهار. وقيده محبكم وملتمس صالح دعائكم عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد التامانارتي مَنْشأً ومولدا التارودانتي دارا ومحتدا. تاب الله عليه وغفر له ولوالديه ومشايخه. آمين.

ثم ورد علينا من فقيه درعة أبي زيد بن عبد الكريم العقبي جواب بخلاف ما حررناه، ونصه بعد السؤال :

جواب أبي زيد العقبي الدرعي بحلّية التبغ

«وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وبعد؛ فإن شراب دخان تبغ حلال ولا يُحَرِّمُ ذلك إلا من كان جاهلا بالأحكام الشرعية. قال الله تعالى : ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به﴾[1703]، وقال تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾[1704] وقال ﷺ : «كل ما أسكر[1705] فهو حرام»[1706]. وهذا[1707] هو المحرم، ومن حرم غير هذا ففي مثله يقول الله[1708] تعالى : ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع قليل، ولهم عذاب أليم﴾[1709]. قال تعالى : ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، إن تتبعون إلا الظن، وإن أنتم إلا

(1702) سبق أن هذا البيت لأبي علي البصير (انظر ص. 405، هامش 1085).

(1703) **سورة الأنعام**، الآية 176.

(1704) **سورة النحل**، الآية 8.

(1705) في نسخة : كل مسكر.

(1706) رواه البخاري في «كتاب الأدب» من «**صحيحـ**»ـه، الباب 80 بلفظ : «كل مسكر حرام» («**صحيح**»البخاري، ج 4، ص. 49) ؛ ورواه أيضا في «كتاب المغازي»؛ ورواه الإمام مالك في «**الموطإ**» بلفظ : «كل شراب أسكر، فهو حرام» («**شرح الزرقاني على الموطإ**»، ج 4، صص. 169-170)؛ ورواه مسلم في «كتاب الأشربة» من «**صحيحـ**»ـه بألفاظ مختلفة.

(1707) في نسخة : هذا.

(1708) سقطت لفظة «الله» من نسخة.

(1709) **سورة النحل**، الآيتان 116-117.

تخرصون﴾[1710]، وقال تعالى : ﴿فَمَن[1711] أظلم ممن افترى على الله كذبا لِيُضِلَّ الناس بغير علم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1712]، وهذا كله دليل على عدم حرمة[1713] تبغ، ولكن الناس اليوم ياكلون الحرام البين، ويحرمون الحلال البين. نسأل الله السلامة والعافية[1714] في الدنيا والآخرة. آمين. من محبكم وداعي الله في صلاح أحوالكم، أخيكم[1715] في الله أبي[1716] زيد بن عبد الكريم الدرعي العقبي».

وتقيد إليَّ تحته ما نصه :

«يتأمل سيدي الجواب فوقه ويفيدنا ما اقتضاه نظره فيه. فقد ورد علينا، وهو منسوب لفقيه درعة سيدي أبي زيد بن عبد الكريم العقبي فشوش عامتنا بعد اطِّرَاحهم للدخان المذكور في جوابكم. والله يبقيكم لإيضاح مشكل الحوادث، ويقيكم شر كل حاسد وعاند ونافث».

رد التمنارتي على هذا الجواب

فجاوبته بما نصه :

«الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله، النبي الذي إليه المفزع في أول الأمر ومآله. أما بعد؛ فجواب الفقيه أبي زيد سددني الله وإياه لجادة التقوى، وجنبنا جميعا طرق الاِعتساف ونوال[1717] جرف[1718] الهوى، هو جواب إجمال صدر على غير تأمل. إذ لو تأمل، لأخذ تحريم الدخان من عين الآية، لأن الحكم إذا علق بوصف أشعر بعليته به[1719]، فإن الرجس في كلام العرب بمعنى القذر أو العذاب، وكلا الوصفين في هذا الدخان: فهو قذرٌ وخبيث بشهادة الحس، وعذاب بشهادة القرآن، وإذاية بشهادة السنة في قوله ﷺ : «مثل الجليس السوء كنافخ الكير يحرق

(1710) سورة الأنعام، الآية 149.

(1711) في النسخ المعتمدة : ومن. وهو خطأ.

(1712) سورة الأنعام، الآية 145.

(1713) في نسخة : تحريم.

(1714) في نسخة : العافية والسلامة.

(1715) في النسخ المعتمدة : أخوكم.

(1716) في النسخ المعتمدة : أبو.

(1717) كذا في النسخ المعتمدة.

(1718) في نسخة : حرف.

(1719) يقول الأصوليون : «إن التعبير بالمشتق يؤذن بعليَّة ما منه الاشتقاق» (انظر: «أصول التشريع الإسلامي» لعلي حسب الله، ص. 148).

ثوبك شره أو تؤذيك منه رائحة خبيثة»[1720]، وفي رواية : «أو يؤذيك بدخانه»، ولَعَلِمَ أن الحصر في الآية مطرح. فقد ذهب قوم من المفسرين إلى أن السنة نسخت هذا الحصر[1721]، وذهب آخرون إلى أنها وردت على سبب، فلا تقتضي الحصر، ولَعَرَفَ ما لزمه من نسبة رسول الله ﷺ إلى الكذب نعوذ بالله، لأن النبي ﷺ حرم أشياء ليست في الآية كلحوم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع[1722]، ولَزِمَهُ أيضا ـ بمقتضى فهمه من الآية ـ تحليل البول والعذرة وسائر النجاسات والسموم وسائر المضار، وذلك كله حرام بمقتضى الكتاب والسنة. وبذلك تعلم أن سنته ﷺ شرح للقرآن، وأقوال علماء الأمة شرح للسنة كما قال ذلك الشافعي رضي الله عنه[1723]. وقد تقدم هذا المعنى في جوابنا الأول، ولَزِمَه أيضا بمقتضى فهمه نسبة القرآن الحكيم الذي فيه نبأ ما قبلنا ونبأ ما بعدنا وحكم ما بيننا حسبما خرجه الأئمة في الصحاح[1724] إلى القصور وهو يصدع بقوله : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1725]، ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾[1726]، إذ زعم على ما يلوح من جوابه أن هذا الدخان لم يقع له حكم في القرآن. إذ لو وُفِّقَ، لأخذ له التحريم من الآية بعينها، لتعليق حكم التحريم بعلة الرجس، كما قدمناه.

(1720) سبق تخريج هذا الحديث في ص. 479، هامش 1616.

(1721) قال ابن العربي في «**أحكام القرآن**» (ج 2، ص. 765): «المسألة الرابعة : اختلف العلماء في هذه الآية على ثلاثة أقوال : الأول أنها منسوخة بالسنة، وحرّم النبي ﷺ لحوم الحمر الأهلية، وحرّم كل ذي ناب من السباع، وذي مِخْلَب من الطير، خرجه الأئمة كلهم... إلخ».

(1722) قال رسول الله ﷺ : «... ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع...» (رواه أبو داود والترمذي بسند حسن. انظر: «**تحفة الأحوذي**»، ج 3، صص. 78-79). وروى مسلم عن ابن عباس قال : نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير».

(1723) انظر «**الإتقان**»، ج 2، ص. 126.

(1724) أخرجه الترمذي في «**جامعه**» عن الحارث الأعور عن علي (ض) قال : «أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ألا إنها ستكون فتنة»، فقلت : «ما المَخْرَج منها يا رسول الله» ؟ قال : «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم... الحديث». قال الترمذي : «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال» (انظر: «**تحفة الأحوذي**»، ج 4، ص. 52).

(1725) سورة الأنعام، الآية 39.

(1726) سورة النحل، الآية 89.

وقد نص عز الدين بن عبد السلام[1727] على أن الشيء إذا وصف بكونه رجسا أو خبيثا أو قذرا أو عذابا، فهو على التحريم. ونصه :

وكل فعل طلب الشرع تركه أو ذمه، أو ذم فاعله، أو عتب عليه، أو مقت فاعله أَوْ شَبَّهه بالبهائم أو بالشياطين، أو جعله مانعا من الهدى أو من القبول أو وصفه بسوء أو كراهة، أو استعاذ منه الأنبياء، أو أَبْغَضُوهُ[1728]، أو جعل[1729] سببا لنفي الفلاح أو العذاب عاجلا أو آجلا، أو لِهَمٍّ أو لِذَمٍّ أو ضلالة أو معصية، أو وصف بخبث أو رجس أو نجس، أو بكونه فسقاً، أو إثما أو سببا لإثم أو رجس أو لعن، أو غضب أو زوال نعمة أو حلول نقمة أو حد من الحدود أو قسوة أَوْ خِزْيٍ أو ارتهان.

إلى أن قال آخر علل التحريم :

فهو دليل على المنع، ودلالته على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة.

انتهى المقصود منه. وهذا كله دليل على حرمة دخان تبغ، لأنه من ثُفْل[1730] النار، دخان منتن خبيث قاهر للروح مُؤْذٍ للنفس، وللظاهر والباطن، وعذاب مؤلم جمعت أكثر العلل التي ذكر ابن عبد السلام علة للتحريم مع عموم قوله : ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾[1731]. فإن العام نص في أفراده الجلية والخفية، ومن زعم أنها لم يوجد لها حكم من القرآن، فقد جهل السلف العارفين بمعانيه.

كل ما هو موجود مذكور في القرآن

وقد نقل السيوطي في «الإتقان» عن ابن عباس أنه قال : لو ضاع لي عقال بعير، لوجدته في القرآن[1732]. وقال الشافعي رضي الله عنه : ما نزل بأحدنا نازلة[1733] في الدين إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها[1734]، وقال مرة بمكة : سلوني عما شئتم أخبركم عنه في كتاب الله، فقيل له : ما تقول في محرم قتل زنبورا؟ فقال : بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه

(1727) انظر ترجمته في «طبقات الشافعية» للسبكي، ج 5، ص. 80.
(1728) في نسخة : أو بغضوه.
(1729) في النسخ المعتمدة : أو فعل. وهو تحريف.
(1730) ثُفل كل شيء وثافله : ما استقر تحته من كَدَره.
(1731) سورة الأعراف، الآية 157.
(1732) «الإتقان»، ج 2، ص. 126.
(1733) في «الإتقان» : «ليست تنزل بأحد في الدين نازلة».
(1734) انظر: «الإتقان»، ج 2، ص. 126.

فانتهوا﴾[1735]، وحدثنا ابن عيينة[1736] عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ أنه قال : اقتدوا باللذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر، وحدثنا سفيان عن[1737] مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل المحرم الزنبور[1738].

ومثل هذا ما رواه البخاري[1739] عن ابن مسعود أنه قال : «لعن الله الواشمات[1740] والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات[1741] للحسن المغيرات خلق الله»[1742]. فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، فقالت : بلغني[1743] أنك تلعن كيت وكيت، فقال[1744] : ما لي[1745] لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله[1746]، فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه كما تقول، فقال : لئن

(1735) سورة الحشر، الآية 7.

(1736) في «الإتقان» : سفيان بن عيينة.

(1737) في النسخ المعتمدة : بن. والتصويب من «الإتقان».

(1738) «الإتقان»، ج 2، ص. 126.

(1739) في «الإتقان» : وأخرج البخاري عن ابن مسعود.

(1740) في النسخ المعتمدة : الواشمة. والتصويب من «صحيح» البخاري.

(1741) في النسخ المعتمدة : والمفلجات. والتصويب من «صحيح» البخاري.

(1742) في «الإتقان» : خلق الله تعالى.

(1743) في «الإتقان» : فقالت له إنه بلغني.

(1744) لم يرد في «صحيح» البخاري : «فبلغ ذلك امرأة من بني أسد... إلى : فقال» : «ولكن ورد في الباب 84 (ج 4، ص. 31) عن علقمة قال : لعن عبد الله الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. فقالت أم يعقوب : ما هذا؟ قال عبد الله : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله. قالت : والله لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدته. قال : والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.

(1745) في «الإتقان» : وما لي.

(1745) في «الإتقان» : وما لي.

(1746) انظر «صحيح» البخاري، «كتاب اللباس»، الباب 85، ج 4، ص. 31 ؛ والباب 87، ج 4، ص. 32. والواشمة هي التي تغرز الإبرة في جلدها وتذر النيلج عليه؛ والمستوشمة هي التي تطلب أن يفعل بها الوشم؛ والمتنمصة هي التي تتزين بنتف ما ينبت من شعر في وجهها؛ والمتفلجة هي التي تباعد ما بين أسنانها. فإن كان تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة سمي فَلَجاً، وإن تكلف سمي تفليجاً. («لسان العرب»، مادة «فلج»).

كنت قرأتيه[1747] لقد وجدتيه[1748]، أما قرأت ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؟ قالت : بلى! قال : فإنه نهى عنه[1749]. انتهى.

وحكى ابن سراقة[1750] عن ابن مجاهد أنه قال : كل شيء في العالم، فهو في القرآن[1751]، فقيل له : فأين ذكر الخانات فيه ؟ فقال في قوله : ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم﴾[1752] فهي الخانات. وقال ابن مرجانة[1753] : ما قال النبي[1754] ﷺ من شيء فهو في القرآن أو فيه[1755] أصله قرب أو بعد، وكذا كل ما حكم أو قضى به، فهمه[1756] عنه من فهمه وعَمِه عنه مَن عَمِه[1757]، وإنما يدرك الطالب منه[1758] بقدر[1759] اجتهاده، ومبلغ وسعه وفهمه[1760]، ويؤيد هذا قوله ﷺ : «إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه[1761] ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه» رواه الشافعي بهذا اللفظ[1762]، وفي «سماع» ابن القاسم، قال مالك : بلغني أن رسول الله ﷺ قال في اليوم الذي توفي فيه، وقف على بابه فقال : «إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه، يا فاطمة بنت رسول الله[1763]، ويا صفية عمة رسول الله ! اعملا لما عند

(1747) في النسخ المعتمدة : قرأته.

(1748) في النسخ المعتمدة : وجدته.

(1749) «الإتقان»، ج 2، ص. 126.

(1750) في نسخة : وحكى ابن رشد.

(1751) في «الإتقان» : وحكى ابن سراقة في كتاب «الإعجاز» عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوما : ما من شيء في العالم، إلا وهو في كتاب الله.

(1752) سورة النور، الآية 29.

(1753) في «الإتقان»، ج 2، ص. 126 : وقال ابن برهان.

(1754) في نسخة : النبيء.

(1755) في نسخة : وفيه.

(1756) في «الإتقان» : ففهمه.

(1757) في النسخ المعتمدة : وغمه من غمه.

(1758) في «الإتقان» : من ذلك.

(1759) في نسخة : قدر.

(1760) في «الإتقان» : وبذل وسعه ومقدار فهمه.

(1761) لم يَرد هنا «في كتابه» في «الإتقان».

(1762) في «الإتقان»، ج 2، ص. 126 : أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في «الأم».

(1763) في نسخة : ﷺ.

الله، فإني لا أغْنِي عنكما من الله شيئا»[1764]. قال ابن رشد : هذا الحديث يدل على صحة قول الله عز وجل : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1765]، ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾[1766].

والمعنى في ذلك أن الله نص على بعض الأحكام وأجمل القول في بعضها، وأحال على الأدلة في سائرها بقوله : ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[1767]، فبين ﷺ ما أجمله الله في كتابه كما أمره بقوله : ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[1768]، فما أحل أو حرم ﷺ ولم يوجد في القرآن نصا، فهو مما بين من مجمل القرآن أو علمه بما[1769] نصب من الدلالة فيه. انتهى.

وأيضا ـ أيها الفقيه ! ـ قد علمت أن الفقهاء اتفقوا على أن دخان الأفران والحمامات يضر بالحيطان والمباني وهي جماد، ووجب عنهم[1770] قطعه عنها لكونه إضرارا[1771] بها. فَلَأَن يحكم بقطعه عن الأبدان اللطيفة لذلك من باب أولى.

وأما ما أورده من الآيات في نسبة من حرم ذلك الدخان إلى الكذب على الله تعالى[1772] والافتراء عليه في أحكامه، فإنما يلزم فيه هو؛ لأنه حلل بلا دليل، إذ يجب عليه الإتيان بالمخصص للعام المذكور وهو قوله : ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾[1773] لشهادة[1774] السنة التي لا يسعه إنكارها بخبث الدخان، أو بدليل طيبوبة[1775]

(1764) سبق إيراد هذا الحديث في ص. 483.

(1765) سورة الأنعام، الآية 39.

(1766) سورة النحل، الآية 89.

(1767) سورة النساء، الآية 82.

(1768) سورة النحل، الآية 44.

(1769) في نسخة : مما.

(1770) كذا في النسخ المعتمدة. ولعله : عندهم.

(1771) في نسخة : ضررا بها.

(1772) سقط «تعالى» من نسخة.

(1773) سورة الأعراف، الآية 157.

(1774) في نسخة : لشدة. وفي نسخة أخرى : لشهرة، وما أثبته هو المناسب للسياق.

(1775) في النسخ المعتمدة : طيبوبة.

دخان تبغ بعينه حتى يندرج في عموم : ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾[1776] جواب ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾[1777].

وأما من حرم، فقد حرم بالدليل الذي لا يجوز إهمال مقتضاه بحال، لأن التوقف في بعض أفراد العام إما تحكم أو حمل للنص على الإجمال مع بيانه في أفراده، وذلك إلحادٌ أوْ تحريف. وليس الاِندراج في العموم من قبيل القياس بل من قبيل النص لاستغراق أفراده.

ثم الآيات المذكورة إنما نزلت في الرد على المشركين في تحريم السائبة[1778] وأخواتها التي أنزل الله تحليلها في كتابه[1779]، فهم متعرضون عليه، رافضون لأحكامه مفترون عليه. ومحرم دخان تَبَغ ما حرم شيئا أنزل الله تحليله في كتابه : فهو قياس غير جامع وهو باطل.

وما رأيت من يفتي بحلية هذا الدخان الخبيث إلا من كابر أو بهت[1780] من طلبة البادية كأبي زيد العقبي المذكور، وأحمد البوسعيدي الدرعي[1781]، وصاحب «**الإستخدامات والعزائم**» أحمد بن عبد الله الساوري[1782]، في أشباههم ممن ليسوا

(1776) **سورة المائدة، الآية 5.**

(1777) **سورة المائدة، الآية 5.**

(1778) السائبة : هي الناقة التي كان الجاهليون يسيبونها لآلهتهم، فلا يحملون عليها، ولا ينتفعون بها. وأول من سيَّب السوائب هو عمرو بن عامر الخزاعي ـ كما ورد في الحديث (انظر «**تفسير ابن كثير**»، ج 2، ص. 107).

(1779) قال تعالى : ﴿ما جعل الله من بَحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (**سورة المائدة، الآية 105**). والبحيرة : فعيلة بمعنى مفعولة، من بَحَر أي شق، وذلك أن الناقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقوا أُذُنَيْها وتركوها ترعى، ولا ينتفع بها («**التسهيل لعلوم التنزيل**»، ص. 190)؛ والوصيلة : الناقة التي تلد ذكرا وأنثى في بطن واحد، فقد كان الجاهليون يقولون : وصلت الناقة أخاها، فلم يذبحوها ولم ينتفعوا بها (**المصدر السابق**، ص. 190)؛ والحامي : هو الفحل الذي نتج من صلبه عشرة بطون، إذ كانوا يقولون : حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه (**المصدر السابق**).

(1780) بهت : حار.

(1781) هو قاضي درعة أحمد بن محمد البوسعيدي. انظر ما قاله بشأن حِلِّيَّة دخان التبغ عند عبد المجيد القدوري، «**ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت**»، صص. 183-189.

(1782) مراده أحمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي محلي. وقد تقدمت ترجمته. وهو الذي حمل التبغ إلى مصر في رحلته الحجازية الثانية عامي 1013-1014هـ («**الحركة الفكرية**»، ج 1، ص. 247) وكان مدمنا على التدخين، ويقول بحليته، ويناقش آراء القائلين بتحريمه، وقد شرح وجهة

بأهل[1783] رد ولا قبول؛ وإلا الفقيه المحدث أحمد ابن الحاج أحمد بن عمر[1784] السوداني المعروف ببابا. وهي زلة منه وغفلة.

وأما أئمة الأمصار، وهداة الأقطار، الذين يجب الِاقتداء بهم، فكلهم أفتوا بتحريمها بأدلة واضحة مبنية على أصول الكتاب والسنة. فمنهم عالم المدينة المشرفة وإمامها أبو العباس الخفاج، وإمام مكة ـ شرفها الله ـ وعالمها الشيخ خالد المكي، وقدوة مصر وعالمها المعتبر الشيخ سالم السنهوري حياته، وتلميذه فقيهها في الوقت أبو سالم سيدي إبراهيم اللقاني[1785]، وقطب تونس أبو الغيث[1786] نفع الله به، وأعجب بقطعة وردت عليه من المغرب، في تحريمها ذكرها اللقاني[1787] في كراسة فتواه. وهؤلاء[1788] أئمة المغرب من فقهاء مدينة فاس كتب إلينا عنهم صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم بن غازي السوسي الحامدي[1789] سجلا ملؤوه بأدلة تحريمها، وحرروها[1790] أتم تحرير؛ وفقيه سجلماسة وصالحها عبد الرفيع : له في تحريمها كراسة جيدة طالعتها، وله مقدمة في التصوف مليحة، والملك العادل الصالح العالم ملك المغرب أبو العباس المنصور لما ذكرت في مجلسه قال : يكفي في

= (انظره في سؤال رفعه إلى سالم السنهوري وسائر فقهاء المالكية والشافعية بمصر، وسماه «**الحكاية الأدبية، والرسالة الطلبية، مع الإشارة الشجرية**» (انظره بتمامه في كتاب «**ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت**»، صص. 155–178).

(1783) في نسخة : من أهل.

(1784) كذا في النسخ المعتمدة، والصواب أحمد ابن الحاج أحمد بن أحمد بن عمر. وقد سبقت ترجمته، وهو من المدمنين على التدخين، والقائلين بحليته. وله فتوى في الموضوع حررها بتاريخ 19 جمادى الثانية 1016هـ/11 أكتوبر 1607م، وسماها «**اللمع في الإشارة إلى حكم طبغ**»، وتوجد منها نسخة مخطوطة في خزانة تامكروت ضمن مجموع مخطوط يحمل رقم 2999 («**دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتامكروت**» للأستاذ محمد المنوني، ص. 200).

(1785) هو قاضي القضاة بمصر برهان الدين إبراهيم بن محمد اللقاني المغربي الأصل. ولد سنة 817هـ وتوفي سنة 896هـ (انظر ترجمته في «**نيل الإبتهاج**»، ص. 58 ؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 258).

(1786) هو أبو الغيث المعروف بالقشاش التُونسي، مهر في علم التفسير والحديث والأصول، وتوفي بتونس في سنة 1031هـ («**شجرة النور الزكية**»، صص. 292–293، رقم 1122).

(1787) سقط من نسخة : «وقطب تونس أبو الغيث... (إلى) ذكرها اللقاني».

(1788) في النسخ المعتمدة : وهذا.

(1789) وهو عالم أديب ناثر شاعر، ثار في تلمسان على الترك، فقتل («**رجالات العلم العربي في سوس**»، ص. 38).

(1790) في نسخة : وحرروه.

تحريمها كونها ضررا للبدن مثل ضرر المباني بالأدخنة، وفقهاء جزولة المعتبرون كالفقيه أبي الحسن علي بن أحمد الجزولي الرسموكي[1791]، والفقيه أبي محمد عبد الله بن يعقوب السملالي، في آخرين[1792].

ويلزم أبا ريد في مقتضى ما ذكر في جوابه تضليل كل هؤلاء الأئمة ونسبتهم للكذب على الله في أحكامه وذلك باطل لأنه يؤدي إلى تضليل الأمة لاقتدائها بهم، وهو باطل لحديث[1793] «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله»[1794].

ولنختم هذا الجواب بفتوى الآخر من الأئمة المذكورين وهو الفقيه الصالح أبو محمد عبد الله بن يعقوب الجزولي السملالي لتأخر فتواه عن فتاويهم فكان كالجامع للكل. ونصها[1795] :

سُئِلَ ممسكه عما هو المُعوَّل عليه عند أئمة الوقت من أهل الدين المتين، والعلم الرصين، في دخان هذه العشبة التي عمت البلوى بها إلا من عصمه الله: هل الحلية أو التحريم ؟ فأجاب ـ والله ولي التوفيق، وهو الهادي بفضله من يشاء إلى سواء الطريق ـ : إن المعول عليه في تلكم العشبة المسماة تُبَغ عند علماء العصر ممن ارتضيت ديانته واشتهرت درايته : التحريم، أفصحوا بذلك إفصاحا، وصرحوا به تصريحا لمن لقيهم مشافهة، وكتبا لمن نأى وطنه عنهم ولم يُساعد بلقياهم. فهذا الشيخ الإمام سيدي أبو العباس أحمد الخفاج فقيه طيبة، ومنبع العلوم الدينية المحمدية، على سيدنا ومولانا محمد أفضل الصلاة والسلام، أفتى بتحريمها. ومفتي مكة أعزها الله الشيخ خالد المكي[1796] أفتى بتحريمها أيضا، وهذا إمام مصر ورئيس علمائها الشيخ الإمام أبو إسحاق سيدي إبراهيم اللقاني

(1791) يرفع نسبه إلى رَكَراكَة فيما يذكر، وهو أحد مفاخر جزولة في عصره. توفي سنة 1073هـ («رجالات العلم العربي في سوس»، ص. 34).

(1792) يبدو أن الكلام غير تام إلا إن كان «وفقهاء جزولة» معطوفاً على «فمنهم عالم المدينة»، بالرغم مما فيه.

(1793) في نسخة : بحديث.

(1794) رواه البخاري في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» من «صحيحه» الباب 10، ج 4، ص. 186؛ ومسلم في كتابي «الإيمان»، و«الإمارة» من «صحيحه»؛ والترمذي في «جامعه» بألفاظ مختلفة. (انظر: «الشذرة»، ج 1، ص. 285 مع الهامش 1) ؛ واستدلال التمنارتي بهذا الحديث لا ينسجم كثيرا مع السياق.

(1795) في النسخ المعتمدة : ونصه.

(1796) في نسخة : المالكي.

أفتى بالتحريم وألف فيه تأليفا شحنه بأدلة تقمع أنف كل جريء على محارم الله تعالى وتقصم ظهره، نعوذ بالله من سخطه ومن مقابلة نصوص أئمة شرعه العزيز بالعناد، وعافانا الله من كل بلية إلى الممات وحال الممات وبعده، بحق سيدنا ومولانا محمد ﷺ. وهذه حاضرة المغرب مدينة فاس التي هي مركز العلوم في المغرب[1797]، أفتى علماؤها بالتحريم، ونصوه[1798] في مكتوب لهم في ذلك من غير تلعثم ولا إحجام، واستظهروا عليه بأدلة كثيرة وحجج ساطعة بينة لا يتلقاها بالرد إلا مكابر ومعاند ـ سلمنا الله وألهمنا رشد أنفسنا بفضله. وقد وقفنا على جواب الفاسيين، وما به أجاب المشرقيون. فمن كابر وعاند، فالله ولي الإنتقام منه. وكتب عبد الله بن يعقوب السملالي. انتهى.

فأنت ترى هذا السيد تأدب بالإقتداء بهؤلاء الأئمة إذ هم كالإجماع الذي لا يجوز الضرب في وجهه، لا كأبي زيد العقبي الذي هجم فرمى فأخطأ الهدف. وفقنا الله وإياه للحق واتباعه، وجنبنا الإعتساف والتعصب لأشياعه. قال ذلك وكتبه عبد الله المقصر في حقه عبد الرحمان بن محمد بن أحمد. غفر الله له ولوالديه. آمين.

سؤال في أمور تتعلق بتعليم الصبيان

ومن المهم تعليم الصبيان وتفقد أحوال الولدان. وقد ورد عليَّ سؤال من بعض الدرارين[1799] أثبته وجوابه للنفع به. نصه : «جوابكم في مسائل من الحضار[1800]، منها ما يأخذه معلم الصبيان منهم عند ختمات الأحزاب، ومنها ما يأخذه ممن ولدت في الحومة، ومنها الحطب في كل يوم الأربعاء، أو في كل يوم عود أو أكثر لكل واحد، ومنها الفتوح[1801] حين دخوله يكلف عليهم عشرة دراهم لكل واحد أو أكثر أو أقل، ومنها هل يأخذ ذلك من يد الصبي أو لابد من حضور وليه. ومنها هل يطلقهم في كل ختمة يوما أو ليلة[1802] أو أقل أو أكثر، أو لا يجوز مطلقا.

(1797) في نسخة : بالمغرب.

(1798) كذا في النسخ المعتمدة. ومراده : نصوا عليه.

(1799) كذا في النسخ المعتمدة. ومراده : المشتغلين بتعليم الذَّرَارِي (الصبيان).

(1800) الحضار : تعني هذه الكلمة في اللهجة السوسية : المشارطة في المساجد. وتطلق أيضا على المكان الذي يدرس فيه إمام المسجد التلاميذ. والمعنى الأول هو المراد هنا.

(1801) الفتوح : تعني هذه الكلمة في اللهجة السوسية ـ والمغربية عامة ـ مبلغ، قليل عادة، من المال يُهدَى للفقيه المشارط في المسجد، رغبة في أن يُفتح على التلميذ، ويسهل عليه التعلم. وتطلق لفظة الفتوح أيضا على ما يعطى للفقيه مقابل الرقية.

(1802) كذا في النسخ المعتمدة. ولعله : يوما وليلة.

ومنها إن كان يأخذ منهم عدة معروفة في كل يوم أو في بعض الأيام كدرهم أو عشرة أو ما جرت به عادة بلد من أخذ شيء، ومنها هل يجوز أن يكون ما ذكر عادة أو لا يجوز إلا بشرط، ومنها ما يأخذه منهم في الأعياد هل يسويهم في ذلك أو كل واحد على قدر طاقته، وهل يشترط هذا على آبائهم أم لا ؟ ومنها كم يطلقهم في العيدين[1803]، وعاشوراء، ومولد النبي ﷺ.

ومنها : كم يضربهم على التخلف عن[1804] اللوحة وعليها وعلى الأسوار[1805].

ومنها : هل يطلقهم ليستريح أو لعذر أم لا؟

ومنها : هل له أجرة ما مكث في المرض أو الغيبة بإذن بعضهم أم لا ؟

ومنها : هل يجوز التهاون بالحضار إن وافقوه[1806] على ذلك بمعنى تارة يمكث عندهم، وتارة يشتغل بأسبابه أو يمشي لأولاده بمكان آخر ؟

أجيبوا لنا وأجركم على الله، ولا تنظروا في ذلك إلا وجه الله الكريم ويكون لكم صدقة جارية إن شاء الله. فهذه عادة الدرارين[1807] والناس يقتدون بهم في كل أمر، ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[1808]، ولا يدرون ما الحلال من الحرام في ذلك. والسلام».

جواب التمارتي عن السؤال

جوابه : «وعليكم – ساداتنا – السلام ورحمة الله وبركاته :

أما جواب الأولى، فمواضع الحذقة[1809] معروفة عند أهل ذاك الشأن. أولها إذا عرف الصبي الكتب وأخذ آية من القرآن، فله حذقته؛ وشرطها أن يعرف الصبي

(1803) العيدين : أي عيد الفطر، وعيد الأضحى.

(1804) في نسخة : على.

(1805) الأسوار : تعنى هذه الكلمة في عرف المشتغلين بتعليم وتعلم القرآن. الأحزاب والسور التي سبق حفظها، ويتم استظهارها وإعادة قراءتها على المعلم من حين لآخر، خوفا من نسيانها، ورغبة في رسوخها في الذهن. ونسيانُها والتلعثم فيها قد يُعرض التلميذ للضرب والتأديب.

(1806) في نسخة : إن وافقوا.

(1807) انظر ص. 503 هامش 1799.

(1808) سورة الكهف، الآية 99.

(1809) الحذقة : ما يُعطَى للمعلم إذا قطع التلميذ مرحلة من مراحل تعلمه ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن : يوم حِذَاقِه.

شيئا. وأما إذا لم يعرف الصبي شيئا[1810] لا حروفا ولا هجاء ولا غير ذلك، فلا حذقة[1811] له. قاله سحنون في «**أجوبة القرويين**». الموضع الثاني إذا بلغ سورة الملك[1812]. الثالث إذا بلغ سورة الفتح[1813]. الرابع إذا بلغ سورة مريم[1814]. الخامس إذا ختم القرآن. هكذا عينها القابسي في «**أجوبتـ**»ـه، وقال صاحب «**الحلل**»[1815]: هكذا الحكم إذا كانت القراءة بتلقين، بلا كتب ولا لوح ؛ إلا أن الأولى[1816] تسقط له خاصة.

والحذقة غير محدودة على المشهور، بل يفوض فيها الأمر إلى عرف الناس وعادتهم ومروءاتهم وماليتهم. وقيل : محدودة بثمانية دراهم في الأولى، وبأربعة دنانير[1817] في الثانية، وبثمانية دنانير في الثالثة، وباثنى عشر دينارا في الرابعة، وبستة عشر دينارا في الختم[1818].

وأما أنها عند ختم كل حزب، فلم أقف عليه لأحد. ومن طالعه، فليفدنا وإياكم به. ولعله من المستحدثات التي تحيل بها الشيطان[1819] في سد باب التعليم الذي هو ملاك الدين وعنوان السعادة، فإن الآباء ربما استثقلوا ذلك فيردهم عن تعليم أولادهم كما شوهد ذلك في كثير، والأخذ بالورع في هذا ومثله من وظائف الدين أحسن.

وأما الثانية، فما يأخذه من النفساء جائز بشروط، منها أن لا يكون في خروجهم إذاية لهم، وأن لا يخرجهم حتى يستأذن آباءهم إما عند الوقوع وإما عند المشارطة، وأن يكون ذلك بطيب نفس المعطي، وأن لا يبعثهم حتى يبعث إليه أهل

(1810) سقطت كلمة «شيئا» من نسخة.

(1811) وردت «حذقة» في كل هذه المواضع مهملة الدال في النسخ المعتمدة.

(1812) وهي السورة 67 من المصحف الشريف. والمتعلمون يبدأون من آخر المصحف.

(1813) وهي السورة 48 من المصحف.

(1814) هي السورة 19 من المصحف.

(1815) : «**حلل المقالة في شرح كتاب الرسالة**»» لأبي عمران الزناتي المتوفى سنة 708هـ (انظر «**وفيات**» الونشريسي، ص. 99؛ و«**لقط الفوائد**» لابن القاضي، ص. 167).

(1816) ، الحذقة الأولى التي تعطى على تعلم الكتابة وأخذ آية من القرآن الكريم.

(1817) في نسخة : دراهم. ولعله سبق قلم من الناسخ.

(1818) ما يتعلق بالحذقة أخذه التمارتي من «**الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة**» للشوشاوي، صص. 288- 289.

(1819) سقط «بها الشيطان» من نسخة.

النفساء، وأن يخرجهم في وقت لا يضر بهم كالخميس والجمعة[1820]. وإن اختل شرط منها كان ذلك حراما، مجرحا لفاعله. والحكم في العروس كذلك، حيث جرت به العادة. نص على جميع ذلك الشيخ الصالح سيدي حسين الشوشاوي[1821] ـ رحمه الله ـ في «**فوائده الجميلة، على الآيات الجليلة**»[1822].

وأما الحَطَب، فلم أقف فيه لأحد على شيء. والذي أراه أن حكمه حكم الحذقة، إن جرى به عرف بلد أو شرطه كان له وإلا فلا.

ومما يقرب من ذلك ما أفتى به سحنون في معلم صبيان[1823] : كان يأخذ منهم درهما درهما أو درهمين درهمين كل شهر، أرى[1824] ذلك له بشرط أو عادة، وكذا ما نقل عن ابن يونس من قوله : «وحق الاحضار عندنا عرف جار كالشرط، وأرى أن يُقْضَى به ببلدنا، وكذا قال البرزلي : فيما يأتي به الصبيان من النفساء والعروس ـ أمر معروف عندنا بالقيروان.

فالحاصل أنه إن جرى العرف بذلك كله، فلا بأس به، وكذا كل ما جرى به العرف من نحو ذلك». انتهى. فليتأمل هذا كله في مسألة الحَطب. وقد وقع السؤال عنه في أسئلة الفقيه الصالح سيدي إبراهيم بن هلال بن علي السجلماسي رحمه الله في مسائل أجاب عنها، فلم يجب عنه. فلعله أسقطه الناسخ من المبيضة، أو لم يجده جامع أجوبته. والله أعلم بذلك.

وأما الفتوح، فإنما يقصد به التيمن والتبرك. فلا ينبغي فيه التكليف كما ذكرتم، لأنه فتح لباب الخير. فلا تصلح فيه المشاحة، والناس في ذلك على رغبتهم في الخير وحرصهم عليه. وقد قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه : «بالجود ينفعل الوجود»، فليترك الناس في ذلك على قصدهم، وهذا ما ظهر لي فيه، ولم أطلع الآن فيه لأحد على ما أعتمد. والله يصلح النية في ذلك وفي غيره.

(1820) لأن الدراسة تتعطل في المساجد والمدارس العتيقة يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع.

(1821) هو أبو علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي، دفين أولاد برحيل بقبيلة المنابهة بسوس (انظر: ص. 125، هامش 305).

(1822) وهو مطبوع بتحقيق الأستاذ إدريس عزوزي، انظر منه ص. 295.

(1823) في نسخة : الصبيان.

(1824) لم ترد كلمة : «أرى» في نسخة.

وأما أخذ الشيء من يد المتعلم[1825] : فإن ملك أمر نفسه لكونه كبيرا، فلا كلام؛وإن كان صغيرا، فلا يجوز؛ لأن الصغير لا يجوز قبول هديته، لأنه لا يملك؛ وعلى تقدير أنه يملك، فهو محجور لا تصرف له. فإن أكل المعلم من ذلك شيئا، كان حراما له وجرحة فيه، إلا إن أتى بشيء جرى به العرف من قبل أبويه أو الشرط فلا بأس به. وكل ما فهم أنه رشوة فلا يأخذه لعلل ذكروها من جهتهم ومن جهته. فليجتنب ذلك ففيه السلامة. انتهى من كلام سيدي حسين الشوشاوي ملفقا[1826].

وأما التسريح للحذقة، وهي المقصود بقولكم «في كل ختمة»، فنص صاحب «**الحلل**»على أن ذلك محدث وعطلة لا يجوز للمعلم. نقله عنه صاحب «**الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة**»[1827].

والسابعة والثامنة إن ما جرت به عادتهم ومضى به عرفهم، فهو له كما تقدم عن فتوى سحنون، والعرف في ذلك يجري مجرى الشرط، إلا أن هذا العرف المجرد هكذا ما عرفناه في هذه البلاد. ولا أدري ما سببه حتى سألتم عنه.

والتاسعة والعاشرة، وهو ما يأخذه المعلم في الأعياد والمواسم، فاعلم أن ذلك عطية وتطوع ممن شاء، وهو إحسان[1828] وتكرم من آباء الصبيان. ولم يزل هذا يستحسن في أعياد المسلمين. قال القابسي: هذا إذا لم يكن في عامة الناس فاشيا في العادة. فإذا فشا في العادة وصاروا يرونه واجبا، فهو كذلك، وعليه جلس المعلمون. نص على هذا كله الفقيه الصالح سيدي إبراهيم بن هلال بن علي السجلماسي رحمه الله في أجوبته، ومثله لصاحب «**الفوائد الجميلة**». ونصه :

> وأما ما يأخذه المعلم في الأعياد والمواسم، ففي أجوبة القرويين أن ذلك جائز، ويُقضى به إذا جرى به عرف أو شرط إذا أعطاه الكبير أو والد الصغير. أما إن أعطاه الصغير، فلا يجوز للمعلم أكله لأن الصغير لا يملك، وعلى تقدير أنه يملك فلا يجوز، لأنه محجور لا يجوز تصرفه. فإن أخذه المعلم، فهو جرحة في إمامته وشهادته.

(1825) في نسخة : المعلم. وهو خطأ من الناسخ.

(1826) انظر: «**الفوائد الجميلة**»، صص. 294-295.

(1827) انظر ص. 287. وفيه : «إلا أن يشترط ذلك على الآباء».

(1828) في النسخ المعتمدة : حسن.

انتهى[1829]. فليتنبه[1830] لهذا من كان يصلي بالناس من الدرارين[1831]، ويعلم أن الإمام ضامن خوف أن يحاول قيراطا فيحمل على ظهره جبال الإثم بإبطال صلاة واحدة على المسلمين. ولكن الناس اليوم في غفلة عن[1832] هذا المنصب، والله يعصمنا وإياكم بالتقوى والقناعة.

وأما تسريحهم في الأعياد وما ذكر معه، فنقل صاحب «**الفوائد الجميلة**» عن أبي عمران الفاسي : «لا بأس أن يأذن لهم في عيد الفطر بيوم إلى ثلاثة، وفي عيد[1833] الأضحى إلى خمسة أيام»[1834]. وأما عاشوراء ومولده ﷺ، فلم أقف فيهما الآن على شيء. وقد جرت العادة فيما بلغ علمنا من هذه البلاد بالتسريح اليسير الذي لا يبلغ التسريح في العيدين فيهما، والتسريح في مولده ﷺ أوسع منه في عاشوراء لاختصاصه بمزيد فرح وسرور، لا سيما في الحواضر وأهل العلم والصلاح فيها متوافرون والأمة لا تجتمع على ضلالة[1835].

وأما ضرب الصبيان، فسئل عنه الشيخ الصالح سيدي إبراهيم بن هلال رحمه الله. فأجاب بما نصه : «وأما ضرب المعلم الأولاد، فالصبيان مختلفون : فإن فيهم القوي والضعيف؛ فيضرب كلا على قدر طاقته وعلى قدر جُرْمه. قال القابسي رحمة الله عليه : زجر المتخاذل في ضبطه وفي صفة كتبه بالوعيد والتقريع لا بالشتم. فإن لم يفد القول، انتقل إلى الضرب. والضرب بالسوط من واحد إلى ثلاثة، ضرب يُؤلم[1836] منه دون تأثير في العضو. فإن لم يفد، زاد إلى عشرة. ومن ناهز الحلم منهم وغلظ ظلمه ولم تزعه[1837] العشرة، فلا بأس بالزيادة. والحاصل اعتبار أحوال الصبيان. وقد كان بعض الصلحاء المعلمين يضرب الصبيان نحو العشرين وأزيد. قال القابسي :

(1829) انظر : «**الفوائد الجميلة**»، ص. 294.

(1830) في نسخة : فليتنبه.

(1831) انظر ص. 503، هامش 1799.

(1832) في نسخة : من.

(1833) لم ترد لفظة «عيد» في النسخ المعتمدة. ووردت في «**الفوائد الجميلة**».

(1834) انظر : «**الفوائد الجميلة**»، ص. 286.

(1835) انظر حديث «لا تجتمع أمتي على ضلالة» في «**الشذرة**» (ج 2، صص. 242-243 رقم 1111)، و«هو حديث مشهور المتن، وأسانيده كثيرة، وشواهده متعددة في المرفوع وغيره».

(1836) في النسخ المعتمدة : «يلام منه»، وهو خطأ لأنه من الألم لا اللوم.

(1837) في النسخ المعتمدة : ولم ترعه.

ومن اتصف منهم بأذى أو لعب أو هرب من المكتب، استشار وليه بقدر ما يرى من الزيادة في ضربه قدر ما يطيق. قال ابن عرفة رحمه الله في اختصاره لكتاب القابسي في هذا المعنى : أما في الإذاية فلا يستشير، لأنه حق عليه، واستحب سحنون ــ رحمه الله[1838] ــ أن لا يولي أحد من الصبيان ضرب غيره، وأن لا يضرب وجها ولا رأسا». انتهى.

قال صاحب «**الفوائد الجميلة**» :

وأما الضرب ففيه قولان : قيل [غير][1839] محدود وهو المشهور، وهو موكول إلى اجتهاد المعلم. فيضرب الضرب المتوسط لا شديدا ولا خفيفا. والصحيح عند العلماء أن يختلف باختلاف الصبيان، لأن من الصبيان من لا يمتثل أمر المعلم ولا يهتدي إليه إلا بالضرب الشديد، ومنهم من يمتثل بالضرب الخفيف، ومنهم من يمتثل بالشتم خاصة، فلا يحتاج إلى الضرب أصلا. ومنهم من يمتثل بلا شتم ولا ضرب، فلا يحتاج إلى واحد منهما[1840]. انتهى.

وأصل ذلك في أصل خلق الطبيعة كما أشار إليها أبو الفضل عياض رحمه الله في «**الشفاء**»[1841] بقوله :

وقد نجد[1842] بعضهم يطبع على [بعض][1843] هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها، فيسهل عليه اكتساب تمامها عنايةً من الله تعالى كما نساهد من خلقه[1844] بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة وصدق اللهجة والسماحة، كما نجد[1845] بعضهم على ضدها. فبالاكتساب يكمل ناقصها، وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها، ويعتدل منحرفها، وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها، وكل ميسر لما خلق له[1846]. انتهى.

(1838) سقطت «رحمه الله» من نسخة.

(1839) سقطت لفظة «غير» من النسخ المعتمدة، ووردت في «**الفوائد الجميلة**».

(1840) انظر: «**الفوائد الجميلة**»، صص. 300-301. ونقْلُ التمارتي عن «**الفوائد الجميلة**» كان بتصرف.

(1841) انظر: ج 1، ص. 101.

(1842) في نسخة : تجد.

(1843) سقطت لفظة «بعض» من النسخ المعتمدة، وثبتت في «**الشفاء**».

(1844) في النسخ المعتمدة : خلقة. وما أثبته هو الوارد في «**الشفاء**».

(1845) في «**الشفاء**» : على حسن السمت أو الشهامة، أو صدق اللسان أو السماحة وكما نجد.

(1846) حديث: «كلٌّ مُيسَّر لما خلق له» أخرجه البخاري في «**صحيحه**»، «كتاب التوحيد»، الباب 54، ج 4، ص. 217.

وأما المسألة الثالثة عشرة، وهي : هل يطلقهم ليستريح أو لعذر أم لا ؟ أما التسريح لمجرد الإستراحة، فهو في يوم الخميس ويوم الجمعة، حسبما جرى به العرف في جميع البلاد شرقا وغربا. وأصله[1847] أن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام عام فتحها فغاب فيها شهورا، ثم رجع إلى المدينة وقد استوحش الناس منه، فخرج الناس للقائه، فأول من سبق إليه الصبيان لسرعتهم ونشاطهم، فتلقوه على مسيرة يوم، وكان ذلك اليوم يوم الخميس، فبات معهم في الطريق ليلة الجمعة، ودخل معهم المدينة يوم الجمعة[1848]، قبل الصلاة، فقال للأولاد : أنتم تعبتم يوما في الخروج ويوما في الدخول، وقد جعلت لكم يوم الخميس ويوم الجمعة وقت تسريح وراحة لكم ولمن بعدكم إلى يوم القيامة، فدعا بالفقر لمن أمات سنته، ودعا بالغنى لمن أحيا سنته. انتهى من «**الفوائد الجميلة**»[1849]. و[إحياء][1850] سنته رضي الله عنه بالتسريح[1851] في اليومين المذكورين، وبالقراءة فيما عداهما؛ وإماتة سنته بخلاف ذلك. فمن أقرأ الصبيان في اليومين المذكورين أو زاد عليهما في التسريح الأربعاء ونحوه كما ذكر لي ذلك عن بعض طلبة جبل درن، أصابه الفقر الذي دعا به عمر رضي الله عنه لإماتة سنته، ومن فعل ما أمر به أصابه الغنى الذي دَعَا بِهِ بفضل الله، **فافهموا هذا معشر الدارين[1852] واتقوا دعوته[1853] فإنه كان من مُحَدَّثِي هذه الأمة[1854]**.

وأما التسريح لعذر، فقال أبو عمران : سئل سحنون عن معلم ذهب[1855] إلى قريته فيغيب يوما أو ثلاثة ليصلح ضيعته، فقال: له ذلك، لأنه يجوز للقاضي

(1847) في نسخة : وأما أصله.

(1848) في نسخة : الخميس. وهو سبق قلم.

(1849) انظر ص. 287.

(1850) لم ترد كلمة «إحياء» في النسخ المعتمدة. والسياق يقتضيها.

(1851) في نسخة : التسريح.

(1852) انظر ص. 503، هامش 1799.

(1853) في نسخة : دعوة عمر.

(1854) يشير بذلك إلى قول الرسول ﷺ : «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون. فإن يك في أمتي أحد، فإنه عمر». وفي رواية : «لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمُون من غير أن يكونوا أنبياء. فإن يكن من أمتي منهم أحد، فعمر» (أخرجهما البخاري في «**صحيحه**»، «باب مناقب عمر بن الخطاب»، ج 2، ص. 201). والمُحَدَّث : هو المُلْهَم من الله تعالى، كأن المَلَك يحدثه («**القاموس**»، ج 1، ص. 164، هامش).

(1855) في نسخة : معلم الصبيان ذهب. وفي «**الفوائد الجميلة**» (ص. 286): معلم يذهب.

ذلك فأولى وأحرى المعلم لأن القاضي أجير المسلمين، ولا يُؤْذَنُ له[1856] بأكثر من ثلاثة أيام إلا بإذن آبائهم، بخلاف أيام العيد : فإنه يجوز له بغير إذنهم[1857]، وكذلك مرض الأيام اليسيرة، ولا يحط عنه شيء من الأجرة بذلك. نعم ! إن طال المغيب أو أيام المرض، حط له من الأجرة بحسب ذلك. ولا يخلف لهم بعد انقضاء المدة إن كان الأجل معينا، لما فيه من فسخ الدين في الدين.

قال سيدي إبراهيم بن هلال رحمه الله في «**أجوبتـ**»ـه : وحيث[1858] أبيح له أن يغيب لعذر، فإنه يستخلف كافيا، كما إذا مرض أو غلبه شغل أو نوم. انتهى. وهذا بعينه هو جواب المسألة الرابعة عشرة من مسائلكم.

وأما الخامسة عشرة، وهي قولكم : هل يجوز التهاون بالحضار إلى آخره أم لا؟ فاعلم ـ رحمك الله ـ أنَّ ما كان من ذلك شرطا، وهو حكم حضار هذه البلاد، يجب الوفاء به لقول رسول الله ﷺ : «المومنون عند شروطهم»[1859] ولا تجوز[1860] فيه الخيانة بحال. نعم ! إن وافقه آباؤهم كلهم على الِاستراحة حيث لا تجري به العادة، جاز له ذلك، لأنهم أسقطوا عنه حقهم كما فهم من النقول المتقدمة، ولكن لا ينبغي للآباء والطلبة التمالؤ على ذلك لما يؤدي إليه من التعطيل، ولا سيما على القول بوجوب تعليم الصغار. وقد جرى الأمر بالتهاون بذلك في كثير من القرى، لا سيما أهل الجبال، حتى إن معظم قصدهم في أخذ الطالب[1861] للمسجد إنما هو قراء العقود وكتبها وكتب الدعوات[1862]، فتهمل عندهم صلاة الجماعة[1863]

(1856) في النسخ المعتمدة : لهم، والتصويب من «**الفوائد الجميلة**»، ص. 286.

(1857) في «**الفوائد الجميلة**» : الأعياد فيجوز له ذلك بغير إذن آبائهم.

(1858) في نسخة : واجيب حيث.

(1859) أورده البخاري مُعلَّقا في «**صحيحـ**»ـه، «كتاب الإجازة»، الباب 13، ج 2، ص. 24. ورواه أبو داود وأحمد والدارقطني والحاكم ـ وصححه ـ عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ «المسلمون على شروطهم، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا». وله شاهد عند إسحاق بن راهويه والحاكم عن عوف المزني؛ ولفظه : «المسلمون عند شروطهم، إلا شرطا حرَّم حلالا أو أحل حراما». وأخرجه ابن أبي شيبة عن عطاء قال : «بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : المومنون عند شروطهم» (انظر «**الشذرة**»، ج 2، صص. 132–133، رقم 879).

(1860) في نسخة : فلا تجوز.

(1861) المراد بـ«الطالب» في عرف السوسيين خاصة، والمغاربة عامة، هو إمام المسجد.

(1862) المراد بكتب الدعوات : كتابة التمائم والحروز التي تعلق على المرضى التماسا للشفاء.

(1863) في نسخة : الجمعة.

وتعليم الصبيان وهي غفلة شنيعة أحدثها عليهم الشيطان لعنه الله، وقصد بذلك إضلالهم وإضلال ذريتهم بعدهم نعوذ بالله من فتنته وفتن[1864] آخر الزمان.

وقد ختمت سؤالك[1865] بمسألة التهاون الذي انتهى إليه اليوم أمر الخاصة والجمهور، ودار عليه في هذه الأقطار أكثر الأمور، وأنا أختم لك جوابك بمسألة الجد الذي هو ملاك الصلاح، وطريق الفلاح والنجاح، وذلك أن تعلم أن تعليم كتاب الله نصيحة عامة لله ولرسوله ﷺ ولكتاب الله ولعامة المسلمين وخاصتهم، وقد روينا عن مسلم من طريقة تميم بن أوس الداري[1866] أن رسول الله ﷺ قال : «الدين النصيحة، فقالوا : لمن يا رسول الله ؟ فقال : لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم»[1867]. فتنبه لهذه النعمة العظيمة عليك التي لا نعمة فوقها، وهي أنك شغلت نفسك وأتعبتها وبدنك في نصيحة الله، وفي نصيحة رسول الله، وفي نصيحة كتاب الله، وفي نصيحة عامة إخوانك المومنين، وفي نصيحة خاصتهم، فاستكملت وجوه النصائح كلها بخدمتك الواحدة، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ أبو محمد بن أبي زيد[1868] بقوله : «وأولى ما عُنِيَ به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون، إيصال الخير إلى قلوب أولاد المومنين»[1869].

فإذا فهمت هذه المرتبة الشريفة التي لا درجة فوقها، فاعمل فيها بجدك واجتهادك ظاهرا وباطنا حتى يتقدمنك في مشكاة النبوة سراجها، ويتوهج في صدرك دُرِّيُّها وزجاجها، ويعتدل في تربية ذراريك طبعها ومزاجها، وعِمَاد الأمر التقوى

(1864) في نسخة : وفتنة.

(1865) في نسخة : مسألتك.

(1866) هو أبو رقية تميم بن أوس الداري ـ نسبة إلى الدار وهو بطن من لخم، وقيل نسبة إلى جده : الدار بن هانئ، أسلم سنة 9هـ، وانتقل من المدينة إلى الشام بعد مقتل عثمان (ض)، وسكن بيت المقدس. وتوفي سنة 40هـ. (انظر ترجمته في : «**الإصابة**»، ج 1، صص. 183-184؛ و«**الاستيعاب**»، ج 1، ص. 184).

(1867) أخرجه مسلم في «كتاب الإيمان» من «**صحيحه**»، الباب 22، ج 1، ص. 31 ؛ والترمذي في أبواب البر والصلة من «**جامعه**» (انظر: «**تحفة الأحوذي**»، ج 3، ص. 123) ولفظه : «الدين النصيحة». قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». وفي كتاب «الإيمان من «**صحيح**» البخاري، ج 1، ص. 16 : «باب قول النبي ﷺ : الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

(1868) القيرواني صاحب «**الرسالة**». وقد تقدمت ترجمته في «باب الأسانيد».

(1869) انظر: «**الرسالة بشرح تقريب المعاني**» لعبد المجيد الشرنوبي الأزهري، ص. 6.

و﴿هدى الله هو الهدى﴾[1870]. والسلام. وكتب به مجيبا عبد الله في منتصف ربيع الثاني سنة اثنتين[1871] وثلاثين وألف.

سؤال مهم وجوابه :

ونص السؤال : «جوابكم ـ حفظكم الله ـ في قبيلة عينوا طالبا لرسم وثائقهم نقلا وشهادة بموافقة قضاتهم، ثم إنه رسم رسما تضمن الحبس على الذكور، وفيه شهود، واستمر الحبس نحو سبعين سنة، فقام بعض ورثة البنات يريد فسخ الحبس لكونه بواحد، فقال له الخصم : بذلك جرى عمل بلادنا قديما وحديثا، وعمل قضاتنا في سائر المعاملات للعذر الظاهر في القبائل وقلة العدول والعلم بها، فترافعوا لبعض قضاتهم، ففسخ الحبس لكونه بواحد، فرفعوا أمرهم لأهل العلم ليبينوا لهم وجه الحق والصواب في المسألة».

الجواب ـ والله الموفق للصواب ـ أن من عينه القاضي والقبيلة لما ذكرتم، أو القاضي وحده، أو القبيلة حيث لا قاضي، لا إشكال في صحة نقله واعتماده، سواء كان ذلك بنص أو قرينة على ما تقرر في فقه الوكالة[1872].

وأما إذا لم يعين لذلك، فنقل عن شهود لا تعرف لهم تأدية[1873]، ولا تعرف حالتهم بسخطة أو عدالة، ففي اعتبار نقله وحده قولان نقلهما صاحب[1874] «**أمهات الوثائق**» عن «**أجوبة**» ابن سحنون[1875]. ونص كلامه :

(1870) **سورة البقرة**، الآية 119.

(1871) في النسخ المعتمدة : اثنين.

(1872) في نسخة : الوكالات.

(1873) في النسخ المعتمدة : تودية.

(1874) هو تلميذ الشوشاوي، سيدي داود بن محمد بن عبد الحق التونلي الململي، المتوفى سنة 899هـ (انظر ترجمته في : «**مناقب**» الحضيكي، ج 1، ص. 214؛ و«**المعسول**»، ج 6، ص. 169؛ ج 18، صص. 279-280؛ و«**مختصر أمهات الوثائق**» تحقيق محمد البوشواري، ج 1، صص. 44-53). والقسم الثاني من كتابه «**مختصر أمهات الوثائق**» حققه الطالب الباحث محمد البوشواري، ونال به دبلوم الدراسات العليا في الشريعة، شعبة المعاملات، من كلية الشريعة بأكادير، في الموسم الجامعي 1416هـ/ 1417هـ ـ 1995/ 1996م، وهو مرقون محفوظ بخزانة الكلية المذكورة. والقسم الأول سجله لهذا الغرض نفسه الطالب الباحث المصطفى أبو مروان.

(1875) هو أبو عبد الله محمد بن سحنون، المولود سنة 202هـ، والمتوفى سنة 255هـ. تفقه بأبيه وبغيره، ولم يكن في عصره أحذق منه بفنون العلم. له مؤلفات كثيرة مهمة (انظر ترجمته في : «**ترتيب المدارك**»، ج 4، ص. 204؛ و«**الديباج المذهب**»، ص. 234 ؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 70؛ و«**الفكر السامي**»، ج 2، ص. 99).

وسألته عن شهود[1876] لا تعرف لهم تأدية[1877] الشهادة ولا تعرف حالتهم في السخطة[1878] والعدالة إلا من جهة كاتب رسم الوثيقة[1879] وقد أخبر بصحة ذلك الرسم وعرف خط صاحب الرسم أو جهل، فقيل : لا يعمل به إلا إنْ[1880] كان الناقل عدلا ناقدا[1881] عالما بشروط نقل الشهادة لا يخدع في شهادته ولا يُسْتَمَالُ بالطمع، وكان معه مثله في النقل فقد تم النقل، وإن لم يكن معه غيره فلا[1882]. ولو كان الناقل مثل[1883] عمر بن عبد العزيز، وهو قول مالك وجميع أصحابه، وبه جرى العمل، وقيل : إذا كان الراسم[1884] معلوما في إقليمه[1885]، معروفا في عصره بالعدل كالفقيه القاضي : إذا أخبر بصحة الرسم، صح إخباره وحده كما لو أخبر بلفظه مشافهة أو شهد عدلان على خطه بيده؛ كما أجاز العلماء قاطبة نقل سحنون وحده عن ابن القاسم، ونقل ابن القاسم وحده عن مالك، ونقل مالك وحده عن ابن شهاب، ونقل ابن شهاب وحده عن أبي هريرة، ونقل أبي هريرة وحده عن رسول الله ﷺ[1886]. وهذا القول أيضا يعمل به[1887] عند عدم الإثنين[1888]. انتهى[1889].

فأنت تراه نص على إعمال نقل الواحد عند عدم الإثنين لمكان الضرورة. وعلى هذا القول جرى عمل قضاة البادية، وإن لم يكن مشهوراً للضرورة.

وأنا أزيدك لهذه المسألة وضوحا، لقاعدة ذكرها القرافي في «الذخيرة». ونصه : «رفع المشقة عن النفوس مصلحة، ولو أفضت إلى مخالفة القواعد، وهي ضرورة مؤثرة في الترخيص كالبلد الذي يتعذر فيه العدول. قال ابن أبي

(1876) في «**مختصر أمهات الوثائق**» (ج 2، ص. 482): عن شهود رسم.
(1877) في النسخ المعتمدة : تودية. والتصويب من «**مختصر أمهات الوثائق**».
(1878) في نسخة : في السخط.
(1879) في «**مختصر أمهات الوثائق**» : رسمها.
(1880) في نسخة : إلا إذا.
(1881) في نسخة : نافدا. وهو خطأ.
(1882) في «**مختصر أمهات الوثائق**» : فلا يعمل به.
(1883) في «**مختصر أمهات الوثائق**» : كعمر بن عبد العزيز.
(1884) في النسخ المعتمدة : الرسم، والتصويب من «**مختصر أمهات الوثائق**».
(1885) في النسخ المعتمدة : في إقليم. والتصويب من «**مختصر أمهات الوثائق**».
(1886) في «**مختصر أمهات الوثائق**» : «نقل سحنون وحده عن ابن القاسم وحده، عن مالك وحده، عن ابن شهاب وحده، عن أبي هريرة وحده، عن النبي ﷺ».
(1887) في النسخ المعتمدة : وهذا القول يعمل به أيضا. والتصويب من «**مختصر أمهات الوثائق**».
(1888) في «**مختصر أمهات الوثائق**» : عدم اثنين.
(1889) انظر: «**مختصر أمهات الوثائق**»، تحقيق محمد البوشواري، ج 2، ص. 482.

زَمَنين[1890] : يقبل أمثلهم حالا لأنها ضرورة، وكذلك يلزم في القضاة وولاة الأمور، ثم قال : وكلّ مَن ولِي ولاية ـ الخلافةَ فأدناها إلى الوصية ـ لا يحل له أن يتصرف إلا على وجه [جلب][1891] المصلحة أَوْ دَرْءِ[1892] المفسدة لقوله ﷺ : «من وَلِيَ من أمور أمتي شيئا ولم يجتهد لهم ولم ينصح، فالجنة عليه حرام»[1893]. ثم قال : قال إمام الحرمين : «إن شغر الزمان على الإمام[1894]، انقلبت أحكامه إلى أعلم ذلك الزمان، لأن قضيتي الدليل استواء الناس؛ لكن لما كان ذلك يؤدي إلى التشاجر، خص به أفضلهم وهو الإمام؛ فإذا تعذر، انتقل لأعلمهم دفعا للفساد بحسب الإمكان على أتم طريق. فهذه القاعدة مجمع عليها.

وعنه أيضا نص ابن أبي زيد في «النوادر»[1895] على ما إذا لم يجد في جهته إلا غير العدول، أقمنا أصلحهم وأقلهم فجورا للشهادة عليهم. ويلزم مثل ذلك في القضاة وغيرهم لئلا تضيع المصالح. زما أظنه يخالفه أحد في هذا، فإن التكليف مشروط بالإمكان. انتهى المقصود منه.

ومن القواعد التي تنبني عليها مسألتك إجازة مالك رضي الله عنه شهادة غير العدول على السراق والمحاربين فيما أخذوه من الأموال لتعذر العدول في مظانهم وشهادة أهل الرفقة فيما بينهم بمجرد التوسم لذلك أيضا لحفظ الأموال.

(1890) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زَمَنين المتوفى سنة 399هـ، وهو من كبار المحدثين والعلماء الراسخين. له تآليف مفيدة من أهمها كتاب «المنتخب» في الأحكام، الذي ظهرت بركته، وطار ذكره شرقا وغربا (انظر ترجمته في : «الديباج المذهب»، صص. 269–271).

(1891) لم ترد لفظة «جلب» في النسخ المعتمدة. والسياق يقتضيها.

(1892) في نسخة : أو رد.

(1893) في «صحيح» البخاري، «كتاب الأحكام»، الباب 7، ج 4، ص. 166، عن معقل بن يسار مرفوعا : «ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة». وفي رواية : «ما من وَالٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة» ؛ وفي «صحيح» مسلم : «ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يَجْهَد لهم، ويَنصَح لهم، إلا لم يدخل معهم الجنة».

(1894) كذا في النسخ المعتمدة. ومراده : إن خلا الزمان من الإمام المستوفي لشروط الإمامة. يقال شغرت الأرض : أي لم يبق بها أحد يحميها ويضبطها. وشَغَر البلد : أي بعد من الناصر والسلطان («القاموس»).

(1895) قال القرافي في «تنقيح الفصول» : «ودفع المشقة عن النفوس مصلحة، ولو أفضت إلى خلاف القواعد، وهي ضرورة مؤثرة في الترخيص، كالبلد الذي يتعذر فيه العدول. قال ابن أبي زيد في «النوادر» : تقبل شهادة أمثلهم حالا، لأنها ضرورة، وكذلك يلزم في القضاة وولاة الأمور» («شرح التنقيح»، ص. 391).

وإذا جازت شهادة غير العدول في جميع ما نقلناه للضرورة ولحفظ الأموال والمصالح، فلأن يجوز نقل العدل الواحد لعدم الإثنين ولمكان الضرورة من باب[1896] أحرى. ولعين هذه العلة جرى بذلك عملٌ من قبلنا وإن لم يكن مشهورا، لأن مدار القضاء على حفظ المصالح ودَرْءِ المفاسد، وعلى اعتبار أعراف البلدان وأحوال الأزمان؛ ولذلك تجد القضاء يجري بغير المشهور في بعض النوازل لهذا المقصد[1897]. هذا حكم النقل.

وأما شهادة الواحد في الحبس المعقب[1898] كما في مسألتكم، فالذي حكم به اليازناسني[1899] قاضي فاس في أيامه حسبما نقل صاحب «**المعيار**» : حَلِفُ المحبس عليه مع شاهده، فيتم الحبس[1900].

وقد رأيت حكما في حبس بصفة ما ذكرتم لقاضي جبل درن سيدي الحسن ابن محمد أرجع به عرف[1901]، ثم ترافع المحكوم عليه والمحكوم له فيه لشيخنا قاضي الجماعة سيدي سعيد بن علي[1902] رحمه الله فأقر الحكم بالحبس وأمضاه بينهما، وأسقط منه حجة القائم فيه، وأبطل صلحا جرى فيه.

وأما حكم القاضي الذي ذكرتم بفسخه، فجهل بما به العمل في النازلة، وهو خطأ؛ لكن إن[1903] بنى الحكم على حلف منكر الحبس لرد الشهادة كما هو أحد الأقوال في المسألة مضى، وإلا فلا.

سؤال منظوم من المرغيتي إلى التمنارتي

ورد عليَّ من صاحبنا أبي عبد الله محمد بن سعيد البعمراني[1904] نزيل مراكش سؤال نصه : [الطويل]

(1896) سقط من نسخة «من باب».

(1897) في نسخة : لهذا القصد.

(1898) الحبس المعقب : هو الحبس على الأولاد وأعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا.

(1899) هو قاضي الجماعة بفاس، أبو سالم إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله اليزناسني المتوفى يوم الخميس 18 رجب عام 794هـ، وهو إمام حافظ بارع في الفقه، له فتاو كثيرة، أورد الونشريسي جملة منها في «**المعيار**». (انظر ترجمته في : «**نيل الإبتهاج**»، صص. 50–51).

(1900) انظر «**المعيار**»، ج 7.

(1901) في نسخة : به بعرف.

(1902) الهوزالي، وقد تقدمت ترجمته في الباب الأول (انظر ص. 100).

(1903) في نسخة : إنما، ولا ينسجم مع السياق.

(1904) المرغيتي الأخصاصي صاحب نظم «**المقنع في الفلك**». ورد هذا السؤال المنظوم وجوابه في «**فهرسة**» المرغيتي (مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط، رقم 1907، الورقة 176/ب – 177/أ)؛ و«**صفوة من انتشر**»، ص. 157 (طبعة حجرية)؛ و«**مناقب**» الحضيكي، ج 2، ص. 153.

على شيخنا المبرور والسيد المُجْـدِي[1905]

أبي زيـــد المرضي في السعـــد والمجد

سلامٍ زرت بالمسك نفحـــة نشره يروح ويغـدو بالـبشاشة والحمـد
أجب سيدي من كان للعلم طالبـا يسائلكم في الغسل للذكر المُمْذِي[1906]
إذا لم يقـع إلا بعيـد وضوئـه فما حكمه ؟ أمْ ما وضوئي من بعد
وفي شعـر قد خَفَّ يومـا بمخـرج أيَطْهُر بالأحجار؟ قل لي فما تبدي ؟

فجاوبته : [الطويل] جواب التمنارتي

وَأذْكَى سلام يحكي منفتح الـورد ويزري بريًّا[1907] المسك أو نفحة الند
عليك أبا عبـد الله محمـدا أخا الكد في فهـم المسائـل والجد
فهـاك جواب ما سألت فإن أصِبْ وإلا فعُـذْري قام بالأغيُـنِ الرُّمـدِ
فمن يُمْذِ من بعد الوضوء فحكمُه كحكم الذي يُمْذِي على أول القصد
وواجب كل المَـذْيِ بدءا وعـودة وضوء وغسل كله الذكر المُمْـذِي
ولا خلـف في نقض الـوضوء وإنما جرى خلفهم في الكل والبعض بالحد
وذا كله المعتـاد لا السَّلَسُ الـذي أبانوه بالتفصيـل في الصدر والـورد
وإن شَعَـر الإنسان يومـا بمخـرج تفاحش للتلـويث أو مشبـه اللِّبْـدِ
فلابـد من ماء يزيـل لأنـه كمنـتشر عن مخرجيـه إلى بعـد
وإن خف كالمعتـاد فاجـز بجمارهـم بقيت بقاء الدهـر متصل السعـد

وكتب إلي في التهنئة[1908] بالولد بهذه الأبيات : [البسيط] أبيات للمرغتي في تهنئة التمنارتي بمولود

بُشْرَاك بشراك شيـخ الـفضل بُشراكا ليهنك السعد والإقبالُ أمْـرَاكا[1909]
فمن مُجَـلٍّ[1910] يريـد السبـق في كرم ومـن مُصَلٍّ[1911] يريـد السعد إدراكا

(1905) في النسخ المعتمدة : المجد.
(1906) الممذي : الذي خرج منه المذي، وهو ـ كما عرفه ابن أبي زيد القيرواني في «الرسالة» ـ ماء أبيض رقيق يخرج عند اللذة بالإنعاظ عند الملاعبة أو التذكار («الرسالة : بشرح الشرنوبي»، ص. 20).
(1907) الرَّيَّا : الريح الطيبة.
(1908) في نسخة : بالتهنئة.
(1909) أمراكا : أصله : أمْرَأَك، حذفت الهمزة للوزن والقافية، يقال هَنَأه ومَرَأه، فإن أُفرِد يقال أمْرَأه. والمَرِيءُ : هو الهَنِيء، الحميد المَغَبَّة («القاموس»).
(1910) المُجَلِّي : هو الفرس الذي يسبق في حلبة السباق.
(1911) في النسخ المعتمدة : «مطل». ولا ينسجم مع السياق. والتصويب مني؛ والمُصَلِّي : هو الفرس الذي يتبع المُجَلِّي في السباق. وفي البيت إشارة إلى أن الولد الذي هُنِّئَ به التمنارتي هو ثاني أولاده.

لقـــد قنصت المعـــالي إذ نصبت لها من حسن ظنك بالرحمان أشراكا[1912]
أصبـــحت غنّـــتك طير اليمن منشدةً بشراك بشراك شيخ الفضل بُشرَاكَـــا

وبما ينبغي أن يقيد ما أمليته وأجبتُ به سؤال بعض أهل هذه المدينة[1913] حين تحامل عليهم المخزن في ديارهم وجناتهم بزعمه[1914] أنها لبيت المال وتعسف في ذلك[1915] من لا وثوق له بالحكم لهم بمجرد دعواهم. نص السؤال :

سؤال يتعلق بملكية أراضي تارودانت

«جوابكم في مسألة رجل بنى داره وغرس بحيرته بمدينة تارودانت حاطها الله تعالى، حين[1916] تخطيط مولانا محمد الشيخ رحمه الله لها، ثم اشتراها منه رجل آخر وعمرها حتى كان ابنه مولاي عبد الله يبيع بقاع تارودانت، فابتاع منه المشتري المذكور بقاعهما وعمرهما إلى موته وتركهما لولده، فقام عليه بعض جيرانه الآن، فاشترى بعض بحيرته من صاحب المواريث في الوقت، فرفعه لقاضي الوقت فحكم عليه للمشتري من صاحب المواريث من غير أن يثبت أن ذلك لبيت المال. فهل البينة في ذلك على القائم المشتري الآن من صاحب المواريث أو على الحائز الذي بالصفة المذكورة؟ وكيف لو كلف القاضي البينة للحائز ولم يجدها فحكم عليه بمجرد دعوى القائم، هل يرد حكمه أم لا ؟ وهل الإحياء بمجرده يثبت به الملك أم لا ؟ وما حكم من اشترى ممن أحْيَا أوَّلًا؟ وما فائدة الشراء من السلطان مولانا عبد الله بعد ثبوت الملك بالإحياء الذي أذِنَ فيه والده مولانا محمد الشيخ[1917] لعامة الناس، إن قلتم : يثبت الملك بالإحياء ؟ وهل يحتاج الإحياء إلى إذن الإمام أمْ لا ؟ وهل حكم العَنْوَةِ باق فيما فتح عَنْوَةً[1918] أم لا ؟ أجب لنا بما للأئمة في ذلك كله. والله يجزل مثوبتكم. والسلام[1919].

(1912) الأشراك : حبائل الصيد، مفرده : شَرَك.

(1913) يعني مدينة تارودانت.

(1914) في نسخة : بزعمهم.

(1915) في نسخة : بذلك.

(1916) سقط من نسخة : «تعالى، حين».

(1917) في نسخة : أذن فيه الشيخ.

(1918) فتحت البلدة عَنْوَة : فتحت بالقتال والقهر، أي قوتل أهلها حتى غلبوا عليها.

(1919) سقط «والسلام» من نسخة.

ونص الجواب :

«الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله؛

تضمن هذا السؤال ستة مطالب:

الأول : هل البينة على المدعي أو على المُدَّعَى عليه في مسألتكم ؟

الثاني : إذا كلف القاضي البينة على المدعى عليه، وخرج عن المعهود في الدعاوي ولم يجدها وحكم عليه، هل يرد حكمه أم لا ؟

الثالث : هل يثبت الملك بمجرد الإحياء أم لا ؟

الرابع : ما فائدة الشراء من الإمام أو غيره بعد الإحياء، إن قلتم : يثبت الملك به ؟

الخامس : هل يحتاج الإحياء إلى إذن الإمام أم لا ؟

السادس : هل حكم العنوة باق أم لا ؟

الجواب عن الأول أن البينة في ذلك على المدعي لا على المدعى عليه الحائز. وقد أجمع أهل العلم على أن قوله ﷺ : «البينة على المدعي»[1920] عام في كل مُدَّعٍ. فعلى كل مدع إقامة البينة على ما يدعيه، نص على ذلك ابن سهل[1921] في «أحكامه»[1922] وغيره، والحاكم بخلاف ذلك، ومكلفه مخالف للإجماع، فيجب نقض حكمه إن وقع، لأنه مخالف للنص القاطع الذي هو الإجماع؛

لا يقال: من ادعى لبيت المال لا بينة عليه؛ لتواطؤ أئمة الأحكام على أن صاحب المواريث لا يبيع إلا ما ثبت أنه[1923] لبيت المال من متخلف هالك عن غير وارث، أوْ موات[1924] لا مالك له، يثبت ذلك عنده إن كانت ولايته مستقلة، أو

(1920) حديث: «البينة على المدعي، واليمين على من انكره». رواه البيهقي بإسناد حسن وصحيح كما في شرح النووي على صحيح مسلم (هامش القسطلاني 7/257)، وفي كتاب الرهن من صحيح البخاري (2/ 53): باب إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه فالبينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه.

(1921) هو القاضي أبو الاصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الاسدي الاندلسي، المتوفى سنة 486 هـ. والمولود سنة 413 هـ (انظر «شجرة النور الزكية»، ص. 122، رقم 349).

(1922) له «الأحكام الصغرى» و«الأحكام الكبرى» (انظر ذكرهما في : «أجوبة» أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكّتاني، تقديم وتحقيق الأستاذ عبد الكبير وبرايم، ج2، ص. 441). وفي هامش 1، ص. 332، من «أجوبة» السكّتاني، أن «أحكام» ابن سهل تُعرف أيضا بـ«الإعلام بنوازل الأحكام» وأن نسخة مخطوطة منه توجد بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1728د، وأن الجزء الأول منه حققه الأستاذ العلامي بتونس.

(1923) سقط «أنه» من نسخة.

(1924) في نسخة: وموات.

عند القاضي إن لم تكن ولايته مستقلة. نص على ذلك أبو القاسم الجزيري[1925] في «وثائقـ»ـه، وغيره.

وفي «نوازل» ابن رشد : «وكذلك أصحاب المواريث لا يمكنون من الخصام في شيء يدعونه لبيت المال من غير أن يجعل لهم ذلك، إلا أن يريدوا إثبات ذلك وتحصينه دون مخاصمة من هو بيده»[1926]. انتهى. وهو صحيح في احتياج المدعي لبيت المال إلى البينة.

رسالة محمد الشيخ إلى قاضيه محمد بن يحيى الجزولي

وفي هذا المعنى كتب الإمام أبو عبد الله[1927] مختط هذه المدينة قدس الله روحه، لقاضيه أبي عبد الله محمد بن يحيى بن حمزة الجزولي[1928] رحمه الله بما نصه :

عن عبد الله فلان سمح الله له بلا محنة
الفقيه الأجل سيدي محمد بن يحيى، حفظكم الله تعالى. سلام عليكم.

وبعد؛ وقفنا على شَكِيَّة بعض الناس من هنالكم، شكوا من خدام ابن غازي، ادعوا أنهم غصبوهم في ديارهم، فتصفحوا أمورهم واستفصلوا في ذلك. فما ثبت أنه للمخزن يبقى على حكمه وذمته، وما هو ملك الناس وغصبوهم فيه يرجع إليهم ولا سبيل لهم إليه، وإن كتبنا شيئا في ذلك فمرادنا هذا، لا عبرة بغيره. وعلى هذا يكون عملكم. والله يحفظكم. والسلام. وكتب أواخر[1929] شعبان عام أربعة وستين وتسعمائة.

انتهى.

(1925) المراد هو أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الصنهاجي، الجزيري، نسبة إلى الجزيرة الخضراء التي نزلها، المتوفى سنة 585هـ واسم وثائقه : «المقصد المحمود في تلخيص العقود»، وهو مفيد جدا (انظر ترجمته في: «نيل الإبتهاج»، ص. 200؛ و«شجرة النور الزكية»، ص. 158؛ و«هدية العارفين»، ج 1، ص. 185؛ و«معجم المؤلفين»، ج 7، ص. 261.

(1926) انظر: «فتاوي» ابن رشد، تحقيق الدكتور المختار بن الطاهر التليلي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ ـ 1987م، ص. 1272. ونص ما فيها : «لا يمكن صاحب المواريث من الخصام في ذلك دون أن يجعل إليه الطلب فيه والمخاصمة. وإن أراد أن يثبت ذلك لبيت المال ويحصنه بالإشهاد عليه دون مخاصمة من هو في يده، كان ذلك له».

(1927) يعني محمد الشيخ السعدي.

(1928) هو محمد بن يحيى بن حمزة التهالي الحملي، كان والده يحيى أول قاض في تارودانت بعدما جددها السعديون، وتوفي سنة 950هـ، فتبعه ولده محمد في قضاء تارودانت وهو علامة كبير كأبيه، وتوفي بعد أواسط القرن العاشر («رجالات العلم العربي في سوس»، ص. 23).

(1929) في نسخة : بأواخر.

وما وقع للقاضي في مسألتكم وقع مثله لقاضي مراكش قاسم بن علي الشاطبي[1930] أول ولاية المنصور. قام جندي على بلدي في داره يَدَّعِي أنها لبيت المال، فرفعه للقاضي، فكلف الحائز البينة، فصاحت عليه عامة الأندلس[1931] وغيرهم حتى رفعت المسألة للمنصور، فأمر أن يجعل الحائز مدعى عليه والجندي مدعيا يقيم البينة على ما يدعيه.

وكتب بذلك كتابا يرجع إليه في مثلها، ووضعه بيد الأمين عبد الرحمان الحاج، ولم يزل بيد ورثته الآن على ما ذُكِرَ لي. وهذا عين الفقه لما قدمناه عن أئمة الأحكام. وهو أيضا مقتضَى النظر، لأن الحوز الأخص مقدم على الأعم. فلو وثبت سمكة في حجر إنسان وهو في السفينة، كان أحق بها من صاحب السفينة لأن حوزه أخص، كما ذكر الفقهاء.

وجواب المطلب الثاني يؤخذ من صدر هذا الجواب.

وعن الثالث أن الإحياء من أسباب الملك، ودليله قوله ﷺ : «من أحيا أرضا ميتة، فهي له»[1932]. إلا أن العلماء اختلفوا فيه هل هو من باب تصرفه ﷺ بالفتوى[1933]، أو من[1934] باب تصرفه بالإمامة. فإن كان الأول، فهو حكم منه ﷺ يعم الثقلين[1935] إلى يوم القيامة؛ فيجوز لكل أحد أن يحيي أذن له الإمام أم لا، وهو مذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما. وإن كان الثاني، افتقر إلى إذن الإمام، لأن ما تصرف فيه بوصف الإمامة لابد فيه من إذن الإمام، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله.

(1930) هو أبو القاسم بن علي الشاطبي المتوفى سنة 1002هـ/1594م. ظل في مراكش يشغل منصب قاضي الجماعة عشرات السنين، ويقرأ «صحيح» البخاري أيام رمضان بين يدي المنصور الذهبي، بحضور كبار العلماء (انظر ترجمته ومصادرها في : «الحركة الفكرية»، ج 2، ص. 378).

(1931) يقصد سكان عدوة الأندلس بفاس.

(1932) أخرجه البيهقي بلفظ : «من أحيا أرضا ميتة في غير حق مسلم، فهي له». وأخرج البخاري وأحمد والنسائي عن عائشة مرفوعا : «من عَمَر أرضا ليست لأحد، فهو أحق بها» (انظر: «الشذرة»، ج 2، ص. 172). وقال عمر : «من أحيا أرضا ميتة، فهي له» («صحيح» البخاري، «ما جاء في المزارعة والمحاقلة»، الباب 14، ج 2، ص. 32).

(1933) في نسخة : من باب الفتوى.

(1934) في نسخة : أو باب ـ دون من.

(1935) في نسخة : للثقلين.

وأما تفرقة مالك بين ما قرب فلا يُحْيَى إلا بإذن الإمام، وبين ما بعد فيجوز دون إذنه، فمن قاعدة أخرى، وهي أن ما قرب يؤدي إلى التشاجر والفتن وإدخال الضرر، فاحتيج لنظر الأئمة لرفع ذلك المتوقع.

قال القرافي رحمَه الله : «ومذهب مالك والشافعي في الإحياء أرجح، لأن الغالب في تصرفه ـ عليه السلام ـ الفتيا والتبليغ. والقاعدة أن الدائر بين الغالب والنادر، فإضافته إلى الغالب أولى».

ثم إذا ثبت الملك بالإحياء اختص به مالكه، فلا ينزل عليه غيره ولا يخرجه من يده، وله بيعه ما دام في يده. قال ابن رشد : وقول ابن العطار[1936] في «وثائقـ»ـه : «لا يبيعه» خطأ.

وإن تركه حتى زال إحياؤه وعاد لحاله، سقط ملكه وكان لمن أحياه ثانيا. هذا مذهب مالك خلافا للشافعي، وسحنون من المالكية في استمرار ملكه وإن زال إحياؤه قياسا على سائر أسباب التملكات.

وقد ثبت بما بلغ التواتر أو كاد أن مختط هذه المدينة الإمام أبا عبد الله محمد الشيخ قدس الله روحه أذن للناس عامة وقت تخطيطها في إحيائها بالبناء والغرس قصدا لعمارتها والرغبة فيها حتى حُكِيَ عنه أنه كان يقول لهم عند بناء سورها : حصنوا على أولادكم يا مشؤومين، تحريضا لهم على الِاهتمام بحفظ ذريتهم فيها. وهذا مثل ما صنع الإمام إدريس ـ رضي الله عنه ـ عند تخطيطه لمدينة فاس، وهو أن كل من بنى موضعا أو غرسه فهو له حسبما ذكر صاحب «**روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس**»[1937].

(1936) هو محمد بن أحمد بن عبد الله الأموي المدعو بابن العطار المتوفى سنة 399هـ. كان عارفا بالشروط والوثائق. له كتاب «**الوثائق والسجلات**»، طبعه المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد، بتحقيق شالميتا وكورينطي (1983م). وشرحه محمد بن عمر بن يوسف القرطبي المسمى «ابن الفخار»، المتوفى سنة 419هـ. (انظر ترجمة ابن العطار في «**الديباج**»، ص. 269؛ و«**شجرة النور الزكية**»، ص. 101؛ و«**معجم المؤلفين**»، ج 8، صص. 287–288؛ و«**تاريخ التراث العربي**»، ج 2، صص. 161–162).

(1937) اسم الكتاب الكامل هو : «**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**»، وهو لابن أبي زرع الفاسي المتوفى سنة 741هـ. وقد ورد فيه (ص. 19، ط. حجرية): «وأمر [أي إدريس الثاني] الناس بالبناء والغرس، فقال لهم : من ابتنى موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء، فهو له هبة، ابتغاء وجه الله تعالى، فابتنى الناس الديار، واغترسوا الثمار، وكثرت العمارة والغبطة».

وجواب المطلب الخامس يؤخذ من صدر هذا[1938] الجواب.

والجواب عن المطلب الرابع، وهو : ما فائدة الشراء من السلطان بعد ثبوت الملك بالإحياء؟ وما حكم الشراء ممن أحيا أوَّلا ؟ واعلم أن الإحياء سبب فعلي، والشراء سبب قولي. وقد اختلف الأصوليون في أيهما أقوى. فالملك بالإحياء على أصل مالك ـ رحمه الله ـ أضعف من تحصيل الملك بالشراء، لأنه إذا زال الإحياء عنده بطل الملك ولا يبطل الملك في الشراء إلا بسبب ناقل، فيكون هذا الفرع مما يدل على أن الأسباب الفعلية أضعف، وأن القولية أقوى على قاعدة مالك رحمه الله.

وقد أوضح القرافي ـ رحمه الله ـ هذا المعنى في الفرق الثالث عشر والمائتين بين[1939] قاعدة الأملاك الناشئة عن الإحياء، وبين قاعدة الأملاك الناشئة عن غير الإحياء، فقال[1940] :

> الإحياء سبب فعلي تملك به المباحات من الأرض، والأسباب الفعلية ضعيفة لورودها على غير ملك سابق، فيزول الملك عند عدمها، بخلاف القولية لا يبطل الملك ببطلان أصواتها وانقطاعها لأنها ترد على مملوك غالبا، فتأصُّل الملك قبلها قَوَّى إفادتها للملك لاجتماع إفادتها وإفادة ما قبلها؛ وكذلك إذا ورد البيع على الإحياء لم ينتقض الملك فيه بعد ذلك لتضافر الأسباب. انتهى.

وهو عجيب في مسألتك. فافهم منه[1941] فائدة بيع السلطان، وحكم بيع من أحيا أولا من استمرار الملك وعدم انتقاله إلا بما تنتقل به الأملاك من الأسباب القولية. وهذا بعينه هو مقصود الملك الصالح العادل أبي محمد عبد الله رحمه الله في بيع بقاع تارودانت التي عمرها أهلها بالإحياء من[1942] والده رحمه الله حتى يتقوَّى لهم الملك ويستمر لهم ولأعقابهم، ويكمل تصرفهم فيه ويورث عنهم إذ ذاك أدْعَى

(1938) سقط لفظ «هذا» من نسخة.

(1939) في النسخ المعتمدة : من. والتصويب من الفروق.

(1940) انظر «الفروق» للقرافي، ج 3، ص. 19. ونص ما ورد فيه : «وعن الثاني، الفرق بأن الإحياء سبب فعلي تُملك به المباحات من الأرض، وأسباب تملك المباحات الفعلية ضعيفة، لورودها على غير ملك سابق. بخلاف أسباب الملك القولية: لا يبطل الملك ببطلان أصواتها وانقطاعها، لأنها ترد على مملوك غالبا؛ فلتأصل الملك قبلها، قويت إفادتها للملك، لاجتماع إفادتها، مع إفادة ما قبلها. وكذلك إذا ورد البيع على الإحياء، لم ينتقض الملك بعد ذلك لتظاهر الأسباب».

(1941) سقط «منه» من نسخة.

(1942) كذا في النسخ المعتمدة. ولعله : «زمن»، أو «بالإذن من».

لتوفر الرغبة في عمارتها وتسارع الناس إليها. ويدل على هذا القصد واعتبار أثر الإحياء فيه تقليله للثمن في بيعها الأربعين ذراعا في أربعين؛ ولولا ذلك، لم يجزله البيع إلا بما فيه غبطة للمسلمين، ولما في ذلك أيضا من مصلحة سد باب التشاجر ورفع ضرر الخصومات في دعوى اندراس الإحياء وعدمه، إذ بالشراء ترتفع هذه الدعوى. ومدار تصرف الإمام على جلب المصالح ودرء المفاسد.

وإذا علمت هذا كله، ظهر لك اندفاع ما توهمه القاضيان، وما ارتكبه صاحب المواريث في مسألتك، واتضح أن لا تصرف له إلا فيما تقدم ذكره عن أئمة الأحكام من الموات المندرس الإحياء، العاري عن التملك بالبيع ونحوه، أو ما هلك عنه هالك من غير وارث وهو المطلوب.

والجواب عن المطلب السادس، وهو قولكم : «وهل حكم العنوة بَاقٍ في هذه المدينة أمْ لا ؟»

واعلم أن هذا السؤال يقتضي ثبوت العنوة لها؛ وليس بثابت، لأنها بناء الإسلام وهو لا تدخله العنوة إجماعا، والمحقق الذي هو الإحياء لا يُدْفَع بالمشكوك، وفرضُ الواقع غيرَ الواقع خروج عن مقتضى المحسوس.

وقد اضطرب خلاف الأئمة في مكة، على ما عُلِمَ من فتحها. فقال مالك وجميع أصحابه : فتحت عنوة؛ وقال الشافعي رضي الله عنه : فتحت صلحا. هذا، مع اتفاقهم على أن رسول الله ﷺ دخلها مجاهدا بالأسلحة، ناشرا للألوية، باذلا الأمان لمن دخل دار أبي سفيان[1943].

فقال الشافعية : قول مالك إخبار كإخباره بخلع المرأة أو بزنى رجل، فيحتاج لشرط الشهادة، وليس من باب الفتوى الذي يُقتَدى به فيه؛ وقال المالكية: هذا مشترك الإلزام. فقول إمامكم : هي صلح إخبار يلزمكم[1944] فيه ما ألزمتمونا.

وقد لخص القرافي في «قواعده» هذا المقصد، فقال بعد ذكره خلاف الإمامين : «أو نقول قول مالك : مصر فتحت عنوة أو مكة شهادة. وإذا كانت شهادة، فهو لم يباشر الفتح، فتعين أنه نقل هذه الشهادة عن غيره ولا يُدْرَى هل

(1943) انظر قول النبي ﷺ : «نعم من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن؛ ومن أغلق عليه بابه، فهو آمن؛ ومن دخل المسجد، فهو آمن» (في «سيرة ابن هشام»، ج 4، ص. 22).

(1944) في نسخة : يلزم.

أذن له ذلك الغير في النقل أم لا ؟ وإن سلمنا أنه أذن له، فقد عارضت هذه الشهادة البينة(1945) الأخرى، وهي أن الليث بن سعد(1946) والشافعي وغيرهما قالوا : الفتح وقع صلحا. فهل يمكن أن يقال : إحدى البينتين أعدل، أو يقال : هذا لا سبيل إليه، ولعلهما أجل من أن نفاوت(1947) نحن في عدالتهم(1948) ولو سلمنا الهجوم عليهم في ذلك.

فالمذهب أنه لا يُقضى بأعدل البينتين إلا في الأموال. والعنوة والصلح ليسا من هذا الباب، فلم قلتم : إنه يقضى فيه بأعدل البينتين؟ ولا يمكن أن يقال : إن هذه الشهادة ليست نقلا عن أحد، بل هي استقلال ومستندها(1949) السماع، لأنا نمنع أن هذه الشهادة مما تجوز فيه شهادة السماع. وقد عد الأصحاب مسائل السماع خمسا وعشرين مسألة. وهذه ليست منها، سلمنا أن هذه منها، لكن حصل التعارض المانع للحكم بهذه المسألة.

وبهذا التقدير يظهر لك أن من يفتي بتحريم البيع والإجارة في هذه البقاع بناء على قول مالك : إنها فتحت عنوة خطأ(1949م)، وأن هذا ليس مذهب مالك بل هو شهادة ولا يقلد فيها، بل يجري مجرى الشهادة.

وكما يجري هذا السؤال على المالكية في العنوة، فكذلك يرد على الشافعية في قول الشافعي : إنها فتحت صلحا، ويبنون على ذلك الفتيا بالإباحة، ويجعلونه مما يُقْتَدَى به فيه، وإنما هو أيضا شهادة بالصلح. وليت شعري لو أن حاكما شافعيا جاءه الشافعي فقال له : «إن فلانا صالح امرأته على العصمة وخلعها منه»، أيقضي بقوله فيخرج عن الإجماع، أو يقال : هذه شهادة لابد من آخر يشهد بالخلع فينبغي أن يفصل هنا كذلك». انتهى.

(1945) في نسخة : أو البينة.

(1946) في النسخ المعتمدة : سعيد. والليث بن سعد فقيه مصري من أقران مالك رحمه الله. ناظره في مسائل منها «عمل أهل المدينة» (انظر رسالة الليث إلى الإمام مالك في : «**أعلام الموقعين عن رب العالمين**» لابن القيم، ج 3، صص. 83-88 ؛ وانظر «**حلية الأولياء**»، ج 7، صص. 318-327 رقم 391).

(1947) كذا في النسخ المعتمدة. ومراده : أن نباعد بينهم في العدالة، فنجعل أحدهما أعدل من الآخر.

(1948) كذا في النسخ المعتمدة.

(1949) في النسخ المعتمدة : ومسندها.

(1949م) كذا في النسخ المعتمدة. والأحسن : «مخطئ»، ليناسب الخبر والمبتدأ، دون حاجة إلى تقدير مضاف محذوف في قوله : «أن من يفتي»، أي أن عمل من يفتي.

وإذا كان هذا في فتح مكة الذي هو أشهر فتوحات الإسلام في الأرض، فما ظنك بغيره ؟

وفي «**الذخيرة**» : «رُوِيَ عنه ﷺ : «مكة حرام لا تحل إجارة بيوتها، ولا بيع رباعها»[1950]، وكانت كذلك على عهده عليه السلام والخلفاء بعده». انتهى. فظاهره أن حكم العنوة فيها انقطع بانصرام زمن الخلفاء. وفي «**قواعد**»ه[1951] : قال ابن رشد في كراء دور مكة أربع روايات : المنع وهو المشهور، وقاله أبو حنيفة، لأنها فتحت عنوة؛ والجواز، وقاله الشافعي، لأنها فتحت صلحا أو مُنَّ بها على أهلها عندنا على هذه الرواية، ولا خلاف بين مالك وأصحابه أنها فتحت عنوة، والكراهية لتعارض الأدلة وتخصيصها بالموسم لكثرة الناس واحتياجهم إليها لأنها وقف، إذ العنوة عندنا وقف.

ثم قال القرافي : اعلم أن مقتضى هذه النقول أن يحرم[1952] كراء دور مصر وأراضيها، لأن مالكا صرح في «**الكتاب**»[1953] وغيره أنها فتحت عنوة، ويلزم على ذلك تخطئة القضاة في إثبات الأملاك وعقود الإجارات والأخذ بالشفعات، ونحو ذلك.

ثم قال : وجوابه أن أراضي العنوة اختلف العلماء فيها هل تصير وقفا بمجرد الاستيلاء، وهو الذي حكاه الطرطوشي في تعليقه عن مالك، أو للإمام قسمتها كلها[1954] كسائر الغنائم، أو يخير في ذلك.

والقاعدة المتفق عليها أن مسائل الخلاف إذا اتصل ببعض أقوالها حكم حاكم تعين ذلك القول، وارتفع الخلاف، وتعين ما حكم به الحاكم، وهذا التقدير يطرد في مكة ومصر وغيرهما. انتهى.

(1950) روى الطحاوي من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد أنه قال : «مكة مباح، لا يحل بيع رباعها، ولا إجارة بيوتها»، وروى عبد الرزاق من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر : «لا يحل بيع بيوت مكة ولا إجارتها» («**فتح الباري**»، ج 4، ص. 245).

(1951) الضمير في «قواعده»، يعود إلى القرافي، بدليل قوله فيما بعد : ثم قال القرافي.

(1952) في نسخة : لا يحرم.

(1953) إذا أطلق الكتاب عند الفقهاء المالكية، انصرف إلى «**مدونة**» سحنون.

(1954) سقطت «كلها» من نسخة.

قلت : وفي «**البخاري**»[1955] باب في[1956] توريث دور مكة وبيعها وشرائها، وهو صريح في رفع حكم العنوة عنها، فليتأمل.

وإذا ارتفع حكم العنوة بالعمل كما هو صريح كلامه من الأمصار التي اشتهر أخذها من أيدي الكفار، فما ظنك بأمصار المغرب التي لم يشتهر فيها ذلك أو التي بناها عمال المسلمين[1957] واتصل فيها عمل الأئمة والقضاة بالتصرف بما ذكر إلى هلم جرا[1958].

وهذا الذي أجاب به القرافي هو المنهج الذي يجب سلوكه فيما يقع من الدعاوي من صاحب المواريث على سكان الحواضر شرقا وغربا، وإلا لزم تخطئة أئمتها وقضاتها. وذلك يؤدي إلى تجريح الأمة بتغيير الوقف الذي هو العنوة فيما ثبت فيه[1959].

وهذا ما تيسر قطفه لكم من نصوص الأئمة في مسألتكم. والله الموفق للحق واتباعه، بفضله.

جواب أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني في الموضوع

ثم ظفرت بجواب شيخنا قاضي الجماعة بمراكش الفقيه المحقق أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني، حفظه الله، في ذلك. ونصه[1960] :

«سئل عما يفعله الولاة بمدينة تارودانت في أملاك الناس، ودعواهم أنها لبيت المال، وما يدعيه عرب أولاد يحيى في الأملاك التي بأحوالها. فأجاب بما نصه :

(1955) انظر، ج 1، ص. 277 («كتاب الحج»، الباب 44).

(1956) في «**صحيح**» البخاري، «باب، توريث دور مكة وبيعها وشرائها».

(1957) في نسخة : بناها المسلمون.

(1958) إلى هلم جرا : أي ممتد إلى هذا الوقت الذي نحن فيه. وهَلُمَّ : اسم فعل أمر بمعنى الدعاء إلى الشيء كتعال، فيكون لازما، وقد يستعمل متعديا، نحو ﴿هَلُمَّ شهداءَكم﴾ (**سورة الأنعام**، الآية 151)، أي أحضروهم. و«جرّاً» منصوب على المفعول المطلق، محذوف العامل أي جُرَّ جرّاً، أو على الحال، بتأويل الصفة، أي هَلُمَّ جارّاً. وهو مأخوذ من أجررت الدين : إذا تركته باقيا على المدين، أو من أجررته الرمح : إذا طعنته وتركت فيه الرمح يجره (انظر: «**لسان العرب**»، و«**المصباح المنير**»، و«**المنجد الكبير**»).

(1959) سقط «فيه» من نسخة.

(1960) لم أجد هذا السؤال وهذا الجواب في «**أجوبة**» السكتاني التي حققها الأستاذ عبد الكبير وبرايم، وإنما وجدت فيها سؤالا آخر يتعلق بهذا الموضوع نفسه مع جوابه (انظره في : ج 2، ص. 505).

«الذي أراه وأدين به أن تارودانت مدينة قديمة، وما بإزائها من الأراضي لأهلها انجلوا عنها وتركوها، أو ماتوا عنها، وأن عمارة العرب حادثة، وما انجلى عنه أهله وجهلت أربابه فهو لبيت المال، ولا فرق بين افتتاحها عنوة أو صلحا من أول مرة. والحكم فيها إذا خَفِيَ خبر الأرض ولم يدر كيف افتتاحها أن تبقى تحت يد حائزها ولا يتعرض لهم فيها. فإذا كان هذا، وتصرف فيها الأمراء وباعوا وملكوا بحسب المصالح، فلا يجوز لمن بعدهم البحث في أفعالهم ومقاشحة[1961] الناس في أملاكهم وطلبهم بأسباب تملكها. ففي «**نوازل**» البرزلي من فتوى ابن الحاج : «وما باعه بنو عباد مما ثبت فيه الصلاح والسداد لبيت المال، فلا يصح فسخ البيع فيه بوجه، لا سيما وقد مرت سنون كثيرة وبعض مَن مضى لم يتعرض لفسخه، وفي ذلك صحة قوية لمن بيده شيء من هذه الأملاك ولا يتعرض عليه فيها. وذكر عن ابن حمدين أنه قال : البحث فيها يؤدي إلى تضييع كثير من أموال الرعية والتعرض لهم، وذكر أن الذي يليق في كل ما بيع من أموال بيت المال، أو باعه العمال من أموالهم، أو مَا وُلُّوا عليه، وأنَّ الصواب ألَّا يتعرض له ولا ينظر فيه وإن كانوا ظلمة غير عُدول، لأن ذلك فتح باب مفسدة بالبحث في أموال الناس لكثرة هذا الواقع». ثم قال في آخر كلامه مرجحاً لفعل ابن حمدين: «وهذا الذي فعله ابن حمدين هو الصواب الأسدّ في حق الخاصة والعامة، وإن كان الصحيح أنه تتعقب أحكام قضاة الجور والعمال الظلمة، وذلك لإسقاط أخف الضررين لأكبرهما وقد قال ﷺ: «إذا التقى الضرران نُفِيَ أكبرهما»[1962]. انتهى.

(1961) ذكر ر. دوزي في «تكملة المعاجم العربية» (356/3) أن كلمة «المقاشحة» وردت عن ابن حبيب وابن المواز ومعناها التضييق على الناس للاستغلال والاستنزاف.

(1962) لم أجد هذا الجواب في «**أجوبة**» السكَتاني التي حققها الأستاذ عبد الكبير وبرايم، ولكن وجدت فيها جوابا مشابها حيث رفع إليه أبو زيد بن الوقاد سؤالا حول أملاك تارودانت، وما يدعيه عرب أولاد يحيى من أنها أملاكهم، فأجابه بجواب آخر غير هذا الذي أورده التمنارتي في «**الفوائد الجمة**». على أن سؤال ابن الوقاد يفهم منه أن أبا مهدي عيسى السجتاني سبق له أن أفتى في هذا الموضوع. (انظر: «**أجوبة**»السكَتاني، ج 2، ص. 505). وما نسبه للنبي ﷺ، لم أقف على نسبته له في كتب الحديث التي تيسَّر لي الرجوع إليها، والمعروف أنه قاعدة فقهية، تصاغ بكيفيات متعددة منها : «إذا اجتمع ضرران، أسقط الأصغر للأكبر» («**إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك**» للونشريسي، ص. 370، رقم 101). ومنها: «إذا تعارض المكروهان أو المحظوران أو الضرران، ارتكب أخفهما». قال الزقاق في «**المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب**» :

أخفُّ مكروهين أو حظرَيْن ... إن لم يكن بُدٌّ كفي ضرَّيْن
قَدِّمْ كبَقْر وغُراة وكذا ... مضطرٌّ أو ما مِن نكاح أنفِذَا

(شرح محمد علي اليعقوبي للـ«**منهج المنتخب**» ـ مخطوط خاص ـ).

ثم لا فرق بين البيع وغيره من أسباب التملك، كأن يكون في المعطى له مصلحة للإسلام من العلم والشجاعة ونحوهما مما تعود عليه مصلحة. ففي البرزلي عن الداودي «أن النبي ﷺ والخلفاء بعده يقطعون الأرضين»، إلى أن قال في آخر كلامه : «وكان يقطع المعادن، وأقطع الخلفاء بعده، فصار ذلك ملكا لمن أقطعه إياه».

وفي كتاب الإمام محيي الدين النووي إلى ملك الشام لما احتاط[1963] على أملاك دمشق ما يشفي لك الغليل. ونصه :

رسالة الإمام محيي الدين النووي إلى ملك الشام بنصحه

بسم الله الرحمن الرحيم. قال الله تعالى : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين﴾[1964]، وقال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾[1965]، وقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1966]، وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان أعز الله تعالى[1967] أنصاره، ونصيحة العامة. ففي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1968]، ومن نصحية السلطان ـ وفقه الله تعالى ـ أن تُنْهَى إليه الأحكام إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام، وأوجب الله الشفقه على الرعية، والإهتمام بالضعفة وإزالة الضرر عنهم. قال الله تعالى: ﴿واخفض جناحك للمومنين﴾[1969]، وفي الحديث: «إنكم تنصرون بضعفائكم»[1970]، وقال ﷺ : «من كشف عن مسلم كربة كشف الله عنه كربة من كرب الآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1971]، وقال

(1963) احتاط : من الحوطة، وهي ـ كما سيأتي ـ منع الناس من أملاكهم حتى يثبتوا شراءها.

(1964) سورة الذاريات، الآية 55.

(1965) سورة آل عمران، الآية 187.

(1966) سورة المائدة، الآية 3.

(1967) لم يرد لفظ «تعالى» في إحدى النسخ المعتمدة.

(1968) انظر ص. 512، هامش 1867.

(1969) سورة الحجر، الاية 88.

(1970) أخرج البخاري في «كتاب الجهاد والسير» من «صحيحه»، «باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب»، ج 2، ص. 103، أن النبي ﷺ قال : «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

(1971) رواه مسلم في «كتاب الذكر» من «صحيحه» عن أبي هريرة بلفظ : «مَن نفَّس عن مومن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة؛ ومن يَسَّر على مُعْسِر، يَسَّر الله عليه في =

ﷺ : «من وَلِيَ من أمر أمتي شيئا فَرَفَقَ بهم فارْفُق اللهم به، ومن شق عليهم فاشقق اللهم عليه»[1972]، وقال ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[1973]، وقال ﷺ : «إن السلاطين على منابر من نور عن يمين الرحمان الذين يعدلون في أنفسهم وأهليهم وما وَلُوا»[1974]. وقد أنعم الله علينا وعلى سائر المسلمين بالسلطان أعز الله أنصاره : فقد أقامه لنصرة الدين والذب عن المسلمين وإذلال الأعداء من جميع الطوائف، وفتح له الفتوحات المشهورة في المدة اليسيرة، وأقر الرعب منه في قلوب أعداء الدين وسائر الماردين، ومهد له البلاد والعباد، وقمع بسيفه أهل الزيغ والفساد، وأمده باللطف والإعانة والسعادة. فلله الحمد على نعمه المتظاهرة، والخيرات[1975] المتكاثرة، وأسأل الله تعالى الكريم دوامها لنا وللمسلمين، وزيادتها في خير وعافية. آمين. وقد أوجب الله تعالى شكر نعمه ووعد الزيادة للشاكرين، فقال تعالى : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1976].

وقد[1977] لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواع من الضرر وَلَا يمكن التعبير عنها، وطلب منهم إثبات ما لا يلزمهم. فهذه الحوطة لا تحل عند أحد من علماء المسلمين، بل من في يده شيء فهو ملكه لا يحل الإعتراض عليه، ولا يكلف بإثبات. وقد اشتهر من سيرة السلطان أنه يحب العمل بالشرع، فيوصي نوابه. فهو أولى من عمل به، والمسؤول إطلاق الناس من هذه الحوطة والإفراج عن جميعهم. فأطلقهم أطلقك الله من كل مكروه، فهم ضعفة، وفيهم الأيتام والأرامل والمساكين

=الدنيا والآخرة؛ ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (الحديث).

(1972) روى مسلم في «كتاب الأمارة» من «صحيحه» عن عائشة (ض) قالت : «سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : «اللهم مَن وَلِيَ من أمر أمتي شيئا، فَشَقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فَرَفَق بهم، فارْفُق به»».

(1973) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» («كتاب الوصايا»، و«كتاب في الإستقراض والديون»، و«كتاب في العتق وفضله»، و«كتاب النكاح»، و«كتاب الجمعة» و«باب في الجنائز»).

(1974) أخرجه مسلم في «كتاب الإمارة» من «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا بلفظ : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا».

(1975) في النسخ المعتمدة : الخيرات – دون واو – والتصويب مني.

(1976) سورة إبراهيم، الآية 9.

(1977) سقط «قد» من نسخة.

والضعفة والصالحون، وبهم تُنصرُ وتُغاث وتُرزَق، وهم سكان الشام المبارك، جيران الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وسكان ديارهم، فلهم حرمات من جهات. ولو رأى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد، لاشتد حزنه عليهم وأطلقهم في الحال ولم يؤخرهم؛ لكن لا تنتهي إليه الأمور على جهتها. فبالله أغث المسلمين يغثك الله، وَارْفُق بهم يَرْفُق الله بك، وعَجِّلْ لهم الإفراج قبل وقوع الأمطار وتلف غلاتهم، فإن غالبهم ورثوها عن أسلافهم ولا يمكنهم تحصيل كتب شراء، وقد نهبت كتبهم. وإذا رفق بهم السلطان، حصل دُعاء رسول الله ﷺ لمن رَفَقَ بأمته، ونَصَرَه على أعدائه. فقد قال الله تعالى : ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾[1978]، ويتوفر له من رعيته الدعوات، وتظهر في مملكته البركات، ويبارك له في جميع ما يقصد من الخيرات. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[1979]. ونسأل الله أن يوفق المسلمين إلى السنن الحسنة.

فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان، ونرجو من فضل الله أن يُلْهِمَه[1980] فيها القبول. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته». انتهى كتابه رضي الله عنه.

فأنت ترى الشيخ محيي الدين نقل الإجماع على أن الحوطة لا تحل والحوطة منع الناس من أملاكهم حتى يثبتوا شراءها، وذلك يدلك على منع ما يفعله الولاة بتارودانت وغيرها، والتوفيق من الله، ويدلك على منع الحوطة حتى في أرض العنوة. فإن الشام فتحت عنوة، إذْ رُبَّمَا يقع في الوهم أن البحث إذا كانت الأرض عنوة احتفاظا ببيت المال[1981]، وهو مأمور به، وجوابه ما ذكرناه من فتح باب المفسدة على الناس في أملاكهم، وذلك ما يتسع فيه الخرق على الراقع». انتهى.

ظهير توقير من السلطان زيدان ابن الملك المنصور لأهل تارودانت

وقد أصدر السلطان زيدان ابن الملك المنصور أيام مملكته بمراكش[1982] ظهيرا لأهل تارودانت يعضد ما قلناه واجتلبناه. نصه :

(1978) سورة محمد، الآية 8.

(1979) انظر: ص. 492، هامش 1698.

(1980) في نسخة : أن يلهم.

(1981) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ المعتمدة، وهي قلقة. ولعل المراد : إذْ رُبَّمَا يقع في الوهم أن الأرض إذا فتحت عنوة يحتفظ بها بيت المال.

(1982) في نسخة : من مراكش.

«بسم الله الرحمٰن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

من عبد الله تعالى السلطان المظفر بالله الملك الناصر الفاطمي أمير المومنين ابن الملك المنصور والسلطان ابن السلطان، ابن السلطان أيده الله بالنصر العزيز، وأحاطه[1983] بالصون الحريز، وأعلى في فضاء العدل مناره، وخلد في صفحات الدهر فخاره وآثاره، وأتاح في ظل النصر والتمكين ظفره واقتداره.

إلى مملوكنا الأنجب الأنجد الأرضى، الأثير الأحظى، القائد جرمان حفظكم الله ورعاكم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتبنا[1984] إليكم عن الخير، والحمدُ لله. هذا، وإننا[1985] نوصيكم خيرا بأهل حضرتنا المحمدية حرسها الله، فإنهم ممن يدلي بالخدمة والسبقية والشفوف على غيرهم من أهل حواضرنا، وحسبهم كونهم سكان حضرة قد اختطها مولانا الجد المهدي قدسه الله، وذلك بأن تسلكوا بهم المسلك الحسن في مرتفقاتهم من المزدرعات[1986] والجنات وجلاب الأرزاق للحاضرة، بحيث لا تمتد إليهم يد بظلم، أو يتطرق إليهم[1987] الحيف بوجه ولا بحال، وأجرينا أهل تلك الحاضرة مجرى أهل مراكش وفاس في مواريثهم وحقوقهم الشرعية ذكرانا وإناثا.

ولا يجعل السبيل لأصحاب الشرطة إلى أن يمدوا أيديهم لملك[1988] من غاب عن الحاضرة أو قبض الجالبين للأرزاق، فذلكم ذريعة للتشفير[1989] وقطع المنافع المجتلبة للحاضرة، ولا تؤاخذوا البرآء بذنوب الجناة، ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[1990]، ونبالغ لكم في الابصار على ارتكاب كل سبب يوجب الإئتلاف ويزيح التنفير والإختلاف، ألا وهو الحق، ألا وهو الحق.

واردعوا من يشتغل بالظلم؛ فإن ذلك مما لا نرضاه ولا نقبله كمثل فريضة خدمة السواقي التي يفرضها الحاكم ويجحف بالمساكين فيها. فهلا كان ذلك على

(1983) في نسخة : وحاطه.

(1984) في نسخة : كتبناه.

(1985) في نسخة : وإنا.

(1986) المُزْدَرَعَات : المزارع، ظرف مكان ميمي. يقال زَرَع البذر وازدرعه بمعنى واحد، وأصل «ازدرع» ازترع، فأبدلت التاء دالا لتوافق الزاي (انظر: «**القاموس**»، مادة «زرع»).

(1987) في نسخة : لا تمد لهم.

(1988) في النسخ المعتمدة : بملك.

(1989) التشفير : قلة المال وذهابه.

(1990) سورة المدثر، الآية 38.

أيدي العدول الثقات، دفعا للحيف ورفقا بالمساكين، كساقية تارودانت : فلا تخرقوا العادة المؤصّلة فيها للمساكين من عهد أوائلنا قدسهم الله، ولا تخالفوا وتتهاونوا بشيء من مقتضى هذا الأمر العلي. ولا بد ولا بد. وهذا أوجبه إليكم. والسلام. وكتب بأواخر شعبان المعظم المبارك سنة سبع عشرة بعد ألف».

ومما يعضد هذا أيضا أن أهل حومة عيسى ابن القاضي بتارودانت كان لبيت المال حظ من بحيرة بحومتهم، طلبوا ذلك الحظ أن يُصْرَف على مسجدهم، فكتب أمير الوقت، بعد الملك زيدان المذكور، شيخنا أبو زكرياء بن عبد الله بن سعيد رحمه الله بما نصه : «وعليكم السلام والرحمة والبركة. فإذا ثبت عند القاضي بالموجب أَنَّ ذلك لبيت المال، جعلناه صدقة لمسجدكم كما سألتم. والسلام».

وبهذا كله يظهر لك سفاهة من يتسور على أملاك الناس بهذه المدينة، ويطلب الحائزين بالبينة الذي هو[1991] خرق للإجماع. وقد ابتلينا بعصابة ممن ينسب نفسه للطلب، بل للقضاء، يتحامل على أموال المساكين بالتعصب للمخزن فينزع من المساكين أموالهم. فهذا الضلال على رقبته[1992]. فتقدمنا إليه فلم يقبل. فأعلمنا بنقض كل ما حكم به بهذا الوجه ليكون المساكين على بصيرة في أملاكهم.

وإنما أطلت بجلب الفوائد في هذا القصد، لما شاهدت في هذه المدينة من فاحش هذا الظلم. والسلام.

* * *

رسالة التمنارتي إلى أبي حسون السملالي، لما فتح تارودانت سنة 1039هـ

ولما ولي الرئيس أبو الحسن الجزولي[1993] أمر سوس[1994] سنة تسع وثلاثين وألف، بعد وفاة شيخنا أبي زكرياء بن عبد الله بن سعيد الحاحي، كتبت إليه بما نصه :

«بسم الله الرحمٰن الرحيم صلى[1995] الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

غوث الدهر وجابر كسره، وتحفة المغرب وفاديه من أسره، جامع أمره، وقامع

(1991) في نسخة : التي هو.

(1992) تعبير عاميّ معناه يتحمل مسؤوليته ووزره.

(1993) المعروف ببودميعة. وقد تقدم التعريف به.

(1994) أي للمرة الثانية.

(1995) في نسخة : وصلى ـ بالواو ـ

شَزْرِهِ وَذِمْرِهِ[1996]، ومخمد ضرام جمره، الماجد الهمام، وظل الأمن الوارف على الأنام، سيدنا أبو الحسن ابن السيد المبرور، المنعم المشكور، أبي عبد الله بن أبي عبد الله ابن الشيخ الكامل الواصل الرباني، غوث الأغواث، وقطب الأقطاب، الذي يقصر عن إحصاء مناقبه الخطاب، أسوتنا ووسيلتنا وشيخ شيوخنا أبي العباس أحمد بن موسى ابن عيسى بن عمر، كلأ الله بعصمته علاءه، ووالى في مراقي العز اعتلاءه. سلام على مكانتكم المكينة، ورحمة الله وبركاته تحفان مقامكم العلي بالوقار والسكينة.

هذا، وقد اتصل بمعظم جنابكم في محل سكناه بقبيلة سندالة[1997] فَتْحُكم لقاعدة السوس تارودانت سلما لا حربا، وتدفقت[1998] إليكم قبائله عجما وعربا، فشكرت الله من زوال المانع من شق[1999] العصا لأكاتبكم بما يجب على الإستقصاء، واعلم أني طالما كنت أنتشق نسيم ذلك الأرج، وأرتقب من الله هذا الفرج، وأرجو الولوج في حوزتكم، والإنحياش لشيعتكم، لما أعلم في ذلك من صلاح العباد والبلاد، وانحسام مادة الظلم والفساد، وكنت أضرب في وجه من يجهم وجهها، وينكر تجاهها، ويصد عن سبيلها، ويتلَوَّى عن ذكر جميلها، حتى لقيت من ذلك ما الله يجزي عنه بفضله، ويزيح ألمه بقوته وحوله.

ولقد تلقى أهل الحاضرة وسائر من يعتبر[2000] من أهل البوادي وهذه الجبال هذا الفتح الميمون بالبشائر، وأذاعوا به في الأهلين والعشائر، وعدوه غبطة لا تُوَازَى، ونعمة من الله لا تجازى، واطمأنت به نفوسهم، وزال عنهم به بؤسهم. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتيسيره وحسن تدبيره تتوالى الخيرات، وتزداد البركات.

وقد أملوا بهذا الفتح المبارك إعزاز بلادهم، وإحراز طارفهم وتِلَادِهم، وحفظ أقطارهم من كل عُوار، ودفاع من عسى أن يثور بها من الثوار، والرفق بهم لما[2001]

(1996) شزره : شدته وصعوبته. والنظر الشزر : النظر بمؤخر العين، وهو نظر المعادي المبغض؛ والذِّمْر : الشجاع.

(1997) قبيلة سوسية، تقع جنوب غرب تارودانت، وتبعد عنها بحوالي 50 كلم. ومنها قرية «تِيدْسِي» التي انطلقت منها دعوة الدولة السعدية.

(1998) في نسخة : وتقدمت.

(1999) في نسخة : «نشر»؛ وفي نسخة أخرى : «قشر». وما أثبتته هو الوَارِدُ في «إيليغ قديما وحديثا»، ص. 71.

(2000) في نسخة : يعتد.

(2001) في نسخة : مما؛ وفي «إيليغ قديما وحديثا» : بما.

تطاير إليهم من رفقكم بما إلى نظركم من الأقطار. تمم الله ذلك بيمن الإقبال، والسعد القائم المتوال، هذا فيمن هَمَّ بالصلاح، وأمَّ من العباد الفوز والفلاح.

وأما فئة الغي والخسران، وطوائف البغي والعدوان، فقد سُقِطَ في أيديهم[2002]، وشالت نعامتهم[2003]، وخَشَّ[2004] في أسمال[2005] الخمول خاصتهم وعامتهم، وطارت قلوبهم رَوْعا، وضاقوا بما نزل بهم ذَرْعا[2006]، فما وجدوا أرضا تقلهم، ولا سماء تظلهم، ولا أمكن ذؤبان خطافهم[2007] إلا الشرود، ولا غُرْبَان إذايتهم إلا الطيران بمفتت الكبود، وعما قريب ـ بحول الله ـ ﴿يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدورَ قوم مومنين﴾[2008]، فيعم بلاد الله الأمان، وتعود كل قرية ﴿آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رَغَدا من كل مكان﴾[2009]، وتأمن هوادج الحرم في نجوعها ورجوعها، ويسكن رَوْعها في منامها وهجوعها، وتنسرب[2010] شَاءُ[2011] الغياض حيث شاءت برعائها، وسُقْبَان[2012] الفدافد[2013] أينما توجهت برُغَائها[2014]، وتنتهج مناهج الأمن في فلواتها، وتسيح في الأرض بضخم ذُرَاها وعلواتها، وتبتهج وظائف الدين في مناراتها ومساجدها، والعلوم الشرعية في منصاتها ومعاهدها، والحرف الحاجية في مصادرها ومواردها، والمعايش في رغدها ورِيَاشها[2015]، والأسباب في ازديادها وانتعاشها، حتى يحفظ للمصالح[2016] نظامها،

(2002) سقط في أيديهم : ندموا، وتحيروا. قال تعالى : ﴿ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا...﴾ (سورة الأعراف، الآية 149).

(2003) شالت نعامتهم : ذهب عزهم، وتفرقت كلمتهم.

(2004) خش : دخل. وفي «**إيليغ قديما وحديثا**» (ص. 82): واختنأ، ومعناه : انكسر من حزن أو مرض.

(2005) الأسمال : الأثواب البالية.

(2006) في نسخة : وضاق بهم ما نزل بهم ذرعا.

(2007) في نسخة : اختطافهم.

(2008) **سورة التوبة**، الآية 14. وبداية الآية : ﴿قاتلوهم يعذبهم الله...﴾.

(2009) **سورة النحل**، الآية 112. وبداية الآية : ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة...﴾.

(2010) تنسرب : تتوجه للرعي.

(2011) شاء : جمع شاة.

(2012) سُقْبَان : جمع سَقْبٍ وهو ولد الناقة.

(2013) الفدافد : جمع فَدْفَد، وهو الفلاة.

(2014) الرُّغَاء : صوت الإبل.

(2015) الرِّيَاش : الخصب والمال، وحسن المعاش، وفاخر المتاع.

(2016) في النسخ المعتمدة : للمعالج. والتصويب من «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 72.

ويم للبريئة[2017] وئامها. فأكرم بها خصلة جمعت لكم شرف الدارين، وضَمِنَتْ لكم من رحمة الله كِفْلَيْن وأَوْقار[2018] الغِرَارَتَيْن[2019]، وهي الوراثة[2020] النبوية[2021] التي يجب على وارثها أَنْ يَقدُرَها قَدْرَها، ويحفظ من الخسوف شمسها وبَدْرَها، وَيَلُمَّ بالعدل والتيسير أمرها وشَعَثَها، ويجمع بالفضل والإحسان مفترقها وشتاتها، ويُعَظم حُرُمَاتِها وشعائِرَها، ويُسَدد إلى مناهج الحق أنظارها، حتى يُشكَر في الملإ الأعلى سَعْيُه، ويَثْبُتَ في ديوان العناية رَعْيُه، فيصبح فرحا مؤيدا منصورا، ينقلب له كل عسير ميسورا، وكل قليل مباركا موفورا.

وإِذْ فتح الله لسيدنا ـ أيده الله ـ في فتح هذه المدينة وفكها من أسرها، واستنقذها من وبال أمرها، فليعتن[2022] بها وليختر لها من يَقُمُّ[2023] خبيثَ كناسها[2024]، ويُطهرُها من فاحش أدناسها. فقد طالما تمخض شيطان الغواية في أطوارها وأجناسها، وأجلب بخيله ورجله على أطباق أناسها، حتى عطلت فيها صوامع يؤذن فيها بكرة وأصيلا، وهدمت بها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا[2025]، ﴿واستحبوا العمى على الهدى﴾[2026]، وغَلَبَ على طباعهم ألفة الردى، وهي على ذلك منذ مات المنصور ـ رحمه الله ـ في مدة تنيف على خمس وعشرين سنة، لم يقم فيها للعدل فرض ولا سنة. فتحتاج ـ أيدكم الله ـ لآس[2027] من بطانتكم يحسن علاجها، ولبيب يشرع للرشاد منهاجها، ويصرف عن العذب الفُرَاتِ[2028]

(2017) في نسخة : للبَرِيَّة.

(2018) في النسخ المعتمدة : ووقار. والتصويب من «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 72.

(2019) النسخ المعتمدة : العدارتين. وهو ـ فيما يبدو ـ تحريف من النساخ؛ وفي «**إيليغ قديما وحديثا**» (ص. 72): العدلين؛ والغِرَارة : الجُوَالِق.

(2020) في النسخ المعتمدة : الوارثة. والتصويب من «**إيليغ قديما وحديثا**»، ص. 72.

(2021) في نسخة : النبوءة.

(2022) في نسخة : فَلْيُعْنَ.

(2023) يَقُمُّ : يكنس.

(2024) الكناس : المراد به الكُنَاسة، وهي القُمَامة. والكِناس ـ بالكسر ـ مُسْتَتر الظبي في الشجر.

(2025) وظف التمنارتي هنا قوله تعالى : ﴿ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ (سورة الحج، الآية 38).

(2026) قال تعالى : ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهُدى...﴾ (**سورة فصلت، الآية 16**).

(2027) الآسِي : الطبيب، وجمعه أُسَاة.

(2028) الفُرَات : الماء العذب جدا.

أُجَاجَها[2029]، حتى يعود لقديم القوام[2030] مِزاجُها، ويتسع بحسن نظره أعمالُهَا وفِجَاجُها، وقد علم من سيرة سلف الأمة اعتبار الأمصار، بمزيد الإستبصار، لكونها في[2031] الأقطار، بمنزلة العيون والأبصار، وأبهة الإسلام وعدة الأعصار، وخصوصا هذه المدينة التي هي كالفاتحة لبقية أمصار المغرب، والباب الموصل إلى الغرض من أدناه وأقصاه المغرب[2032]. وأنتم ـ بحمد الله ـ في قطر اشتهر علماؤه، وامتاز في الدين فضلاؤه، قطر اتَّقَدَ من مشكاة النبوءة مصباحه، وأسْفَر بالهداية في الأقاليم صباحه، وازدان أوله وآخره، وفي العلم والديانة مناقبه ومفاخره، وشهد من مضى من كبار الملوك بشهامته وشجاعته، وفي عراقة الحسب بأصالته وجزالته، وفي غرر المشاهد الأولية بصلابة عصائبه، ودُرَابَة[2033] كَتَائِبه. فيلعرف لهم ذلك، ويستعن به فيما هنالك. فهم الشِّعارُ والدِّثار[2034]، والرعيل الأول المختار، والأنصار الذين تبوؤوا الدار[2035]، والجناح الذي أنتم قوادمه، والغارِب[2036] الذي جَدُّكُم[2037] قوائمه. فلتبتهج بذلك نفوسكم، ولترتفع به رؤوسكم. وما أحقكم أن تتمثلوا فيهم بقوله : [الطويل]

إذا ما المطايا قد بلغن ربوعها[2038] حرمن على الأثقال بعد ظهورها

ثم الأمر الذي هو ملاك الأمور، وإليه مرجع الخاصة والجمهور، العدل الذي جعله الله عمدة أرضه وسمائه، وجعله ـ تشريفا له ـ من جملة أسمائه. فبه يرفع

(2029) أجاجها : ماءها المِلْح المُرّ.

(2030) في نسخة: حتى يعود لقديم قوامها. وفي «إيليغ قديما وحديثا» (ص. 73): حتى يعود إلى القويم مزاجها.

(2031) سقطت «في» من النسخ المعتمدة، والسياق يقتضيها.

(2032) كذا في النسخ المعتمدة. وفي العبارة بعض القلق.

(2033) الدُّرَابَة : الدُّرْبَة، والجرأة على الأمر والحرب.

(2034) الشعار : اللباس الذي يلي شعر الجسد؛ والدثار : ما فوق الشِّعَار من الثياب.

(2035) مأخوذ من قوله تعالى في التنويه بالأنصار : ﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾ (سورة الحشر، الآية 9).

(2036) الغارب : الكاهل، أو ما بين السَّنَام والعُنُق.

(2037) أي الشيخ سيدي أحمد بن موسى التزروالتي. وقد تقدمت ترجمته في آخر الباب الأول (انظر : ص. 176 فما بعد)..

(2038) في نسخة : ربوعه.

الميزان، وبه يقعد على منابر الكرامة عن يمين الرحمان[2039]، وله تنقاد العجم الشّرّس، وعليه يعين القطب والجرس[2040]، وبه تُرسِل السماء وَدْقها[2041]، وتخرج الأرض بركتها ورزقها، وبه تعمر الأرجاء، ويتقوى الرجاء، وفي منثور الحكمة : « إذا نطق العدل بدار الإمارة، فثق لها بالعمارة»، ومن عظيم الجرأة على الله تعالى[2042] أن يشرك أحدا في ملكه، ثم يدخل عليه الجور في حكمه. وفي نصيحة ابن الخطيب[2043] : [البسيط]

بالعدل والفضل فاحفظ زِرٌ[2044] طائره   فالعدل والفضل - إن تعلم - جناحاه

والمعين على سلوك هذه الجادة الناجية، بعد تقوى الله العظيم، الإقتداء بكتاب الله وسنة رسوله[2045] ﷺ الكافية الوافية، واتباع السلف الصالح الذين هم القدوة الصافية، ثم مَن بعدهم من علماء الأمة، وحملة شريعة هذه الملة. ففي اللَّجْإ[2046] إلى ذلك السلامة، وتمام العصمة، وفي مشورتهم سقوط الملامة وغاية المعذرة. وقد أشار ابن الخطيب إلى هذا المعنى بقوله : [البسيط]

وشاور العلماء المستضاء بهم   فإن معذرة السلطان شوراه[2047]

(2039) هذا طرف من الحديث الشريف : «إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة، عن يمين الرحمان، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا عليه». قال العلماء : ومعنى كونهم عن يمين الرحمان : أنهم في حالة حسنة («إيليغ قديما وحديثا»، ص. 74، هامش 220).

(2040) القطب (جمعه أقطاب)، والجرس (جمعه أجراس) هما في اصطلاح الصوفية «من رجال الغيب، الذين يَتَرَقَّى إلى أحوالهم العباد والنساك القاهرون للنفس الأمارة المقيدون لها» (المرجع السابق، ص. 74، هامش 222).

(2041) وَدْقها : مطرها.

(2042) لم يرد «تعالى» في نسخة.

(2043) وهي قصيدة هائية تشتمل على 97 بيتا، وتتضمن ما ينبغي للملوك من السياسة، ومطلعها.

يا أيها الملك الباهي مُحَيَّاه   أنت الذي تعرف الأظعان مغناه

(2044) كذا في النسخ المعتمدة. والزِّرُّ - بالكسر - : عُظَيْم تحت القلب، وهو قوامه، والنُّقْرَة فيها تدور وَابِلَةُ الكتف، وطرَف الوَرِك في النقرة («القاموس»). وفي نسخة مخطوطة للقصيدة، ورد هذا البيت هكذا:

فاحفظ بعدل وفضل زَوْرَ طائره   فالعدل والفضل - إن تنظرْ - جناحاه

والزَّوْرُ : وسط الصدر.

(2045) في نسخة : رسول الله.

(2046) اللجأ - بسكون الجيم وفتحها - : اللجوء.

(2047) البيت من القصيدة الهائية المشار إليها أعلاه وبعده:

وكل أمر له قومٌ به عُرِفوا   فالدِّبُّ لكل مُهم أهل بَلْوَاه

يوسف بن تاشفين وجد بركة مشاورة العلماء

وقد استفاض أن الملك الصالح الزاهد بَانِي مدينة مراكش ومتقن أحكام الإسلام بالمغرب، ومطهره من دنس مذاهب الطوائف، يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني رحمه الله[2048]، وجد بركة هذه الخصلة، فاتسع له ما لم يتسع لأحد قبله ولا لأحد[2049] بعده من الأعمال، واجتمع له ما لم يجتمع لأحد من الجيوش والأموال، وعُمِّرَ مائة سنة، وهو يأكل الشعير ويلبس الصوف في أكثر الأحوال، وملك من أقصى بلاد إفريقية ومن أقصى بلاد الأندلس والسوس الأقصى بسائر جهاته إلى جبال الذهب من بلاد السودان، ولم يجر[2050] له في جميع ذلك رسم مَكْسٍ[2051] ولا مغرم، إلا ما يُجْبَى إليه من الزكوات[2052] والأعشار وأخماس الغنائم والجزية وأموال البغاة وطوائف العدوان. فعلى الولي العاقل أن يتعلق بهذه الخصلة التي هي أبقى لعمره وأفسح لمدته، وأحصن لحوزته ورعيته، ولأن من تعلق بها يجلب بها دعوات أولياء الله تعالى وصلحاء المومنين، وضعفاء المسلمين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[2053]. ومن سعى له في ضدها، فقد سعى له في قصر عمره، وخراب دولته، وتلاشي أمره، فليتحفظ من بطانته من ذلك، ويتعوذ بالله وعصمته من ذلك. قال رسول الله ﷺ : «لكل أمير بطانتان، بطانة تأمره بخير وبطانة تأمره بشر. والمعصوم من عصمه[2054] الله»[2055].

(2048) تنازل له عن ملك المغرب ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني سنة 462هـ، وكان مؤهلا أكثر من غيره لتسيير شؤون البلاد، فنهض بأعباء الملك، ووسع دائرة نفوذه، وكون إمبراطورية عظيمة، شملت المغرب والجزائر والأندلس.

(2049) سقطت «لأحد» من نسخة.

(2050) في نسخة : ولم يوجد.

(2051) المَكْس : دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية. والمكس حرام بالإجماع. وقد وردت أحاديث متعددة في ذمه والتنفير منه، كقوله ﷺ : «لا يدخل الجنة صاحب مكس» (رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن عقبة بن عامر).

(2052) في نسخة : الزكاة.

(2053) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه»، «كتاب الصلح»، الباب 7، ج 12، ص. 76؛ و«كتاب الجهاد والسير» الباب 12، ج 2، ص. 93؛ و«كتاب تفسير القرآن»؛ «تفسير سورة البقرة»، الباب 8، ج 3، ص. 73.

(2054) في نسخة : من عصم الله.

(2055) رواه البخاري في «كتاب الأحكام» من «صحيحه»، الباب 41، ج 4، ص. 173 بلفظ : «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه. فالمعصوم من عصم الله تعالى».

وقد مر بنا[2056] في المذاكرات من هذا المعنى حكاية عجيبة، وهي أن ملكا من ملوك المسلمين اعتسف على رعيته، فدفعوه عنهم، فاستجار منهم بملك من ملوك الروم، فأنزله لما وفد عليه في دار فيها آرنجة[2057] خضراء يانعة عليها قيِّم يتعاهدها بالسقي وغيره. فقال له : لا أسافطك[2058] بما طلبت من المدد حتى تيبس هذه الأرنجة، فسُقِط في يد الملك المسلم وأيس من الرجوع لبلده، فجعل يدعو عليها أن تيبس، فلم يمض إلا قليل من المدة فيبست وتَحَاتَّ[2059] ورقها، فجاءه ملك الروم، وقال له : ما صنعت بهذه الأرنجة حتى يبست في قليل من المدة، فقال له : إنك ظلمتني بالحبس وليس لي ناصر، فرجعت إلى الله أدعوه في يبسها، فأجاب الله دعوتي فيها فقال له ملك الروم : هذا أنت وحدك ندعو الله عليها لكونك مظلوما، فأجاب الله دعوتك فيها وهي لم تباشر ظلمك، فكيف بمن يباشره ويدعو عليه أهل قطر أو أقطار إذا ظلمهم، ألا تجاب دعواتهم عليه؟ فدعوات رعيتك التي ظلمتها هي التي أخرجتك من بلادك، فتاب ورده لرعيته مكرما.

قــول الشــيخ التزروالتي : «من جار خرج»

ومن هذا المعنى ما حُكِيَ لنا عن مولانا جدك[2060] ــ رضي الله عنه ــ لما وفد على الملك أبي عبد الله مولانا محمد الشيخ رحمه الله، فأنزله بمشور دار الإمارة بتارودانت، فأتاه الناس يزورونه، ووقف خديمه الرجل الصالح صاحب شرطة الأمير زكرياء بن الغازي[2061] يذود الناس عنه فقال : من زار، خرج يرحمكم الله؛ فقال له الشيخ رضي الله عنه : قل : من جار، خرج يا زكرياء بن الغازي[2062]. فأرسلها مثلا. فخذها وصية جدك، وابن عليها أساس مجدك.

ثم يجب أن تُعَانَ هذه الخصلة التي هي روح الوئام وحياة الأنام، بإقامة سور علائها، وتوفير جيوشها التي بها تستقل إمارتها، وتكمل عمارتها وبالأخذ بمعاني[2063] التسكين والتيسير، واجتناب دواعي الضغطة والتنفير، وبتعاهد رعاياها بأخذ ما دعا

(2056) في نسخة : مَرَّ لنا.

(2057) كذا في النسخ المعتمدة؛ وفي «إيليغ قديما وحديثا» (ص. 76): النارنجة.

(2058) لا أسافطك : كلمة عامية تعني : لا أرسلك ولا أحقق لك رغبتك.

(2059) تحاتّ : سقط.

(2060) وهو الشيخ أحمد بن موسى السملالي التزروالتي المشهور.

(2061) في «نزهة الحادي» (ص. 55) أن والي الشرطة الذي قال ذلك هو أبو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسي، وأن الملك الذي وقع ذلك في أيامه هو عبد الله الغالب.

(2062) سقط «بن الغازي» من نسخة.

(2063) في نسخة : بمعاذ.

إليه الوقت بوجه لا يثير نفرتها، ويهيج وَغْرَتَهَا[2064]، ثم بملاقاة الحوادث بقوة الجأش، وصلابة القلب، حتى يصغر عند وليها كل عظيم، ويهون لديه كل واصب[2065] أليم، كما أشار إلى ذلك أبو الطيب في قوله : [الطويل]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظُم في عين الصغير صِغَارُها[2066] وتصغر في عين العظيم العظائم[2067]

ثم بالقدرة على ضرب الرقاب وسل الحسام، وإغْماده في جماجم شرار ولد حام وسام[2068].

فكم آية تهدي الورى وتروعهم وأصدقها بالمجرمين حُسام[2069]

وهذه هي نتيجة القياس، وفذلكة قضاياه التي عليها مدار مصلحة الناس، ثم بشكر نعمتها، والإعتراف بمنتها، لاستدامة[2070] رحمتها، وبركاتها، بملازمة : ﴿رب أوزعنيَّ أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن اعمل صالحا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي. إني تبت إليك وإنّي من المسلمين﴾[2071].

وهذه نصيحتي لك، وأعيذها بالله أن تكون مثل[2072] نصيحة دُرَيْد بن الصمة، لأخيه عبد الله[2073]. والسلام».

* * *

(2064) وغرها : حقدها وضِغْنها وعداوتها. وفعله : وغر، كوَعَد ووَجِل.

(2065) الواصب : الدائم، ومراده العذاب الواصب. قال تعالى : ﴿ولهم عذاب واصب﴾ (سورة الصافات، الآية 9).

(2066) في النسخ المعتمدة : صغيرها. وهو خطأ. والتصويب من «ديوان المتنبي».

(2067) انظر : «شرح ديوان المتنبي» لعبد الرحمان البرقوقي، ج 4، ص. 94.

(2068) حام وسام : إبنا نوح عليه السلام. والمراد بولد حام وسام : السُّودُ والبيضُ.

(2069) البيت من قصيدة للتمنارتي سبق إيرادها في صص. 368-375.

(2070) في نسخة : لاستدام.

(2071) سورة الأحقاف، الآية 14.

(2072) سقطت «مثل» من نسخة.

(2073) يشير التمنارتي بذلك إلى قول دريد بن الصمة :

أمرتهم أمري بمنعرج اللّوَى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

«ودريد بن الصِّمّة بن الحارث من شعراء العرب وفرسانهم المغاوير. كان أخوه عبد الله سيد قبيلة بني جُشَم بن بكر بن هوازن، فغزا بهم وبني عمهم بني نصر بن بكر قبيلة غطفان، فساق إبلهم. فلما كان بمحل يقال له منقطع اللوى، أراد أن يستريح فيه بضعة أيام، فنهاه أخوه دريد، وذكره بأن القوم سيتبعون إبلهم ليستردوها، فلم يطعه، فجاءت غطفان، وتحارب الفريقان، فقتل عبد الله وجرح أخوه دريد، واستردت الإبل، فقال دريد قصيدته المعلومة التي أولها :

قصيدة في الشكوى رفعها التمنارتي إلى أبي حسون السملالي

ولما استقل حكمه بمدينة تارودانت قاعدة السوس الأقصى ووردها وكيله، زاحمني بنقصٍ[2074] جِرَاية كانت لي من أحباسها وبأعشار جرت لي عادة بتفرقتها على يدي بأوامر من قبله، فكتبت إليه بما نصه : [الطويل]

أصَرح أم أكْنِي إذا جهلت قدري — سعادُ بلادي ربة الطي والنشر

كأن لم تر الأيام تشهدُ أنني — أنا الميم والأيام أعْلَمُ في عصري[2075]

لديها قديما أنني بعهودها — أصول وأدعو في السرار وفي الجهر

فكم لَغَط للكاشحين تركتُه — بنَيْزَكِ[2076] زجر لا يمل من الزجر

وكم جَادِل هَوَّرتُ[2077] قولَ جِدالِهِ — وكم خصيم[2078] أفحمتُ عنكمُ بالسَّبْرِ[2079]

فكان جزائي أن أسَامَ بِذلة — على عُشْرٍ ونقْصٍ مُرْتَفَقٍ يجري

ولي عُمُرٌ في رِفْعَة ومَهَابة — يزيد[2080] على الستين في شرف القدر

أنال بها الرِّيَّ العذيبَ من الذُّرَى — فها أنذا ظمآن في شاطئ النهر

فكيف أضَامُ أو أطالَبُ بالتي — على سنن التوقير من قبلُ لم تجْرِ

وكيف ترون أن أسَامَ بِذلة — وما سامني بضيمه سالفُ الدهر

وكان رجائي أن أنالَ مكانة — بذكركم في الناس تعلو على البدر

= أرث جديد الحبل من أم معبد — بعاقبة وأخلفت كل موعد

ومنها البيت الذي هو محل الشاهد هنا» («إيليغ قديما وحديثا»، ص. 78، هامش 229، وانظر أيضا: «الشعر والشعراء»، صص. 386-387).

(2074) في نسخة : بنقض.

(2075) الشطر الثاني مأخوذ من قول الزمخشري :

ومد أفلح الجهال أيقنت أنني — أنا الميمُ والأيامُ أفلحُ أعلمُ

(انظر: «الكشاف» للزمخشري، ج 4، ص. 310). والأعلم : هو مشقوق الشفة العليا؛ أما الأفلح، فهو مشقوق الشفة السفلى. ومن كان كذلك لا يستطيع النطق بالميم.

(2076) النَّيْزَك : الرمح القصير.

(2077) هَوَّرْتُ : صَرَعْتُ؛ وفي نسخة : هَوَّسْتُ.

(2078) في نسخة : خاصم.

(2079) تأثر التمنارتي في هذا البيت بقول البوصيري في «البردة» :

كم جَدَلت كلمات الله من جَدِلٍ — فيه وكم خصَمَ القرآن من خصِم

(«القصائد البصيرية في مدح خير البرية»، ص. 39).

(2080) في النسخ المعتمدة : تزيد.

ويحيـى لديـن الله ما كان دارسا ... ومن سِيرَةِ الأسلافِ ما سُدَّ في القبر
فَرَاعُوا[2081] حدودَ الله والعصمةَ التي ... إذا سبحت في البحر ترسو على البحر
وأنتم لديـن الله أرسى جبالـه ... فلا تستخفـوا بالمزيـلات والهَـذْرِ
كفـاكم لهذا الشأن حُرْمَـةُ جدكم ... ومـا كان يتلى من معاقبـة الغـرّ
وحـرز الأمـاني والتهاني أراهما ... بتقوى الإلـه في الجهـار وفي السر
فذلك أعـلام الهدى مستبينـة ... كما تستبين في الدجـا غرة الفجـر
ورحمة هذا الخلـق بالعـدل عصمـة ... تدوم بها المُطْلَـى إلى غايـة العمـر
وهـذا رسول الله بالقطـع شاهـد ... خلافتـه في النـاس في كل ما عصر
ولـيس يغـيب عن شؤون عيالـه ... يشاهدهـم بالـروح في كل ما قطـر
أتى خبر بكـل ذلك صادق ... ولكـن رأى الـعين ما هو كالخبر
لَنـا الرغبـات نرتجيها فَهَـلْ أتى ... بهن على الإنسان حين من الدهر[2082]
فرِشْتَنَـا[2083] بخير طالما قد همتنـا
وخير الموالي من يَرِيشُ[2084] ولا يَبْـرِي[2085]

تحامل الوشاة على التمنارتي وعزله من القضاء وأبيات له في ذلك

وكنت في أيام شيخنا أبي زكرياء رحمه الله، وفي أيام الأمير أبي الحسن بعده، يتحامل عليَّ الكاشحون بسعاياتهم، وربما أثر فيهم[2086] ذلك، فكنت أتمثل بقوله : [البسيط]

تجنـد البـغض[2087] أجنـادًا مُجَنَّـدَةً ... فيها الصواعـق والحيـات والأسد
فإن أخـذتُ يمينـا خِفْتُ صاعقـةً ... وإن أخـذت شِمَالًا راعنـي الفهـد
وإن تقـدمت كان الـذئب معتـرضي ... وإن تأخـرتُ فالثَّعْـلَبُ ينتقـد
إني تحيرت في أمـري فلا أحـد ... يدلنـي في الطريـق كيـف أعتمـد

وما زال بهم ذلك حتى حملوا الشيخ أبا زكرياء على عزلي من قضاء سوس، فكتبت إليه في ذلك : [الطويل]

(2081) في نسخة : فَرَاعِ.
(2082) قال تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً﴾ (سورة الإنسان، الآية 1).
(2083) رَاشه يَرِيشه : أطعمه وسقاه، وكساه، وأصلح حاله، ونفعه.
(2084) راش السَّهم يريشه : ألزق عليه الرِّيش.
(2085) بَرَى السهم يبريه : نحته.
(2086) كذا في النسخ المعتمدة. والأنسب : فيهما، لأن الضمير يعود على أبي زكرياء وأبي الحسن.
(2087) في نسخة : البعض.

أبا الفضل إن تفْلِي[2088] فكن خير فال وراقب لها في علّهـــا غيـــرَ فَال
ولا تجْزِيَـــنْ حبـــي بِبَـــعْضا فإننـــي إذا خضع[2089] الدهرُ المقـيت مُوَال
وسلـم لإحدى الحسنيين فقـد مضى من النـــاس قبـــل مثلكــم ومثـــالي
ولا تعين خِبٌّ[2090] القِـــدَاتِ[2091] فإنها
لدى مثلكـم جَهْـمٌ[2092] وشر خِلَال[2093]
وإفـــراطُ نصحـــي للجنـــاب مُسَدَّدٌ إلَيَّ سِهامَ الحِقْدِ من كل قال[2094]
وحسبـــي لها المولى الـــذي هو عُدَّتي وعُدَّتُكُـــم في مثلهـــا، خير وال

ومن عجيب الإتفاق أنه مات بقرب ذلك رحمه الله وزال الأمر من بنيه، فكنت أداري عنهم، فصدق قولي : «فإنني إذا خَضَع[2095] الدهر المقيت موال»، وكنت ألقيت إليه في أثناء ذلك : [الطويل]

نصحت فلم أفلح، وأفلـــح خائـــن وكل يُدَان[2096] بالذي هو دائن[2097]
جهـدت أذود الشاء عن رعي دائها وأصرفهـــا عن ورد ما هو آجن[2098]
رجـــاءً بكـــم أن تستـــقيم أمورهـــا
ويرعى جَمِيمَ[2099] العَدل ذِئْبٌ وضَائِن[2100]

(2088) تفلي : مضارع فَلَى فلانا في عقله، أي جرّبه.
(2089) كذا في النسخ المعتمدة، وفي نسختي «الديوان»؛ والأنسب : إذا خدع.
(2090) خِبٌّ : خداع وخبث وغش.
(2091) القِدَات : جمع قِدَة، وهي الحية. وفي «الديوان» : الغُواة.
(2092) جَهْم : وجه سَمِج كريه.
(2093) خِلال : جمع خلة وهي الخصلة.
(2094) قالٍ : مبغض وكاره.
(2095) كذا في النسخ المعتمدة. والأنسب ـ كما أسلفنا ـ إذا خدع.
(2096) يُدَان : يُجْزَى.
(2097) دائن : جاز. والشطر الثاني مأخوذ من الحديث الذي رواه أبو نعيم الديلمي عن ابن عمر مرفوعا بلفظ : «البر لا يَبْلَى، والذنب لا يُنْسَى، والدَّيَّان لا يموت، فكن كما شئت، فكما تَدِينُ تُدَان». (انظر : «الشذرة»، ج 2، ص. 48، رقم 713).
(2098) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون.
(2099) الجَمِيمْ : النبت الكثير، أو الناهض المنتشر.
(2100) الضائن : خلاف الماعز من الغنم.

فلــــــم يَكُ إلا ما أراد إلهُهـــــا
وما شاء فَهْـوَ لا مَحَالـةَ كائـن[2101]

ومما كتبت لبعض أصحابنا يستمنح الأمير أبا الحسن : [البسيط]

أبيات كتبها التمارتي لصديق له يستمنح أبا حسون السملالي

يا ابن الهداة ويا ابن المجد والكرم — وابن السماح وفرع الجود والنعم
تألفت[2102] فيك أوصاف ألِفَنَ بها — نشرت للفضل أعلامًا على علم
فجئت أسعى إلى علياك مرتقبا — يمن يمناك واثقا على قدم
زرعت أرضك جودا فاجتنيت به — ثمر الثناء وأمنًا يهدي في الظُّلَم
تهدي إليك رياحُ العُرف من بُعُد — بَنِي الرغائب من عُرْب ومن عجم
سددت للعَيْثِ[2103] طرقا طالما سُلِكَتْ — وللصلاح فتحت كل مرتسم
وكيف لا وعيونُ الجد ناظرةٌ — إليك تهْديك طُرَقَ الرُّشدِ في اللَّقَمِ[2104]
يا سعد ما خُوِّلَتْ يُمْنَاك من خوَلٍ[2105] — ومن ثواب من الرحمان متسم

ومما كتبت به للأمير أبي الحسن في التيقظ للأمور والحزم : [الطويل]

نصح التمارتي لأبي حسون السملالي بالتيقظ والحزم

وَصَاتي إلى من يجتني ثمر الحزم — ويسري إذا ما الليل أدبر عن نجم
ويجعلَ سِلْمَ الدهر أهْبَةَ حَرْبِهِ — ويأخذُ قبلَ طيه حجَرَ الرَّجْم
فلا تركبوا بالوَهْنِ[2106] متن عجابة[2107]
فقد نقَبَتْ أيامه جَبَلَ الرَّدْمِ[2108]

* * *

ومما ينبغي أن يقيد في هذا الباب، المقدمة التي سميتها «شَنْفَ[2109] الإيمان،

«شنف الإيمان ودرة الولدان» للتمنارتي

(2101) أخذ الشطر الثاني من قولهم : «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ونظمه الشافعي، فقال :
فما شئتَ كان وإن لم أشأ — وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
(«ديوان الشافعي»، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي، ص. 83).
(2102) تألفت : اجتمعت.
(2103) للعَيْث : للفساد.
(2104) اللَّقَم : الطريق، أو وسطه.
(2105) ما خُولت يمناك من خَوَل : ما أعطاك الله تعالى من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية.
(2106) الوَهْن : الضعف.
(2107) كذا في النسخ المعتمدة؛ و«الديوان». ولعله : عُجَابِهِ.
(2108) الرَّدْم : السَّد.
(2109) الشنف : القرط الأعلى.

ودرة الولدان» من واجب أمور الديانات[2110]، ليكون الكناش جامعا لأشتات الفوائد، وإن كان في الحقيقة لقط لُقَاظَة الموائد[2111]، وهي :

«نحمد الله تعالى ونشكره، ونصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله وخير خلقه. فـالإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلا.

والإيمان أن تومن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتومن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره.

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والإيمان بالله هو التصديق بوجوده، وأنه تعالى قديم باق لا أولية له، ولا انقضاء لدوامه، مخالف لخلقه، قائم بنفسه، واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، موصوف بالقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع والبصر، والكلام، منزه عن سمات الحوادث، وصفات المتغيرات، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2111م].

والإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم، وأنهم عباد مكرمون ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون﴾[2112].

والإيمان بكتب[2113] الله هو التصديق بكتب الله المنزلة على رسله.

والإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام هو التصديق برسالاتهم[2114] أجمعين، وأنهم مؤيدون بالمعجزات الدالة على صدقهم النازلة منزلة قوله[2115] : صدق

(2110) أخذه من قول ابن أبي زيد القيرواني في «الرسالة» : «فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة» («الرسالة بشرح الشرنوبي»، ص. 4).

(2111) لفاظة : بقية الشيء. ولأبي العباس بن القاضي المكناسي المتوفى سنة 1029هـ/1616م كتاب في الوفيات سماه : «لقط الفرائد من لُفَاظَة حقق الفوائد»، وهو منشور بتحقيق الدكتور محمد حجي ضمن : «ألف سنة من الوفيات»، سنة 1396هـ/1976م.

(2111م) سورة الشورى، الآية 9.

(2112) سورة التحريم، الآية 6.

(2113) في النسخ المعتمدة : بكتاب.

(2114) في نسخة : برسالتهم.

(2115) أي قول الله تعالى. قال ابن عاشر في «المرشد المعين» :

إذ معجزاتهم كقوله وبَرّ ... صَدَق هذا العبد في كل خبر

(«حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة على المرشد المعين»، ج 1، ص. 97).

عبدي في كل ما يبلغ عني، فواجب[2116] علينا تصديقهم واتباعهم في كل ما بلغوه عن الله تعالى، وأن محمدا ﷺ أرسله الله إلى الإنس والجن، وأنه سيد المرسلين، وخاتم النبيئين، وأفضل الخلق أجمعين.

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من إحياء الموتى، والنشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار.

والإيمان بالقدر هو التصديق بأن الأمور كلها لله، وجميع أعمال العباد من خير وشر وطاعة ومعصية وكفران وإيمان واقع بقضاء الله وقدره، لا يخرج شيء عن إرادته تعالى.

وأفعال المكلفين واجب ومستحب ومحرم ومكروه ومباح.

فالواجب كل أمر يستحق المكلف الثوابَ عليه والعقابَ على تركه. والمستحب كل أمر يستحق الثواب عليه[2117]، ولا يستحق العقاب على تركه.

والمحرم كل أمر يستحق العقاب عليه ويستحق الثواب على تركه[2118]. والمكروه ما في تركه ثواب ولا عقاب عليه في فعله[2119].

فرائض الوضوء سبعة[2120] ؛ النية وهي أن يقصد بوضوئه استباحة الصلاة عند غسل وجهه، والماء الطاهر، وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين ومتابعة فعله إلى تمامه[2121].

وسننه أيضا سبع : غسل اليدين في أوله إلى الكوعين ثلاثا، والمضمضة والإستنشاق، ورد اليدين في مسح الرأس، ومسح الأذنين، وتجديد الماء لهما، والترتيب.

(2116) في نسخة : فوجب.

(2117) سقط «عليه» من نسخة.

(2118) سقط تعريف المحرم من نسخة.

(2119) لم يرد تعريف المباح في النسخ المعتمدة، وهو: «ما لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه».

(2120) في النسخ المعتمدة : سبع. وفي «المرشد المعين» : «فصل فرائض الوضوء سبع وهي...».

(2121) ذكر من بين فرائض الوضوء الماء الطاهر، ولم يذكر الدلك، وهو إمرار اليد على العضو المغسول مع صب الماء. وفي الدلك ثلاثة أقوال المشهور الوجوب (انظر: «**حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة على المرشد المعين**»، ج 1، ص. 152).

وينتقض [الوضوء] ببول وغائط وريح[2122] وزوال عقل بنوم أو مرض ونحوها.

ويجب **الغسل** بخروج المني بجماع أو بغيره مع لذة معتادة، وبمغيب الحشفة في فرج، وبحيض، ونفاس.

وفرائضه خمسة : النية عند أوله، والماء الطاهر، ودلك جميع البدن وليس على المرأة حل ظفائرها إلا إن كثرت خيوطها، والموالاة.

وسننه أربع[2123] : غسل اليدين في أوله بعد زوال النجاسة والمضمضة والإستنشاق ومسح داخل الأذنين.

ويجب **التيمم** بشرطين : أحدهما عدم الماء، والثاني عدم القدرة على استعماله.

وفرائضه سبعة : النية عند أول واجبه، والصعيد الطاهر والضربة الأولى، ومسح الوجه، ومسح اليدين إلى الكوعين ومتابعة فعله، واتصاله بالصلاة.

وسننه أربع[2124] : الضربة الثانية ومسح اليدين إلى المرفقين والترتيب، والبدء بالميامن قبل المياسر.

وتجب **الصلاة** بالعقل والبلوغ : وهي خمس صلوات، الظهر بأربع ركعات، والعصر بمثلها، والمغرب بثلاث، والعشاء بأربع، والصبح بركعتين.

وفرائضها إحدى وعشرون : الطهارة من الخبث بالماء المطلق[2125] ومن الحدث بوضوء أو غسل أو تيمم بشرطه، ومعرفة الوقت واستقبال القبلة، والنية مقرونة بتكبير الإحرام، والترتيب، وتكبير الإحرام[2126]، والقيام لها، وقراءة أم القرآن، والقيام لها، والركوع، والرفع منه، والسجود، والرفع منه، والإعتدال في الأركان، والإطمئنان وهو سكون الأعضاء، وقدر السلام من الجلوس الآخر، والسلام، وترك الكلام، وترك الأفعال إلا اليسير، وإزالة النجاسة عن الثوب والمكان والبدن إن ذَكَر وقَدَرَ وإلا سقط ويعيد في الوقت إن صلى بها ناسيا، وستر العورة، والمرأة كلها عورة إلا الوجه

(2122) في نسخة : ببول وريح وغائط.

(2123) في النسخ المعتمدة : أربعة.

(2124) في النسخ المعتمدة : أربعة.

(2125) «وهو ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد». كما قال الشيخ خليل في «**المختصر**» (انظر: «**حاشية الدسوقي على شرح الدردير على المختصر**»، ج 1، ص. 31).

(2126) سقط من نسخة : «والترتيب، وتكبير الإحرام».

والكفين، فيجب عليها أن تستر جميع جسدها، ولا يجوز لها أن يراها إلا ذوو محارمها الذين لا يجوز لهم نكاحها، والوجه ليس بعورة، إلا أن تكون جميلة الصورة أو صغيرة فلا يجوز أن ترى، ولا يُسَلَّمُ عليها.

وتسقط الصلاة وقضاؤها بعدم ماء وصعيد[2127]، وبالحيض والنفاس ولا يجامعها زوجها فيهما حتى تغتسل بعد انقطاعهما، ولا تمس المصحف، ويجوز لها أن تقرأ في غيره.

ويجب على المرأة أن تسأل عن كل ما تجهل من أمر دينها، ولا يمنعها الحياء، ويعلمها زوجها، ويعلم عبيده. قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾[2128].

وسننها خمس عشرة[2129] : الإقامة، والسورة بعد أم القرآن، والقيام لها، والجهر فيما يجهر فيه، والسر فيما يسر فيه، والمرأة دون الرجل في الجهر، وجهرها أن تسمع كلامها، والإنصات للإمام فيما يجهر فيه، والتشهد الأول، والجلوس له، والتشهد الثاني، والجلوس له إلا قَدْرَ السلام منه فإنه فرض، وكل تكبير سِوَى الإحرام، وسمع الله لمن حمده في الرفع من الركوع، والتيامن بالسلام، ورد السلام على الإمام، والصلاة على النبي ﷺ، وهي سنة في الصلاة أو فضيلة، وفريضة مرة في العمر على كل مسلم، وكذلك الحمد لله والشكر لله.

وتجب **الزكاة** على كل مسلم في الذهب والفضة والحبوب والثمار والأنعام[2130] وشروطها الحرية والنصاب والملك وكمال الملك، وتمام الحول في غير الحبوب والثمار،

(2127) هذه العبارة مأخوذةمن مختصر خليل (انظر حاشية الدسوقي على شرح الدردير 126/1). وسقوط الصلاة بعدم الماء والصعيد هو قول الإمام مالك؛ وفي المسالة أقوال داخل المذهب المالكي نفسه، قال بعضهم:

ومـــن لم يجد ماء ولا متيممـــا ... فأربعـة الأقـــوال يحكين مذهبـــا
يصلّـي ويـــقضي عكسه قال مالك ... وأصبـــغ يقضى والأداء لأشهبـــا

وذيلهما بعضهم بقوله :

وللقابسي ذو الربـــط يومي لأرضه ... بأيـــدٍ ووجـــه للتيمـــم مطلبـــا

(2128) سورة التحريم، الآية 6.

(2129) في النسخ المعتمدة : خمسة عشر.

(2130) الأنعام : الإبل والبقر والغنم .

والنية، وإخراجها بعد وجوبها، ودفعها لمستحقها في موضع الوجوب، ومنع الزكاة ورد فيه وعيد عظيم[2131].

وصوم رمضان واجب: ويثبت بكمال شعبان، أو برؤية عدلين هلال رمضان.

وفرائضه خمسة : النية، ومعرفة الشهر، وأن لا يأكل ولا يشرب ولا يجامع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

وسننه ثلاث[2132] : تعجيل الفطر، وتأخير السُّحور، وألا يبالغ في المضمضة والإستنشاق.

وحج بيت الله الحرام واجب مرة في العمر على من استطاع إليه سبيلا.

وفرائضه خمسة : النية، والإحرام، والوقوف بعرفة ليلا قبل طلوع الفجر من يوم النحر، وطواف الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة[2133].

وسننه خمس[2134] : التلبية وطواف القدوم، وركعتا الطواف، ورمي الجمار، والحِلاَق[2135].

وفرض على كل مومن أن يريد بكل قول وعمل من البر وجه الله الكريم، ومن أراد بذلك غيره لم يقبل منه عمله، وأن يقصد امتثال أمر الله تعالى فيه ويرجو تقبله

(2131) من ذلك قوله تعالى : ﴿والذين يَكنِزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يُحمَى عليها في نار جهنم فتُكوَى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ (سورة التوبة، الآيتان 34-35)؛ وقوله تعالى : ﴿ولا يَحسِبَنَّ الذين يَبْخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سَيُطَوَّقون ما بَخِلوا به يومَ القيامة﴾ (سورة آل عمران، الآية 180)؛ وقوله ﷺ : «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مُثِّل له يوم القيامة شُجَاعا أقْرَع، له زَبِيبَتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْه - يعني شدقيه - ثم يقول : أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا : ﴿لا يحسبن الذين يبخلون... الآية﴾» (رواه البخاري في «باب وجوب الزكاة» من «صحيحه»، ج 1، ص. 173؛ وفي «تفسير سورة آل عمران»، الباب 14، ج 3، ص. 82).

(2132) في النسخ المعتمدة : ثلاثة.

(2133) ذكر ضمن الفرائض، الأركان التي لا تنجبر بالدم. قال ابن عاشر في «المرشد المعين» :

الحج فرض مرة في العمر	أركانه إن تركت لم تُجْبَر
الإحرام والسعي وقوف عرفة	ليلة الأضحى والطواف ردفه

(«حاشية الشيخ الطالب»، ج 2، ص. 124).

(2134) في النسخ المعتمدة : خمسة.

(2135) الحِلاَق : الحلق. وما سماه التمارتي سننا هنا، اعتبره الفقهاء من واجبات الحج التي تنجبر بالدم.

وثوابه وأن يجتنب ما نهى الله عنه، ويحفظ جوارحه من جميع المعاصي والمخالفات، وإن وقعت منه معصية تاب منها على الفور، وكل ما ضيع من فرائض الله فليفعله الآن، ويلجأ[2136] إلى الله فيما عسر عليه من انقياد نفسه موقنا أنه المالك لتوفيقه، ويستعين على طاعته والرجوع إليه وطرد الشياطين ودواعي النفس عنه بالإستحياء من الله تعالى أن يراه على ما لا يرضاه، وبالتفكر في الموت وما بعده من القبر وفتنته وأهوال يوم القيامة وشدته، وبالنظر المؤدي إلى قوة إيمانه وكمال يقينه فينظر في مخلوقات الله تعالى من السماوات والأرضين وما بينهما[2137] من صفات الشمس والقمر والنجوم، وتعاقب الليل والنهار والسحاب والرعد والبرق، واختلاف أجناس المخلوقات من الحيوانات وأصنافها وألوانها والنبات والأزهار والأشجار والثمار واختلاف ألوانها وطعوماتها وروائحها، وفي الإنسان وانتصاب قامته وحسن خِلْقَتِه واعتدال أعضائه وترتيبها على وفق حاجته، فينظر في اليد وأصابعها، وما يحصل بها من النفع، وما يدفع بها من الضرّ، وكذلك في العين والأشفار والأذن والأنف والفم والأضراس واللسان والشفتين والقدمين وجميع الأعضاء والمفاصل. وعجائبُ صنع الله تعالى وحكمته في مخلوقاته لا تحيط بها العقول.

«وعليه موالاة المومنين، والنصيحة لهم»[2138]، وأن يعاملهم[2139] بالأخلاق الحسنة فيعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه[2140].

(2136) في نسخة : وليلجأ.

(2137) في نسخة : وما فيهما.

(2138) هذه العبارة مأخوذة من «رسالة» ابن أبي زيد القيرواني (انظر: «الرسالة بشرح الشرنوبي»، ص. 301).

(2139) في النسخ المعتمدة : ويعاملهم – دون أن.

(2140) لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ : ﴿خذ العفو وَامُرْ بالعُرْف وأعرض عن الجاهلين﴾ (سورة الأعراف، الآية 199)، قال رسول الله ﷺ : «ما هذا يا جبريل؟» قال : «إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتُعطيَ من حرمك، وتصل من قطعك» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . (انظر «تفسير ابن كثير»، ج 2، ص. 277) ؛ وفي «رسالة» ابن أبي زيد القيرواني (ص. 303): «ومن مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك، وتُعطيَ مَن حَرَمك، وتَصِل مَن قطعك». وقيل شعر :

مكارم الأخلاق لي ثلاثة من كملت فيه فذلك الفتى
إعطاء من يحرمه ووصل من يقطعه والعفو عمن اعتدى

(«حاشية الشيخ الطالب»، ج 1، ص. 105).

وجماع آداب الخير وأزمته تتفرع عن أربعة أحاديث : قول النبي ﷺ : «من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[2141]، وقوله عليه السلام : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2142]، وقوله للذي اختصر له في الوصية[2143] : «لا تَغْضَبْ»[2144]، وقوله : «المومن يحب لأخيه المومن ما يُحِبُّ لنفسه»[2145].

ونحمد الله تعالى ونشكره على ما هدانا إليه من نعمة الإيمان والإسلام، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي هدانا به إلى دار السلام، والحمد لله رب العالمين.

* * *

رسالة زروق إلى بعض أصحابه

ولنختم هذا الباب برسالة الشيخ الصالح الرباني الإمام العالم القدوة السني لصوفي أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد المعروف بزروق[2146] رضي الله عنه ونفعنا به وبأمثاله لبعض أصحابه، وهي :

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من عبد الله سبحانه الفقير إلى رحمته، أحمد بن أحمد بن محمد المعروف بزروق[2147] أصلح الله حاله.

(2141) رواه البخاري في «كتاب الأدب» من «صحيحه»، الباب 31، ج 4، صص. 38–39 ؛ والباب 85، ج 4، صص. 50–51؛ وفي «كتاب الرقاق»، الباب 22، ج 4، ص. 89 ؛ ورواه مسلم في مواضع من «صحيحه».

(2142) أخرجه مالك في «الموطإ» فيما جاء في حسن الخلق، رقم 1737. قال الزرقاني : «والحديث حسن، بل صحيح أخرجه أحمد وأبو يعلى والترمذي وابن ماجه... إلخ» («شرح الزرقاني على الموطإ»، ج 4، ص. 253).

(2143) قال الشرنوبي في «شرح الرسالة» (ص. 303) : «أي حين سأله بقوله : يا رسول الله علمني كلمات أنتفع بهن ولا تكثر علي فأنسى».

(2144) أخرجه البخاري في «كتاب الأدب» من «صحيحه» الباب 76، ج 4، ص. 48 عن أبي هريرة (ض) أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني، قال : «لا تغضب»، فردد مرارا، قال : «لا تغضب».

(2145) أخرج البخاري في «صحيحه»، «كتاب الإيمان»، الباب 7، ج 1، ص. 10، عن أنس (ض) عن النبي ﷺ قال : «لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». ورواه مسلم أيضا في «كتاب الإيمان» من «صحيحه». وقول المختارقي : «وجماع آداب الخير وأزمته... (إلى) ما يحب لنفسه». مأخوذ من «رسالة» ابن أبي زيد القيرواني (انظر «الرسالة» : شرح الشرنوبي»، صص. 303–304).

(2146) في النسخ المعتمدة : بالزروق.

(2147) سقط من نسخة : «رضي الله عنه ونفعنا به وبأمثاله... (إلى) المعروف بالزروق».

إلى السادات الفقراء والأحباب في الله تعالى سيدي عبد الله كان الله له في الدنيا والآخرة، وحبيبه في الله تعالى الفقير عبد الملك بن أبي سعيد أسعده الله بمرضاته، ونور قلبه وكفاه شر نفسه، ثم سائر الإخوان ممَّن أراد الدخول في دائرة الأصحاب.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ فقد بلغنا منكم كتاب يتضمن كمال الوداد، وحسن الظن وجميل الاِعتقاد، وأخبرتم فيه بأشواقكم إلينا، وانعطافكم بكنه الهمة علينا. فأسأل الله أن يبلغ نياتكم[2148]، وينفعنا بصالح مقصدكم، وإلا فنحن عصاة مذنبون، نطلب عفو الله بكل حال، ونتمسك بأذيال السادات من أهل الكمال.

ويا أخي ! طلبتم منا إدخال فلان وفلان في الدائرة، ليس ذلك يا أولادي باختيار نفسي العاصية الجائرة، ولكن قل لهم : يقول لكم : عليكم باللَّجإ إلى الله في مقصدكم، ودَعُوا الحول والقوة وراء ظهوركم فلا ملجأ من الله إلا إليه، ولا عاصم من أمره إلا من رحم[2149]، وتعطف عليه.

وأوصيكم بخمس خصال : إن لازمتموها، وصلتم وحصلتم[2150] ؛ وإن أهملتموها، تركتم وانقطعتم. أُولَاها[2151] لزوم خمس صلوات في الجماعة، فإنها العصمة من كل آفة، والثانية مجانبة أهل العناد من الظلمة وغيرهم من منازعة لهم فيما هم فيه، إلا بشفاعة أو إرشاد يصحبه رفق، الثالثة إذا كانت لكم حاجة لأحد من الخلق أو كانت له عندكم حاجة، فقدموا الدعاء في قضائها عند التوجه إليها، لتكونوا بالله لا بأنفسكم، الرابعة القيام بحقوق الخلق بالرحمة للصغير والحرمة[2152] للكبير، والشفقة على العاصي، والتواضع للمطيع، والإحسان لمن أساء إليك والدعاء له بالإصلاح من غير حقد عليه ولا ذلة لأحد[2153]، الخامسة الرفق بالنفس من غير

(2148) كذا في نسخة، وفي نسخة أخرى : أن يبلغ بنياتكم.

(2149) قال تعالى – على لسان نوح – ﴿قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاَّ من رحم﴾ (سورة هود، الآية 43).

(2150) سقطت «وحصلتم» من نسخة.

(2151) في النسخ المعتمدة : أولها.

(2152) سقطت لفظة «الحرمة» من نسخة.

(2153) في نسخة : من غير حقد لأحد ولا ذلة.

تفريط ولا إفراط، ولا تزيدوا[2154] في الضحى على ست ركعات فأقل، وقبل الظهر أربعا، وبعدها ركعتين، وقبل العصر أربعا، وبعد المغرب ركعتين[2155]، ومن الليل عشر ركعات والشفع والوتر، كل ذلك بغير قراءة مخصوصة، ولا صفة معلومة، فإن ذلك بدعة. وما ذكرت لكم[2156] هو طريقتي والسنة التي كان عليها ﷺ حتى لقي الله، والزيادة لا أحبها والنقصان لا أريده. وعليكم بصوم الإثنين والخميس. فإن لم تقدروا، فثلاثة أيام من كل شهر.

وبالجملة، فخير الأمور الوسط، وهو ما ذكرت لكم. وعمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة، والفقير مثل النحلة ترعى من كل نُوَّارٍ[2157] ولا تبيت إلا في جحرها، وهو شيخه، وإلا فلا ينتفع بعسله.

والذي أنهاكم عنه خمس خصال : أولها[2158] كثرة التخليط في العبادة وغيرها؛ الثاني سوء الظن بعباد الله؛ الثالث الإغترار بظواهر[2159] الخلق؛ الرابع الإنتصار للنفس؛ الخامس تتبع الفضائل ودخول ما لا يعني كالتوجه للجهاد بغير إذن جماعة المسلمين وسلطانهم، فإنه سُلم الفتنة. وقلما اشتغل به أحد فأَنْجَحَ[2160]، والدخول بينه وبين مخالفيه[2161] بوجه لا يرتضيه، وحسن الظن بالناس في عين الحذر منهم[2162]، فلا تأمن لأحد بأهلك ولا مالك ولا دينك إلا من جربته ألف مرة[2163] أنه يخاف الله ويتقيه، واعمل ما بيدك كأنك خازن له، تأكل منه بالمعروف وتطعم منه عباد الله من غير سرف ولا إقْتَار. ومن خلط في طريقته لم ينتفع بنفسه، ومن كَثَّر عددَ الأذكار والعبادات غير ما صح في السنة بَعُد عليه الفتح، لأنه كمن يريد حفر بئر يريد ماءَها، ويحفر في كل موضع شبرا.

(2154) في نسخة : ولا تزيد.
(2155) في النسخ المعتمدة : ركعتان.
(2156) في نسخة : وما ذكرتم.
(2157) النُّوّار ـ كرمّان ـ : الزهر، أو الأبيض منه.
(2158) كذا في النسخ المعتمدة. والصواب : أولاها... الثانية... الثالثة... إلخ.
(2159) في نسخة : بظاهر.
(2160) أنجَحَ : نجح وظفر بحاجته.
(2161) في نسخة : مخالفيه.
(2162) مراده أن يبين أن حسن الظن بالناس لا يتناقض مع الحذر منهم، بل الحزم يقتضي الجمع بين الأمرين.
(2163) في نسخة : ألف ألف مرة.

وإياكم والوسوسة، فإنها بدعة وضلال، واسألوا الله منها العافية.

وإياكم وتخاليط[2164] الفقراء والطلبة من الاشتغال بالكنوز والكيمياء[2165] وغيرهما، فإن ذلك مبعد عن الله جالب للفقر، بعيد عن الحق.

وعليكم بالألفة وإكرام الأصحاب وهم ثلاثة : صاحب لدينك فلا تراع فيه إلا حسن خلقه؛ وصاحب لآخرتك فلا تراع فيه إلا الله وأقبله كيف كان؛ وصاحب لتأنس به فلا تراع فيه إلا السلامة من شره.

وإياك وخُلْطَةَ فقراء هذا العصر، فإنهم جذام إِلَّا مَنْ قل، وسلم لهم فيما هم فيه.

وعظم الفقهاء، فإنهم حملة الشريعة؛ ولا تخالطهم، فإن[2166] نفوسهم غالبة عليهم.

وأكرم أهل الدنيا لتنتفع[2167] بهم، ولا ترفعهم عن الفقراء فتسقط من عين الله وتُزْدَرَى عندهم.

وآلجأ في أمرك كله إلى الله، تجد الإجابة كأنها طوع يدك، وقل في جوف الليل بصوت ممدود : يا غني ما للفقير سواك، يا عزيز ما للذليل سواك، يا قادر[2168] ما للعاجز سواك، يا قوي ما للضعيف سواك. وكرر ذلك مرارا، تر العجب من أمرك. ولازم في كل يوم أن تقول : يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا ودود، يا نصير مائة وخمسا وعشرين مرة، وصلِّ[2169] على سيدنا محمد بعدها مثلها[2170]،

(2164) في نسخة : وتخالط.

(2165) المراد بالكيمياء في اصطلاح القدامى : تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة. قال المشذالي : «لا أعلم أحدا قائلا بتحليل الكيمياء»، وقال ابن سينا : «إنها من المستحيلات»، وقال الشيخ زروق :

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا — لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث أقوام بذكرهما — ولا أظنهما كانا ولا وقعا

(«حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة على المرشد المعين»، ج 2، ص. 206).

(2166) في نسخة : لأن.

(2167) في نسخة : تنتفع.

(2168) في نسخة : يا قدير.

(2169) في نسخة : وصلى الله. وهو خطأ.

(2170) في نسخة : مثلها بعدها.

تر العجب من نفوذ الكلمة وظهور الأمر، وذلة نفسك لك إلى غير ذلك. وهذا خاص لك يا عبد الملك.

وسأكتب لكم الوظيفة التي استعملتها. فإن تيسرت لكم، فاقرأوها في زواياكم؛ فإنها مأخوذة من أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تسليما.

انتهت الرسالة المباركة المفيدة وبها تمت فوائد الباب : [الطويل]

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عينا بالإياب المسافر

ٱلْبَابُ ٱلرَّابِعُ :

فِي ٱلْمَرَائِي ٱلْحِسَانِ ٱلدَّالَّةِ عَلَىٰ إِمْدَادِ ٱللَّهِ لِعَبْدِهِ ٱلضَّعِيفِ بِلَطَائِفِ ٱلْبِرِّ وَٱلْإِحْسَانِ

الباب الرابع
في المرائي الحسان
الدالة على إمداد الله لعبده
بلطائف البر والإحسان

أول رؤيا للتمنارتي

أول ما رأيت ـ وأنا ابن سبع أو ثمان ـ أني أصعد في مدارج سود معلقة ضيقة لا يكاد إِبْهَامَا رجلي تزلقان فيها، فنالني من الصعود منها مشقة عظيمة، وروعة من السقوط شديدة، حتى ظهرت بمستوى رحب واسع فتنفست الصعداء، ورأيت في ذلك المستوى دارا واسعة فدخلتها وأخذت صفتها وهيأة طارها[1]، فكان ذلك إشارة لأول مسالكي وآخرها، ولما بنيت داري بقبلة الجامع الأعظم بتارودانت قاعدة السوس الأقصى، دخلتها[2] فرأيت الصفة التي أشارت إليها الرؤيا، فكان ذلك ختام المحنة[3].

وكنت في أثناء تلك المحن يتكرر علي في النوم أني أقرأ سورة «والضحى»[4] إلى آخرها، وربما أممت بها الناس، فأستأنس بها.

قصيدة في المديح النبوي والتوسل

وفي خلال تلك المحن أنشدت هذه الوسيلة وأنا على رأس الخمسة والعشرين، وهي هذه : [البسيط]

الله يعلــــم ما بالقــــلب من جمر	ومـــن غرام وشوق فيـــه مستعـــر
لأن سرى طيف من أحببتُ لي وَسَن	فبات طَرْفِيَ منـــه مَألَــفَ السَّهــر
أبـــيت والحب قارني وملتزمــــي	من فتيـــة خلفـــوني مُسْبِـــلَ الـــعبر

(1) كذا في النسخ المعتمدة. والطُورُ : فِناء الدار. وطَوَار الدار : ما كان ممتدا معها.

(2) في نسخة : دخلت.

(3) في نسخة : المحبة. وهو خطأ.

(4) وهي السورة 93 في ترتيب المصحف.

هم عرَّفـــوني الهوى ما كنتُ أعرفـــه وأرضعـــوني ثُدِيَّ الحب في صغـــري
وجدت قربَهـــمُ أحلى من أَرْيٍ[5]، كما وجـدتُ بُعْدهـــمُ أمــرَّ مِن صَبِـــرٍ[6]
لله جفـــن جفـــاه النـــوم بعدهـــم شوقـــا إليهم وقلبـــي منـــــه في حِيَر
لبـــوسي عادلي بُؤسا منـــذ رحلهـــمُ وشأنـي[7] يَنْهَمِــــي مذ بَانُـــوا بمنغـــزر
يا عادلا عاد عاذِلــــــــي في حبهمُ دعنـي وشأني فكيـف عنهم مُصطَبِري
وضحت عذرا فلا سُقْمِي بمُنْـــحَسِم حتـــى تلُـــومَ ولا سري بمُستَتِـــــر
يا طاويَ البَيْـدا إنْ حللت أرضهـــمُ فاقرأ عليهم سلامي غيرَ ذي خفَـر[8]
وقِـفْ بسَلْـع[9] وسل عن جيرة العلَـم وحي إن جُزْتَ أحْيَا العُرب من مُضَرِ
واسْقِ العقيقَ[10] عقيقَ الدمع منسجما واربَعْ[11] برَبْعِ قُبَا والقلب في حِيرِ[12]
فمِــــنْ حشايَ ضرام ناب عن قبس ومـن جفونـيَ دمع يَهْمِــي كالمطـــر
أرِقْتُ آناءَ ليلي من خيـــــــالهمُ فما حصلتُ على شيء سوى السهـــر
تهْـوَى الأحبـةَ والركبـانُ ساريـــةٌ لو كنتُ أنصفتُ تحْدُو السفر بالسفر
نعم توانت مطايا عزمي عن شُغُلٍ[13] لأن وَهَنْتُ بسَيْـــرِي الـركبُ لم يسر
وسأشُدُّ مطايـــا الفكـــرِ مُسْرِعَـــةً نحوَ الحبيب حَمَلْنَ أنـفسَ الـــدُّرَرِ
في أبحر الفكـر غاص الـرأي منتقيـا بها[14] الجواهـر وَسْط أمــواج الفِكَـــرِ
من القـــوافي توم مدح من ظهـــرت له البشائــرُ إذْ أشرقَ في الـــبَشَرِ

---

(5) أرْيٌ : عسل.
(6) الصَّبِر : عصارة شجر مر.
(7) شأني : مجرى دمعي إلى العين.
(8) خفر : حياء.
(9) سَلْع : جبل في المدينة المنورة.
(10) العقيق : موضع بالمدينة، ومواضع أخرى.
(11) آربَع : قف، وانتظر، وانزل.
(12) في الديوان : والجفن ذو عبر.
(13) في الديوان : نعم توانت مطايا عزمي مرتخيا.
(14) في نسخة : لها؛ وفي الديوان : مقتنصا لها.

وهتف الجن يُنْبِي[15] عند طلعته[16]	وسَطَع النور بين الجو والقَتَرَ[17]
قطب الوجود الذي خرَّتْ لمولده	صُلبانُ غي بطول الدهر لم تَخِر
وخمَدتْ نارُ فارس وما خمَدتْ	من ألف عام[18] ونهرُ القوم لم يَفُر[19]
وقصرُ كسرى تزعزعت جوانبه	فبات منصدع الأرجاء ذا كِسَر[20]
وحلَّ رَوْعٌ قلوبَ الشرك وارتعدت	وحلَّ أمنٌ قلوبَ الحق بالبُشَر
كم من عجائبَ قد بدت ببعثته	ومعجزاتٍ غدتْ في الدهر كالغُرَر
ضاءت بطلعتِه الأرْجَا وغُرَّتِهِ	إذ لاح فوق الذُرَى أبهى من القمر
ذَرَّتْ[21] بها الشمسُ تَهْدِي الخلقَ للرُّشدِ	والشمسُ تُغْنِي الورى عن أنْجُمِ السَّحَر

---

(15) في النسخ المعتمدة : تنبي. ولعله يُنْبِي.

(16) عند طلعته : المراد به عند ولادته. وفي ذلك إشارة إلى ما ورد من أنه حين وُلد الرسول ﷺ، هتف هاتف على الحجون، وهو ينشد ويقول :

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبت … ولا ولدت أنثى من الناس واحدة
كما ولدت زهرية ذات مفخر … مجنبة لؤم القبائل ماجدة

(«حاشية الباجوري على متن البردة»، ص. 38).

(17) القَتَر : الغُبار، وفي الديوان : وسطع النور من زاه ومزدهر. وفي ذلك إشارة إلى ما روي من أنه ﷺ لما ولد خرج معه نورٌ أضاءت له قصور بُصْرى بالشام (انظر المرجع السابق). قال البوصيري في «البردة» :

والجن تهتف والأنوار ساطعة … والحق يظهر من معنى ومن كَلِم

(المرجع السابق).

(18) يشير إلى ما ورد من أن نار الفرس التي كانوا يعبدونها خمدت وانطفأ لهيبها ليلة مولد الرسول ﷺ، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام، وفي عبارة بعضهم بألفي عام. (انظر: المرجع السابق، ص. 37).

(19) لم يَفُر : لم يهج ولم ينبع، بل غار، وانقطع ماؤه. قال البوصيري في «البردة» :

والنار خامدة الأنفاس من أسف … عليه والنهر ساهي العين من سدم

(المرجع السابق، ص. 36). وقال في «الهمزية» :

وغدا كل بيت نار وفيه … كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا … ن لنيرانهم بها إطفاء

(20) يشير إلى ما ورد من أن إيوان كسرى انشق انشقاقا بينا ليلة مولد النبي ﷺ، وسقط منه أربع عشرة شرافة. وقد مكث في بنائه نيفا وعشرين سنة، وأعده لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه، وبالغ في إحكام بنائه، وكان يظن أنه لا يهدمه إلا نفخة الصعق. قال البوصيري في «الهمزية» :

وتداعى إيوان كسرى ولولا … آية منك ما تداعى البناء

(انظر المرجع السابق. ص12). والشاعر اتكأ في هذا البيت والذي قبله على السقراطيسية (انظر المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ليوسف النبهاني 3/ 199).

(21) ذَرَّت: طلعت.

هو النبـي الــذي به النبيئـون قد | دعوا فنالوا النّدى[22] من بحره الزخر
محمدُ المصطفى المختارُ من شهـدت | بصدقـه كلمـاتُ الله من سُوَرِ
نَبِيُّنـا اللَّـذْ أتـى بأنـفَس الـبُشَر | وعمَّ بالـنُّشْرِ كل أنفَـاس الـبَشَرِ
وأنـهَضَ الحقَّ وهـوَ كان مكتئبـا | إذ جاء مقترنـا بأصدق الخبر
وأيـد الله بالتصديـق حُجَّتَـه | بآيِ صدق بدت للنـاس كالغُـرَر
رفـع ذكـرَه[23] ربُّ العرش إذ عُقِدتْ | له المفاخرُ قبـلَ الكـون في القَـدر
الله أرسل رُسْلا جاء أفضلَهـم | وأكرمَ الخلـق من بَدْوٍ ومـن حَضَر
فقـل لمن رام غَيّـاً رَقْـي رُتْبَتِـهِ | وَيْحَكَ ما نِسبَةُ الأنثى من الذكر ؟
كم بين مَن قَارَن[24] التصديقُ دعوتَـه | وبين من لِسِوَى التّفْنيـدِ[25] لم يَصِرِ
كفـاك منـه دليـلا حُسنُ منظـرِهِ | لو لم تكـن له آيٌ يُنْبِـي بالخبر[26]
وكل رَوْق[27] أتى ذَوُو الـرواقِ به | فهْوَ مَنُـوطٌ بهم من حُسنـه البَهِـر
ومِـن بحوره غرْفُ الـرُسْلِ أجمعِهـم | ومِن ضيائِـه ضوءُ الشمس والقمـر
كأنـه ونجومُ الـرُّشْدِ تكْنُفُـه[28] | بدرٌ تطـوفُ به الأقمـارُ في سَفَـر
ومنـه فاضت بحورُ الجود والكَـرَم | ويَنْبوعُ الفضل منه غيـرُ منكـدر
ما رام حَصْرَ علاه المرءُ إلا أتى | بأن عَدَّ عُلاه غيـرُ منـحصر[29]
كم سابق سابق أعـيت مكارمـه[30] | وفائـقٍ فائـقٍ بالعجـز عنها حَرِ

(22) في بعض النسخ : اللقى.

(23) قال تعالى : ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ (سورة الشرح، الآية 4).

(24) قارن : صاحَبَ.

(25) التفنيد : التكذيب.

(26) هذا البيت مأخوذ من قول عبد الله بن رواحة :

لو لم تكـن فيـه آيات مبينـة | لكـان منظـره ينبيـك بالخبر

(«الشفا»، ج 1، ص. 249).

(27) رَوْق : المراد به هنا الجمال الذي يروقك ويعجبك.

(28) تكنفه : تحفظه وترعاه.

(29) ورد هذا البيت في الديوان هكذا :

ما رام حصر نداه المرءُ إلاَّ لَقـا | بأن بحرَ نداه غيـرُ منـحصر

(30) في الديوان : خلائقه. وهذا البيت أخذه المختارقي من قول ابن الراوندي، أحد زنادقة الإسلام :

كم عالم عالِـم أعـيَتْ مذاهبُـه | وجاهـل جاهـل تلقـاه مرزوقـا
هذا الـذي ترك الأوهـام حائـرة | وصيَّـر العـالم النحريـر زنديقـا

(«حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة على المرشد المعين»، ج 1، ص. 70).

أثنى على خُلقه الخلّاق في القِدم[31] ومدحُه الخلْقُ بعد رغبةَ الظفر

ثم الذي ساق أهلَ المدح فيه ثنا من لُجّة الفكر فاق حُجّةَ النظر

رُفِعَ مُبتدأً للمجد وارتفعت أخبارُ ذاك بربطِ صادقِ الأثر[32]

أُحْبِبْ بذي حَسَب عالٍ وذي نَسَب من جوهر كان قِدماً مَعْدِنَ الدُرَرِ

أغرُّ الآي فقد جلَّتْ عجائبُهُ فذو العمى عاد يُمْناً منه ذا بَصَرِ

وعامَ مَحْلٍ دعا فجاد فيه حَياً[33] أحْيَا به الحَيُّ أحْيَاءَ على مُضر

فأوْسَعَ السَّيْبُ[34] أحدابـاً[35] فلست ترى سوى نزيل وراكد ومنهمر

والسِّيدُ والضَّبُّ والثعبان والجمَلُ والظبيُ والعَيْرُ بالتصديق كالحجر[36]

كذا الذراعُ بسُمٍّ فيها فائِهةٌ وأفضحت كيد أهلِ الخزي والسُّعُرِ[37]

أتى المنير له فانشقَّ[38] في أُفُقٍ كما أجاب دُعَاه ناضرُ الشجرِ

وكم له من آيات منه صادرةٍ على سبيل التحدي عين ذي نظر[39]

فإن آيَ رسول الله يُعْجَزُ عن صُغْرٍ منها فما ظنك بالكُبَرِ ؟

مَنْ لي بحصر بحور وهْيَ زاخرةٌ ومن بإحصَا الحصا والأنجُمِ الزُهُرِ ؟

كفاك بالرفع في المفرد معجزة[39م] حيث أتى بعزيز النصر مُنتَصِرِ

محمد المُصطفى المُختار من خَتَمَتْ طَلْعَتُهُ مُرسلي[40] الرحْمٰن للبشر

ظهرت أمرا فما دنوتَ من نَفَر من العُداة إلّا وَفُلَّ[41] بالنفر

أُيِّدتَ بالنصر مِن رب العباد فما نَوَيْتَ أمرا إلا وفزت بالظفر

(31) يشير إلى قوله تعالى : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (سورة القلم، الآية 4).

(32) وظف التمارتي في هذا البيت بعض أحكام المبتدإ والخبر، التي تدرس في النحو.

(33) الحيا ـ مقصورا ـ : المطر.

(34) السيب : الجري، مصدر ساب بمعنى جرى ومشى مسرعا.

(35) الأحداب : جمع حَدَب، وهو تراكب الماء في جريه.

(36) ورد هذا البيت في «الديوان» (مخطوطة الخزانة الملكية رقم 5623) هكذا :

والسيد والضب والثعبان والجمل فاهت بصدق كنطق العَيْر والحجَر

والمعجزات المشار إليها في هذه القصيدة، تقدم الحديث عنها.

(37) السُّعُر: الجنون. (38) في النسخ المعتمدة وفي الديوان: انشق. وأثبتت الفاء ليستقيم الوزن والمعنى.

(39) في الديوان: على سبيل التحدي أي منصدر. (39م) أخذ هذا الشطر من قول البوصيري في البردة:

كفاك بالعلم في الأمين معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

(ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني ص 239).

(40) في النسخ المعتمدة: مرسل. والتصويب من الديوان.

(41) فُلَّ: هُزِم؛ وفي الديوان: وعضوا بالمَقِر. والمَقِر: الصَّبِر، او السم.

بفتيَةٍ نُدِبُوا لله فانتدبوا ... وزُمْرةٍ هي خيْرُ أجمع الزُّمَر

هم القهوب(42) فسل عنهم ملاحمهم ... مواقع الخسْف للكفار والغمَر(43)

أولُو البسالة ما إنْ يلقَى لاقِيهِمُ ... في جندهم غيرَ باسل ومُهْتصِر(44)

ترى الأعادي إذا خبَتْ نيرانُ وغىً ... كأنهمُ أعجَازُ(45) نخل مُنقَعِرِ(46)

أبادوا طرا جيوشهم فلست ترى ... سوى قتيل ومهزوم ومتسر(47)

حتى غدت كِلْمَةُ الحق المبين على ... أعلى المعالي ولم تُمَسَّ بالغِيَرِ(48)

فالحمد لله ما أبقيت من شُبَه ... ولم تدَعْ رِيَبَةً في قلب مُغتَبِر

فأصبحت ملةُ الإسلام وهْيَ إلى ... يوم القيامة ذاتُ أمنع الوَزَرِ(49)

يا باسطَ الكف يا من جُوده علَم ... إليك عبدٌ أتى بقلبٍ منكسر

أتيتُ قربَ حِمَاك أستجيرُ به ... بصفو وُدٍّ بلا شَوْب ولا كَدَر

ففي حماك أنا، ففي حِمَاك أنا، ... ففي حِمَاك أنا جئتُك ذَا وَطَر

فلا اعتماد إلا عليك يا أملي ... ولا رجائِي فيمن عداك من بشر

حقق رجائِي فيك أُذْنَ خيرٍ(50) فما ... خَيبتُ إلا على حُبِّيك من صِغَرِي

فكن شفيعا لي آخذا بناصيتي ... إلى الجنَان بلا عُنْفٍ ولا غَمَرِ

فإنني وَجِلٌ إذا الخلائقُ في ... هول عظيم والنار تَرمِي بالشَّرَرِ

وأنتَ صَلَّى عليكَ الله تُمنَحُ ما ... سألتَ فيه وتُدعَى سيد البشر

تُعطَى فَتَرْضَى كما وُعِدْتَ ذاك(51) وما ... إنْ يخلفُ اللهُ مِنْ وعدٍ عليك حَرِ

---

(42) القهوب : جمع قهب، وهو الجبل العظيم. وهذا الشطر أخذه التمنارتي من قول البوصيري في «البردة» :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ... ماذا رأى منهمُ في كل مُصطدم

(«القصائد البصيرية في مدح خير البرية»، ص. 38).

(43) الغمر : المراد الغَمْرة التي هي الشدة.

(44) المهتصر : الأسد.

(45) أعجاز النخل : أصولها.

(46) منقعر : منقطع. أخذ هذا التشبيه من قوله تعالى : ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ (سورة القمر، الآية 20).

(47) متسر: المراد أسير. (48) احداث الدهر ونوائبه.

(49) الوَزَر: المَعْقِل، والملجا، والمعتَصَم. والشطر الاول ماخوذ من قول البوصيري في البردة:

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم ... من بعد غربتها موصولة الرحم

(50) أذن خير : يسمع الخير والحق. أخذ التمنارتي هذا الوصف من قوله تعالى : ﴿ومنهم الذين يوذون النبيء ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ (سورة التوبة، الآية 61).

(51) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ (سورة الضحى، الآية 5).

يا أرفعَ الرُسْلِ عند الله منزلةً | وأكرمَ الخَلْق صَفْحاً عن ذوي العثر[52]
هذا نَزِيلُك يرجو أن تُلاقِيَه | يوم التلاقي بوجهٍ غيرِ مستتر
فليس لي من ملاذٍ غيرِ جاهِكُمُ | إذا الوُجوهُ غَدَتْ تُرْهَقُ بالقَتَرِ[53]
صلّى عليك إلَهُ الخلق ما يَمَّمَتْ | جَنَابَكَ النوقُ تَطْوِي السير بالنفر
يا رب هذا رِتَاجُ[54] الفضل أقْرَعُه | وأنتَ تعلم ما بالقلب من وَطَرِ
مددتُ نحوك كفَّ الفقر مبتهلا | فارحَمْ ضَرَاعَةَ عبدٍ مُسَّ بالضرر
وانظر لِحَالِيَ يا ذا المنظرِ الحَسَنِ | فقد وقعتُ به في أعظم الخَطَرِ
وَالْطُفْ بي لُطفا جميلا واعفُ عني وجُد | عَلَيَّ صفحاً عما جَنَيْتُ في عُمُرِي
وَيسِّرْ رَبِّيَ لي سَعْياً أصِيرُ بِهِ | مستبشرا غير رائع[55] ولا بَسِر[56]
واختِمْ عَلَيَّ بحق عند مُحْتَضَرِي | واجعَلْنِي ممن يفوزُ منك بالنظر
بحرمة المصطفى اللَّذْ كان حُرْمَتُه | دَفْناً كحُرمته حَيّاً بلا نُكُرِ
عليه أزكى صلاة الله ما ذرفَتْ | بالدمع شوقا إليه مُقَلُ البَشَر
وما تَرَوَّتْ رياضُ النشر بالسَّبَلِ[57] | وعادت[58] أغصانَها نَسِيمَةُ السَّحَر

وكنتُ عزمتُ على تركها قبل تمامها، فرأيت في نومي أني أقبلت على قوم ذوي سَمْتٍ وشارة، فأشاروا لي أن ارجع حتى تأتي بقصيدتك، فظننت أنهم مداحوه ﷺ، فأتممتها. وتمام كل عمل بحسن النية فيه، و«نية المومن أبلغ من عمله»[59].

(52) العثر : المراد به العثرات.

(53) القَتَر : الغبرة. قال تعالى : ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة، ترْهَقُها قَتَرة﴾ (سورة عبس، الآيتان 40-41).

(54) الرِّتاج : الباب المغلق وعليه باب صغير. وفي النسخ المعتمدة : وتاج. والتصويب من «الديوان». وعدول العمارتي عن «باب» الذي لا يسعه النظم إلى «رتاج» توفيق ظاهر، وقد استقامت شاعريته في هذا البيت وفي الذي يليه، وليتها قد استقامت له في كافة الأبيات.

(55) رائع : اسم الفاعل من رَاعَ بمعنى فَزِع وخاف.

(56) بَسِر : المراد باسر أي متكره، متقطب. ومنه قوله تعالى : ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ (سورة القيامة، الآية 23). وهذا البيت مأخوذ من قول ابن مالك في آخر «لامية الأفعال» :

وأن ييسر لي سعيا أكون به | مستبشرا جَذِلاً لا باسراً وَجِلاً

(«حاشية الشيخ الطالب على شرح الإمام بحرق على لامية الأفعال»، ص. 64).

(57) السَّبَل : المطر.

(58) عادت : زارت.

(59) حديث «نية المومن أبلغ من عمله» أخرجه العسكري في «الأمثال»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أنس مرفوعا. وقال ابن دحية : لا يصح، وقال البيهقي : إسناده ضعيف، لكن له شواهد يتقوى بها (انظر : «الشذرة»، ج 2، صص. 227-228، رقم 1085).

قصيدة أخرى في التوسل

وفي خلال تلك المسالك، وأنا ابن ست وعشرين سنة[60]، وهي سنة تمام الألف[61] قرعت باب الله بهذه الوسيلة ثانيا، وهي : [البسيط]

هذا النذيرُ أتى بوجهه البَهِج قامَ خطيبا برأسي قائمَ الحُجَج

ما كنت تستحيي من ضيف ألَمَّ ولم يجد قِرىً من جميل الفعل فيا تجي[62]

إلى مَ أنت تُهيج فعلَ شائمة[63] طوعَ انقياد وفعلَ الخير لم تُهِج

وحتى مَ أنت ترعَى خضرةَ الدِّمَن[64] والناسُ يَرْعَوْن روضا رائقَ البَهَج

روض زهت لنفوس القدس بهجته أفْدِيه بالنفس مِن زاهٍ ومبتهج

ما حلَّ ساحتَه المزكومُ ذا أمَدٍ إلا هداه شَذاه نفحةَ الأرَج

زهَتْ لديك التي[65] زهت لَدى النَّعَم[66]

فما إذَنْ أنتَ - قُلْ - مِن عاقل المُهَج

مَن سرَّحَتْ مُقْلتَاه في محاسن ذي الـ دنيا فمُقْلُهَا كَوَسَنٍ[67] الغَنَج[68]

فاثْنِ عِنَان اللَّحَاظ عنها مُنثنِياً عما حوته وحاذِرْ فتنةَ الدَّعَج[69]

---

(60) سقطت «سنة» من نسخة.

(61) يؤخذ منه أنه ولد عام 974هـ.

(62) تأثر التمنارتي هنا بقول البوصيري في «البردة»:

ولا أعدت من الفعل الجميل قِرَى ضيف ألم برأسي غيرَ مُحْتَشِم

(«القصائد البصيرية»، ص. 30).

(63) شائمة : اسم الفاعل المؤنث من شأمهم وعليهم، أي صار شؤما عليهم. والشُّؤْم : ضد اليُمْن. يقول : إلى متى تعمل ما يعود عليك بالشؤم والخسران ؟

(64) الدِّمَن : جمع دِمْنة، وهي الموضع الذي يلتبد فيه السِّرْقين - أي الزبل -، وكذلك ما اختلط من البعر والطين عند الحوض فتلبد. وما ينبت في الدمن من الكلإ يُرَى له غَضَارة، ولكنه وَبِيءُ المَرْعَى، منتن الأصل («لسان العرب»). قال الحريري :

ما أنتَ أولُ سار غرَّه قَمَر ورائدٍ أعجبته خضرةُ الدِّمَن

فاختر لنفسك غيري إنني رجل مثل المُعَيْدِيّ فاسمع بي ولا ترني

(«مقامات الحريري»، ص. 4). وورد في حديث ضعيف جدا : «إياكم وخضراء الدمن»، فقيل : «وما خضراء الدمن؟» قال : «المرأة الحسناء في المنبت السوء» (انظر «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، المجلد الأول، الجزء الأول، ص. 24، رقم الحديث 14).

(65) في النسخ المعتمدة : الذي، والتصويب من «الديوان».

(66) النَّعَم : الإبل والبقر والغنم.

(67) في إحدى النسخ وفي الديوان : كواسن. والوَسَن : شدة النعاس.

(68) الغَنَج : الشَّكْل، والدلال.

(69) الدَّعَج : سواد العين مع سعتها.

إذا الفتى فاته الفَتَاءُ[70] فيما وَفَى[71] | ولم يَزُرْهَا فذاك مِن هَوَاهَا نَج
المرءُ ذو الطبع حقا يستقيمُ به | وذو التطبُّع في مَخسَبَةِ العِوَج
إن يسعَ ساع به يوما يُنافرها | فليحذَر الساعي إذ ذاك من العَرَج
من رَاضَ صعْبا يلين في رياضته | حتى يصيرَ به في أرفع الدَّرَج
مَن لي برد غَوِيٍّ من غَوَايَتِه[72] | وهْوَ بِتِيهِ هواه غيرُ مُنْزَعِج
أزعج برشدك نحو الباب وابْتَدِرِ | مَن يَقْرَع البابَ في إدمانه يَلِج[73]
ذو العزم إنْ يَعْزِم انحطت مثاقِلُه | والحزمُ ما قُرِعَت لذاك سِنُّ شَج[74]
نفسي ارجِعَنَّ إلى مولاكِ مسرعة | وأقْلِعَنَّ وخُذْ بقَيِّم النهج
ولُوذي بالله نِعْمَ مَن يُلَاذُ بِهِ | عند الدواهي ونِعْمَ مَن إليه لَجِي
وارغَبْه في غَفْر ذنب كنتِ قارِفَه | وما نَهَتْكِ النُّهَى في سالف الحِجَج
كم اجْتَرَحْتِ[75] وكم جنيْتِ من إثم | وكم نكَثْتِ وَثِيقَ العهد من لهج
يا قابل التَّوْبِ يا ذا العفو والمِنَنِ | يا رَبِّ يا مُنقِذَ الغَرْقَى من اللُّجَج
هذا عُبَيْدٌ كسيرُ القلبِ ضارِعُه | أتاك يَرْجُو بقَلْبٍ غير مُمْتَرِج[76]
يقول خُلِّي إلَيَّ السَّيْرَ مسرعةً | في حَلِّ مُعْتَقَلي يا نفْحَةَ الفَرَج
حاشاه أن يشجُوَ الحرمانَ سائلَه | أو أن يَعُود بكَرْبٍ غيرِ مُنفَرِج
فادع الكريمَ وسَل والْجِجْ[77] عليه وقُل | يَسِّرْ أمَولاي عُسري ولْتُزِل حَرَجي
ذَا الحول، لا حولَ لي، كلَّا ولا قوةٌ | إلا بعَصْمِك والتوفيقُ منك يَجِي

---

(70) الفَتَاء : الشباب.

(71) وَفَى : مراده به مضى.

(72) أخذ هذا الشطر من قول البوصيري في «البردة» :

مَن لي برد جِمَاح من غوايتها | كما يُرَد جماح الخيل باللُّجُم

(«القصائد البصيرية»، ص. 30).

(73) تأثر في هذا البيت بقول محمد بن بشار :

إن الأمور إذا انسدت مسالكها | فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسَنَّ وإن طالت مطالبة | إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلِق بذي الصبر أن يحظى بحاجته | ومدمن القرع للأبواب أن يَلِجَا

(«حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة على المرشد المعين»، ج 2، ص. 252).

(74) قرع السن : كناية عن الندم؛ والشجي : المشغول، ومراده أن الحازم لا يندم على حزمه.

(75) في بعض النسخ : كم اجتربت. وهذا الشطر غير مستقيم عروضياً، إلا إذا كسرت ثاء «إثم».

(76) في «الديوان» : ممتزج. والممترج : من المرج الذي هو الخلط.

(77) وصل همزة القطع في «والْجِجْ» للضرورة.

مِنّي الإنابةُ بالتَّوْبِ النَّصُوحِ ومِن ... رب العباد إجابةٌ لِذي لَهَجِ

يا رب قد قَنَطَتْ نفسِيَ إذ مَرِضَت ... يَدَهَا قد بسطَتْ لك يا ذا الفَرَج

فاشْفِ إلهِيَ ما أشكوه من سَقَمٍ ... ومن ثوىً[78] أَلَمٌ بالجسم ممتزج

مولايَ عبدُك قد طالت به كُرَبٌ ... نَفْسٌ عَلَيَّ فكم لي بالكروب شَجِي

وارحَمْ تضرُّع مَن ثَمَّتْ لهُ حِيَلٌ ... أتاك مرتجيا سُهولَةَ اللُّهَجِ

أنقِذْنِي مِنْ وَحَلِي، أَمِّنّي مِنْ وَجَلِي ... بَلِّغْنِي مِن أَمَلِي وَعَجِّلَنْ فَرَجِي

وأَذْهِبَنْ عِلَلِي وَأَزِلَنْ كَسَلِي ... وَثَبِّتَنْ قَدَمِي وأَقِمَنْ حُجَجِي

وَبَرِّدَنْ حُرَقِي، وأَذْهِبَنْ قَلَقِي ... وحَسِّنَنْ خُلُقِي وأَبِنَنْ سُرُجِي

وبلغَنْ أَرَبِي وأَزِلَنْ تَعَبِي ... وعجِّلَنْ طَلَبِي وأَجِبَنْ[79] لَهَجِي

وارحَمَنَّ وهَنِي واغْفِرَنَّ زَلَلِي ... واسمح إلهِيَ عما بِيَ من عِوَجِ

فمَن شفيتَ شُفِي، ومن كَفَيْتَ كُفِي ... واللطف منك خَفِيٌّ فعساه يَجِي

الفضل واليسر والتيسير منك أتى ... والصفح والعفو والغفران منك رُجِي

كل العفاة بباب العفو قد وقفوا ... مرتقبين لما لديك من فرج

إن رُدَّ لَهْفُهُمُ خيبا ولَهْجُهُمُ ... فمَن للمتهف بعد وملتهج

آياتُ لُطفٍ بلُطف منك شاهدةٌ ... فكَمْ هَوٍ هُوَ من وجه الهلاك نَجِ

فلن يَخِيبَ امرؤٌ عليك مُتَّكِلٌ ... ولن يَضِيعَ عُبَيْدٌ لِرَجاك لَجِ[80]

ما ضاق بالعبد حالٌ واستعدّ له ... إنابةَ الله إلّا حُلّ بالفرج

ولا أناخ بباب الله ذو أَلَمٍ ... إلّا انْجَلَى عنه ما يشكوهُ من وَهَجِ[81]

أسلمتُ لله وجهِي واعتصامِي به ... وذو اعتصام به في أَقْوَمِ النَّهَجِ

يا رب إنّ إليك الرُّجعَى في طلب ... وأنت أكرمُ مِفضَالٍ رَجَاهُ رَجِ

يا باسطَ النِّعَمِ، يا ذا الفضل والكرَم ... ومن إليه طِلَابُ كل ذي لَهَجِ

ابْسُطْ علينا الذي لديك من نِعَمٍ ... وعنّا فاقْبِضْ جميعَ الضُّرِّ والحَرَجِ

وأَبْدِل الضَّنْكَ بالتفريجِ منك عسَى ... أن يَنْجَلِيَ ظَلَامُ الضيق بالبَلَجِ[82]

---

(78) ثوىً : هلاك.

(79) في بعض النسخ : وازلن.

(80) في نسخة : رج.

(81) وَهَج : حرارة.

(82) البَلج : الضوء.

واقْطَعْ إلٰهِيَ مَنْ يقطع عنك وما يَذُودُنا عنك من وقائع الْهَرَج[83]
ولا تكلنا إلى مُهجتنا زمناً ولا إلى مَن سواك خالق المُهَج
بِسِرِّ أسمائك الحُسنى وأعظمِها لَديك قدرا وباسمٍ غير مُنْبَلِج[84]
اكْشِفْ كروبا توالت في تناوبها واصرف بفضلك بؤس شر مُنْعَرَج[85]
وبآياتك نورٌ منك مُنكمِلٌ هُدىً شفاءٌ لذي سُقْم ومُنْتَهِج
بِمَا حوتْه من الأسرار والحِكَم ومِنْ لَطَائِفَ لَيْسَتْ تُحصَى والحُجَج
ومن تلاها سَجِيُّ الطَّرْفِ ذا فكر عانى[86] التلاوةَ والليلُ عليه سَجِي
وبالذين هُمُ لديك قد عَزُمُوا
مِن رُسْلِكَ الغُرِّ[87] مَنْ في أرفع الدَّرَج[88]
وأوليائك طرا من جوانبها
ومَن بَكَى خوفَ ذنب وأتاك شَجِ[89]
ومَن سَرَى وَبَرَى[90] طولَ الطَّوَى[91] ونَوى
أمَّ قُرَاك[92] يجوب قاتمَ الفجج
طاوي السباسب[93] لا شيء يُسامره سوى اغتراب وعزم منه منزعج
بكل مَن طاف بالبيت العتيق ومَن لدى المقام دعاك رافعَ اللَّهَج
وكُلِّ باك على التعريف مختضعا لله محتسبا في فارط الحِجَج
بكل مَن عَبَرتْ عيناه من وَجَل ومَن لديك له قدرٌ عَلِي الدَّرَج

(83) الهرج : الفتنة.

(84) منبلج : متضح. يشير إلى اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى. وقد أخفاه الله ليتوسل الناس إليه بأسمائه الحسنى كلها. قال بعضهم :

وأخفيت الوُسطى كساعة جُمْعة كذا أعظمُ الأسماء مع ليلة القدر

(85) في بعض النسخ : منعوج. والمُنْعَرَج : المنعطف.

(86) في بعض النسخ : معنى.

(87) يقصد أولي العزم من الرسل، وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ (سورة الأحزاب، الآية 7).

(88) ورد الشطر الثاني في «الديوان» هكذا : «مِن أنبيائك من في أرفع الدرج».

(89) في بعض النسخ : سج.

(90) في بعض النسخ : وبدى. وبراه : هَزَله.

(91) الطوى : الجوع.

(92) أم القرى : مكة المكرمة.

(93) السباسب : السَّبْسَب، أي المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

بجاه مَن كُلُّنا نرجو شفاعتَه — مَن في رَجَاهُ جميعُ العالمين رَجِي
مَن غَمَر الكلَّ إحسانا ومَكْرُمَةً — بَحرُ قِرَاهُ الفُراتُ الزاخر اللُّجَج
محمد خير مَن حَلَّتْ بساحته — للمضطرين شكاياتٌ على وَهَج
رَبِّ به وبآله وأصحابه — عَجِّل بفتح ولُطف منك والفَرَج
يا مُنتَهَى أمَلِي لِكُلِّ ذي أمَلِ — قد انتهى أملي إليك في عجج[94]

ابتهال

وإذا أفرط الكرب، وتتابع الخطب، وتخيلت النفس الرحيل، ورأت مخايل النقلة إلى الرب الجليل، ابتهل إليه بهذه الأبيات : [البسيط]

يا رب أنْفَسُ أذْخارِيَ[95] عَفْوُكُمُ — معَ شفاعة خير الخلْق والرُّسُل
ولست مدخرا من صالح العمل — شيئا وَلاَ لِيَ إلّا صَادِقُ الأمَل
فإن هفوتُ فكم سترتَ من حُوَبٍ[96] — وكَم غفرتَ امتنانا منك من زَلَل

اتهام بعض العدول التمنارتي بكتابة الزور

ومن تلك المحن ما لقيت من بعض أقارب شيخنا القاضي، وكان من العدول المُثَبِّجين[97]، وإنا إذ ذاك حديث عهد بالإضافة إليهم، عدا عليَّ وَصَاحِبِي في بيت العدالة، فرمى كتبنا وحصيرتنا في مَحَجَّة السوق لِقَصْدِ الِاختصاص، والِاستبداد بالِاقْتِنَاص، فاكتتب هُوَ وَأضْرَابُهُ علينا كتابا أشهدوا فيه أننا نكتب الزور، وأضافوا أمورا تُخل بمروءة العدالة، فرفعوه لشيخنا القاضي، فاستدعانا، فقلت لصاحبي: اسكت، أنا أجيبه. ولما مَثُلنا بين يديه، أخرج كتاب إفْكِهِم وقرأه علينا عن آخره، فقال : ما هذا الذي شهد به عليكم؟ فقلت : أعزك الله، أنت الذي ترد عليك شهادتنا وشهادة غيرنا؛ فإن وجدت لنا[98] ما قاله أولئك فخذنا به، فسكت وعلم أني أفحمته، فقال : انصرفوا! ولم يتهيأ لهم ما قصدوا من الفتك ـ إذ ذاك ـ والعزل.

وكان شيخنا أبو عبد الله التلمساني الذي كنا[99] نلازم مجلسه غاب بمراكش

(94) كذا في النسخ المعتمدة. ولعل مراده «في عجٍّ»، إي صياح ورفع صوت، فَفَكَّ إدغامه للضرورة.
(95) الأذخار : جمع ذُخر، وهو ما اذُخِرَ، كالذَّخِيرة.
(96) حُوَب : آثام، مفرده حُوبَة.
(97) في طرة نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 1420د : «المُثَبِّجُ : هو الذي لا يحسن عملا». وفي «القاموس» : «التَّبج : تعمية الخط وترك بيانه كالتثبيج».
(98) سقطت «لنا» من نسخة.
(99) سقطت «كنا» من نسخة.

وافدا على المنصور، وفي بعض تلك الليالي رأيت خنازير تصرعنا ولقينا معها شدة فإذا هم أولئك الممسوخون بقبح فعالهم[100] :

أبيات للتمنارتي في وصف حاله مع اعدائه

وفي هذه المحنة قلت مقالتين، الأولى في وصف الحال، وهي : [المتقارب]

إذا غاب عن شبلـه ضَيْغَـم[101] تراه العُـداة بعين انتقـام

بدت لي من أفواههـم بِغْضَةٌ[102] وراموا بسُخـفِ[103] حصولَ المرام

فكَـمْ أوقَـدوا نار إفْكِهِـمُ فأطْفأهَـا الله ذات ضِرام[104]

وكَم أوقـدوا نارَ كيدِهِـمُ فعـادت لي برداً وثُـمَّ سَلَامْ[105]

كفـاني ـ ومَـن بالإلَـهِ اعـتَصَمْ فَنَـاج ـ أذاهُـمْ ولـيُّ اعـتِصَامْ

أبيات للتمنارتي في تعظيم الحرم الدينية وترك الاستخفاف بها

والثانية في تعظيم الحُرَم الدينية وترك الإستخفاف بها، وهي : [الطويل]

إذا لم يكـن للمـرء قلبٌ مُؤرِّج[106] وفيـه لخير الخلـق شوق مُؤَجَّـجُ[107]

ولم يتخـذ له من الحب ظُلَّـةً[108] تقِيـه في يوم فيـه للظـل أحـوج

ولم يستعـدَّ من صَبَابَـةِ حُبِّـه له ما به عنـه[109] الكـروبُ تُفَـرَّجُ

فبـأي ظِلٍّ يستظِـلُّ ويلتجـي إذا ما لظلـه الأعنـاقُ تُعَـوَّج

أباسم إلـهِ الخَلْـقِ يُلقَـى بمَزبَـلٍ يَدوسُه في الأزبال طَيٌّ ومُـدرَجُ[110]

أبـاسم رسول الله يُلقَـى بِمَزْبَـلٍ ومنهاجـه الأهْدى لكلنـا منهج

---

(100) في نسخة : فعلهم.

(101) الضيغم : الأسد.

(102) البِغْضة : شدة البغض. وهذا الشطر مأخوذ من قوله تعالى : ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تُخْفِي صدورهم أكبر﴾ (سورة آل عمران، الآية 118).

(103) في نسخة : بسخط.

(104) أخذ البيت من قوله تعالى : ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾ (سورة المائدة، الآية 66).

(105) وظف في هذا البيت قصة إبراهيم الخليل مع النمرود وقومه، عندما أرادوا تحريقه فأنجاه الله. قال تعالى : ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾ (سورة الأنبياء، الآيات : 67-69).

(106) مُؤَرِّج : اسم الفاعل من أَرَّجَه بمعنى أغراه وحَرَّشه. في نسخة : ممارج؛ وفي نسخة أخرى : مراج. وكل ذلك تحريف وتصحيف.

(107) مؤجج : ملتهب، متقد.

(108) في نسخة : طلعة. وهو خطأ.

(109) في بعض النسخ : عند.

(110) مُدرَج : مصدر ميمي من أدرج بمعنى طَوَى.

أبـــاسم رسول الله يُلْقَـــي بمزبـــل ومن أجله مِن ضده الكونُ مُخْرَجُ[111]

أبـــاسم رسول الله يُلْقَـــى بمزبـــل وعَنَّـــا به قد زال دِيـــنٌ مُعَـــوَّ

أبـــاسم رسول الله يُلْقَـــى بمزبـــل وتحت لِوَاه في القيامـــــــة نُدْرَ

أبـــاسم رسول الله يُلْقَـــى بمزبـــل وزاخـــرُ بَحْـــرِهِ علينَـــا يُمَـــو

أبـــاسم رسول الله يُلْقَـــى بمزبـــل

ودِيمَتُه[112] الهَطْـلاَ[113] علينـا وزِبْـرِجُ[114]

فكيـف وقـد عم البسيطة بهجة[115] ولم تزل الدنيـا به اليَـوْمَ تَبْهَـــج

فحَـــقٌّ علينـــا أن نُجِـــلَّ جَنَابَـــه ونُثْنِي عليه ما لنا فيـه[116] نَلْهَـــجْ

لقد خابَ عَبْدٌ لم يَقْـدُرْ حَقَّ قَدْرِهِ إِيَـــاه مِن بعـــدِ ما تَوَارَى المبهج

ولله عبـــد قد تَمَـــذْهَبَ حُبَّـــه به مِن مَعَـارِجِ العِنَايَـــة يَعْـــرُج

إذا ما الفتـى بالله أغنـى[117] فحَسْبُـه فليس وراء الله للمـــرء مَحْـــوَجُ[118]

ولاية القضاء بفاس تحت يد ثلاثة أمراء

ومن عجيب الاِتفاق أني تكرر علي ثلاث مرات في منامي أني تبعت شيخنا القاضي سيدي سعيد رحمه الله في طريقه أضع قدمي حيث يضع قدمه في كلها وعليه لباس صوف وعمامته وهو يمشي مشي تؤدة، فوليت القضاء بعده تحت يَدِ ثلاثة أمراء[119].

---

(111) أخذ الشطر الثاني من حديث : «لولاك، لما خلقت الأفلاك». وهو حديث موضوع كما أوضح الألباني في «**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**» (م 1، ج 3، ص. 69، رقم 282). وفي «**بردة المديح**» للبوصيري :

وكيـف تدعـو إلى الدنيـا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيـا من العـــدم

(«**القصائد البصيرية**»، ص. 31).

(112) الدِّيمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق.

(113) الهطلاء : التي تتابع مطرها.

(114) الزِّبْرِج : السحاب الرقيق. ويطلق أيضا على الذهب والزينة من وشي أو جوهر.

(115) في بعض النسخ : بهجه.

(116) في بعض النسخ : فيها.

(117) أغنى : مراده به استغنى.

(118) محوج : احتياج. والشطر الثاني من هذا البيت مأخوذ من قول النابغة الذبياني :

حلفتُ فلم أتـرك لنـفسك ريبـــة ولـــيس وراء الله للمـــرء مذهب

(«**ديوان النابغة الذبياني**»، صنعه ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، ص. 76).

(119) هم : الأمير يحيى الحاحي، والأمير أبو حسون السملالي (بودميعة)، والأمير أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الذي بويع بالإمارة يوم الخميس 20 جمادى الثانية عام 1035هـ، أي بعد موت عمه يحيى الحاحي بخمسة عشر يوما («**فهرس**» المرغيتي، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 1907، الورقة 4/أ).

ولاية التمنارتي خطة الفتوى

ورأيت أني حملت شيخنا أبا عبد الله التلمساني على كاهلي أمشي به في أزقة المدينة، فوليت خطة الفتوى بعده أيام شيخنا أبي زكرياء رحم الله جميعهم، وأعاد علينا من بركاتهم[120].

ولما شرعت في قراءة علم التوحيد على مشايخنا، تصعب علي برهان القدم الموقوف إدراكه على معرفة الدور[121] والتسلسل[122] المحالين، ويلبس عَلَيَّ الشيطان فيه، كما وَرَدَ في الحديث[123]، فرأيت في نومي أني أقرأ ﴿فذلكم[124] الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾[125]، فزال كل ما أجد من ذلك.

بيان المعرفة الواجبة لله تعالى

وأضيف إلى هذا بيان المعرفة الواجبة لله تعالى حتى يطمئن القلب إليها ويدع ما سواها، وهو أن تعلم أن معرفة الأشياء على نوعين: معرفة عرضية ومعرفة ذاتية. أما المعرفة العرضية، فهي كما إذا رأينا بنيانا علمنا أنه لابد له من بَانٍ؛ وأما[126] أنَّ ذلك الباني كيف كان في ماهيته، أوْ أن حقيقته من أي أنواع الماهيات «ي، فوجود البناء لا يدل عليه. وأما الذاتية، فكما إذا عرفنا اللون المعيَّن ببصرنا، وعرفنا الحرارة بلمسنا، وعرفنا الصوت بسمعنا، فإنه لا حقيقة للبرودة والحرارة إلا هذه الكيفية الملموسة، ولا حقيقة للبياض والسواد إلا هذه الكيفية المرئية. إذا عرفت هذا، فنقول : إنا[127] إذا علمنا احتياج المحدثات إلى محدث وخالق، فقد عرفنا الله تعالى معرفة عرضية، وإنما

(120) في نسخة : من بركتهم.

(121) الدَّوْرُ : هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه. كما لو قلنا : أوجد زيد عَمْرا، وعمرو أوجد زيدا. فقد توقف زيد على عمرو الذي توقف على زيد، وتوقف عمرو على زيد الذي توقف على عمرو، وذلك محال عقلا.

(122) التسلسل : هو توقف الشيء على شيء ثان، وتوقف الشيء الثاني على شيء ثالث وهكذا إلى غير نهاية. وذلك محال أيضا عقلا. (انظر: «**حاشية الشيخ الطالب على شرح ميارة على المرشد المعين**»، ج 1، ص. 80).

(123) يشير إلى قول الرسول ﷺ : «يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه، فليستعذ بالله ولينته». رواه البخاري في «**صحيحه**»، «كتاب بدء الخلق»، «باب صفة إبليس وجنوده»، ج 2، ص. 221 ؛ ورواه مسلم في «كتاب الإيمان» (انظر: «**اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**»، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ج 1، ص. 26).

(124) في النسخ المعتمدة : «ذلكم». والتصويب من المصحف.

(125) **سورة يونس**، الآية 32.

(126) في نسخة : فأما.

(127) سقطت «إنا» من نسخة.

الذي نفيناه الآن معرفة ذاتية. فلتكن هذه الدقيقة معلومة لك حتى لا تقع في الغلط.

ثم اعلم أن إدراك الشيء من حيث هو هو، أعني ذلك النوع الذي سميناه بالمعرفة الذاتية، يقع في الشاهد على نوعين أحدهما العلم، والثاني الإبصار. فإذا أبصرنا السواد ثم غمضنا أعيننا، فإنا نجد تفرقة بديهية بين الحالين؛ فعلمنا أن العلم غير الإبصار والإبصار غير العلم.

فإذا عرفت هذا، فنقول : يتقدر أن يمكن حصول المعرفة الذاتية للخلق. فهل لتلك المعرفة ولذلك الإدراك طريق واحد فقط، أو يمكن حصوله على طريقين مثل ما في الشاهد من العلم والإبصار؟ هذا مما لا سبيل للقضاء به للعقل. وبتقدير أن يكون هنالك طريقان أحدهما للمعرفة والآخر للإبصار. فهل الأمر هنالك مقصور على هذين الطريقين أم هنالك طرق كثيرة ؟ كل هذا لا مجال للعقل فيه. وأصل هذا لابن العربي في طالعة[128] «**القانون**»[129]، وهو كلام نفيس.

وحين شرعت في قراءة الحديث عليهم[130]، رأيت في نومي أني أقرأ قوله تعالى : ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحٰق إن ربك عليم حكيم﴾[131].

وشاية ورؤيا

ثم شرعت في قراءة «**صحيح**» البخاري في رمضان في الجامع الكبير مع أصحابنا الطلبة للإفادة والاستفادة، فوشى بي قارئه بدار الإمارة، قائلا للأمير : إنما قصد فَلَّ[132] مجلسك وتفريق الطلبة عنه، فرأيتني أقرأ في نومي قوله تعالى : ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به، فقد اهتدوا؛ وإن تولوا، فإنما هم في شقاق. فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[133]، فهدى الله الأمير لما اقتضاه دينه، فقال له : دعه فإنه فعل صوابا.

---

(128) طالعة : مقدمة.

(129) لعله يقصد كتابه «**قانون التأويل**»، الذي ألفه سنة 533هـ. وتوجد منه نسختان خطيتان في الخزانة العامة بالرباط إحداهما تحمل رقم 25ج، والأخرى رقم 916ك. («**الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**» لابن العربي، تحقيق الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، ج 1، ص. 125).

(130) أي على مشايخه.

(131) سورة يوسف، الآية 6.

(132) فل : ثلم وهزم.

(133) سورة البقرة، الآية 136.

ثم كلما عرض لي وَشْيُ واش أو سِعايةُ ساع أو مكيدةُ كائد، أراني أقرأ في النوم قوله تعالى : ﴿إن وليي الله الذي نَزَّل الكتاب، وهو يتولى الصالحين﴾[134]، فيندفع عني ضرر ذلك.

رؤى تؤكد ما بلغه التمارتي من رتبة منيفة

ولما مَنَّ الله علي بإقراء التفسير، والحديث، والأصلين[135]، وعلم الفقه وغير ذلك، رأيتُني أقرأ في النوم قوله تعالى : ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو، يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبيء الأمي الذي يومن بالله وكلماته، واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[136]، فعلمت أن الله أرقاني على مِنَصَّة خِلافة النبوءة. والله المستعان.

ثم رأيت بعد ذلك ما يؤكد هذه الرتبة المنيفة وهو[137]، أني كلما عرض لي جبار أو مجرم أو معاند، رأيتني أقرأ في النوم قوله تعالى : ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل﴾[138]، وقوله ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾[139]، وإذَا أمكن الاِنتصاف وهممت به، رأيتني أقرأ قوله تعالى : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر وما صبرك إلا بالله﴾[140]، فعلمت أن ذلك سياسة وتعليم من الله في مقابلة خلقه، والتنبيه على الاِقتداء برسله في ذلك، والتهيئة لإصلاح أمورهم، لما سبق به علمه من ولاية أمرهم. فاحتفظ لإشفاقه عليهم وكرمهم لديه. فسبحان من له التدبير اللطيف والعناية البالغة بعبيده.

ثم رأيت حين ولاني شيخنا أبو زكرياء قضاء سوس، حين تولَّى الأمرَ بعد انقراض مُلْكِ الشرفاء[141] منه، أني أقرأ في النوم قوله تعالى : ﴿وقل رب أدخلني مُدْخَلَ صدق وأخرجني مُخْرَجَ صدق، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، وقل جاء الحق وزَهَقَ الباطلُ؛ إن الباطلَ كان زَهُوقا﴾[142]. فرأيتُنِي أضرب أصناماً معلقة

---

(134) سورة الأعراف، الآية 196.

(135) المراد بالأصلين، أصول الدين الذي هو علم العقائد، وأصول الفقه.

(136) سورة الأعراف، الآية 158.

(137) في نسخة : وهي.

(138) سورة الأحقاف، الآية 34.

(139) سورة المجادلة، الآية 20.

(140) سورة النحل، الآيتان 126–127.

(141) يقصد بالشرفاء : السعديين.

(142) سورة الإسراء، الآيتان 80–81.

في برج بعود في يدي، وأقول : جاء الحق وزهق الباطل؛ إن الباطل كان زهوقا[143].

وربما أُلقِيَ إلي في النوم في بعض تلك الليالي : ﴿ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[144]، فتلألأت بهذه الولاية غُرَّةُ الحق، ولمع وجه الدين وسُقِط بها في أيدي الظلمة المعتدين[145]، ورُمَّتْ بها مصالح طالما دُرِسَت، وتبلجت بها للمحاسن وجوهٌ طالما سُتِرَتْ[146]، ولم يزل أمر سَدَادها في انتعاش، وفرائص المثير الفساد في ارتعاش، وصيتُ العدل تجاوبت به أصداء قُنن الجبال، وتشردت لأطراف البلاد عصائب الخَبَال[147]، ولم يزل أمرها في رفعة الشأن، حتى داخَلَ أمورَها ذَوُو البغضاء والشَّنَآن، وسرت[148] في بطانتها السعايات والنميمات، وخرق حجابَ هَيْبَتِهَا حُجَّابُها بضروب من الإساءات، فخَسَف هلالُها قبل إبْدَارِه، وخفِيَ برقها قبل إنْذَارِه. فإلى الله المشتكى من دهر إذا أساء أصَرَّ على إساءته، وإذا أحسن ندم عليه من ساعته.

رؤيا الوقوف على قبر النبي ﷺ

وفي ضحى الخامس من شعبان سنة ألف رأيتُ كأني وقفتُ على قبر النبي ﷺ. فوجدت[149] عنده قوما يدعون، فوقفت بينهم أبكي ثم خَرَرْتُ[150] لوجهي أُعَفِّرُ خدي بتربته المباركة، ثم قمت واقفا فقلت : اللهم ثبت قدمي على سنة صاحب هذا القبر. فجلست، ثم ذكرت أني كنت أشكو وجعا في بطني منذ عامين سَعَيْتُ له بكل شيء فلم ينفع، فوضعت يَدَيَّ بقرب قبره المبارك فوضعتهما على بطني ودعوت بالشفاء ثم أخذت في قراءة ﴿يستبشرون﴾[151] حتى بلغت

(143) سقط في نسخة : «فرأيتني أضْرِب أصناما... (إلى) كان زهوقا».

(144) سورة غافر، الآية 14.

(145) في نسخة : المتقدمين.

(146) في نسخة : استترت.

(147) الخبال : الهلاك، والعناء.

(148) في نسخة : سارت.

(149) في النسخ المعتمدة : فوجد.

(150) في نسخة : حدرت.

(151) يقصد : ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المومنين﴾ (سورة آل عمران، الآية 171. وهو بداية الحزب الثامن بترتيب المصحف الكريم.

الدُّعَاءَ[152] والإستجابة[153] التي في آخرها[154]، فقلت : الحمد لله الذي ألهمني قراءة آية الإستجابة، وأرجو أن أنالها بفضل الله، فانتهيت إلى خاتمتها، فخرجت لزيارة البقيع، فانتبهتُ. وما ارتفع النهار حتى وجدت في ذلك الألم راحة، وما مَضَى نصف الشهر حتى عُوفيتُ ـ بحمد الله ـ ببركة رسول الله ﷺ، وأرجو أن يجيب سبحانه في الأخرى فيثبت قدمي على سنته ﷺ إلى موتي.

رؤيا قراءة قصيدة الشيخ ابن وفا على قبر النبي ﷺ

ثم رأيتُ مرة أخرى أني وقفتُ على قبره ﷺ، فقرأت عليه قصيدة الشيخ الصالح الصوفي[155] أبي الحسن علي بن وفا[156] من أولها إلى آخرها، وهي : [الكامل]

سَكَنَ الفؤادُ فعِشْ هَنيئاً يَا جَسَدْ	هذا النعيمُ هو المقيمُ إلى الأبَدْ
أصبحتُ في كَنَف[157] الحبيب ومن يكُنْ	جارَ الحبيب فعيشُه العيشُ الرَّغَدْ[158]
عِشْ في أمَانِ الله تحتَ لِوائِهِ	لا خَوْفَ في هذا الجَنَابِ ولا نَكَدْ[159]
لا تختشي فقرا فعندك بَيْتُ من	كلُّ المُنَى لك من أيادِيهِ مَدَدْ
رَبُّ الجَمَالِ ومُرْسِلِ الجَلْوَى وَمَنْ	هُوَ في المحاسِنِ كُلِّهَا فَرْدٌ أحَدْ[160]
قُطْبِ النُّهَى غوثِ العوالم كُلِّها	أعْلَى عَلِيٌّ صارَ أحْمَدَ مَن حَمِدْ
رُوحِ الوُجُود حياةِ مَنْ هُوَ واجِدْ[161]	لَوْلَاه ما تم الوجودُ لِمَنْ وُجِدْ

(152) يقصد قوله تعالى : ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار... الآيات﴾ (سورة آل عمران، الآية 191).

(153) يقصد قوله : ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ (سورة آل عمران، الآية 195).

(154) أي في آخر سورة آل عمران.

(155) في نسخة : الصوفي الصالح.

(156) هو الشيخ الصوفي البعيد الصيت الجليل القدر، أبو الحسن علي ابن العارف بالله محمد وفا القرشي الشاذلي، المولود سنة 761هـ، والمتوفى سنة 807هـ. من تآليفه كتاب «**الباعث على الخلاص في أحوال الخواص**»، و«**الكوثر المترع في أحوال الأبحر الأربع**»، وديوان شعر، وموشحات كثيرة، وتفسير. («**شجرة النور الزكية**»، ص. 240، رقم الترجمة 860).

(157) كنَف : حِرز وستر.

(158) الرَّغَد : الواسع الطيب.

(159) نكَد : عُسْر، وشدة.

(160) في نسخة : فردا صمَد، وهو خطأ من الناسخ، لأن الصَّمَد من صفات الله تعالى كما في سورة الإخلاص. والحديث هنا عن الرسول ﷺ.

(161) واجد : بمعنى موجود، على غرار قوله تعالى : ﴿فهو في عيشة راضية﴾ (سورة القارعة، الآية 6)، أي مرضية.

عيسَى وآدمُ والصُّدُورُ جميعُهُم   هُمْ أعْيُنٌ هُوَ نُورُها لَمَّا وَرَدْ
لَوْ أبصَرَ الشيطانُ طَلْعَةَ نُورِهِ   فِي وَجْهِ آدَمَ كان أوَّلَ مَنْ سَجَدْ[162]
أَوْ لو رَأى النُّمْرُوذُ[163] نُورَ جَمَالِهِ   عَبَدَ الْجَلِيلَ مَعَ الخَلِيلِ[164] وَمَا عَنَدْ
لَكِنْ جمالُ الحق جَلَّ فلا يُرَى   إلَّا بتخصيص من الله الصَّمَدْ[165]
ابشر[166] بمن سَكَن الجوانح[167] منك يا
أنا قد ملأت من المُنَى عيناً وَيَدْ
عَيْنِ الوَفا معنَى الصَّفا سِرِّ النَّدى   رُوحِ النُّهَى نُورِ الهدى جَسَدِ الرَّشَدْ
هُو للصلاة مع السَّلام المُرْتَضَى   الجامِعِ المخصوصِ مَا دَامَ الأَبَدْ

رؤيا النبي ﷺ

وفي ليلة الاِثنين الرابعة عشرة[168] من جمادى الأولى من عام اثنين بعد ألْف، رأيتُه ﷺ يمشي مع قوم في حُلَلٍ بِيضٍ فاخرة، فأقبلتُ عليه وأنا أبكي حتى وصلتُ إليه فقبلتُ يده اليمنى، وأخذ برأسي وقال لمن حضر: هذا أحدُ أحبابي، فسرتُ معهم وأنا عن يمينه أُرَوِّحُ بكُمِّي قُبَالَةَ وجهه أرد إليَّ من رائحته الطيبة، ثم ختمني بخاتم فضة أعجب شيء إلي لشدة صفائه وبراعة حسنه، أتعجب منه في خِنْصِرِ يُسرَايَ، فقلت في نفسي : هذه[169] حالة منامية، فلعلي أشد عليه يُمناي حتى استيقظ وهو معي ففعلت، وانتبهتُ ويمناي مشدودة على خنصر يسراي، فأصبحت مسرورا بها، فقلت : هذا ـ إنْ شاءَ الله ـ أمَارَةٌ للثبات على سنته ﷺ.

رؤيا أخرى للنبي ﷺ وقصيدة في ذلك

وفي ليلة الثلاثاء السادسة عشرة من رجب سنة ثمان وألف، رأيته ﷺ معمما مُلَثَّماً مرتديا بثوب على لباس آخر عليه، وهو جالس إلى القبلة يبرق وجهه نورا وتسطع منه رائحة طيبة لم أنتشق في الطيب مثلها، فانكببت في حِجْره فقلت : السلام عليك يا سيد المرسلين ورسول رب العالمين. ومعي ناس فسلموا عليه،

(162) في الخبر : لما خلق الله آدم، جعل نور النبي ﷺ في ظهره، فكان يلمع في جبينه («المواهب اللدنية» للقسطلاني، ج 1، ص.10).

(163) النمروذ : هو النمروذ بن كنعان ملك القوم الذين بعث فيهم إبراهيم الخليل عليه السلام. وفي «تفسير» الخازن أنه أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض، وادعى الربوبية، وملك الأرض كلها («حاشية الجمل على تفسير الجلالين»، ج 1، ص. 210).

(164) الخليل : إبراهيم الخليل عليه السلام.

(165) الصمد : الذي يُصْمَدُ إليه في الأمور، أي يلجأ إليه.

(166) في النسخ المعتمدة : فابشر ـ بالفاء مع وصل همزة القطع ـ.

(167) الجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر.

(168) في النسخ المعتمدة : الرابعة عشر.

(169) في النسخ المعتمدة : هذا.

فجلسنا إليه، ثم قال قائل : انصرفوا ! فقلت له : دعنا يرحمك الله فقد أتيناه من بعيد، فقرأ لنا الفاتحة والإخلاص والمعوذتين. ودنوت منه وقلت له : اقْرَأْ لي الفاتحة لوالدي فقرأها وهو يبسم مع من كان معه، فانصرفت وأنا أقول : اللهم لا تجعل هذه الرؤيا آخر عهدي برسولك، فانتبهت مسرورا بها، فقلت في صبيحتها هذه الأبيات : [الطويل]

أيا طَيِّباً يُحْيِي الفؤادَ نسيمُه ... وتُنْقِذُ من فتك الغرام رسُومُه

ويمنح أوثقَ الأمانِ جِوَارُهُ ... ويَمْنَعُ من كل الْمَخَافِ حَرِيمُه[170]

لَدَيَّ بصدق الحب فيك صبابةٌ ... قَضَى وَجْدُها أن لا يزولَ صَمِيمُه

ولي أمَلٌ في طَيْبَةٍ أنت طِيبُها ... عَلَى بُعْدِها للدمع تنْهَلُّ دِيمُهُ

أجِدُّ مَسِيرِي والمحبةُ رائِدِي ... ويُؤْنِسُنِي في مَهْمَهٍ[171] البيد رِيمُهُ[172]

أدبُّ بثِقْلي في المَوَامِي[173] ولوعتي ... وحَطِّي[174] وَزَيِّي زمزمٌ وحطيمُه[175]

فإن خلصتْ[176] لِرَبْعِكَ[177] الحِبُّ[178] مُهْجَتي ... فقد تَمَّ لي من قُربكم ما أرومُه

وإن قَصُرَتْ بي عن جِوَارِكَ قُدْرَةٌ ... فلي ذِمَّةٌ[179] والعهدُ أنت عليمُه

وإن كان اقصى الغرب مد بغربتي ... فأنس فؤادي ذكرُكم ونَدِيمُه

وإن نهضَت لقصدكم يَعْمَلَاتُهُمْ[180] ... فحبُّك مني ناهضٌ ومُقِيمُه

وإن كنتَ أهلَ الحب ترعى لِحُبِّهِم ... فعندي لكم حديثُهُ وَقَدِيمُه

وإن ترع[181] لِلْمُدَّاح يوما مَدِيحَهم ... فلي كلُّ عامٍ فيك تُرْعَى نُجومُه

---

(170) حريمه : حَرَمه، ما يحميه ويقاتل عنه. وحريم الدار : ما أضيف إليها من حقوقها ومرافقها.

(171) المَهْمَه : المفازة البعيدة، والبلد المقفر.

(172) الرِّئْمُ : الظبي الخالص البياض.

(173) في النسخ المعتمدة : المرام. وهو خطأ. والتصويب من الديوان. والموامي : جمع مَوْمَاة، وهي الفَلَاة.

(174) حطي : نزولي، وحط عصا تَسْيَاري.

(175) الحَطِيم : حِجْر الكعبة أو جداره. أو ما بين الركن وزمزم والمقام، أو من المقام إلى الباب، أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء («**القاموس**»).

(176) خَلَصت : وصلت.

(177) لرَبْعك : لمنزلك.

(178) الحِبّ : المحبوب.

(179) ذِمَّة : عهد وكفالة.

(180) اليَعْمَلَات : النوق النجيبة.

(181) في النسخ المعتمدة : ترعى.

وَجُودُك يا خيرَ الورى يَقضِي أنه ... إذا أَمَّكَ الملهوفُ أنتَ رَحِيمُه
فأنتَ الذي قد أقسمَ اللهُ أنه ... على خُلُقٍ في الذكر بان عظِيمُه[182]
وأنت الذي تُعطَى فتَرْضَى ومَنْ يَلُذْ ... بجاهك لا يخشَى وأنت حَمِيمُه
وأنت الذي يومَ القيامة شافعٌ ... لِكُلِّ الْوَرَى[183] والناسَ ضمَّتْ جَحِيمُه
وأنت الذي يُرْوِي من الخَلْقِ غُلَّةً[184] ... رِوَى[185] حَوْضِهِ والْحَرُّ شبَّ ضَرِيمُه
وأنتَ الذي تُولِي[186] الجِنَانَ وخُلْدَه ... ومُلْكاً كَبِيراً لا يَزُول نَعِيمُه[187]
دعوتُك يا سر الوجود ورُوحَه ... وما يُدعَى يَشْفِي الدَّاءَ إِلَّا حَكِيمُه[188]
عَليلا بأدْوَاء الذنوب ببابكم ... يكاد يُقَصِّي الجسم منه جَسِيمُه
وأكبرُ ظني بل يقينِيَ أنها ... يُزَحْزِحُها صَفْحٌ لديك كَرِيمُه
عليك من الله العَلِيِّ صَلَاتُه ... وتسليمُه يغشَاك دَأْباً[189] نَسِيمُه

رؤيا الخضر عليه السلام

وفي ليلة الأحد الأول من جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وألف، رأيت الخضر عليه السلام بِسُوق البلد بتارودانت في بعض حوانيت الخضارين وهو جالس ووجهُه إلى السوق عليه كساء صوف وعمامة صوف أشمط[190] أحمر على لون أهل البادية، فصافحته وقلت له : الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتى لقيتك يا أبا العباس، فأصبحتُ للحانوت الذي رأيت، فوجدت فيه رجلا من الجند عليه مَخَايِل الصلاح، فواسَيْتُه بشيء.

قصة غيلان القدري مع السني

ومما يشهد لصحة هذه الرؤيا قصة غيلان القدري مع السني، وذلك أن غيلان القدري[191] التقى مع رجل من أهل السنة في مسجد، فتذاكرا فإذا هما مختلفان،

(182) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ن والقلم وما يسطرون...، وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (سورة القلم، الآيات 1-4).
(183) يشير إلى الشفاعة العظمى، وقد تقدمت.
(184) الغُلَّة : العطش، أو شدته، أو حرارة الجوف.
(185) الرِّوَى : الماء الكثير المُرْوِي.
(186) تولي : تعطي.
(187) تأثر في هذا البيت بقوله تعالى : ﴿وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيما ومُلْكا كبيرا﴾ (سورة الإنسان، الآية 20).
(188) حكيمه : طبيبه.
(189) دَأْباً : باستمرار.
(190) أشمط : أي خالط بياض شعر رأسه سواده.
(191) هو غيلان بن مسلم الدمشقي أبو مروان، وهو ابن عتيق لعثمان بن عفان (ض)، قيل : أول من تكلم =

فقالا : نجعل الحكم في هذا الأمر لأول داخل علينا، فدخل عليهما رجل في هيأة أعرابي حامل على عاتقه كساء صوف، فقال السني : هذا أعرابي وكلام غيلان رقيق، وأخاف أن يميل معه علي، ثم قال : يا هذا ! إنَّا قد اختلفنا في أمر، وقد جعلنا بيننا الحكم لأول داخل يدخل علينا، فكنت أنت الأول. فإن رأيت أن تنظر فيما اختلفنا فيه. فألقى الأعرابي كِسَاءه وجلس عليه[192]، فقال : اجلسا بين يدي، فقال السني : هذا أول العدل، ثم قال لهما : تكلما، فتكلم غيلان، فقال : «العباد مُخَيَّرون في جميع الأشياء ولم يُقَدَّرْ عليهم شيء والتخيير لهم، لم ينههم الله عن شيء فقد خَيَّرَهم عليه في القضاء، وإنَّ الله أعدلُ من أن يقضي عليهم شيئا فيعذبَهم عليه أو ينهاهم عن أمر فيصيرهم إليه في علمه. وإنَّ علم الله إنما هو ضابط، ولا أحد إلا بالله، ولا أحد أكرم على الله من أحد. غير أن أتقاهم أَحَبُّهم إليه، وأن أطوعَهم أكرمُهم عليه، وأن أحداً لا يدخل الجنة إلا بعمل، وأن أحدا لا يدخل النار إلا بعمل، وأن الرحمة إنما تدرك من استغفر، وأن العذاب إنما يستحكم على من استكبر، وأن الحسنة من الله، وأن السيئة من العباد، وأن السعيد من سعد بكسبه، والشقي من شقي بذنبه. فمن زعم غير هذا، فقد كفر وافترى على الله، وانتَحَل[193] ما لم يحل[194] وقال على الله ما لم يقل». ثم سكت غيلان.

وتكلم السني، فقال : «نحن نقول ـ فيما أخذناه من علمائنا من العلم، ومبلغ علمنا فيه من البر والإثم ـ إن العباد غير خارجين عن علم الله تعالى، وإنهم صائرون في جميع أمورهم إلى قضاء الله وقدره، وإنهم أصبحوا مملوكين لا يَجُرُّون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا يصرفون عنها مكروها، مرتهنون بأعمالهم، مفروغ[195] من أرزاقهم وآجالهم، يعملون فيما قد فرغ منه، ويصيبهم ما لا يجدون عنه مدخلا. فإن

= في القدر مَعْبَد الجُهَني، ثم غيلان بعده، آمن بنبوة الحارث الكذاب، فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلبه هشام بن عبد الملك بباب دمشق. وهو من بلغاء الكتاب. له مجموع رسائل في نحو ألفي ورقة. (انظر «**البيان والتبيين**» للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 1، ص. 295، هامش 2؛ و«**المنجد في الأعلام**»، ص. 382).

(192) في النسخ المعتمدة : «عليها». على أن الكِسَاء يأتي مفردا ـ ويجمع على أكسية ـ ويأتي جمعا ـ ومفرده كِسْوة (انظر : «**القاموس**»).

(193) انتحل : ادَّعى. ومنه النِّحْلة التي تعني في اللغة الدعوى. والمراد بـ«أنتحل» هنا تمذهب بمذهب غير سليم. ولابن حزم الظاهري كتاب «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**»، وهو مطبوع متداول.

(194) في نسخة : ما لم ينحل.

(195) في النسخ المعتمدة : مفروغا.

كانوا يزعمون أن ذلك إليهم، لم يُقَدَّرْ منه شيء عليهم، فإنهم ينبغي لهم أن يعملوا ما يكسبون في غدهم، ويجنون على أنفسهم بألسنتهم وأيديهم في تقديم ما أحبوا وتنحية ما كرهوا عنه، وأنهم يأخذون[196] الملك العدل بأيديهم ولا يولون[197] عدوا يلقونه بأكتافهم، وأن يوسعوا على أنفسهم في الرزق». ثم سكت السني.

وتكلم غيلان، فقال : الخير والشر الذي هو من عند الله[198] والرضى والشدة والنعمة بما كسبت أيدي الناس فليس منه إلا الأعمال، ولم يسبق لأحد من الله تعالى هُدىً ولا ضلالة. غير أن العباد هم الذين هَدَوْا أنفسهم بما فَوَّضَ[199] إليهم الله تعالى من أمرهم ومرادهم هذا من بعد ما هدوا أنفسهم، وصرف عنهم الضلالة من بعد ما كان يريد صرفها عنهم». ثم سكت غيلان.

فتكلم السني، فقال : «قال الله تعالى في كتابه : ﴿حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكَرَّهَ إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾[200]. ومن قال بخلافه، فقد عارض القرآن وقال من القول منكرا»[201].

وتكلم الأعرابي فأخذ من الأرض خمسة أشياء[202]، فوضع واحدا منها على الأرض فقال : هذه الجنة، فقالا جميعا : نعم. ثم وضع آخر بإزاء الجنة فقال : هذه النار، فقالا جميعا : نعم. فقال الأعرابي : فمن توحد بصنع جميع هذين، يعني الجنة والنار؟ فقالا جميعا : الله تعالى. ثم وضع آخر بإزاء الجنة فقال : هذا الخير، فقالا جميعا : نعم، ثم وَضَعَ آخر بإزاء النار، فقال : هذا الشر، فقالا جميعا : نعم. فقال الأعرابي : فمن توحد بصنع[203] هذين، يعني الخير والشر؟ فقالا جميعا : الله تعالى. فقال الأعرابي : صدقتما، أرَى قولكما واحدا، فأين اختلافكما ؟ فرجع غيلان فقال : لم يخلق الله الشر فلو خلقه لأمر به، كما خلق الخير فأمر به، فأخذ الأعرابي الشيء الخامس فوضعه بين الجنة والنار، ثم قال : يا غيلان هذا ابن آدم الذي أُمِرَ

(196) في نسخة : يأخذ.

(197) في نسخة : ولا يلون.

(198) في نسخة : من الله.

(199) في النسخ المعتمدة : «فرض». ولا ينسجم مع السياق.

(200) سورة الحجرات، الآية 7.

(201) في نسخة : نُكْرا.

(202) سقطت «أشياء» من نسخة.

(203) في نسخة : بصنع.

بالعمل قال : لا أعمل خيرا ولا شرا، أمتروك هو بغير جنة ولا نار ؟ قال : فأُفْحِمَ عندها غيلان، فظفر به السني فقال له : أجب الرجل ! فلم يفعل.

فقال له الأعرابي : والله يا غيلان لئن قلت إِنَّهُ متروك بغير جنة ولا نار، فقد كفرت بالله، والله يقول : ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾[204]، وليس بينهما منزل، ولئن سكت لقد أُفْحِمْتَ. ثم تغيب عنهم[205] الأعرابي، فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام.

بعض أخبار لقاء الصالحين للخضر عليه السلام

قلت : والخضر عليه السلام مُعَمَّرٌ محجوب، تواتر لقاء الصالحين له. أخبرني أحمد بن أبي بكر الجزولي تلميذ عالم جزولة وفقيهها الشيخ الصالح العالم المربي المفيد أبي عبد الله مَحمد بن إبراهيم الجزولي التامانارتي أنه طلع لشيخه المذكور من مدارج دار صلاته ولقي في المدارج رجلا رجع من عند الشيخ. ولما وصل وسلم، قال له : تعرف من لقيت ؟ قال له : لا، فقال له : هو أبو العباس الخضر.

وكذا ما أخبرني به أحد عمومتي. وكان قد ارتحل من بلادنا لجدب نزل بها[206] لمراكش، فبقي بها[207] زمنا، وكان يعمل في جَنَّةٍ بباب الدباغ منها، قال : فاتفق أن لَقِيَنِي رجل في مسيري إليه[208] لا أعرفه، فقال له : يا عم التَّزْكِـي[209] ــ ونسبه لبلده ــ ارجع لبلدك فإنها تُخْصب قريبا، فإن الخضر عليه السلام خرج من فايجتكم[210] هذه السنة، ولا يطأ بلدا إلا أخصب، قال : فانصرف، ولم أمكث إلا قليلا فجاء الخبر أن الأمطار الغزيرة والسيول العارمة نزلت بها ففاضت سواقيها فيضا كافيا، فرجعتُ إليها. ولما وردتُ لزيارة مراسم السلف، وجدته بها على خير فقصَّ عليَّ قِصَّتَه.

---

(204) سورة الشورى، الآية 5.

(205) كذا في النسخ المعتمدة. والسياق يقتضي «عنهما».

(206) في نسخة : به.

(207) في نسخة : به.

(208) إليه : أي إلى باب الدباغ.

(209) في النسخ المعتمدة : «التڭـي» إشارة إلى أن الزاي مفخمة، وأن الجيم كاف معقودة (الجيم المصرية). والتزكي : منسوب إلى دوار «تزكي».

(210) الفايجة : اسم مسقط رأس أبي زيد التمنارتي، وتطلق الفايجة على منطقة واسعة بتمنارت. ومنطقة واسعة كذلك بإقليم طاطا (انظر: ص. 12، هامش 5).

دعاء يروى عن الخضر عليه السلام

وقد رأيت أن أثبت هنا الدعاء الذي يُرْوى عن الخضر عليه السلام وهو :
«اللهم كما لطفت في ذاتك[211] دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك، كما علمتَ ما فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة بيدك، اجعل لي من كل هَمٍّ أمسيتُ فيه فرجا ومخرجا، اللهم إن عفوك عن ذنوبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وسترك على قبيح عملي، أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه وما قَصرتُ عنه، أدعوك آمنا، وأسألك مستأنسا، وإنكَ المحسنُ إلي، وإني المسيء[212] إلى نفسي فيما بيني وبينك، تتودد إلي بالنعم، وأتَبَغَّضُ إليك بالمعاصي، فلم أر مولى كريما مثلك أعطف على عبد لئيم مثلي[213]، ولكن الثقة بفضلك حملتني على الجُرْأة عليك. فجد بفضلك وإحسانك عليَّ. إنك أنت التَّواب الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين».

رؤيا أخرى للرسول ﷺ

وفي ليلة الخميس الرابعة من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وألف فتح الله بملاقاة سيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وهو قاعد على منصة وأدْلى رجليه وبرزت قدماه الكريمتان فصافحته مرَّتين وقبَّلتُ يده الكريمة وقبَّلتُ قدميْه الكريمتيْن ودنَوْتُ منه ﷺ وكشفْتُ له عن رَأْسِي فقلتُ له : يا رسول الله ضَعْ يدك الكريمة على رأسي! ففعَل، فقلتُ له : يا رسولَ الله ! أمِن خلفائك كنتُ؟ فأشار إليَّ أن نَعَمْ. ففرِحْتُ بها فرحاً عظيما، فانتبهتُ وحمدتُ الله تعالى وشكرتُ له هذه النِّعمة العظيمة التي رجوتُ أن يحفظها اللّهُ عليَّ ويعين عليها. ولأجل هذه الرُّؤْيا المباركة، تركت وَفْرَةَ[214] رأسي من غير جزٍّ رغبة في صحبة أثره ﷺ في بقية عمري ورجاءَ بركته معها، والله يحفظ علينا مواهب إحسانه بفضله. وعندها تمثلتُ بهذه الأبيات[215] : [الطويل]

(211) في نسخة : «في عظمتك». ويبدو أن ذلك سهو من الناسخ.

(212) في نسخة : لمسيء.

(213) سقط من نسخة : «فلم أر مولى كريما مثلك... (إلى) لئيم مثلي».

(214) الوَفْرَة : الشعر المجتمع على الرأس، أو ما سال على الأذنين منه، أو ما جاوز شحمة الأذن. قال علي الأجهوري :

الوفـرة الشعـر لشحمـة الأذن ... و جَمَّـةٌ إن هي لمنكب تكُـن
وسَمِّ ما بينهمـا باللِّمَّـةِ ... ذكـر ذا جمهـور أهـل اللغـة

(«أقرب المسالك إلى موطإ الإمام مالك» لسيدي محمد التهامي كَنون، ص. 362).

(215) أسلفنا أن هذه الأبيات لأبي نواس، قالها في محمد بن الفضل بن الربيع. انظر ص.305، هامش 127.

عَلِقتُ بحبلٍ من حبالِ محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الحَدَثانِ
تَغطَّيْتُ من دهري بظلِّ جناحِهِ فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تُسأل الأيامُ ما اسْمِيَ ما درت وأينَ مكاني ما عَرَفْنَ مكاني

وبهذه : [المتقارب]

أيا حَبَّذا ليلُنا الأزهر وقد قابل القمر المشتري[216]
وجاء الحبيبُ إلى منزلي بريَّا القرنفُلِ والعَنْبَرِ
ودارت عليَّ كؤوسُ المُدامِ بِكَفِّ رَشاً[217] أغيَدٍ[218] أحْوَرِ[219]
إذا كان حِبِّي حِذا[220] ناظري شربتُ المُدامَ ولم أسْكَرِ

رؤيا أخرى للرسول ﷺ

وكنتُ في أول أمري رأيتُ كأني ماشيته في الطريق، وكنتُ عن يمينه، وكنتُ أذكر له أكابر علماء أمته، وسُرَّ بذلك، ثم قلتُ له : يا رسول الله أنا في حماك، أنا في حماك، أنا في حماك، فأخذ بيدي اليُمنى، فرأيت ذالك أَمارةَ شفاعته ﷺ. وقد كنتُ نظمتُ شفاعاته ﷺ ورأيت أن أثبتها هنا رجاءَ نيْلها بفضل الله وهي هذه : [البسيط]

نظم الشفاعات للرسول ﷺ

لِخيرَةِ الرُّسْلِ ثِنْتَيْ عشرة ذكروا من الشفاعات قد صح بها الخَبَرُ
أولها[221] لإرَاح[222] الخلق من وَصَبٍ[223]
يطول في الحشر حين يَفزَع البشر[224]
ولِأُناس بلا حُسْبَانهم دخلوا دار الخلود وما مَسَّتهم الغِيَرُ[225]

(216) المشتري : أحد كواكب المجموعة الشمسية.
(217) رَشَاً : ظبي ـ حذفت همزته للضرورة.
(218) الأغيَد : المتثني لينا ونعومة.
(219) الأحور : الذي اشتد بياضُ بياض عينيه، وسوادُ سوادِهما، مع استدارة حدقتهما، ورقة جفنيهما.
(220) حِذاء : إزاء ـ حذفت همزته للضرورة.
(221) الصواب : أُولَاها. وعدل عنه إلى «أوَّلُها» لضرورة الوزن.
(222) لإرَاح : أي لإراحة.
(223) وَصَب : المراد بالوَصَب هنا النَّصَب الذي هو التعب والمحنة والمشقة. والوَصَب في الأصل : المرض، وهو غير مقصود هنا لأن مراده : إراحة الناس من هول الموقف، وتعجيل الحساب.
(224) أشار في هذا البيت إلى الشفاعة العظمى التي خُصَّ بها نبينا ﷺ (انظر في «فتح الباري»، ج 11، ص. 432، طرق حديث الشفاعة العظمى، ومن خرجه).
(225) يشير في هذا البيت إلى الشفاعة الثانية، وهي شفاعته ﷺ في قوم فيدخلون الجنة بغير حساب. ودليلها ـ كما قال ابن حجر العسقلاني ـ قوله تعالى في جواب قوله ﷺ : أمتي أمتي : «أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم. كذا قيل. ويظهر لي أن دليله سؤاله ﷺ الزيادة على السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فأجيب» («فتح الباري» ج 11، ص. 428).

ولأناس بهم حَقَّ العـــذاب فلـــم يدنـوا إليها ولا دنت لهم سَقَــرُ[226]
ولخروج أنـــاس بعدمـــا ولجـــوا حَرَّ لَظَاهَا ونـال منهم الضجَـر[227]
ولأناس بِرَفْـــع الدرجـــات لهم بعد دخولهم الفردوسَ وانتظروا[228]
ضَمَّنَ يحيى النووي[229] الخمس «روضـتَـ»ـه[230]

والقـاضي[231] زاد بها التخفيـف لا غمَـر
عن عمّه[232] ولغير القـاضي سابعـةٌ : ثقــلُ موازيــنِ قومٍ حين تُختَبَــر[233]
وأربـــعٌ في «الصِّحَـاح» عزَّ مَطْلَبُهـا هي الرجـــاءُ وفي جَلْـــوَتِها غُرَر
مَن يسأل الله من بعـــد الأذانِ لَهُ نيـلُ الشفاعة[234] لو حُمَّ به القـدر

(226) سَقر : اسم من أسماء جهنم، والبيت فيه إشارة إلى الشفاعة الثالثة، وهي شفاعته ﷺ لقوم حوسبوا فاستحقوا العذاب، ألا يعذبوا. ودليلها قوله في حديث حذيفة عند مسلم : «ونبيكم على الصراط يقول : رب سلم» («**فتح الباري**»، ج 11، ص. 428).

(227) في البيت إشارة إلى الشفاعة الرابعة، وهي شفاعته ﷺ للعصاة المذنبين من المومنين الذين دخلوا النار، ليخرجوا منها. ودليله قوله ﷺ في حديث الشفاعة : «فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ثم أشفع، فيحد لي حدا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة» («**صحيح البخاري**»، ج 4، ص. 98 ؛ ج 4، صص. 197–202 وفي مواضع أخرى منه).

(228) في البيت إشارة إلى الشفاعة الخامسة، وهي شفاعة ﷺ لأهل الجنة لرفع درجاتهم فيها، ودليلها قول الرسول ﷺ في حديث أنس عند مسلم : «أنا أول شفيع في الجنة» (انظر في «**فتح الباري**»، ج 11، ص. 428، مناقشة ابن حجر لهذا الدليل).

(229) انظر ترجمته في ص. 230، هامش 195).

(230) أي كتابه «**الروضة**». قال ابن حجر في «**الفتح**»، ج 11، ص. 428 : «وقال النووي تبعا لعياض: الشفاعة خمس : في الإراحة من هول الموقف، وفي إدخال قوم الجنة بغير حساب، وفي إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب ألا يعذبوا، وفي إخراج من أدخل النار من العصاة، وفي رفع اندرجات».

(231) المراد به القاضي عياض. قال ابن حجر في «**الفتح**» (ج 11، ص. 428): «وأشار عياض إلى استدراك شفاعة سادسة، وهي التخفيف عن أبي طالب في العذاب».

(232) عمه : أي عم النبي ﷺ، وهو أبو طالب الذي كفله ودافع عنه. ودليل هذه الشفاعة السادسة ما أخرجه البخاري في «**صحيحـ**»ـه، «باب صفة الجنة والنار»، ج 4، صص. 97–98 عن أبي سعيد الخدري (ض) أنه سمع رسول الله ﷺ، وذُكِر عنده عمه أبو طالب فقال ﷺ : «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه».

(233) أشار في البيت إلى شفاعة النبي ﷺ لقوم فتثقل موازين حسناتهم عندما توزن أعمالهم.

(234) دليل هذه الشفاعة الثامنة قوله ﷺ : «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» (رواه البخاري في «كتاب الأذان» من «**صحيحـ**»ـه، «باب الدعاء عند النداء»، ج 1، ص. 84 ؛ وفي «كتاب التفسير : سورة بني إسرائيل»، ج 3، ص. 108، ورواه مسلم في «كتاب الصلاة» من «**صحيحـ**»ـه، الباب 7، ج 1، ص. 113).

بأرضه[235] ولصابر لشدتها[236] على جواره لا يُقلِقُه الضرر
وزائر قبر ذي الجم الخصائص[237] مع فتح الجِنَانِ[238] به ختم لِمَا ذَكَرُوا

وضَمَمْتُ إِلَيْهَا هذه القصيدة التي توسلت به فيها وهي التي أولها[239] :

قصيدة للتمنارتي في التوسل بالرسول ﷺ

وقفت بباب الله أبكي وأضرع ومن عُظْمِ[240] ذنبي أشتكي وأجزع
يَا لَهفَ نفسي على عمر مضى في البطالة ما حقه يُضَيَّعُ
أمضيته ما بين لهو وشهوة والنفس من شهواتها لا تَشبَعُ
إلى الله أشكوها وجِمَاحَها وإليه اللَّجا في إصلاحِها والمَرجِعُ
فهي التي عاقني فُجُورُهَا عن رِحْلتي إلى حيثَ المقاماتُ تُرْفَعُ
مَنازل مَن سَكَنَ جِوارَها عُرِف له بينَ هاتيك المقاماتِ مَوْضِعُ
منازل الوَحْي والطيبة التي غدا المِسْكُ من جَنَبَاتِها يَتضَوَّعُ
وَجْدِي لها وحَنِيني متطاول وكم لوعةٍ لَهَا حَوَتْ أحشاءٌ وأضْلُعُ
قَطَعَ الأكبادَ اشتياقُها وغَرامُها وحُقَّ لها عن تلك الديار تَقَطُّع

---

(235) يشير إلى شفاعة الرسول ﷺ لمن مات بأرض الرسول ﷺ، أي بالمدينة المنورة. ودليل هذه الشفاعة قوله ﷺ : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن مات بها». أخرجه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا في «باب ما جاء في فضل المدينة» (انظر : «تحفة الأحوذي»، ج 4، ص. 372).

(236) يشير هنا إلى شفاعة النبي ﷺ لمن صبر على شدة المدينة، وأقام بها مجاورا للنبي ﷺ. ودليل هذه الشفاعة قوله ﷺ : «لا يثبت على لأوائها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا». رواه مسلم عن سعد مرفوعا (انظر: «فتح الباري»، ج 11، ص. 428)، ورواه الترمذي عن ابن عمر مرفوعا بلفظ : «من صبر على شدتها ولأوائها، كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة»، وقال : «هذا حديث صحيح غريب» («تحفة الأحوذي»، ج 4، ص. 373).

(237) يشير هنا إلى شفاعة النبي ﷺ لمن زار قبره الشريف بالمدينة المنورة. ودليله ما أخرجه أبو الشيخ وابن أبي الدنيا وغيرهما عن ابن عمر من قوله ﷺ : «من زار قبري، وجبت له شفاعتي»، وهو في «صحيح» ابن خزيمة وأشار إلى تضعيفه. وما أخرجه الطيالسي عن عمر مرفوعا : «من زار قبري كنت له شفيعا أو شهيدا» (انظر: «الشذرة»، ج 2، ص. 170).

(238) أشار هنا إلى الشفاعة الثانية عشرة المتعلقة باستفتاح النبي ﷺ باب الجنة. فقد ورد في بعض طرق حديث الشفاعة العظمى أن من جملة سؤال أهل الموقف استفتاح باب الجنة، وثبت في «صحيح» مسلم أنه ﷺ أول من يستفتح باب الجنة. وفي رواية علي بن زيد عن أنس عند الترمذي : «فآخذ حلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد، فيفتحون لي ويرحبون، فأخر ساجدا»؛ وفي رواية ثابت عن أنس عند مسلم : «فيقول الخازن : من ؟ فأقول : محمد، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» (انظر: «فتح الباري»، ج 11، ص. 436).

(239) غالب أبيات هذه القصيدة مختلة الوزن.

(240) في نسخة : عظيم.

فِدىً لَكِ يا دارَ الحبيب وإنْ نَأَتْ | بِيَ الدّارُ النَّفسُ والأَهْلُونَ والأَرْبُعُ[241]
ولِقَبْرٍ يُنْشَقُ منه نَسيمُ مَن انشقَّ له البَدْرُ المنير الأَسْطَعُ
من حازَ الفَخْرَ في البسيطة والسَّما | ومَن له الكونُ بالكلمات مُتْرَعُ[242]
مُحَمَّدِ بن عبد اللّهِ بن هَاشِمٍ | سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ[243] والخَلِيقَةِ أَجْمَعُ[244]
رسول أُمِّ[245] المرسلين على العلا | وقابَ قوسين حُصَّ بالتكليم المرفَعُ
أوحَى إليه الله جلَّ جلالُه | جُمَلًا مِن الجمال نورها يَتَشَعْشَعُ[246]
وإلَى الأرض تدلّى بالكرامة فاغْتَدى | بأمر الشَّرائِع في الآفاق يصدع
وما زال يَحْمِي الدِّينَ مُجَاهِداً | ويَرْمِي الشِّرْكَ والضلالَ ويَقْطَعُ
حَتّى رفعَ الإسلامُ إلى السَّماء جِيدَهُ
وخنَعَ[247] الكفرُ إلى السفلى وكيف لا يَخْنَعُ
وحتى غدتْ منازِلُ الإيمانِ آمنةً | وغدت أبطالُه عن العِدا لا تنزع[248]
سعدنا بكَ يا خيرَ من رَكِبَ المطا[249] | وخَيْرَ مَن عليه شمسُ الظهيرة تطلعُ
أنتَ المبعوثُ لنا من الله رحمةً | وأنتَ الذي إليه في القيامة تشفعُ
بكَ استجرتُ من ثقل الذنوب وأسْرِها
كما استجار بك البعيرُ والغزالُ الأَتْلَعُ[250]
أجِرْنِي[251] يا سيدي من وَبَالِهَا فقد | عظمت والفضل في جنابك أوْسَعُ

(241) الأربع : الدور، والمنازل، مفرده : رَبْع. وعُوِّض «والأربع» في طرة نسخة بـ : «أجمع»، وكتب فوقه : «صح».

(242) في النسخ المعتمدة: منزع، وهو تصحيف. ومعنى مترع : مملوء.

(243) يشير إلى قوله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ : آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مُشَفَّع ولا فخر». رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري.

(244) في نسخة : سيد ولد آدم والخليفة الأرفع.

(245) في نسخة : إمام المرسلين.

(246) يتشعشع : مراده به يتلألأ.

(247) خَنَع : خضع وذل.

(248) لا تنزع : أي لا تنكف عن قتالهم.

(249) المَطَا : الظهر، يقصد ظهر المطية. والمَطِيَّة : هي الدَّابة تَمْطُو ـ أي تُسرع ـ في سيرها، وجمع المطية مطايا. وهذا الشطر أخذه من قول جرير :

ألستم خير مَن رَكِب المَطَايَا | وأندى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

(«الشعر والشعراء»، ص. 232).

(250) الأتلع : الطويل العنق.

(251) في نسخة : أجرنا.

إن لم يرحـم اللّـهُ إلّا مَن اتّقَـى فمَـن يَرحَـمُ العاصين مثلي ويَسمَـعُ؟
وأنت يا سيـد السّادات عُدّتِـي والذُخرُ المُعَدُّ لكل ما يُتَوَقّـعُ[252]
غدوتُ اثقلتنـي الذنـوبُ لكننـي إذا ذُكِرْتُـمْ لها بالـوَلا تتضَعْضَعُ
وكيـف لا أرجـوك وأنت محمّـد
إذا كعَّ[253] الرُّسل بالهول لا تتَكَعْكَعُ[254]
في موقـف القيامـة لاذَ بجَاهِكُـم كُلُّ الخلائق في ذِمَامِك[255] يطمـعُ
لأنك النّبـيُّ المأمـولُ في كل أزْمَـةٍ وأنّك السيـدُ الشفيـعُ المشفّـعُ
فإنْ قضى الله إلـيك زيـارةً سَعِـدتْ نَفْسِي لا شك تمرَعُ[256]
وإن لم أزرك فحـبك لِي شافـع
أنتَ مَع مَنْ أحبَبْتَ في «الصَّحِيحِ» يَلْمَعُ[257]
ومنذُ أنخْتُ[258] في جنابك ناقتِـي لم أخش إملاقـاً ولا قلبـي يُرَوَّعُ
أزكى الصلاة والسلام منـي سرمـدا عليك يا أيها المَجدُ الرفيع المُرَفّعُ
وعلى أهل بيتك والصّحابة كلّهـم ومَن هم بإحسان إلى يوم الدين يَتْبَع

وهنا انتهى التَّقْييدُ ـ والحمد لله ـ وفي منتصف رمضان عَام خمسة وأربعين وألف، على يد مقيده العبد المعترف بذنْبه، المشفق من سوء كسبه، عبد الرَّحْمان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن أحمد الجزُولي التَّمَنَرْتي مولداً، الترودنتي دارا ومحتدا. ختم الله له بالحسنى، وجعله من أهل المقام الأسنى، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المُختار، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، ومن تبعهم إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

(252) أخذ الشطر الثاني من قول السهيلي :
يا من يَرَى ما في الضمير ويَسمَـع أنتَ المُعَـدُّ لكُـلِّ ما يُتَوَقّـعُ
(«**شجرة النور الزكية**»، ص. 156 ؛ و«**السعادة الأبدية**»، ص. 159).

(253) كَعَّ : جَبُن وضعُف.

(254) تكعكع : تجبن وتخاف. وتَكَعْكَعَ : مطاوع كَعْكَعَه، أي جَبَّنَه وخَوَّفَه.

(255) ذِمامك : حقك وحُرمتك.

(256) تمرع : مراده ترعى في الخصب.

(257) يشير إلى قول النبي ﷺ : «أنت مع من أحببت» (رواه البخاري في «**صحيحه**»، «باب فضائل أصحاب النبي ﷺ»، الباب 7، ج 2، ص. 201 ؛ و«كتاب الآداب»، الباب 97، ج 4، ص. 55).

(258) أنخت : أبرَكْتُ.

فهارس عامة

(1) لم أتمكن ـ لظروف قاهرة ـ من وضع فهرس خاص لمصادر التحقيق ومراجعه.
والفهارس : 1، 2، 4، 5، 6 لا تهم إلا متن «الفوائد الجمة».

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأشعار

قافية الهمزة

قافية التاء

قافية الثاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الراء

قافية السين

قافية الضاد

قافية العين

فهرس اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الهاء

قافية الألف المقصورة

قافية الياء

القوافي المتنوعة

الأشطار

فهرس الأعلام البشرية

حرف الهمزة

(1) لم أتمكن ــ لظروف قاهرة ــ من التزام الدقة في ترتيب كل الأعلام.

حرب الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاى

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الكتب الواردة في الكتاب

فهرس المحتويات

كتاب «الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة»

الباب الأول في ذكر مشايخي ومشايخهم

الباب الثاني في الأسانيد

الباب الثالث فيما تلقيناه من الفوائد، وسمعناه من العجائب

الباب الرابع : في المرائي الحسان

الفهارس العامة